الإيداع القانوني 718-2005

08

الخلدونية

العدد الثامن ديسمبر 2015 ردمد:1112-5896

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة أكاديمية

تعنى بالدراسات والبحوث

في

التاريخ والمجتمع

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة تيارت

منشورات: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت

الخلدونية

al khaldounia

Dépot légal 2005-718

08

al khaldounia

Numéro 08 Décembre 2015 ISSN:5896-1112

Des Sciences Humaines et Sociales

Revue académique des études

et des recherches

sur

l'histoire et la société

Faculté des Sciences Humaines et Sociales

Université de Tiaret

Publications de la Faculté des Sciences Humaines et Sociales. Université de Tiaret.

الخلدونية

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة تيارت

العدد الثامن ديسمبر 2015

الإيداع القانوني Dépôt légal718-2005

ردمد:ISSN1112-5896

بسم الله الرحمن الرحيم



سورة آل عمران، الآية 140

الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة تيارت، العدد الثامن ديسمبر2015

قواعد النشر بالمجلة

إن صفحات مجلة الخلدونية مفتوحة للباحثين من داخل الوطن وخارجه. ومن أجل تسهيل عمل المجلة يرجى من الراغبين في نشر بحوثهم الالتزام بالقواعد التالية:

1- أن يكون العمل العلمي أصيلا لم يسبق نشره.

2- ينبغي أن تتميز الأعمال المقدمة بالجدّة والعمق في الطرح وبالأسلوب السليم والمنهجية العلمية، ولا تقبل المجلة المواد المنشورة أو المقدمة للنشر في جهات أخرى.

3- أن لا تزيد عدد صفحات المقال عن **15** صفحة.

4- أن تكون اللغة العربية مكتوبة بخط Traditional Arabic بحجم **16** واللغة الأجنبية بحجم **12** خط Times New Roman ، وأن يرفق المقال بملخصين مع الكلمات المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.

5- لا يقبل أي مقال بعد انتهاء الآجال، والمجلة غير ملزمة بإعادة الأصول المرسلة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

6- كل الأعمال العلمية المقدمة تخضع للتحكيم السري؛ العلمي النوعي والمتخصص قبل النشر، وتُخطِر المجلة الباحثين بقرار صلاحية المواد أو عدمها. كما أن البحوث والدراسات التي يرى المحكمون تعديلها تُرَدُّ إلى أصحابها لإجراء التعديلات لكي تأخذ طريقها إلى النشر. وتحتفظ المجلة بحقها في إدخال تعديلات، أو تأخير النشر إلى عدد قادم حسب إمكانياتها،

7- يجب الالتزام بالطرق العلمية المقدمة في النشر، على أن تكون الهوامش يدويا وفي آخر المقال.

8- تكون المقالات مصحوبة بملخصين إحداهما بلغة المقال والثاني بإحدى اللغتين (فرنسية أو إنجليزية).

وسائل الإيضاح:

يجب أن تقدم الجداول الإحصائية والرسوم البيانية والخرائط والصور الأصلية مستقلة عن النص في (**A4**) بشكل فردي أو جماعي مع ذكر رقم الجدول أو الشكل. ويجب أن تتسم وسائل الإيضاح بالوضوح.

كل المراسلات توجه إلى البريد الإلكتروني للمجلة: alkhaldonia.fsh@gmail.com

ما تنشره المجلة لا يعبر سوى عن رأي صاحب المقال، ولا يعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة التحرير

الفهرس العام للموضوعات

تقديم..مدير المجلة		9
افتتاحية العدد...رئيس التحرير		10
ملف التاريخ والآثار		
قراءة متجددة فيما جاء حول نقش النمارة	أ/ عمر كيحل	13
نوميديا من ماسينيسا إلى يوغرطة	أ/حمادوش بولخراص	25
دور التعليم العالي وأهميته في عملية البناء الحضاري وتشكيل ثقافة أطوار التربية والتعليم	د/محمد تاج	37
واقع تدريس مسار التاريخ وفق النظام الجامعي الجديد (ل.م.د) في الجامعة الجزائرية قسم العلوم الإنسانية "جامعة تيارت أنموذجا"	د/محمد بليل	45
البشير الونشريسي أحد أهم القادة المقربين من المهدي بن تومرت الموحدي	د/عبد الحفيظ حيمي	63
الكتابات الرسمية عند الموحدين أنواعها، مراسيمها، وأهميتها التاريخية	د/بغداد غربي	69
جهود المستشرق ليفي بروفنصال في تحقيق تراث الغرب الإسلامي رسائل الحسبة أنموذجا	د/عبد الحق شرف	93
رسوم وتقاليد مجلس الوزراء بالأندلس في العهد الأموي	د/قدور وهراني	103
العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي	د/ عمر بوخاري	113
مازونة من القرية الجبلية إلى عاصمة بايليك الغرب	د/ أحمد بحري	133
مراسلات الشيخ المهدي البوعبدلي بالشيخ البشير محمودي	د/ بن عمر حمدادو	145
مكانة مؤسسة اوقاف الأندلس بمدينة الجزائر العثمانية على ضوء وثائق المحاكم الشرعية 1520	د/ محمد زاهي	161

– 1830 م		
مصحف الجامع الكبير بمدينة الجزائر دراسة وصفية تحليلية فنية	أ/ فيصل نايم	169
ردود صوفية الجزائر على دعاوى الإصلاحيين خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي الحركة الوهابية أنموذجا	د/سعدي شخوم	181
مسألة الصحراء في المفاوضات الجزائرية الفرنسية 1960- 1962	د/نورالدين عسال	197
الدور الديني والسياسي للزوايا في عمالة وهران	د/ خيرة بو سعادة	219
الحملة المزدوجة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر 1816 من خلال وثائق خط همايون	أ/ كمال حسنة	235
ملف الفلسفة، علم الاجتماع، علم النفس		
المعوقات الوظيفية في العلوم الاجتماعية المجتمع الجزائري أنموذجا	د/ فيصل لكحل	251
النبوة في الأديان السماوية وعلاقتها بالتصوف الإسلامي	أ/ خديجة بلخير	261
العلاقة بين المنطق التقليدي والمنطق الرمزي	أ/عبد الحليم بن حجبة	271
الحدث الجانح بين الأسرة ومؤسسات إعادة التربية	أ/ قليل محمد رضا أ.د/فسيان حسين	283
دور الجامعة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر دراسة ميدانية ببعض كليات ومعاهد جامعة محمد بوضياف - المسيلة	د/عبد الغني براخلية أ/عبد الحكيم بيصار	299
الأفازيا دراسة لحالة باتوليجية وأثرها على عملية التّواصل اللّغوي	د/عيسى حميداني	321
دور المرأة الجزائرية في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية واقع وأفاق) دراسة ميدانية بالمؤسسة الجزائرية للمياه – ولاية تيارت	د/سمير بن موسى	333
فعالية العلاج السلوكي المعرفي للتخفيف من حدة التأتأة لدى الفتاة المراهقة	د/ آمال عمراني	345

إدارة الوقت والأداء داخل المؤسسة الجزائرية دراسة ميدانية بالمؤسسة المينائية - بسكيكدة	أ/محمد أمين شياب	355
إستراتيجية الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية للحد من البتر المكتسب لدى مرضى السكري	أ/حبيبة ضيف الله د/ شويعل سامية	371
المقاربة بالكفاءات وبيداغوجيا الادماج	أ/ ميلود عمار	395
مدى مساهمة التكوين والتعليم المهنيين في تحقيق التنمية المستدامة	أ/نورية بوشريط أ/ رقية نبار	405
دراسة مقارنة بين طلبة النظام الكلاسيكي ونظام (ل م د) في بعض المهارات الحياتية	أ/ سعيد بوجلال	427
دور القدرة على حل المشكلات في تحسين القدرة القرائية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية	أ/ محمود قندوز	447
الثقافة الأمنية بين المصطلح والمفهـــوم	أ/ براهيم عامر	459
نبتة الشّيبة بين المرجعية الفكرية الشّعبية والطّب الحديث	د/سعيدي نصرالدين	473
واقع تكوين الموارد البشرية في المؤسسة الجزائرية مؤسسة نفطال تيارت نوذجا	أ/ عادل عبد الرحمان بلعربي	479
مدى مساهمة البحوث السوسيولوجية في معالجة القضايا الاجتماعية	د/ ليلى يسعد	495
الانتفاضات العربية وأثر الاستقطابات السياسية البحرين نموذجا	أ/ جمال غمبازة	505
الأعمال المصرفية في ظل تكنولوجيات المعلومات	ط/ خالد سحنون	523
هل الفعالية الشخصية نسخة طبق الأصل لمفهوم الذات	د/ محمد ربعي	539

تقديم:
بقلم الدكتور تاج محمد
مدير الخلدونية

لا جرم في أن العمل إذا كان منطلقه شريفا وغايته المرجوة كذلك، فإن ديدنه سيكون كذلك. ومادام الفريق العامل في مجلة الخلدونية التي تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة ابن خلدون تيارت، يضع نصب عينيه هذا المقصد الشريف، إذ من أهداف هذا الفريق:

- بقاء المجلة على موعدها؛ فهي لا تختفي إلاّ لتظهر في حلّة جديدة، وبِرُوحٍ قوية.
- بقاء المجلة مساحة يرصَّعُ على صدرها أجمل الجواهر، وتُزرَع في أرضها أروع الأزهار.
- بقاء المجلة مفتوحة على التنوع الإنساني والاجتماعي.
- بقاء المجلة منبرا للآراء المختلفة خدمة للعلم والحرية.

ها هو العدد الثامن يأتي في شهر أسبغ بخيراته على بلدنا، وكان شهرا متميزا دون باقي الشهور، وقد اعتادت مجلتنا الظهور فيه، وهذا شرف لا يدانه شرف.

تطلّ الخلدونية وقد حملت معها باقة من الزهور المتنوعة، مقالات تجعل الإنسان محورا لها؛ فهي تدرس نفسه وترافقه اجتماعيا، بل وتسكن عقله من خلال حواره الفلسفي، وتسجل أحداثه بتتبع تاريخه.

.

افتتاحية العدد:

بقلم الدكتور عبد الحق شرف

رئيس تحرير الخلدونية

ها هي الخلدونية تطل على محبيها وقرّائها من جديد؛ بعد أن قطعت على نفسها عهدا في سابق أعدادها بأن تواصل الاستمرار والصدور. وهاهم روّادها يرفعون التحدي على أعلى مستوى؛ لتبقى الخلدونية منبرا من منابر العلوم الإنسانية والاجتماعية، لا في جامعة تيارت فحسب، بل على الصعيدين الوطني والدولي.

يأتي صدور هذا العدد الجديد من الخلدونية استجابة لتطلعات الكثير من قرّائها وباحثيها الذي بذلوا نفيس أوقاتهم للمساهمة في إثراء مقالاته؛ قراءة، وتحكيما، ونشرا.

وقد استجاب للنشر فيه ثلّة من خيرة الأساتذة والباحثين، الذين قدّموا عصارة أبحاثهم في كل المجالات الإنسانية والاجتماعية؛ فجاءت بحقّ نتاج أوقات نفيسة، عكفوا فيها على الرقيّ بمستوى طروحاتهم إلى مصاف التميّز والإبداع.

إننا اليوم ونحن نشهد إطفاء الخلدونية لشمعتها الثامنة؛ نحسّ برغبة جامحة على مواصلة العمل بكلّ عزم وروية وتأنٍّ وثبات، لنرسم من خلالها طريق النجاح والتألّق العلمي، رغم كل العراقيل والصعاب؛ وهو عهد قطعناه على أنفسنا منذ تولينا رئاسة تحريرها.

وإذا كان الأمر والحال هذه؛ فإننا نرفع خالص تشكراتنا لكل من ساعدنا وقدّم لنا يد العون ولو بالكلمة الطيبة، إذِ الدّال على الخير كفاعله. كما أغتنم هذه الفرصة كذلك لأنوّه بالجهد المبذول من طرف هيئة القراءة والتحكيم، وهيئة التحرير وأمانتها، على صبرهم واصطبارهم من أجل أن يرى هذا العدد النور.

وفي الأخير أجدد الدعوة لأساتذتنا وباحثينا من داخل الوطن وخارجه، من أجل إثراء مقالات العدد القادم، الذي ودون شك نطمح أن يكون متميّزا وفي مستوى تطلعات قرّائنا الأوفياء.


ملف التاريخ والآثار

قراءة متجددة فيما جاء حول نقش النمارة

أ/ كيحل عمر، جامعة تيارت

مقدّمة:

يكتسي موضوع البحث في التاريخ العربي القديم أهمية بالغة، لاعتبارات تتعلّق أساساً بصعوبة البحث فيه، خاصة المنطقة الشمالية منه. ففضلاً على أن تاريخ العرب قبل الاسلام كان في معظمه تاريخاً شفهياً. فانه لم يوجد مما يدلّ عليه مادياً كالنقوش والبقايا الاثرية والمادية الاخرى الا نزراً يسيراً، لا يكاد يشبع رغبة المؤرخ والآثاري او الباحث في التراث العربي بصفة عامة والشمالي منه بصفة خاصة، والالمام بكل مكنوناته.

وشكّلت مملكة الحيرة في التاريخ العربي الشمالي المسرح الكبير لذلك التاريخ. فالباحث في تاريخها يستشفّ الكثير من النتائج العلمية التاريخية المتصلة بتاريخ وتراث العرب ككل، فبالإضافة الى التصاق تاريخها بمختلف الانواع الادبية التي شكّلت التراث العربي القديم فأثّرت فيه. وعلى رأس تلك الانواع: الشّعر، كأداة من أدوات التصوير قبل ان يكون ابداعاً. الا اننا نجد الى جانب ذلك بعض الاثار المادية، هي بقايا القصور والبِيَع التي دلّت على تاريخ الحيرة، وان كانت قليلة فإنها اضافت لذلك التاريخ تجلّياً يجعل الصورة تكاد تكون مكتملة لدى الباحث.

ومن أهم تلك الاثار المادّية الدّالة على تاريخ الحيرة، نقش النمارة في منطقة حوران بالشام. ولعلّ الاهمية التي يكتسيها هذا النقش مستمدّة مما اضافه هذا الاثر من زخم واثراء لمادة البحث بالنسبة للباحث في التاريخ العربي الشمالي القديم وذلك منذ اكتشافه في مستهلّ القرن العشرين. باعتبار الاثار الدالة على تاريخ الحيرة قليلة في معظمها –كما أسلفنا – وتلك الاهمية سببٌ كافٍ من اسباب البحث فيه واعادة قراءته من جديد. والخوض فيما تمّ قبل ذلك من قراءات جعلتنا ننصب اهتمامنا على احدث تلك القراءات، واهمّها ما جاء به: James A.Bellamy من جامعة ميتشيغن (Michigan)،تحت عنوان: قراءة جديدة لنقش النمارة، وابراز المقاربات التي جاءت بها تلك القراءة.

ومن هذا المنطلق فقد تمثّل الاشكال الرئيسي لهذا المقال فيما يلي:

- ما تفسير وجود نصب وقبر لملك عربي من ملوك الحيرة، في منطقة تخضع للنفوذ البيزنطي؟

- وما أهمية الكتابة التي وجدت على نصبه، بلسانٍ عربيٍ ولكنّها بحروف نبطية؟

ويجدر بنا لمناقشة هذه الاشكالية بدايةً، اعطاء احاطة تعريفية بنقش النمارة وهي بطاقة فنية تاريخية للنصب، ثم للتعريف بالملك صاحب القبر الولوج الى آخر ماجاءت به الدراسات حول الموضوع، لمحاولة الاجابة على هذين السؤالين.

1- بطاقة فنية وتاريخية عن نقش النمارة :

في ربيع 1901 قام رينيه ديسو René Dussaud بمساعدة: فريدريك ماكلر Frédéric Macler بحفريات في لجاء وجبل الدروز بسوريا على بعد 100كلم جنوب دمشق، وفي 04افريل انتقل الفريق الى منطقة النمارة، وعلى بعد 1كلم جنوب النمارة وبالضبط فيما يسمى وادي السوط تمّ اكتشاف الاثر المهم(01)، الذي وجد على حجر كبير من البازلت مربع الشكل مساحته 4.40متر في 3.39متر اصله من انقاض قبر قديم، وهو العتبة العليا من ذلك القبر وعليه خمسة اسطرٍ منقوشة بالحرف النبطي واللسان العربي الشمالي وليست باللغة الحميرية او الحرف المسند كما ينتظر، بل هي منقوشة باللغة العربية الشمالية او لغة عدنان كما كانت في ذلك الحين، أي في اوائل لقرن الرابع للميلاد وبالحرف النبطي الذي كان يكتب به عرب الشمال. وهذه اقدم كتابة عربية شمالية يمكن قراءتها منقوشة على الآثار طولها متر و16سنتمر والاثر هو قبر الملك امرؤ القيس بن عمرو، الذي يعتبر الملك اللخمي الثاني لمملكة الحيرة(02)، وحوى النص على اهم مآثر هذا الملك وكذا تاريخ وفاته: في 07 كسلول (ديسمبر) من سنة 223 من التقويم البصروي الموافق 328ميلادية، ويوجد الاثر في متحف اللوفر مدرجاً تحت رقم: AO4083(03).

تكمن اهمية نقش النمارة في كونه يكشف لناعن الاصول المبكرة للكتابة العربية بلسان عربي ولكن بكتابة وحروف نبطية، وهو الاثر الوحيد تالذي وجد على هذا النحو وهو يؤرخ لملك مهم من ملوك الحيرة اللخميين لذا فهو غني من الناحية اللغوية ومهم من الناحية التاريخية، وقدّم ديسو René Dussaud في السنة الموالية لاكتشافه تقريره ونتيجة بحثه لـ:

Académie des inscriptions et Belles Lettre،وعلق عليها:

clérmont-ganneau. وفي أواخر سنة 1902 طبع دوسو Dussaud تقريره النهائي في Revue Archéologique : وترجم نسختها الى العبرية، اما الطبعة الثانية لتلك الاعمال فقد

جاءت بعنوان: تقرير حول البعثة العلمية (اواخر 1902) وردّ فيها Dussaud على بعض الملاحظات لـ Halévy. وفي سنة 1905 كانت الطبعة الثالثة تحت عنوان: الرصيد التصويري السامي [04].

وهذا نصّها بالحرف العربي كل سطر على حدى :

1- تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر التج.

2- وملك الاسدين ونزرو وملوكهم هرب مدحجو عكدى وجا.

3- بزجي في حبج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه.

4- الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ مبلغه.

5- عكدى هلك سنة 223 يوم بكسلول بلسعد ذو ولده .

يذكر "جرجي زيدان " محللاً لهذا النص: ". ..**وهذا لسان عربي تشوبه صبغة ارامية يحتاج تفهّمها الى ايضاح، ففيها من الالفاظ الارامية والنبطية: فلفظة "تي" وتعني :هذا و "نفس" وتعني: قبر، و"بر" وتعني: ابن و"عكدى" أي: اليوم، ويضيف:.** ..**وكان العرب يومئذٍ من دور الانتقال لاستخدام لغتهم بدل اللغة الارامية الرسمية، واذ نظرت صورة الخط نفسها رايتها في اول دور الانتقال ايضا من الشكل النبطي الى الشكل العربي الشائع بيننا الان متحوّل عن الحرف النبطي الذي كان شائعاً في مملكة الانباط**[05]...". واذا اردنا تقريب هذه الكتابة الى افهامنا وتدوينها بلغتنا العربية، لغة القران الكريم، كتبناها على هذا الشكل:

1- هذا قبر امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج.

2- والاسدين ونزاراً وملوكهم وهزم مذحجاً بقوّته وقاد.

3- الظفر الى اسوار نجران –مدينة شمر– وملك معداً واستعمل ابناؤه على.

4- القبائل ووكلهم لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

5- في القوة، هلك سنة 223يوم 7بكسلول ليسعد الذي ولده.

وكان اهل الشام وحوران وما يليها يؤرّخون في ذلك العهد بالتقويم البصروي، نسبة الى بصرى عاصمة حوران. وهو يبدأ بدخولها في حوزة الروم سنة 105 ميلادية و223 من هذا التقويم متوافق اذاً سنة 328 للميلادية، وهي السنة التي توفّي فيها امرؤ القيس [06].

2 – تعريف بالملك امرئ القيس (البدء) (228–328ميلادية) :

ملك بعد (عمرو بن عدي) الذي لم تذكر لنا المصادر الإخبارية ظروف وفاته، (امرؤ القيس) ويتحدّث الإخباريون عن نسبه فيقولون هو: امرؤ القيس بن عمرو بن عدي، و أمّه (ماوية بنت عمرو أخت كعب بن عمرو) الأزدي [07] . اشتهر عند الإخباريين ب (امرؤ القيس البدء) أي أمرؤ القيس الأول، كما لقّب ب(المحرّق)، و من هذا اللقب أطلق على بني نصر اللخميين وعُرفوا به، و فيهم يقول الأسود بن يعفر، الشاعر :

ماذا أومّل بعد آل مُحـرّقٍ ** تركوا منازلهم وبعد إيـّاد

أرض الخَورْنقِ والسَّدِير وبَارقٍ ** والقصر ذي الشُرفات من سِنداد[08]

ونصادف كلمة (المحرّق) و (محرّق) و (آل محرّق) في مواضع كثيرة من الأخبار المتعلقة بملوك الحيرة. أما سبب إطلاق هذه التسمية، فقد اجتهد فيها المؤرخون ليجدوا تعليقاً مبيّناً له ويبدوا أن اجتهاداتهم تلك وقفت عند حدود الافتراض و لم تأتِ بالدليل المقنع فنجد (جواد العلي) يعلّل هذا التلقيب على لسان المؤرخ الألماني (Rothstein)(روتشتاين) بالقول "...**وهم يرون أنه لقب ألحق بأولئك الملوك لأنهم عاقبوا أعدائهم في أثناء غزوهم لهم بحرق أماكنهم بالنار...**"، و هذا ولا شك – تفسير ظاهر الكلمة و هو تفسير مغلوط و الصحيح في نظر روتشتاين أنه اسم علم لأشخاص عرفوا بمحرّق، و لذلك قيل (آل محرّق) و (آل المحرّق). و هناك فرقٌ بين إيراد الاسم معرفاً (المحرّق) و الذي يدلّ في علم الدلالات بالصفة و بين (محرق) و الذي يدل على اسمٍ علمٍ، كما يفهم من كلامه ويضيف (روتشاين). إسماً أخر ألصقه بصفة محرق هو (الحرب) فأصبحت الصفة (محرّق الحرب) وهذا اللقب لم نجده يذكر عند الإخباريين العرب،فيمايتعلق ب(امرئ القيس بن عمرو)[09]كمايجتهد (ولهاوزن)(J.Wellhausen)في إعطاء تفسير لإطلاق هذا الاسم فيعلّل ذلك بافتراضه أن(محرّق) هو صنم من أصنام الجاهلين تعبّدت له بعض القبائل مثل: بكر بن وائل وربيعة، و يعطى مكانا لهذا التعبّد يطلق عليه موضع (سليمان) و يضيف (جواد علي) على ذلك بقوله: " . .. **و قد ورد بين أسماء الجاهلين اسم له علاقة بهذا الصنم، هو عبد المحرّق ، أفلا يجوز أن يكون للمحرق إذا علاقة بهذا الصنم، كأن يكون قد اتخذ من باب**

التيمّن و التبرّك للملك .. " [10] و يرى بعض الإخباريين في تفسير هذا اللّقب خاصة المستشرقين، بأن (محرّق) لقب أطلق على ملوك كانوا يتقرّبون إلى الله بزعمهم بإحراق القرابين و بإسرافٍ. كما نجد تفسيراً آخر و هو مجرد افتراضٍ، بالقول أن (محرقا)كان من الشخصيات القديمة الواردة في الأساطير و قد اقترن اسمه بالدروع، وورد (بردي محرّق) كما اقترن اسمه بـ(نسيج داوود)[11]. مما يدل على أن هذا الاسم من الأسماء المعروفة قديمًا في الأساطير الجاهلية، و قد ورد أيضًا صوت محرق وفرخ محرق. وذلك يدلّ على أن محرقًا في هذا الموضع حيوانٌ قد تكون له علاقة بأساطير الجاهليين و إذا كان الاختلاف موجوداً فعلاً، في سبب إطلاق هذا اللقب على امرئ القيس، فإنه ولاشك في ذلك – أن معظم الإخباريين الذين نقلوا تلك التعليلات، لم يبحثوا أو يدققوا في أصل هذا اللقب.لذا نجدهم يطلقونه على آل نصر كلهم.

كما إننا نجد الإخباريين و معظم المؤرخين يتفقون على أن امرؤ القيس هو أول من تنصّر، ومن العجب أنهم يتناقلون رواية ذلك ولكنهم لا يتكبّدون عناء ذكر تاريخ هذا التنصّر ولا كيفيته ولا دواعيه و من ثم فإن أمر تنصره. و إنه أول من تنصر – على خطورته – يبقى مجرد خبر يحتاج إلى دليل. وخلافاً لكل هذا، فإننا نجد طائفة من أخبار هذا الملك تنصب حقيقة تدل عليها الآثار المكتشفة من هذا الأخبار الموثقة. أن ملكه كان من الاتساع بمكانٍ تفوّق فيه على الملوك السابقين من الحيرة، و هو الخبر الذي نجده متواتراً عند الإخباريين فمعظمهم يذكر ذلك ولا ينكره فقد أخضع قبائل: أسد و نزار ومذحج ومعد، ويبدوا أنه كان ذا نزعة حربية و أطماع توسّعية –أكثر من سابقيه و تضطرب الروايات حول مدة حكم امرؤ القيس – كالعادة بالنسبة لملوك الحيرة الأوائل – فـ(حمزةالأصفهاني) يجعل حكمه يصل إلى 114 سنة [12]و هو أمر مبالغ فيه[13]. وتكاد المصادر التاريخية تجمع على أن أمرئ القيس عاصر من ملوك الفرس (بهرام الثالث) و (نرسي)و(سابور ذو الأكتاف)، و أن مدة حكمه بالمقارنة بين المصادر يكون 40 سنة .

ويرى (كلير مون جانو) (Clermont Ganneau) المستشرق الفرنسي، أن لفظ التاج كان لوحده لدلالة على علاقته بالفرس وان وجد قبره في حوران و هي تابعة للروم لأن لقب ذي التاج من ألقاب ملوك الحيرة [14]. ويذهب (رنيه دوسو) مذهباً بعيداً في سبب وجود قبر امرئ القيس في هذا المكان بقوله: "... **و القبر الذي أقيم لايرئ القيس في النُمارة في إقليم روماني والرثاء الذي كُتب بحروفٍ نبطية في لغة عربية، و الذي يرجع تاريخه إلى عهد الولاية الرومانية في البلاد العربية يكفيان لتأييّدٍ اعترافِ الرومان بسلطان (امرؤ القيس)، و إن كان النص لا يقطع بهذا تمامًا**..."[15]، و هو يريد في ذلك أنه كان لأمرؤ القيس من القوة الحربية ماجعل الرومان يعترفون بهذا الواقع و يتعايشون معه.

ولكنه يضيف أن النص لا يقطع بهذا الاعتراف تماماً، ولكنه يشير اليه. ويزدري (دوسو) فكرة المؤرخين المعاصرين عن العلاقات الدولية في القديم،و يقدح فيها بالنقصان و الاقتصار حيث يضيف دائماً في تحليله لنص النقش الذي وجده في النمارة بالقول: ".. **إن مركز ملك جميع العرب الذي يستمّد سلطانه من ملوك فارس ولكنه في نفس الوقت حليف لروما – ما يبعث عن العجب – و فقاً لفكرتنا البسيطة عن العلاقات بين الشعوب**..." [16]. ثم يجد هذا المستشرق الفرنسي محرجاً في تفسير ذلك بقوله "... **لكنه يتفق مع تلك السياسة المتأرجحة للشرقيّين و مع المركز الخاص للعرب الرّحل في بادية الشام وعرب الحطرة**... " و يضيف ". ..**لكنهم عرفوا كيف يحافظون – يقصد العرب – على استقلالهم، من أن يعتدي عليه أولئك أو هؤلاء** [17](يعني الفرس والرومان). ..". ما يعطينا إنطباعاً حول قوة مملكة الحيرة في ذلك الوقت، و نجاعة السياسة التي طبقها امرؤ القيس في التعايش مع القوّتين المجاورتين (الفرس والروم) و لاشك أن ما جاء به (نقش النمارة) يحظى بتأييدٍ غير يسيرٍ من طرف المتّتبع لتاريخ الممالك العربية الشمالية، والسبب في ذلك ماجاء به هذا النقش، من معلومات صحّحت الوضع بالنسبة لأذهان كثيرٍ من المؤرخين. حيث يرى (جواد علي) أن صاحب القبر – و يقصد امرؤ القيس –كان رجلاً محارباً و قائداً كبيراً، أخضع قبيلتي أسد و نزار و هزم مذحجًا، و أخضع معداً ووزّع بنيه في القبائل وبلغت فتوحاته أسوار (نجران) مدينة (شمر) في اليمن – و يذكر– أيضا أنه بهذه الفتوحات قد تمكن من فتح معظم أنحاء الجزيرة [18]. و يؤكد (رنيه دوسو)،(R.Dessaud). أن "..**هذا القائد السعيد – على وصفه – يبدو أنه قد حارب (شمر يور عيش) صاحب نجران في جنوب البلاد العربية**..."[19]. و في تحليله لذلك يرى (جواد علي) أن هذا النص يناقض الروايات التي تنسب الفتوحات العظيمة إلى (شمر يهر عش) (شمر يرعش) فتجعله فاتح العراق وما وراء العراق إلى الصين و تعكس القضية عكساً تاماً. و روايات فتوحات (شمر) هي روايات يمانية وضعها أناس متعصّبون لليمن ولاشك[20]. ويتفق الإخباريون والمستشرقون على أن امرؤ القيس يكون قد حارب (شمر يور عش) و إستنادهم في ذلك دائماً على (نقش النمارة). ويتفقون على أن امرؤ القيس قد أغار على نجران فوصل أسوارها، ولكنها امتنعت منه، و إنه فرض سلطانه على القبائل التي كانت تجاورها و اعترفت بسلطته عليها.

وتذهب الافتراضات إلى أبعد الحدود فيما يتعلق بالسؤال المحيّر: كيف وصل امرؤ القيس إلى حوران إلى أن دفن فيها ؟

و يبدو أن هذا السؤال لم يوجد له إجابة دقيقة و لم تظهر لنا النقوش و الحفريات – ماخلا نقش النمارة – و لا الأخبار المتواترة من لدن الإخباريين. ومال الكثير من الإخباريين والباحثين في هذا المجال لوضع فرضيات لتقريب الوضع من الواقع ، أو محاولة الإجابة على هذا السؤال.فبعضهم يعلّل سبب ذلك، أن سلطة امرؤ القيس امتدت على قبائل العرب في بادية الشام و العراق و أقواها يومئذ معد ونزار ومذحج. وآخرون يفترضون مجيئه إلى حوران في مهمّة أو شأنٍ، وتوفي فيها فبنو له قبراً في أرض رومانية و كتبوا عليها بالحرف النبطي، قلم تلك الولاية وأرّخو بتاريخها. وهم يستدّلون بذلك على وجود علاقةٍ وديةٍ كانت بينه وبين الشام – كما أسلفنا القول – وآخرون يميلون إلى قول آخر ويعتقدون أن أمرئ القيس كان ذو نزعةٍ حربيةٍوأطماعٍ. حاول توحيد القبائل العربية تحت قيادته، فأخضع قبائل: أسد ونزار ومذحج ومعدوكثيرٌ من المستشرقين يستدلون على وجود تمهيد لتوحيد المجتمعات العربية تحت قيادته في هذه الفترة، قبل وجود الدعوة التي قام بها محمد – صلى الله عليه وسلم – و انتجب مجتمعاً عربياً واحداً. ويضيفون أن أمرؤ القيس لما أوجد هذا النوع من التوحيد تحت قيادته، ولما أمّن جبهته الداخلية و اطمأن لقوته، غزا الروم فقُتل ودُفن في أرضهم، كما يؤكد نقش النمارة[21].

لكنّنا إذ مانظرنا إلى استعمال التأريخ كحجة تاريخية، و القول مادام أنه أهل حوران يؤرّخون بالتاريخ البصري الذي يبدأ بتاريخ دخولها تحت سيطرة الرومان و نستدل بذلك على وجود الحكم الروماني بها، من دواعي التبعية الثقافية نراها محبّذة في مجتمعات معاصرة. و ينهض دليلاً مدعماً على ما نقوله، أن الكتابة جاءت بالخط النبطي ولكن اللسان كان لساناً عربياً ، مما يدل على استعمال كتابته كان كآداة للإيصال فقط.

بينما يرى آخرون أن سبب دفن امرؤ القيس في موضع النمارة من بلاد الشام، أن أمريء القيس كان في بلاد الشام حينما نزل به أجله. و يرى البعض الآخر أنه كان قد جاء إلى بلاد الشام لأنه كان من حزب (بهرام الثالث) ومن مؤيديه، فلمّا وقع الخلاف بين الفرس على العرش و انتصر (نرسي) خرج أمرؤ القيس من العراق و قصد بلاد الشام فأقام هناك، ومال إلى الروم فأيّدوه وأقرّوه على بلاد الشام. فيكون قد عمل للفرس و للروم معاً[22]. و يبدوا أن هذه الاستنتاجات التي خرج بها (جواد علي) من كتابات (R.Dessaud). إنما قصد بها و ضع فرضيات تقترب من الحقيقة. ومهما يكن، فإن السؤال المطروح آنفا يبقى مطروحا دون اجابة دقيقةٍ ، إلى أن تظهر المزيد من الحفريات أو النقائش الجديدة حول ذلك. و لعلنا لا نجتهد إذ ما تصفّحنا الروايات و الأخبار التي تتحدث عن الظروف الدولية التي كانت تمرّ بها المنطقة. لندرك جيداً مدى الضعف الذي كانت تمر به الإمبراطورية الفارسية أو مدى القوة التي

تحلت بها القبائل العربية في ذلك الحين ونحن نقصد بالذكر عهد (سابور الثاني). حيث أنه وبعد وفاة (هرمز بن نرسي) أوصى بالمُلك لأبنه الذي كان لا يزال حمْلاً و لم يولد بعد. فلمّا وُلد ذكراً استبشر به الفرس خيراً وكان المُلك لـ(سابور بن نرسي) أو (سابور الثاني). فلما عرفت الأمم خاصّة مجاوريهم من العرب مدى ضعف تدبير الفرس طمعوا في ملكه، والروايات المتواترة تحدثنا على غلب و سيطرة العرب من عبد القيس والبحرين و إياد المجاورين للفرس على سواد العراق. وهذا الأمر يفسّر لنا أيضا مدى التقارب بين الرومان ومملكة الحيرة، و إتساع ملك (امرؤ القيس) و سطوته. وربما يقف دليلا لم يلتفت إليه الإخباريون حول سبب وجود قبر أمرئ القيس في النمارة، فوجوده في تلك المنطقة لا يمنع أن مملكة الحيرة أصبحت من القوة بمكان يجعلها تضايق الحدود الرومانية[23]. لكن الصِلات التي نستلهمها مما توحي به الكتابات الموجودة على القبر تجعلنا لا نميل إلى مبدأ التصادم بل العكس يمكن أن نقرن ذلك بالتعايش و التسامح، الذي كانت تعيشه مملكة الحيرة مع الإمبراطورية الرومانية. وفي المقابل وبالنظر للتطورات المذكورة آنفاً و هجمات القبائل العربية على مملكة الفرس ربما تدل على أن ملك الحيرة (امرؤ القيس) ارتأى النأي بمقر مملكته عن تلك الصراعات إلى حدود آمنة وهو ما يفسر وجود قبره في النمارة. وتحدثنا الروايات على أن (سابور الثاني) الملقّب بذي الأكتاف أنه لما شبّ وبلغ ستة عشر سنة، و قوى على حمل السلاح ، اختار من عسكره ألف رجلٍ وهجم بهم على العرب المجاورين من أياد، فأكثر فيهم القتل و غوّر مياههم وقصد البحرين كما قصد بكر وتغلب فيما بين الشام و العراق و أباد عبد القيس حتى وصل إلى اليمامة وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتل ويشرّد بهم حتى مات، لذلك سُمي سابور ذي الأكتاف [24]. وتروي قصائد الشعراء ذلك الحدث التاريخي، من ذلك قول (لقيط الإيادي) الذي كان في ديوان سابور ما بعثه لقومه تحذيراً لهم من من بطش سابور. إذ يقول:

سلام في الصحيفة من لقيطٍ ** إلى من بالجزيرة من إياد

بأن الليث كسرى قد أتاكم ** فلا يشغلنّكم سوق النفاد[25]

ومهما يكن فإنه و بالنظر إلى ما اكتشف في نص النمارة من معلومات و أخبار. يعزّزها ما رواه الإخباريون العرب، عن فترة حكم الملك امرئ القيس. فإنه يمكننا القول أن مملكة الحيرة مرّت في عهد هذا الملك بفترةٍ من القوة السياسية، جعلتها تملك زمام المبادرة من العرب جميعاً سواء أكان ذلك محاولةً من امرئ القيس في جميع شتات القبائل العربية المتفرّقة تحت راية واحدة والأخذ بأسباب و الوحدة للوصول إلى بناء مملكة أكثر قوةً بين الإمبراطوريات الفارسية والرومانية حتى أننا نستشف مبلغ تلك القوة

في الذهاب بها بعيداً، و الوصول إلى بناء حدود أسوار نجران. و تهديد مملكة (سبأ وذي ريدان و حضرموت ويمنت).

3 – الجديد الذي جاءت به قراءة : James A.Bellamy :

تكمن أهمية الدراسة التي جاء بها: James A.Bellamy، والتي جاءت تحت عنوان: قراءة و جديدة لنقش النمارة، او: A new reading of the Namara Inscription، والصادرة عن: Journal of the American Oriental Society الجزء 105،رقم 1، والتي صدرت في جانفي 1985، والواقعة فيما بين الصفحات:31الى الصفحة 51. كونها:

أ- ركّزت دراسة المقال على الجانب اللغوي واهتمت به لتوضيح بعض الاختلافات الموجودة منذ ان نشر اول تقرير للنقش المكتشف، واعتمد فيه صاحب الدراسة على ثلاثة صور أبرز من خلالها هذه الاختلافات التي وان كانت طفيفة الا انها مهمّة في هذا المقام [26].

ب – توصّل James A.Bellamy الى نتيجة أكّد من خلالها بما لا يدع مجالاً للشك ان الحروف التي استعملت فيها واللسان هو لسان عربي تشوبه بعض الالفاظ الارامية، وان تلك اللغة هي اللغة العربية المتحوّلة والتي عُرفت في تلك النواحي الشمالية، قبل ان تتطوّر الى اللغة العربية التي اصبحت واضحة التشكيل واللسان قبل الاسلام [27].وهو رأي اكّد من خلاله رأي دوسو.

ج – توصّل الباحث الى القول ان تلك اللغة المستعملة على النصب هي نفسها اللغة التي كُتب بها الشعر العربي في الجاهلية[28].

د – من خلال مقاربته اللغوية، حاول James A.Bellamy اعطاء صورة لتقارب الملك امرئ القيس مع الروم، وان احد ابنائه قد نصّب فيلارك من قبله على بعض المناطق القريبة من الروم، ويرى ان فيه اعتراف من الروم بسلطته [29].

هـ- أهمل James A.Bellamy علاقة امرئ القيس مع الفرس ولم يعطيها الاهمية في تحليله وشرحه لمحتوى ماجاء به النص، واقرّ ان نفوذه بلغ نجران باليمن، وان علاقته مع القبائل العربية كانت الجيدة. كما راى ان من كتب ذلك النص يرجّح ان يكون من مقرّبيه وانه تعاطف معه. ثم يذكر ان ذلك تقليد جرى عليه الاتباع كنوع من التخليد لذكرى الملك ففيه بعض المبالغة خاصّة في جملة "فلم يبلغ ملك مبلغه "[30].

استنتاجات حول البحث :

من خلال ما سبق من مناقشة الاراء المختلفة التي قصدت الاجابة على السؤالين الجوهريين المطروحين كاشكالية لهذا البحث، يمكننا ان نشير الى بعض الاستنتاجات منها، ان وجود قبر امرئ القيس وهو الملك العربي الحيري الثاني من ال لخم في منطقة النمارة بحوران جنوب شرق دمشق، وهي منطقة تابعة انذاك للنفوذ البيزنطي يعود اللقوة السياسية التي كان تتمتع بها الحيرة مجسّدة في فترة حكم الملك امرئ القيس الذي بلغت حدود مملكته اسوار نجران باليمن ولم يبلغ ملك من العرب قبله مبلغه. ومحاولة هذا الاخير لمّ شتات العرب تحتحكمه بالسياسة والحكمة الت كان يتمتع بهما. حيث تشير المصادر الى وجود ارتباط حضاري بين الحيرة والقبائل العربية في شبه الجزيرة العربية قبل ان يكون هذا الارتباط عرقيا.

ومن خلال الدراسات الحديثة التي ركّزت على هذين السؤالين وحاولت البحث في الجانب اللغوي الذي جاءت به اللغة التي كتبت بها احرف الاسطر الخمسة لهذا النصب فقد تمّ التأكيد على ان تلك اللغة كانت بحروف نبطية ولكنها بلسان عربي يوافق ذلك كون اللغة العربية المتحوّلة أي في طور التطّور، اما احرف تلك الكتابة أي الاحرف النبطية، فلم تستعمل سوى كآداة ووسيلة في ايصال فحوى النص المنقوش، وهي اللغة التي عرف بها العرب الشماليون. وهو ما ينصب دليلاً على حقيقة ان عرب شبه الجزيرة العربية قد تناقلو ا الخط العربي عن عرب الحيرة وقد وجدت بها مدارس لتعليم القراءة والكتابة دلّت عليها المصادر الاخبارية مما يدل على المكانة التي تحظى بها الحيرة لدى العرب عموماً وخاصة عرب الحجاز.

الهـوامش:

-(01) James A.Bellamy, A new reading of the Namara Inscription,vol105, Journal of the American Oriental Society ,jan1985,pp31-51

-(02)Dussaud.R,Les Arabes en Syrie avant l'Islam,P.Gauther,Paris,1907,p35.

-(03)Idem,p31 James A.Bellamy,

-(04)Idem

(05)- جرجي (زيدان)، العرب قبل الاسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966، ص369.

-(06)op,cit,p42. Dussaud.R,

(07)- الاصفهاني (حمزة)، سني ملوك الارض والانبياء، مكتبة الحياة، بيروت، ص86.

(08)- الدينوري (ابن قتيبة)، المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، 1981، ط4، ص647.

(09)- جواد(علي)،المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد، 1976 ط3، ج3،ص187.

(10)- نفسه، وكذا Boulos(Jawad),Les peuples et les civilisationdu proche-orient,t3,La Haye,Muton&CO Haye ,Londres,Paris,1964,p345.

(11)- جواد (علي)، المرجع السابق، ص189.

(12)- الاصفهاني (حمزة)، المصدر السابق، ص87.

(13)- جبران (نعمان محمود)، سحيم (روضة)، الجزيرة العربية قبل الاسلام، مؤسسة حمادة، الاردن، 1989،ص223.

-(14)Clermont Ganneau.ch,*le roi de tous les Arabes* RAO6,p307,p36.

-(15)op,cit,p38. Dussaud.R,

-(16)op,cit,p43. Dussaud.R,

Ibid -(17)

(18)- جواد (علي)، نفسه.

50 -(19)op,cit,p. Dussaud.R,

(20)- جواد (علي)، نفسه.

(21)- أبو الخير (محمود)، الشعر في بلاط الحيرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص07.

(22)- جواد (علي)، المرجع السابق، ص191.

(23)- نفسه.

(24)- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، ج1، ص225.

(26)- نفسه.

-(27)Idem, p31 James A.Bellamy,

-(28)46 Idem, p James A.Bellamy

-(29)Ibid

-(30) Idem,p45 James A.Bellamy,

-(31) Idem ,p46.

نوميديا من ماسينيسا إلى يوغرطة

أ/ حمادوش بولخراص، جامعة تيارت

يظهر من المؤلفات الكلاسيكية للمؤرخين الإغريق والرومان، أن معظمهم تطرق إلى تاريخ نوميديا ضمن التاريخ الروماني والقرطاجي، أمثال: ابيان Appien في حديثه عن الحروب القرطاجية الليبية [1] أي حرب ماسينيسا ضد القرطاجيين، ومن خلاله نجد تاريخ نوميديا وإفريقية مع بعض النقص الملحوظ في المعلومات الخاصة في التطور التاريخي لكيفية ظهور المماليك النوميدية.

الحدود السياسية لنوميديا:

من الملاحظ أنه لا يمكن الجزم في إثبات حدود مملكة نوميديا نظراً لعدم استقرار المملكة، وهذا راجع لعدة أسباب أولها الأطماع الاستعمارية للدول المجاورة، خاصة المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط، كل ذلك كان مع بداية وصول الفينيقيين إلى سواحل إفريقية ثم الرومان من بعدهم[2]، حيث تعتبر أهم فترة مزدهرة مرت بها مملكة نوميديا كانت أثناء حكم ماسينيسا[3].

I. الإطار الجغرافي والتاريخي:

هذا المجال الجغرافي لمملكة نوميديا زال وتغيرت معالمه عبر العصور لأنه لا ينطبق على ما هو موجود حالياً، هذه المملكة كانت ضمن نطاق جغرافي معروف بـ ليبيا، حدوده شرق نهر النيل إلى المحيط الأطلسي غربا[4]، تقع هذه المنطقة في الشمال الغربي لقارة إفريقية باستثناء المغرب الأقصى، تشمل شرق تونس والجزائر حاليا إلى وادى الملوية غربا [5]، كما توجد هذه الحدود حسب سترابون في الجزء الذي يصف فيه ليبيا، وخاصة عند تطرقه لمملكة المور، يذكر أن حدودها تمتد إلى حدود مملكة المازيسيل التي تبدأ حدودها من واد الملوشات Malochath (الملوية) إلى رأس بوقارون(سبع رؤوس) شمال قسنطينة اي عند شبه جزيرة القل في الشرق الجزائري أي إلى حدود مملكة الماسيل[6].

أ. التضاريس:

أما عن تضاريس نوميديا نكاد نقول أن أغلب تضاريسها عبارة عن مرتفعات جبلية، تتخللها سهول ضيقة نسبياً مستغلة في مجال الفلاحة.

الجبال: تتمثل خاصة في جبال الأطلس التلي ويوازيه الأطلس الصحراوي من الجنوب في اتجاه من الشرق إلى الغرب وتميل جنوباً كلما كان الاتجاه غرباً، تعتبر الحاجز الرئيسي لرمال الصحراء كما تحد من التأثيرات البحرية[7]، هذه الجبال كانت بمثابة خزان للثروات الطبيعية منها الخشبية والحيوانية لهذا نلاحظ اهتمام الرومان بالمنطقة الساحلية والتلية وهملوت المناطق الصحراوية، كما كان لهذه الجبال دور فعال في المقاومة باعتبارها ملجأ للثوار والمتمردين.

- **السهول**:

أما عن السهول فمنها الضيقة تماماً والخصبة تتمركز بالقرب من الساحل البحري، ونوع ثاني من السهول عبارة عن مناطق ضيقة وأقل خصوبة من الأولى تتوسط الجبال[8]، هذه السهول ورغم صغرها إلاّ أنها كانت تُدر من المنتوجات الفلاحية والزراعية ما يكفي نوميديا ذاتياً وحتى روما لسنين عدة، كان هذا من بين الأسباب الرئيسية في تواجد الرومان بنوميديا، هذا التنوع الموجود على اليابسة أحدث وفرض تغيرات جوهرية على سكان المنطقة، فمنهم الرعاة المتنقلين الباحثين عن الماء والكلأ لأجل مواشيهم، والصنف الثاني غرب بحيرة تريتون المزارعين المستقرين بالأرض[9]، جل هذه القبائل كانت لها عدة معارك مع الرومان وحتى مع الممالك المحلية، نتج عنه صراع طويل يكاد يرجعه المؤرخون إلى الفروق الطبيعية التي أحدثت نمط خاص ومختلف للحياة الاجتماعية والسياسية.

- **الهضاب**:

أما النوع الثالث والأخير يتمثل في الهضاب، والنجود التي تمتد على مساحات شاسعة محصورة بين سلسلة جبال الأطلس التلي والأطلس الصحراوي تسمى حالياً بالهضاب العليا، وهي فقيرة من حيث الإنتاج، أغلبها مخصص للرعي وتربية المواشي.

ب.المناخ:

لقد شهد المناخ عدة تغيرات في الزمن الجيولوجي الرابع وخاصة فترة البلايستوسين[10]، كما نجد معظم المدن بنيت على ضفاف الأنهار التي لعبت دور كبير في عملية الري على العموم[11]، المناخ دائم التغير نظراً لعدة عوامل، وهو حالياً متنوع ومتغير بسبب الموقع الجغرافي والفلكي، لأنهما أكبر مؤثر في هذا التنوع والتغيير[12]، يذكر المؤرخ غزال ستيفان أن مناخ المنطقة خلال الفترة الرومانية كان رطب قريب من خصائص المناخ الحالي[13]، ما يدل على ذلك وجود الجسور التي انشأها الرومان لم تشيد لمقاومة مياه نهرية عاتية، تأثر هذا المناخ بالظروف الطبيعية[14]، حيث ينقسم إلى ثلاث أقاليم وهي:

- منطقة البحر الأبيض المتوسط: تنحصر بين جنوب الأطلس التلّي وساحل البحر الأبيض المتوسط تتميز بمناخ معتدل حار جاف صيفاً ورطب دافئ ممطر شتاءاً وهي أوفر المناطق نباتاً وأغناها نظراً لتأثرها بالبحر.
- الإقليم الصحراوي، يغطي مساحة واسعة وينتهي عند السفوح الشمالية للأطلس الصحراوي يتميز بإرتفاع درجة الحرارة والجفاف.
- منطقة الإستبس: تتموقع في الهضاب العليا حيث الاضطراب السائد في مناخها لأنها وجدت بين مناخين متناقضين، مناخ بارد شتاءاً وحارصيفاً وفترة الجفاف فيه طويلة والتربة فقيرة مما جعل المنطقة قليلة النبات والفوارق الحرارية فيه متطرفة، إضافة إلى انتشار السبخات[15].

II. حدود نوميديا الطبيعية:

من خلال المصادر القديمة يبدوا تزامن وجود ملوك أمازيغ قبل القرطاجيين ولا يوجد حالياً أثار بونيقية التي يمكن أن تكون قد تحدثت عن النوميديين، ولم يتبقى بعد تدمير قرطاجة[16] إلاّ بعض الشذرات من كتاب ماجون المتخصص في مجال تقنيات الزراعة والفلاحة[17]، لهذا لا يمكن الجزم في أي مرحلة تاريخية تشكلت نوميديا، ما هو موجود يتمثل في نصوص المؤرخين الإغريق والرومان.

تمكن ماسينيسا من توحيد مماليك الأمازيغ سياسياً بعد الحرب البونيقية الثانية[18]، عندما قضى على سيفاكس[19]بواسطة القائد الروماني ليليوس Lélius[20]، امتدت الحدود في عهد ماسينيسا تحت اسم مملكة نوميديا من وادي الملوية[21] غربا إلى السرت الكبير شرقاً من إقليم لبدة الكبرى في ليبيا[22]، حيث تنتهي حدود قرطاجة باتجاه مصر عند قلاع أو مقابر الإخوة فيلان Alae Philanorum[23]، أين تنتهي حدود إفريقية القديمة[24]،كانت نتيجة التوحيد التقاء المصالح بين ماسينيسا و روما[25].

في أواسط القرن الثاني قبل الميلاد، غير الرومان سياستهم التوسعية من سياسة حماية وتوازن إلى سياسة نهب والحاق، كان ذلك ربما بسبب كثرة رجال الأعمال والأموال المسيطرين على زمام السياسية في الدولة، هذا ما يلاحظ عند تحطيم قرطاجة بعد الحرب البونيقية الثالثة (149 ق.م- 146 ق.م)[26].

كان غرض الرومان بعد تحطيم قرطاجة وضع حد لطموحات ماسينيسا ومنعه من الاستيلاء عليها، هذا الملك الذي ساعد الرومان في القضاء على حنبعل، وبالمقابل دعمته روما في حكم مملكة نوميديا، مع

عدم تمكينه من جعلها دولة قوية، كل ذلك ربما كان لاجتناب المنافسة في حوض البحر المتوسط، يمكن لهذه الأسباب لم تتطور مدن نوميديا بالكامل وتصل إلى مراتب المدن الكبرى [27].

في الواقع نجح الرومان في قضائهم على قرطاجة عندما فصلوا النوميديين عن القرطاجيين مع نهاية الحرب البونيقية الثانية حين قام ماسينيسا بمحاولته ضم عدة أراضي تابعة لقرطاجة إلى أملاكه، كان الغرض الحقيقي للرومان هو التوسع والهيمنة المطلقة في ظل القانون الروماني.

لقد سمى الرومان الأراضي القرطاجية مقاطعة إفريقية الرومانية (Provincia Africae Romanae) [28]، قدر مساحتها بحوالي 25 الف كلم تمتد من طبرقة Thabraka(طبرق)شرق القالة غربا، إلى خليج قابس السرت الصغير(Syrtus Minor) جنوباً، كانت هذه المقاطعة محاطة كلياً بمملكة نوميديا ما عدا الحدود البحرية، لقد امتدت حدود نوميديا من قورينة Cyrenaica(برقة) حالياً في أقصى السرت الكبير إلى حدود بلاد المور ضواحي نهر الملوية[29]، فصل الرومان إقليم قرطاجة عن الأراضي النوميدية الموحدة بخندق عرف بـ فوساريجيا Fossa Regia (الخندق الملكي)[30]، الذي حفر بعد تدمير قرطاجة بين شهري مارس وأبريل من سنة 146 ق.م[31]بأمر من سكيبيون اميليانوس(Scipion Aemilianus)[32] الشخصية البارزة في روما[33]، أبوه انتصر من قبل على حنبعل والذي لقب بالإفريقي[34]،كان ذلك سنة 202 ق.م على أطراف مدينة زاما (حالياً سبع بيار)[35]، لا يوجد عند الرومان أفضل من النصر، هذا ما صرح به سكيبيون لماسينيسا بعد انتصاره على القرطاجيين[36]، الظاهر أن سكيبيون وضع هذا الخندق تحسبا لعدة احتمالات منها:

- ربما لمنع اجتياح القبائل الأمازيغية لأراضي مقاطعة إفريقية وتهديد امنها، حيث كان دخول هؤلاء البدو الذين كانوا يجوبون مناطق السهوب الشرقية شمال شط الجريد من أجل الماء والكلأ [37].
- أما الترجيح الرئيسي فيمكن ان يكون مخاوف الرومان من استيلاء ماسينيسا (Massinissa) على قرطاجة ومن ثم يكون له نفوذ كبير يقضي به على اطماع الرومان في إفريقية[38].

تقسيم نوميديا الأول:

توفي ماسينيسا في سنة 148ق.م، ترك ثلاث أبناء لحكم العرش النوميدي، مكيبسا، مستنبعل وغلوسا، انفرد مكيبسا أومكواسن (Micipsa) بالحكم وهذا نتيجة لوفاة أخويه في ظروف غامضة لم تتطرق لها المصادر إلا بإيجاز[39]، كان مكيبسا ميالا للسلم مع القبائل النوميدية متبعاً مع الرومان سياسة

أبيه ماسينيسا يمدهم بالقمح والجند وحتى الفيلة استمر ذلك لأكثر من ثلاثين سنة، رغم تحالفه مع الرومان الا انه لم ينشر اللَاتنية بل اعتمد اللغة البونيقية والتجربة الإغريقية في البناء والتعمير[40].

لم تتحدث المصادر عن فترة مكيبسا إلاّ بإيجاز فلم تكن هناك مشاكل داخلية أو خارجية مع دول الجوار مثل المقاطعة الإفريقية أو موريطانيا فقد اهتم مكيبسا بالجانب الاقتصادي والمعماري[41]، منها تزيين عاصمة المملكة سيرتا، كما شارك في حروب روما بإسبانيا منها حصار مدينة نومانس Numancia (Numance) بين سنتي 134 ق.م- 133 ق.م[42]، قام بإرسال فرقة بقيادة يوغرثين Jugurthinum(يوغرطة) [43] لمساندة الجيوش الرومانية التي كان على رأسها سكيبيون الإيميلي[44]هذا الأخير أوصى بيوغرطة بعد المعركة مشيداً بشجاعته عند الملك مكيبسا[45]، توفي مكيبسا سنة 118 ق.م تاركا خلفه ولدين همبصال (Hiempsal) واذربعل (Adherbal) و يوغرطة ابن مستنبعل.

لم تحل مشكلة العرش بعد وفاة مكيبسا، جرت عدة أحداث كان البطل فيها يوغرطة، المشكلة تمتد بجذورها إلى وفاة ماسينيسا عام 148 ق.م، بعد تولى العرش مكيبسا إثر وفاة أخويه[46]، لقد تجدد ظهور المشكلة بعد وفاة هذا الأخير سنة 118 ق.م[47]،لم يتمكن الورثة من الوصول إلى تسوية فقررت روما التدخل وتقسيم المملكة على الإخوة الغير أشقاء، لكن يوغرطة بعث بمن يغتال همبصال[48]، على إثر موت همبصال انقسم النوميديين إلى فريقين، فريق مع اذربعل والآخر مع يوغرطة، بدأ هذا الأخير بالتوسع في أراضي اذربعل أي نوميديا الشرقية معتمداً في ذلك على القوة العسكرية، قام اذربعل مباشرة بإيفاد بعثة إلى روما يشتكي فيها اعتداءات الملك يوغرطة وعدم احترامه للإتفاق الذي أبرم من طرف مجلس الشيوخ الروماني(Senatus)[49]، كان غرض اذربعل الحصول على المساعدات المتمثلة في الفرق العسكرية الرومانية وخاصة بعد مواجهاته العسكرية مع يوغرطة والتي أدت به إلى التقهقر واللجوء إلى المقاطعة الإفريقية[50]مغادراً إياها إلى روما ملتمساً مساعدة مجلس الشيوخ في وقف يوغرطة وطموحه الذي بدأ بالاستحواذ على أراضي نوميديا الشرقية[51]، عندما زار يوغرطة روما ماثلاً أمام مجلس الشيوخ اكتشف مدى الفساد المتفشي في روما حيث قال في هذا الشأن:" مدينة للبيع، ينقصها من يشتريها"[52].

بعثت روما عشر محافظين للنظر في الأمر إلى مملكة نوميديا على رأسهم لوكيوس ابيموس (Lucius Opimius)[53] الذي قام بعملية التقسيم لمملكة نوميديا بين يوغرطة واذربعل لفظ النزاع سنة 117ق.م[54]، يذكر بعض المؤرخين أن هذا التقسيم كان لصالح يوغرطة، حيث منحت له الأراضي الخصبة الموجودة في الجهة الغربية، أما الأراضي الجدباء فكانت من نصيب اذربعل[55].

من خلال الدراسات الجغرافية لمنطقة شمال إفريقية، منها الكتاب الخامس(التاريخ الطبيعي) لمؤلفه بلين الكبير(Pline L'Ancien)، الجهة الشرقية هي التي لها مميزات أفضل من الجهة الغربية، نجد بها أغلب المدن[56] الآهلة بالسكان التي تقع في نطاقها، كما تمتاز بحركة المبادلات التجارية الواسعة بسبب كثرة الموانئ القريبة، عند النظر إلى هذه المميزات يبدوا أن المؤلف كان يهدف إلى تواطؤ مجلس الشيوخ مع يوغرطة، ولكن في الواقع مجلس الشيوخ أراد فقط إبعاد يوغرطة عن المقاطعة الإفريقية إلى حين[57]، حصل يوغرطة على الجزء الغربي[58]واذربعل على الجزء الشرقي[59]، كان هدف روما في وضع الجزء الغربي من نصيب يوغرطة هو ضمان إبعاد النزاع عن الولاية الإفريقية الرومانية، وتم تسليم اذربعل الجزء الشرقي لجعله حد فاصل بين مملكة يوغرطة والمقاطعة الإفريقية[60].

لقد كانت توقعات روما فيما يخص طموحات يوغرطة صائبة عندما دخل يوغرطة مملكة اذربعل مستولياً على مدينة سيرتا بعد حصار قصير، قام إثر دخوله المدينة التنكيل بأهلها حتى الجالية الرومانية لم تسلم من القتل بسبب مساندتها لقوات اذربعل[61]،كما قُتل اذربعل في هذا الاجتياح سنة 113 ق.م[62]، بعد هذا أضحت حدود مملكة يوغرطة تمتد من حدود المقاطعة الإفريقية الرومانية حتى نهرالملوية غرباً، بناءاً على هذه الأحداث أعلنت روما الحرب على يوغرطة مع تدخلها المباشر لحفظ مصالحها.

عين مجلس الشيوخ القنصل كايسليوس متيلوس(Caecilius Metellus) [63]لحرب يوغرطة، استولى متيلوس على سيرتا مما مكنه من إضعاف يوغرطة الذي اعتمد حرب العصابات، بعد خسارة يوغرطة عند مشارف زاما (قرب ساقية سيدي يوسف) سنة 108 ق.م[64]، قام نزولا للإتفاق المبرم بينه وبين متيلوس بتسليم أسلحته مع الفيلة والأحصنة كما دفع 20,000 ليرة ذهبية إلى متيلوس لإنهاء الحرب[65]، وكذلك تسليم نفسه، لكن يوغرطة رفض مقابلة القنصل بنفسه مما انجر عنه استمرار الحرب في نوميديا تحت قيادة كايوس ماريوس (Caius Marius) قائد في صفوف قوات متيلوس[66] مع إبعاد متيلوس من قيادة الجيش.

تولى ماريوس قيادة الجيش الروماني بإفريقية قام خلالها بعدة تغييرات على الجيش خاصة منها رفع عدد جنود الفرقة إلى 6200، بعد أن كانت من قبل لا تتعدى5000[67]، كان هذا من بين الأسباب التي ساعدته في إحراز النصر، خسر يوغرطة معظم المعارك التي خاضها ضد ماريوس رغم مساعدة بوخوس (Boccohus) ملك موريطانيا صهر يوغرطة[68]، ربما كانت هذه المصاهرة هي سبب التحالف بينهما ضد ماريوس، لكن مع الوقت غيَّر بوخوس الحليف بعدما لاحظ ضعف النوميديين أمام الرومان، كانت

نهاية هذا الاتفاق ثمنها تسليم يوغرطة الذي تم سنة 105ق.م تحت إشراف الكوايستوركورنيليوس سيلا (Cornelius Sylla) قائد في قوات ماريوس الرومانية[69].

تقسيم نوميديا الثاني:

لم يتوسع الرومان في مملكة نوميديا بعد قضائهم على يوغرطة[70]، التغيير الوحيد الذي قام به ماريوس على إثر هذا النصر هو ترتيب وضعية العرش النوميدي، وبدون تضييع للوقت قام في تطبيق سياسة الدولة الرومانية بدأ مباشرة في تنظيم وضع نوميديا الجديد.

– أولاً وهب ثلثها الغربي إلى بوخوس الأول ملك موريطانيا حليف روما الجديد[71]الذي منح وسام "حليف الشعب الروماني[72]، توسع غرب نوميديا حتى بلغت حدود مملكته وادي الصومام (مدينة بجاية حاليا)، اضحى الجزء الغربي لنوميديا الذي كان في السابق مازيسيليا يسمى موريطانيا أو بلاد المور[73].

– ثانياً نصب غودا[74]ابن مستنبعل شقيق يوغرطة على الثلث الشرقي المجاور للولاية الإفريقية[75]، كان سبب تولية غودا، لأنه تابع كلياً للإدارة الرومانية كما أنه يعتبر الوريث الوحيد المتبقي على قيد الحياة من أسرة ماسينيسا[76]، يظهر أن ماريوس كان داهية بإظهاره للنوميديين أنه يحترم تقاليدهم وذلك بعدم مخالفته للعرف في خلافة العرش عند النوميديين، كما يوجد سبب آخر وهو أن غودا لم يكن بالقوة التي امتاز بها من سبقوه من الملوك.

– أما الجزء الأوسط فلا تُظهر المصادر أي أثر تاريخي عنه، إلاّ بعض الإشارات عن وجود مملكة تحت اسم ملكها ماستانيزوس، يبدو أن المصادر سكتت عن هذه المملكة ربما لأنها منطقة حرة تفصل بين مملكة نوميديا وموريطانيا تقع تحت سلطة الملك (هيرباص) Hiarbas الذي لم تذكر المصادر التاريخية عنه إلاّ الاسم، لقد قام هذا الزعيم بالاستلاء على مملكة نوميديا ومملكة ماستانيسا[77]، جرت هذه الأحداث سنة81 ق.م[78]، يعتبر بعض المؤرخين أن مملكة هيرباص كانت مجاورة لإقليم سيرتا وعاصمتها بولا–ريجا Bulla Regia (حمام الدراجي)[79]، تقريباً بين الأمبساغا Ampsaga (الوادي الكبير) جيجل، ووادي الصومام بجاية، تذكر بعض الكتب أن هيرباص استولى على مملكة همبصال الثاني ومملكة ماسينيسا الثاني أوماستانيسا حسب شيشرون ووحد نوميديا[80]، جاء ذكر هذه المملكة من طرف شيشرون تحت إسم حاكمها ماستانيزوس(Mastanésous)[81] ويلقب كذلك سزوس(Sosus)، تمكن بومبي الذي كان قائد في جيش سيلا، من أسر هيرباص حليف ماريوس وإعادة همبصال الثاني إلى عرش نوميديا[82]،كما توسع همبصال الثاني جنوباً في أراضي الجيتول بسبب مساندتهم لماريوس، في الواقع سزوس

هو ملك موري ابن بوخوس الأول ووالد بوخوس الثاني وبوغود حسب الكتابات الحديثة وقد تعددت حوله التسميات[83]، ما نحن بصدد دراسته حتى لا نقع في الخلط، مملكة ماسينيسا الثاني أو ماستانيسا(حالياً القبائل الصغرى ومنطقة سطيف) والد أرابيون Arabion[84]، زالت هذه المملكة تحت ضربات كتائب جيش بوخوس الثاني ومرتزقة سيتيوس سنة 46 ق.م[85].

– قام ماريوس بتوزيع معظم الأراضي الخصبة على الجنود الكهول الذين شاركوا في هذه الحرب، تحصّل كل واحد على 100 أوجيرة (Jugères) أي 25 هكتار، منحت خاصة للضباط الرومان لإقامة مزارع عليها[86]، كما مس هذا التوزيع حتى الكهول اللاتين الذين استخدمهم الجيتول في مساندة ماريوس خلال حربه ضد يوغرطة[87].

كان غرض الرومان بهذا الفعل هو تقرير مرحلة انتقالية تبدأ أولا: بتنصيب ملوك ضعاف يخدمون مصالح روما قبل كل شيئ يمهدون للمرور إلى مرحلة الاحتلال الكامل، ثانيا: تثبيت جالية رومانية بأراضي نوميديا للتحكم في اقتصاد السوق وتحقيق الأمن الغذائي، خاصة بعد إنشاء المزارع الكبرى في الأقاليم الرومانية بما يسمى (اللاتيفونديا)[88]، هذه التجزئة السياسية لنوميديا أدت إلى عدم توحد سكان المغرب القديم، وكانت نقطة عزوف وعدم التوافق بين الإخوة ضد الاحتلال الروماني[89].

نوميديا بعد يوغرطة:

اكتفت روما بشرف الانتصار بعد إخضاع نوميديا رغم التضحية الجسيمة وخسارة الرجال والعتاد، و لربما أرادت بذلك تخويف سكان المغرب القديم عندما قضت على الملك النوميدي يوغرطة، حيث اعتبرت نهايته عبرة لمن تحدثه نفسه بحمل السلاح والخروج عن السلطة الرومانية، ورغم الانتصار الذي حقّقه الرومان وحلفائهم في نوميديا إلاّ أنه لم تكن هناك توسعات اقليمية وضم أراضي النوميديين لصالح روما، والسؤال الذي يتبادر لماذا لم تظم روما أراضي نوميديا بعد هذا النصر على يوغرطة ؟ ربما هذا ناتج عن بعض الأسباب منها:

– في الفترة التي كان الجيش الروماني بقيادة ماريوس يحارب في نوميديا ضد الملك يوغرطة كانت جيوش رومانية أخرى تخوض حرب ضروس مع التويتون Teuyoni(Les Teutons) والسمبر Cimbri(Les Cimbres) في بلاد غالة[90].

– ظهور بوادر الحرب الاجتماعية أوكما يسميها البعض حرب الحلفاء في عامة ارجاء ايطاليا، مما أجبر روما على وضع ملك مسالم خاضع كلياً دوره حماية مصالح روما في نوميديا، عن طريق تمويل روما خاصة بالحبوب والخيل والفرق العسكرية النوميدية[91].

الهوامش:

[1]Appien d'Alexandrie, Histoire des guerres civiles (Le Lybique), T, I, Trad, J.J. Combes Dounoun, Paris, Fraires Mame,
1880, Liv, I. XII.

[2] Justin, Histoire Universelle, T, II, Trad, Jules Pierrot, Paris, C.L.F, Panckoucke, 1829, L, XVIII, V.

(3) كامبس قابريال، في اصول بلاد البربر (ماسينيسا اوبدايات التاريخ)، ترجمة، العربي عقون، قسنطينة، المجلس الأعلى للغة العربية، 2006، ص، 223.

(4) عليوات محمد، (جغرافية ليبيا القديمة عند سترابون وبطليموس)، **مجلة آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة**، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2011، ص، 101.

(5) De saint martin Vivien, Le Nord de l'Afrique, Paris, Imprimerie Impériale, 1863, p, 100.

(6) Strabon, Géographie, T, I, Trad, Amédée Tardieu, Paris, Librairie Hachette, 1867, XVII, III, 9.

(7) عليوات محمد، المرجع السابق، ص، 102.

(8) قطش العربي، **أطلس الجزائر والعالم**، الجزائر، دار الهدى، 2009، ص، 25.

(9) Hérodote, Histoires (Melpomène), T, IV, Trad, Larcher, Notes, Bouchard Wesseling, Paris, Libraire Editeur,
Charpentier, 1850, CXCI.

(10) الناظور رشيد، المغرب الكبير، ج.1، بيروت، دار النهضة العربية، 1981، ص، 51.

(11) Gsell Stéphane, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, T, I,Paris, Librairie Hachette, 1928, p-p, 26- 27.

(12) لعروق محمد الهادي، **أطلس الجزائر والعالم**، الجزائر، دار الهدى، 2005، ص، 14.

(13) Gsell. St, op. cit., p, 62.

(14) قطش العربي، ا لمرجع السابق، ص، 25.

(15) المرجع نفسه، ص- ص، 25- 26.

(16) Boissière Gustave, Esquisse d'une histoire, Paris, Librairie Hachette, 1878, p, 176.

(17) مهنتل جهيدة، (النوميديون ضحية المصادر القديمة)، **مجلة آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة**، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2011، ص،107.

(18) عمورة عمارة، الجزائر بوابة التاريخ، ج،1، الجزائر، دار المعرفة، 2009،ص،33؛ Mercier Ernest, Histoire de l'Afrique septentrional,
T, I, Paris, Libraire Ernest Leroux, 1888, p, 41.

(19) Dureau de La Malle Adolphe, Le manuel algérien, Histoire des guerres des Romains, des Byzantins et des Vandales
Paris, Librairie de Firmin Didot Frères, 1852, II ;Lapène Edoirde, Tableau Historique de l'Algérie, Toulouse,
Librairie Matthieu Douladouche, p, 1.

Tite Live, Histoire romaine, T, 12, Trad, A. Liez, Paris, C.L.F, Panckoucke, 1835, XXX, XII. [20]

)21(Dureau de La Malle. A, Loc. cit, II.

[22] سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ، الجزائر، دار الأمة، 2012، ص،89.

[23] Salluste, Guerre de Jugurtha, Trad, Charles Durosoire, Paris, Librairie Garnier Frères, 1855, XIX.

[24] Gsell. St, op. cit., T, VII, p- p, 5- 6.

)25(Salluste, V.

[26] شنيتي محمد البشير،الاحتلال الروماني لبلاد المغرب(سياسة الرومنة 146ق م- 40 م)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط، 2،1985،ص، 54؛ عمورة عمارة، الجزائر بوابة التاريخ، ج،1، الجزائر، دار المعرفة، 2009، ص،37.

Gsell .St, op. cit., T, III, p, 329. [27]

[28] شنيتي محمد البشير،نوميديا وروما الإمبراطورية، الجزائر، مؤسسة كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط،1، 2012، ص، 23.

[29] Gsell .St, op. cit., T, III, p, 304 ; Boissière .G, op. cit., p, 182.

[30] شنيتي محمد البشير،نوميديا وروما الإمبراطورية...، ص، 23؛ Ibid, T, III, p- p, 326- 327.

Pasa Béatrice,*(Recherches sur l'Africa vêtus, de la destruction de Carthage aux interventions césaro-Augustéennes)*, [31]
Thèse du doctorat, Université Toulouse 2, Le Mirail, 2011, p, 91.

)32(Salluste, V ;Mercier. E,op. cit., p, 57.

[33] Lapène. E, op. cit., p, 2.

)34(Dureau de La Malle. A, Le manuel algérien, op. cit, LI.

[35] شنيتي محمد البشير،نوميديا وروما الإمبراطورية...، ص، 17.

[36] Voisin Jean Louis, (*Le triomphe Africain de 46 et l'idéologie césarienne)*, T, 19, in: **Antiquités africaines**, Paris, 1983, p, 7.

[37] شنيتي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب(سياسة الرومنة 146ق م- 40 م)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط، 2،1985،ص، 58.

[38] شنيتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية...، ص، 20؛
Merlin Alfred, (*Rome et les rois africains)*, In: **Journal des savants**, Paris, Août-octobre1929, p, 337.

[39] Ait Ali Yahia Samia*, Etude comparative entre les styles à Inscriptions Libyques de la berbèrie centrale (Algérie)*
Et la berbèrie occidentale(Maroc), **Thèse de Doctorat**, Université Mouloud Mammeri, Tiziouzou, 2012, p, 18.

[40] عمورة عمارة، المرجع السابق، ص- ص، 35- 36.

[41] حارش محمد الهادي، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، الجزائر، دار هومة، 2013، ص، 19.

(42) Napoléon III, Histoire de Jules César. T, I, New York, Librairie Editeurs, 1867, p, 216 ;
Salluste, VII ; Mercier. E, op. cit., T, I, p, 58 ; عمورة عمارة، المرجع السابق، ص، 41.

(43) Pasa. B, op. cit., p, 175. حارش محمد الهادي، دراسات وابحاث...، ص- ص، 20-21؛

(44) Duruy Victor, Histoire romaine jusqu'à l'invasion des barbares, Paris, Librairie Hachette, Edit, 3, 1855.p, 215.

(45) Velléius paterculus Caius, Histoire romaine, Trad, M. Nisard, Paris, Librairie Firmin Didot, 1854, L. I, VIII.

(46) Salluste, Guerre de Jugurtha, V ; Duruy. V, op. cit., p, 214.

(47) احمد علي عبد اللطيف، التاريخ الروماني عصر الثورة (من تيبريوس جراكوس إلى اكتافيوس اغسطس)، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط، 2، 1988، ص،31.

(48) Velléius paterculus. C,L. I, XIX ; Duruy. V, op. cit., p, 215.

(49) Salluste, XIII.

(50) حارش محمد الهادي، دراسات وابحاث...، ص، 21.

(51) Salluste, XIII.

(52) عمورة عمارة، المرجع السابق، ص، 42.

(53) Salluste, XVI ; Duruy. V, op.cit., p, 215.

(54) Gsell. St, op.cit., T. VII, p, 147.

(55) Salluste, XVI.

(56) Pline L'Ancien, V, II.

(57) Salluste, XVII.

(58) Velléius paterculus. C, L. I, XIX.

(59) Napoléon III, loc. cit., p, 216.

(60) حارش محمد الهادي، دراسات وابحاث...، ص، 22.

(61) Salluste, XXVI.

(62) سعدي عثمان، المرجع السابق، ص،92. Pasa. B, op. cit., p, 175.

(63) انتخب قنصلاً سنة 109 ق.م، تولى القيادة في إفريقية من نفس السنة بعد تنصيبه،كانت الحرب بينه وبين يوغرطة سجال نصر وخسارة.أنظر:

Mommsen Theodor, Histoire romaine, T, V, Paris, Librairie A. Frank, 1872, p- p, 10- 11 ; Dureau de La Malle. A op. cit., II;

(64) سعدي عثمان، المرجع السابق، ص، 94.

(65) Velléius paterculus. C, L. I, XIX ; Mercier. E, op. cit., p, 63.

(66) Salluste, LXII ; Napoléon III, op.cit., p, 218.

(67) Gsell. St, op. cit., T, VII, p, 227.

(68) Eutrope, Abrégé de l'Histoire Romaine, Paris, Trad, N. A. Dubois, Librairie Garnier Frères, 1863, L, IV, XI.

[69] Dureau de La Malle. A, op.cit., II ; Mercier. E, op. cit., p, 66.

[70] حارش محمد الهادي، دراسات وابحاث...، ص، 24.

[71] Dureau de La Malle. A, op.cit., III ; Pasa. B, op. cit., p, 176.

[72] شنيتي محمد البشير، سياسة الرومنة، المرجع السابق، ص- ص، 40-41.

[73] كامبس قابريال، المرجع السابق، ص، 182.

[74] احمد علي عبد اللطيف، المرجع السابق، ص، 51. انظر: Duruy. V, op. cit., p, 218; Mercier. E, op. cit., T, I, p, 67;

بعد تنصيب غودا أضحت المملكة النوميدية سوقاً لرجال الأعمال الرومانيين ومرتعاً للجواسيس، انظر:

Gsell. St, op. cit., T, VII, p, 264 ; Lacroix Louis, Histoire de la Numidie et la Maurétanie… Paris, Librairie Firmin Didot Frére, 1842, p, 44.

[75] Velléius paterculus. C, L. I, LXII.

[76] Djennas Messaoud, La Saga des rois Numides, Alger, Edit, Casbah, 2006, p- p, 198- 199.

[77] Thébert Yvon*, (La romanisation d'une cité indigène d'Afrique,* Bulla Regia), In: **Mélanges de l'Ecole française de Rome Antiquité**, T, 85, Paris, N°1, 1973, p, 248 ; Mercier. E, op. cit., T, I, p, 67.

[78] عمورة عمارة، المرجع السابق، ص، 44 Boissière. G, op. cit., p, 187 ;

[79] حارش محمد الهادي، دراسات وابحاث...، ص، 26؛ Thébert. Y, op. cit.,p, 249.

[80] سعدي عثمان، المرجع السابق، ص،100.

[81] Cicéron, La République (In Vatinum), T, III, Trad, M.Nisard, Paris, Edit, J.J. Dubochetle chevalier et comp, 1848, XXXIII, V ; حارش محمد الهادي، دراسات وابحاث...، ص، 27.

[82] Gsell. St, op. cit., T, VII, p, 295.

[83] Camps. Gabriel, (*Massinissa ou les débus de l'Histoire (Arabion))*, In : **Encyclopédie Berbère**,T, VII, Alger,1961, p. 271- 272.

[84] Ibid, *(Bocchus, 1544-1547),* In : **Encyclopédie Berbère**, T. V, p. 164,

[85] Ibid, T, X ,p- p. 163- 164.

[86] Servonat Jean, (*Caius Marius)*, **Bulletin des Amis du vielarles**, Arles, N°83,1993, p. 21.

[87] Pasa. B, op. cit., p, 176.

[88] سعدي عثمان،المرجع السابق، ص، 99.

[89] سعدي عثمان، المرجع السابق، ص، 98.

[90] Pasa. B, op. cit., p, 176.

[91] Dureau de La Malle. A, op.cit., III.

دور التعليم العالي وأهميته في عملية البناء الحضاري

وتشكيل ثقافة أطوار التربية والتعليم

د/تاج محمد، جامعة تيارت

تعتبر التربية في مقدمة العوامل التي راهنت عليها الحضارات. و لا زالت الدول حتى اليوم توليها اهتمامات كبيرة، وذلك لما تكفله من رقي وتقدم في مختلف مجالات الحضارة.

وقد أدى التقدم المطرد في حجم المكتشفات العلمية في البلاد المتقدمة إلى إبراز حجم الذي تعيشه البلاد النامية وأقطار الوطن العربي منها.ولن تستطيع أقطارنا العربية أن تجد طريقها إلى التطور ما لم تسرع بإحراز تقدم ملموس في مجال التنمية الاجتماعية الشاملة التي تعتمد على مصدرين أساسيين هما المال والإنسان، ولعل الإنسان هو أكثر أهمية في عملية التنمية من المال على عكس ما هو شائع، والدليل على ذلك سهل وميسور فالمجتمع الأمريكي – مثلا وهو في موقعه العلمي والتكنولوجي المعاصر، كان يعاني من الأمية والتخلف منذ نيف و مائة عام، كما أن دولا في أوربا الغربية وشرق آسيا كادت أن تمحى محوا أثناء الحرب العالمية الثانية، كألمانيا واليابان – مثلا – ثم أعيد بناؤها وغدا تقدمها اليوم واضحا، عن طريق الإنسان المتعلم، القادر على العطاء، المبدع والمبتكر.([1])

فمن شروط التطور أن يكون الإنسان متأصلا في مجتمع ما ليتمكن من اكتناه مشاكله ولكن عليه أن يكون في الوقت نفسه قادرا على الانفصال عنه لكي يراه غريبا.([2])

تقاس كل حضارة من الحضارات، بل كل حال من أحوال الشعوب، بنوع الحيوية العقلية والصفات الخلقية التي يتميز بها الأفراد ويتسم بها الشعب أو الحضارة كمجموع، ولعل هذا اليوم الخطير الذي نعيشه لا يحتاج إلى شيء حاجته إلى مثل هذه الحيوية والصفاء، فبالعقل الناشط نفعل فعلا حقيقيا نافذا في الطبيعة وفي مجتمعنا وفي أنفسنا، وبالخلق والضمير نوجه هذا العقل إلى الخير والبناء، بل أن العقل هو في جوهره خلق.فإذا حصل هذا الخلق لأي مجتمع من المجتمعات أو وطن من الأوطان، فلا تخف عندها على سلامته ، ولا تخش أن تزعزعه أو أن يذهب ضحية طمع خارجي أو تناحر داخلي.([3])

لقد جرى في عرف المسرحيين مقولة "اعطني مسرحا أعطك شعبا" فإن هذه المقولة تصبح في عرف التربويين " اعطني مدرسة أعطك شعبا متحضرا" وأصبح مكتوبا عند الأولين والآخرين أن المدرسة سر التحضر.

فلقد تساءل الأمريكيون يوم وصول السوفيات إلى الفضاء بعد دورانهم حول الأرض عن سر هذا التفوق، فكانت الإجابة من المدرسة، ولذا عكفوا عليها وراحوا يدرسون السبل التي تجعل من المدرسة سيدة الحضارة وحاضنتها.

إن الدول النامية في محاولتها التصدي لأنواع التحديات المختلفة التي تواجهها في مسيرتها نحو العصرية، نحو تحقيق الآمال العريضة لشعوبها ونحو تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعاتها إنما تتخذ من التربية وسيلة أساسية لتحقيق هذه الأهداف.

إن إيمان الدول النامية بالتربية لا يقتصر على دولة دون أخرى، ذلك لأن التربية هي مفتاح الرفاهية والرخاء القومي، ولا يوجد استثمار أخر له عائد أكبر من الاستثمار في الموارد البشرية والتي تعتبر التربية أهم مكون له.

ولقد أنصب التأكيد الأعظم في هذه الدول على التنمية التربوية لأنه قد تحقق أن التربية خاصة في العلم والتكنولوجية هي أقوى ألأدوات للتحول الاجتماعي والتقدم الاقتصادي وأن محاولة خلق نظام اجتماعي جديد لا يمكن أن ينجح إلا إذا تغير النظام التربوي التقليدي تغييرا ثوريا أساسيا في كل من محتواه ومداه(4)

"إن أهداف التربية تشتق من أهداف المجتمع العامة " ومعنى ذلك أن لكل مجتمع الحق في صياغة أهدافه الخاصة للتربية، في ضوء الأهداف العامة التي يسير عليها المجتمع ككل، هذا ما نلاحظه على مر العصور وعلى اختلاف المجتمعات:

ففي الصين القديمة كانت التربية كانت التربية تعني بالجانب الخلقي، وفقا لتقاليد الديانة الكونفوشسية.

و في مصر القديمة كانت التربية تعد الطبقة الأرستقراطية من الكهنة ومنهم القضاة والأطباء والمهندسون.(5)

ويمكننا حصر أهداف التربية في:

- تدعيم الشخصية القومية.
- إرساء دعائم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية
- تنمية روح العمل الجماعي
- ثقافة السلم.
- الاهتمام بالروح العلمية و التقنية.(6)

يعد التعليم في أية أمة أحد المرتكزات الرئيسة في تعميق ثقلها الحضاري وهو من زاوية أخرى أحد الدعائم في بنية الرصيد الاستراتيجي لحركة التنمية فيها، ومن ثم فإن حسابات معدل الانطلاقة الحقيقية

لأي مجتمع من المجتمعات تبنى على أساس الزيادة في هذا الميدان وحسن توظيفه على المستوى المرغوب، وقد تزايدت في الآونة الأخيرة الاهتمامات الدولية لجودة التعليم الجامعي استنادا إلى أنه على هذا الصعيد ينتج المادة والأفكار العلمية التي تساهم في تغيير المستقبل، هذا إلى جانب إعداد الكفاءات المتخصصة التي تضطلع بمهام التنمية ودعم اتجاهاتها لأن إنتاج التعليم الجامعي هو في الوقت نفسه أدوات فعالة لسوق العمل.

و لذلك عمدت سياسة الفرنسة المطلقة التي سلكها الاستعمار في الجزائر طيلة قرن ونصف، قد جعلت من أوضاع التعليم الجامعي غداة الاستقلال، أوضاعا معقدة وشائكة إلى أقصى الحدود.

فلم يكن في الجزائر سوى مجموعة قليلة من المدرسين الجامعيين الذين استطاعوا بعد جهود مضنية وفي ظروف قاسية، مزاولة دراساتهم الجامعية ، سواء في الجزائر أو في فرنسا ، أو في البلاد العربية الشقيقة.

ولم يكن في هذه النخبة القليلة من المثقفين الجزائريين إذ ذاك إلا نسبة ضئيلة ممن كانوا يتقنون اللغة العربية الفصحى، سواء منهم مزدوجو اللغة الذين تابعوا دراستهم الابتدائية والثانوية في المدارس الحرة والمدارس الرسمية في آن واحد ، أو الذين تعلموا في المدارس الحرة وحدها، ثم التحقوا خفية ببعض البلاد العربية لمواصلة دراستهم الثانوية والجامعية أحيانا، وهذا خاصة أثناء حرب التحرير.(7)

كما أن إصلاح التعليم في المستويات السابقة للتعليم الجامعي يعتمد إلى حد كبير على خريجي التعليم العالي، أي على ما ينتجه هذا التعليم من علماء ومتخصصين ومن أبحاث وكتابات توفر للمناهج التعليمية في المستويات السابقة ما تحتاجه من هؤلاء لإعادة صياغتها وإدخال مضامين وأساليب جديدة عليها في التدريس، والعامل الأساس في تقييم جودة الأداء الجامعي هو ما يتعلق بنموذج شخصية المواطن؛ إنسان التنمية في مجتمعنا حتى يستطيع تحمل ومسؤولياته. .

قد أولت الدول عناية بالغة بالتعليم العالي أكثر من أي وقت مضى فوضعت له برامج استثمارية لأنها اقتنعت بدوره الذي يضطلع به فهو المحرك الرئيس لبناء مجتمع المعرفة، وراحت تحدد الاتجاهات المستقبلية للتعليم العالي الذي يشكل حالياً مشهداً معقداً يتطور بسرعة، وقد صرح بهذه الاهمية المدير العام لليونسكو، كويشيرو ماتسورا، الذي أكد على أن المنظمة "ستواصل التعبير بحزم عن أهمية تعزيز التعليم العالي".

تدخل أهمية الاهتمام بالتعليم العالي ضمن ورؤية إستراتيجية وضمن ألخيارات التي لا بد من أن تتبناها الحكومات فيما يخص هذا النوع من التعليم: فإلى أي مدى تستمر الحكومة في عمليات تحرير قطاع التعليم

العالي دون باقي القطاعات الأخرى للاهتمام به ؟ وما هي مسؤولية الحكومة عن التعليم العالي وعن الجامعة أياً كانت ملكيتها ؟ وما هي مواصفة إدارة الجامعة أياً كانت تبعيتها ؟ ما هي السبل الرقابية للمحافظة على مستوى نوعية المنتج المطلوب ؟ وما هو دور هذه الجامعة في التنمية القومية المنشودة ضمن التوجهات المختلفة ؟

تنقسم سياسة الدولة حيال التعليم العالي الى أربع سياسات هي :

السياسة الأولى : هيكل قطاع التعليم العالي ومؤسساته.

السياسة الثانية : نشر التعليم العالي.

السياسة الثالثة : تحسين النوعية وضمانها.

السياسة الرابعة : إقامة نسق للتعليم العالي المتنوع ، والمرن والمواكب لاحتياجات التنمية

وتنحصر مسؤولية الدولة في التعليم العالي بالقيام بثلاث وظائف وبكفاءة وهي كما يلي:

-زيادة التمويل الحكومي والمجتمعي للتعليم العالي.

-العمل على رفع كفاءة استغلال موارد مؤسسات التعليم العالي.

-تعظيم العائد المعرفي والمجتمعي.

لا تزال الجهات المختصة في ميدان التربية والتعليم تضع المناهج لتحسين المردود ومساعدة الكفاءات في ميادينها وهذا في مختلف أطوار التعليم في الجزائر، بداية بالتعليم الابتدائي فالمتوسط ثم الثانوي وكذلك الجامعي.

ومن بين أهم الانشغالات التي أولتها هذه الجهات أهميتها، البناء المعرفي الذي يكفل التواصل بين أطوار التعليم، إذ يشكل التعليم العالي حلقة ذات أهمية في البناء المعرفي لمختلف أطوار التعليم الأخرى.

-فيم يتجسد ذلك؟

-ما أهمية التعليم العالي في البناء المعرفي.؟

-هل يمثل التعليم العالي حلقة مكملة لباقي أطوار التعليم للبناء المعرفي؟

وأسئلة أخرى في دفتر الباحث والمختص في هذا الميدان......

ومن هنا تأتي أهمية التعليم العالي لأنه يمثل القلب النابض للمنظومة التربوية وذلك كونه يتحمل مجموعة من القضايا منها: - التكوين – الإشراف على السير الحسن للمنظومة الفكرية وحمايتها -.

كبف ندرك هذه الأهمية ؟

إدراك الأهمية: - تابع من المنشآت التي مافتئت الدولة إقامتها إذ لا توجد ولاية بدون جامعة — سياسة التكوين المبنية على مجانية التعليم وإيجاد الفرص الملائمة لكل الجزائريين — البرامج التي أدخلت على التعليم العالي.— السياسات التعليمية المختلة التي تنتهجها البلاد في سبيل ضمان نجاح لهذه البرامج.

وإذا استطاعت هذه الجهود تحقيق أهدافها فإنها بلا ريب تكون قد نجحت في مد التواصل المعرفي بينها وبين باقي مستويات التعليم الأخرى، وتعود على المجتمع بمجموعة من القضايا منها:

بنية الرصيد الاستراتيجي لحركة التنمية فيها (المواطنة):يسعى التعليم العالي بالدرجة الأولى إلى تخريج مواطنين يتمتعون بروح المواطنةعلى هذا فإن تأصيلها "روحها أي المواطنة" يمكن أن يعد ضمن الاعتبارات القيمية في تكوين الشباب الجامعي ويعني تأكيد حق الوطن في كل ما يتعلق برؤية الفرد وجهوده لتحقيق ذاته ومكانته، ونظراً للبعد القيمي الكامن في كل من "الكفاية" و"المواطنة" تتضح مسؤولية الجامعة في تنمية قيم المواطنة والتفوق العلمي وتعد هذه المسؤولية من أهم مؤشرات كفاية الأداء الجامعي في العصر الحديث، ومن ثم فإن تنمية وعي الشباب الجامعي بالأدوار المستقبلية لمسؤوليات العمل ويكون ذلك من خلال زاويتين:

الزاوية الأولى: من حيث "ثقافة المناخ الجامعي" الداعمة لتأكيد العلاقة بين" الكفاءة والمواطنة"

الزاوية الثانية: من حيث الأداء الجامعي وممارساته في علاقاته بتكوين "المواطنة النشطة" و"ترصين مخرجات العملية التعليمية".

دور الجامعة في تنمية قيم المواطنة والتفوق العلمي لدى طلابها و إعداد الكفاءات المتخصصة :

يضطلع التعليم العالي بدور المتكفل بإعداد المختصين في مختلف الميادين العلمية تمكنهم من التسلح بمختلف وسائل العلم وذلك للحضور الدائم في المجتمع وكل حسب تخصصه ،و تهدف التنمية الوطنية الشاملة للشباب الجامعي إلى تنمية وعي الشباب بمتطلبات المشاركة الإيجابية في بناء "المشروع الوطني". والتربية من أجل المواطنة والتفوق العلمي تقوم على أساس إعداد الناشئين والشباب للدخول في الحياة العملية للمجتمع بإكسابهم المعارف والمفاهيم والاتجاهات والمهارات السلوكية اللازمة لتنمية مشاركتهم في البيئة التعليمية بما يمكنهم من دعم الاتجاه الوطني للتنمية ومساندته، ومن أهم الفضائل المدنية التي ينبغي أن تحرص مؤسسات التربية والتعليم العالي على تنميتها "الانضباط"، و"المرونة"، و"التسامح" و"التقدير الكامل في خدمة المجتمع والمصلحة الوطنية. تعد المنظومة التعليمية والجامعة تحديداً بمثابة البيئة الملائمة والحاضن النشط لتنمية قيم الانتماء الوطني والتفوق العلمي، من خلال ما توفره للطلاب من مستلزمات علمية وتقنية حديثة وثقافة واعية وصحيحة حول مفاهيم الديمقراطية والعدالة والمساواة والتحديث،

والإطلاع على تجارب الأمم التي قطعت شوطاً في التقدم العلمي والاجتماعي والاقتصادي، وفضلاً عن ذلك فإن الشباب الجامعي باعتبارهم ينتمون إلى نظام تعليمي معين ويتهيئون لشغل مكانة اجتماعية معينة تفرض عليهم إدراكاً أكبر لمختلف ما يحدث في المجتمع المحيط بهم، ومن ثم فإن البيئة الثقافية للطالب الجامعي إضافة إلى الشعور بالذات من خلال مكانة يتطلع إليها تشكل عاملاً مهماً في تحديد مسؤوليات التعليم العالي في تنمية قيم المواطنة والتفوق العلمي، مما يعني اعتبار كفاءة الفهم عنصراً رئيسياً في تكوين المواطنة، وهناك بعد آخر في كفاءة المواطنة هو القيم الإجرائية المرتبطة بالثقافة السياسية، تلك القيم التي تربط بين مفاهيم السياسة والتفكير حول الهوية، وهذا ما يشير بوضوح إلى أن استراتيجيات تنمية قيم المواطنة لابد وأن تستند إلى مرجعية الهوية المميزة للمجتمع، حيث إن قيم المواطنة هي أساس الانتماء للهوية.

إصلاح التعليم في المستويات السابقة للتعليم الجامعي: يقوم التعليم العالي بـ:

-حل قضايا التعليم التقليدية المبنية على الحفظ والتذكر .

-تنمية مهارات التفكير العليا.

-زيادة قدرة المتعلم على نقل المعلومات وزيادة التواصل بينهم.

-تصميم أنواع متنوعة من التطبيقات التعليمية.

-اكتشاف سوء فهم المفاهيم عند بعض المتعلمين.

-مد المعلم بمرشد لكيفية عرض العلاقة بين الأفكار المهمة وخطط الدروس.

-تنقيح موضوعات الكتب

-ارتقاء مستوى الدقة في كتابات الكتب من الناحية العلمية.

-العصرنة الثقافية مقابل الحفاظ على الثقافة المحلية.

-الاتجاه نحو العالمية مقابل الالتزام تجاه الجامعات المحلية.

-التنمية الفردية مقابل المساواة

-توخي المعرفة لذاتها مقابل تقديم خدمات مباشرة للمجتمع

-تقديم مهارات عامة مقابل مهارات متخصصة

- الاستجابة لمتطلبات النظام الوظيفي المرعي مقابل اعادة تنظيم واقع العمل.
- تقديم تدريب عام وشامل مقابل التدريب المتخصص .

خلاصة القول هي أن الجامعة المعاصرة لم تعد مجرد مجتمع أكاديمي تعوّل عليه المجتمعات أهمية تعليمية وبحثية فحسب، على الرغم من الأهمية المحورية التي ينطوي عليها ذلك، بل هناك أدوار أخرى للجامعة اليوم يمكن إدراكها في ضوء الحقائق التالية؛

1 -إن الجامعات كانت وستظل إحدى الأدوات الرئيسية للنظم السياسية في انتقاء الصفوة المستقبلية وتدريبها وإعدادها .

2-إن الجامعة باعتبارها أحدى المؤسسات رائدة التحديث في المجتمع، تمتلك من الإمكانات ما يجعلها تحتل المكانة المحورية بين أهم وسائل تقديم المعرفة العلمية وتغيير الثقافة السياسية للمجتمع وتنميتها وتجديدها.

3-إن الجامعة تضطلع بإعداد أكثر فئات المجتمع فاعلية وقدرة على الحركة، وهم الشباب المتعلم بما يملكونه من مهارات وقدرات وبما لديهم من قيم واتجاهات، ومن ثم تعاظم الدور الذي يمكن أن يلعبوه في المجتمع .على هذا فإن تنمية قيم المواطنة والتفوق العلمي لدى الشباب الجامعي تستند إلى مسؤوليات الجامعة في تكوين قناعات عقلية ووجدانية بالأهداف الوطنية والمصالح الأساسية للدولة، فذلك هو المدخل الرئيسي لتحقيق أمنها الوطني وأمن التنمية فيها، وهنا يشعر الطالب الجامعي بواجباته تجاه البيئة التعليمية وتجاه وطنه ومسؤولياته تجاه قضاياه ومشكلاته، حيث يتنامى لديه الشعور بأمن وجوده بما يشتمل عليه من الكفاءة وتحقيق ألذات تحت مظلة الوطن وهذا الشعور هو الدافع لإرادة العمل الوطني والمعزز لبنية الأمن الوطني.

وأحيانا تكون ثمة هوة كبيرة بين أولئك الذين يخططون البرامج التعليمية وأولئك الذين يقومون بتنفيذها، إن التخطيط التربوي يجب أن يسير في اتجاهين في وقت واحد، اتجاه من القمة إلى القاعدة، واتجاه آخر من القاعدة إلى القمة، إذ يجب أن تستعمل كل الإمكانيات البشرية في المؤسسة التربوية فإذا حدث ذلك صار المخططون أفضل، وأصبح المدرسون مدرسين أفضل.([8])

وإذا ما حدث ذلك وأصبح كل يغني ليلاه فإن ثمار العملية التعليمية سرعان ما تذهب سدى، ولن يتحقق المرجو من هذه العملية، ويفقد حينها التعليم العالي دوره المعرفي ، وبتراجع دوره تتراجع أدوار باقي القطاعات الأخرى.

المصادر والمراجع

1- سمير عبده:العرب و التكنولوجيا- دار الأفاق الجديدة –بيروت- ط1/ 1981

2- سمير عبده:العرب والحضارة العلمية الحديثة- دار الأفاق الجديدة –بيروت- ط1982/1

3- د/محمد لبيب النجيحي: دور التربية الاجتماعية والاقتصادية للدول النامية- دار النهضة العربية- بيروت –ط1981/2/

4- .أهداف التربية في ضوء الاختيارات الجزائرية: نيابة الإدارةللتكوين –1970-1971- العدد1

5- رشيد أورلسان : التسيير البيداغوجي –قصر الكتاب –البليدة ، الجزائر،ب ط/ ب ت /

6-د/عبد العزيز شعيب مجلة تصدرها - - مجلة الثقافة- وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر السنة الخامسة عشرة – العدد 85/ربيع الثاني جمادى الأولى 1405يناير/فبراير1985.

الهوامش:

1- سمير عبده:العرب و التكنولوجيا- دار الأفاق الجديدة –بيروت- ط1981/1ص 28

2- سمير عبده:العرب والحضارة العلمية الحديثة- دار الأفاق الجديدة –بيروت- ط1982/1ص 25

3- سمير عبده:العرب والحضارة العلمية الحديثة- دار الأفاق الجديدة –بيروت- ط1982/1ص25/24

4- د/محمد لبيب النجيحي: دور التربية الاجتماعية والاقتصادية للدول النامية- دار النهضة العربية- بيروت –ط1981/2/ ص3

5- .أهداف التربية في ضوء الاختيارات الجزائرية: نيابة الإدارةللتكوين –1970-1971- العدد1ص 91

6- رشيد أورلسان : التسيير البيداغوجي –قصر الكتاب –البليدة ، الجزائر،ب ط/ ب ت / ص14-15

7-د/عبد العزيز شعيب مجلة تصدرها - - مجلة الثقافة- وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر السنة الخامسة عشرة – العدد 85/ربيع الثاني جمادى الأولى 1405يناير/فبراير1985 ص89

8- د/محمد لبيب النجيحي: دور التربية الاجتماعية والاقتصادية للدول النامية- دار النهضة العربية- بيروت –ط1981/2/ ص 12

واقع تدريس مسار التاريخ وفق النظام الجامعي الجديد (ل.م.د) في الجامعة الجزائرية

قسم العلوم الإنسانية "جامعة تيارت أنموذجا"

د/ محمد بليل، جامعة تيارت

مقدمة

اهتمت الجزائر منذ استرجاعها للسيادة الوطنية، إلى إعادة صياغة تدريس مواد التاريخ وفق الهوية الوطنية، حيث سطرت برامج تعليمية للمنظومة التربوية والجامعية وفق مرجعية الثورة الجزائرية والتاريخ المشترك لأبناء الشعب الجزائري، وكان نصيب تدريس مواد التاريخ في الجامعة الجزائرية ضئيلا في البداية، سرعان ما تفطنت قيادة البلاد لهذا الأمر، وسعت جاهدة لتوسيع تدريس التاريخ عبر معظم الجامعات الجزائرية.

وكانت الجامعة الجزائرية تعتمد على عدد كبير من المتعاونين العرب والأجانب في عملية التكوين، وفيما بعد فتحت الجامعة الجزائرية مهام التكوين فيما بعد التدرج (الماجستير والدكتوراه) بإرسال الطلبة المتفوقين إلى الخارج، وبعد إكمال دراستهم وعودتهم للجزائر، قام الأساتذة الجزائريون بمساعدة البعض الأخر ذوي الرتب العلمية العالية، بفتح مسار التكوين لطلبة التاريخ بالجامعات الجزائرية.

وكانت جامعة ابن خلدون بتيارت مع أول دفعة لشعبة التاريخ في الموسم الجامعي 2006-2007، بعدد يفوق 150 طالب سرعان ما ازدادت الأعداد وأصبح التاريخ شعبة مستقلة ضمن قسم العلوم الإنسانية، وأصبح يتخرج من هذا القسم عدد كبير من الطلبة لتغطية مهام التدريس بولايتي تيارت وتسمسيلت ونجاح عدد معتبر منهم في مسابقات الماجستير المنظمة من قبل أقسام التاريخ بالجامعات الجزائرية.

وفي خضم إصلاحات التعليم الجامعي الجديد وتطبيق نظام لمد تدريجيا بالجامعة الجزائرية، عرفت شعبة التاريخ تحولا هاما بفتح أول فرع لهذا النظام في السنة الجامعية 2009 -2010، بأول دفعة لستين طالبا ليفتح تخصصين ضمن مسار التاريخ وهما: تخصصي تاريخ عام وتاريخ وجغرافيا ثم الموافقة على ثلاثة مشاريع ماستر في السنة الجامعية 2012-2013.

لذلك تطرح أمامنا إشكالية تدريس مسار التاريخ بهذا القسم، وفق النظام الجامعي الجديد، محاولين الاستفسار عن طموحات الارتقاء بهذه الشعبة والمصاعب التي لا زالت تواجهها، والأفاق الممكنة والهادفة لإنجاح عملية التدريس وتأطير الطلبة وفق النصوص القانونية لهذا النظام والمعايير العلمية والأكاديمية الدولية.

1-مدخل عن أهمية تدريس التاريخ بالجامعة الجزائرية

سعت فرنسا الاستعمارية منذ احتلالها للجزائر عام 1830، إلى محاولات طمس الهوية الجزائرية بمختلف مكوناتها منذ فجر التاريخ بإلحاق الضرر بها، رغم الحقائق التاريخية الموجودة على أرض الجزائر التي تدل على عمق تاريخ هذا الشعب البطل(1)، بغية إيجاد بديل حضاري عما كان يعيشه المجتمع الجزائري في ظل الدولة العثمانية والتركيبات السكانية المختلفة و المنسجمة فيما بينها، في إطار تاريخ وطني مشترك، و ركزت على الجانب التعليمي و الصحي وفق المنظومة الاستعمارية(2)، فبنت المدارس على النمط الفرنسي و سمحت لقلّة من الجزائريين الولوج إلى مدارسها و غرست في عقولهم تاريخ الأمة الفرنسية، و أن الجزائريين لا تاريخ لهم، سوى ذلك التاريخ المشترك مع الغزاة و المحتلين لهم.

لذلك نشطت فرنسا في مجال التاريخ وأنشأت المدارس المتخصصة في التاريخ القديم وعلم الآثار ودراسة مخطوطات علماء الجزائر وفقهاهم وعادات وتقاليد الجزائريين من خلال دراسات معمقة للمجتمع الجزائري وأنماطه المعيشية وطرق صوفته وزواياه خلال الحقبة الحديثة وأيضا دراسات معاصرة من خلال معاينات تاريخه الحديث والمعاصر بالتقرب من زعمائه لكتابة مذكرات حولهم، أمثال ليون روش وغيره من الكتاب والمؤرخين الفرنسيين والأجانب الذين كتبوا عن تاريخ الجزائر(3) .

وقامت جمعيات متخصصة في مجال التاريخ بإنشاء مجلات متخصصة عن تاريخ الجزائر وشمال إفريقيا كالجمعية الجغرافية بالجزائر العاصمة وبوهران، اللتان ركزتا على دراسة التاريخ الأثري للجزائر ودراسة تطور المجتمع الجزائري عبر التاريخ وأيضا المجلة الإفريقية التي اهتمت بالدراسات التاريخية والثقافية والاجتماعية للجزائر وغيرها من المجلات المتخصصة التي واكبت المشروع الاستعماري في محاولة طمس معالم التاريخ الوطني، ولكن النخب الجزائرية بمختلف اتجاهاتها، منذ الغزو الاستعماري لبلادنا إلى غاية أقطاب وزعماء الحركة الوطنية الجزائرية و أبطال ثورة نوفمبر، أبطلت مفعول هذا السحر العلمي الهادف إلى إدماج الأمة الجزائرية ضمن نسيج الحضارة الأوربية التي تبنها المحتل الفرنسي لبلادنا، وسعى جاهدا لإيجاد أجيال تؤمن بهذه النظرية التغريبية للمجتمع الجزائري، ذلك لأن مفعول التعليم الفرنسي وفق هذا النمط التاريخي المفعم

بالأبعاد الإنسانية والحضارية، كاد يربك المثقفين الجزائريين، لولا قيام نخبة من المثقفين الجزائريين خلال هذه الفترة الاستعمارية وغيرهم من قادة التيارات السياسية الوطنية خاصة منذ تأسيس نجم شمال إفريقيا و حزب الشعب الجزائري اللذان طرحا فكرة الاستقلال ووجود الأمة الجزائرية بكل مكوناتها [4]، إضافة لجهود العلماء الإصلاحيين؛ الذين كان لهم دورا في دحض النظرية الاستعمارية الحضارية، خاصة رائد النهضة الإصلاحية في الجزائر، العلامة " عبد الحميد أبن باديس[5].

ومن هذا المنطلق، فالجزائر التي استرجعت سيادتها سنة 1962، وجدت نفسها على أنقاض هذا الماضي التاريخي بكل أبعاده، خاصة في مجال تدريس العلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعة الجزائرية التي كانت تعج بمختلف الاتجاهات الفكرية والأيديولوجية. ولأن التعليم الجامعي يمثل مرآة حقيقية للشعوب المثقفة والواعية، فقام المشرفون عليه بتحسين الأداء التربوي والبيداغوجي وتوفير البنية التحتية والإطار البشري الضروري له. ورغم أن الجامعة الجزائرية بمفهومها العام قد نشأت في ظلّ إدارة الاحتلال الاستعماري منذ مرسومي 1875و1879بإنشاء المدارس التحضيرية متخصصة في الطب والصيدلة والآداب والحقوق، والتي تحولت إلى جامعة الجزائر مند عام 1909 وأن مادة التاريخ، كانت تدرس ضمن مدرسة الآداب، وأن عدد الطلبة الجزائريين فيها، لم يتجاوز الأربعة عشر طالبا، ولم يصل في غالب الأحوال إلى 500 طالب سنة 1954، مما يؤكد سعي سلطات البلاد خلال الاستقلال إلى الاهتمام بالتعليم العالي وإعطائه مكانة لائقة ضمن سلم الأولويات. فحسب أحد الباحثين[6]، بأن أهداف التعليم العالي في الجزائر كانت تهدف منذ الوهلة الأولى إلى تحقيق جملة من الأهداف الرئيسية منها، الجزارة والتعريب وديمقراطية التعليم وربط الجامعة بالتنمية البشرية والاقتصادية.

ذلك أن تخريج إطارات وتكوين طلبة مقتنعين بالمجهود الوطني وإخلاص النية في العمل لا يمكن لها أن تتأتى، إلا من قناعات تاريخية، بأن الآباء والأجداد ناضلوا واستشهدوا من أجل بناء وطن قوي بشعب عظيم. فتعميق هذا السلوك الحضاري من قبل قادة البلاد الذين دأبوا في مناسبات عديدة إلى علاج هذه الإشكالية بالاهتمام ببرامج التاريخ، لتنسجم مع مرحلة استعادة السيادة الوطنية ومواصلة كفاح الأمس بشكل شرس في مواجهات الكتابات التاريخية الاستعمارية، التي حاولت التشكيك في مصداقية مؤرخينا والباحثين الجزائريين المنطلقين من مبادئ الحركة الوطنية الجزائرية والثورة المسلحة والتاريخ المشترك للجزائريين عبر العصور ودفاعهم المستميت عن تواجد الأمة عبر التاريخ[7]. يجعلنا هذا التحليل المنطقي للأحداث التأكيد من سلامة المنهج المتبع في الجامعة الجزائرية التي قامت بتعريب المواد الاجتماعية والاجتهاد بمشاركة المختصين إلى تعديل البرامج وإعطائها طابعا أكاديميا بفتح المجال أمام للباحثين والمؤرخين الجزائريين، الذي

أصبحوا يتعاملون مع الأرشيف الحي للمجاهدين والوثائق التاريخية المخزنة في دور الأرشيف الجزائرية والفرنسية بعد فتحها أمام الباحثين لإعادة كتابة تاريخ وطني حقيقي[8].

وفي نفس هذا السياق اكتست الدراسات التاريخية مكانة هامة بين أوساط الباحثين الجزائريين لتأصيل التاريخ و فق المناهج العلمية الحديثة، "فسمحت بدراسة معمقة لتاريخ الحركة الوطنية رغم التوجه الأيديولوجي، فوضعت بعد سنة 1970 أسس متينة للمناهج التاريخية...خاصة بعد سنة 1988 التي وقعت فيها تغييرات جذرية في الدراسات التاريخية وفي بعض الشهادات التاريخية حول التاريخ الوطني المعاصر...[9] "، وذلك من خلال الشهادات الحية وتحقيق المخطوطات والاطلاع على المخزون الأرشيفي وتدريس الطلبة مناهج البحث العلمي واطلاعهم على مصادر التاريخ الوطني وتحفيزهم على الدراسات التاريخية بمختلف مناهجها وتصوراتها وفتح مجال النقد أمامهم ودراسة الطبوغرافيا وفلسفة التاريخ بشكلها العام، ذلك أن هذه الطبوغرافيا مصدر ملهم لكتابة تاريخ الجزائر والعالم. [10]

وأن الجيل الجديد من المؤرخين والباحثين والأساتذة المدرسين للتاريخ في الجامعات الجزائرية، يمكنهم التواصل مع الجيل السابق المخضرم الذي عايش الفترة الاستعمارية، من أجل الاستفادة من تجربتهم وخبرتهم في مجال البحوث التاريخية، ولكن بسبب الصعوبات المستجدة، ازداد البعد بينهما في هذا التواصل، لأن "أغلبية الجيل الشاب من هيئة التدريس لم تعد ترى في تجربة الآخرين شيئا ضروريا في تكوينها الفكري وفي نموها الثقافي، سواء من حيث استعمال اللغة والأسلوب والعروض، أو التعامل مع طريقة المعالجة وكيفية العرض، بعد أن تأكدت لديها القناعة بفعل ندرة المناقشات والقراءات النقدية"[11]، أذن فنظرة الأستاذ سعيدون حول التواصل في عملية التدريس والبحث في الجامعة الجزائرية في مجال التاريخ، تعتبر واقعية في نظرنا نظرا للخبرة التي اكتسبها بالجامعة الجزائرية والجامعات العربية، بضرورة إدخال إصلاح عميق على منظومة البحث التاريخي وطرق التدريس لمواكبة تطور البحث العلمي في الأقطار الأخرى.

وأن الجزائر غنية بقدراتها المادية والبشرية، لَقادرة على المضي في إصلاح جامعي يتماشى مع خصوصية الأمة الجزائرية، باعتبارها لها رصيدا تاريخيا بما خلفه كتابها وعلماؤها من كتابات حول تاريخ الجزائر لمؤلفين كبار، لكي تساير المستجدات العلمية دوليا في ظل نظام العولمة، مع احتفاظها بحقها في تناول الرصيد التاريخي بعيدا عن التأثيرات الاستعمارية، من أجل قراءة تاريخية سليمة من التحريف والتزييف التاريخي الذي حاول الفعل الاستعماري الإبقاء عليه بعد مغادرته لمستعمراته السابقة[12].

لا شك أن هذه المتغيرات المحلية والدولية هي التي دفعت المسؤولين على المنظومة الجامعية، بالإسراع إلى مواكبة حجم التغييرات الجارية على المناهج الدراسية وطرق التكوين وأساليب معالجة النقائص، فكان "نظام «ل.م.د"بديلا عن النظام الكلاسيكي السابق في التعليم على مستوى الجامعة الجزائرية.

2 -مسار تدريس التاريخ وفق النظام الجامعي الجديد "ل م د" بقسم العلوم الإنسانية بجامعة تيارت

عرفت الجامعة الجزائرية تحولات جوهرية، غداة بداية التأسيس الفعلي للمؤسسات الوطنية خلال فترة السبعينات من القرن الماضي، بسبب حجم التطور الذي عرفته هذه الجامعة في الهياكل وازدياد عدد الطلبة بفضل سياسة المقرطة الاجتماعية في مجال التعليم وتوفير مقعد بيداغوجي لكل طالب جزائري؛ مما تطلب إدخال العديد من الإصلاحات على الجامعة الجزائرية في جميع المستويات.

1-2 – تعريف نظام ل.م.د وتطبيقات بالجامعة الجزائرية:

عملت الجزائر على تدارك النقائص في مجال التعليم العالي وإعادة النظر في محتوياته وهياكله لتوافق التحولات العالمية وتجاوز مرحلة الاستعمار وإعطاء مكانة مرموقة للتعليم العالي والبحث العلمي(13)، وإدخال إصلاحات مستمرة على النظام التعليمي الجامعي بما يتوافق مع طموحات البحث العلمي وتطوير كفاءة فريق التدريس والرفع من مكانة التكوين لدى الطلبة الجزائريين.

ولهذا الغرض وافقت لجنة الإصلاح للتعليم العالي في تقريرها النهائي على نقائص النظام لكلاسيكي وضرورة إيجاد بدائل له، فصادق مجلس الوزراء على مشروع تحديد نظام ل.م.د على توصية لجنة الإصلاح، يوم 30 يناير 2002، حيث تبنت الجامعة الجزائرية هذه التوصية في سبتمبر 2004 وبالتالي "أن نظام لمد هو استجابة لما ينتظره المجتمع ويطمح إليه والحفاظ على طابع المرفق العام للمؤسسة الجامعية وديمقراطية التعليم العالي، ويسمح للجامعة الجزائرية بضمان تكوين نوعي يستجيب للمقاييس الدولية ويسهل إدماج التعليم العالي في المحيط الاجتماعي والاقتصادي" (14)، وفي مقابلة مع الدكتور محمد تاج عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة تيارت، حول تطبيقات نظام ل.م.د **بقسم العلوم الإنسانية في تخصص التاريخ**، صرح لنا ما يلي: "أن هذا النظام جاء استجابة للمتغيرات التي حدثت وتحدث في الساحة الدولية ومدى انعكاساتها على الجزائر، باعتبار أن الجزائر تؤثر وتتأثر بمحيطها...وهو نظام يحاول أن يؤسس لفلسفة انفتاح الجامعة الجزائرية على محيطها وجعل عجلة التنمية تسير في مسارها الطبيعي ودعوة المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية للاهتمام بما تنتجه الجامعة من معارف وأبحاث تكنولوجية في إطار الشراكة الإيجابية..." (15)

بعد هذه الإطلالة السريعة حول بدايات هذا النظام التعليمي الجديد، الذي يندرج ضمن منظومة الإصلاح الجامعي على مستوى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، سارعت الحكومة بموافقة مجلس الوزراء على تطبيق توصيات لجنة الإصلاح الجامعي لوزارة التعليم العالي إلى إصدار المراسيم التنظيمية والتطبيقية لهذا النظام في جميع المواد بدءا بالمواد العلمية والاقتصاد والقانون والعلوم الإنسانية والاجتماعية (2004 و2009) [16].

حيث قامت شعبة التاريخ بجامعة تيارت بعقد عدة ندوات ولقاءات توعية وتدريبية لهذا النظام لهيئة التدريس و طلبة قسم العلوم الإنسانية بالشراكة مع قسم العلوم الاجتماعية، حيث تمّ إلقاء عدّة محاضرات من قبل مختصين وتدخلات لأساتذة واستفسارات الطلبة حول هذا النظام الجامعي الجديد، وتمّ وضع عدّة مقاربات بينه وبين النظام الكلاسيكي، وتباينت وجهات النظر حول فعالية هذا النظام الجديد، ما بين المشاركين في فعالية هذا النظام و ضرورة جعله مرنا ونزع الغموض عنه، حتى يتسنى للجان البيداغوجية وميدان التكوين من متابعة تطبيقاته على مسار التاريخ[17].

ومن هذا المنطلق، سوف نحاول إلقاء نظرة سريعة على تطبيقات هذا النظام بشعبة التاريخ بقسم العلوم الإنسانية بجامعة تيارت من خلال الإمكانات المتاحة والتحديات التي تواجهها هذه الشعبة والأفاق الممكن تحقيقها.

2-2-الإمكانات المتاحة (المادية والبشرية):

وافقت كلية العلوم الإنسانية و الآداب و اللغات الأجنبية بجامعة ابن خلدون على فتح شعبة التاريخ ضمن قسم الأدب واللغات الأجنبية في الموسم الجامعي 2006 -2007 بأول دفعة من النظام الكلاسيكي ب حوالي 150 طالب ليرتفع هذا العدد تدريجيا إلى 400طالب و 600 طالب، ليصل إلى نهايته في السنة الجامعية 2012-2013، بتخرج أخر دفعة، حيث تمكنت هيئة التدريس رغم محدودية الإمكانيات إلى التعامل مع البرامج التكوينية من محاضرات و تطبيقات و الإشراف على مذكرات التخرج، و أثبت طلبة هذه الشعبة جدارة في الاستحقاق بشهادة الليسانس و المشاركة في المسابقات التي نظمتها الجامعات الجزائرية.

تؤكد هذه العملية الخاصة بتطوير التكوين بفرع التاريخ، مدى الاستجابة لتطلعات المسؤولين المشرفين على العملية من مدير الجامعة إلى عمادة الكلية ووالي ولاية تيارت وطموحات الطلبة وهيئة التدريس

وجمعيات المجتمع المدني التي ساعدت على المساهمة في تدعيم هذا الصرح العلمي، خاصة المنظمة الوطنية للمجاهدين.

وتعليقا على فتح شعبة التاريخ، ذكر لنا عميد الكلية، بأنها جاءت استجابة لتطلعات تاريخ المنطقة[18] :"فأنى وجهت فكرك، وجدت التاريخ حاضرا، فالمختص في القديم يجد ملاذه في تلك الآثار التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ من كهوف ورسومات جدارية أرّخت للحضارة بالمنطقة، ويجد مختص التاريخ الوسيط التاريخ حاضرا مع الرسميين وقلعة بني سلامة وكتابات ابن خلدون عنها، وفي التاريخ الحديث و المعاصر، كانت المنطقة معقلا لزوايا العلم و الطرق الصوفية و أيضا رمزا للمقاومة الشعبية والثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي".

وتتويجا للنجاحات التي حققتها شعبة التاريخ، فقد واكبت هذه الأخيرة عملية الإصلاح الجامعي الخاصة بتوسيع نظالم م د" بالجامعة الجزائرية و ضمان تكوين نوعي و الاستجابة لمطالب المجتمع الشرعية في مجال ترقية التعليم العالي و المساهمة في المهمة الثقافية للجامعة بالانفتاح على المحيط الاقتصادي والاجتماعي و الارتباط بالمعارف العالمية، تم فتح مسار التاريخ ضمن نظام "ل م د «خلال الموسم الجامعي 2009-2010بتسجيل أكثر من 60 طالب و يفتح تخصصين هامين وهما :- تاريخ عام - تاريخ و جغرافيا، و ذلك وفق القرار الوزاري الذي ينتظمن تأهيل لليسانس المفتوحة بعنوان السنة الجامعية 2009-2010بجامعة تيارت و منها فتح التخصصين سابقي الذكر[19].و ارتفع العدد للسنة أولى علوم إنسانية تدريجيا ما بين 500 طالب إلى 700 طالب لغاية الموسم الجامعي الحالي، وبدأت تتحقق النتائج الخاصة بتخرج دفعات متتالية لهذا النظام الذي تمكن من فرض وجوده بجامعة ابن خلدون في معظم التخصصات و منها شعبة التاريخ التي حققت قفزة نوعية بتخرج أكثر من 50 طالب في السنة الجامعية 2011-2012 ثمّ دفعة ثانية تفوق 300 طالب في السنة الجامعية 2012 -2013 و تتوقع تخرج عدد أكبر في السنوات القادمة، و هو ما يؤشر في نظرنا إلى توفر الإرادة لدى المسؤولين على قطاع التعليم العالي بجامعة تيارت، و لأجل إتمام مسار التاريخ في إطار منظومة "ل م د"، تمّت برمجة ثلاثة مشاريع ماستر في التخصصات الآتية: - تاريخ المغرب الحديث و المعاصر-تاريخ أوسط الوسيط – وتاريخ المغرب الإسلامي ب60 طالب و يتوقع ارتفاع هذا العدد في السنة الجامعية الحالية(2013-2014) [20].

وتطلبت هذه العملية مجهودات كبرى من قبل جامعة ابن خلدون بتوفير الإمكانات المادية و البشرية لمهام التكوين و التأطير، حيث كانت شعبة التاريخ ضمن مجموع الكليات غرب المدينة "طريق فرندة " بأن تم توفير لها القاعات و المدرجات ثمّ تمّ ترحيله إلى مجمع كرمان «طريق الجزائر" حيث تستقر حليا في بناية

مستقلة تتوفر فيه جميع الإمكانيات من قاعات و مدرجات و مكتبة و بناية إدارية تستجيب لتطلعات الفريق الإداري و البيداغوجي و توظيف الأساتذة، حيث وصل عددهم بشعبة التاريخ إلى حوالي 54 أستاذا منهم خمسة أساتذة محاضرين والعدد مرشح للارتفاع في انتظار مناقشة العديد من أساتذة القسم لرسائل الدكتوراه .

ولكن رغم الدعم الملحوظ من قبل المشرفين على قطاع التعليم العالي بجامعة تيارت، فإن عملية التأطير لا تخلو من مشاكل ونقائص، خاصة مع التوسع في تطبيق نظام ل م د.

2_3 – التحديات والمصاعب

نظرا للنقلة النوعية لطلبة سنة أولى " ل م د "من التعليم الثانوي إلى رحاب الجامعة، وما خلفته عملية تطبيق هذا النظام و كيفية التعامل مع البرامج الجديدة التي تشمل تكوينا قاعديا مشتركا في إطار الجدع المشترك " علوم إنسانية "في السنة الأولى حيث يتحصل الطالب على معارف متنوعة من مقاييس في التاريخ و الجغرافيا و وسائل الإعلام و علم المكتبات و أيضا تعليما مشتركا في مجال اللغات و الإعلام الآلي الذي دخل الجامعة الجزائرية، بهدف ترقية قدرات الطالب في مجال المعلوماتية، و ذلك بغية إثراء الثقافة الجامعية بالوسائل التكنولوجية خاصة وسيلة الأنترنيت التي أصبحت من بين وسائل الاتصال التي عرفت نجاحا في السنوات الأخيرة في الجامعة الجزائرية (21). ثم يلتحق الطلبة بالتخصصات الموجودة لحد الساعة شعبتي التاريخ والفلسفة في انتظار الموافقة على المشاريع الأخرى.

ويخضع الطلبة الملتحقون بشعبة التاريخ بالنظام الداخلي لجامعة ابن خلدون، حيث ضبط هذا الأخير كيفيات التسجيل و التوجه الشعب الجديدة و الانضباط، خلال المواظبة في حصص المحاضرات وإلزامية الحضور في الأعمال التطبيقية ويسهر قسم العلوم الإنسانية على احترام تنفيذ مواد هذا القانون (22).و من جهتهم يخضع سلك التدريس لنفس إجراءات النظام الداخلي في مجال التدريس وشروط إلقاء المحاضرات والسهر على الأعمال التطبيقية، يضاف لها المشاركة في أشغال اللجنة البيداغوجية ومراقبة الامتحانات والحرص على حسن سيرها وتصحيح أوراق الامتحانات و المشاركة في أشغال لجنة المداولات والإشراف على مذكرات التخرج و غيرها من المهام المنوطة بهيئة التدريس (23).

ولكن ثمة مشاكل لا زالت تعترض شعبة التاريخ في بعض المستويات منها، المتعلقة بالطلبة في مجال الوصاية والمرافقة والبعض الأخر مرتبط بالهياكل والإطار البشري المكون، وسجلت شعبة التكوين بقسم العلوم الإنسانية بعض هذه الملاحظات كالآتي (24):

– عدم الوضوح والرؤية لنظام ل م د من قبل الطلبة – يشتكي الطلبة من الاكتظاظ داخل القاعات – كثافة الدروس والعروض – الاستفسار عن تخصصات أخرى إلى جانب شعبة التاريخ – الاستفسار عن طبيعة التحويلات إلى هذه الشعبة.

وفي نفس السياق واجهت الفريق البيداغوجي في تأدية مهامه بعض الصعوبات منها:

– قلة الهياكل المعدة لعملية التكوين و الوصاية – غياب التواصل بين الطلبة و الأستاذ الوصي – غياب وسائل التحسيس الضرورية لإنجاح مهام التكوين و مرافقة الطالب بسبب ضغط المحاضرات و الأعمال التطبيقية – إهمال بعض الطلبة لحصص المحاضرات مما يجعل العملية الأكاديمية صعبة أمام هذه لإشكالية، خاصة التكامل بين فريق التكوين و مجموع الطلبة، و أن نظام "ل م د" حسب الدكتور شرف عبد الحق رئيس المجلس العلمي للكلية يتطلب جهودا معتبرة تشترك فيها خبرات هيئة التدريس ومواظبة الطلبة من أجل إنجاح العملية التعليمية بالمقاربات و الشراكة بين الأستاذ و الطالب [25].

إن هذه المستجدات التي لوحظت في مجال تطبيق برامج المواد المدرسة في شعبة التاريخ، تمثل لنا إشكاليات معتبرة لإيجاد الحلول الممكنة لتجاوز كثافة البرامج، وضرورة إيجاد آليات واقعية لتحسين الأداء التربوي والأكاديمي لهذه الشعبة الهامة، التي تتطلب مجهودات كبيرة لإيصال المعارف التاريخية لطلبة هذا النظام الجامعي الجديد المبني على سرعة هضم المعلومات واختصار الزمن في مجال التكوين.

2₄ أفاق مسار التاريخ بجامعة تيارت:

إننا تتبعنا للمسار التكويني لشعبة التاريخ منذ اشتغالنا كأستاذ مساعد في هذه الشعبة و أستاذا محاضرا وتكليفنا بمهمة مسؤولية ميدان التكوين، لاحظنا أن هذه الشعبة تتوفر على كوكبة من الأساتذة في جميع التخصصات، سواء منها المشتركة في الجذع المشترك أو تخصصات التاريخ القديم و الوسيط والحديث والمعاصر، بل توجد تخصصات دقيقة كالتاريخ العثماني و تاريخ الثورة، و أيضا عدد معتبر من الطلبة النجباء الذين احتلوا مراتب متقدمة في المعدلات وكرّموا من قبل رئاسة الجامعة إضافة لما تتوفر عليه الكلية من مكتبة معتبرة، وقاعات الأنترنيت، التي سمحت لمجموع الطلبة بالاستفادة من هذه الإمكانيات، ويسهر الفريق الإداري والبيداغوجي على تفعيل جميع الإمكانيات المتاحة بشكل عقلاني .

وفي سياق عملية التدريس، تسعى جامعة ابن خلدون إلى توظيف المزيد من الأساتذة لتغطية بعض العجز المسجل سابقا، ولكن بفضل تدعيم هذا التوجه أصبحت شعبة التاريخ تتوفر على عدد لا باس به

من الأساتذة المحاضرين والمطبقين، وحسب عميد الكلية [26] فإن شعبة التاريخ ستكون واعدة في تحقيق النتائج العلمية المرجوة من تطبيق نظام ل م د، نظرا:

– للعدد الهائل من الطلبة الذين أصبحوا يسجلون في هذه الشعبة

– والعدد الكبير من الأساتذة المقبلون على مناقشة رسائل الدكتوراه

– كذلك إمكانية فتح مخابر بحث في مختلف التخصصات والاستفادة من مراكز البحث المتواجدة بالوطن إضافة لمركز الدراسات التاريخية وما قبل التاريخ المتواجد بتيارت.

– فتح مشاريع ماستر في تاريخ الثورة والتاريخ القديم وإمكانية فتح مشروع مدرسة الدكتوراه بشعبة التاريخ

و في خضم العملية البيداغوجية في مجال تفصيل برامج المقاييس المدرسة، يسهر فريق التكوين في إطار المهام المنوطة به، وفقا للقوانين المحددة لرئيس الميدان و رئيس الشعبة ورؤساء التخصصات، على عقد اجتماعات دورية والتداول حول الانشغالات التي تهم فريق التكوين والطلبة بدراسة مشاكلهم واستفساراتهم في هذه البرامج خاصة بالنسبة لطلبة الجذع المشترك "علوم إنسانية و كيفية الانتقال إلى تخصص مسار التاريخ، و تمّ التركيز في هذه المناقشات على أهمية حصص الوصاية للسنة الأولى بمرافقة الطالب نحو التخصصات المتواجدة بشعبة التاريخ[27]. وخلال اللقاءات المشتركة بين الفريق الإداري المسير لقسم العلوم الإنسانية وهيئة التدريس، يتم عرض النتائج المتوسل لها في مدى إيصال البرنامج الدراسي لكل مقياس، وحسب القوانين المنظمة لنظام " ل م د "فإن أستاذ التعليم لهذا النظام يتحمل عدة مهام عكس النظام الكلاسيكي منها[28]:

– اللجنة البيداغوجية للمادة والفرقة البيداغوجية التي تقوم بمهمة سير الوحدة التعليمية وفرقة التكوين المتكونة من رؤساء التخصصات ورئيس الشعبة ورئيس الميدان الذي يسهر بمعية رئيس القسم على المتابعة الدورية للعمل البيداغوجي وفق القوانين المنظمة لنظام "ل م د ".

وبهذا الشكل التنظيمي لشعبة التاريخ بقسم العلوم الإنسانية بجامعة تيارت، فإنها التزمت بتنظيم نفسها حسب القوانين والتشريعات المعمول بها في هذا النظام الإصلاحي الجامعي الجديد، بتوفير قدر معتبر من المادة العلمية التاريخية، بالشراكة مع الطالب الجامعي الذي ينبغي عليه الاستفادة من طموحات هذا النظام، رغم بعض النقائص المسجلة في عملية التقويم للأساتذة والطلبة لهذا النظام؛ مثل سوف نوضحه لاحقا في هذه الورقة العلمية. وتمر الجامعة بشكل خاص مخاضا عسيرا في التحول من نظام

الكلاسيكي و النظام "ل م د «، لأنهما نظامان يختلفان في مجال طريقة التدريس: فالأول يعتمد على الأستاذ في تلقينه للدروس و عرض المحاضرات على الطلبة، أما الثاني فيعتمد على الشراكة بين الأستاذ والطالب في إنجاز الدروس من خلال أعمال البحوث في المراجع و الشبكة التواصلية، يكون الطالب فيها فاعلا إيجابيا في التحضير للمحاضرات و الوصول إلى النتائج المرجوة من هذا النظام [29].

ولهذا الغرض سعى فريق التكوين إلى تشريح برامج المقاييس المدرسة للمشاريع المنفذة وإبداء الرأي فيها واقتراح تعديل بعضها لجعله مرنا، بهدف مساعدة الطلبة على هضم هذه البرامج و إنجاح العملية التعلمية بالمقاربة و السماح للطالب بإثبات قدراته في مجال البحث و إبداء الملاحظات و التوصل إلى النتائج المرجوة، خاصة في مجال البحث التاريخي الذي يشمل مقاييس عديد خلال الثلاثة السنوات [30].

ومن هذا المنطلق فعملية تدريس مسار ة التاريخ، ضمن نظام "ل م د"، يعتمد مباشرة على التفاعل بين هيئة التدريس والطلبة، مما يستوجب علينا أخد رأي هيئة التدريس والطلبة لمعرفة رأيها حول العملية التعليمية بشعبة التاريخ بجامعة تيارت.

3- تقييم عملية التدريس من خلال عينات من أفواج الطلبة و هيئة التدريس

قمنا بطرح جملة من الأسئلة على نماذج من هيئة التدريس و أخذ عينات من أراء طلبة السنة أولى جذع مشترك في العلوم الإنسانية و المتوجهون لتخصصي تاريخ عام تاريخ وجغرافيا، من خلال استمارة تتناول العناصر الآتية:

3_1- نظرة الأساتذة المدرسين لمسار التاريخ في إطار النظام الإصلاحي الجامعي الجديد

تضاربت الآراء بين مؤيد لهذا النظام لمرونته و قصر مدّة التكوين و السماح بتخرج عدد كبير من الطلبة، وتحفظ عينات أخرى لهذا النظام بسبب الغموض الذي يحيط به و التعقيدات الحاصلة في البرامج ونقص المرافق لاستيعاب العدد الكبير الملتحق بشعبة التاريخ، ويبدوا لنا من هذه الدراسة المتواضعة، أن كثير من الإشكاليات التي أحاطت بهذا النظام بدأت تزول مع الممارسة اليومية مع البرامج و جهود فريق التكوين خلال اجتماعاته بهيئة التدريس و ضبط المشاكل و إيجاد الحلول لها [31]. و هذه الإشكاليات فرضت على هيئه التدريس، الاطلاع على القوانين المنظمة و تكييف مقاييس التاريخ السداسية مع الحجم الساعي المسموح به و تجاوز المستجدات الأخرى.

3_2- إيجابيات التدريس ضمن هذا النظام

أن الكثير من الدراسات المتخصصة، التي كتبت عن تطبيقات هذا النظام بالجامعة الجزائرية، أكدت على كثير من إيجابيات التدريس لبرامج مختلف المواد وفق هذا النظام منها[32] :

– التسجيل يكون مباشرا و لا يخضع لعملية الوصاية المركزية – مرونة نظام التقييم و الانتقال مما يسمح بفرض نجاح أكبر – تقليص الحجم الساعي بحيث تعطى الأهمية للبحث و المطالعة – تقديم تكوين بمواصفات عالمية – يضمن تكوينا نوعيا وفق الاختصاصات المفتوحة – تلبية حاجات قطاع الشغل وتفعيل العلاقة بين الجامعة والمحيط الاقتصادي و الاجتماعي – انفتاح الجامعة الجزائرية على العالم وتشجيع التعاون مع الجامعات الدولية – تقوية المهمة الثقافية للجامعة بإدخال المواد التثقيفية إضافة إلى التخصصات الرئيسية– يقدم شهادة معترف بها دوليا.

هذه بعض إيجابيات هذا النظام، حيث طرحنا هذا الانشغال على عينات من هيئة التدريس والطلبة، فأجمعت على أهمية اعتماد الطالب على نفسه وتحفيزه على تحصيل نتائج مرتفعة ليتمكن من اختيار أحسن التخصصات، وكانت إجابات الطلبة سنة أولى جذع مشترك، بأنه فتح لهم المستقبل السريع نحو شهادة الدكتوراه في وقت سريع وأكد البعض الآخر شراكتهم مع أساتذتهم في التحصيل العلمي من خلال حرية اختيار مواضيع التطبيقات ومرونة النظام السداسي والصعود إلى السنة الموالية رغم القروض المترتبة عن العام الدراسي[33].

3-3سلبيات تدريس مسار التاريخ ضمن هذا النظام

رأت دراسات أخرى حول تطبيقات هذا النظام في الجامعة الجزائرية، بأنه تعترضه العديد من الصعوبات والمشاكل، التي لا زالت تشكل عبئا على تدريس المقاييس الكثيرة من خلال الوحدات الأساسية والاستكشافية والمشتركة في السنة أولى علوم إنسانية ثمّ التخصص في شعبة التاريخ خلال السنة الثانية ثمّ توجيه الطالب نحو تخصص دقيق في السنة الثالثة، وهو ما طرح هذه الإشكاليات مع حجم البرامج المعدة من قبل مخططات الأساتذة، ولقد عددت هذه الدراسات سلبيات هذا النظام فيما يلي [34]:

– قلة التأطير مع انعدام شبه كلي لدور الأستاذ الوصي مما يجعل النظام لا يتوافق و الطموحات المرجوة منه، من خلال التكوين النوعي– افتقار أغلب جامعاتنا إلى مخابر البحث و الكتب العلمية المواكبة للتطور الحاصل في ميدان التعليم مما يجعل الطالب لا يستفيد من الوقت الممنوح له في هذا الإطار – قلة المؤسسات الاقتصادية في الوطن مما يرهن فرص إيجاد مناصب العمل – استقلالية المؤسسات الجامعية وإن كانت تسمح بالمنافسة بين الجامعات فإنها تخلق نوع من أنواع الاستقرار في قيمة الشهادة– قضية

تصنيف الشهادات عند الوظيف العمومي و ما يمكن أن تخلقه من مشاكل مع شهادات النظام القديم في ظل انعدام النص القانوني – قلة الإعلام في الأوساط الطلابية، مما يجعل الطلبة المسجلين فيه لا يعرفون أي شيء عنه و لا عن مستقبلهم التعليمي.

وإذا رجعنا لعينات هذه الدراسة التي أعددناها بمشاركة الفريق الإداري وهيئة التدريس، نجدها تشترك في المعطيات الآتية (35):

– كثافة التدريس وكثرة المقاييس والضغط على الطالب في مجال البحوث والأعمال الفردية وقصر مدّة التكوين –العدد الكبير للطلبة وقلة المرافق – عدم وضوح الرؤية لهذا النظام من قبل الطلبة وتخوفهم من التخصصات المتواجدة بقسم العلوم الإنسانية وصعوبة التعامل الأساتذة مع برامج المقاييس المدرسة – نقص تجربة الأساتذة الجدد بالتدريس بالمقاربة وبالكفاءات.

3-4-قدرة الطلبة على استيعاب الدروس

إن العملية التعليمية مشتركة بين الفريق المكون و مجموع الطلبة، حيث يستوجب ذلك إعطاء الأولوية في تقديم محاضرات ذات مستوى جيد و في متناول جميع الطلبة، نظرا لتفاوت مستوياتهم التعليمية وقدراتهم على هضم الدروس، إضافة للحجم الساعي الذي لا يتناسب أحيانا مع المخططات المنجزة من قبل الأساتذة، وكذلك الضعف اللغوي ونقص المكتسبات القبلية للطلبة، نظرا لحداثة التجربة بالتدريس بالمقاربة في الجامعة الجزائرية؛ ويستوجب القيام بمجهودات معتبرة لفريق التدريس لمناقشة هذه الإشكاليات، وذلك ما دأب عليه ميدان التكوين في اجتماعاته للتركيز على هذه العملية (36).

3-5-الاقتراحات وتوصيات هيئة التدريس من أجل تحسين المعارف التاريخية والإنتاج العلمي

تجمع معظم ملاحظات الأساتذة المستجوبين على النقاط الآتية (37):

– إيجاد صيغ مدروسة أكثر عقلانية لمتابعة المحاضرات والتطبيقات

–إعادة النظر في الحجم الساعي، ليتناسب مع طبيعة كل مقياس تاريخي

– التركيز على الدراسة بالمقاربة وبالكفاءات وإعطاء فرص تحفيزية للطلبة في إنجاز أعمالهم وفق الطرق العلمية المتعارف عليها.

– عقد ندوات تاريخية لإيضاح أهمية التدريس وفق هذا النظام الجديد للطلبة الجدد، ودورات تدريبية للأساتذة الجدد لهضم عملية التدريس وفق هذا النظام.

الخاتمة

لقد حاولنا في هذه الدراسة العلمية، توضيح معالم مسار تدريس التاريخ بقسم العلوم الإنسانية في هذه الورقة العلمية المتواضعة، وركزنا على طبيعة الإصلاح الجامعي الجديد وفق نظام "ل م د"، حيث عرفت شعبة التاريخ قفزة نوعية لتحقيقها نتائج مرضية، وتوصلنا في أخر هذه الدراسة للنتائج الآتية:

– عرفت شعبة التاريخ بجامعة ابن خلدون تطورا ملحوظا منذ نشأتها في ظل قسم الآداب واللغات، لتنتقل لقسم العلوم الإنسانية.

– حضي تدريس مسار التاريخ بالجامعة بمكانة مرموقة، نظرا للعدد الكبير الذي أصبح يلتحق بهذه الشعبة والتدعيم الذي تحصل علية من عمادة الكلية ورئاسة الجامعة.

– تمّ عقد عدّة ندوات محلية للتعريف بنظام "ل م د "بمشاركة مختصين وبإشراف اللجنة العلمية للقسم وميدان التكوين لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

– قيام الفريق الإداري والبيداغوجي بعملية التحسيس في التوعية بأهمية نظام م د" وتطبيقاته بالعلوم الإنسانية، من خلال حصص إذاعية ومطويات وأعمال الوصاية للتكفل بانشغالات الطلبة وتوجيههم للتخصصات الموجود بشعبة التاريخ.

الهوامش

1 – أحد صفر مدينة المغرب العربي في التاريخ، ج1، دار النشر بسلامة، ومطبعة العمل، تونس، 1959

2-TURRIN(Y)، Affrontement Culturelles Dans L'Algérie Coloniale، Ecole ، Medersa، Religion ،S.N.E.D,1971، Alger، pp 50-55

3 -LÉON ROCHES, Dix ans à travers l'Islam, 1834 - 1844 NOUVELLE ÉDITION.
LIBRAIRIE ACADÉMIQUE DIDIER, PARIS, 1884, PP 13- 16

4 – ابراهيم مهددي، نجم الشمال الإفريقي وحزب الشعب الجزائري 1926–1939، الاستراتيجية الوطنية وتأصيل الفكر الاستقلالي، منشورات دار الأديب، 2007 صوص 15 –29

5 – محمد بليل: تصورات وأفكار ابن باديس السياسية في مجال وحدة الشال الإفريقي «مجلة عصور الجديدة يصدرها مختبر البحث التاريخي، تاريخ الجزائر، جامعة وهران، العدد 5، 2012 صص 222-244

6 - سمية برهومي : "نظام لمد في مواجهة تحديات تفاقم البطالة في الجزائر "، موقع إلكتروني خاص بتطبيقات نظام ل م د في الجامعة الجزائرية، الدخول بتاريخ 25 سبتمبر 2013

7-أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 4، «الأولى، دار الغرب الإسلامي، 1996، صص 7-10

8 – رابح لونيسي: " ضرورة حضور المؤرخين في جميع الشهادات بغية كتابة التاريخ بشكل صحيح "مقبلة مع وكالة الأنباء الجزائرية، بتاريخ 17 -02-2013

9 -hassani Remaoun :’’les Historiens Algériens Issus du Mouvement National ‘’in Revue inssaniat Crasc , Oran N°25-26 juillet – décembre 2004 pp 225 -238

10 – Benjamine Stora « L’Histoire De L’Algérie, Sources, Problèmes, Ecritures» in Revue Insaniyat crasc, Oran, pp 215 -224

11 – ناصر الدين سعيدوني:"في انتظار المولود الجديد، مجلة الدراسات التاريخية لقسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بوزريعة ال جزائر2 في سلسلتها الجديدة "مجلة الدراسات التاريخية العدد الثالث عشر 2011، تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر 2، صص 11-18

12 - اسماعيل النوري الربيعي : "التاريخ قراءة ما بعد الاستعمار " مجلة عصور، العددين 18 -19، جانفي- ديسمبر 2012، يصدرها مخبر البحث التاريخي، مصادر و تراجم، جامعو وهران. صص 167-186

13 -ليلى زرقان:"إصلاح التعليم العالي الراهن LMD ومشكلات الجامعة الجزائرية، دراسة ميدانية بجامعة فرحات عباس بسطيف "مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 16، 2012جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف صص 31-70.

14-دليلة معاشرة:"نظام LMD وضرورة إعداد هيئة التدريس وقفة لضمان نجاحه في الجامعة الجزائرية " مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 16، 2012جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف صص 7-29)

15 -مقابلة مع عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في موضوع تدريس مسار التاريخ في ظل نظام ل.م.د يوم 07-10-2013 على الساعة 13 سا.

16 -انظر المصادر الآتية: Ministère de l’Enseignement Supérieure et de la recherche scientifique، réforme des Enseignements Supérieure، juin 2007 p5 -11 : وأيضا وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الدليل العلمي لتطبيق ومتابعة" ل. م.د"، جوان 2011، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ص 13

17 -لبيب لحاج:" التاريخ ومسار التكوين ل.م.د «، يوم دراسي حول لمد نظام ل م د بين النظرية والتطبيق في العلوم الإنسانية يومي 24-25 جانفي 2012، قسم العلوم الإنسانية، جامعة تيارت وتدخل المكلف بميدان التكوين خلال اجتماع سبتمبر 2013مع فريق التكوين للكلية.

18 -لقاء مع عميد الكلية، مرجع سابق

19-وزارة التعليم العالي والبحث العلمي قرار رقم 148 مؤرخ بتاريخ 01جويلية 2009.

20 -جداول ومؤشرات إحصائية أنجزت بمناسبة زيارة وزير التعليم العالي والبحث العلمي لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة ابن خلدون سنة 2013.

21-أحمد عبد الله الحسو: «الدراسات التاريخية بين الآليات التقليدية وتكنولوجيا المعلومات "دورية كان التاريخية، العدد العشرون، يونيو 2013

و أيضا: Yasmin Boudhane : « l'Acquisition de la Culture Informationnelle chez les Etudiants Universitaires Algériens »in Revue la littératures et les sciences Sociales , N° 15 Du juillet 2012 Université de Chlef pp111-143

22 -رئاسة جامعة ابن خلدون، النظام الداخلي المادة الخامسة ص 2، ديوان المطبوعات الجامعية، د. ت.

23 – نفسه، المادة الواحدة والخمسون، ص 22

24 -جامعة ابن خلدون، قسم العلوم الإنسانية، محضر اجتماع شعبة التكوين بتاريخ 16 جوان 2011

25 -مقابلة مع رئيس المجلس العلمي بتاريخ 07 -10-2013 على الساعة 11 سا.

26 -مقابلة مع عميد الكلية، مصدر سابق

27 -تقرير فصلي خاص بميدان التكوين، حول مجريات التدريس والتحضير لامتحانات السداسي الأول، محضر بتاريخ فبراير 2012

28 -دليلة معارشة، مرجع سابق صص 7-27

29 -لقاء مع عميد الكلية، مرجع سابق

30 -جامعة ابن خلدون، قسم العلوم الإنسانية، محضر اجتماع شعبة التكوين للقسم، بتاريخ 24-05 -2011.

31 –جامعة تيارت، شعبة التاريخ عينات من أراء هيئة التدريس بقسم العلوم الإنسانية ومحضر اجتماع فريق التكوين بتاريخ 23 سبتمبر 2013

32 -دليلة معارشة، مرجع سابق، وأيضا، أبجديات نظام ل م د م، موقع إلكتروني WWW.Ugel.org

33 –جامعة تيارت، شعبة التاريخ، أراء وعينات من هيئة التدريس وطلبة السنة أولى علوم إنسانية

34 -ليلى لزرق، مرجع سابق، وأيضا الموقع الإلكتروني، WWW.Ugel.org

35 – جامعة تيارت، شعبة التاريخ عينات من هيئة التدريس وطلبة السنة أولى علوم إنسانية

36 -محضر اجتماع فريق التكوين الخاص بمتابعة مسارات التكوين في قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة تيارت، بتاريخ 23-10-2013.

37 -جامعة تيارت، شعبة التاريخ عينات من هيئة التدريس وطلبة السنة أولى علوم إنسانية

البشير الونشريسي أحد أهم القادة المقربين

من المهدي بن تومرت الموحدي

د . عبد الحفيظ حيمي، جامعة بشار

ملخص:

إذا كان المهدي بن تومرت قائدا للدعوة الموحدية في بلاد المغرب الإسلامي، فإن عبد المؤمن بن علي مؤسسا لدولتها، إلا أنه توجد إلى جانب هذين القائدين شخصية مهمة لعبت دورا لا يستهان به في نشر الدعوة الموحدية، وهي شخصية أبي محمد بن عبد الله الونشريسي، الذي كان مقربا من المهدي، وكان أحد قادة جيشه، من طبقة العشرة، إلا أن المهدي خصه بمهمة التمييز، وإظهار معجزة العلم من غير معلم جملة واحدة، كلك ذلك لحشد المؤيدين لدعوته بأنه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلا.

تقـديم:

تعنى الأمم بدراسة تاريخ عظمائها وعلمائها وذوي الرأي فيها ممن لهم تأثير في تطور المجتمع وتغيير مسيرة التاريخ، فكم حدثنا المؤرخون على أولائك الأعلام من الساسة والفقهاء والمحدثين والأدباء واللغويين، وسائر العلماء والمؤلفين، كيف تأثروا ببيئاتهم ومجتمعاتهم ثم أثروا هم بدورهم في بيئاتهم ومجتمعاتهم.

لقد كانت منطقة الونشريس منذ القديم ولا تزال مصرا للعلماء والفقهاء والسياسيين الذين كان لهم دور كبير في صناعة تاريخ المنطقة، بل وتاريخ المغرب الإسلامي، فقد تطرقت كتب التراجم للونشرسيين الذين جابوا العالم الإسلامي وكانوا من علمائه وشخصياته البارزة، منهم من عرف ومنهم من تطرقت لهم المصادر التاريخية بشيء من الاقتضاب لكن أعمالهم كانت جليلة، ومن هؤلاء شخصية مغمورة عاشت في نهاية عصر المرابطين وبداية عصر الموحدين هو أبو محمد عبد الله بن محسن الملقب بالبشير الونشريسي أحد أهم الشخصيات المقربة من محمد المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين والرجل الثاني في الدولة والقائد العسكري لجيشها.

سأحاول أن أسلط الضوء على هذه الشخصية التي تطرقت لها المصادر التي أرخت لدولة الموحدين منها المقتبس في الأنساب في معرفة الأصحاب، وكتاب أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر بن علي

الصنهاجي، وكتاب نظم الجمان لابن القطان، والحلل الموشية لمؤلف مجهول، ووفيان الأعيان لابن خلكان، وسير أعلام النبلاء للذهبي وكتاب العبر لابن خلدون وغيرها..

1- نسب البشير الونشريسي:

هو عبد الله بن محسن البشير الونشريسي من أهل المغرب الأوسط لقي المهدي محمد بن تومرت أثناء مروره بمنطقة جبال الونشريس عندما كان راجعا من الشرق، فأعجب وتبعه وصار من خواصه فقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: " وارتحل المهدي إلى المغرب وهو في جملته، ولحق بوانشريس وصحبه منها البشير من جملة أصحابه "[1].

ذكر ابن خلكان في الوفيات بأن محمد بن تومرت قد صحب رجلا يسمى عبد الله الونشريسي ففاوضه فيما عزم عليه من القيام، فوافقه على ذلك أتم موافقة [2]، ويشير البيذق في كتابه أخبار المهدي بن تومرت ثم كان مبيتنا في متيجة ... تم خرجنا نحو الأخماس ... ثم منه نحو مليانة، ثم منها نحو ونشريس فنزلنا بالحضرة فوجدنا بها عبد الله بن محسن الونشريسي المكنى بالبشير [3] .

لم تتطرق المصادر بالتفصيل إلى نسب وأصل البشير باستثناء ما أشار إليه البيذق في كتابه المقتبس في الأنساب في معرفة الأصحاب قائلا " هو أبو محمد عبد الله بن محسن بن يكنيمان بن الحسن بن عبد الملك بن كباب بن ريس" [4]، أما قبيلته التي ينتمي إليها فقد أشار البيذق إليه بأن قرابته ينتسبون إلى قبيلة قيس [5].

وذكر بأن قبيلة الونشريسي أخا المهدي بينها وبين قبلة المهدي (هرغة) وذلك على وجه المحبة والإكرام [6] لقوله تعالى يحبون من هاجر إليهم [7]، وقد فعل المهدي ذلك مع كل من كان من خاصته من الطائفة وليس أصله من القبائل الستة التي أثبت عليه الأمر يأمر له المهدي ان يكون في قبيلة هرغة ومنهم البشير الونشريسي [8].

2-علمـــه:

على الرغم من قلة المادة التي تبين البشير الونشريسي بأنه عالم أم أمي، لكن يشير الإمام الذهبي بأن أثناء رحلة ابن تومرت إلى المشرق لطلب العلم لقي عبد الله الونشريسي الذي وصف بأنه تهذب وتفقه وكان جميلا وفصيحا في العربية فتحدثا يوما في كيفية الوصول إلى الأمر المطلوب فقال لعبد الله أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن الناس، فتظهر من العي واللكن والجهل ما تشتهر به، لتجد الخروج عن ذلك، وإظهار العلم دفعة واحدة فيكون ذلك معجزة[9].

3- مبايعة البشير الونشريسي للمهدي بن تومرت:

كان عبد الله ابن محسن الملقب بالبشير الونشريسي من الأوائل الذين رافقوا ابن تومرت في نشر دعوته، في أوساط القبائل، ولا شك ان الونشريسي لعب دورا مهما في عملية الإقناع وذلك نظرا للمؤهلات العلمية من فصاحة والقدرة على الخطابة، وقدرته على الإقناع والمحاججة، وذلك لامتلاكه للعلوم وتمكنه من توطئة الطريق لمحد بن تومرت بالكرامات وإقناع العامة بمهداوية ابن تومرت ولذلك كثر أتباعه.

عندما بلغ صيت بن تومرت مداه دبر له المرابطون مكيدة لقتله فوصل الخبر لأحد تلاميذته فخرج مسرعا متخفيا إلى تنمل وذلك في شهر شوال من سنة أربع عشرة وخمسمائة (يناير 1121م) فنزل هنالك ولحقه أصحابه العشرة و منهم عبد المؤمن بن علي وعبد الله البشير، فأقاموا معه بتنمل إلى شهر رمضان من سنة 515هـ، فكثر أتباعه وعظم صيته في جبل درن، واجتمع عليه خلق عظيم، فلما رأى ذلك أظهر دعوته، ودعا الناس إلى بيعته، فكان أول من بايعه أصحابه العشرة ا وفيهم البشير الونشريسي[10].

4 . البشير الونشريسي قائد جيش المهدي بن تومرت:

إن ترتيب الرواة لأسماء أهل الجماعة وأصحاب المهدي العشرة لا تساعد في توضيح أهميتهم، ويبدوا أن الترتيب تأثر بأحداث متأخرة، إذ يجعل الرواة عبد المؤمن بن علي الأول في العشرة، ولا يستثنى من ذلك إلا رواية اليسع والمراكشي وقد كتبا بالمشرق إن أول أهل الجماعة في رواية اليسع تمثل الواقع أكثر من غيرها، ولا سيما انها قد جاءت من عبد المؤمن نفسه، ولقد كان البشير الونشريسي قائد جيوش الموحدين، و لا تعرف غزوة قادها عبد المؤمن وكان البشير جنديا فيها [11].

فقد تولى الونشريسي مع بعض من أهل الجماعة القيادة العسكرية لجيش الموحدين، لكن البيذق اشار إلى غزوة البشير مما يجعلنا نرجح أن القيادة العسكرية كانت تسند للبشير الونشريسي [12] .

5 . البشير الونشريسي ومهمة التمييز:

اتخذ المهدي ابن تومرت أسلوبا لتصفية اتباعه والإبقاء فقط على الموالين المخلصين له، فقد سبق وأن اتفق مع البشير الونشريسي بان يخفي علمه إلى الوقت المناسب، فقد روى اليسع بانه لما كان عام تسعة عشر وخمس مائة خرج يوما فقال: تعلمون البشير يريد الونشريسي رجل أمي و لا يثبت على دابة، فقد جعله الله مبشرا لكم مطلعا على أسراركم وهو آية لكم قد حفظ القرآن، وتعلم الركوب، وقال اقرأ فقرأ الختمة في أربعة أيام، وركب حصانا وساقه، فبهتوا وعدوها آية لغباوتهم فقام خطيبا وتلا قوله تعالى: " ليميز الله الخبيث من الطيب "[13]، وتلا قوله تعالى: "منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون" [14] فهذا البشير مطلع على الأنفس ملهم [15].

فالذي أجمعت عليه المصادر بأن عملية التمييز كان يقوم بها البشير الونشريسي، فجمعت له القبائل، وكانوا يعرضون على البشير فيخرج قوما على يمينه ويعدهم من أهل الجنة، وقوما عن يساره : فيقول هؤلاء شاكون في الأمر، وكان يؤتى بالرجال منهم فيقول هذا تائب ردوه على اليمين تاب البارحة، فيعترف بما قال، واتفقت له فيهم عجائب، حتى كان يطلق على أهل اليسار، وهم يعلمون مآلهم إلى القتل، فلا يفر منهم أحد، وإذا تجمع منهم عدة قتلهم قرابتهم حتى يقتل الأخ أخاه وقيل أنهم قتل منهم سبعون ألفا على هذه الصفة ويسمى ذلك التمييز[16] .

وكان التمييز أربعين يوما قبل معركة البحيرة التي انهزم فيه الموحدون أمام المرابطين على أبواب مدينة مراكش سنة 524هـ وقتل فيها البشير الونشريسي واعتقد أتباعه بأنه قد رفع [17].

يذهب البعض إلى تفسير مسالة التمييز بأنها حيلة ابتكرها ابن تومرت وقام بتنفيذها الونشريسي لتصفية من خالف أمر ابن تومرت، إذ على إثرها جهز جيشا من عشرة آلاف مقاتل، اقام هو في الجبل ونزلوا لمحاصرة مراكش فأقاموا عليها شهرا ثم كسروا كسرة شنيعة هرب فيه من هرب وقتل الونشريسي المذكور [18] .

يفسر البعض سياسة التمييز التي انتهجها المهدي بن تومرت ونفذها أبو محمد بن عبد الله الونشريسي، بأنها حيلة اصطنعها ابن تومرت، حتى بضفي على دعوته صبغة دينية، وبخاصة ادعائه المهداوية [19]، إذ استدعى ابن تومرت الونشريسي ليقوم بمهمة التمييز، بحيث عرضت عليه القبائل فكان يصرف البعض عن اليمين، وآخرين عن اليسار، فلما تم الأمر تبين أن أصحاب اليمين هم أصحاب الجنة ومن على اليسار أصحاب النار، فأمر أهل اليمين أن يقتلوا أهل اليسار من قرابتهم [19].

وهكذا استطاع ابن تومرت من خلال الونشريسي أن بقضي على معارضيه بطريقة ذكية، وبحافظ هلى صقوف الموالين له بما سمي بالتمييز، ولو أن خبر هذه المذبحة وصلت إلينا عن طريق خصوم وأعداء الموحدين لشككنا في ذلك، لكن خبر هذه الحادثة رواها خادم ابن تومرت علي الصنهاجي المعروف بالبيذق، وابن القطان في نظم الجمان برواية الغافقي، وهذان المؤلفان من كتاب الموحدين [20].

6 . هزيمة البحيرة وهلاك البشير الونشريسي:

في سنة 524هـ(1130م) ظن ابن تومرت أنه يستطيع الاستلاء على مدينة مراكش بمن معه من الموحدين الذين ميزهم البشير الونشريسي، لكنه يبدوا أنهم استهانوا وأساءوا تقدير المرابطين، فبدأوا في شهر صفر 524هـ (يناير 1130م) بمحاصرة أحواز مراكش وعلى رأس الجيش عبد المؤمن بن علي، ومعه الونشريسي، وعسكر الجيش الموحدي في حدائق تسمى بحيرة الرقائق أمام باب الدباغين وباب إيلان من

أبواب مراكش، فدارت المعركة في 24 من جمادى الأولى 524هـ (1130م)، ثم كسروا كسرة شنيعة هرب فيه من هرب وقتل الونشريسي المذكور [21].

خاتمة:

مهما قيل حول هذه الشخصية إلا أن المصادر لا تقدم عنه ترجمة وافية، إلا أنه من الشخصيات العلمية الكبيرة التي عرفتها الونشريس والتي ساهمت في صناعة تاريخ تمثل في تأسيس دولة الموحدين من خلال مؤزارته لمحمد بن تومرت، من خلال مشورته وتوليه قيادة جيش الموحدين وقيامه بما هو أهم وهو عملية التمييز وتزكيته لابن تومرت بأنه المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا، فلو لم تعاجله المنية في معركة البحيرة سنة 524هـ (1130م) لكان خليفة للمهدي بن تومرت في الحكم.

الهوامش:

1- عبد الرحمن بن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار ابن حزم، ليروت، لبنان، ط1، ج2 ص 2501.

2 ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج5، ص 48.

3- البيذق: أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ط2، ص38.

4- البيذق: ابو بكر الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب تحقيق عبد الوهاب منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1971م ص23.

5- نفسه، ص 23.

6- نفسه، ص 23.

7- سورة: الحشر ،الآية رقم: 09.

8- البيذق، المصدر السابق، ص 23.

9-ابن خلكان، المصدر السابق، ج 5، ص 48.

10- ابن القطان المراكشي: أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، 1990، ط1،126. - بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972. ص 176.

11- البيذق، أخبار المهدي، المصدر السابق، ص 59. - ابن القطان، المصدر السابق، ص 88، 115.

12- نفس المصدر، ص 59.

13- سورة الأنفال، الآية رقم37.

14- سورة آل عمران ، الآية رقم 110.

15- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط11، سنة 1417هـ. 1996م ج19ص 545.

16 نفس المصدر، ج 19، ص 547.

17- البيذق، المصدر السابق، المقتبس في الأنساب، ص 24.

18- الإمام الذهبي، المصدر السابق، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلاوي تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ. 1995 م ط1، ج 36، ص 119.

19. حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ - 1992م، ج2، ص 83.

20. نفسه، ج2، ص 83.

21. ابن القطان، المصدر السابق، ص 103، - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 83

الكتابات الرسمية عند الموحدين

أنواعها، مراسيمها، وأهميتها التاريخية

د/ بغداد غربي، جامعة الشلف

تتعدد الرسائل وتتنوع أغراضها حسب ما تحويه من موضوعات، فهناك الرسائل غير الرسمية؛ أو ما يسمى بالرسائل الإخوانية، ويكون هذا النوع متبادلا بين العلماء والأفراد بصفة عامة، وهناك الرسائل الرسمية؛ أو ما يصطلح عليه بالرسائل الديوانية، نسبة إلى ديوان الإنشاء والكتابة، وهذه الأخيرة تصدر إمّا عن السلطان والخليفة، أو عن الولاة والعمال، أو ترد إليهم، ويضاف إلى الرسائل؛ كتابات رسمية أخرى تصدر عن السلطان، تتمثل في الظهائر والتوقيعات، وهذا النوع من الرسائل والكتابات هو المعني بالدراسة في هذا المقال.

أولا: الرسائل الرسمية أو الديوانية.

أ/ تعريفها:

الرسائل بصفة عامة؛ هي قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لرغبة الكاتب وغرضه وأسلوبه، حيث تنبني فيها العبارة البليغة والأسلوب المتين الرشيق والألفاظ الحسنة والمعاني الطريفة، أما الرسائل والكتابات الرسمية فعرفت بعديد من التعريفات من قبل المتقدمين والمحدثين المعتنيين بهذا المجال، وهي على الرغم من اختلاف شكلي في تعريفاتهم لها إلا أنها من الناحية المعنوية تصب في معنى مشترك، يتلخص في وصفها بأنها رسائل صادرة عن الخلفاء والسلاطين، أو عن عمالهم من الوزراء والولاة، إلى جهات أخرى رسمية أو غير رسمية كعامة الناس، تتناول موضوعات تخص شؤون الحكم والرعية.

وممن تطرق لها بالتعريف من المتقدمين القلقشندى؛ الذي يعتبر رائدا في هذا المجال — كتابة الإنشاء- حيث يعرف لنا الكتابة الديوانية أو الإنشائية، وموضوعاتها؛ والتي هي في حد ذاتها موضوعات الرسائل الرسمية الديوانية، بقوله:" ... المراد بها — أي الرسائل الرسمية أو كتابة الإنشاء- كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات، والولايات، والمسامحات، والإطلاقات، ومناشير الإقطاعات، والهدن، والأمانات، والأيمان، وما في معنى ذلك؛ ككتابة الحكم وغيرها "[1] .

فالرسائل الرسمية حسب تعريف القلقشندي؛ كل وثيقة إدارية ذات كلام مؤلف ومضبوط، بمعاني مرتبة بليغة، تتناول أنواع القرارات الإدارية والأوامر السلطانية الموجهة إلى مختلف موظفي الدولة أو الرعية داخليا، أو إلى من لهم علاقة بها كالدول المجاورة في الإطار الخارجي.

وهناك من عرف الرسائل الرسمية بأنها ما كانت موضوعاتها تدور حول السلطة وعلاقاتها برعاياها في الأمور الدينية والدنيوية،[2] أو هي التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة أو الملك يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه، بل وإلى أعدائه أحيانا؛ منذرا ومتوعدا[3].

ب/ أهمية الرسائل الديوانية

تعتبر الرسائل الرسمية من أهم المصادر المساعدة على البحث في مجال التاريخ والحضارة، وذلك أن المصادر الأساسية التي يعتمد عليها الباحث في مجال التاريخ؛ والتي تسمى بالحوليات، أغلبها يدور حول مواضيع التاريخ العام والسياسي، حيث أصبحت هذه المصادر لوحدها – رغم أهميتها التاريخية – غير كافية لاستيفاء البحث في مختلف مجالاته وكل جوانبه، وذلك لتعرض جزء غير يسير منها للتلف والضياع، والمتوفر منها قد أغفل كثيرا من الجوانب الحضارية؛ الاجتماعية منها والاقتصادية، ولم يعطنا إلا إشارات قليلة عن النظم الإدارية والمنشآت العمرانية.

إذا كانت طبيعة المادة التاريخية المتوفرة في كتب التاريخ العام هذا واقعها..؛ كان حريا بالرسائل والكتابات الرسمية أن تتبوأ مكانة علمية مهمة في مجال البحث والتاريخ، من خلال تنوع موضوعاتها؛ الإدارية منها، والاجتماعية، والاقتصادية، حيث أصبحت من بين أهم المصادر المساعدة على تغطية تلك الجوانب التي تفتقر إليها الحوليات، فتكون بذلك مصدرا مهما مضافا إلى كتب النوازل والفتاوى والوثائق، وكتب البرامج، ومختلف مؤلفات التراجم، وكتب الرحلات.

ونظرا لهذه الأهمية التي تكتسيها الرسائل والمكاتبات الرسمية نجد القلقشندي يصفها بأنها:" مبنية على مصالح الأمة وقوام الرعية، لما تشتمل عليه من مكاتبات الملوك ورعاية الناس في مهمات الدين، وصلاح الحال، وبياعات الخلفاء وعهودهم، وما يصدر عنهم من عهود الملوك، وما يلحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والأقلام الذين هم أركان الدولة وقوادها، إلى غير ذلك من المصالح التي لا تكاد تدخل تحت الإحصاء ولا يأخذها الحصر"[4].

فهي وسيلة هامة من وسائل بسط النظام إذا ما نظر إليها من الناحية الشكلية، كما أنها من حيث مضامينها المتنوعة تحتوي معلومات مهمة عن المبايعات والعهود والمواثيق، وقرارات العزل والتولية في صفوف الجهاز الإداري والعسكري؛ الذين هم أركان الدولة –على حد تعبير القلقشندي–، ولذلك ذهب العسكري في كتابه الصناعتين إلى اعتبارها – أي الرسائل والمكاتبات الرسمية – أهم شئ تنبني عليه التنظيمات الإدارية وأن هذه الرسائل عليها مدار السلطان والملك[5].

كذلك كان حظ الرسائل الديوانية والمكاتبات الرسمية عند الموحدين من العناية والأهمية؛ كونها الوسيلة الأولية والأساسية –إن لم نقل الوحيدة– في الإعلام والتواصل، هذا الأخير الذي أعطته الدولة أولوية بالغة،

واعتنت بإدارته ووسائله، هذه العناية التي فرضتها أوضاع تلك الإمبراطورية المترامية الأطراف برقعتها الشاسعة، حيث تعددت بذلك ولاياتها، وكثر خراجها، وتشعبت علاقاتها الخارجية.

وأصبحت الرسائل والمكاتبات الرسمية الوسيلة الدعائية الأساسية في الدولة، وهو واقع يترجمه لنا ذلك الكم الهائل من الرسائل التي جمعت في أكثر من مجموع، ومن تلك المجاميع "مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتّاب الدولة المؤمنية"[6]، ومجموع رسائل الكاتب الشهير أبي المطرف بن عميرة الذي اعتنى به الأستاذ محمد بن شريفة، واعتمد عليه في دراسته حول مؤلف هذه الرسائل[7]، وهناك مجموع آخر للكاتب الموحدي الشهير أبي القاسم أحمد البلوي الموسوم بعنوان "العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل" وهو يحتوي على أكثر من 24 رسالة، منها ما هو من إنشائه ومنها ما هو من إنشاء غيره من كتاب الموحدين[8]، كما توجد مجموعة رسائل يسمى كاتبها بيحيى الخدّوج، وهو عبارة عن مخطوط لم ينشر بعد[9].

إن هذا الجمع الهائل من الرسائل الرسمية الموحدية، يدل دلالة واضحة على مكانة الكتابة والتّرسل عند الخلفاء الموحدين، كما يوحي بما لهذه الرسائل من أهمية ودورٍ في مجال الإعلام والاتصال داخل الدولة وخارجها.

ونظرا للأهمية التاريخية للرسائل الموحدية نجد أحد أبرز كتاب ومؤرخي الدولة الموحدية –ألا وهو ابن القطّان– يستند على هذه الرسائل كتابة تاريخه وينقل بعضها في كتابه نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان[10]؛ إذ كان كاتبا في ديوان الإنشاء على عهد الخليفة المرتضى(646-665هـ/1248-1266م).

كما نستشف الأهمية العلمية والتاريخية لهذه الرسائل من خلال ما تحتويه من معلومات نقرأ من خلالها بعض الجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة، كما يمكن من خلالها تصور مستوى الحياة الأدبية والفكرية لهذا المجتمع بصفة عامة والكتّاب بصفة خاصة؛ من خلال الاطلاع على لغة كتابة هذه الرسائل وأساليبها ومصطلحاتها مختلفة.

ج/ شكل ومضمون الرسائل الموحدية:

تعددت مضامين الرسائل الرسمية الموحدية وتنوعت أغراضها حسب رتبة وحال المرسلة إليه، كما درج كتابها على نمط معين في كتابتها، فما هو مضمون الرسائل الرسمية الموحدية؟ وما الشكل الذي درج عليه الكتاب في كتابتهم؟.

1- الرسائل الرسمية من ناحية الشكل:

*** الهيكل العام للرسالة:**

على الرغم من تعدد أغراض الرسائل الرسمية الموحدية وتنوع موضوعاتها فإنها كانت تلتزم في هيكلها العام بشكل موحد، التزم به الكتاب في أغلب رسائلهم، ويتمثل هذا الهيكل العام في النقاط التالية:

- البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه، وغالبا ما تكون في رأس الرسالة منفصلة عن المضمون.
- ذكر المرسل ثم المرسل إليه، والدعاء لكل منهما بما يليق بمقامه وحاله .
- ثم ذكر التحية بعد ذلك والحمدلة .
- ثم بعد ذكر هذه النقاط يذكر الكاتب البعدية وهي إشارة إلى الانتقال إلى بداية الموضوع.
- تناول الموضوع الذي يريد الكاتب تناوله، وتضمينه الدعاء في كل مقام يستدعي ذلك.
- ثم بعد الانتهاء من الموضوع والخروج منه ببراعة أدبية يذكر الكاتب مكان الكتابة والدعاء لهذا المكان بالحفظ والحماية.
- أما تاريخ كتابة الرسالة فلا يرد بصفة دائمة في الرسائل وإنما يذكر فيها أحيانا.
- وبعد الانتهاء من كل الرسالة يضع عليها الخليفة علامته بيده في بدايتها، وهي صفة مشتركة لكل الرسائل الموحدية. ويورد لنا القلقشندى، -استنادا على ما توفر لديه من رسائل الموحدين- أساليب المراسلات فيقسمها إلى ضربين؛ رسائل صادرة عن الخلفاء والأخرى واردة إليهم، فأما **الضرب الأول** والذي هو الرسائل الصادر عن الموحدين فيقسمها، إلى قسمين أحدهما أن تكون المكاتبة مفتتحة بلفظ "من فلان إلى فلان" ويكون بذلك النص من أمير المؤمنين فيذكر اسمه ثم يدعوا له بما يليق، إلى فلان ويذكر اسمه ويدعوا له حسب مقامه[11]، ومثال ذلك الرسالة التي أنشأها الكاتب أبو الفضل ابن محشرة البجائي عن الأمير المنصور الموحدي بدايتها: من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته، ورسالة عبد المؤمن بن على إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعد بدايتها "من أمير المؤمنين أيده الله ونصره وأمده بمعونته، إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعد وفقه الله ويسره لما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[12].ثم يؤتى بالسلام ثم البعدية والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والترضية على الصحابة، ثم عن إمامهم المهدي، ثم يؤتى بالمقصود ويختم بالسلام، والخطاب في هذه الرسائل يكون بنون الجمع عن الخليفة، وميم الجمع عن المكتوب إليه، مثال ذلك قول الكاتب في الرسالة المذكورة: "...رأينا أن نخاطبكم بكتابنا هذا أخذا بأمر الله ... فأجيبوا رفعكم الله "[13].

والأسلوب الثاني: أن تبتدأ المكاتبة بالبعدية مباشرة ثم التحميد، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والترضية عن الصحابة، ثم عن الإمام المهدي، ثم يؤتى بالمضمون والمقصود ثم تختم الرسالة[14]، هذا بالنسبة

للرسائل الصادرة عن الخلفاء الموحدين، أما بالنسبة لأساليب المكاتبات الواردة إلى ديوان الإنشاء الموحدي فهي على أنواع:

الأول؛ أن تفتح المكاتبة بالدعاء، وهي على ضربين:

ضرب تكون الرسالة فيه من ملك إلى الخليفة الموحدي، فيكون الافتتاح فيها بالدعاء المناسب للحال، ويعبّر المكتوب عنه فيها عن نفسه بنون الجمع، ويخاطب المكتوب إليه بلفظ أمير المؤمنين، ومثال ذلك؛ الرسالة التي بعث بها السلطان صلاح الدين الأيوبي من إنشاء الكاتب القاضي الفاضل، إلى الخليفة المنصور الموحدي (580-595هـ/1184-1198م) يستجيشه فيها على الروم الفرنج القاصدين بلاد الشام والديار المصرية؛ حيث يفتتحها بقوله: "فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين وسيد العالمين وقسيم الدنيا والدين أبواب الميامين"، وعبر المكتوب عنه فيها بقوله:"كان من أوائل عزمنا وفواتح رأينا عند ورود الديار المصرية" وذلك بالتعبير عن نفسه بنون الجمع[15].

والضرب الثاني تكون الرسالة فيه من أحد الأشياخ إلى الخليفة؛ وصيغتها أن تفتح المكاتبة بالدعاء بطول البقاء، ويعبر المكتوبة عنه فيها عن نفسه بلفظ الإفراد، وعن الخليفة بأمير المؤمنين، ومثال ذلك ما كتبه ابن عميرة المخزومي الكاتب من جواب أهل سلا عن كتاب الخليفة الرشيد(630-640هـ/1232-1242م) حول موضوع بيعة أهل تلمسان يقول في بدايته: "الحضرة الإمامية العلية المقدسة الطاهرة المباركة، السنية السعيدة المنصورة المؤيدة، الرشيدية أيد الله أمرها وأعز نصرها وأوزع الأمة المحمدية حمدها وشكرها"[16].

الثاني؛ أن تفتح المكاتبة بألقاب الخليفة نفسه، ثم يؤتى بالصدر، معبرا عن المكتوب عنه بالعبد ومخاطبة الخليفة بميم الجمع للتعظيم، ثم يختم الكتاب بالسلام، وفي هذا النوع يوصف الخليفة بوصفين؛ إما بوصف المقام، ومن ذلك ما وصف به الناصر (595-610هـ/1198-1213م) في أحد الرسائل: "المقام الأعلى المقدس المكرم"[17]، أو يعبر عن الخليفة بلفظ الحضرة؛ ومن ذلك ما كتب به أبو المطرف بن عميرة المخزومي عن صاحب أراغون -مغاضبا لأهل مملكته- إلى الخليفة المستنصر الموحدي (610-620هـ/1213-1223م) يستأذنه في الوفادة على أبواب الخلافة يقول في بدايتها: "الحضرة الإمامية المنصورة الأعلام، الناصرة للإسلام، المخصوصة من العدل والإحسان"[18].

هذا فيما يخص الافتتاح، أما فيما يخص **أغراض الرسالة**؛ فالانتقال إلى الموضوع يكون غالبا بلفظ '**كتب**'و'**كتبنا**'، أما ورود لفظ '**وإلى هذا**'؛ فيدل دلالة قاطعة على الدخول وبصفة رسمية في صميم الموضوع الذي يتناول فيه الكاتب الغرض من الرسالة، ويذكر الحوادث والأخبار بالتفصيل، مع التعليق عليها اعتبارا ونصحا، ونظرا لهذا التفصيل تكون الرسائل الموحدية عادة طويلة.

أما **الختام**؛ فيكون غالبا بلفظ السلام، مسبوقا بالدعاء، مثلما يكون في بداية الرسالة، باستثناء الرسائل الموجهة إلى من ينتمي إلى غير ملة الإسلام كنصارى الأندلس وغيرهم؛ فكانت لا تبتدئ بتحية الإسلام ولا تنتهي بها، بل يكتفي فيها بذكر تاريخ الرسالة، كما يبدوا أثر العقيدة بارزا في الرسائل الموحدية من خلال إظهار شعائر الخلافة بذكر أمير المؤمنين، الإمامة، المهدوية، والترضّي على المهدي وخلفائه "الراشدين"[19].

*** علامة الرسائل الموحدية:**

لقد كان من الضروري في سنن الملوك اتخاذ علامات معينة لرسائلهم وكتبهم من أجل إعطائها الصبغة الرسمية، غير أن الخلاف يكمن بين هذه الممالك في لفظ العلامة ومن يتولى رسمها على الوثائق الإدارية، والموحدون كغيرهم اتخذوا علامة لرسائلهم وكتبهم لنفس الغاية، فما هي العلامة؟ وما هي مراسيم وضعها عند الموحدين؟.

1. تعريف العلامة:

العلامة في اللغة: هي إشارة خاصة تدل على الشئ وتعيّنه، وهي السمة، وجمعها علام، وعلى هذا الأساس تم استخدامها ووضعها على المكاتبات الرسمية؛ لتدل على أنها من الخليفة، أو من الأمير أو القائد[20].

أما العلامة من الناحية الاصطلاحية: فهي شارة في الكتب كالشهادة الشرعية في العقود، ولتوضيحها وإبرازها في الرسالة "كانت تكتب بقلم غليظ القطة"[21]، أي غليظ القطع من الرأس ليكتب الخط بحجم كبير؛ وهي طريقة مشهورة عند الخطاطين.

وهذه العلامة والتي نعني بها العلامة السلطانية، هي بمثابة الخاتم أو الطابع أو الشعار الخاص اليوم بالممالك والجمهوريات والإدارات الرسمية في أيامنا هذه، إلا أنها كانت فيما سبق "تكتب بخط اليد؛ إما من طرف الخليفة نفسه، أو من طرف كاتب خاص يتولى كتابتها يسمى في مصطلح كتابة الإنشاء "بكاتب العلامة"[22].

2. موضع العلامة من الرسالة:

أما عن موضع العلامة من الرسالة فهو يختلف من مملكة إلى أخرى، وبالنسبة للخلفاء الموحدين فإنهم كانوا يضعونها في أول الرسائل والصكوك والظهائر بعد البسملة، وقد أشار صاحب الفارسية إلى ذلك في قوله : "ولم يتسمّ في أول أمره – أي يوسف ابن عبد المؤمن (558-580هـ/1162-1184م)- بأمير المؤمنين، ولا خطب له بذلك، ولا كتب في صدور كتبه العلامة لامتناع الشيخ المجاهد المقدس أبي حفص

عن مبايعته حتى يختبر أمره".[23] ففي قوله ولا كتب في صدور كتبه العلامة دليل على أنها كانت توضع في بداية الرسائل .

وهناك رسالة بعث بها يوسف بن عبد المؤمن من جنوب المغرب بتاريخ 03 رمضان 561هـ/1165م تتضمن التحذير من المخالفات وتدعو إلى العدل والمساواة وتحمل في طياتها العديد من الأوامر تلقب هذه الرسالة بالرسالة المشهورة، وقد كتب فيها العلامة بخط يده وبصفة بارزة بعد البسملة[24].

ونظرا لأهمية العلامة واختصاصها بالخليفة وحده، لم يكن لأحد صلاحيات وضعها على الرسائل الرسمية ويتجلى ذلك في قول ابن عذراي في معرض حديثه عن تولية أبي عبد الله ابن وانودين بلاد المغرب من طرف الخليفة الرشيد قوله:"... وفوض له الرشيد النظر في أحوال تلك البلاد... وفي إصلاح حالهم وأمرهم وأعطاهم طبولا وعلامات، وكتب له بخط يده في جملة أوراق بعد البسملة علامات لينفذ بها الأوامر ويكتب لمن شاء الظهائر"[25].

وفي النص دلالة على أن العلامة كانت تكتب في بداية الرسالة وبالضبط بعد البسملة، كما أنها كانت من اختصاص الخليفة لوحده حتى في حالة تفويض بعض الولاة على الأمصار فلم يكن لهم الاستبداد بالأمور وإنفاذ الأوامر بعلامات خاصة بهم، وهذا يعارض ما ذهب إليه الأستاذ العزاوي صاحب مجموعة الرسائل الجديدة من افتراض أن يكون لبعض الولاة علامات خاصة بهم من أجل إعطاء رسائلهم صبغة رسمية بهذا النص الذي يورده صاحب البيان، إضافة إلى التضارب بين ما افترضه من جعل علامة رسائل السيد أبي زيد هي "وبالله التوفيق" في أحد رسائله، ثم اتخذ في رسالة أخرى ما كتب في آخرها وهي لفظة "وكتب في مستهل شهر رمضان المعظم سنة 597هـ" كعلامة لرسائله على وجه الافتراض كذلك بحجة أنه كتب بخط غليظ، وهذا ظاهر أنه تأريخ للرسالة، وأن الأول هو مجرد دعاء[26].

3. عبارة علامة الرسالة:

ولفظ علامة الرسائل الموحدية هو "الحمد لله وحده"، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " ثم نظر الموحدون في موضع العلامات المكتوبات بخط الخليفة فاختاروا الحمد لله وحده لما وقفوا عليها بخط الإمام في أحد مخاطباته، فكانت علامتهم إلى آخر دولتهم"[27].

وبهذا اللفظ أنشدت الشاعرة حفصة الركونية[28] الخليفة عبد المؤمن بن علي(541-558هـ/1146-1162م) في قولها:

ياسيِّد الناس يا مــن	**يأمل الناس رفـــده**
أمنن عليّ بطـــرس	**يكون للدهر عـــدّه**
تخـط يمناك فيـــــه	**الحمد لله وحده[29].**

كما نجد الشاعر أبا عبد الله بن مرج الكحل لمّا تذاكر مع مجموعة من الشعراء فتح المنصور للمهدية أنشد قائلا:

ولما توالى الفتح من كل وجهة ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده

تركن أمير المؤمنين لشكـره بما أودع السر الإلهي عنـــــده

فلا نعمة إلا تؤدى حقوقها علامتـــه بالحمد لله وحده[30].

ويورد لنا ابن صاحب الصلاة خبرا عن الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، إثر عودته من وقعة كانت على المخالفين بالمغرب، أنه أمر الشعراء أن يبتدؤوا في وصفها بلفظ **الحمد لله وحده** على طريقة الكتابة[31].

4. كاتب العلامة:

كان يتولى كتابة العلامة على الرسائل الرسمية الخليفة بيده، ولا ينفذ الكتاب إلى المكان الذي كتب لأجله إلّا بعد وضع هذه العلامة، وفي ذلك يقول صاحب مستودع العلامة : " ... فبعضهم يضعها بيده في الصك بحبر، ولم يتخذ لها كاتبا، كملوك الموحدين من بني عبد المؤمن بن علي، فإنهم كانوا يكتبون العلامة بأيديهم، ولم يكتبها لهم سواهم، وذلك من أولهم أمير المؤمنين عبد المؤمن إلى آخرهم أبي دبوس"[32].

ففي قوله دلالة على أن العلامة كانت من اختصاص الخليفة، وأنها كانت تكتب في الرسائل على الأقل منذ عهد الخليفة عبد المؤمن[33]، وبقيت هذه العلامة نفسها في فترة الخليفة يوسف، ثم ابنه يعقوب المنصور[34]، وفي فترة الناصر كذلك[35]، وابنه المستنصر[36]، وهذا يدل على خطأ من جعل سنة (561هـ) هي بداية اتخاذ العلامة من طرف الخليفة يوسف بن عبد المؤمن[37]، كما يظهر جليا وهم صاحب روض القرطاس في اعتباره أنّ أوّل من اتّخذ العلامة هو الخليفة المنصور[38]، وإنما يحتمل أن يكون ذلك تاريخ اتخاذها كعلامة للرسائل الموحدية بصفة رسمية، أو أن يكون هذا التاريخ هو بداية كتابة العلامة بخط يد الخليفة نفسه[39]. أما كون وجودها قبل هذا التاريخ؛ فهي ثابتة في رسائل عبد المؤمن ورسائل ابن تومرت قبله، غير أنه يلاحظ – في أواخر الدولة– تولي كتابة العلامة من قبل الغالبين على الخلفاء؛ من الوزراء وغيرهم، كما هو الحال في عهد الخليفة يحي المعتصم (624-633هـ/1226-1235م) [40].

*** طي الرسالة وختمها:**

لم تزودنا المصادر بالطريقة التي كانت تعتمدها الإدارة الموحدية في وطريقة طي الرسالة ختمها، إلاّ أنّ القلقشندي يورد إشارات عامة عن ذلك في بلاد المغرب[41].

1- طي الرسالة:

الطي في اللغة خلاف النشر[42]، وطريقته أن يلف الكتاب بعضه على بعض لفا خاصا، والترتيب في هذه العملية أن يكون المكتوب إلى داخل الكتاب، لأن المقصود من الطي هو صون المكتوب فيه[43].

وهناك طريقتان في طي الرسائل السلطانية؛ **أولاهما**؛ أن يكون لفّه مدوّرا كأنبوبة الرمح؛ وهي طريقة كتّاب المشرق، **والطريقة الثانية**؛ أن يكون طيّه مبسوطا في قدر عرض أربعة أصابع مطبوقة، وعلى هذا كان الحال جاريا في الدولة الأيوبية بالديار المصرية، إذ كان طي الكتب السلطانية عندهم يكون عرض أربعة أصابع، وكذلك من العلية إلى من دونها، أما الكتاب من الأدنى إلى الأعلى فلا يتجاوز به عرض إصبعين، وهذا ظاهر في أن الطي يكون عريضا لا مدورا، وعلى هذه الطريقة كان **أهل المغرب**[44].

2- ختم الرسالة:

الختم في اللغة: مصدر ختم، يقال: ختم الكتاب، يختمه، ختما، ومعناه: الطبع، وهو حفظ ما في الكتب بتعليم الطينة، و**الخاتم**: ما يوضع على الطينة، و**الختام**: الطين الذي يختم به على الكتاب[45].

أما في الاصطلاح الدواويني: فهو شد رأس الكتاب والطبع عليه بالخاتم، حتى لا يطلع أحد على ما في باطنه، إلى أن يفضّه المكتوب إليه، ويعرفه ابن خلدون بقوله:" وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو إشارته، يغمس في طين أحمر مذاب بالماء، ويسمى طين الختم، ويطبع به على طرفي السّجل عند طيّه وإلصاقه"[46]، وأول من اتخذ ذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم، لما قيل له: إن العجم لا تقبل كتابا بدون ختم، وأمر أن يكتب عليه محمد رسول الله(صلى الله عليه وسلم)[47].

وإذا كانت عملية ختم الرسائل ضرورة تقتضيها المراسيم الإدارية في خطة الكتابة الديوانية؛ فهي تختلف من مصر إلى آخر، وتتغير من زمن إلى زمن، فقد ذكر القلقشندي ثلاثة أنماط لختم هذه الرسائل نذكر منها طريقة أهل المغرب في ذلك، وملخصها؛ أن يخزم الكتاب من وسطه بالأشفار حتى تنفذ في بعض طياته، ثم تخرج من وجه الورق أيضا، ويدخل فيه دسرة –وهو المسمار أو الخيط من الليف– ويقطع طرف الدسرة، ثم يلصق على ذلك بشمع أحمر، ثم يختم عليه بخاتم يظهر نقشه فيه، ويسمى هذا النوع من الختم بالخزم[48].

أما فيما يتعلق بالختم عند الموحدين؛ فتشير المصادر إلى أنه كان للخليفة المنصور خاتم خاص برسائله الرسمية منقوش عليه: "أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين"[49]، ولا تتوفر معلومات عن طريقة الختم عند بقية الخلفاء في ما هو متوفر بين أيدينا من مادة علمية.

2 : الرسائل الرسمية من حيث المضمون .

لقد شملت الرسائل الرسمية الموحدية مواضيع متعددة ومهمة في نفس الوقت، كيف لا وهي الوسيلة الأساسية التي كانت تستخدمها السلطة في إنفاذ قراراتها، وطرح مشاريعها وإصلاحاتها، وتقييد

اتفاقياتها وعهودها ومواثيقها، وبالتالي؛ هي بذلك مادة ثمينة للباحث في مجال تاريخ وحضارة الموحدين، وسنتطرق في هذا المقام إلى أهم المواضيع التي تناولتها هذه الرسائل.

الدعوة إلى مذهب ابن تومرت الديني، وترسيخه بين العامة والخاصة، وذلك من خلال: نشر التوحيد على عقيدة ابن تومرت[50] من أهم المواضيع التي تناولتها هذه الرسائل، وغالبا ما يكون ذلك مصحوبا بالتعريض بعقيدة المرابطين من خلال رميهم بالتجسيم[51] والكفر، والتحريض على محاربتهم واستئصال شأفتهم، وهذا نجده واردا بإسهاب في أغلب الرسائل الصادرة عن ابن تومرت، ورسائل خليفته عبد المؤمن؛ الذي تميزت جل فترة حكمه بالصراع مع المرابطين[52]. كما ساهمت في ترسيخ هذا المذهب من خلال الدعوة إلى نشر كتب ابن تومرت، وتشجيع دراستها من طرف الطلبة والعامة،[53].

وحَوَت هذه الرسائل كذلك؛ ترسيخ مبدأ عصمة ابن تومرت ومهدويته – التي تعتبر أساس الدعوة الموحدية بالمغرب – ويتجلى ذلك في أغلب الرسائل، حيث تدعو في مقدماتها لابن تومرت، وتنعته بالعصمة والإمامة[54]. إلا أن هذا الموضوع نجده يختفي في الرسائل بعد تنكر الخليفة إدريس المأمون (624-629هـ/1226-1231م) لدعوة ابن تومرت، ونبذ مذهبه، وإبطال مهدويته وعصمته، وذلك في رسالة مشهورة بعث بها إلى كافة أقطار الدولة للخاصة والعامة يقول فيها: "... ولتعلموا أننا نبذنا الباطل، وأظهرنا الحق... وألّا مهدي إلا عيسى، وقد أسقطنا اسم من لم تثبت له عصمة"[55]. كما تضمنت هذه الرسائل؛ الترويج لمبدأ الإمامة على نظرية الشيعة الإمامية[56] لضمان استقرار ابن تومرت وخلفائه من بعده في منصب الخلافة، وضمها إلى المهدوية والعصمة مع صبغ ذلك بصبغة دينية.

كما تناولت الرسائل موضوع الدعوة إلى العلم، والعمل بالكتاب والسنة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والاعتناء بالعلم والعلماء، وفي نظير ذلك؛ يتعرض كتّابها إلى التعريض بالمرابطين ووصفهم بالتزمت والجمود، والحجر على العلوم وأهلها، كما تتضمن الإشادة بأسباب القيام على المرابطين من بسط العلم الصحيح بين الناس، والتمسك بالكتاب والسنة[57]، إضافة إلى تضمنها الدعوة إلى تطبيق أحكام الشرع وإلزام الموحدين بذلك سواءً كانوا رعية أو حكاما، والتشديد على أمراء الولايات بتطبيق العدل، وضبط الشهود والتحري في إثبات التهم، وأداء الحقوق والواجبات، والتحلي بالأخلاق الحسنة، ومتابعة المفسدين[58].

كما يعتبر موضوع البيعة من بين أهم مواضيع الرسائل الرسمية الموحدية، حيث تكون هذه الرسائل؛ إما صادرة من الخليفة إلى الرعية؛ حيث يرشح فيها أحد أبنائه وليا للعهد، ويكون ذلك عادة بمباركة من طرف أعيان الدولة ووجهائها، وتكون العامة تبعا لهم في ذلك[59]، وإما أن تكون تلك الرسائل موجهة من ولايات الدولة المختلفة إلى الخليفة، في وفود معينة، وطقوس معلومة، لإعلان البيعة لولى العهد

أمام الخليفة، وكانت تفتتح هذه الرسائل بالتلميح إلى مبدأ اختيار الأصلح والأكفأ[60]، ثم أصبحت ولاية العهد بعد ذلك خاصة بأسرة عبد المؤمن إثر تحويل الحكم إلى نظام وراثي[61].

ولقد كان للبيعة عند الموحدين صيغة خاصة يعمل على إلقائها كاتب الخليفة وهي: "تبايعون أمير المؤمنين على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة في المنشط والمكره، واليسر والعسر، والنصح له ولولاته، ولعامة المسمين، هذا ما له عليكم، ولكم عليه؛ ألاّ يجمر بعوثكم، وألاّ يدخر عنكم شيئا مما تعمكم مصلحته، وأن يعجل لكم عطاءكم، وألاّ يحتجب عنكم، أعانكم الله على الوفاء، وأعانه على ما تقلد من أموركم"[62].

الإخبار بالفتوحات والأعمال العسكرية : من أكثر المواضيع التي تناولتها الرسائل الموحدية، منذ عهد عبد المؤمن بن على إلى غاية نهاية الدولة، وهو أمر يعكس استمرار الأعمال العسكرية التي كان يخوضها الموحدون ضد أعدائهم؛ إما الخارجين عن طاعتهم من بقايا المرابطين كبني غانية، وبعض من سولت له نفسه الانفصال عن الدولة، أو صراعاتهم المستمرة ضد نصارى الأسبان في شبه الجزيرة الأيبيرية.

والرسائل المتوفرة لدينا في هذا الموضوع أكثرها في عهد عبد المؤمن، إذ أحصيت أكثر من ست وعشرين (26) رسالة في مجموع بروفنسال فقط دون المصادر الأخرى، منها ستة عشر(16) رسالة إلى عنصر الطلبة، وثلاث(3) رسائل إلى أهالي المدن، وأربع (4) رسائل إلى أفراد معينين، وثلاث (3) منها إلى جهات أخرى، ويمكن تفسير هذه النسبة العالية لهذا النوع من الرسائل في هذه الفترة، إلى أن الخليفة عبد المؤمن هو الأول الذي واجهته قوى أمام إقامة الدولة من المرابطين وغيرهم، فكانت اغلب مراسلاته في هذا الشأن[63].

استنفار الجيوش والحض على الجهاد: حيث أدت كثرة الحروب التي خاضها الموحدون ضد مناوئيهم إلى احتياجهم إلى الجند والمتطوعة بصفة مستمرة، فاضطر الخلفاء الى الاستنفار العام عن طريق الرسائل التي تحض على الجهاد وترغب فيه، ومن ذلك الرسالة التي بعث بها الخليفة يعقوب المنصور الى العرب، يدعوهم إلى الجهاد ويسترحلهم إليه برسالة شعرية من إنشاء كاتبه أبي عبد الله ابن عياش يقول في مطلعها:

أقيموا إلى العلياء عوج الرواحل وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل .

وقوموا لنصر الدين قومة ثائر وشدوا على الأعداء شدة صائل.

إلى أن يقول:

فلا تتوانوا فالبدار غنيمـــــة وللمدلج الساري صفاء المناهل[64].

ومما تضمنه هذا النوع من الرسائل؛ دعوة كافة الجند والمتطوعة إلى التمسك بعوامل النصر وأسبابه، من حسن النية، والتقوى، والثبات، والتوكل على الله، إضافة إلى توفير العدة اللازمة من الجند والسلع[65].

ولم تغفل هذه الرسائل معالجة الجانب النفسي للجند من خلال رفع معنوياته، هذا بالإضافة إلى تبيان الأسباب التي قامت عليها المعركة ودوافعها والتحذير من عواقب الانهزام الوخيمة، كما ينبه فيها إلى قوة الأعداء وعددهم، وتحذير الجند من ذلك لأخذ استعدادهم[66].

تنظيم العلاقات الخارجية من خلال إقرار الهدن والعهود، وتبادل التجارة: موضوع العلاقات الدولية وتنظيمها بين الموحدين ومن جاورهم من أبرز المواضيع في بطون الرسائل الرسمية، وتتمثل اتجاهات العلاقات الخارجية للموحدين – من خلال الرسائل- في أربع جهات أساسية:

1. **مع مملكة غانة:**

وفي هذا المجال نجد رسالة فريدة كتب بها أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن والي سجلماسة إلى ملك غانة، بسبب إساءة معاملة التجار المسلمين المغاربة وإعاقة مصالحهم وتجارتهم في مملكته، فأرسل إليه برسالة بليغة يعاتبه فيها على ذلك ويأمره بتسهيل أمور هؤلاء التجار وهي من إنشاء هذا الوالي الكاتب الشاعر نفسه يقول فيها: "نحن نتجاوز بالإحسان وإن اختلفنا في الأديان، ونتفق في السيرة المرضية، ونتألف على الرفق على الرعية، ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة والجور لا تعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة، وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف في ما هم بصدده، وتردد الجلابة إلي البلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها، ولو شئنا لاحتبسنا من في جهتنا من أهل تلك الناحية، لكنا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهى عن خلق ونأتي مثله، والسلام"[67].

ومما يمكن الإشارة إليه في هذا المقام انعدام الرسائل الرسمية بين الموحدين وبلاد السودان إذا استثنينا هذه الرسالة، وهو أمر يعيق الباحث في مجال العلاقات بين الطرفين، وربما يعود ذلك إلى انشغال الموحدين بالعلاقات مع قوى الشمال، أو أن الموحدين فوضوا هذه العلاقات إلى الأشخاص الطموحين من كبار التجار[68].

1. **مع إيطاليا:**

هناك رسائل كثيرة صادرة عن الخلفاء الموحدين إلى إيطاليا ومنها ما هو وارد من هذه الأخيرة إلي الخلفاء الموحدين، تحتوي مواضيع مختلفة من معاهدات السلم والعلاقات التجارية وغيرها، ومن تلك الرسائل ما كتب به المنصور الموحدي إلى أهل بيشة (BIZA)، وجهاتها حول إمضاء اتفاقية سلام

وتجاور بين البلدين، إضافة إلي تناولها بعض العلاقات التجارية، إجابة عن طلب الحكومة الإيطالية بتمديد مدة عهد السلام[69].

وهناك مجموعة لا بأس بها من الرسائل حول العلاقات بين الطرفين حول نفس الموضوع؛ من تنظيم العلاقات التجارية، واتفاقيات السلم، والمعاهدات المختلفة[70].

3- مع ممالك إسبانيا: وهي رسائل خالية تقريبا من الحديث عن العلاقات التجارية، وموضوعاتها تنحصر في العلاقات السياسية، وخاصة الحربية منها؛ كالتساهل القشتالي الأرغوني في توجيه المرتزقة لدعم ابن مردنيش[71] ضد الموحدين، ومحاولة القشتاليين كذلك لاستمالة بعض أمراء الموحدين للتمرد على الخلافة[72] .

كما تتطرق هذه الرسائل إلى الحملات التي كانت تقوم بها الجمعيات العسكرية والدينية الإسبانية على الحدود الموحدية، إضافة إلى غيرها من الإشارات المختلفة حول العلاقات العامة بين الطرفين الإسباني والموحدي[73].

ومن الجدير بالإشارة هنا أن الخلفاء الموحدين خاصة منذ عهد المنصور قد خصصوا كاتبا خاصا لاستقبال رسل الملوك- وخاصة رسل الروم منهم- إلى الخلفاء بعد أن كان يتم بصورة عفوية، وقد اكتسبت هذه الخطة أهمية بالغة منذ خلافة المأمون؛ الذي استعان بالأجناد القشتاليين، وزادت علاقة الموحدين بالنصارى، وخاصة في خلافة السعيد والمرتضى[74].

4- العلاقات مع الأيوبيين:

من المعلوم أن من أعظم المنجزات التي قام بها صلاح الدين الأيوبي قضائه على الدولة العبيدية وإنهاء وجودها بمصر سنة (567هـ)، وتحويله الدعوة للخلفاء العباسيين، وفي هذه الفترة توجه مملوك تقي الدين ابن أخي صلاح الدين قراقوش بحملة غرب مصر فاستولى على برقة وطرابلس[75]، الأمر الذي جعل العلاقات تتوتر بين الموحدين والأيوبيين.

ولم تكن بداية التوترات بفعل الأيوبيين فقط، بل إن ما اتخذه الموحدون من دعاية إلى دعوتهم في بلاد مصر اعتقادا منهم أنهم أحق بتسيير العالم الإسلامي من غيرهم؛ خصوصا وان الخلافة العباسية كانت في نهايتها، وكثيرة هي التلميحات حول تمني الخلفاء الموحدين ملك بلاد المشرق في رسائلهم، والتطلع إلى الاستيلاء على ما زُوِيَ للنبي صلى الله عليه وسلم مما بين المشرق والمغرب[76].

إضافة إلى ما يذكره ابن جبير في رحلته من أن الاعتقاد عند أهل المشرق من الحجازيين والمصريين هو اقتراب وصول الموحدين إلى بلادهم وملكها، إضافة إلى إشادتهم بالموحدين لقيامهم على تطبيق أحكام الشرع نظير ما يعانونه من كثرة البدع والمناكر، وأن لا إسلام بالنسبة إليهم إلا ببلاد

الموحدين[77]. وذلك ما كان يلمح به الخليفة المنصور بقوله: "نحن إنشاء الله مطهروها، ولم يزل هذا عزمه إلى أن مات"[78].

كان لهذه التوترات حضور في الرسائل الرسمية الموحدية؛ إذ نقرأ في إحدى الرسائل التي أنشأها الكاتب ابن محشرة بتاريخ (583هـ) تناولها لمشاركة قراقوش في عملية التشغيب قبل أن يضطر إلى الاستسلام[79]، كما نجد بعض الرسائل الواردة إلى الموحدين من طرف الأيوبيين، وأشهرها السفارة التي بعث بها صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة أبي يوسف يطلب منه المدد والمساعدة بالأسطول الموحدي للاستعانة به ضد الصليبيين، وما بعث به المنصور في أحد رسائله لضبط بعض العلاقات الاقتصادية واقتراحه بناء بعض المستشفيات للمرضى في مصر[80].

ثانيا: الظهائر (الصكوك)

تعتبر الظهائر من أنواع الكتابات الرسمية التي تنتمي إلى دائرة النثر الديواني، تتباين أغراضها وتختلف عن الرسائل.

أ/ تعريف الظهير

فالظهير في لغة العرب المعين والعون، والتظاهر هو التعاون[81]، **أما من حيث الاصطلاح**، فهو مرسوم وقرار، موجه من الجهات الرسمية، لصالح فرد أو جماعة معينة، ويكون الأمر فيه واجب التنفيذ من طرف الموجه إليه، ومن أسمائه الصك. والظهير بهذا المعنى لا زال يستعمل إلى الآن في العرف المغربي بمعنى المرسوم الملكي[82].

ب/ نماذج من ظهائر الموحدين

ومن خلال التعريف اللغوي للظهير والمعنى الذي يتضمنه محتواه، نجد هناك تطابقا بين المعنيين؛ إذ أن كلا من المعنيين يوحي بالإعانة والمساعدة، وتقديم الامتيازات، وهذا ما يفسر لنا عدم ورود ظهير ضد جهة معينة أو فرد معين حسب ما توفر لدينا من النصوص، كما أن ما يؤكد ذلك هو ورود تلك النصوص التي تحتوي الظهائر ببداية لا تحمل إلا معنى الإعانة والمساعدة ألا وهي لفظة" هذا ظهير كريم"،ومن ذلك ظهير الرشيد الموحدي لأهل الأندلس من الإنشاء الكاتب ابن عميرة المخزومي الذي يبدأ بلفظة: "هذا ظهير كريم أمر به أمير المؤمنين" ، فبدايته تدل على إعانة الخليفة ومساعدته، وهي لفظة ابتدأت بها جل الظهائر الموحدية، ولو كان له معنى آخر غير الإعانة، لتعددت ألفاظ بدايته، ولكنها ثابتة ومحصورة في هذا اللفظ بمعناه حسب ما يقرره القلقشندي[83].

ويبدو أن هذه النوع من الكتابة كان منذ عهد عبد المؤمن بن على، ومن ذلك ما أنعم به على الوفد الذي جاء من الأندلس برئاسة القاضي الفقيه أبي بكر بن العربي لتقديم البيعة له، "... وانصرفوا **بظهائرهم**

من كتب ابن عطية بالإنعام عليهم بصرف أموالهم وضياعهم عليهم"[84]، بينما يصف صاحب القرطاس هذا الظهير باسم المنشور، حيث يقول عن هذه الحادثة بذاتها: " وكتب لهم **منشورا** بتحرير أملاكهم"[85].

كما يورد لنا صاحب المعجب ظهيرا آخر أمر به عبد المؤمن كذلك لأحد الأشخاص الذين كان لهم الفضل عليه وعلى معلمه ابن تومرت؛ من الإنعام عليهم في بداية دعوتهم[86] فبعد وفاته خلف أبناء "كتب لهم (أي عبد المؤمن)**ظهيرا** بالعز والأمان، والبر والإحسان، وأن يكونوا حكاما على قبيلتهم"[87].

كما يورد لنا الغبريني إشارة عن ظهير لعبد المؤمن كذلك، وذلك في معرض ترجمته لأبي النجم هلال بن يونس إذ يقول:"... وكان عيشته من مستغلات أرض كانت له محررة **بظهائر** من قبل عبد المؤمن رحمهم الله"[88].

وربما تعود كثر هذه الظهائر على عهد الخليفة عبد المؤمن بن على، إلى أن الدولة كانت في بداية التأسيس، حيث كان هناك من له الفضل في تأسيس الدولة، من خلال خدمة مؤسسيها عبد المؤمن وابن تومرت، فأوجب تأدية حقهم ورد جميلهم بعد تأسيس الدولة، كما كان للدولة في البداية أعداء فاءوا إلى دعوة ابن تومرت، وركنوا إلى سلطة عبد المؤمن، فكان إلزاما إكرامهم ومجازاتهم.

ويورد لنا ابن صاحب الصلاة ظهيرا عن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في حقه بصفته كاتبا ورجلا من رجالات الدولة ذكر فيه قوله: "وخصّني – أي ابن صاحب الصلاة- منهم **بظهير** كريم، بأسهام، ومواساة معها أعانتني على الزمان الذميم، وأغنتني عن اللئام"[89].

وفي عهد الخليفة المستنصر، نجده يصدر ظهيرا لفئة غير مسلمة، وهم مجموعة من رهبان بوبلات، من الثغور الأرغونية، يأمر فيه بالسماح لهم باستغلال المراعي بالأراضي الإسلامية، وهو صادر بتاريخ العشرين من شهر ربيع الآخرة سنة 614هـ، ومما جاء فيه بعد البسملة والصلاة والعلامة الموحدية: "هذا **ظهير** كريم أمر به أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين... لرهبان بوبلات التي بجهة لاردة ... أباح به لماشيتهم وللقائمين عليها أن لا يذادوا في بلاد المسلمين..."[90].

كما كتب الرشيد لأهل مراكش بعد أن دخلها "**ظهيرا** بتأمين كافتهم، والعفو عن عامتهم، وعمن كان معهم من الموحدين"[91]، كما كتب في نفس الحادثة لعمه السيِّد أبي محمد "**ظهائر** برباع وكثير من العقار"[92].

ومن بين الظهائر المهمة التي وردت نصوصها كاملة ضمن الرسائل الرسمية تلك التي كتبها خلفاء الموحدين لأهل الأندلس أيام محنتهم في أوطانهم وأموالهم، فصدرت لذلك عدّة مراسيم تنص على الاعتناء بهذه الجالية وتكريمها، وكذا تعويضها عن ممتلكاتها التي فقدتها غداة سقوط قرطبة وبلنسية وغيرهما من المدن منذ المنتصف الأول من القرن السابع هجري.

ومن الظهائر الصادرة عن الموحدين في هذا المجال، ظهيرين صادرين عن الرشيد الموحدي كلاهما من إنشاء كاتبه أبي المطرف ابن عميرة المخزومي، أحدهما ظهير منحه للشيخ أبي بكر بن أبي الحسن بن غالب[93]، هو مؤرخ في 10جمادي الآخرة سنة 637 هـ/1239م، ومما ذكر فيه: "هذا **ظهير** كريم أمر به أمير المؤمنين ...للشيخ القائد الأكرم أبي بكر بن الشيخ المشرف أبي الحسن بن غالب... ويرتب له أربعون دينارا في كل شهر، مع مدّين من القمح، وأربعة أمداد من الشعير، وكل ذلك مطّرد له حيثما حل من بلاد الموحدين...فمن وقف عليه فليعمل بمضمونه، ولا يعدل عن واضح سننه"[94].

والظهير الثاني؛ صادر في حق أهل شرق الأندلس، أنعم به الرشيد عليهم، حين لجوئهم إلى المغرب بعد أن سقطت بلدانهم في يد النصارى، يخول لهم فيه سكنى رباط الفتح وتعميره بالمزروعات والمساكن وغيرها، وهو مؤرخ في الحادي والعشرين من شهر شعبان سنة سبع وثلاثين وست مئة للهجري637هـ، ومما جاء فيه: " هذا **ظهير** كريم أمر به أمير المؤمنين... للمتنقلين من أهل بلنسية وجزيرة شقر، وشاطبة ومن جرى من سائر بلاد شرق الأندلس مجراها"[95].

ومن الجدير بالإشارة حول أهمية هذا الظهير، أنه يسلط الضوء عن أقدم جالية أندلسية استوطنت الرباط، إذ أن جميع الذين أرخوا لهذه المدينة يقتصرون على ذكر الجالية التي نزحت إليه سنة 1018هـ/1609م، وذلك بعد قرار طرد بقايا العرب عن إسبانيا من طرف ملكها فيليب الثالث، أما هذه الجالية فهي خالية من وصف كتب التاريخ لها؛ الأمر الذي يجعلنا نلمس أهمية هذا الظهير بخاصة وأهمية الرسائل الديوانية بصفة عامة[96].

ومما يلاحظ على هذه الظهائر، أنها صادرة في بداية الدولة وفي أواخرها، والذي يفسر هذا؛ هو أن هذه القرارات كانت تصدر في أطوار التغير المهم في تاريخ الدولة، فعهد عبد المؤمن عهد تأسيس للدولة فأوجب استقطاب أعوان وتأليف قلوب المناوئين لضمان طاعتهم، كما أن عهد الرشيد هو بداية عهد سقوط الدولة، وظهور هجرات الأندلسيين إلى المغرب؛ بعد نجاح حركة الاسترداد من طرف ممالك الإسبان، فكان وجود هذه الظهائر في هذه الفترات نتيجة لتلك الأوضاع والتغيرات، والله أعلم.

ثالثا: التوقيعات

ومن الكتابات الرسمية في النثر الديواني الموحدي، التوقيعات، كان الخليفة يكتبها على القصص والكتب والرسائل والظهائر وغيرها من الكتابات الرسمية وحتى غير الرسمية، يعبر بها كاتبها على مقصوده بعبارة وجيزة وبليغة في نفس الوقت.

أ/ **تعريف التوقيعات:** التوقيع في اللغة له عدّة معان، فيراد به مخالفة الثاني للأول، والتوقيع في الكتاب؛ إلحاق الشئ فيه بعد الفراغ منه[97]، كما أن من معانيه التأثير الخفيف، ومن ذلك قوله: ناقة موقّعة

الجنبة؛ إذا أثّر فيها الرحل تأثيرا خفيفا، كما يعني الوقوع والإلزام، من قولهم وقع الأمر إذا حقّ ولزم، ومنه قوله تعالى: ﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا﴾[98] أي حقّ القول عليهم ولزم[99].

اصطلاحا: أما في الاصطلاح فيعرفه القلقشندي بقوله: "هو اسم لما يكتب في حواشي القصص بخط الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدم، وخط كاتب السر الآن"[100].

ويعرفه ابن خلدون بقوله: " ومن خطط الكتابة التوقيع؛ وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله، ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامُها، والفصلُ فيها، متلقاةً من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه"[101].

فمن خلال التعريفين؛ نجد أن معنى التوقيع في اللغة يكاد يطابق التعريف الاصطلاحي، فإن الموقع على القصص من الخليفة أو غيره يؤثر في الكتاب تأثيرا خفيفا بلفظ وجيز بليغ لا يغير الكتاب عن أصله بالكلية، إضافة إلى ما يحمله هذا التوقيع من معنى المخالفة، فإن التوقيع يخالف الموقّع به مضمون الكتاب.

وإذا تتبعنا هذا النوع من الكتابة السلطانية في عهد الموحدين، نجد ثبتا غير يسير من توقيعات الخلفاء منذ تأسيس الدولة إلى آخرها، وهي تدل دلالة واضحة على رسوخ قدم هؤلاء الخلفاء في الأدب وفنونه؛ إذ نجدهم صبغوها بإيجاز العبارة وبلاغتها، مع البراعة في مراعاة الحال؛ من جعلها مطابقة ومناسبة لكل أمر وفي كل مقام، إضافة إلى الاعتماد في صياغتها على الاقتباسات الرائعة؛ من جواهر الشعر، وآي القرآن الكريم، ولاسيما توقيعات الخليفة المنصور الذي كانت توقيعاته مضرب الأمثال في هذا الباب، كثرة وجودة.

ب/ نماذج مت توقيعات الموحدين:

ومن التوقيعات التي تمكن العثور عليها ما وقّع به الخليفة عبد المؤمن بن علي على قصيدة بعث بها إليه كاتبه ووزيره أبو جعفر احمد بن عطية، يستعطفه فيها بسبب ما لاقاه من وحشة هجران الخليفة له بعد إقصائه، وذلك بسبب الوشايات التي أثيرت حوله؛ من تقريبه لبقايا المرابطين و تزوجه احد نسائهم، فوجد الوشاة السبيل بذلك إلى استئصال شأفته، فنظم أحدهم أبياتا طرحت في مجلس عبد المؤمن يقول فيها صاحبها[102]:

قل للإمام أطال الله مدته ... قولا تبين لذي لب حقائقه

إن الزراجين قوم قد وترتهم ... وطالب الثار لم تؤمن بوائقه

وللوزير إلى أرائهم ميـــــل ... لذلك ما كثرت فيهم علائقـه

و لما وقف عبد المؤمن على هذه الأبيات؛ وغر صدره على وزيره، و تغيرت نفسه عليه، فكان أن وقّع على رسالة الوزير وشعره التي بعثها يستعطفه فيها و التي يقول في بعضها:

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد **بان العزاء لفرط البث و الحزن**

قد أغرقتنا ذنوب كلها لجج و عطفة منكم أنجى من السفن

وقّع عليها بقوله تعالى : ﴿ **آلآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين[103]**﴾[104].

ومن توقيعات الخليفة يعقوب المنصور؛ التي هي ابلغ و أشهر، أن المنصور طلب يوما من قاضيه أن يتخير له رجلين، عالمين احدهما لتعليم ولده و الآخر لحفظ أمره، فأتاه القاضي برجلين، وصف أحدهما بأنه بحر في علمه، ووصف الآخر بأنه برّ في دينه، غير أن المنصور لما اختبر حالهما وما لديهما من علم؛ قصرا بين يديه، و بدى له زيف دعواهما، فوقّع على رقعة القاضي بقوله:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ظهر الفساد في البر و البحر[105]﴾[106].

ومن توقيعاته كذلك؛ ما وقّع به على كتاب الاذفونش الذي بعث به إليه يستفزه لحربه، و يستعرض عليه بقوته، ويتبجح بكلام في هذا المعنى في رسالة طويلة، فلما قرأ المنصور الكتاب، أخذته غيرة الإسلام، ثم أمر بقراءته على الموحدين، وعزم على الجهاد واستعد له، ثم دعا المنصور بولده وولي عهده ودفع إليه الكتاب، وأمره أن يرد عليه الجواب، فقرأه ابنه ثم مزقه، ووقّع في ظهره:

قال الله العظيم: ﴿ ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنّهم منها أذلّة وهم صاغرون﴾[107]، **والجواب ما ترى لا ما تسمع**، وكتب بيت المتنبي:

ولا كتب إلّا المشرفيّة والقنا **ولا رسل إلّا الخميس العرمرم.**

ثم رمى بالكتاب إلى أبيه، فسرّ والده[108].

ومن توقيعاته كذلك؛ أنه في سنة 582هـ/1186م أمر القيِّم على أخويه زكريا وعمر وعمه سليمان بقتل كل من عمر وعمه سليمان دفنهما، وذلك لما ظهر عليهما من محاولة الخروج عن الطاعة، فلما علم بهما المنصور عجل رجوعه من بجاية، فخرجا يتلقيانه إلا أنه أمر بالقبض عليهما مكبلين بالحديد، حتى إذا وصل مراكش كتب إلى القاضي القائم عليهما بقتلهما وتكفينهما والصلاة عليهما، فقتلهما صبرا ودفنهما، وكتب يعلمه بذلك، ومما قال في وصف دفنهما: بنيت قبريهما بالكدان والرخام، وجعل يذكر حسن هذين القبرين، فكتب إليه موقعا على كتابه : **مالنا ولدفن الجبابرة، إنما هما رجلان من المسلمين، فادفنهما كيف يدفن عامة المسلمين[109]**.

ومما وقع به المنصور لقوم أتوه بفيل من بلاد السودان كهدية إليه، فأثابهم على تلك الهدية وأكرمهم، وأحسن إليهم، وردّ عليهم فيلهم ووقع لهم بقوله: **نحن لا نريد أن نكون أصحاب الفيل[110]**.

ومن توقيعات ولاة الموحدين؛ ما كتب به السيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن لأحد عماله وقد كثرت شكاوي الرعية فيه لظلمه لهم فوقع له: "**قد كثرت فيك الأقوال، وأغضاني عنك رجاء أن**

تتيقظ فتنصلح الحال، وفي مبادرتي إلى ظهور الإنكار عليك تنبيه إلى شر الاختيار وعدم الاختبار فاحذر، فإنك على شفا جرف هار"[111]. ومن توقيعات المأمون ما وقع به على رقعة امرأة اشتكت إليه من جندي نزل دارها وآذاها، ووصلت رقعتها إليه فوقع عليها : **يخرج هذا النازل ولا يعوض بشئ من المنازل**[112]. من خلال ما سبق نتبين أن الكتابات الرسمية لدى الموحدين تعددت وتنوعت، حيث تمثلت في الرسائل الديوانية، والظهائر والصكوك، وكذا التوقيعات، وهي كتابات مهمة اشتملت على الكثير من المعلومات التي زودت الباحث بصور عن مختلف مجالات الحياة في المغرب الإسلامي في الفترة الموحدية.

الهوامش:

---

[1]- القلقشندي،أبو العباس أحمد بن علي الفزاري ت: 821هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الهيئة المصرية للكتاب، 1405هـ/1985م، ج1، ص: 45.

[2]- الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي خلال القرنين (7-8 الهجريين)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1993م، ص: 84.

[3]- عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص 449.

[4]- القلقشندى، المصدر السابق، ج1، ص: 60.

[5]- العسكري، أبي هلال الحسن بن سهل، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي البجاوي ومحمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، دت، ص136.

[6]- وهو عبارة عن مخطوط يحوي سبعا وثلاثين رسالة صادرة عن الخلفاء الموحدين اعتنى بنشره وتحقيقه المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال سنة 1941م.

[7]- هو البحث الصادر تحت عنوان: " أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي حياته وآثاره" سنة 1966م.

[8]- أحمد العزاوي، رسائل موحدية (مجموعة جديدة)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، الطبعة الأولى: 1416هـ/1995م. ج1، ص14 .

[9]- له نسخة وحيدة في الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 4752.

[10]- ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الله الكتامي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي المكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م. ص:47.

[11]- القلقشندى، المصدر السابق، ج6، ص:443.

[12]- نفس المصدر، نفس الصفحة، بروفنسال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتّاب الدولة المؤمنية، الرباط، ط: 1941م، رسالة رقم: 29.

[13]- القلقشندي، المصدر نفسه، ج6، ص: 444.

[14]- نفسه، ص: 446.

[15]- نفس المصدر، ص: 527 وما بعدها. أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص: 182.

[16]- القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص: 530. أدب الرسائل في المغرب، ص: 383.

[17]- القلقشندي ، المصدر نفسه، ج6، ص: 532.

[18]- نفسه، ص:534.

[19]- حسن جلاب، الدولة الموحدية، أثر العقيدة في الأدب، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط2، 1985م، ص: 136-137. أدب الرسائل في المغرب، ص:392.

[20]- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرمة، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، 1417هـ/ 1997م، ج12، ص: 419..

[21]- ابن الأحمر، أبي الوليد، مستودع العلامة ومستبدع العلّامة، تح: محمد التركي التونسي، محمد بن تاويت التطواني، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، دط، 1384هـ/1964م، ص: 20.

[22]- ابن الأحمر، نفس المصدر، ص:21 وما بعدها.

[23]- ابن قنفد، أبو العباس أحمد بن حسين بن على بن الخطيب القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي، الدار التونسية للنشر، دط، 1968، ص:102.

[24]- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد الباجي، المن بالإمامة، (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987م، ص: 225.

[25]- ابن عذراي، أبو العباس المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج5 (قسم الموحدين)، تح: إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت الطنجي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1406هـ/1985م، ص:353.

[26]- عن اللفظ الأول، انظر العزاوي، رسالة رقم: 36، وعن اللفظ الثاني أنظر رسالة رقم: 52.

[27]- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م، ج6، ص: 239. وانظر الناصري، الاستقصاء، ج2، ص: 148.

[28]- ترجمتها في التكملة، تح: عبد السلام الهراس، دار المعرفة، الدار البيضاء، دط، 1415هـ/1995م ج4، ص: 260. وكان ذلك سنة 553هـ لما احتل عبد المؤمن بسلا قاصدا الأندلس للغزو.

[29]- المقّري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ج5، ص:104. سعد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي أغراضه وخصائصه الفنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995،ص:175.

[30]- المقري، المصر السابق، ج5، ص104.

[31]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص:280.

[32]- ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص:20-21.

[33]- العزاوي، رسالة رقم: 19.

[34]- نفسه، رسالة رقم: 35.

[35]- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص:231.

[36]- العزاوي، ظهير رقم: 105.

[37]- محمد عبد الله عنان، دواة الإسلام في الأندلس، قسم المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411هـ/1990م. ق2، ص:20، 21.

[38]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص: 217.

[39]- نلمس ذلك في قول ابن عذاري في أحداث سنة(562هـ) :"... ثم وقع الاتفاق أن يكتب أمير المؤمنين العلامة **بيده** التي هي **الحمد لله وحده**". ابن عذارى، البيان المغرب، ص: 94.

[40]- وذلك ما نستشفه من قول ابن عذاري في حديثه عن يحيى الموحدي قائلا: "وكان المتولي على باطن يحيى والحاجب له، والناظر عليه، والكافل لأموره، والضابط لنفقاته،...فتى اسمه بلال يكنى أبا حمامة، ... وعليه كانت تدور أحوال يحيى، إلى أن صار يكتب بخط مشرقي **العلامة** في ظهائره التي هي **الحمد لله وحده**، وأما غيره قبل هذه المدة فلا يرتاب في أنه كان يكتب العلامة عوضا منه، حتى لقد قيل عن امرأة أنها كانت تكتبها".ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 329.

[41]- لقلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص:353.

[42]- ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص:20.

[43]-القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص:353.

[44]- القلقشندي، نفس المصدر، ص: 352. القرشي، عبد الرحيم بن علي بن شيث، معالم الكتابة ومغانم الإصابة، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1408هـ/1988م، ص:70.

[45]-ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص: 163.

[46]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص:259.

[47]-القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص: 353.

[48]- وهو مأخوذ من خزم البعير؛ ومعناه أن يثقب أنف البعير، ويجعل فيه خيط أو نحوه. القلقشندي، المصدر نفسه، ج6، ص: 357.

[49]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 170.

[50]-وهي عقيدة مبنية على أمرين أساسيين، الأول يتمثل في نظرية المهدوية والعصمة الشيعية باعتقاد ان ابن تومرت هو المهدي المنتظر وانه إمام معصوم من الصغائر والكبائر، والأمر الثاني هو يتعلق بصفات الله حيث ينفي ابن تومرت بعض صفات الله عز وجل ويؤوّل بعضها، متأثرا في ذلك بمذهبي المعتزلة والاشاعرة في باب الأسماء والصفات، وهي عقيدة باطلة مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

[51]- احمد عزاوي، المرجع السابق، رسالة رقم: 2. كما وصف بني مردنيش بالكفار. رسالة رقم: 12 من المرجع نفسه. وقد نعت ابن تومرت المرابطين بالتجسيم نواحسمين ظرا لأنهم يثبتون صفات الله عز وجل على منهج السلف، من غير تعطيل ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل وهو خلاف مذهب المعتزلة والاشاعرة المتأثر به ابن تومرت المبني على تعطيل ونفي الصفات.

[52]- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، رسائل رقم: 2، 3، 4، 7.

[53]- ونلمس ذلك من خلال رسالة عبد المؤمن بن علي إلى الموحدين يدعوهم فيها إلى قراءة كتب المهدي ونشرها بالعربية والبربرية، ليفي بروفنسال، مجموع رسائل موحدية، رسالة رقم 23.

[54]- ليفي بروفنسال، الرسالة رقم 3. ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص310.

[55]- ابن عذارى، البيان المغرب، ص:267-268. الحلل الموشية، ص:164-165. العزاوي، ج1، ص:384.

[56]- حيث يعتبر ابن تومرت الامامة منصب ديني يعين صاحبه بالوحي، وان الإمامة محصورة في آل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وان الأئمة معصومون من الكبائر والصغائر، وان الإيمان بالإمامة على هذا النحو ركن الإيمان، وأن عدم الإيمان بها على هذا النحو كفر مخرج من الإسلام. ينظر: أعز ما يطلب، ص:245. وهي عقيدة فاسدة مخالفة لعقيدة السلف.

[57]- بروفنسال، المرجع السابق، ص: 129، 130 .

[58]- عبد الغني الكساسبة، المرجع السابق، ص: 34. 35. عبد الله علام، الدعوة الموحدية، ص: 353، 354.

[59]- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، دط، ج9، ص:408.

رسائل بروفنسال، رسالة رقم: 13.

[60]- المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط القاهرة، ص: 264.

[61]- بروفنسال، المرجع السابق، ص: 15، وعن بعض رسائل البيعات أنظر : المن بالإمامة ص ص: 259-261 و ص ص: 361-365. أحمد العزاوي، رسائل رقم: 17، 18، 19، 20، 40، 108، 121، 124.

[62]- انظر المراكشي، المعجب، ص:407. وإبراهيم حركات، المرجع السابق، ص:329.

[63]- ابن القطان، المصدر السابق، ص:210. ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص: 70، 201، 244. أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص: 50. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص ص: 735 – 737.

[64]- القصيدة في المعجب، ص: 294.

[65]- عبد الله علام، المرجع السابق، ص:351.

[66]- ابن عذراي، المصدر السابق، ص ص: 263، 265.

[67]- المقري، نفح الطيب، ج3، ص:368.

[68]- على الرغم من ندرة الرسائل الرسمية بين الموحدين وممالك السودان؛ إلا ان كتب الجغرافيا والرحلات تنقل لنا معلومات عن حركة تجارية هائلة ودؤوبة بين المغرب الموحدي وبلاد السودان خاصة الغربي منه.

[69]- أحمد العزاوي، ج1، ص ص173-175.

[70]- العزاوي، المرجع نفسه، أنظر الرسائل: من رقم46 إلى رقم 53، والرسالتان رقم:62 و 112

[71]- ترجمته في: وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ج2، ص: 492. بغية الملتمس، ص: 33، 34. المعجب، ص: 278. الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، ج2، ص: 232.

[72]- احمد عزاوي، رسالة رقم: 37.

[73]- نفس المرجع، رسائل رقم: 27، 28، 29، 34، 37، 42، 63، 67، 68، 77، 107، 115، 126.

[74]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص:536، 540، 634. عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص: 166.

[75]- أبو شامة الدمشقي، عبد الرحمن ابن إسماعيل المقدسي، كتاب الروضتين في أخار الدولتين النورية والصلاحية، طبعة القاهرة سنة:1287هـ، ج1، ص:234-235.

[76]- أحمد العزاوي، المرجع نفسه، الرسالة رقم: 30.

[77]- ابن جبير الكناني، الرحلة، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، د ط، د ت، ص:63، 69، 70.

[78]- المراكشي، المعجب، ص: 360.

[79]- بروفنسال، المرجع السابق، رسالة رقم:30 .

[80]- عبد الهادي التازي، سفارة السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور، **مجلة مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية**، المغرب، عدد رقم: 11، سنة 1994م، ص ص: 105-133 .

[81]- ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص: 525.

[82]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 341، حاشية.

[83]- القلقشندي، المصدر السابق، ج10، ص: 299.

[84]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 34.

[85]- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص:190.

[86]- المراكشي، المعجب، ص،301.

[87]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 82. ابن القطان، المصدر السابق، ص: 187.

[88]- الغبريني، أبو عباس أحمد بن أحمد البجائي، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1981،2م، ص: 169.

[89]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص:341.

[90]- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ج1، ص:347.

[91]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص:300.

[92]- نفسه، ص:302.

[93]- ذكره ابن شريفة باسم: ابن خالد بدل ابن غالب، وهو من رجالات الدولة الموحدية الذين خدموا أمراءها. المرجع السابق، ص:123.

[94]- أحمد العزاوي ، ج1، ص:391، 392.

[95]- أحمد العزاوي، المرجع السابق، ص:393.

[96]- محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص:123.

[97]- ابن منظور، المصدر السابق، ج 8، ص: 406.

[98]- سورة النمل، الآية: 87.

[99]- القلقشندي، ج1، ص: 53. ج11 ، ص: 114.

[100]- نفسه، ج11، ص: 114.

[101]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص:260.

[102]- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ /2003م،ج1، ص:129. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص226.

[103]- سورة يونس، الآية:91.

[104]- المقري، النفح، ج3، ص:101.

[105]-سورة الروم، الآية: 41.

[106]- المقري، نفح الطيب، ج3، ص: 367.

[107]- سورة النمل، الآية: 37.

[108]- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص:221،220. المقري، النفح، ج3. ص:102.

[109]- المراكشي، المعجب، ص: 353، 354،.

[110]- المقري، نفس المصدر، ج2، ص: 100.

[111]- المقري، النفح، ج3، ص:105.

[112]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص: 227.

جهود المستشرق ليفي بروفنصال

(Evariste Levi-Provençal)

في تحقيق تراث الغرب الإسلامي- رسائل الحسبة نموذجا

د/ عبد الحق شرف، جامعة تيارت

الملخص:

اهتم المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال (Evariste Levi-Provençal) بتراث الغرب الإسلامي اهتماما كبيرا، قلّ نظيره عند الكثير من أبناء جلدتنا. ذلك أن هذا الرجل سخّر حياته ليخرج الكثير من كنوز تراث الغرب الإسلامي من طي النسيان.

فقد حقق أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام؛ للسان الدين ابن الخطيب الجزء الخاص بالأندلس، ونشره تحت عنوان: تاريخ إسبانيا الإسلامية. كما حقق كذلك كتاب البيان المغرب لابن عذارى المراكشي، وغيرها من المؤلفات التاريخية.

إلا أن اهتمامات المستشرق ليفي بروفنصال لم تقتصر فقط على الميدان التاريخي، بل تعداه إلى الجانب الفقهي. فقد حقق مجموعة من الرسائل الفقهية التي تكتسي أهمية كبيرة في بلاد الغرب الإسلامي. وقد نشرت هذه الرسائل بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة 1955م في كتاب خاص، يضم ثلاثة رسائل فقهية مهمة في الحسبة؛ موضوع هذه الورقة العلمية وهي: رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة. ورسالة أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب؛ ورسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي في الحسبة.

مقدمة:

اهتم المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال بأبحاثه عن المسلمين في الأندلس. وله فضل كبير في الدراسات المستفيضة عن الأندلس والمغرب الأقصى، وخصوصا دراسته عن هذا الأخير خلال عهدي السعديين والعلويين.

وقد أنتج بروفنصال وحقّق العديد من المصنفات التاريخية، والتي عدّ منها عبد الرحمن بدوي في موسوعته عشرين عملا. وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نبين جهوده في هذا الجانب، ونقدم قراءة لرسائل الحسبة، ونقف على قيمتها التاريخية.

بروفنصال في سطور[1]:

ليفي بروفنصال (Evariste Levi-Provençal) مستشرق فرنسي مشهور، ولد في مدينة الجزائر العاصمة سنة 1894 من أسرة يهودية.

درس بثانوية قسنطينة بالعاصمة، ثم التحق بالجزائر العاصمة التي تتلمذ بها على يدي كبار المستشرقين خاصة روني باصيه (René Basset) وجيروم كركوبينو؛ ويعتبر هذان الأخيران الموجهان الأساسيان لحياة بروفنصال العلمية.

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى، التحق بالجيش الفرنسي في المشرق، فجرح في معكرة الدردنيل وأرسل على إثرها إلى الإسكندرية للمعالجة. وبعد شفائه أرسل إلى مدينة مراكش المغربية؛ وكان لهذا التوجه الجديد في حياته دورا بارزا في حسم مستقبله العلمي؛ إذ اختار الدراسات العربية الإسلامية نهائيا، وحصل على شهادة الدكتوراه برسالتين سنة 1922 بهذه المدينة. وكان موضوع الأولى تحت عنوان: "مؤرخو الشرفاء"، والثانية: "نصوص عربية من ورغة: لهجة جبالا شمالي مراكش".

لم تنحصر أعمال بروفنصال حول المغرب الأقصى فقط. فنجده ينطلق في رحلة علمية جديدة ابتداء من سنة 1928 وجّه من خلالها عنايته الكبيرة لتاريخ الأندلس –إسبانيا الإسلامية- وأصدر العديد من المؤلفات التاريخية في هذا الإطار.

وخلال سنة 1935 عين أستاذا للتاريخ الإسلامي بكلية الآداب بجامعة الجزائر. ثم غادر مع مطلع سنة 1938 إلى القاهرة بدعوة من كلية الآداب بالجامعة المصرية[2]، حيث قدم مجموعة برعايتها ثلاث محاضرات باللغة الفرنسية حول "الحضارة العربية في إسبانيا" في الجمعية الجغرافية الملكية المصرية[3].

وبعد قيام الحرب العالمية الثانية، وانهزام فرنسا في جويلية 1940، صدرت عدة قوانين ضد اليهود. وباعتبار انتمائه للطائفة اليهودية؛ كان بروفنصال أمام خطر حقيقي؛ لكنه وبتدخل بعض أصدقائه في فرنسا، أعفي من هذه القوانين عليه، وعين أستاذا بجامعة تولوز جنوبي فرنسا سنة 1945.[4] كما أنه تعاون مع محمد بن أبي شنب لتصنيف المخطوطات العربية بخزانة الرباط.[5]

جهود في تحقيق تراث الغرب الإسلامي:

خلّف بروفنصال بعد وفاته سنة 1956، العديد من التآليف والتحقيقات الجادة، عدّ منها صاحب موسوعة المستشرقين عشرين عملا[6] إليك بيانها:

1- وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين، باريس سنة 1928.

2- المخطوطات العربية في الاسكوريال، باريس سنة 1928.

3- البيان المغرب لابن عذاري الجزء الثالث، باريس سنة 1930.

4- رسالة في الحسبة لأبي عبد الله محمد السقطي المالقي، باريس سنة 1931.

5- نقوش عربية في إسبانيا، باريس – ليدن سنة 1931.

6- قام سنة 1932 بإصدار طبعة منقحة ومجددة من كتاب: " تاريخ المسلمين في إسبانيا" تأليف رينهرت دوزي- ونشره في ليدن.

7- إسبانيا الإسلامية في القرن العاشر الميلادي: النظم والحياة الاجتماعية، نشرع في باريس.

8- أعمال الأعلام لابن الخطيب: تاريخ إسبانيا الإسلامية، الرباط 1934 وأعيد طبعه في بيروت سنة 1956.

9- مذكرات عبد الله آخر ملوك بني زيري في غرناطة، بمدريد في مجلدين سنة 1936، 1940.

10- صلة الصلة لابن الزبير، الرباط سنة 1938.

11- شبه جزيرة إيبيريا في العصر الوسيط، بحسب كتاب الروض المعطار، ليدن – بريل سنة 1938. أما النص العربي لكتاب الروض المعطار فقد طبعه بمصر.

12- الحضارة العربية في إسبانيا نظرة عامة، نشره باللغة الفرنسية سنة 1938 بمصر، وأعاد نشره في باريس سنة 1948.

13- سبع وثلاثون رسالة رسمية للموحدين، الرباط 1941.

14- إشبيلية الإسلامية في بداية القرن الثاني عشر ميلادي: رسالة ابن عبدون عن حياة هذه المدينة وعن نقابات المهن. باريس 1947.

15- تاريخ قضاة الأندلس للنباهي المسمى: المرقة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا. دار الكتاب المصري، 1948.

16- البيان المغرب لابن عذارى الجزء الأول: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي حتى القرن الحادي عشر الميلادي. ج2: تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح حتى القرن الحادي عشر. وهي طبعة جديدة بالتعاون مع جورج كولان. ليدن –بريل 1948، 1954.

17- الإسلام والغرب: دراسات في تاريخ العصر الوسيط، ج1، باريس 1948.

18- كتاب: نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيري، القاهرة، دار المعارف 1953.

19- جمهرة أنساب العرب لابن حزم، طبع في القاهرة.

20- ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، القاهرة 1955.

وسنقف عند المؤلف الأخير، للتعريف به، والوقوف على أهم مواضيعه. وهذا المؤلف عبارة عن وثائق تتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط[7].

أولا: رسالة في القضاء والحسبة

وقد وردت في مؤلفه بين (ص ص: 1-65). ومؤلفها هو ابن عبدون التجيبي؛ محمد بن أحمد المتوفى على الراجح سنة 527هـ/1132م[8]، وقد حققته فاطمة الإدريسي ونشرته دار ابن حزم.

وتعتبر رسالة الحسبة لابن عبدون؛ مصدرا هاما للعديد من الدارسين وخاصة منهم المستشرقين، رغم جفاف موضوع الحسبة، نظرا لضيقه، وندرة الإشارات عنه في كتب التاريخ العامة.

وقد قسّم رسالته إلى أربعة فصول:

خصص الأول منها للحديث عن أمر القاضي ومعرفة الوجوه التي تصلح له[9].

ثم تحدّث في الفصل الثاني عن وزير السلطان[10].

كما أفرد الفصل الثالث للحديث عن صاحب المدينة وصاحب المواريث والقاضي والحاكم والمحتسب[11].

وخصص آخر فصل للحديث عن المباني وإصلاح الطرق والسروب والمزابل وإماطة ما فيه ضرر للمسلمين[12].

وقد ختم ابن عبدون رسالته هذه بخاتمة بليغة أوضح من خلالها أهمية مؤلّفه في الحسبة، جاء فيها: "وقد جمعنا في منافع المسلمين، وإصلاح شأنهم، ما قدرنا عليه، وما كانوا في هذا العصر محتاجين إليه بعون من الله وتأييده، والذي لم نذكر أكثر مما ذكرته...وفقنا الله للخير وأعاننا عليه، بمنّه ولطيف صنعه، آمين يا رب العالمين"[13]

ثانيا: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب

وقد وردت في مؤلفه بين (ص ص: 66-116). ومؤلفها هو أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف القرطبي المتوفى سنة 424هـ/1032م.[14] وقد حققت هذه الرسالة فاطمة الإدريسي، ونشرتها دار ابن حزم.

وقد بدأه بمقدمة مهمة جاء فيها: "الحمد ذي الآلاء والمنّة، والكبرياء والعظمة، الذي قدّر الأشياء، وخلق الأرض والسماء، مبتدع الأقوات، والآمر فيها بالحسبة في كل الأوقات، فقال وهو أصدق القائلين لنبيه صلى الله عليه وسلم: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)[15]"[16].

أنزل ابن عبد الرؤوف القرطبي رسالته في نحو اثنين وثلاثين عنصرا أو نظرا –على حدّ تعبيره–كما يلي:

- النظر في الصلاة وتكلم بداية عن الطهارة من غسل ووضوء وتيمم، واتبع ذلك بالكلام على صلاة الجماعة وذكر في أثناء ذلك أحوال الإمام الذي به انتظامها وتمامها، وتكلم عن علامة دخول الوقت وتكلم عن الآذان وما يتعلق به من أحكام احتسابية، وختمه بحكم صلاة الجمعة وبين ما يجب على المحتسب فعله تجاه من يحتسب عليه فيها. ليختم كلامه في هذا العنصر بالحديث عن الجنائز وما ينهى الناس عنه مما أحدثوا من منكرات وبدع[17].
- النظر في الصيام وتحدث فيه عن إلزام الصبيان به إذا أطاقوا الصيام، ثم بين ما يدخل به شهر رمضان[18]. وتكلّم بعده عن النظر في الزكاة وعن شرط وجوبها، وأتبعه بوجوب زكاة الفطر، وأصناف ما تخرج منه[19].
- النظر في النكاح وبين فيه حكمه وشرط الخطبة فيه، والحث على نكاح الأبكار، وطعام الوليمة، وغير ذلك مما يتصل بموضوع النكاح[20].
- النظر في الأحباس أو الأوقاف، وبين تعلقها بالوصايا، والمنع من تغيير شكلها في غير ما وضعت له، والمنع من أن يدخل منها شيئاً في منافع من يليها، وبين أنها لا تغير عن حالها بوجه ولا على حال[21].
- النظر في البيوع وبين أنها تتعلق بأشياء ثلاثة مرجعها إلى أهل الصرف في الغالب[22].
- النظر في الصناعات وقصد بذلك البزازون، وبين ما يمنعون منه من المعاملات كالغش والغرر[23].
- النظر في العطارين وما ينهون عنه من خلط الطيب بالدون، والهندية بالبلدية.
- النظر في الكتانين وما يمنعون عنه الغش كرش الكتان بالماء، وألا يستعمل في بيعه النساء إلا مع الشيوخ الثقات لا الشباب.[24]

- النظر في الحناطين ويقصد بهم من يبيع الحنطة، فذكر أنهم يمنعون من خلط الجيد بالرديء، وكل ما يدخل تحت الغش، كما بين أنهم يؤمرون بتغطية الدقيق، وصيانته عما يفسده، وتطرق تحت هذا العنوان لمسألة التسعير والخلاف فيها. [25]

- النظر في الخبازين، بين فيه مطالبتهم بإنعام الخبز، وألا يكثروا من الماء، وينهون عن كل ما يفسد الخبز وأنهم يؤمرون بالتفريق بين الخبز المختلف الوزن، ويمنعون عن العجن بالماء الذي لا يؤمن منه إفساد العجين[26].

- النظر في الفرانين وما يمنعون من حرق ما لا تؤمن نجاسته، أو إضراره، وأمرهم بحفظ الخبز وتعهده قبل إدخاله في الفرن، كما بين أنهم يؤمرون بتنظيف الأفران وغسلها وكنسها[27].

- النظر في التيّانين –من يبيعون التين–وأنهم يمنعون من خلط الجيد بالرديء، ويؤمرون بتغطيتها وتفقد معاييرهم قبل الوزن[28].

- النظر في اللبانين –من يبيعون اللبن–وأنهم ينهون عن بيع الحليب بالسمن والزبد[29].

- ثم عقد عنواناً للنظر في الجزارين وما يمنعون عنه من شراء الحيوان الحي بالميت، وخلط اللحم البائت بالطري، والهزيل بالسمين. [30]

- النظر في الطباخين، وظاهر كلامه أنه يقصد بهم من يطبخون اللحم خاصة، وبين أنه يجب على المحتسب أن يتفقدهم في الغداة والعشي.

- النظر في بياعي الحوت ووجوب أن يكون لهم مكان في السوق في معزل عن الطريق، وأنهم يلزمون بتنظيف الساحة ويمنعون مما يولد العفونة فيه. [31]

- النظر في القلائين للحوت والإسفنج، وأنهم يؤمرون بتنقية الحوت وغسله، وعدم القلي بالزيت الرديء، وبين أنهم يؤمرون بغسل المقالي وتنظيفها[32].

- النظر في أحوال البياعين ويقصد بهم من يبيعون الفواكه، وبين متى يصح الكيل والوزن فيها، ويؤمر الناس بترك ما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم من بيوع الغرر.

- النظر في بياعي الجبن، وبين ما يجوز أكله من الأجبانٍ مما لا يجوز، وأنه يجب عليهم التفريق بين اللين والشديد، وبين أصناف الجبن كله.

- النظر في صانعي الهريس، وأنهم يؤمرون بغسل المهراس والقدر وأن تترك مكشوفة، ويتفقد ما يباع معها من العسل والسمن والشحم.

- النظر في الحصارين وهم من يعملون الحصر، فيمنعون من عمل الحلقة القصيرة وينهون عن طبخها، ويؤمرون بتحسين ما يخبط به الحصر[33].

- النظر في الجلادين والقراقين، وأنهم يمنعون من بيع الجلود النيئة، وأن تباع مدبوغة[34].

- ثم عقد عنواناً للنظر في الفرائين، وأنهم ينهون عن كل ما يستر عيوبها كتتريب وجوه الفراء[35].
- النظر في الحاكة، وأنهم يمنعون من تصبيغ الديباج ليتصفق بذلك ويشتد، ويمنعون من الرش بالماء عليها لتتحسن[36].
- النظر في الزياتين وبائعي السمن والعسل بين فيه منعهم من خلط الرديء بالطيب، والبار بالحار، وألا يخلط بالماء[37].
- النظر في الموازين والمكاييل والكفات والأرطال والأرباع والأرطال[38].
- النظر في الطرق، وأنه يمنع الناس من الجلوس فيها، وكذا طرح الأزبال والجيف، وكذا الأوساخ[39].

ثالثا: رسالة في الحسبة

وقد وردت في مؤلفه بين (ص ص: 117-128). ألّفها عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي[40]. ابتدأها بقوله: "الحمد لله ذي العظمة والجلال، المنفرد بالكبرياء والعزّة والكمال، المنزّه عن الصاحبة والولد، والأشباه والأمثال، المتعالي عن التكييف والحدوث والانتقال، المبتدي خلقه بالإنعام والأفضال. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله خير آل. أما بعد: فإن ديوان الحسبة من أعظم الدواوين... وليس بعد خطة القضاء أشرفَ من خطة الحسبة"[41].

وقد أنزل الجرسفي رسالته في سبعة فصول أجملها في قوله:

"وها أنا أبيّن فصولها على الإيجاز والاختصار، وأنكّب عن التطويل والإكثار. فأولها ومعتمدها: إصلاح آلات الكيل والوزن بالتحقيق السديد، وضبط الأشياء المتشتتة من التبديد، وحسم البياعات والصناعات من أنواع الغش، والتدليس في الثمن والمثمون، ووجوه الخيانة، والمنع من تلقي السلعة قبل أن ترد إلى سلعها المعلومة، ويتقدم في النهي عن البيع يوم الجمعة والإمام على المنبر".[42]

وقد ذكّر الجرسيفي بمهام المحتسب، مستدلا بأقوال كبار العلماء كمالك، والشافعي، وابن القاسم، والنووي، والماوردي، وابن سهل، قائلا:

- ويجب على ولي الحسبة النظر في معاش المسلمين[43].
- ويجب على ولي الحسبة أن يحتاط جهده في الطهارة في المأكول والمشروب والملابس وغير ذلك[44].
- ويجب عليه النظر في شوارع المسلمين وأسواقهم[45].
- ويمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين في منازلهم، والتكشيف عليهم[46].
- ويجب عليه أن يمنع من كل ما يضرّ بالموتى، كالمزابل ووقود النيران، واتخاذ الخرق وشبه ذلك[47].

- ويجب عليه أن يمنع أهل الإذاية جملة...كالحشاشين...والقرّادين...الطوّافين على الدور...والمتحيّلين عليهم ممن يتخذ بالأباطيل، ويتعلل بالأطاليل، كالحُساب والكهنة، والعشابين، والمهّانين، والمخنثين، وأهل الفجور...[48]
- ويجب على ولي الحسبة ألا يهمل أحوال الباعة، أو يوكل أمرهم إلى من لا ترضى حالته، بل يتفقد أحوال حاشيته وبطانته، ويجتهد في ذلك جهد غايته.[49]

وقد ختم رسالته قائلا: "والله تعالى يوفّق الجميع للصواب، ويعصمنا من الزيغ والزلل وسوء الاكتساب، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وهو حسبي ونعم الوكيل"[50].

خاتمة:

إن عكوف المستشرق بروفنصال على تحقيق ونشر رسائل الحسبة –موضوع هذه الورقة العلمية–لم يكن وليد الصدفة، بل كان نابعا من قناعته الشخصية أنها تعدّ مصدرا هاما من مصادر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي.

ورغم أن رسائل الحسبة جاءت ذات صبغة فقهية، إلا أنها ضمت بين طييها العديد من الإشارات التاريخية المهمة عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعيشها الإنسان المغربي، فمثلت هذه الرسائل بحق انعكاسا مباشرا لهذه الحالة، فجاءت ثرية ومتنوعة في بابها، وهو الأمر الذي استثمره بروفنصال ووظفه في عديد الدراسات.

ورغم مرور أكثر من نصف قرن عن صدورها سنة 1955 وقبلها سنة 1934 ضمن المجلة الآسيوية، إلا أنها لم تحظ بالعناية الكافية اللازمة، دراسة أو تحقيقا أو نشرا، عدا جهود فاطمة الإدريسي التي أعادت نشر رسالة ابن عبدون وابن عبد الرؤوف.

ونظرا للقيمة التاريخية الكبيرة لهذه الرسائل، فإن إعادة تحقيقها تحقيقا أكاديميا ثم نشرها، سيكون بحق إضافة مهمة لرصيد تاريخ الغرب الإسلامي.

هوامش البحث:

1- عن تفاصيل وافية عن حياة بروفنصال راجع:

Régis Blachère , Évariste Lévi-Provençal, Arabica, revue d'études arabes et islamiques, tom3, 1956, issue 2, pp : 133- 135.

Janine Sourdel and Dominique Sourdel, Liste Des Travaux Du Professeur E. Lévi-Provençal, Arabica, revue d'études arabes et islamiques, tom3, 1956, issue 2, pp : 136-146.

- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، بيروت : دار العلم للملايين، ط3، 1993، ص : 520-522.

- لفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، تعريب: عبد القادر الخلادي، المغرب: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977، ص ص: 9-14. وقد نقل المعرب الترجمة كلها عن مجلة أرابيكا السابقة الذكر.

- الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج2، بيروت : دار العلم للملايين، ط15، 2002، ص ص : 34-35.

2- ليفي بروفنصال، الحضارة العربية في إسبانيا، تر: طاهر أحمد مكي، مصر: دار المعارف، ط3، 1994، ص: 3. وقد قدم المترجم نبذة وافية عن حياة المستشرق بروفنصال.

3- بدوي، المرجع السابق، ص: 520.

4- نفسه.

5- الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص ص: 34-35.

6- بدوي، موسوعة المستشرقين، ص: 521. وقد نقلنا ما ذكره صاحب الموسوعة بشيء من التصرف.

7- نوّه بأهمية هذه الرسائل موسى لقبال في كتابه الحسبة المذهبية. راجع: موسى لقبال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي: نشأتها وتطورها، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1971، ص: 7 وص: 11.

8- راجع: الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص: 149. حيث أورد الاختلاف الحاصل في تاريخ وفاته عند من ترجموا له.

9- ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص: 7.

10- المصدر نفسه، ص: 14.

11- نفسه، ص: 16

12- نفسه، ص: 34

13- نفسه، ص: 61.

14- **محمد بن علي بن هشام بن عبد الرؤوف الأنصاري**: من أهل قرطبة، وصاحب أحكام المظالم؛ يكنى: أبا عبد الله. ذكره ابن حيان وقال: كان واسع العلم، حاذقاً بالفتوى، صليباً في الحكم، شديداً على أهل الاستطالة، عالماً باللسان، ورعاً عفاً، جواداً على الإضافة، كريم العناية، مؤيداً للحق، نزه النفس، طيب الطعمة، توفي ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة أربع وعشرين وأربع مائة. ودفن ليلة الأربعاء لصلاة العصر بمقبرة أم سلمة وصلى عليه يونس بن عبد الله القاضي. ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ج2، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1989، ص: 755. القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج8، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1983، ص ص: 11-12. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ج3، دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 2002 ، ص ص: 1151-1152.

15- سورة الأعراف، الآية: 199.

16- ابن عبد الرؤوف، رسالة في آداب الحسبة، ص: 69.

17- المصدر نفسه، ص ص: 70- 77.

18- نفسه، ص ص: 77-78.

19- نفسه، ص ص: 78-79.
20- نفسه، ص ص: 79-83.
21- نفسه، ص: 83.
22- نفسه، ص: 84.
23- نفسه، ص: 85.
24- نفسه، ص: 87.
25- نفسه، ص: 88.
26- نفسه، ص: 89.
27- نفسه، ص: 91.
28- نفسه، ص: 91.
29- نفسه، ص: 92.
30- نفسه، ص: 92.
31- نفسه، ص: 97.
32- نفسه، ص: 97.
33- نفسه، ص: 102.
34- نفسه، ص: 102.
35- نفسه، ص: 103.
36- نفسه، ص: 104.
37- نفسه، ص: 105.
38- نفسه، ص: 106.
39- نفسه، ص: 110.
40- توفي سنة 1279هـ/1862. الزركلي، ج5، ص: 51. وذكره صاحب خلال جزولة عرضا. راجع: محمد المختار السوسي، خلال جزولة، ج3، المغرب: تطوان، د ت، ص: 65.
41- الجرسيفي، رسالة في الحسبة، ص: 119.
42- نفسه، ص: 120.
43- نفسه، ص: 120.
44- نفسه، ص: 121.
45- نفسه، ص: 122.
46- نفسه، ص: 122.
47- نفسه، ص: 123.
48- نفسه، ص: 123.
49- نفسه، ص: 125.
50- نفسه، ص: 128.

رسوم وتقاليد مجلس الوزراء بالأندلس في العهد الأموي

(138-422هـ/756-1031م)

د/وهراني قدور، جامعة تلمسان

عرف نظام الوزارة في الأندلس تطوراً كبيراً، فكان للأمويين فَضْلٌ كبير في تنظيمه وتقديمه بشكل جديد وراقٍ، فأصبح للوزير دور مهم ومؤثر في مختلف شؤون الدولة، واكتسبت الوزارة في قرطبة خلال الفترة الممتدة بين (138هـ/756م -422هـ/ 1031م) خصوصية ميزتها عن سابقتها بدمشق، فقد أنشأ الأمويون بالأندلس نظاماً حكومياً متكاملاً، فارتقوا بدولتهم إلى مصاف الدول العُظمى في ذلك العصر.

عرفت الأندلس خلال هذه الفترة ظاهرة سياسية جديدة لم يعرفها التاريخ الإسلامي من قبل، هذه الظاهرة هي التعددية الوزارية، يقول ابن خلدون: «أما الوزارة فقد قُسّمت أصنافاً، وأفرد لكل وزير مهمة يختص بها، فجعلوا لحسبان المال وزيراً، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً، وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيراً، وللخيل وزيراً»[1]، وبذلك تعدّدت اختصاصاتها واختلفت، مما ساعد على التفرّغ للإنجاز أو الإشراف على المشاريع العمرانية والعسكرية[2]. وقد أُستحدث هذا المنصب مع اعتلاء الأمير "عبد الرحمن الأوسط" الحكم سنة 206هـ/822م، إذْ أنّها لم تعرف بالأندلس قبل ذلك[3]، ومثّل الحاجب دور الوسيط والمنسّق بين الوزراء والأمراء.

كانت مهمة الإشراف على قيام مختلف الوزراء بمهامهم موكلة للحاجب الذي كانت يحجب الحاكم عن العامة وهم الرعية باختلاف طبقاتها، والخاصة ويمثلها الوزراء والأمراء ؛ وكان "عبد الرحمن الأوسط" أول من اتّخذ للوزراء بيتا يجتمعون فيه، ورتّب اختلافهم إليه، للتّكلم معهم ومشاورتهم في أمور الدولة[4]، يستدعيهم في كل يوم أو من يختص منهم[5]، أو يخاطبهم برقاع فيما يراه من أمور الدولة[6].

كان الحاجب يتقدَّم على الوزراء في السَّلام على الأمير عند الدخول إلى المجلس، ثم يليه باقي الوزراء[7]، ويكون ذلك إشارة لبداية الاجتماع، أما سُكوت الأمير فمعناه اختتام مجلس الوزراء، وعليه يجب القيام.

قضت رسوم بني أمية بالأندلس أن يكون الحاجب أول المتكلّمين من الوزراء في المجلس، وهو المَمَثّل لهم والمتحدث باسمهم إذا أرادوا قضاء حاجة، فقد حدث يوماً أن اتّفق الوزيران "هاشم بن عبد العزيز" و"تمام بن عامر بن علقمة"[8] مع الحاجب "عيسى بن الحسن بن أبي عبدة" على مفاتحة الأمير "محمد بن عبد الرحمن" في أمر يَخُصُّهم في آخر المجلس على أن يضمنُوا له إتمام الحديث بعد أن يفتتح هو القول، فقال الوزراء: «أنت الحاجب المتقدم لنا، وعليك البيان للأمير دوننا، ونحن نقفوا قولك ونشيعه بذكر اجتماعنا معك عليه، فإذا كان آخر المجلس فابتدئه بالقول، فسوف نكفيك تمامه، ونتناول آخره بما تعقد به أوله»، فأجابهم الحاجب لذلك وتقدَّم في نهاية المجلس إلى الأمير وطلب الإذن منه ليفاتحه في الموضوع، فلما أقبل عليه نهض الوزراء وغادروا المجلس ففطن الحاجب لمكيدتهم ورغبتهم في توريطه فاستعمل ذكاءه للتخلص من الورطة[9].

وكان لكلِّ عضو من أعضاء المجلس "دسَّه"(وسادة) يقعُد عليها، فيخضع ارتفاعها عن الأرض لعدة مقاييس، ففراش الحاجب أرفع من فراش بقية الوزراء، ويختلف في كونه من الديباج[10]، ويختلف الوزراء أيضاً في درجة ارتفاع فرشهم حسب أهمية الوزارة أو لاعتبارات النسب، ولا يُمكن أن يُخِلَّ أحد بهذا النظام.

وكان لارتفاع الفرش ونوعه معاني كثيرة، فالحاجب هو الأعلى مرتبة في الدولة بعد الأمير لذلك يجب أن يكون فرشه أعلى وأغلى، ويليه بعد ذلك الوزراء وباقي أعضاء الإدارة الأندلسية حسب النسب أو أهمية الوزارة، فقد أراد الوزير "عيسى بن أبي عبدة" أن يكون مجلسه أعلى من مجلس الوزير "موسى بن حدير" في حضرة الأمير "عبد الله بن محمد"، خلافا لما كان قد رتَّبه والده الأمير "محمد بن عبد الرحمن" من رفع الموالي الشاميين على البلديين، حيث كان "بنو حدير" من موالي البيت الأموي المشرقي لهذا كانوا معدودين في الشاميين، أما "بنو أبي عبدة" فكانوا موالي "مُغيث" الرومي مولى "الوليد بن عبد الملك" لهذا فقد كانوا معدودين في البلديين، ورغم أنّ والد "عيسى" وهو" أحمد بن أبي عبدة" كان من أكبر قواد الأمير "عبد الله" وكان صاحب الفضل في إنقاذ الإمارة من الضياع فقد فضَّل الأمير "عبد الله" التشدد في تطبيق تقاليد الجلوس المتعوَّد عليها من قبل وعدم إعطاء الاعتبار لأي شيء آخر، وقال:

مَوَالِي قُرَيْشٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَدِّمُوا

مَوَالِي قُرَيْشٍ لاَ مَوَالِي مُعَتِّبِ[11]

إِذَا كَانَ مَوْلاَنَا يُسَاوِمُ عِنْدَنَا

سِوَاهُ فَمَوْلاَنَا كَآخَرٍ أَجْنَبِي[12].

ويمكن أن يحضر بعض موظِّفي الإدارة الأندلسية جلسات مجلس الوزراء كضيوف شرف، فبعد أن عيَّن الخليفة "عبد الرحمن الناصر" "محمد بن عبد الله بن أبي عيسى" في منصب قاضي الجماعة في منتصف شهر رجب 328هـ/ 940م، وطلب منه حضور المجلس دون أن يطلق عليه لقب وزير[13].

وقد غيَّر الحاجب "جعفر المصحفي" بعض تقاليد هذا المجلس بمساواة بينه وبين الوزراء في نوع الفراش ومستوى الجلوس، فقد أبدل فراشه بالكتان بدل الديباج ممُاثلا في ذلك لفراش الوزراء الذي كان بالكتان أيضاً، حيث قال: «أستحي من أصحابي أن أتمهَّد أكثر منهم مع عجزي على إدراك شأوهم، غير أنا نسلم لأمير المؤمنين اختياره، فإماً يُساوي بيننا في فَرْشٍ، وإما أقررنا على الأمر الأول ولا كفران لنعمته»[14]، وكان ذلك تظاهراً منه بالتواضع لكسب مودَّة الوزراء.

وقد عُين لبيت الوزراء خادم يقوم بتنظيم فرشه، وخدمة الوزراء في مختلف الأمور التي يحتاجونها حينما يجتمعون فيه[15]، كما عُيِّن له كاتبٌ يقوم بتدوين القرارات التي يخرج بها المجتمعون، وقد شغل هذا المنصب زمن الدولة العامرية "ابن النصر"[16] الذي شكا يوماً صُداعاً من رائحة المسك المنبعثة من بيت الوزارة، فأنشد أحد الوزراء قائلاً:

خَالَفَكَ المِسْكُ وَخَالَفْتَهُ

فَأَنْتَ لاَشَكَّ لَهُ ضِدٌّ

أَمَاتَكَ المِسْكُ بِأَنْفَاسِهِ

كَمَا أَمَاتَ الجَعْلُ الوِرْدَ[17].

والنص لا يُشير صراحة إنْ كانت رائحة المسك التي أثَّرتْ في الكاتب دائمة في بيت الوزارة، وهل تعوَّد الخادم تطْيِيب البيت أم لا؟

وكان للتعيين في الوزارة و الإقالة منها تعبير يرتبط بفرش البيت، فقد كان الكاتب "حامد الزجَّالي" قد بعث للأمير "محمد بن عبد الرحمن" كتاباً فاستحسنه، وأمر له بفراش الوزارة[18]. كما أثار الوزير "سليمان بن وانسوس" غضب الأمير "عبد الله" لانصرافه من مجلس الوزراء دون إذن، فأمر برفع دَسِّتِه[19] (وسادته)[20]، وفي ذلك إشارة لعزله عن الوزارة.

وكان الانصراف من المجلس كما ذكرنا يخضع لرسوم وتقاليد هو الآخر، وأهمها الإستئذان، فإذا انصرف أحد أعضائه دون أن يُؤذن له تعرض لعقوبة العزل، فقد رُوي أن الوزير "سليمان بن وانسوس"[21] دخل المجلس يوماً وكان عظيم اللحية، فلما رآه الأمير "عبد الله" مقبلاً جعل يُنشد واصفاً لحيته:

هِلَّوفَةٌ كَأَنَّهَا جَوَالِقٌ

نَكْرَاءُ لاَ بَارَكَ فِيهَا الخَالِقُ

لِلقَمْلِ فِي حَافَاتِهَا نَفَائِقُ

فِيهَا لِبَاغِي المتَّكَا مَرَافِقُ

وفِي احْتِدَامِ الصَّيْفِ ظلٌّ رائقُ

إن الذِي يحمِلُهَا لمَائِقُ[22]

ثم قال له: «اجلس يا بربري!» فجلس وقد غضب فقال: «أيها الأمير! إنما كان الناس يرغبون في هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم، وأما إذا صارت جالبة للذُّلِّ فغنينا عنكم، فإن حُلتم ببيننا وبينها فلنا دور تسعنا، لا تقدرون أن تحولوا بيننا وبينها»[23]. ثم وضع يده في الأرض وقام من غير أن يُسلم، ونهض إلى منزله فغضب الأمير وأمر بعزله ورفع دسته، الذي كان يجلس عليها[24].

وكانت تُناقش في هذا المجلس أمور مختلفة في الحرب والسلم منها ميزانية المغازي والحروب، فقد اشترط الوزير "محمد بن أبي عامر" على مجلس الوزراء المجتمع سنة (366هـ/977م) والذي تَرَأَّسَهُ الحاجب "جعفر بن عثمان المصحفي" مبلغ مائة ألف دينار لتجهيز الجيش للخروج لصدِّ عدوان المسيحيين على الأندلس، فاستكثرها أحد الحاضرين، فما كان من "ابن أبي عامر" إلا أن اقترح عليه ضِعْفَهَا على أن يخرج هو على رأس الجيش[25].

وكان الأمير "عبد الله بن محمد" كثير الاجتماع بوزرائه نظراً لأنّ أيامه كانت أيام فتنة، فإذا انقضى خَوْضُهُ معهم في الرأي والتدبير، لأسباب مملكته وما كان يحُاوِلُهُ من حسم علق الفتنة خاض معهم في الأخبار والعلوم، فقد كان هذا الأمير عارفاً بضروب العلوم، بصيراً بلغات العرب، فصيح اللسان، حَسَن البيان[26].

ويمكن أن تُناقش في المجلس بعض قضايا القضاء، فقد كلّف الأمير "محمد" مجلس الوزراء بالتحقيق في قضية بطاقة رُفعت إلى الأمير كُتب فيها: «إنّ "سليمان بن الأسود"[27] كَبُرَتْ سنُّهُ، وضَعُفَ بدنه، ولم يعد يقدر على القضاء»[28]. فبُعث للقاضي السابق "عمرو بن عبد الله"[29] ليُسأل في مجلس الوزراء إن كان هو باعثها، ويُسأل "سليمان" عما يجد في بدنه من القوة على القضاء[30].

وحسب التوجيهات العامة التي تصدر إليهم من الأمير تدور المناقشات بين الحاضرين في المجلس في مختلف أمور الدولة، ويتولّى الحاجب عرض ما يصدر عنهم من قرارات على الأمير في حالة عدم تمكنه من حضور الاجتماع[31]، ويحول ما يوافق عليه إلى ديوانه الخاص فيصاغ صياغة ديوانية ثم يتولى الوزير صاحب العرض حملها على الأمير ليختمها بختم الدولة الرسمي، ثم يصدر في مرسوم[32].

وقد تكفَّل مجلس الوزراء بمحاسبة الحاجب "جعفر بن عثمان المُصحفي" وأُدخل إليه راجلاً وهو يقول: «رفقاً بي فستدرك ما تحبّه وتشتهيه، وترى ما كنت ترجّيه، ويا ليت أن الموت بيع فأغلى الله سومه، حتى يرده من أطال عليه حومه»[33].

ويمكن أن تتعدى صلاحية المجلس مسألة محاسبة الحجاب أو القضاة إلى تنصيب أو عزل مثلما كان اقتراح الأمير "المنذر" استبدال "سليمان بن أسود الغافقي" بقاضي من اقتراح المجلس فوقع الاختيار على "عامر بن معاوية اللخمي"[34].

وكان الأمير يُعطي الحاضرين في المجلس الحرية التامة لطرح أفكارهم وآرائهم، بل كان يستعين بهذه الأفكار كل الاستعانة، فقد بلغ الأمير "عبد الرحمن بن الحكم" ذكاء وحسن تدبير "محمد بن السليم" صاحب المدينة وأمر بتوليته الوزارة مع المدينة، فلمَّا دخل البيت صار الحاضرون كلهم تبعاً له في الرأي[35]، وافتقد الأمير "عبد الله بن محمد" وجود وزيره المُقال "سليمان بن وانسوس" نظراً لمكانته في المجلس وأمانته وفضل رأيه، وقال: «لقد وجدْتُ لفَقْد "سليمان" تأثيراً، وإن أَرَدْتُ استرجاعه ابتداءً منا كان ذلك غضاضة علينا، ولَوَدَدْتُ أن يبدأنا بالرغبة»، فبعث إليه مع أحد الوزراء، وكانت رُتبة الوزارة بالأندلس أن لا يقوم الوزير إلا لوزير مثْلَهُ، فان طلب لقاءَهُ لا يحجبه لحظةً، لكنّ "سليمان" أبطأ في الإذن للوزير على غير العادة، فلما دخل وجده قاعداً ولم يتزحزح من مكانه، فأنكر عليه ذلك فقال "سليمان": «كنت عبداً مثلك، وأنا اليوم حُرٌّ»[36].

ويُلاحظ تباينٌ في عدد الوزراء الذين ضمَّهم المجلس فقد استوسع الأمير "عبد الله" في عددهم وأكثر منهم حتى اجتمع له في بيت الوزارة في بعض أوقاته ثلاثة عشر وزيراً، ولم يستبق منهم إلا أربعة وزراء في نهاية عهده[37]. أما "عبد الرحمن الناصر" فقد جمع في بيت الوزارة في مدّة أربعة وستين يوماً من سنة (330هـ/942م) ستّة عشر وزيراً، ولم يُعهد مثل ذلك لبني أمية[38]، وقد بلغ عددهم في نهاية سنة (329هـ/941م) أربعة عشر وزيراً[39]، وقد حدثت خلال تلك السنة حركة واسعة من التعيينات والإقالات في صفوف الوزراء، فقد عَزَلَ "الناصر لدين الله" جميع الوزراء بغتةً لسبب أنكره عليهم، وأبقى منهم اثنين فقط[40].

وقد كان الأمير "عبد الله بن محمد" والخليفة "عبد الرحمن الناصر" يترأسان مجلس الوزراء شخصياً[41] نظراً لأنهما عطّلاَ منصب الحاجب، والذي كان بمثابة رئيس مجلس الوزراء لذلك العصر.

وقد عَرَفَتْ مكانة مجلس الوزراء و قراراته نفس المصير الذي عرفته الخلافة، فقد بنى "واضح الصقلبي" الفتى العامري حاجب "هشام المؤيد" سنة (401هـ/ 1011م) على الخندق الذي حفر حول مدينة قرطبة مجلساً عالياً يشرف منه على البربر وسماه "الديدبان" فكان الوزراء يجلسون فيه مع الفقهاء في كل يوم يتشاورون في أمور المختلفة، فكلّما دبروه في اليوم فسخوه في الغد[42].

لقد أصبح عمل الحاجب في الأندلس أكثر وضوحاً مع وجود هذا المجلس، وسهَّل من مهمة متابعة نشاط الوزراء، والأكثر من ذلك فقد كان له دور آخر على مُستوى الإدارة بصفة عامة، فكانت السجلات الرسمية والدواوين تحُفظ فيه في حالة شُغور المناصب الإدارية أثناء تغيير الموظفين إلى حين تعيين آخرين[43].

كان للحاجب تأثير كبير على القرارات التي يتّخذها مجلس الوزراء، باعتباره المُوَجِّه للمناقشات والمتَرَئّس للجلسات، في حالة عدم حضور الأمير أو الخليفة.

يُعتبر مجلس الوزراء تقليدا أمويا أندلسيا بامتياز، سما من خلاله منصب الحاجب على مستوى رئاسة الوزراء، وتعددت الوزارة وفكان لكل منها اختصاص ومهام خاصة به، وكان لزاما أن يستحدث هذا المجلس لتقديم التقارير و تلقي التعليمات من الأمير أو الخليفة، أو الحاجب؛ ومن ثم كان الاهتمام بكيفية الجلوس والحديث فيه.

المصادر:

– ابن الأبار، أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء. تحقيق: حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف. ط2، 1985. الجزءان 1، 2.

– ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس. لبنان، تونس: الدار العربية للكتاب (1395هـ/ 1975م). مج1، ق1. مج4، ق1.

– الحميدي، أبو محمد بن أبي النصر فتوح بن عبد الله ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. بيروت: دار الكتب العالمية.1417هـ/ 1997م.

– الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان. ط2، 1984.

– ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس. تحقيق: محمود علي مكي. بيروت: دار الكتاب العربي، 1393هـ/1973م. القطعة 02.

– الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث، قضاة قرطبة. تحقيق: إبراهيم الأبياري. القاهرة، بيروت: دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.1402هـ/ 1982م.

– ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد، المقدمة. بيروت: دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1982.

– ابن خاقان، أبو النصر الفتح، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. تحقيق مديحة الشرقاوي. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ط01، 1422هـ/ 2001م.

– ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق:د. شوقي ضيف. ط02، القاهرة: دار المعارف، 1963. جـ01.

– الضبي، أحمد بن يحي بن محمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. مدريد: مطبعة روخس المسيحية، 1881.

– المراكشي ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب. بيروت: مكتبة صادر، د.ت. ج02.

المراجع:

– آنخيل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي. ترجمة: حسين مؤنس. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دت.

– ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (811م-1031م)، ترجمة: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون. مدريد:**Espasa Calpe.S.A**. ط3، 1967.

– خلف، سالم عبد الله، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية. 1424هـ/ 2003م.

الهوامش:

1 – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1982، ص424.

2 – ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق:د. شوقي ضيف. ط02، القاهرة: دار المعارف، 1963. جـ01، ص40.

3 – ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف. ط2، 1985 ،ج1، ص114. ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص46.

4 – ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة بيروت، ط2، 1998، ص77.

5 - ابن سعيد، المصدر السابق. ج2، ص46؛ ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (811م-1031م)، ترجمة: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون. مدريد:Espasa Calpe.S.A. ط3، 1967. ص207.

6 - ابن سعيد، المصدر السابق. ج2، ص46.

7 - ابن حيان، المقتبس، المقتبس من أنباء أهل الأندلس. تحقيق: محمود علي مكي. بيروت: دار الكتاب العربي، 1393هـ/1973م. القطعة 02. ص27.

8 - هو "تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة"(184هـ/801م-283هـ/896م) ، جده هو حاجب "عبد الرحمن الداخل" وأول حاجب في الأندلس، وكان عالما أديبا، ولي الوزارة والخيل والقيادة للأمير "محمد بن عبد الرحمن" وولديه الأمير بن المنذر وعبد الله فانتظمت وزارته لثلاثة من الأمراء وعمَّر عمرا طويلا، حيث توفي وقد بلغ ستا وتسعين سنة، وله "الأرجوزة المشهورة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولاتها والخلفاء فيها ووصف حروبها من وقت دخول طارق بن زياد مفتتحها إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم". ابن الأبار الحلة السيراء. ج1، ص143، 144؛ آنخيل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي. ترجمة: حسين مؤنس. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دت. ص55.

9 - ابن حيان المقتبس، ق02. ص152، 153.

10 - ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس. لبنان، تونس: الدار العربية للكتاب (1395هـ/1975م). ق4، مج1، ص59.

11 - حوَّل اسم "مغيث" إلى "معتب" إغماضاً وانقيادا للقافية. ابن الأبار، الحلة السيراء. ص120.

12 - نفس المصدر، والصفحة.

13 - عياض أبو الفضل بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: سعيد أحمد غراب، الرباط: وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية، 1402هـ/1986م. ج6، ص96.

14 - ابن بسام، المصدر السابق. ق4، مج1، ص59.

15 - ابن القوطية، المصدر السابق. ص133.

16 - "ابن النصر" الكاتب أديب شاعر، عاش زمن الدولة العامرية وكان من المتصرفين فيها. الحميري، المصدر السابق، ص369. ترجمة: 975؛ أحمد بن يحي بن محمد بن عميرة الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. مدريد: مطبعة روخس المسيحية، 1881. ص 524. ترجمة: 1573.

17 - أبو محمد بن أبي النصر فتوح بن عبد الله الحميدي، ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. بيروت: دار الكتب العالمية.1417هـ/ 1997م، ص369. ترجمة: 975. الضبي، المصدر السابق. ص 524. ترجمة:1573.

18 - ابن القوطية، المصدر السابق. ص98.

19 - الدست كلمة أعجمية معربة أخذت معنى الوسادة، لم ترد في لسان العرب؛ وقد وردت في بعض المعاجم الأخرى بمعنى ما يلبس الإنسان من الثياب ويكفيه لردده في حوائجه. محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: محمد رضوان الداية. بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر. ط1، 1410هـ. ج1، ص337.

20 - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص124.

21 - سليمان بن وانسوس هو سليمان بن محمد بن أصبغ بن عبد الله وانسوس المكناسي مولى سليمان ابن عبد الملك، أصله من البربر وله فيها بيت شريف في الأندلس، وكان جده أصبغ رئيساً بماردة مطاعاً، فثار على الحكم الربضي، لكن حفيده دخل في خدمة السلطان ونال مناصب مهمة من وزارة وولاية بعض الكور ومنها كور ألبيرة. ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص160.

22 - نفس المصدر. ص123.

23 - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص123.

24 - نفس المصدر. ص 124.

25 - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب. بيروت: مكتبة صادر، د.ت. ج2، ص394.

26 - ابن عذارى، المصدر السابق، ص229.

27 - سليمان بن أسود الغافقي ولي كورة ماردة، ثم ولي قضاء الجماعة زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن يوم عُزل "عمرو بن عبد الله" ثم تداولا قضاء الجماعة بينهما. الخشني، المصدر السابق. ج1، ص ص155-169. ص ص173-181.

28 - نفسه، ص177.

29 - عمرو بن عبد الله بن ليث بن القبعة أول من ولي قضاء الجماعة للخلفاء من موالي، فشق ذلك على العرب، وكان من صنائع الأمير عبد الرحمن قبل أن يلي الإمارة، ثم قلده قضاء الجماعة سنة(250هـ/865م)، ثم عزله عملاً بمشورة هاشم بن عبد العزيز، ثم عاد وولي القضاء (260هـ/875م-263هـ/878م). نفسه، ص ص146-154، ص ص170-172.

30 - نفسه، ص177.

31 - سالم عبد الله خلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية. 1424هـ/ 2003م، ج1، ص421.

32 - نفسـه، ص421.

33 - ابن خاقان، أبو النصر الفتح، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. تحقيق مديحة الشرقاوي. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ط01، 1422هـ/ 2001م.. ص63.

34- الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث، قضاة قرطبة. تحقيق: إبراهيم الأبياري. القاهرة، بيروت: دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.1402هـ/ 1982م.، ص182.

35 - ابن القوطية، المصدر السابق. ص85.

36 - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1،ص124.

37 - ابن حيان، المقتبس. ق03، ص06.

38 - ابن حيان المقتبس. ق04، ص486.

39 - نفس المصدر، ص471.

40 - ابن حيان، المقتبس. ق04، ص470.

41 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص229.

42 - نفسـه. ج3، ص105.

43 - الخشني، المصدر السابق. ص169.

العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي

د/ بوخاري عمر، جامعة تيارت

بالرغم من التباينات الإثنية التي ميزت المجتمع الأندلسي في العهود السابقة إلا أن الخلافة الأموية استطاعت أن تجعل منها كتلة واحدة، ومع حلول القرن الخامس الهجري تصدع النسيج الاجتماعي كنتيجة طبيعية للانحلال السياسي الذي ألم بالأندلس، فانزوت كل طائفة إلى ما بحوزتها من مناطق فالصقالبة في شرق الأندلس والأندلسيين في الوسط والغرب أما البربر فتجمعوا في الجنوب أما العناصر الأخرى ذات الإنتماء الإثني الباهت فقد انبثت في الإمارات التي تدين لها بالولاء.

تشكل النسيج الاجتماعي في الأندلس من عدة أجناس مختلفة، تتمثل في البربر والعرب والصقالبة والمولدين، والمستعربين، واليهود والنورمان[1]. إلا أن العنصرين الرئيسيين الذين يأتيان في مقدمة العناصر الوافدة هم العرب، والبربر. غير أنه من الصعوبة بمكان أن يميز الباحث بين عدد الذين دخلوا البلاد الاندلسية من هذا العنصر أو ذاك ،لأن ندرة المصادر، سواء العربية منها أو اللاتينية، تجعل من العسير جدا الحصول على معلومات كافية في هذا الموضوع، ضف إليها عامل مهم ،يتمثل في ما اتسمت هذه الفترة من غموض واضطرابات ،وما غشى الضفة الجنوبية لبلاد الاندلس من اندفاعات بشرية أثناء الفتوح الإسلامية لهذه البلاد .مع ذلك فان المناهج المتداولة حول دراسة العلاقات بين دول الطوائف، ترتكز أساسا على التقسيم العرفي القائم على ثلاثة مجموعات متباينة من حيث الاصول والعادات، وهم العرب ، والبربر، والصقالبة[2].

وأيا كانت التقسيمات، فإن العناصر الأكثر حضورا، واستقطابا في شبه الجزيرة الأيبيرية، سواء في المرحلة التي أعقبت الفتح، أو بعده هما العرب والبربر. ومع ذلك وتجلية للأوضاع التي سبقت عهد الطوائف، وتبيانا للعناصر المكونة لهذا النسيج الاجتماعي، فإنه من الأهمية بمكان أن نشير ولو باقتضاب إلى هذه العناصر، وان لم يكن لها الدور الذي كان لمثيلاتها من العناصر المشار إليها.

أولا: البربريعد البربر من أول العناصر التي وطئت ارض الاندلس واكثرها عددا[3].وهم من اشترك إلى جانب العرب في فتح بلاد الاندلس، إلا أن غالبية الفاتحين الأوائل كانوا من البربر.

فالحملة الاستطلاعية الاولى التي قادها طريف بن مالك[4] سنة 91هـ-710م ، وقوامها أربعمائة رجل، يصحبهم مائة فارس من البربر.[5] ولعل هذه الاعداد الهائلة، وخبرتها بالمنطقة، وحسن بلائهم بالقتال، وانقيادهم لقادتهم كل ذلك كان دافعا لموسى بن نصير بتوكيل مهمة الفتح إلى العناصر البربرية قيادة وجندا. فعهد بهذه المهمة إلى مولاه طارق بن زياد، فجعله على رأس جيش البربر المكون من سبعة

الآف مقاتل[6]. وقد تدعم هذا العدد بما يقرب من خمسة الآف مقاتل بطلب من طارق بن زياد، وذلك عندما عسكر بجيشه في وادي لكة ينتظر وصول لوذريق الذي زحف بجيشه من الشمال. وقد زاد في اصرار طارق على تلقي الامداد من موسى بن نصير، تلك الأنباء التي حملت إليه ،تحرك لوذريق بجيش قوامه أربعين ألف مقاتل أو يزيد.

فتهيب طارق الموقف ،فلم ير من مخرج إلا الاستعانة بموسى، حيث تذكر المصادر انه عندما حشد لوذريق جيشه لقتال طارق، أرسل هذا الأخير إلى موسى بن نصير يطلب الامداد ، فبعث إليه خمسة ألآف مقاتل من البربر[7].

وهذا ما يدل على أن الخزان البشري من البربر في العدوة الجنوبية كان لا يزال يعج بالمتطوعين، الذين كانوا يعبرون بانتظام نحو شبه الجزيرة تحت قيادة موسى بن نصير.

عندما أضيفت الفلول التي بعث بها موسى إلى طارق ،أصبح عدد الجيش إثنا عشر ألف مقاتل من البربر، وهو العدد الذي واجه به طارق جيش لوذريق، وألحق به الهزيمة بالرغم من التفوق العددي لجيش القوط. لم يتوقف تدفق البربر مع الحملات الأولى ، بل توالت الهجرات من بلاد المغرب ومن الشرق نحو شبه الجزيرة دون انقطاع، ولا شك ان نصيب البربر كان اكثر من نصيب العرب بسبب كثرة أعدادهم في الطوالع التي زحفت على الأندلس. فغادروا ديارهم ليجعلوا من البلاد المفتوحة وطنا لهم، حيث اتجهوا نحوها من كل صوب، وعبروا المضيق بكل ما وقعت عليه ايديهم من قوارب ومراكب.[8]وكانوا ينزلون بصفة خاصة في المناطق والاقاليم الجنوبية والغربية من الاندلس، نظرا لشبهها ببلادهم وبيئتهم في بلاد المغرب[9]. وكانت منطقة رندة[10]، وإقليم تاكرنا[11]، بالتحديد منزلا لجماعة البربر، استوطنته بعد استقرار عملية الفتوح الأولى.

وقد ذكر ابن حزم في كتابه "جمهرة أنساب العرب" بيوتات البربر في الأندلس بشكل مفصل وذكر أهم البطون والأفخاذ، ومنهم بنو دليم الفقهاء من وزداجة[12]، وعوسجة، بشنت مرية[13]من ملوزة ومنهم بنو إلياس من مغيلة[14]، وبنو وانسوس رهط الوزير سليمان بن وانسوس[15] من مكناسة[16]،وبنو الخروبي[17]من ونتاتة ،وكذلك بنو عزوى الأمراء بشنت مرية من زناتة أيضا.

ومنهم الأمراء بالثغر، وبنو هذيل من مديونة[18]، وبنو عبدوس من سرته، وبنو ريس بالسهلة، وبنو ذي النون بوبذة[19]. ولا يفوت ابن حزم وهو يفصل في أصول هذه الجماعات البربرية، ان يذكر مساهمة جماعة منهم في الفتنة القرطبية، وضلوعهم فيها، وان منهم من استأثر بالأقاليم الجنوبية من الاندلس على عهد ملوك الطوائف[20]، إذ كان ابن حزم يرى في فتنة القرن الخامس الهجري، القشة التي قسمت ظهر

الاندلس، وان من ساهم فيها او تسبب فيها يحمل اوزارها، وهو لم يفتأ يتحدث عن البربر ويصف زعماءهم برؤوس هذه الفتنة.

وعلى العموم فإن أغلب من دخل الاندلس من البربر ينسب إلى زناتة، الذين انتشروا بشكل مكثف في الوسط والجنوب،[21]وكان منهم بنو الخروبي،وبنو الليث ،وبنو يفرن ،وبنو برزال، وبنودمر، وبنو خزر، وكان سبب دخول هؤلاء الزناتيين، تلك السياسة التي يسلكها عبد الرحمان الناصر الأموي ازاء بربر العدوة الجنوبية والقائمة على استمالة زناتة، واستعمالهم كدروع لمجابهة الفاطميين[22].

وفيما يتعلق بالمناطق التي استقر بها البربر، فهي عبارة عن مناطق جبلية، اجتذبتهم إليها عوامل كثيرة، منها تشابه البيئة الطبيعية في الاندلس مع بيئتهم التي نزحوا منها في بلاد المغرب[23]، حيث قاموا فيها بتربية المواشي، وإقامة البساتين، وترع السقي، وشجعهم على ذلك، الاستقلال والتمرد من السيادة العربية[24].

يذكر احد الاساتذة في بحث له حول استقرار البربر في الاندلس «إن لجوءهم إلى المناطق الجبلية كان تابعا من رغبتهم ولم يكن تحت مضايقة العرب، ويضيف على أنه إذا كانت المناطق الجبلية دافعا للاعتصام بها باعتبارهم قدموا من مناطق تشبهها، فهذا لا يعني كل البربر، وإن كانوا يمثلون الأكثرية»[25].

وهذا لم يمنع من وجود من سكن السهول والمدن، إذ أن في بلادهم مناطق سهلية، ومدن آهلة بالعناصر البربرية مثل طنجة وسبتة، وهي مدن ساحلية، ولذلك فإن العديد من الأسر البربرية فضلت الاستقرار في حوض الوادي الكبير وسهول شرق الأندلس[26].

وفوق هذا وذاك فان البربر المقيمون في المناطق الجبلية لم يكتفو على الرستاق الجبلي لوحده، بل إنهم في أغلب الأوقات يضيفون إليه رستاقا سهليا مجاورا له، وينتقلون بينهما حسب فصول السنة[27].ومن جانب آخر لا يجب ان يغيب عن الاذهان، ان نفور البربر من العناصر الاخرى التي الفت العيش في البسائط والمدن وأحوازها، كان امرا طبيعيا أن يدفع الاجزاء المبعثرة من البربر، ليتكتلوا في موضع واحد يتلاءم مع بيئتهم التي قدموا منها.

وبالإضافة إلى العوامل السالفة الذكر، يلفتنا ليفي بروفنسال إلى عامل آخر لا يقل اهمية عن العوامل الاخرى، وهو تململ حركات الاسترداد المبكرة التي اندلعت في الشمال وزحفت نحو الجنوب من سلسلة جبال كنتريا، أجبرت مجموعات كبيرة من الفلاحين البربر على النزوح نحو منطقة الجنوب الجبلية حيث استوطن اغلبهم في مناطق شذونة[28]، وجبال رندة، ومالقة، ومنحدرات جبال الثلج، sierra neveda[29] ،وذاع صيت من سكن هذه المناطق من البربر امثال بني برزال الذين نزلوا بقرمونة وبني يفرن برندة، وبمنطقة الجنوب، ويضاف الى هذه المجموعات البربرية في منطقة الجنوب، المجموعات البربرية في الثغر

الأعلى. ومنهم بنو عميرة من ولهاصة من نفزة من ناحية شاطبة ،بنو زرين من مديونة من السهلة ،وبنو ذي النون من هوارة ،من وبذة، وبنو الفرج من مصمودة،وادي الحجارة وبنو إلياس من مغيلة شذونة،وبنو عزون من زناتة شنترية،وكان هؤلاء وغيرهم من القبائل الاخرى-سأذكرها بالتفصيل في ملاحق هذا البحث- امراء على نواحيهم مما يدل على كثرة بربرية فيها. وفي المقابل يذكر ابن حزم قبائل بادت وانمحت ولم يعرف لأعقابهم بقية، ومنهم من مصمودة، حيث يذكر أنهم بادوا كبني سفيان بن عبد ربه الحاجب ،وبنو يحي بن كثير الذين عمروا ارض الاندلس ثروة وعددا[30].

وما زالت أسماؤهم تطلق الى اليوم على اماكن عديدة في اسبانيا والبرتغال، يقول الاستاذ مختار العبادي نقلا عن الأستاذ محمود علي مكي.

«وكثيرا من اسماء المواضع التي تحمل حتى الآن اسماء القبائل البربرية نذكر منها al bornoz في قرطبة واشبيلية، وكذلكalbrornos في آيلة Ayila وبرنس بن بر،وهو جد لشعب كبير من شعوب البربر يدعى بصيغة الجمع البرانس، وإليه تنتمي مجموعة كبيرة من القبائل مثل كتامة، وصنهاجة ومصمودة، واوربة، وهوارة، ومنها azuaga في بطليوس وهي قبيلة زواغة إحدى قبائل البرانس وzaneta في قشتليونceneta في مرسية واللفظان مأخوذان من زناتة و mequiheza في سرقسطة وهي مكناسة إحدى قبائل زناتة، gazules في فارس وهم بنو بزوالة من البرانس، و gomara غمارة في المرية ،وهي من البرانس، orba اوربة في دانية، واوربة إحدى قبائل البرانس»[31].

لم يتوقف تدفق البربر على شبه الجزيرة الاندلسية، وظلت العدوة الجنوبية خزانا لا ينضب معينه من العناصر البربرية، بل ازداد هذا التدفق في أواخر عهد الخلافة خاصة في السنوات الأخيرة لعهد الحكم المستنصر، وفي عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر وابنه المظفر بن عبد الملك[32].

وقد اشادت المصادر بدور البربر في الحروب التي خاضوها في تلك الفترة، وما ابلوه من بلاء حسن في ترجيح كفة النصر لصالح الخلافة،مما حدى بالخلفاء للاستعانة بهم في الحروب في رد الاعتداءات الخارجية أو القلاقل الداخلية، وغدت سياسة الحكومة الخارجية عامل جذب لهذه العناصر، فكان منهم من زناتة بنو الليث، وبنو يفرن، وبنو برزال،وبنو دمر، وبنو خزر، منهم محمد بن الخير المغراوي.وكان رئيس زناتة كلهم بالأندلس في الفئة البربرية في حدود الاربعمائة من الهجرة[33].

ولم يكتف خلفاء بني امية في الاندلس بالاستعانة بالعناصر البربرية الزناتية، الذين اندفعوا نحو العدوة الأندلسية تحت ضربات الفاطميين بمعية صنهاجة، بل فتحوا الباب على مصرعيه لكافة البربر دون النظر لانتمائهم الإثني،إذ لم يكن يهم الخلافة الاموية وقتئذ، سوى مواجهة الفاطميين في بلاد المغرب واخماد القلاقل الداخلية، ومواجهة زحف الجلالقة في الشمال .اللهم بعض الفلول من صنهاجة الذين لم

يسمح لهم بالدخول حتى وقت متأخر من عهد الخلافة العامرية اين سمح لزاوي بن زيري وابناء اخيه ماكسن حباسة وحبوس[34]. يضيف ابن الخطيب قائلا« ورغم ان عدة الفرسان من البرابرة الغرباء في ديوان ابي عامر ثلاث ألاف ينضاف إليها من رجاله الرقاصة السودان الداخليين في عدادهم من رجالهم تتمة خمسة ألاف»[35].

وما هو جدير بالإشارة هو أن استخدام العناصر البربرية في الجيش الاندلسي، نجمت عنه آثارا سيئة: في مقدمتها ،تراجع الأرستقراطية العربية عن الاهتمام بشؤون الحرب وركونها إلى استئجار من يتولون هذه المهمة، فانتهت بذلك البلاد إلى الفوضى والانحلال .

ثانيا: العرب

أما العناصر العربية التي دخلت الأندلس في شكل طوالع منذ الفتح، فقد كانت محدودة العدد إذ كانت طالعة موسى بن نصير اكثر عددا.

تشير المصادر أن عدد من دخل الاندلس في طالعة موسى بن نصير بلغت ثمانية عشر ألف مقاتل من القيسية واليمنية[36]. واعقبتها طالعة هزيلة، صاحبت عبد الرحمان الثقفي سنة97هـ/ 715م وقد اشير إليها سلفا وأغلبها من اليمنية[37]، ثم اعقبتها طالعة بلج بن بشر القشيري سنة 124هـ/ 741م، عقب الثورة البربرية ببلاد المغرب، وقوامها ثمانية الآف من العرب[38] اغلبهم من القيسية، بالإضافة إلى ألفين من موالي بني أمية، وقد تسببت هذه الطالعة في نشوب فتن وقلاقل بينها وبين العرب البلديين الذين كانوا يرون أنهم زحموا في مصالحهم، وأن هؤلاء الوافدين الجدد من العرب قد فوتوا عليهم فرصا كثيرة في الاستلاء على باقي الأراضي. هذا على الصعيد المادي، اما على الصعيد السياسي والاجتماعي، فقد استولت العناصر الجديدة على معظم المناصب الحساسة في الجيش والإدارة، خاصة أن هذه العناصر قد أبلت البلاء الحسن في المواقع القتالية في بلاد المغرب. إلى جانب بني أمية في مواجهتهم للبربر المحالفين للفاطميين.

وفي حقيقة الأمر فإن أصول هذه العداوة ترجع إلى ما كان بين هذين الحيين من صراع في دواليب السلطة الاموية، فكان إذا اشتد أحد على الآخر نكل بصاحبه وجماعته ولاحقهم في كل مكان مما يضطرهم إلى الهجرة، حاملين بين جوانحهم ضروبا من الحقد واللدد ،وعزم لا يقهر للانتقام وهناك تلتئم أجزاؤهم المبعثرة. وينضمون إلى أبناء عشيرتهم، وتتكون الجماعات القيسية والمضرية، ويتجدد النزاع القبلي أكثر مما كان عليه في قلب الدولة الأموية.[39] وظل هذا الصراع قائما ومحتدما حتى دخول أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي[40] واليا على الأندلس سنة 125هـ/ 743م، بصحبة طائفة عربية قليلة العدد لم يتجاوزوا الثلاثين رجلا، وكان أبو الخطار ،يقول صاحب أخبار مجموعة «رجلا من خيار أهل الشام من

أهل دمشق، فرضى به الشاميون والبلديون، وأطلق الأسرى والسبي، فسمي ذلك العسكر عسكر العافية ،وأفلت ثعلبة بن سلامة وعثمان بن أبي نسعة وعشرة من قواد الشام وأمن ابني عبد الملك بن قطن[41] فاستقامت حال الناس بالأندلس ، وأنزل أهل الشام بالكور»[42].

وفور دخوله الاندلس قام بتوزيع جند الشام على كور الأندلس، وذلك من أجل الحد من عصبيتهم القبلية، فأنزل كل فريق بالجهة المشابهة للبيئة التي أتى منها من المشرق، فكان نصيب أهل دمشق البيرة، وأهل الأردن رية، وأهل فلسطين شذونة، وأهل حمص اشبيلية ،وأهل قنسرين جيان، أما أهل مصر فقد انزلهم ببجانة وتدمير.[43]ومما تجدر الاشارة إليه فإن الطوالع التي دخلت الأندلس فيما بعد كانت محدودة العدد خلال عصر الولاة إلا أن أعددا قليلة ضاقت ذرعا باضطهاد العباسيين لهم، وكانوا مع ذلك يشكلون أقلية قليلة، مقارنة مع من سبقهم من الحشود العربية التي وفدت إلى الأندلس[44].

وكانت الطوالع العربية السالفة الذكر، والهجرات البربرية القادمة من عدوة المغرب، النواة الأساسية لاستقرار العناصر العربية والبربرية في الأندلس، وذلك بعد استكمال عملية الفتح حيث استقر السواد الأعظم منهم في الأراضي المفتوحة، وأقبلوا على المصاهرة والتزاوج من نساء اسبانيات. ومما هو جدير بالذكر فإن هذا النوع من الزواج قد أثار جدلا واسعا بين الباحثين، حول ما إذا كان الفاتحون العرب قد دخلوا الاندلس أفرادا دون أسرهم، ثم أقبلوا بعد ذلك على الزواج من نساء ذلك البلد المفتوح ،ورائد هذا الطرح حسين مؤنس[45]أما pierre guichard يرى أن الفاتحين دخلوا الأندلس في جماعات اسرية، ويستند في رأيه هذا على أن العرب والبربر الذين استقروا في الأندلس قد حافظوا على النظام القبلي، ولو على نطاق بسيط خلال قرنين من الزمن، ويرى انه لا يمكن ان نفسر تلك السلوكيات إلا على أساس وجود روابط اجتماعية قبلية بين قبائلهم، ومن البديهي عدم وجود روابط اجتماعية قائمة فقط على الذكور.[46]وعليه فاءنه قد ترتب على هذه المصاهرة ظهور أجيال متلاحقة من المولدين المسلمين، وقد تقاسم العرب والبربر أراضي الاندلس فيما بينهم فكان للعرب نصيب منها وللبربر نصيب، والراجح ان منازلهم تركزت في المناطق السهلية خاصة سهول حوض نهر الوادي الكبير وفروعه[47]،كشرق اشبيلية وفحص البلوط، وقرطبة،وأستجة وفي الفحوص الخضراء لوادي شنيل[48]، وفي مروج شرق الاندلس ،وفي السواحل الجنوبية ،والجنوبية الشرقية لبلاد الاندلس، ففي اشبيلية استقر بنو زهرة، وبنو قيس عيلان، وبنو الباجي وبنو هوزان[49] وبنو عصيب، وبنو خلدون الحضارمة، وبنو عباد حكام هذه المناطق في عصر ملوك الطوائف[50].

واستقر في غرناطة من اليمنية الحضرميون والأزد ،ومن المضرية مرة بن ذبيان ونميره بن مضر ،وفي الجزيرة الخضراء استقرت كنانة وخولان وجذام[51]، واستقر التوجيبيون في الثغر الاعلى من الاندلس، وكان من هؤلاء الجد الاعلى صمادح المرية في عصر ملوك الطوائف، واستقر ببطليوس الحضرميون وبنو زهرة[52].

لقد كان استقرار هذه العناصر العربية بالأندلس وغيرها من القبائل يتخذ شكل قبائل وأسرات ترتبط بينهما برابط النسب والعصبية، وقد أشار المقري التلمساني إلى ذلك بقوله«وكان عرب الأندلس يتميزون بالعمائر والقبائل والبطون والافخاذ إلى أن قطع ذلك المنصور بن عامر....»[53] ومن الاهمية بمكان ان نشير الى ان هذه التقسيمات وهذا الانتشار القبلي في أرض الاندلس، كان سبب من اسباب تفاقم الثورات التي شهدتها الأندلس خصوصا في القرن الثاني من الهجرة ،كما تجدر الاشارة إلى ان الوافدين من العرب على الاندلس، استطاعوا تكوين النواة الأساسيةللأرستقراطية العربية في المدن ،وأصبح نمط عيشهم يحاكي السادة الرومان والقوط ،حيث أصبحوا يملكون اقطاعات كبيرة يستخدمون في زراعتها وخدمتها الفلاحين الاسبان والمولدين من العامة وكانت إقامتهم في ضيعاتهم قرب المدن، فأصبحت حياتهم تشبه حياة الملوك، وقد اشار المؤرخ الفرنسي لفي بروفنسال إلى سبب اختيار العرب الاقامة في المدن أو الجهات القريبة منها بقوله« اختار العرب الاقامة في المدن للاشتغال بالوظائف أو تقدير الحكم الاقامة في بيوتات ريفية مريحة ومسلية كسادة اقطاعيين وعهدوا بفلاحة ضيعاتهم إلى مولدين من العوام أو فلاحين مسلمين مقابل ايجار معين أو المشاركة في المحاصيل التي تغلها الأرض»[54] هذه هي الاوضاع التي تميزوا بها عندما قدم عليهم عرب الشام لشد عضدهم في مواجهة بربر الأندلس،[55] وكان منهم اخرون من الأسر العربية التي استقرت في المناطق الزراعية البعيدة عن المدن فأنشأ أصحابها قلاعا وحصونا مثل حصن مراد الواقع بين اشبيلية وقرطبة، وقلعة يحصب في اقليم غرناطة، وقلعة خولان الواقعة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية، وقلعة أيوب التي أقامها أيوب بن حبيب اللخمي في الثغر الأعلى، وقلعة رباح الواقعة بين قرطبة وطليطلة[56].

لقد كانت هذه الأرستقراطية تمثل تهديدا مباشرا لسلطان بني امية ونفوذهم في الاندلس، واكبر دليل على ذلك هو كثرة تمردهم على السلطة في قرطبة ومن هذه الثورات على سبيل المثال ثورة بني الحجاج بإشبيلية ضد الحومة المركزية بقرطبة بعد وفاة الامير عبد الرحمان الأوسط 206-238هـ/ 822-852م[57].

ظلت جذوة هذه الثورات متقدة إلى أن جاء الأمير عبد الرحمان الناصر الذي بويع بالخلافة فيما بين 316-350هـ واستطاع بحنكته ودهائه من القضاء على استقلالهم [58].

ثالثا: الصقالبة

يقصد بالصقالبة سكان البلاد المختلفة من بلاد بلغاريا التي امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الادرياتيكي، إلا ان الجغرافيين العرب في العصور الوسطى أطلقوا هذه الكلمة على الشعوب الاسلامية عامة، ثم توسع العرب في استعمال هذا الاسم فأطلقوه على جميع ارقائهم الذين جلبوهم من أية ام مسيحية،[59] أو الذين جيء بهم من جليقية،وقطالونيا،ولمبارديا وكانوا يباعون احداثا، ومن الجنسين ويربون تربية اسلامية.[60] يذكر الرحالة ابن حوقل الذي زار الاندلس في القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي، أنه عندما يكون هؤلاء الصقالبة على مشارف الاندلس يخصون، وكان من يفعل بهم ذلك هم تجار اليهود،[61] أما إذا سبوا في أماكن أخرى تركوا فحولتهم على أحوالهم مقرورين على صحة أجسامهم[62]، وكان معظمهم من الاطفال من الجنسين وتتم تنشئتهم ومن ثم استخدامهم في الحرس والحاشية، والجيش، واخذ عددهم يتنامى حتى عجت بهم القصور[63].

أما بالنسبة للوظائف التي كانوا يشغلونها فلم تكن من الوظائف المتدنية على غرار الاجناس الأخرى، بل كانوا يشغلون وظائف محترمة، وأهمها العمل في القصور وذلك لخدمة الحريم، وعندما اشتد عضدهم أقحموا في الجيش الأندلسي وكذا المناصب الادارية، وقد احسنوا صنيعا بهم عندما استغلوهم في هذه الوظائف، واستعانوا بهم لتدعيم سلطاتهم بالأندلس واخماد الحركات الانفصالية والقضاء على المؤامرات الداخلية حيث وجد منهم الأمويون اداة طيعة لتنفيذ مشاريعهم، والتصدي للانقلابات التي كان يقوم بها أشراف العرب والمولدون.

وقد بدئ في استخدامهم أيام عبد الرحمان الداخل، وأخذ عددهم يتزايد لحاجة الامراء الأمويون لهذا العنصر الاجنبي الذي تفانى في خدمة أمراء بني أمية حتى وصل عددهم في عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر 300هـ 3750 رجلا و6750 من النساء[64] وكان هذا العدد الهائل في كفاية القصر من مطعم وملبس[65].

وعلى أية حال فإن الأمويين اعتمدوا في اكثر أيامهم على جيش من الصقالبة، ونال هؤلاء منهم عناية وحظوة، وتمكن عدد كبير منهم أن يصلوا إلى مناصب حساسة في السلطة الأموية، حتى ان بعضهم استطاع امتلاك اراضي شاسعة، وثروات طائلة وزاد شأنهم وارتقى مركزهم في عهد الخليفة الحكم المستنصر، وكان هذا الأخير يقربهم ويتغاضى عن الأعمال المخالفة لتقاليد القصر التي تصدر منهم من حين لآخر، ويلتمس لهم الاعذار، ويحث المقربين منه بالإحسان إليهم، والتغاضي عن تصرفاتهم غير اللائقة وكان يقول: «هم أمناؤنا فينبغي للرعية أن تلبي لهم وترفق في معاملتهم ، فتسلم من معرتهم إذ ليس يمكننا في كل وقت الانكار عليهم»[66].

وازدادت مكانتهم مع وفاة الحكم المستنصر، وتولي هشام المؤيد مقاليد السلطة واعتبروا انفسهم أصحاب السلطة العليا في البلاد، وأن إدارتها أصبحت بين أيديهم، لقد استعان بهم بنو أمية لتدعيم سلطانهم كما اسلفنا.

إلا أنهم في حقيقة الامر كانوا نقمة على البيت الاموي بأكمله، وأن اختلاطهم بالطبقة الدنيا في المجتمع الاندلسي كان شبه منعدم، وظلوا طوال عهودهم بالأندلس محافظين على النوع العرقيhomogènes وأنهم ظلوا متضامنين فيما بينهم. والدليل على ذلك هو عند سقوط الخلافة الأموية اتحدوا في كتلة واحدة، وقرروا أن يجمعوا شملهم ويستقروا في شرق الأندلس حيث تمكنوا من تكوين طائفة خاصة بهم[67].

وازداد نفوذ الصقالبة بعد وفاة الحكم المستنصر، وتدخلوا في الشؤون السياسية للدولة ولما وصل المنصور بن أبي عامر إلى سدة الحكم، وأصبح مطلق التصرف في شؤون الدولة عمل على تشتيت شمل هذه الطائفة، وأخذ يعتمد على غيرهم ممن يطمئن إليهم ويأمن جانبهم.

وعلى الرغم من ذلك فقد حاول واحد من الفتيان العامريين[68] في فترة حجابة المظفر عبد الملك الوصول إلى الحكم وتدبير شؤونه، فاستفحل أمره حتى أصبح الآمر الناهي مستغلا مرض الحاجب المظفر أبي مروان عبد الملك ليحقق ما كان يهدف إليه من السيطرة على شؤون الحكم، فما كاد عبد الملك يشفى من مرضه، حتى زج به في السجن ثم دس له من قتله[69]. ويستنتج من هذه الحادثة، ان طاعة هؤلاء لسادتهم كانت مرهنة بقوة القائد وبطشه.

وعندما تضعضعت أركان الخلافة الاموية، كان لهؤلاء الصقالبة ضلع في المؤامرات التي قامت في قرطبة، وسائر بلاد الاندلس وكان خيران العامري هو الرأس المدبر ، والقائد لهذه المجموعات الصقلبية.

وعندما أفل نجم الخلافة الأموية، وانمحت معالمها ظهرت دويلات صغيرة في شرق الأندلس وتحالفت فيما بينها وتسمت بالدولة العامرية الصقلبية[70].

رابعا: المسالمة:

أطلقت هذه التسمية على العناصر الاسبانية الحديثة باعتناق الاسلام ،وهم ممن اعتنق الاسلام طواعية إما بحثا عن مصلحة شخصية أو إيمانا بهذا الدين الذي ضمن لهم حقوقهم، وفي مقدمتها المساواة مع العرب المسلمين[71]. وقد أطلق عليهم العرب الفاتحون الآسالمة أو المسالمة[72].

وكان مما شجع هؤلاء على الدخول في الدين الجديد، سياسة التسامح التي اتبعها الفاتحون وهي في الأصل مستمدة من مبادئ دينهم **﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾**[73].وقد استجاب خلق كثير من الاسبان للدعوة الجديدة.

يقول الأستاذ كرد علي «كره العرب التعصب، ولا سيما في الأندلس وعمدوا إلى تسامح معقول فاستمالوا بسيرتهم من نزلوا بينهم من الإسبانيين والبرتغاليين حتى أنهم كانوا إذا شجر خلاف بين مسلم ومسحيين من الجند، يعطى الحق غالبا للمسيحيين... ورخصوا أن يتعبدوا كل إنسان بالصورة التي يراها، فنشأت وحدة وطنية بين الغالب والمغلوب».[74]

لقد ولد هذا التسامح ، ولين الجانب عند الأسبان رغبة في اعتناق الدين الإسلامي الجديد، وهي خلال لم يألفها هؤلاء عند من غزو أرضهم من غير المسلمين. ليس هذا فحسب، بل اعتبر المسلمون أن من دخل من هؤلاء الذميين الاسلام تسقط عنه هذه الصفة تلقائيا، وينتقل إلى وضع المسلم دون تفريق أو تمييز وهو عكس ما كان يحدث في الشرق الاسلامي[75]، وعلى هذه الشاكلة دخل كثير من أهل الأندلس الإسلام وعدوا من الجماعة الإسلامية، وتلاشى كل شيء يتصل بأصلهم[76] وكانت الجماعات الأولى التي احتضنت عقيدة الفاتحين هم من العبيد وأقنان الأرض الذين نظروا إلى الإسلام كمنقذ لهم من المتاعب التي كانوا يئنون تحت وطأتها[77]. وبانضوائهم للعرب العرب الفاتحين قويت شوكة المسلمي.

خامسا: المستعربون:

هم نصارى الإسبان الذين تعايشوا مع المسلمين وتأثروا بلغتهم وعاداتهم مع احتفاظهم بدينهم، وكانت لفظة مستعربين شائعة على ألسن نصارى الأندلس[78]، ولم يشرع في استعمالها في اسبانيا النصرانية إلا عندما استولى ملوك النصارى على البلاد التي فيها نصارى مستعربون، بيد أن العرب كانوا يسمونهم بعجم الذمة[79]، وقد اندمج هؤلاء في المجتمع الاسلامي اندماجا كليا لا يفصلهم عنه سوى عقيدتهم التي بقوا عليها،[80] وهم يتكلمون بلسان عربي مبين ،ويقرضون الشعر ويغوصون في مجاهل اللغة العربية ، لقد تمتع هؤلاء المستعربون بكامل حريتهم الدينية والاجتماعية وحتى السياسية.

ولا أدلّ على ذلك من أن حرية العقيدة كانت مكفولة من لدن العرب المسلمين، تلك الكنائس والأديرة التي أنشئت في أحيائهم، وكانوا يقرعون النواقيس وهي بمثابة حرية التعبير والإفصاح عن العقيدة، وحماية الشعائر والطقوس التعبدية بشكل علني دون أن يمس أحدهم بأذى أو يشعر بمضايقة من قبل المسلمين، وقد أشار ابن حزم الأندلسي في كتابه "طوق الحمامة " إلى هذه الشعيرة من طقوس النصارى في قوله:

أَتَيْتَنِي وَهِلَالُ الجَّوِ مُطّلِعُ ... قُبَيْلَ قَرْعِ النَصَارَى لِلنَوَاقيسِ

وَلَاحَ فِي الأُفْقِ قوْسُ الله مُكْتَسِيًا ... مِنْ كُلِ لَوْنٍ كَأَذْنَابِ الطَوَاوِيسِ[81]

ومما يدل على حرية تعبدهم واستئناس المسلمون بهم، ما أورده صاحب المطمح في ترجمته لأبي عامرأحمد بن عبد الملك بن شهيد[82] حيث يقول: «انه بات ليلة بإحدى كنائس قرطبة... وقرع النواقيس يبهج سمعه والقس قد برع في عبدة المسيح، متوشح بالزنانير أبد توشيح»[83].

وعند انهيار الخلافة الأموية، واختلال أركانها مع نهاية القرن الخامس الهجري، الحدي عشر الميلادي لم تستهدف هذه الشريحة، ولم تصب كنائسهم ولا بيعهم بأذى. وفي غمرة الحرب الأهلية وانهيار السلطة المركزية ظل هؤلاء يمارسون نشاطهم الديني والدنيوي بكل حرية[84].

هذا فضلا عن الامتيازات الأخرى والتنازلات بحيث كان يسمح لهم أن يكون لهم رئيس في كل مدينة يكن لهم فيها تواجد، وكان يطلق عليه اسم القومس. لقد ظل هؤلاء المستعربين ينعمون بالحرية والحياة الكريمة إلى جانب الفئات الأخرى من مسلمين وغير المسلمين، دهرا طويلا إلى أن دخل المرابطون الأندلس.

سادسا: الموالي

وإلى جانب هذه العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي، هناك عناصر أخرى لا تقل أهمية من العناصر السالفة الذكر، من حيث المساهمة السياسية، والاجتماعية والاقتصادية، سواء في مراحل الترابط والانسجام بين عناصر المجتمع الأندلس في العهود الأولى للخلافة 300 هـ 366هـ[85] أو في مراحل تلاشي هذه الروابط وبزوغ صلة قرابة العصب، والسلالات الارستقراطية والمجموعات العرقية الواسعة[86] ومن هذه العناصر الموالي.

يقصد بالموالي الشريحة التابعة للبيت الأموي والتي توافدت بشكل قوي مع طالعة بلج بن بشر الذي كان جيشه يتألف من ألفي مولى وثمانية ألاف من العرب[87]. إذ لم يشكل هؤلاء كتلة واحدة متماسكة، بل كانوا افرادا يتوزعون هنا وهناك، ولم يظهروا كقوة سياسية فاعلة في المجتمع إلا مع دخول بلج بن بشر الأندلس من موالي بني أمية وممن دخلا بعدهم[88]، وازدادت الحشود نحو هذه الكتلة حتى صارت دولة بني أمية لا تعرف إلا بهم[89].

ولقد دأب خلفاء بني أمية على اصطناع الموالي لما لمسوه فيهم من الأركان والطاعة، وما قاموا به من جهود في إرساء دعائم الدولة الأموية بالأندلس، وهناك شخصيات من المولي لمعت في أفق السياسة،وتبوأت منزلة رفيعة في جهاز الدولة مثل عبد الرحمان بن بخت أحد زعماء موالي المروانية، الذي عضد عبد الرحمان بن معاوية في تأسيس الدولة.و عندما آل نجم الدولة الأموية إلى الأفول تنكر البعض منهم وقلب لهم ظهر المجن.حتى كانت نهاية رسم دولتهم على يد أحد الموالي وهو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور[90].

سابعا: اليهود

شكل اليهود طائفة مهمّة من طوائف المجتمع الاسباني[91] قبل مجيء العرب الفاتحين وكثرت جماعاتهم حتى غصت بهم بعض المدن ومنها اليسانةlucena[92] والبيرة[93] ولقد لقي اليهود عداء شديدا تحت حكم الرومان بدخول المسيحية شبه جزيرة ابيريا، وخاصة بعد القرارات التي اتخذها المجمع الطليطلي التي تفضي بضرورة تعميد الأولاد الذين هم من زيجات يهودية نصرانية[94] ومنع زواج المسيحيات من اليهود، ومنع الختان الذي كان يفرضه اليهود على عبيدهم، ومعاقبة من يفعل ذلك بمصادرة أملاكه وعزل اليهود عن مناصبهم ، وإلزامهم بوضع شارات تميزهم عن باقي العناصر حتى يسهل التعرف عليهم[95]. وحيال هذه القرارات المهددة لكيانهم هاجر الكثير منهم وبقي البعض متظاهرا باعتناقه المسيحية، وهؤلاء هم الذين يسمون باليهود المستترين judaizantes.

هذا ولم يتنفس اليهود الصعداء إلا في عهد الملك سيونتالا الذي لم يكن متعصبا لدينه ثم جاء من بعده سسناند الذي طالب بتجديد القرارات التعسفية ضد اليهود، وهكذا ظل اليهود يتقلبون بين حكام متعصبين تارة، وبين مسالمين تارة أخرى، ولعل التعصب الذي ذاقه اليهود في فترات مختلفة راجع إلى المؤامرات والدسائس التي يحيكونها في المجتمعات التي حلوا بها [96].

وعلى أية حال فإن اليهود ذاقوا مرارة الذل والاضطهاد مع بقية طوائف الشعب الذي أخذت تتوق إلى الخلاص دون أن تجد إلى ذلك سبيلا[97]. ولما حل المسلمون ببلاد الأندلس، تخلص اليهود من كبوس الاضطهاد، واستمتعوا بحرياتهم التي منحهم المسلمون إياها ومنها الحرية الدينية التي ظل اليهود يكتمونها قبل دخول الاسلام إلى اسبانيا.

ومما تجدر الإشارة إليه فإن العرب المسلمين لم تكن معاملتهم المتسمة بالتسامح ولين الجانب نابعة من شريعتهم ومبادئهم كمسلمين فحسب، بل يعود ذلك إلى الجميل الذي أسداه اليهود للمسلمين أثناء الفتح. ولقد أدى هذا المتنفس، والشعور بالأمان إلى مشاركتهم في الحياة الاقتصادية والعلمية بشكل فعال، وسجلوا حضورهم في ميادين العلم المختلفة، وكانوا على جانب كبير من التنظيم فقد توارثوا حب الدرس والجلوس اليه. حيث يروي الشنتريني أن الشاعر الأندلسي الشهير أبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد[98] كان استاذا ليهودي اسمه يوسف بن اسحاق،[99] يعلمه الشعر والأدب[100]. وكان علماؤهم أصحاب التلموذ يسلكون طرقا مشابهة للطرق التي يسلكها الفقهاء المسلمون، وعلى شاكلتهم سار الاطباء، والمترجمون الذين برعوا في ترجمة العديد من المصنفات بلغات مختلفة، منها العبرية والعربية، والقشتالية وأحيانا اللاتينية واليونانية. وقد استمر عدد كبير من بين هؤلاء العلماء امثال حسداي بن

شبروط طبيب الخليفة الناصر الذي كان رسوله في استقبال الكثير من سفراء الدول والمماليك الأجنبية[101].

ولا يمكن تفسير هذه المكانة والتألق الذي آل إليه اليهود، إلا تفسير واحد، ألا وهو التسامح ولين الجانب الذي منحه المسلمون لجميع الجاليات غير الاسلامية، سواء تلك التي كانت متواجدة في شبه الجزيرة قبل الفتوح الاسلامية، أو الذين دخلوا الأندلس بعد الفتح.

فقد لقي هؤلاء من المسلمين من حسن المعاملة، ما لم يلاقيه مع أمم أخرى، بل أشركهم المسلمون في جميع شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية مما حدى ببعض المؤرخين اليهود المعاصرين، إلى الاشارة إلى ان اليهود في العصر الوسيط الاندلسي كانوا أحسن حالا من غيرهم في بقاع العالم الأخرى.

فقد نعموا بالاستقرار والرفاه الاقتصادي، والحرية المطلقة في ممارسة جميع نشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، مما دفعهم إلى تطوير ابداعاتهم العلمية والادبية يقول حاييم الزعفراني «....وتجدر الاشارة هنا إلى ان اليهودية في الاندلس كانت أحسن حالا من غيرها من البقاع الاخرى، من حيث الامن والاستقرار، وقد لعب يهود الاندلس، بما كانوا عليه من وضع قانوني دورا مهما في ازدهار حياة البلاد الاقتصادية، بل في الشؤون العامة، وإليهم يعود الكثير من الفضل في الازدهار العام فمنحهم هذا الرفاه والرخاء ،التفرغ لطلب العلم وبلوغ المراتب العليا في الفكر في كل مشاربه المتمثلة إذاك في العلوم والاداب العربية الأندلسية، مما مكن اليهود من ان يؤثروا تأثيرا كبيرا في تطور الفكر اليهودي، وأن يسهموا في اخصاب واغناء مختلف أشكاله التعبيرية، وكان نتيجة لذلك نالت الدراسات العبرية في جوانبها اللغوية والأدبية»[102].

وحتى في مجال الشعر الذي كان العرب المسلمون قد قطعوا فيه شوطا بعيدا، ووظفوه في حياتهم اليومية، والدينية، والدنيوية، والعاطفة، واطلقوا العنان لقرائحهم الشعرية أن تجود بالقصائد الرائعة التي تغنت بها أجيال متوالية، كما عبروا عن خلجات النفس والروح، ولم يجدوا في ذلك عائقا دينيا يمنعهم من ذلك. في حين لم يعن الشعر اليهودي في بلاد المشرق – الذي كان حسن الشعر الديني- الشعر الدنيوي، إن صحّ التعبير، إلا بعد انتقاله إلى الأندلس، فقد ظهرت بالتدرج اتجاهات شعرية منحت بالشعر العبري إلى الخروج من هذا المسمى إلى مجال أكثر تفتحا. يعبر به أصحابه عن مواقفهم من الطبيعة، والحياة اليومية اقتداء بالشعراء المسلمين، مما جعل هذا الاتجاه موضع جدل وخلاف بين رجال الدين، واصحاب هذا الإتجاه من شعراء اليهود، فأدى ذلك إلى ظهور مدرستين متنافستين يتزعم إحداها دوناش بن لبراط،

والثانية يتزعمها مناحم بن سروق، وغدا الإتجاه الثاني مثله مثل شعراء المسلمين في الأندلس في مقاصده، وأهدافه، وموضوعاته، واصنافه، وتقنيات نظمه[103].

وعلى أي حال ففي مستهل عهد الطوائف، وبالرغم من الفتنة التي عمّت الاندلس وعصفت باعداد كبيرة من المسلمين الذين ينتمون إلى مختلف الطوائف الإثنية، لم يثن ذلك اليهود من أن يتبوؤا مناصب حساسة في امارات مختلفة كغرناطة التي وصل فيها واحد من اليهود وهو ابن النغريلة الذي تقلد مرتبة الوزارة في دولة بني زيري، وأصبح مطلق التصرف في شؤون الدولة، وحذا حذوه الكثير من اليهود الذين كانت تحدوهم الرغبة في التألق، والوصول إلى مناصب هامة في المملكة[104].وبهذه المعاملة الحسنة التي لقيها اليهود من المسلمين في الاندلس، جذبت كثير من اليهود الشرقيين إلى هذه البلاد[105].

الهوامش:

1- حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، 138هـ 422هـ، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1 1999، ص: 12-13.

2- أحمدبن عبود، مباحث تاريخ الأندلس ومصادره، منشورات عكاظ، المغرب 1987، ص: 45-46.

3- محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الاسلامية في القرن الحادي عشر ميلادي، الخامس هجري، الدار التونسية للنشر، (د ت) ص:237.

4- طريف بن مالك: يكنى بابي زرعة طريف بن مالك المعافري، بعثه موسى بن نصير على رأس حملة استطلاعية، سار بها حتى بلغ الجزيرة التي تقابل الاندلس المعروفة بالخضراء ،ويقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها، ومنها انطلق إلى الضفة الأخرى، أين أصاب سبيا ومالا كثيرا وامتعة فلما رأى الناس ذلك تشجعوا على الدخول. المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس،دار صادر 1388، ج1، ص: 255.

5- مجهول: أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقفة بها، تحقيق اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب 1989، ص:97.

6- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، مؤسسة الثقافة الجامعة الاسكندرية، ص:57.

7- المقري التلمساني، المصدر السابق، م1، ص: 233.

8- عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس، المدار الاسلامي، ط1، بيروت، 2004 ص: 157.

9- صالح خالص، اشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، (د ت)، ص: 30.

10- رندة: وصفها ابن الخطيب بقوله «أم جهات وحصون وشجر ذات غصون وجنات خصيب وحمى مصون، بلد زرع وضرع، وأصل وفرع منحازاتها بالبرمالية وأقواتها جديدة وبالية» تقع رندة غرب مالقة وقد كانت من اهم القواعد الاندلسية وتعتبر حصنا منيعا لمدينة مالقا، ابن الخطيب لسان الدين، كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية 1423-2002، ص: 130.

11- تاكرنا: تقع بمقربة أستجة وهي مدينة أولية إليها تنسب الكورة وبها بلاط من بنيان الاول لم يتغير ومن مدنها الهامة مدينة رندة عاصمة بني يفرن خلال عهد الطوائف كثيرة الجبال والعيون ومنها كانت تجلب المياه إلى المدن المجاورة وبها حصون منيعة كما يشتهر

هذا الأقليم بوفرة مياهه وتنوع منتوجاته الزراعية، مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية 1428-2007، ط1، ص124، الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان بيروت، 1975، ص: 607، الزهري محمد بن أبي بكر، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (د ت)، ص: 90.

12- وزداجة: يعتبرهم بعض النسابين من البربر البتر، ووزداجة من هوارة، وكان لهم وفود ،وكثرة.وكانت مواطنهم بالمغرب الاوسط بناحية وهران ،وكان لهم اعتزاز وآثار في الفتن والحروب.ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية 2002-1424، ج6، ص: 148.

13- شنت مرية: مدينة في الاندلس من مدن أكشونية، وهي أول الحصون التي تعد لبنبلونة وهي أتقن حصون بنبلونة وأعلاها سموكا، مبتناه على نهر أرغون وهي مدينة أولية ،وبها دار صناعة الاساطيل وبجانبها جزائر في البحر ،تنبت شجر الصنوبر وهي كثيرة الاعناب والتين ،وبها مسجد جامع ومنبر وجماعة. مجهول ،تاريخ الاندلس، ص: 107، الحميري، المصدر السابق، ص:148.

14- مغيلة: هم إخوة مطماطة ولماية كان منهم جمهوران ،أحدهما بالمغرب الأوسط عند مصب نهر شلف جنوب مازونة، ومن ساحلهم اجاز عبد الرحمان الداخل إلى الأندلس. وكان منهم أبوقرة المغيلي الدائن بدين الصفرية الخوارج، ملك أربعين سنة- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج6 ص: 148.

15- سليمان بن وانسوس:وفي الأصل وانسنوس، هو الوزير الذي ينسب عليه بنو ونسوس .وهم من مكناسة توفي سنة 307هـ، ابن حزم ،المصدر السابق، ص499. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س كولان وليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية، ط1، 2009 ج2، ص: 152-164-175.

16- مكناسة: تقع جنوب غرب فاس على مسافة 60 كلم سميت باسم مكناسة البربرية ،من آثارها القديمة باب المنصور والاصطبلات القديمة تعتبر خامس مدن المغرب، بعد الرباط، والدار البيضاء،ومراكشن، وفاس. عرفها ابن الخطيب بقوله «مدينة اصيلة وشعب المحاسن وفصيلة فضلها الله ورعاها واخرج منها ماءها ومرعاها فجانبها مريع وخيرها سريع» ولمكناسة تاريخ حافل ولذلك حظيت بعناية المؤرخين فكتبا في تاريخها ما خلد آثارها، ابن الخطيب المصدر السابق، ص: 165 وحاشيته رقم 111، في نفس الصفحة، عبد الرحمان بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الثقافة الجزائرية 2007، الحاشية رقم 3، ص: 221.

17- بنو الخروبي: أصلهم من لقنت وهم من قبيلة زناتة ومنهم عبد الله الخروبي، ابن حزم، المصدر السابق، ص:499، ابن عذارى المصدر السابق، ص: 164/159.

18- مديونة: فصيل من قبائل زناتة منهم كان ثابت بن عامر المديوني وهو خال بني ذي النون، ابن حزم، المصدر السابق، ص499، اسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية ط2، 1411-1991، ص: 19.

19- وبذة: مدينة بالأندلس، وهي حصن على واد بقرب إقليش وعلى وادي ويذة كثير من الأرجاء يمر هذا النهر على عدة قرى فيسقيها وبالقرب من وبذة قرية صغيرة تسمى بنتيج أهلها نصارى، وينعقد ماءها في الإناء فيصير حجرا أصفر وكذلك ينعقد في اسنان أهلها وتشملهم علة الحصى، الحميري، المصدر السابق، ص: 607.

20- صالح خالص، المرجع السابق، ص: 30.

21- jacinto bosch vila- los berberes en al-andalus imazghen delmagreb entre occidente y oriente introduccion de los berbereses edi rachid kana ahmed grenada 1994, p : 91.

22- عثمان الكعاك، البربر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، ص: 84.

23- حسين مؤنس، فجر الأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط3، ص: 315.

24- لفي بروفنسال، تاريخ اسبانيا الاسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية711- 1031، ترجمة إيميليو غارثيا غومث إلى الإسبانية وإلى العربية علي عبد الرؤوف البمبي ، علي ابراهيم منوفي، السيد عبد الظاهر عبد الله، مراجعة صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص: 86-87.

25- عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس، ص: 100.

26- pierre guichard, structures sociales et occidentales et orientale dans l'Espagne musulmane mont on paris la hage 1977, p: 137.

27- محمد حقي، البربر في الأندلس، شركة النشر والتوزيع، المدارس الدار البيضاء، ط1، ص: 62.

28- شذونة: تتصل بأحواز كورة مورر، تجمع بين خيرات البر والبحر، وبها مراعي كثيرة، ومياهها غزيرة، كثيرة الثمار كالزيتون والعنب والتين، ولها أقاليم عديدة، وبها مدن لم يبق لها أثر عدا مدينة شريش، ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الانفس، نشر لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، 1375-1955، ص: 294.

29- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص: 87.

30- ابن حزم، المصدر السابق، ص: 500.

31- العبادي احمد مختار، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، ط1، 200، ص: 58-59.

32- ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف بيروت، ط2، 1956، ص: 63.

33- ابن حزم، المصدر السابق، ص:461-467.

34- ابن الخطيب، لسان الدين، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان، بيروت، ج1، ص: 521.

35- ابن الخطيب، أعلام الاعلام، ص: 102.

36- المقري، المصدر السابق، م1، ص: 251- 252.

37- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص: 5.

38- ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، بيروت 1980، ص: 33.

39- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 185.

40- أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي: كان موصوفا بالحزم والشجاعة، وكان شاعرا بليغا، ولاه حنظلة بن سفيان عامل افريقية على الاندلس سنة 125، اظهر ميلا حين توليته شؤون الحكم- لقومه من اليمانية وثار عليه الصميل بن حاتم وانصاره وأسروه وخلعوه وولو مكانه ثوابة بن سلامة سنة128، إلا أن المضريةالتفوا حوله وقامت الحرب بين اليمانية والمضارية، وقتل أبو الخطار سنة 130هـ، ابن الأبّار، المصدر السابق، ج 1، ص: 62.

41- عبد الملك بن قطن: بن نهشل الفهري من الامراء الشجعان، شهد وقعة "الجرة" في ايام يزيد بن معاوية سنة 53هـ عبر إلى افريقية ثم إلى الأندلس، تولى الامارة بعد مقتل الغافقي سنة 114هـ غزا أراضي الشكنس، عزله الحبحاب إلا أن أهل الأندلس لم يرضوا به

بديلا، فلم يرضي ذلك العرب وثاروا عليه، وثم قتله سنة 123هـ، القري التلمساني، المصدر السابق، ج1 ص: 236-291-299.

42- مجهول، أخبار مجموعة، ص: 119.

43- ابن القوطية ،المصدر السابق، ص: 44.

44- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 379.

45- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 365.

46- Pierre guichard- op.cit, p: 137.

47- دوزي رينهارت، تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة حسين حبشي، دار المعارف القاهرة، ج1، ص: 157.

48- الإدريسي أبو عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق عالم الكتب بيروت 1421-1989،ج1، ص: 205.

49- المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص: 271- 273.

50- نفسه، ج1، ص:277.

51- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 302.

52- نفسه، ص303.

53- المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص: 174.

54- لفي بروفنسال، المرجع السابق، ص85.

55- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص122.

56- السيد عبد العزيز سالم،تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص: 122.

57- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص225.

58- نفسه، ج2، ص: 163.

59- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص: 8.

60- نفسه، ص: 9.

61- ابن حوقل أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص: 106.

62- ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 106.

63-نفسه، ص: 106. المقديسي شمس الدين، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية،2003/1424، ص: 194.

64- المقري التلمساني، المصدر السابق، ج2، ص: 102.

65- ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام، ص40-41.

66- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص: 259.

67- العبادي أحمد مختار، المرجع السابق، ص: 408.

68- ابن الخطيب لسان الدبن، المصدر السابق، ص: 121.

69- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص: 24-26.

70- العبادي أحمد مختار، المرجع السابق، ص: 277.

71- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص: 127.

72- حسين المؤنس، المرجع السابق، ص: 341.

73- قرآن كريم، سورة البقرة ،جزء من الآية: 256.

74- كرد علي، غابر الأندلس وحاضرها، المطبعة الرحبانية بمصر ط. 1341، 1423 ص: 38.

75-السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص: 126.

76- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 344.

77- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص: 130.

78- حسين المؤنس، المرجع السابق، ص: 342.

79- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص: 130.

80- انخيل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص: 5.

81- ابن حزم، طوق الحمامة بين الألفة والألاف، تحقيق الطاهر أحمد المكي، دار الهلال، الرياض 1914 ص: 133.

82- أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعي وزير من كبار الأندلسيين أديبا وعلما كان مولده سنة 382 هـ 992م. عالم بأقسام البلاغة ومعانيها، حاز قصب السبق فيها، كان نسيج وحده، له شعر جيد يهذل فيه ويجد وتصانيف بديعة منها "كشف الدك وإيضاح الشك" و "حانوت عطار" و"التوابع والزوابع" وله بينه وبين ابن حزم الظاهري مكاتبات ومدعبات. ابن خاقان الفتح، كتاب تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس المعروف بمطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق مديحة الشرقاوي مكتبة الثقافة الدينية ط2، 2001، ص: 81.

83- ابن خاقان الفتح، نفسه ، ص: 262.

84- محمد عبد الوهاب خلاف، المرجع السابق، ص: 262.

85- شريفة محمد عمر دحماني، العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر الطوائف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2005، ص: 81.

86- نفسه، ص: 64.

87- ابن القوطية أبو بكر، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق اسماعيل الغربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص: 29.

88- السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص: 126.

89- نفسه، ص: 126

90- ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور: تولى أسلافه من الجهاورة الحجابة والوزارة والقيادة والكتابة إلى وقوع الفتنة ، ولما لم يكن بمقدور أعقاب بني أمية إدارة الحكم في قرطبة صار إليه تدبير أمر قرطبة بعد خلع هشام بن محمد. ساس دفة الحكم من مقر سكناه، ولم يتحول إلى قصور الخلافة وتميز بالرجاحة والدهاء، ذكر بن حيان بعض تدابيره في السياسة قال: «متى سئل قال: ليس لي عطاء ولا منع هو للجماعة وأنا أمينهم وإذا رابه أمر عظيم أو عزم على تدبير ، أحضرهم وشاورهم، شهدت قرطبة في عهده استقرارا وأمنا، وجنب قرطبة من كان يطلبها من أمراء البرابرة، ابن الأبار أبو عبد الله، الحلة التراء، دار الكتب العلمية بيروت ط1 2008 ص 189-190، الحميدي أبو عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، بيروت، ط1 2004/1425، ص: 185.

91- صلاح خالص، المرجع السابق، ص: 33.

92- اليسانةlucena: مدينة اليهود لأن أكثر من سكنها من اليهود ولها ربض يسكنه المسلمون وبها المسجد الجامع، وهي محصنة بسور منيع، واليهود يسكنون ، بجوف الميمنة لا يداخلهم فيها مسلم البتة، وأهلها اغنياء مياسير أكثر غنى ممن اليهود الذين بسائر

بلاد المسلمين ومن اليسانة إلى قرطبة أربعون ميلا- الإدريسي أبو عبد الله الشريف- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق اسماعيل الغربي،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1483/ 1983- ص: 299.

93- البيرة: تقع شمال شرق مملكة غرناطة وهي بلدة مرتفعة صاطية الجو أسسها عبد الرحمان بن معاوية وهي من قواعد الأندلس الجليلة خربت أيام الفتنة وأنحاز أهلها إلى غرناطة وبساحلها كان نزول الأمير عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الداخل إلى الأندلس حين عبوره إليها – الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس- ص 28-29. ابن الخطيب لسان الدين، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1423/ 2002، ص: 104.

94- حسين المؤنس، المرجع السابق، ص: 411.

95- حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص: 46.

96- نفسه، ص: 46.

97- محمد محمد زيتون، المسلمون في الأندلس -1419-1990 ص: 151.

98- ابن شهيد: هو احمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن سعيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح الأشجعي. شاعر مفوه أوتي جوامع الكلام يقتصر على المفيد منه، ذا قريحة مطواعة يرتجل الشعر والنثر دون الحاجة إلى اقتناء الكتب. له رسائل كثيرة في فنون الفكاهة وأنواع التعريض والإهزال ، يميز بسرعة البديهة وحضور الجواب، الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص: 118. ابن الأبار عبد الله، الحلة الشراء، تحقيق علي ابراهيم حمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 136.

99- يوسف ابن اسحاق، عاصر ابن شهيد الشاعر وكان تلميذ له، قال فيه «لم يزل يتدرب باختلافه إلى حتى ذري تربه وطلع عشبه ثم تفتح زهره...»الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص: 146.

100- ابن بسام الشنتريني أبو الحسن، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/ 1998م، ج1، ص: 145.

101- ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة، ذو قار قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص: 108.

102- حاييم الزعفراني، يهود الاندلس والمغرب، ترجمة أحمد سحلان، مطبعة النجاح الجديدة، 2000، ج1، ص: 176.

103- نفسه، ج1، ص: 175.

1 - David wasserstan- Samuel ib naghrila ha hagid and islamic historiography in al-andalus Al –qantara revista de estudios arabes vol XII madrid, 1993 fase.

105- صلاح خالص، المرجع السابق، ص: 33.

مازونة من القرية الجبلية

إلى عاصمة بايليك الغرب

د/ أحمد بحري، جامعة وهران1 أحمد بن بلة

رغم أنّ الحديث عن مازونة فيما قبل العهد الزياني، لا يعدو التلميح إلاّ أنّ صفحات تاريخ المغرب الأوسط تكاد لا تخلو من تعليق، أو إشارة إلى هذه المدينة، على مرّ الزمن.

وسنرى في ما يلي؛ كيف أثّرت المدينة على سير الأحداث، منذ نشأتها إلى أن أصبحت عاصمة لبايليك الغرب، عند دخول العثمانيين إلى الجزائر.

لقد عانت المدينة من تقلب السلطة، في هذا القسم من العالم الإسلامي، بين الحين والآخر بين المرينيين والزيّانيين والحفصيين، وزادها تأثّرا ظهور الخلاف بين أبناء حكّامها من قبائل مغراوة، وجرّ عليها وعلى ساكنيها الكثير من الويلات.

المرحلة البربرية:

بغض النظر عن الاختلافات الواردة حول أصل التسمية، وتاريخ النشأة التي جاءت في مختلف المصادر التاريخية، والتي يصعب الفصل بينها من دون ظهور شواهد جديدة؛ فإن بلحميسي يرى أن غنى المنطقة الجبلية بالموارد النباتية، وبمجموعة من المغارات التي تخبئ الكثير من الآثار البشرية الضاربة في القدم، والتي تدفعنا إلى الجزم بأن الوجود البشري في المنطقة يزامن العهد الروماني، بل قد يتعداه في القدم، فالمنطقة تقع عند تقاطع الطرق التي تربط بين تنس وحوض مينا، وبين الأصنام وبقية المدن الساحلية

والظاهر أن الرومان تنقلوا في المنطقة في جميع الاتجاهات، وكون المدينة تقع في موقع حصين وكثير المياه؛ فلا يستبعد أن يكون الرومان قد اتخذوها أكثر من حصن عسكري

أما مارمول؛ فيرى أن الوجود الروماني بالمنطقة كان بين القرن الرابع والخامس، وتسبب في هجرة البربر من كل سهل الشلف والاحتماء بالجبال[1].

وذكر بوردون أن " احتمال كون مازونة مدينة رومانية كبير جدا، ومن المؤكد أنّها كانت آهلة بعدد كبير من السكان، وذلك لكثرة ما تحويه المنطقة من آثار رومانية؛ داخل المدينة وخارجها، في جهة بني زروال وأولاد كرلوف "[2].

ويعلّق في موقع آخر قائلا: "... هذه المدينة التي من المفروض أنها بنيت في عهد الرومان؛ وإن كان سكانها ينسبونها إلى المسمى ماتع البربري، الذي عاش قبل العهد الإسلامي، لكن موقعها الحسن، على مرتفع ينعم بالمياه الوفيرة المتدفقة، أجمل من ألا يفكر فيها الرومان، ويتركوا هذا الموقع حتى ينتبه إليه البربر، ومع الأسف لا يمكن توثيق تاريخ المدينة الذي ليس لنا حوله سوى المرويات الشفهية التي توارثها السكان "[3].

مازونة في العهد الإسلامي الأول

نظرا لفقر الكتابات التاريخية حول المدينة قبل العهد الزيّاني؛ فمن الصعب الحديث عنها قبل ذلك التاريخ، فما كتب قبل ذلك لا يكاد يعدو شذرات هنا وهناك، تقتصر في معظمها على أن القائد الفلاني مرّ بها، أو أنها كانت ضمن المدن التي خضعت لحكم قبيلة مغراوة، أو غير ذلك من الإشارات المقتضبة، والتي لا تعطينا أي وصف يمكن أن يعرف منه حجم المدينة أو أثرها التاريخي والحضاري.

من ذلك ما نقله الوزان بقوله: "...لقد كانت مدينة متحضرة جدا في القديم، لكنها كثيرا ما تعرضت للتخريب من قبل ملوك تونس تارة، ومن قبل الثوار تارة أخرى، وبالتالي من الأعراب، حتى أصبحت اليوم (القرن 16) قليلة السكان، وهم إما نسّاجون، أو فلاحون، وجميعهم تقريبا فقراء، لأنّ الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات، والأراضي المزروعة جيدة تعطي غلة حسنة "[4].

ومنه ما يذكره الناصري[5] عن المدينة بقوله: "... ثمَّ استولى عليّ بن إسحاق على الجزائر ثمَّ على مازونة ثمَّ على مليانة ثمَّ على القلعة ثمَّ نازل قسنطينة فامتنعت عليه، واتصل الخبر بالمنصور، فسرح السَّيد أبا زيد بن أبي حَفص بن عبد المُؤمن، وعقد له على حرب ابن غانية، وعقد لمحمد بن إبراهيم بن جامع على الأساطيل، وإلى نظره أبو مُحمَّد بن عطوش وأحمد الصّقليّ، فوصل السَّيِّد أبو زيد إِلى أفريقية، وشرّد ابن غانية عنها إلى الصَّحراء في أخبار طويلة ..."[6].

يجزم بوردون أن المدينة لم يدخلها الإسلام في الحملة الأولى لجيوش الفاتحين المسلمين في القرن السابع الميلادي، لكن أهلها سرعان ما عرفوه ودخلوا فيه، وقدّموا للفاتحين الجدد رجالا أشداء للمشاركة في فتح الأندلس، كما شاركوا في بناء الدولة المرابطية بفاعلية، وقدموا بعد ذلك لعبد المؤمن أقوى المحاربين، لبناء الدولة الموحدية غير أنهم هُزِموا أمام الهلاليين وسامتهم قبائل المحال سوء المعاملة بعد انهزامهم[7].

وأما بلحميسي فيعتبر أن القرن الثاني عشر الميلادي هو عصر الازدهار في تاريخ المدينة، حيث ابتداءً من هذه الفترة بدأت المدينة تعرف ذكرا واضحا في التآليف، كما هو الحال مع الإدريسي في نزهة المشتاق، الذي جعل المدينة عامرة بالنشاط التجاري، الذي مردّه إلى كثرة المنتوج الفلاحي والحيواني الذي تنعم به الأراضي الخصبة المحيطة بالمدينة، بالإضافة إلى المنتوج الصناعي والحرفي، الذي ملأ أسواقها بالزرابي والأصواف المصبوغة، وجعل بينها وبين مدن أخرى كالقلعة وتلمسان ومراكش روابط تجارية قوية، حتّمت على القوافل التجارية المرور بها للتزود بمنتوجاتها[8].

وإذا كان للمدينة هذا الظهور الاقتصادي؛ سيكون لها أيضا دور سياسي في إطار الصراع الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط، على عهد بني زيان[9]، سواء خلال التنافس بينهم وبين جيرانهم الحفصيين شرقا والمرينيين غربا، أو عند التنافس الداخلي بين مختلف فروع البيت الزّياني على هرم السلطة ودور سكانها قبائل مغراوة في هذا الصراع[10].

لقد أدى اختلاف الولاء بين دولة وأخرى؛ إلى جعل المدينة تهوي في ظلام سحيق، مرده إلى الحملات التأديبية، التي عانت منها كلما انقلب ميزان القوة ضدها.

ففي سنة 639 هـ؛ وفي عهد علي بن منديل الذي خلف أباه على حكم مازونة ومعها قبائل مغراوة، وقع تحالف بينهم وبين بني توجين، وطلبوا تدخل أبو زكريا الحفصي، لدعم هذا الحلف ضد بني عبد الواد؛ فأسرع إليهم وهزم الزّيانيّين ودخل عاصمتهم تلمسان، وفي طريق عودته عيّن عليا هذا حاكما على مازونة، وطلب منه أن يلبس الخلعة، ويتصرف تصرف الملوك؛ نكاية في بني زيان ومنازعة لهم على ملك المغرب الأوسط[11].

وفي سنة 686 هـ؛ حاول أبو سعيد عثمان الأول[12] الذي حكم _ بعد أبيه يغمراسن بن زيان _ عرش الدولة الزّيانية أن يفرض سلطانه على كامل المغرب الأوسط، فحاصر بجاية، لكنه فشل في إسقاطها،

وفي طريق عودته " ... أخذ مازونة من أيدي مغراوة، وحصن تافرجنيت من أيدي توجين ... فدوّخ بلادهم، وأحذ ونشريس معقلهم، وسبا حرم محمد بن عبد القوي، ثم صرفهن إلى قومهن"[13].

وفي نفس السنة؛ اتخذ أبو سعيد حاكم تلمسان المدينة خزانا للقمح، الذي جمعته جيوشه من القبائل المنهزمة أمامها في أراضي بني توجين[14].

وهو ما يؤكّده عبد الرحمن بن خلدون بقوله: "وفي خلال هذه الولايات؛ استغلظ عليهم بنو عبد الواد، واشتدّت وطأة عثمان بن يغمراسن عليهم، بعد مهلك أبيهم محمد (بن عبد القوي)، فنهض إليهم سنة ست وثمانين وستمائة، وحاصرهم بجبل وانشريس، وعاث في أوطانهم، ونقل زروعها إلى مازونة حين غلب عليها مغراوة "[15].

محنة أخرى عرفتها مازونة بعد حصار تلمسان، من قبل حكّام فاس، الذين دانت لهم البلاد بعدها، فرغم المقاومة الشرسة؛ عجزت قبائل بني توجين ومغراوة عن صد هجمات أبي يعقوب المريني، فآثرت الخضوع للحاكم الجديد[16].

وبعد عودة حكم المغرب الأوسط إلى الزيانيين في منتصف القرن الرابع عشر؛ خضعت المدينة مجددا إلى سلطانهم، وحكمها حلفاؤهم من قبائل سويد، الذين تغلبوا على معظم البلاد الخاضعة لبني عبد الواد، الذين لم تعد سلطتهم تتجاوز في الكثير من الأحيان حدود عاصمة ملكهم تلمسان[17].

وقد أورد عبد الرحمن بن خلدون جملة هذه الصراعات، التي عرفها البيت الزياني، وعانت منها مازونة وما جاورها مرات متعددة؛ منها وصفه لحملة عثمان بن يغمراسن بقوله: "... ولما هلك يغمراسن، وقام بالأمر بعده ابنه عثمان، انتقضت عليه تنس، ثم ردّد الغزو إلى بلاد توجين ومغراوة، حتى غلبهم آخرا على ما بأيديهم، وملك المرية بمداخلة بني لمدية أهلها سنة سبع وثمانين وستمائة، وغلب ثابت بن منديل على مازونة، فاستولى عليها، ثم نزل له عن تنس أيضا فملكها.

ولم يزل عثمان مراغما لهم إلى أن زحف إليهم سنة ثلاث وتسعين وستمائة؛ فاستولى على أمصارهم وضواحيهم، وأخرجهم عنها وألجأهم إلى الجبال"[18].

وفي سنة 750 هـ، وبعد إحياء الدولة العبد الوادية (الزيانية)، على يد الأميرين أبي سعيد وأبي ثابت؛ غزا الأخير وهران، بعد أن أعدّ لها العدة وفتحها عنوة، ثم غزا ناحية شلف، بعد أن "... نشأت بينه وبين

مغراوة ريح السعايات، واستحكمت صبغة العداوة، فنهض إلى قتالهم ... والتقت الطائفتان بواد ارهيو .... ثم ا□لت الكائنة عن هز□ة مغراوة، واستئصال محلاّتهم وفرارهم إلى رؤوس الجبال وبطون الشعاب ... "[19]، فبعثت مازونة ببيعتها للأميرين[20].

مازونة في العهد العثماني:

بدخول العثماني□ إلى ا□زائر، وإخضاعهم المغرب الأوسط إلى سلطاتهم؛ عرفت مازونة نقلة نوعية لم تشهدها من قبل، فلقد جعلوها عاصمة لأحد البايليكات التي نظموا من خلالها إدارتهم للأيالة [21]، إذ اختارها حسن بن خير الدين - الذي حكم البلاد نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر - عاصمة لبايليك الغرب، ومنطلق ا□ملات □ماية مستغا□، وقلعة بني راشد اللتين كانتا مهددتين باستمرار بالغزوات الإسبانية، ا□نطلقة من وهران، ومنها انطلقت وسيّرت الجيوش لمحاولة تحرير وهران أو حصارها .

كما كانت مستقرّا للباي بن خديجة أول بايات الغرب، بعد عودة حسن بن خير الدين من حملته على الغرب سنة 1563م .

وقد كان أول اتصال ب□ ا□كام ا□دد للجزائر ومازونة، في عهد علي الذي عزم منذ بداية ولايته على هز□ة إسبان وهران، فأرسل جيشا كبيرا إلى المدينة، وبعث جزءا من محلته الخاصة للمشاركة في الغزوة وأنزلها بمازونة ومستغانم.

وفي نفس الوقت أرسل سفنه إلى المرية لتدعم الحركة الاحتجاجية التي كان مأمولا أن تنطلق في نفس الوقت على أيدي الموريسكيين في غرناطة حتى يشغل إسبانيا في عقر دارها عن دعم المحاصرين في وهران، لكن ا□طة فشلت بعد أن كُشف مدبّروا الثورة في غرناطة، وتم إعدامهم ووأدها في المهد .[22]

لم تتوقف حملات أوجاق الجزائر، على ا□هة الغربية من ا□زائر لفرض سلطاتهم عليها، ولم يبق لهم غير وهران ومرسى الكبير، وما قد يأتي من تهديدات ملوك المغرب، الذين توجّسوا خيفة من الأتراك منذ قدومهم، ولم يقبلوا الاعتراف بسلطتهم؛ رغم سعي الباب العالي بشتى الوسائل إلى إدخال المغرب الأقصى ضمن الرابطة العثمانية[23].

وبعد فشل جهود حسن بن خير الدين في ولايته الثانية في تحرير وهران؛ آثر أن يترك حامية عسكرية، تكون درعا أمام أي هجوم محتمل على دولتهم، وثغرا متقدما يترقب الفرصة لتحرير المدينة،

فاختار جبال الظهرة حيث كان متأكدا أن الإسبان لن يغامروا ويأتوا للبحث عنه، ومن هناك كان مثله الباي مستعدا لمساعدة مستغانم وقلعة بني راشد التي كانت تساعد بدورها نوبة تلمسان[24].

مازونة عاصمة لبايليك الغرب:

كان الوضع المذكور نواة ميلاد بايليك الغرب، ومن مازونة وسّع العثمانيون سلطانهم إلى مليانة وبعد ذلك إلى كامل إقليم وهران ولم يبق غير قبيلة بني عامر وقبائل كريشتل على ولائها للإسبان[25].

وقد قسمت السلطة في بايليك الغرب في بداية الأمر بين بايين اثنين، يستقر الأول بمازونة، والثاني بتلمسان[26]، وهذا يعني أن الأمر لم يكن مستقرا، لذلك كان الإقليم مقسما إلى بايليكين؛ ربما لأن الأوجاق لم يأمنوا على تلمسان القريبة من الحدود الغربية، والمهددة دوما بخطر ملوك المغرب، فآثروا السلامة في مازونة دون رفع اليد عن تلمسان.

وأكّدت الأيام صواب هذا الرأي، فبمجرد سنوح الفرصة قام الشريف مولاي محمد سنة 1647م بغزو الغرب الجزائري، فدخل تلمسان وتقدم إلى ما والاها من الشرق.

وأمام عجز باي مازونة عن صدّه؛ طلب العون من الجزائر، لكن الغازي حمل غنائمه وعاد إلى سجلماسة قبل وصول المدد، فأوفد إليه الباشا عثمان وفدا من علماء الجزائر، وأرسل معهم رسالة[27] دعاه فيها لعدم العودة إلى غزو البايليك، أو إلى المواجهة المباشرة الصريحة.

وبالالتفات إلى غزو ما سلبه الكافر من بلاده عوضا عن ذلك فكان له ما طلب إلى حين[28].

وفي العام 1679م؛ تولى حكم مازونة شعبان الزناقي، الذي بقي في الحكم 8 سنوات، قضاها في محاربة الإسبان، وشدّد في التضييق عليهم، إلى أن هلك سنة 1686م في إحدى حملاته على وهران.

وقد أورد الجامعي، في معرض شرحه لأرجوزة الحلفاوي ما نصه: "... وقوله كقتلى شعبان نصيح ربه، إشارة إلى أن مصرع كفرة هذا البرج؛ كمصرع الكفرة الذين قتلهم شعبان باي، وفي هذا استطراد بديع، وتلميح بغزوة عظيمة، أوقع فيها شعبان الزناقي بالكفرة وقعة شهيرة، ما زالت التواريخ ترقم بذكرها، ولبات الطروس تتحلى بدرر خبرها.

وقد كان لهذا الباي - رحمه الله - في كفرة وهران وقعات وغزوات، لم يشنّ عليهم أحد مثله شعواء الغارات، ومن أشهر غزواته هذه التي استطردها الناظم، وكانت سنة ثمانية وتسعين وألف، وبها استشهد - رحمة الله عليه -، وقد أبدى ذلك وأعاده وأظهر من الشجاعة ما يقصر عنه عنترة ابن شداد.

أخبرني بعض من حضر معه؛ أنه تكسّر في يده في ذلك اليوم سيفان، وحُكِي أنه احتفل لذلك اليوم احتفالا عظيما، لبس فيه أفخر ثيابه، وحلّى بأشرف حليته، وركب أجود مراكبه ..."[29].

ورغم كل الجهد الذي بذله الباي شعبان؛ إلاّ أنه لم يستطع تحرير المدينة، بل كان حتفه على أسوارها، على يد المغطّسين عملاء الإسبان، الذين قطعوا رأسه وعلّقوه على أسوار المدينة؛ ممّا أثّر في الجند، وردّهم خائبين إلى مازونة .

أما المشرفي؛ فيكيل السبّ واللّعنات لمن كان سببا في مقتل الباي، من رجال بني عامر، فيقول في حقّه: "... فكان منهم المرجفون والمنافقون، والجالبون قلوب الناس للكفر والزندقة، وليس لهم غيرة على الإسلام ... حتّى أن من جملتهم الكافر أبو نصايبة أحد النصاصيب، الذي قتل الفقيه باي مازونة السيد شعبان الزناقي، عند باب وهران سنة ثمان وتسعين وألف، واجتز رأسه فلعنه الله من منافق وأخزاه، فإنه مجرم فاسق ..."[30].

وقد حاول الباي الجديد إبراهيم خوجة؛ إعداد حملة أخرى في العام الموالي، فانطلق من مازونة، وحاصر وهران وشرع في قذفها، لكنّه اضطر لرفع الحصار عنها، والعودة إلى العاصمة للمشاركة في صد هجوم الماريشال دوستري .[31]

وفي سنة 1701م؛ قام السلطان مولاي اسماعيل ملك المغرب، بمحاولة أخرى للسيطرة على البايليك؛ فهزمه الجيش العثماني بقيادة الباي مصطفى بوشلاغم، مدعوما بمدد داي الجزائر، وحملت رؤوس المهزومين إلى العاصمة، معها أحمال من الغنائم التي نهبت من محلة السلطان المتقهقر، واستطاع الباي بوشلاغم أن يجمع شتات المخزن الداعم للسلطان بعد هزيمته، ويشكل به مخزنا داعما للبايليك؛ من فرسان الزمالة والدواير والعبيد والغرابة الذين انقلبوا طواعية بعد الهزيمة إلى صف المنتصر .[32]

وبقيت مازونة مقرّا لبايات الغرب حتى هذه سنة 1701م، حين استغل الباي بوشلاغم هذه المستجدات وحوّله إلى معسكر، ليُحْكِم الحصار على مدينة وهران، وأصبحت مازونة بعد ذلك من أهم

حواضر البايليك، يقيم بها حاكم تحت سلطته الجهة الشرقية للبايليك، وقد اجتمعت له السلطتان المدنية والعسكرية[33].

وللمازاري تفصيل حول هذا الانتقال، يذكره في كتابه (طلوع سعد السعود) حول مخزن بايليك الغرب؛ نوجز منه ما يلي: "... لكون الترك تولّوا على الجهة الغربية، وجعلوا فيها بايا قبل الجهة الشرقية وقاعدته وهران... وأول باياتها حسن بن خير الدين، ثم جمعا في الثامن والتسعين وألفا لواحد، وصارت القاعدة قلعة بني راشد، ثم صارت معسكر، ثم صارت وهران في الفتح الأول، ثم صارت مستغانم، ثم صارت المعسكر، ثم صارت وهران في الفتح الثاني "[34].

وإذا كانت مدة بقاء مازونة عاصمة للبايليك معروفة ومحددة بوضوح؛ كما بيّن المازاري وغيره من المؤرخين، الذين تناولوا بايليك الغرب بالوصف؛ فإن جملة من تولّوا حكم البايليك من البايات،لم يحددوا بدقة، ولا نعرف منهم إلا عددا قليلا، فبعد بن خديجة جاء صوّاق، الذي مات مسموما كما يروي الزياني، تلاه السايح الذي بقي في الحكم أحد عشر عاما، ومن بعده حكم المدعو سعد، ثم ينقطع الحديث عن البايات حتى السادس عشر، وهو محمد بن موسى ثم شعبان الزناقي، الذي مات في محاولة لفتح وهران، وقد عدّه جورجوس من أشد البايات شراسة في التضييق على إسبان وهران والقبائل المساندة لهم [35].

وآخر البايات الذين حكموا مازونة هو مصطفى بوشلاغم، وهو الذي نقل مقر إقامته إلى القلعة، ومنها إلى معسكر كما سبق الحديث.

ورغم الاجتهاد الحثيث، في محاولة الحصول على أسماء البايات الأحد عشر، الذين حكموا المدينة فيما بين سعد ومحمد بن موسى؛ لكن دون جدوى، إذ خلت المصادر التاريخية من الحديث عن هؤلاء البايات، وحتى الظهائر الموجهة إلى أعيان وعلماء مدينة مازونة التي بحوزتي، والتي يصادف تاريخها تلك المرحلة تخلو من أسماء حكام المدينة أو لا تعطيهم صفة الباي مما يصعّب على الباحث الفصل بيقين؛ هل هم بايات أغفلهم أصحاب التصانيف؟ لعدم توفر مثل هذه الظهائر وغيرها من الوثائق لديهم؟ أو أنهم مجرد قادة عسكريين أو ممثلين عن البايات ؟

ويذكر بلحميسي أنّ تعداد الأتراك في مدينة مازونة -على كثرتهم -لم يتجاوز ثمانين خيمة، مهمتهم محاولة توسيع نفوذ الأتراك، والدفاع عنه شرقا وغربا في البايليك، لكنهم لم يكونوا في معزل عن باقي أحداث

الأيالة هنا وهناك، ولم ينقطع هذا الدور بعد خروج الباي من مازونة إلى معسكر؛ بل إنّ حصار وهران الأخير، والذي جاء بالتحرير الثاني في سنة 1791م؛ شارك فيه أتراك مازونة ومعهم نخبة من علماء مدرستها وطلبتها، يقودهم شيخها الجليل بوطالب المازوني[36].

الهوامش:

[1] ينقل فورنال أن مارمول يسمي المدينة بـ (ميزونة MEZUNA)، ويعتبرها مدينة أوبيدوم نوفيم كولونيا الرومانية، ويحدد موقعها حسب بطليموس عند تقاطع خطي طول 16° وعرض 32°، وحسب مارمول دائما " يمكننا أن نرى في المدينة وبجوارها بقايا جميلة لآثار رومانية ".

ينظر:

Henri Fournel,Etudes sur la conquete de l'Afrique par les Arabes et recherches sur les tribues Berberes qui ont occupees le maghreb centrale, imprimerie imperiale, Paris ,1857, p : 99.

[2] G Bourdon , Etude Geographique sur le Dahra , in B.S.G. 6eme serie , Librairie de ch. Delagrave et cie, Paris , 1872 , t 3 , p : 595 .

[3] Ibid , p : 596 .

[4] الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ق 2، ص : 36 .

[5] أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري الدرعي، شهاب الدين، السلاوي : مؤرخ بحّاث. ولد سنة : 1835م، في مدينة سلا (بالمغرب الأقصى)، اشتهر بتاريخه الممتع النفيس (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى). وله (زهر = الأفنان في شرح قصيدة ابن الونان)، و(طلعة المشتري في النسب الجعفري)، و(تعظيم المنة بنصرة السنة)، و(الفلك المشحون بنفائس تبصرة ابن فرحون)، و(كشف العرين عن ليوث بني مرين)، و(تقييد في البربر)، توفي سنة : 1315هـ -1897م ،ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط : 15، 2002م ،، ج : 1، ص: 120.

[6] شهاب الدين أبو العباس الناصري الدرعي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق : جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون، ج : 2، ص : 160 .

[7] G Bourdon , Etude Geographique sur le Dahra , in B.S.G. 6eme serie , Librairie de ch. Delagrave et cie, Paris , 1872 , t 3, p : 597 .

[8] Moulay Belhamissi , Mazouna une petite ville une longue histoire , sned : Alger , 1981, pp : 33 - 34

[9] تميّز عصر الدولة الزيانية بكثرة الصراعات السياسية، خاصة وأن بلادهم وقعت بين فكي الرحى، الحفصيون من الشرق والمرينيون من الغرب، ناهيك عن الصراعات بين أبناء البيت الحاكم داخل دولة بني زيان .

ينظر : يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ج: 1، ص : 208.

[10] نفس المصدر، ج : 2، ص ص :281 - 286 .

[11]Arnaud , Voyages extraordinaires et nouvelles agreables par Mohamed Abou ras Ennasri, in Revue Africaine , ed: A Jourdin , Alger , 1879 , p : 292 .

[12] هو عثمان بن يغمراسن بن زيان، أبُو سعيد، من بني عبد الواد ، ولد سنة : 639 – 1241م، صاحب تلمسان في المغرب الأوسط، وليها بعد وفاة أبيه (سنة 681 هـ)، وبدأ بإخضاع بعض البلاد الخارجة عن نطاق دولته، فأحرق قرى بجاية، واستولى على مازونة، وعلى بلاد أخرى، وهاجمه السلطان يوسف بن يعقوب المريني (سنة 689هـ) فهزمه أبو سعيد، وجدد زحفه على من استمالهم المريني، فدوّخ بلادهم. وأعاد السلطان يوسف كرّته عليه، سنة 695 و696 و 697 هـ)، ففشل في غاراته كلها، ثم تمكن من محاصرة أبي سعيد في قاعدة ملكه، ونقض كثير من القبائل طاعته واشتد الضيق على تلمسان " وهلك الناس بالجوع والسيف والمنجنيقات "، فتوفي أبو سعيد وهو محصور فيها وذلك سنة : 703 ه - 1304 م. ودام حكمه 21 سنة إلا شهرا .ينظر : الزركلي، مرجع سابق، ج : 4، ص : 215.

[13] يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج : 1، ص : 208 .

[14] ينظر :Moulay Belhamissi , op cit , pp : 35 ، ويحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج : 2، ص : 281

[15] عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، ج : 7، ص : 211.

[16]Moulay Belhamissi , op cit , pp : 35 .

[17]Ibid , pp : 35

[18] عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1408 هـ - 1988 م ، ج : 7، ص : 90 .

[19] يحيى بن خلدون، مصدر سابق، ج : 1، ص : 243 .

[20] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989م، ص : 26 .

[21] قسم العثمانيون أيالة الجزائر إلى ثلاث بايليكات هي : بايليك الشرق وعاصمته قسنطينة، وبايليك التيطري وعاصمته المدية، وبايليك الغرب وعاصمته مازونة فمعسكر وأخيرا وهران، وأما مدينة الجزائر وأحوازها؛ فعرفت بدار السلطان. ينظر : صالح عياد، الجزائر في خلال الحكم التركي، ط 3، دار هومة، الجزائر، 2011 م، ص : 292.

[22]Ernest Mercier, Histoire de l’Afrique septentrionale depuis les temps les plus recules jusqu’à la conquête française(1830) , ed ,Ernest Leroux , Paris , t 3 , p : 106.

[23] اتسمت العلاقة بين الدولة المغربية في عهودها المختلفة وأتراك الجزائر منذ أن أصبحت تابعة للدولة العثمانية بالتوتر الدائم والريبة المتبادلة نظرا لحرص الأتراك وسعيهم جاهدين بشتى الوسائل إلى إدخال المغرب -آخر بلد إسلامي مستقل عنهم- ضمن نفوذهم وحرص ملوكه على مواجهة هذه الجهود بمقاومة شديدة .

ينظر : زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية ثقافية خلال القرن 10-16م، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، 2003م .

[24]E Mercier , op cit , p : 137 .

[25] فصل المشرفي في كتابه بهجة الناظر في هذه القبائل التي كانت على ولاء مع إسبان وهران وقدمت لهم جملة من الخدمات أهمها تزويدهم بالمواد الغذائية والتجسس لهم في القبائل التابعة للبايليك .

ينظر : عبد القادر المشرفي الجزائري، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون ت. ص : 111 .

[26] يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب، وهران، 2002، ص : 80 .

[27] أورد الناصري نص الرسالة كاملا في الاستقصا وهو نص مطول لكنه لا يخلو من الفوائد التاريخية واللغوية. ينظر : شهاب الدين أبو العباس الناصري الدرعي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق : جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون، ج : 2، ص : 60 .

[28] Ernest Mercier , op cit , pp : 241 – 242.

[29] عبد الرحمان الجامعي، شرح أرجوزة الحلفاوي، مخطوط ورقة : 31.

[30] عبد القادر المشرفي، مصدر سابق، ص ص : 30-31 .

[31] يحيى بوعزيز، مرجع سابق، ص ص : 93-94.

[32] Ernest Mercier , op cit , p : 322. voire aussi : Louis Rinn , in B.S.G.A.NA , 8eme serie 1903 , p : 99

[33] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1994، ج : 3، ص : 210 .

[34] الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود، تحقيق يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 م، ج : 1، ص : 270 .

[35] A Gorguos , Histoire d'un bey de mascara et de l'oranie, editions G.A.L Alger , 2006 , p : 58 .

[36] M Belhamissi , op cit , p : 47 .

مراسلات الشيخ المهدي البوعبدلي

بالشيخ البشير محمودي

د/بن عمر حمدادو / جامعة وهران1 أحمد بن بلة

تفخر الجزائر بعدد من رموز الفكر والثقافة، الذين خدموا تراثها وتاريخها، ومثلوا الجزائر أحسن تمثيل في التظاهرات والمحافل العلمية المحلية والدولية. حيث تعد أعمالهم بمثابة إضافة علمية لتراثنا وتاريخنا العريق. ولعل من أبرز تلك الوجوه هو الشيخ المهدي البوعبدلي رحمه الله، فلقد كان بحاثة جماعة للمخطوطات النفيسة، دراسا ومحققا لها، تعرّف عليه الباحثون والمؤرخون والمحققون، من خلال كتاباته ومشاركته في أعمال ملتقيات الفكر الاسلامي التي لا زالت آثار أعمالها شاهدة عيان على ذلك، وبالمناسبة فإننا نتقدم بالشكر الجزيل لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف التي أعادت طبع مجلة الأصالة التي غطت تلك الملتقيات العلمية التي كان لها وزنها وثقلها العلمي والمعرفي في مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر المعاصرة.

أمّا عن موضوع دراستنا فيتمحور حول بعض المراسلات المتبادلة التي كانت بين الشيخ المهدي البوعبدلي وبين الشيخ البشير محمودي رحمهما الله تعالى جميعا، فالأول دارس محقق للمخطوطات، والثاني جامع ناسخ لها، فالعلاقة بينهما علاقة تكاملية، كلاهما يكمل الآخر ما داما في نفس الاتجاه. وهذا هو التكامل الذي نحتاجه اليوم بين مالكي المخطوط وبين ممتهنيه علما ومعرفة ودراسة وتحقيقا ونشرا.

1/ التعريف بشخصية الشيخ المهدي البوعبدلي:

نسبه: هو الشيخ المؤرخ المهدي بن أبي عبدالله البو عبدلي نسبة إلى جدهم الأعلى الذي كانت له شهرة واسعةفي منطقة شلف كلها وهو الولي الصالح أبو عبدالله الملقب بالمغوفل المدفون شرق مدينة واد رهيو – ولاية شلف حاليا [1].

نشأته :ولد الشيخ المهدي البوعبدلي سنة 1907م، في القرية التي كانت تعرف آنذاك باسمها الفرنسي المسيحي (سان لو) وهو الولد الرابع لأبيه بعد بنتين وولد، وتلاه من الإخوة ثلاثة

آخرهم مولدا ووجودا على قيد الحياة الشيخ / عياض والذي يشرف على زاويتهم بعد وفاة الشيخ / المهدي [2].

حياته العلمية:

أ) شيوخه وأساتذته:

لقد استغرق في دراسته اعتبارا من المرحلة الإبتدائية إلى أن تخرج من الزيتونة ما يقارب 30 سة، ولم يقطع عن الدراسة إلا في الظروف المرضية الطارئة، ومن أبرز الشيوخ الذين درس عليهم .

1- والده الشيخ / أبو عبدالله البوعبدلي أخذ عنه القرآن الكريم على رواية ورش عن نافع، وقرأعليه حوالي النصف الأول من ألفية ابن مالك في النحو.

2- الشيخ / الفقيه أحمد الكفيف المازوني نجل الشيخ / أبي راس المازوني حفيد أبي راس المعسكري.

3- الشيخ / الفقيه محمد بن عبدالرحمن المازوني.

4- العالم الجليل التونسي / محمد عبدالعزيز جعيط صاحب المجالس العلمية.

5- العالم الفقيه الأصولي المفسر الشيخ / الطاهر بن عاشور، وكان الشيخ / المهدي يحضر دروسه في التفسير.

6- الشيخ / محمد اللقاني بن سايح الجزائري الأصل، التونسي المستقر.

ب) رحلاته العلمية:

• كان الشيخ / المهدي كثير الأسفار سواء في داخل الوطن أو خارجه حتى أنه في بعض الظروف لا يجد متسعا من الوقت للمكوث مع الأهل وحضور بعض الجنائز أو مراسلة الإخوان والأصدقاء ردا على رسائلهم [3].

• ففي داخل الوطن زار معظم القطر الجزائري بحثا عن المخطوطات القيمة والنفيسة التي تتناول التراث الجزائري عامة والتاريخي خاصة، وقد زار في رحلاته المتكررة معظم الخزائن التي تحتوي على المخطوطات النفيسة كخزانة الحاج حمو بمعسكر التي آلت إلى ولده الفاضل السيد محمد البدوي القاضي بتندوف، وخزانة المرحوم السيد ابن عبد الله بن حسن القاضي السابق بعين تموشنت، وخزائن تندوف، وخزائن معسكر، وخزائن القلعة، وخزائن بجاية .. الخ.

•وكان يستفيد من هذه الخزائن إما عن طريق الإعارة كما هو الحال بالنسبة لخزانة الشيخ / محمود بوزوزو الذي ما زال على قيد الحياة ويقيم في سويسرا، وخزانته مازالت إلى يومنا هذا في زاوية بطيوة أو الشراء كخزانة القاضي القلي من بجاية أو عن طريق التبادل كما وقع مع الشيخ / البشير المحمودي البرجي، أو كتابة ما يحتاج إليه إن تعذر عليه استعارة المخطوط، وقد كانت بينهما مراسلات صنفنها في بحث مفرد إلى رسائل ودية وأخرى علمية وعن أغلب تنقلاته كانت إلى العاصمة والأصنام حث كان مفتيا، وبجاية حيث كان مفتيا وإماما.

•أما خارج الوطن فقد زار بلدان كثيرة منها ليبيا، روسيا، فرنسا، المملكة العربية السعودية، برلين بألمانيا، باكستان، الهند، وهذا كله إما في مهمة رسمية أو زيارة لمكاتبها ومتاحفها أو إلقاء محاضرات، أو المشاركة في الندوات، وقد تعرف إلى الكثير من العلماء وكانت بينه وبينهم مراسلات.

. نماذج من مؤلفات الشيخ المهدي البوعبدلي:

•تعتبر غالبية مؤلفات الشيخ المهدي البوعبدلي عبارة عن مداخلات شارك بها في ندوات ومحاضرات علمية داخل الوطن وخارجه، وهي موجودة ولله الحمد والمنة، والتي عكف عليها الباحث عبد الرحمن ذويب.

•وأثناء فترة بحثي عن شخصية الشيخ / المهدي البوعبدلي التي زودني بها ابن أخيه الشيخ / سيد أحمد البوعبدلي، والشيخ البشير محمودي، والشيخ أبي عبد الله شراك، والأستاذ بليل حسني أحصيت بعضا من مقالاته التي قام بنشرها في المجالات خصوصا تلك المنشورة بمجلات ملتقى الفكر الإسلامي والأصالة وجريدة النجاح والمركز الوطني للدراسات التاريخية والبعض الآخر نشر خارج القطر الجزائري، وأخيرا ما كتبه الباحث عبد الرحمن ذويب ضمن سلسلته الأعمال الكاملة التي وضعها عن الشيخ المهدي البوعبدلي.

أ) المقالات والمحاضرات:

1. الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي الأصالة 72/8.
2. الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحي الونشريسي الأصالة 72.
3. مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ الأصالة 72/7.
4. موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور الأصالة العدد1973/15 14
5. تراجم بعض مشاهير علماء زواوة ألقيت في الملتقى السابع للفكر الإسلامي.

6.كراتشوفسكي وآثاره في ميدان الاستشراق العربي 73/12 الأصالة.

7.جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده عام 1903م للجزائر الأصالة ع 55/4.

8. الرباط والفداء في وهران والقبائل الأصالة 1973/3.

9. علاقات الجامع الأزهر بالجزائر، محاضرة ألقيت في ملتقى الفكر الاسلامي السابع بتيزيوزو 1973.

10. الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها – الأصالة عدد خاص ببجاية 1974/19.

11. أضواء على تاريخ حياة الأمير عبد القادر وقبل توليته من خلال مذكراته التي سجلها في قصر امبواز.

12.أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ، نبذة مجهولة من تاريخ حياة بعض أعلامها. الأصالة 75/26.

13. موقف ملك المغرب من الجزائر إثر الاحتلال الأصالة ع - 28س4 1975.

14. البيعة والشورى في الإسلام وتطورها عبر التاريخ الأصالة ع 28س 4 1975.

15. ماضي وادي الذهب والساقية الحمراء وحاضرهما 76/32.

16. جوانب من تاريخ بونة الثقافي والساسي عبر العصور ع 34-35 س 5 1976 .

17. دراسة كتاب عيون الأخبار ونزهة الأبصار لمحمد بن محمد البكري القيت في الفكر الإسلامي 1977/11.

18. دور جمال الدين الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين الأصالة 1977/44.

19. لقطات من تاريخ منطقة جيل الأوراس الثقافي والحضاري ألقيت بملتقى الفكر الإسلامي الثاني عشر سنة 1978.

20. عبد الرحمان الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر مجلة الأصالة ع 53 س 1978 .

21. تأثير الثقافة والبيئة الجزائريين في شخصية ابن خلدون في ملتقى الذي نظمه المركز الوطني للبحوث التاريخية 1979.

22. تراجم بعض أبطال المقاومة المسلحة في الهقار وفي طليعتهم السلطان أحمد المشهور بامود - ملتقى الفكر الإسلامي 1979/13.

23. لقطات من تاريخ مملكة الونشريس الثقافي والسياسي والحضاري في عهد دولة بني توجين الفكر الإسلامي 1980/14.

24. المؤسسات الدينية في المجتمع المغربي – قدمه إلى المؤتمر الذي انعقد ببرلين ربيع 1980 وفيه دراسة عن كتاب "توشيح طراز الخياطة. "

25. اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات في القديم والحديث القيت في ملتقى القرآن الكريم بالجزائر سنة 1980.

26. دراسة علي محمد بن علي الخروبي الطرابلسي.

27. اهتمام علماء الجزائر بعلم الحديث قديما وحديثا ألقيت في ملتقى الفكر الإسلامي السادس عشر بتلمسان 1982.

28. الجزائر في العهد التركي محاضرة بوهران سنة 1965.

29. لقطات من تاريخ دور بعض علماء الجزائر في الاجتهاد ألقيت جلها في ملتقى الفكر الإسلامي السابع عشر بقسنطينة 1983.

زيادة على المحاضرات التي كان يلقيها بالعاصمة وهران وتلامسان ومستغانم وسائر القطر الجزائري.

30. أضواء على كتاب شرح الغريق في تقييد الشريد.

ب) مؤلفاته التاريخية : لعل من أهم المؤلفات التي وصلت إلينا نذكر على سبيل المثال:

كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لابن سحنون الراشدي، ودليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران لمحمد بن يوسف الزياني. وكتاب بالاشتراك مع ناصر الدين سعيدوني حول الجزائر خلال العهد العثماني.

وفاته:

توفي الشيخ / المهدي البوعبدلي بمسقط رأسه عام 1992 ودفن خارج المسجد يطلب منه، وقام بتأمينه فضيلة الشيخ عبدالقادر الزبير وهو من أعز أصدقائه بعد الشيخ / نعيم النعيمي والبشير الرابحي وأحمد توفيق الدني .. إلخ.

ومجمل القول أن هذه السطور مهما كتبناها أو اختصرناها، فإنها لا تفي الرجل حقه، فقد كان الشيخ المهدي البوعبدلي رجل علم ودين ومحقق للتراث دارس له، وما أكثرهم بوطننا فقد تذهب كنوزهم بذاهبهم ولا يبقى إلا مآثرهم شاهدة عيان على تفوقهم العلمي والديني على مر العصور والدهور.

انشغاله بالتراث (المحلي) الإسلامي الجزائري والحث على خدمته:

• كل الرسائل التي طلعت عليها للشيخ / المهدي إلا ووجدته منشغلا كل الانشغال بتراث الأمة الجزائرية بالخصوص، ومما جاء في بعض رسائله، "... إن أوائلها بذلوا النفس والنفيس في نشر العلم، وواجبنا إن لا نبخل بما تركوه خصوصا في مثل هذه الأزمة التي نعيشها، وهذه أمنيتي في الحياة، فإن فسح الله في الأجل فإنني سأسعى بجميع الوسائل لنشر ما وصلني من هذا التراث."..

• ومما قاله في رسالة أخرى مؤرخة بتاريخ 4 رمضان 1391 في معرض حديثة عن الفائدة من جمع التراث ما يلي: "فإن هؤلاء العلماء وأنفقها، والصالحين الذين غرسوا الذين ونشروه بسيرهم، وإنتاجهم حرام على الخلف أن يحتفظوا بتراثهم ويتركوه للأرضه والفار، ويحرموا الخلف من الاطلاع على آثارهم، وكانت بحمد الله هذه هي أمنيتي منذ اشتغلت بهذه المهمة وأخشى دائما أن تحول بيني وبين هذة الأمنية عوادي الزمان، لهذا بادرت بجمع ما تيسر، وعندما يطبع ولو من نقص فتكون له فائدة وهي ضمان خلوده، ولا يحرم إن شاء الله من رجال يتممون ما نقص."

2/ التعريف بشخصية الشيخ البشير محمودي:

فنقول هو الشيخ البشير محمودي بن الحاج قدور بن البشير بن قدور بن محمودي بن المكي بن البشير بن الجيلاني بن أحمد بن عمر بن دوبة رحم الله الجميع. ولد بقرية عمراوة[1] بنواحي حبوشة بلدية المناور في 03-06-1906 فحفظ القرآن الكريم منذ صغره وعمره لا يتجاوز 16 سنة ليزاول دراسته بالكتاتيب ويتلقى مبادئه الأولى في علوم القرآن على يد العلامة الشيخ سيدي أحمد بن عامر البرجي[2] مدة 05 سنوات، لينتقل بعدها إلى قرية سجرارة[3] ويدرس العلم الشرعي على يد علمائها المخاليف فيدرس الأجرومية على يد الشيخ الهاشمي بن يعقوب، ليتجه بعدها إلى منطقة ندرومة بتلمسان وبالضبط بقرية ولهاصة، كما اتصل الشيخ بمجموعة من العلماء داخل منطقته (البرج) وخارجها.

وحين حلول موعد أداء الخدمة العسكرية يتخلى الشيخ البشير محمودي عن أداء واجبه ويتأخر عنه لمدة عامين، ويتجلى ذلك من خلال قوله : " المفروض أنني من القسم 26 وتأخرت عامين لألتحق بالعسكرية الفرنسية قسم 28" . كما كان الشيخ يتميز بحافظة قوية بدليل قول شيخه قدور بلعروسي: " تعالى اقرأ عندي سنة واحدة وأسرّحك[4] " أيّ قراءة القرآن الكريم مدة سنة واحدة عند شيخه ليمنحه بذلك إجازة يعتد بها في سائر الفنون. إلى جانب ذلك فقد كان الشيخ البشير محمودي يشغل مهنة التوثيق في النّهار ومهنة النسّخ في الليل.

وأثناء أتعس مراحل الهيمنة الاستعمارية بالجزائر عان الشيخ كثيرا، وقد انعكس ذلك سلبا على الشيخ فاتهم بتحريضه للجنود على قتل البهائم وقطع الأشجار ووصل به الأمر إلى تقديم شكاية ضده تضم 17 رسالة إلى الكولونيل "ماسو" مما أدى بالسلطات الفرنسية إلى سجنه مدة 10 سنوات، 05 سنوات منها بمنطقة بوسكي بنواحي مستغانم و05 سنوات أخرى بخلوية بنواحي معسكر، وقبل إيداعه السجن بقي بالسجن الاحتياطي مدة شهرين. ورغم كل هذه الأساليب الوحشية فإنه لم يكن كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فقد كان يصلي في السجن رغم ضيق مساحته ويتلو القرآن الكريم، بدليل قوله : " بينما أنا في السجن بخلوية كرّرت خمسة وخمسين سلكة[5] من القرآن على رجال غريس [6] في يوم واحد" لمكانتهم العلمية فقد كانت غريس أحوازها تعرف بالراشدية وكان العلماء يحجون إليها لطلب العلم وكانت الإجازة الممنوحة من العلماء الراشدية لها صدا واسع بين الشيوخ المشارقة والمغاربة فقد كانت الراشدية بحق كعبة العلماء.

وقد كانت خزانة جده عمر بن دوبة[7]، تحتوي على 400 أو 500 مخطوط نفيس لكنّها أحرقت في عهد الاستعمار الفرنسي، ولم يسلم منها سوى 06 أو 07 مخطوطات، وبما أنّ الشيخ كان كاتبا، وناسخا[8]، وشاعرا، إلى جانب اطلاعه الواسع وحبه للعلم والمعرفة، فإنّ ذلك دفعه إلى بذل الجهود من مال وقيام برحلات وأسفار داخل الوطن وخارجه، مكنته من تنوع إنتاجه في مختلف الفنون والعلوم والتي بلغت 73 مخطوطا حيث لم يبق منها سوى 09 أو 10 مخطوطات.

3/ مراسلات الشيخ المهدي البوعبدلي بالشيخ البشير محمودي:

بحكم شخصيته وامتهانه لحرفة نسخ المخطوطات ذاع صيته في الآفاق إلى المستوى المحلي والخارجي، فعلى المستوى المحلي تم اختياره إلى جانب الشيخ المهدي البوعبدلي واثنين آخرين من

طرف وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية من بين المهتمين بالترا ث المخطوط والمحافظة عليه وجمعه وتصنيفه وترتيبه ومن ثم إعادة نسخه وتحقيقه، إلا أن العملية لم يكتب لها النجاح فراح الشيخ يجابه الصعاب لوحده، فتراه مرة يقطع الكيلومترات من أجل اقتناء أو تسليف مخطوط نفيس داخل الوطن وخارجه، فينسخه ثم يرجعه لأصحابه. هكذا كانت عقلية الشيخ- رحمه الله- .

أما على المستوى الخارجي وبالتحديد بباريس حيث أقيم معرض دولي حول المخطوطات، وكان الشيخ من بين المستدعيين إليه، فازدادت بذلك شهرته وذاع صيته في بقاع الأرض مشرقها ومغربها.

أما عن مراسلاته فيمكن تقسيمها إلى قسمين: مراسلات ودية وأخرى علمية محضة.

أ/ المراسلات الودية:

في أغلبها مراسلات يستفسر فيها المرسل عن أحوال المرسل إليه أي الشخص المعين، وهذا لا يتأتى إلا بوجود صلة أو رابطة حقيقية متينة بين الشخصين تربطهما ببعضهما البعض، ألا وهي رابطة العلم والمحبة ولا شك أن القاسم المشترك بينهما واحد يكمن في خدمة تراث الأمة والمحافظة عليه.

ولنأخذ مقتطفات من هذه المراسلات:

المراسلة الأولى: بعد الحمدلة والصلاة على النّبي صلى الله عليه وسلم، يثني على الشيخ البشير محمودي بقوله: " **الأخ الفاضل سيدي البشير حفظكم الله. وبعد فإني سررت باجتماعي مع الحاج بوشاقور ورفيقيه صدفة وأنا في طريق السفر إلى باريس صحبة وفد من وزارة الأوقاف وكنت في هذه الأيام تجولنا في الجنوب أي وادي مزاب، حيث بقينا نحو الأسبوع وإنيّ اتصلت برسالتك، إلا أنني صرت لم أجد من الوقت حتى على قراءة رسالة أو تحريرها للاشتغال بالجولان؛ بل لما يتبع لك من دراسات وتهيئ تقارير، نسأل الله أن يجمع بيننا في أبرك الأوقات ودمتم محفوظين. المهدي**"(9). رسالة في مجملها إخبار الشيخ المهدي لصديقه الشيخ البشير محمودي عن أحواله وعن المهمة التي سافر من أجلها، مما يؤكّد متانة رابطة الأخوة والمحبة بين الرجلين.

المراسلة الثانية: بعد الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يثني على الشيخ البشير محمودي بقوله: " **إلى الأخ الفاضل الشيخ البشير محمودي، تحية طيبة وسلاما وبعد فإني**

بالقاهرة منذ أسبوع حضرت في مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الذي حضره ما يزيد على أربعين دولة اسلامية من مختلف الأقطار، والذي ذكرتكم به هو أني تحدثت عن مواقف علماء الاسلام في الذب عن حمى الوطن وعلائق الأزهر ببلادنا فكان من جملة من ذكرتهم الشيخ العالم الأزهري ابن آمنة خال الأمير عبد القادر ومحرر عقد البيعة، أتمنى أن تكونوا كلكلم بخير. إنّ الأحوال هنا حسنة ومنابر الدين قائمة وحلقات الذكر وقراءة القرآن بجميع المساجد نسأل الله أن يحفظ المسلمين في الأزهر وفي بلاد الكنانة التي صدق ابن خلدون حيث قال " من لم ير مصر لم ير عز الاسلام ". سلّموا على الأولاد والاصدقاء ودمتم محفوظين. المهدي البوعبدلي. القاهرة في 1970/03/07م[10].

ب/ المراسلات العلمية:

وهي تلك المراسلات التي يغلب عليها الطابع العلمي إما استفسارا عن معلومة تاريخية ما أو البحث عن كتاب أو استلافه أو القيام بعملية تبادل الكتب ونقلها.

المراسلة الأولى: موجهة من عند الشيخ المهدي البوعبدلي إلى الشيخ البشير محمودي، بعد الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر التاريخ: بطيوة في 29 ربيع الأنور1395هـ.

يثني على الشيخ البشير محمودي بقوله: "**حضرة الأخ الفاضل سيدي الحاج البشير محمودي حفظكم الله وصانكم وبعد فإني تشرفت بكتابكم الكريم وإنني أرسلت رسالة للصديق المحب سيدي الحاج الحبيب الامام الخطيب بتندوف، وعندما تصل هناك بلغ له أزكى تحياتي وكلك للأخ الفاضل السيد أحمد قادري المفتش الجهوي بوزراة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالساورة، وهو الي عين مفتشا بولاية مستغانم مكان الأخ السيد الحاج الناصر وهو من رجال الفضل، كما تبلغ تحياتي للولد الفاضل السيد محمد البدوي القاضي بتندوف، وأظن أنك تعرفه إ هو ابن أخي سيدي الحاج دحو الأستا بمعسكر الذي نقلتم من خزانته شرح العقد النفيس للجوزي كما أرجوكم أن تبلغوا تحياتنا لجميع الأصدقاء. ودمتم محفوظين والسلام من أخيكم المهدي البوعبدلي**"[11].

تبدو هذه الرسالة وكأنها تهيئة الجو المناسب لشخصية الشيخ البشير محمودي لتمكّنه من زيارة منطقة تندوف، ومن ثمّ المؤانسة إلى رجالها من محبّي العلم كهذا الإمام مثلا. وهذا بعد إعطائه جل التفاصيل عن الأشخاص الذين هم متواجدين بالمنطقة حتى يأخذ ترتيباته اللاّزمة.

المراسلة الثانية: بعد الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يثني على الشيخ البشير محمودي بقوله: " **حضرة الأخ الفاضل اللبيب الأريب سيدي البشير آل محمودي الكرام تحية ودادية وسلاما زكيا وبعد فإني أرجوك أن تبعث لي ما نقلته من التأليف المستعار فيما يتعلق بالعلامة الحافظ الشيخ مصطفى الرماصي ولك الفضل إذ أنني بصدد دراسة خاصة لعهده ولترجمته وبودي أن أطلع على ما ذكرته لي عند ملاقاتنا بوهران وأتمنى لك الشفاء والحياة الطيبة، حتى تؤدي واجباتك في خدمة العلم والبلاد، إذ هي خدمة جليلة لا يعرف قدرها إلا من يعاني هذه المهمة، ومع الأسف في بلادنا كادت أن تضمحل وتقبل أخي أزكى تحياتي عبد ربه المهدي. حررت بالعاصمة في 1961/06/15م**"[12].

أما هذه المراسلة فتبدو في غاية من الأهمية لما تحويه من معلومات قيمة من جهة، ولما تضمنته من إشعار الشيخ البشير محمودي بمدى المسؤولية المنوطة به اتجاه خدمة العلم والمحافظة على التراث من خلال نسخه ونقله وهي كما قال الشيخ المهدي " خدمة جليلة لا يعرف قدرها إلا من يعاني بهذه المهمة". فالمخطوط كما هو معروف يعكس ذاكرة الأمة.

4/ خط الشيخ البشير محمودي:

وهناك نقطة جوهرية يمكن الاشارة إليها تتمثل في نوع الخط الذي اتبعه الشيخ البشير محمودي خلال كتاباته لمختلف مصنفات العلماء الجزائريين والمغاربة، وتقنياته في استعمال الألوان المناسبة، وفي الأماكن المناسبة مثل اللون الأزرق والأخضر والأحمر والبنفسجي والأسود، وللشيخ البشير محمودي ثلاثة أنواع من الخطوط تختلف عن بعضها البعض من حيث الشكل والرسم، ولكّن ترجع في أصلها إلى الخط المغربي الأصيل، فهو يتفنن في الكتابة من مخطوط لآخر. أما عن استعماله للألوان يقول الشيخ : "كل لون له دلالة خاصة به إمّا للتزويق وإمّا لإبراز إشارة مهمّة وإمّا للتسطير وإمّا للوقوف على مسألة ما".

وفي هذا كلّه يعدّ الشيخ البشير محمودي من بين النسّاخ الجزائريين القلائل وآخرهم في بلادنا، والذين يندثرون رفقة مخطوطاتهم النادرة، والتي تعكس تراثنا العربي الإسلامي، وتحفز أبنائنا وأساتذتنا للمُضّي قدما نحو نشر العلم والمعرفة وعدم كتمانها عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار". وإليك أخي الباحث نماذج من مخطوطات خزانة الشيخ البشير محمودي التي قمنا بفهرستها وكما نقلناها عنه.

5/ نماذج من مخطوطات الشيخ البشير محمودي:

تحوي مكتبة الشيخ البشير محمودي على جملة من نفائس المخطوطات والكتب ذات القيمة التاريخية الكبيرة، إذ تعتبر مكتبته من بين المكتبات التي تحافظ على نسقها وترتيبها وتصنيفها، إلى جانب فتحها لباب العلم أمام طالبيه من ذوي الاختصاص والمهتمين بالتراث المخطوط، الذي هو عبارة عن موروث ثقافي نعتز به أيما اعتزاز.

الخزانة الأولى:

1. شرح الشيخ التتائي الكبير، ج1
2. شرح الشيخ البناني على مختصر الشيخ خليل، ج3
3. شرح الشيخ الشبراخيتي، ج3
4. كتاب الشيخ الخرشي الأول من الصلاة على الشيخ خليل، ج1
5. حاشية الشيخ ياسين على أم البراهين، ج1
6. كتاب الزهرات الوردية في فتاوي الأجهورية.
7. كتاب كشف الرموز في بيان الأعشاب للشيخ عبد الرزاق ابن حمادوش (مطبوع)
8. كتاب الشيخ بهرام، ج3
9. شرح الشيخ خالد الأزهري على التصريح بمضمون التوضيح
10. كتاب فيه ابن سلومن في الأحكام الشرعية، شرح في المنطق، شرح سيدي عبد الرحمن الأخضري على المنطق، أبو عبد الله بدر الدين على لامية الأفعال، شرح قصيدة سيدي عيسى بن موسى التيجاني.
11. كتاب العقد النفيس وأنيس الجليس للشيخ سيدي محي الدين، تقييد علي الجرادي.
12. كتاب التصريح بمضمون التوضيح، شرح عبد المالك بن عبد الله في التصوف وشرح لامية الأفعال، ج2
13. عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصر
14. شرح الشيخ مصطفى الرماصي على الصغرى للشيخ السنوسي، ج1.
15. شرح الشيخ التتائي، ج1
16. حاشية الشيخ عبد الحكيم على المنطق، ج1
17. شرح الشيخ سنوسي المسمى بعقيدة أهل التوحيد المسمى بعمدة أهل التوفيق.

18. حاشية الشيخ سيدي محمد التيطواني الأندلوسي على الألفية تقييد على الألفية لسيدي عبد الرحمن المساري، تعليق اختصر فيه نكت الألفية للسيوطي وتقييد على السلم، وتقييد سيدي محمد السنوسي على السلم، وتقييد سيدي أحمد المبارك على السلم.
19. شرح الشيخ سيدي محمد الخرشي على الأجرومية
20. شرح الشيخ الخليل وهو ناقص أولا وآخرا
21. كتب غرو الخصائص الواضحة وغرو النقائص الفارضة، ج1
22. سفر من الشيخ البخاري، ج4
23. حاشية الشيخ الصعيدي على الخرشي، ج1
24. تحرير أبي عبد الله الأندلسي على عقيدة الشيخ السنوسي في التوحيد، وشرح للشيخ السنوسي على عقيدته في التوحيد، ج2
25. شرح الشيخ الشبراخيتي، أحكام النفس، ج4
26. كتاب في الفقه على الشيخ خليل ناقص من الأول والآخر.
27. شرح البردة للشيخ سيدي محمد بن مرزوق، إظهار صدق المودة بشرح البردة.
28. كتاب مجموع به شرح سيدي بلقاسم بن سليمان، تقييد يسمى بالموهوبة الكبرى، شرح العقيدة الصغرى لسيدي عمر الوزاني ابراهيم بن محمد العنابي ناقلا عن الشيخ سيدي علي أقدار، عنوان غاني على بني عبد الرحمن.

الخزانة الثانية:

1. كتاب صفوة الاعتبار لمستودع الأمصار والأقطار للشيخ محمد بيرم الخامس التونسي، ج1 و ج2 .
2. حاشية الشيخ محمد أبي راس على كبرى الشيخ محمد السنوسي في التوحيد، ج1
3. شرح سيدي عبد الرحمن الأخضري على الدرة البيضاء، ج1
4. كتاب كشف السر المكتم عن ألفاظ السلم في المنطق للشيخ المراكشي، ج1
5. كتاب قهر العقول ومعه كتاب ذهاب الكسوف ونفر الظلمة في على الطب لسيدي عبد الله بن عزوز.
6. كتاب فيه نسخة الشيخ خليل ناقص وفيه ألفية بن مالك في النحو، وفيه شرح الشيخ سيدي الجازولي على الجرادية في النحو وفيه كتاب الشيخ بن غلام الله، ج3.

7. شرح كتاب في الفقه لم نجد له اسما.
8. كتاب سميناه بجمع النهاية في يد الخير وغاية الإشارة، تأليف سيدي بن عبد الله بن أبي جمرة.
9. كتاب عقود اللؤلؤة في طريقة المولوية، تأليف الشيخ عبد الغاني النابلسي، ج1
10. كتاب الوحي للشيخ البخاري.
11. شرح جمع الجوامع، وشرح الشيخ البناني على خطبة ألفية بن مالك.
12. شرح الشيخ خالد الأزهري على الأجرومية في النحو، ج1.
13. شرح أبي عطاء في علم التصوف، ج1.
14. تقييد سيدي بن ابراهيم على السلم في المنطق، وكتاب عبد الواحد بن أحمد بن علي على مورد الضمآن.
15. كتاب منحة السلوك في تحفة الملوك، تأليف الشيخ العيني، ج1.
16. شرح بن يامون على المنطق.
17. كتاب مناقب الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني ومعه كتاب كنز الأخبار، ج2.
18. كتاب تنبيه تلميذ المحتاج في التصوف، تأليف سيدي محمد بن عزوز المراكشي، ج1.
19. كتاب المواهب القدسية في المناقب السنوسية، ناقص من الأول والآخر.
20. كتاب نوازل مازونة (ضائع).
21. كتاب الشيخ البخاري الأخير.
22. الجزء الثاني من العقد الفريد لابن عبد ربه، ج2.
23. كتاب أول في التصوف ناقص أولا وآخرا والكتاب الثاني من التحفة العاصية ناقص أولا وآخرا.
24. كتاب نوازل الشيخ يوسف الحاجي، ج1.
25. كتاب في الصلاة وفي الفقه وفيه أجوبة الشيخ عبد الرحمن بن القاسم، ج1.
26. كتاب في الحديث ولم نجد له اسما.
27. شرح الشيخ سيدي محمد الزناتي المازوني ومعه كتاب آخر ناقص.

إنّ امتهان الشيخ البشير محمودي لحرفة النسخ وتعلقه بفن الخط منذ صغره، وتشبعه بالثقافة العربية الإسلامية، لحافز كبير ودليل واضح على أنّ بلادنا تزخر بكنوز معرفية وعلمية

هائلة، حفظت لنا من الضياع بفضل هؤلاء النساخ. ولعل خير دليل على ذلك تلك المكتبات التي زالت إلى الآن صرحا حضاريا شامخا، إذ تعتبر مكتبتهما من بين مراكز الثقافة التي تفتح مصرعيها للباحثين والمهتمين وتدعوهم إلى كشف النقاب عن حقائق تاريخية مهمة تعكس صفحات مشرقة من تاريخنا العربي الاسلامي الأصيل من خلال تلك المخطوطات الدفينة.

لقد حاولنا من خلال هذا البحث أن نزاوج التعريف بعلمين من أعلام حفظ التراث الجزائري المخطوط نسخا ودراسة وتحقيقا، وهما الناسخ الشيخ البشير محمودي والمحقق الشيخ المهدي البوعبدلي، كلاهما يكمل الآخر. فلقد حفظا لنا كنوزا لا يستهان بها من ذخائر المخطوطات جمعا ونسخا وتحقيقا، وها نحن اليوم نعتبر تلك المدونات المحفوظة مصادر أساسية لدراساتنا وبحوثنا العلمية، نستعين بها على حلّ كثير من الشفرات والرموز التاريخية التي كانت في وقت مضى مبهمة، تنتظر من ينيط عنها اللثام.

الهوامش:

[1] عمراوة: قرية صغيرة بنواحي بلدية البرج، تبعد عن مقر ولاية معسكر بنحو 34 أو35 كلم، سميت بهذا الاسم نسبة إلى جدهم العالم الشهير الشيخ الحاج محمد بن يمينة العمراوي، الذي شهد مبايعة الأمير عبد القادر الثانية.

[2] الشيخ أحمد بن عامر البرجي: عالم جليل وعابد زاهد تولى منصب القضاء والإفتاء بقرية البرج التي هي مسقط رأسه، وعليه سميت مقبرة القرية، من حفدته العالمان الكبيران الشيخ الحاج محي الدين الواجي، والشيخ المختار الواجي. من بين مخطوطاته كتاب في قصص الأنبياء، إلى جانب كتب في التفسير والحديث.راجع: P.Raoul. Notice Historique sur El Bordj, Journal Asiatique, Paris. 1899

[3] سجرارة:قرية صغيرة بنواحي المحمدية، تبعد عن ولاية معسكر بنحو 45كلم تقريبا، تنسب إلى جدهم سيدي محمد الملقب احمادوش، منها العالم الكبير محمد ابن حمادوش السجراري صاحب كتاب النسّب.

[4] أسرّحك:من سرّح يسرّح تسريحا يقال تسرح فلان من هذا المكان إذا ذهب وخرج، والتسريح إرسالك في حاجة سراحا، وسرحت فلانا إلى موضع كذا إذا أرسلته. راجع: ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط1، 1992، ج2، ص:479 .

[5] السلكة:من السلك بمعنى الخيط الذي ينظم فيه الخرز ونحوه، أو الذي يخاط به، والسلكة بمعنى الخيط. وهذا اللفظ عند معلمي الكتاتيب بمعنى قراءة القرآن الكريم مرة واحدة، أو يعني تصحيح ألواح الطلبة الذين يحفظون كتاب الله. راجع: المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مصر. ط3،1982،ج1، ص: 462.

[6] سميت بغريس نسبة إلى سهول الوطن الراشدي وسمي غريسا لأنه كان مغروسا بأنواع الشجر ذوات الأثمار وكان سكانه من بني زروال ومن ساكنهم من بني توجين ومغراوة قاطنين في قرى صغيرة تزيد على المائة، ولما كان الفتح الاسلامي، ودخل المسلمون إفريقيا عمدت الكاهنة إلى إحراق الأشجار وهدم الديار ليقف تيار العرب على التوغل في البلاد..."،راجع: ابن بكار الهاشمي، مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان. ط1961، ص:34

[7] الشيخ عمر بن دوبة هو جد الشيخ البشير محمودي من جهة أبيه، كان متضلعا في سائر الفنون، يقول عنه حفيده البشير محمودي:" لو كان جدي عمر بن دوبة حيا لأصبحت عالما مثله بلا منازع" وهذا دليل واضح على مدى غزارة علمه.

[8] من بين الكتب التي نسخها الشيخ البشير محمودي: كتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، والخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثغور المغرب،لأبي راس الناصر المعسكري، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران لمحمد بن يوسف الزياني البرجي، وكتب أخرى في مختلف الفنون والعلوم.

[9] يراجع: عبد الرحمن ذويب، مراسلات مع الشيخ البشير محمودي، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013، ص ص:3-217.

[10] المرجع نفسه، ص ص:3-.217

[11] المرجع نفسه، ص ص:3-217.

[12] ص ص:3-217.

مكانة مؤسسة اوقاف الأندلس بمدينة الجزائر العثمانية

على ضوء وثائق المحاكم الشرعية 1520 – 1830 م

د/ محمد زاهي – جامعة تيارت

ظهرت أوقاف مؤسسة الأندلس بعد استقرار مهاجري الأندلس بالجزائر منذ أواخر القرن الخامس عشر، فهي تشرف على جميع الأوقاف المتعلقة بخدمة مهاجري الأندلس بالجزائر. فقد كان يقوم أغنياء الجالية الأندلسية بوقف أملاكهم على إخوانهم القادمين من الأندلس بغرض مساعدتهم في محنتهم.(1)

وتعود أقدم الأحباس لهذه المؤسسة إلى بداية الهجرة الأندلسية حيث يذكر دوفو (Devoulx) أن قدم عقود الأحباس التي اطلع عليها ترجع إلى سنة 945 هـ/ 1538 م.(2) وفي سنة 1033 هـ / 1623 م أسسوا جامعا ومدرسة خاصة بهم(3) بمدينة الجزائر والذي كان بمثابة مركب ثقافي تعليمي وديني سمي بزاوية الأندلس والتي تأسست على أنقاض دار قديمة(4) في الموقع الذي يوجد بها كثافة سكانية كبيرة للأندلسيين وخصصوا لهما أوقاف عقارات داخل المدينة وأراضي زراعية في خارجها شملت الدور والحوانيت والمخازن والكوشات والعيون والحمامات إضافة إلى عناء (كراء).

وتحتل هذه المؤسسة المرتبة الرابعة من حيث الأهمية و المكانة، بعد أوقاف الحرمين الشريفين، والجامع الأعظم، وسبل الخيرات، وهي مخصصة لخدمة الجالية الأندلسية المالكية.

وكان الموظف الرئيسي الذي كان يشرف على إدارة أوقاف مؤسسة الأندلس يسمى بوكيل الأندلس وكانت مؤسسة الأندلس تشرف على حوالي 101 وقفا، 40 منهم مستغلا و61 عناء (كراء)،(5) التي تميزت بتنوع الأملاك المحبوسة حيث كانت تشمل الدور والدكاكين والحمامات والأفران والمخازن بالإضافة إلى الأراضي الزراعية، وتزودنا سجلات البايلك التي تعود لسنة 1224 – 1225 هـ / 1809 – 1810 م بمعطيات دقيقة على أوقاف المؤسسة التي كانت تضم: 35 حانوتا و18 غرفة و7 علوي و7جنات بالإضافة إلى 29 حانوتا بالاشتراك مع مؤسسة الحرمين الشريفين وإلا مع عامة الناس.(6) وقد قدرت مداخيلها في بداية الاحتلال الفرنسي بـ5000 فرنك فرنسي.

وقد ساهمت مؤسسة أوقاف الأندلس في تقديم المساعدات للفقراء والمعوزين من العنصر الأندلسي[7]، بالإضافة إلى الإنفاق على المكلفين بالشعائر الدينية بجامع الأندلسيين وعلى المكلفين بالتعليم في زاوية (مدرسة) الأندلس وطلبة العلم، والتي كانت تعد من أهم المدارس في مدينة الجزائر تدرس العلوم الفقهية ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم.[8]

لا بد من الإشارة هنا إلى أن الجالية الأندلسية هي الوحيدة التي خصصت أوقاف يصرف أفرادها،[9] وذلك يعود للظروف التي تعرضت لها من اضطهاد بالأندلس، الأمر الذي جعلها تنظم نفسها على حسب النمط الذي تعودت عليه بالأندلس.

أصبحت هذه الجالية تمتلك أموالا طائلة[10] بسبب تحالفها مع الطبقة الحاكمة من الأتراك، وهذه الامتيازات التي تحصلت عليها تعود لخبرتها ونشاطها في المجال الصناعي والتجاري والزراعي، وتعد كل من عائلات بن إبراهيم وبن الشويحات (الشويهد) والمقفولجي وابن ساعد وبلقاسم الأندلسية من العائلات الغنية في مدينة الجزائر. [11]

وهكذا تمتعت الجالية الأندلسية بعناية من السلطة ومكانة في المجتمع الجزائري، الأمر الذي مكن بعضهم من أن يصبحوا وكلاء على بعض أوقاف سبل الخيرات التابعة لأصحاب المذهب الحنفي ومؤسسة الحرمين الشريفين التي تجمع الأوقاف كلا من أصحاب المذهب المالكي من الجزائريين والأندلسيين وأصحاب المذهب الحنفي من الأتراك.

وتزودنا الوثائق الوقفية بمعطيات دقيقة على بعض الأندلسيين الذين أصبحوا وكلاء مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين بمدينة الجزائر. ونذكر على سبيل المثال: محمد بن إبراهيم الأندلسي سنة 1103هـ/1651م،[12] وأبو الحسن الحاج علي بن أحمد بن الحاج بلقاسم الأندلسي سنة 1172هـ/1719م، وأبو عبد الله الحاج محمد بن الحاج بلقاسم الأندلسي سنة 1133هـ/1720م، ومحمد بن الشويحات (الشويهد) الأندلسي سنة 1139هـ/1726م،[13] وأحمد بن محمد المعروف بالمقفولجي 1150هـ/1737م، وسنة 1167هـ/1753م، ومحمد بن السيد محمد بن الشويحات [14](الشويهد) سنة 1150هـ/1740م والسيد أحمد بن عمر سنة 1188هـ/1774م.[15]

وبالاستناد على المعطيات الواردة في وثائق المحاكم الشرعية يظهر مدى إسهام الأندلسيين في مجال الأوقاف بالجزائر، حيث تعدى دورها من تخصيص أوقاف عديدة لخدمة الجالية الأندلسية[16] إلى

تخصيص أوقاف الحرمين الشريفين. وهذا ما يؤكد ارتباط الجالية الأندلسية بالجزائر بالأماكن المقدسة بمكة المكرمة والمدينة المنورة.

والجدول التالي يوضح لنا بعض أوقاف الجالية الأندلسية لصالح فقراء الأندلس ولصالح أيضا الحرمين الشريفين من سنة 1008هـ/1600م إلى سنة 1201هـ/1787م استنادا إلى وثائق المحاكم الشرعية.(17)

الجدول رقم (1): بعض أوقاف الجالية الأندلسية بمدينة الجزائر لصالح فقراء الأندلس ولصالح مؤسسة الحرمين الشريفين 1008هـ/1600م إلى 1201هـ/1787م.

العلبة والوثيقة	التاريخ	اسم المحبس	نوعية المملك	المكان
ع 10/1 و37	1008هـ/1600م	فاطمة بنت المرحوم الأرجوني الأندلسي	حانوت	مدينة الجزائر
ع 10/1 و19	1066هـ/1656م	السيد الحاج أحمد الأندلسي	دار	ناحية باب عزون قرب جامع خضر باشا
ع9/1 و38	1123هـ/1712م	الولية فاطمة بنت أحمد الأندلسي	جميع الحانوت	قرب جامع الركوك بناحية باب عزون
ع10/1 و34	1131هـ/1719م	الولية فاطمة بنت أحمد الأندلسي	جميع الحانوت	المجاورة لحمام حمزة خوجة
ع37/1 و39	1188هـ/1774م	السيد أحمد بن عمر وكيل الحرمين الشريفين	رقعة أرض	بالبياضة خارج باب الواد
ع10/1 و40	1097هـ/1686م	السيد أحمد وابنته	دار	اللاسقة بالمسجد المعروف خضر باشا
ع10/1 و12	1166هـ/1753م	محمد النهاق	جميع الدار	بحومة خضر باشا
ع37/2 و1	1180هـ/1767م	مريم بنت السيد محمد القليعي	جميع الغرس	بني مسوس بالباب الجديد
ع37/2 و6	1194هـ/1780م	مريم بنت السيد محمد القليعي وأختها أنيسة	جنة	فحص عناصر بني موسى خارج باب عزون
ع7/2	1171هـ/1758م	فاطمة بنت ساعد الاندلسي وحسين	العلوي	اللاصق بالمسجد

و17		يلداش بن أحمد التركي	لدار	الكائن بسقيفة الشرشالي قرب خربة بن ميمون أسفل القصبة القديمة
ع1/9 و11	1201هـ/1787م	فاطمة بنت ساعد الاندلسي	جميع الدار	حومة العزارة باب عزون

من خلال استقراء واستنطاق هذه الوثائق الشرعية يمكن استنباط واستخلاص عدة حقائق تاريخية:

- من خلال الوثيقة (1)[18] يمكن استخلاص أن السيدة فاطمة ابنة المرحوم الأرجوني الأندلسي التي أوقفت حانوت بمدينة الجزائر، أن أسرتها الأندلسية قد هاجرت مملكة الأرغوان واستقرت بمدينة الجزائر قبل الطرد الجماعي لمسلمي اسبانيا سنة 1609م.
- أما الوثيقة رقم (2) [19] تعطينا فكرة صحيحة عن المجتمع الجزائري في الفترة العثمانية، فكلمة السيد والحاج ألقاب تعبر عن المكانة الاجتماعية الرفيعة لهذا الشخص الذي أدى فريضة الحج فلقب بالحاج. فهذه الشخصية الأندلسية يمكن أن تكون من كبار التجار بمدينة الجزائر.[20]
- كما يمكن التعرف بواسطة الوثيقة رقم 3 و4، من خلال تحبيس الولية فاطمة بنت أحمد الأندلسي على ثروات الأندلسيين وعلى المستوى المعيشي المرتفع التي كانت تعرفه هذه المرأة، التي أوقفت الحانوت الأول في سنة 1123هـ الموافق لسنة 1712م، ثم بعد مرور 7 سنوات أوقفت الحانوت الثاني في سنة 1131هـ الموافق لسنة 1719م. كما أن هذه الأحباس التي أوقفتها دليل على حب هذه المرأة الأندلسية للعمل الخيري.
- كما تعطي لنا الوثيقة رقم (5) [21] فكرة عن السيد أحمد بن عمر الدي كان موظفا ساميا في السلك الديني من الأندلسيين الذي تمكن من أن يصبح وكيلا لأوقاف الحرمين الشريفين أهم مؤسسة وقفية في الفترة العثمانية التي كانت لها مكانة خاصة في صفوف المجتمع الجزائري في تلك الفترة، فوظيفته دليل على مكانته الدينية وتحبيسه لرقعة الأرض دليل على ثروته الخاصة.
- واعتمادا على وثائق المحاكم الشرعية رقم 8 و9،[22] تعطينا فكرة صحيحة عن مدى مساهمة المرأة الأندلسية في الأوقاف، فمن بين النساء الأندلسيات التي اشتهرت بالبدل والعطاء السيدة مريم ابنة السيد محمد القليعي التي حبست جميع الغرس (جنة) في بني مسوس بالباب الجديد على نفسها أولا ثم على أبنائها محمد وحسن وعمر وراضية وعلى ما يتزايد لها بعد أن قدر الله بذلك ما ذكور وإناث وبعد انقراض عقبها تعود لفقراء الحرمين الشريفين في سنة 1180هـ/1767م.

وبعد مرور 13 سنة وبالتحديد في سنة 1194هـ/1780م قامت مريم ابنة السيد محمد القليعي مع أختها أنيسة بتحبيس جنة بفحص عناصر بني موسى خارج باب عزون حبسا أهليا على نفسها ثم على فقراء الحرمين الشريفين.

إن التحبيس الأول والثاني لهذه المرأة دليل على حب هذه السيدة للبدل والعطاء والإحسان على أبنائها أولا، ومن جهة أخرى على فقراء الحرمين الشريفين، ونجدها في التحبيس الثاني قد شجعت أختها أنيسة على الوقف.

- كما أن استقراء واستنطاق الوثائق رقم 10 و11،[23] تمكننا من معرفة العديد من الحقائق:

أولهما: أن هذه العائلة الأندلسية المسماة بعائلة ساعد الأندلسي، اكتسبت نفوذ كبير في موطنها الجديد بالأرض الجزائرية نظرا لتعاملها وتحالفها مع الحكام الأتراك، الأمر الذي ساعدها أن تصبح من أهم العائلات الأندلسية الغنية بمدينة الجزائر، والدليل على ذلك المصاهرة القائمة بين عائلة ساعد الأندلسي وعائلة أحد القادة العسكريين الأتراك من خلال زواج حسين يلداش[24] بن أحمد التركي بفاطمة ابنة ساعد الأندلسي.

وثانيها: أن هذه العقود الشرعية تكشف لنا مدى مساهمة المرأة الأندلسية في مجال الوقف، ومن بين النساء الأندلسيات التي اشتهرت في نظرنا في تحبيس أملاكها في الفترة العثمانية، وحسب ما تؤكده هذه النصوص الوقفية: ان فاطمة ابنة ساعد الأندلسي التي ساهمن في العديد من الأوقاف، فقد اشتركت مع زوجها حسين يلداش بن أحمد التركي في أوائل جمادى الثاني 1171هـ/1758م[25] بتحبيس العلوي لدار اللاصق بالمسجد الكائن بسقيفة الشرشالي قرب خربة بن ميمون أسفل القصبة القديمة داخل الجزائر المحروسة حبسا أهليا.

وفي سنة 1201هـ/1787م [26] بعدما تقدم بها العمر وبعد مرور 29 سنة من التحبيس الأول، قامت بتحبيس ثاني تمثل في جميع الدار بحومة العزارة بابا عزون وقفا أهليا.

ولاشك أن اختلاف أماكن الأملاك المحبسة الموجودة بالقصبة والأخرى بباب عزون دليل على غنى هذه المرأة والثروة الكبيرة التي كانت تملكها، علما أن هذه المرأة كانت تنتمي لعائلة ساعد الأندلسية المشهورة بغناها وثروتها في الفترة العثمانية.

- كما تعرفنا هذه الوثائق الوقفية على نوعية النشاط الاقتصادي للجالية الأندلسية من تجارة[27] وزراعة [28] التي كانت تمارسها الجزائر في الفترة العثمانية.

المراجع:

(1) مصطفى أحمد بن حموش، المدينة والسلطة في الإسلام، " نموذج الجزائر في العهد العثماني"، دمشق: دار البشائر والنشر والتوزيع، 1999م، ص122.

(2) Devoulx (A), Notice sur les corporations religieuses d'Alger, Alger, Jourdan, 1912, P30

(3) س م ش، علبة 5/1، وثيقة 36

(4) نفسه، علبة 82/2، وثيقة 2

(5) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الإيبري والوجود الأندلسي بالجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003م، ص90.

(6) M. Emerit, l'Etat intellectuel et moral de l'Algérie 1830 in Revue des travaux de l'Académie des sciences morale et politiques, 2eme semestre 1954, P2.

(7) فلة، القشاعي موساوي، أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني، مجلة دراسات إنسانية، الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، عدد خاص، 2001، ص 168

(8) Aumerat, La propriété urbaine à Alger, in, RA, N° 41 (1897) P328.

(9) فلة، القشاعي موساوي، أوقاف أهل الأندلس، مرجع سابق، ص 169

(10) حنيفي، هلايلي، الحضور الأندلسي في مدينة الجزائر العثمانية على ضوء المساهمات الوقفية، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد الحادي والثلاثين ديسمبر /كانون الأول، ص 62.

(11) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988، ص ص 43، 64

(12) س م ش، علبة 5/1، وثيقة 1

(13) نفسه، ع 5/1، و 5

(14) نفسه، ع 5/1، و 29

(15) نفسه، ع 37/1، و 39

(16) نفسه، ع 5/1، و 13، و ع 10/1، و 40

(17) نفسه، ع 10/1، و 12

(18) نفسه، ع 10/1، و 37

(19) نفسه، ع 10/1، و 19

(20) نفسه، ع 9/1، و 38، وع 10/1، و 34

(21) نفسه، ع 37/1، و 39

(22) نفسه، ع 37/2، و 1، و ع 37/2، و 6

(23) نفسه، ع 7/2، و 17، وع 9/1، و 11

(24) يلداش، الرفيق في الطريق، وهذا الاسم كان يخاطب الجندي زميله في فرقته، أنظر: مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي، من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 1549م – 1830م، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، 2002، ص 276.

(25) نفسه، ع 7/2، و 17

(26) نفسه، ع 9/2، و 11

(27) نفسه، ع 10/1، و 37

(28) نفسه، ع 37/1، و 39

مصحف الجامع الكبير بمدينة الجزائر

- دراسة وصفية تحليلية فنية -

أ/ فيصل نايم، جامعة الجزائر 2

مقدمة.

يعد المصحف الشريف من أكثر المخطوطات التي حظيت باهتمام الفنان المسلم لما تحمله من تنوع في المظاهر الفنية التي تتراوح ما بين فن التجليد وفن التلوين والتذهيب، علاوة على فن الخط العربي الذي شهد مرحلة جديدة وخاصة ما تعلق بتدوين القرآن الكريم. ولذلك يمكن اعتباره المخطوط الذي شهد تطورا واسعا، كون المسلم أراد بذلك التقرب إلى الله عز وجل وحبا منه لكتاب الله.

ويعتبر مصحف الجامع الكبير إحدى هذه التحف الفنية المتمثلة في المخطوطات الأثرية النادرة، والتي يحتفظ بها المتحف الوطني للآثار القديمة والفن الإسلامي. ونظرا لأهمية قيمته التاريخية والفنية، تقوم مؤسسات الدولة أحيانا بعرضه في كثير من المناسبات والتظاهرات الثقافية وآخرها تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية وتظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية.

1. المصحف الشريف: تعريفات ومفاهيم.

يعد القرآن الكريم أحد الأسس الرئيسية التي نبعت منها الحضارة الإسلامية باعتباره المصدر الأساسي للإسلام وحجر الزاوية الذي تقوم عليه الشريعة الإسلامية.

والقرآن **لغة** مصدر يقرأ بمعنى يجمع، وقرأ الشيء قرءا وقراءة وقرآنا أي جمعه ويقال من قرأ ويقرأ بمعنى تلا ما حفظه أو كتبه من الكلام، قال تعالى: " إنّ عَلينَا جَمعَه وقُرآنه فإذَا قرَأنَاه فَاتّبِع قُرآنَه " سورة القيامة (الآية 17 – 18).

وقارن الشيء مقارنة وقرانا: اقترن به و صاحبه ، واقترن الشيء بغيره وقارنته قرآنا: صاحبته ، وقرنت الشيء بالشيء أوصلته ، والقرآن الجمع ، والقران الجمع بين الحج والعمرة، والقراءة مصدر قرأ قراءة قرآنا.

قال الأشعري: القرآن مشتق من قرن لقرن السور والآيات والحروف ، أما الفراء فرأى أن اللفظ مشتق من قرائن أي أشباه ونظائر لأن الآيات يصدق بعضها بعضا ويشابه بعضها بعضا.[1]

والقرآن في **الاصطلاح** هو كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – باللغة العربية، المعجز المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس،

وعرف القرآن الكريم بأسماء عديدة ورد ذكرها في القرآن الكريم أشهرها: القرآن الكريم، والفرقان، والكتاب، والنور المبين والنذير والذكر.[2]

أما الجمع، فالمقصود به حفظ القرآن في الصدور وكتابته في السطور، وقد بدأت هذه العملية في حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – حيث جمع القرآن حفظا وكتابة وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه وجمعه، قال تعالى: " لا تُحَرِكْ به لِسَانَك لتعجلِ به إنّ عَلينَا جَمْعَهُ وقُرآنَه فإذَا قرأنَاه فاتّبع قُرآنَه ثُم إنّ عَليناَ بيَانه " سورة القيامة (الآية16 – 19).[3] ولقد اختلف الصحابة فيما بينهم على تسمية القرآن الكريم، فالبعض قال نسميه سفرا واعترض الآخرون لأن هذه التسمية كان اليهود يسمونه بها وكرهوه، وذكر البعض أنه رأى مثله في الحبشة يسمى المصحف، فاجتمع رأي الجميع أن يسموه المصحف وهكذا ذاع صيت هذه الكلمة للدلالة على المصحف، وذكر الأحباش أن العرب نقلوا عنهم المصحف الذي يحفظ من الكتاب ويحافظ عليه ويصونه.

وعلى الرغم من ذلك فالأرجح أن هذه التسمية وهي " **المصحف** " اشتقت من لفظة " **صحف** " وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة البينة (الآية 1 – 3) ونصها: " لَم يَكُن الذين كَفَروا مِن أَهلِ الكِتاب والمُشرِكين مُنفكين حتى تأتيَهم البَيّنة رَسولٍ من الله يَتلو صُحفًا مُطهرة فيها كُتب قَيّمة " وأيضا في سورة عبس (الآية 11 – 16) " كلاّ إنّها تَذكِرة فَمن شاءَ ذَكَره في صُحُف مُكرّمة مَرفوعة مُطَهّرة بأيديَ سفرةٍ كرامٍ بَرَرَة ".

والمصحف **لغة**، هو ما يجمع فيه الصحف لذلك سمي المصحف مصحفا لجمعه الصحف، وهذا يعني أن المصحف أطلق على القرآن الكريم المحفوظ بين دفتين، وأول من أطلق كلمة مصحف على القرآن الكريم المجمع في صحف والمحفوظ بين دفتين سالم بن معقل المتوفى سنة 12 هـ / 633 م.[4]

2 دراسة وصفية لمصحف الجامع الكبير بمدينة الجزائر.

- **بطاقة فنية.**

طبيعة المصحف: تام

نوع التجليد: حديث بورق مقوى لون التجليد: ورق الإبرو

عدد الأوراق: 252 ورقة

مقاس الورقة / طول: 39.5 سم   عرض: 31 سم

عدد السطور بالصفحة: 15 سطرا

نظام السطر: منتظم

نوع الخط: خط الثلث

لون حبر الكتابة: أسود – لون حبر الشكل: أسود وأحمر – لون حبر الإعجام: أسود

الناسخ: محمد بن حسن بن مصطفى بن عبد الرزاق الشهير براسم زاده.

التاريخ: 1141 هـ / 1729م

التوقيع: متوفر

مكان الحفظ: المتحف الوطني للآثار القديمة والفن الإسلامي.

رقم الجرد: II .P.026

مصدر الحصول عليه: الجامع الكبير بمدينة الجزائر.[5]

- **الوصف**.

– الغلاف.

يتميز غلاف المصحف بكونه حديث مكون من الورق المقوى بغلاف من ورق الإبرو.

– صفحات المصحف.

- صفحتا البداية: (صورة 1)

ورقة صفحة الفاتحة مزينة بزخارف ذهبية، وزينت سورة الفاتحة بأطر تحتوي على زخارف الأرابيسك بألوان تتراوح بين الأزرق والأحمر والذهبي والأخضر والأبيض، وفيما تعلق بالعلامات فنجد علامات نهاية الآيات على شكل وريدات، أما إطار تعريف السورة فهو عبارة عن خرطوش بأرضية ذهبية وجد في هاتين الصفحتين دون باقي أطر الصفحات الأخرى من المصحف.

- صفحات المصحف: (صورة 2)

يتميز إطار صفحات المصحف عموما بالبساطة بحيث يتشكل من ثلاثة خطوط تضم بينها إطارا رفيعا بلون أصفر فاقع، ومما يميز هذه الصفحات أيضا أنها تحتوي على علامات نهاية الآيات على شكل وريدات بسيطة جدا تكونها دوائر صغيرة متشابكة فيما بينها، وتلتقي فيما بينها بنقاط سوداء وحمراء، مع خلوها من علامات أرباع وأنصاف ونهايات الأحزاب والأجزاء والسجدات بالحاشية، بل أشير إلى ذلك

بحبر أحمر اللون وبخط واضح من نوع خط الثلث، وعرفت السور بالإشارة إليه بحبر لونه بني ذي بريق دون وضع هذا التعريف داخل إطار على غرار ما رأيناه سالفا في صفحتي البداية.

- ختام المصحف: (صورة 3)

تنقسم صفحة ختام المصحف إلى قسمين شغل القسم الأعلى منها بسورة الناس، بينما خصص القسم الأسفل منها لاسم الناسخ والدعاء والتاريخ ضمن مثلث مقلوب.

- التوقيع والوقف: (صورة 4 و5)

– **الناسخ والتوقيع**: وجد اسم الناسخ والدعاء والسنة في الصفحة الأخيرة من المصحف كما ذكرنا، وورد النص كالتالي:

"كتبه الحقير المحتاج إلى ربه الغفور محمد ابن حسين ابن عبد الله ابن مصطفى ابن عبد الرزاق الشهير برائم زادك بن سلطان (برائم زاده بن سلطانكم) جزاير حاليا مولده بمدينة قندية من تلاميذ سيد عبد الله افندى مولده عجله يدي قله بقسطنطينية الستانبولي غفر الله ذنوبهم ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات الحياء منهم والأموات

برحمتك

يارحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين.

سنة واحد وأربعين ومائة وألف.

– **الوقف**: الملاحظ على الورقة الأولى من المخطوط أنها في حالة حفظ سيئة للغاية، وهي مفصولة عن باقي صفحات المخطوط، وتحتوي في جزئها السفلي على نص وقف المصحف، ويحاذيه في الهامش الأيسر ختم بتاريخ 1256 هـ مذيل بعبارة " **الناظر المتولي خزانة الكتب سنة 1263** " أو " **الشيخ متولي خزانة الكتب سنة 1263** " أما نص الوقف فهو كالتالي:

" الحمد لله وحده ولى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ووقف وحبس هذا المصحف الشريف عبدي باشا يسر الله تعالى مراده وما يشاء وقفا صحيحا لا يباع ولا يرهن ولا يتبدل فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم سنة 1141

3. دراسة تحليلية للأطر والعلامات بأوراق مصحف الجامع الكبير.

كان التذهيب في أول الأمر مقصورا على أجزاء معينة من صفحات المصحف مثل الشرطة التي تفصل بين السور بعضها وبعض، والفواصل بين الآيات القرآنية وبعض العناصر الزخرفية التي تدل على أجزاء المصحف وأقسامه كالنصف والربع، وكان الشريط أهم هذه الأجزاء جميعا وشكله في مبدأ الأمر مستطيل استطالة أفقية نظرا لأن المصاحف نفسها كانت مستطيلة فعرضها أكثر من طولها، وقد زينت هذه الأشرطة بعناصر زخرفية مختلفة، فنرى أحيانا المتشابكات والجدائل، وأحيانا أخرى نجد رسوما هندسية من دوائر أو أجزاء من دوائر تتماس أو تتقاطع أو مربعات صغيرة.[6]

والملاحظ أن عرض الشريط لم يكن منتظما، إذ كان في جزء منه أكبر عرضا من باقي أجزائه في بعض الأحيان ويحدث ذلك عندما تنهي السورة في وسط الصحيفة، وفي هذه الحالة يعمد المذهب إلى جعل الشريط في الجزء الخالي من الكتابة أكثر عرضا عن غيره وذلك إما بتكرار العناصر الزخرفية أو رسم عناصر معمارية، أما فواصل الآيات فكانت مجرد دوائر فاصلة في حين كانت علامات الأجزاء دوائر داخلها مربعات تتداخل مكونة أشكالا نجمية يكتب بداخلها ما يدل على الجزء من المصحف.[7]

وفي القرن الثاني الهجري ظهرت كتابة أسماء السور داخل الأطر بحروف من الذهب، وفي بعض المصاحف كانت هذه الزخارف شبيهة بما نجده على المنسوجات التي ترجع إلى نفس العصر الذي ينسب إليه المخطوط.[8]

أما فواصل الآيات فالملاحظ أنها بدأت في المصاحف الأولى بترك فراغ بين كل آية وأخرى أوسع قليلا من الفراغ الذي كان يترك عادة بين كل كلمة وكلمة، علما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – عند تلاوته للقرآن الكريم كان يقف على رؤوس الآيات توجيها لأصحابه أنها رؤوس آيات، حتى إذا علموا ذلك وصل الآية بما بعدها طلبا لتمام المعنى ومن هنا كان الناسخون يتركون فراغا بين كل آية وأخرى، وقد استغل هذا الفراغ المتروك برسم نقطة فيه على هيئة مثلث، ثم استبدلت النقط بشرط رسمت فوق بعضها البعض، ثم أحيطت هذه الشرط وتلك النقط بدوائر.[9]

والملاحظ على بعض المصاحف أن النساخين قد جعلوا بين كل خمس آيات دائرة كتبوا في داخلها رأس حرف الخاء، وكانت تسمى هذه الزخرفة بالتخميسات، كما جعلوا أيضا بعد كل عشر آيات دائرة كتبوا في داخلها رأس حرف العين، وكانت تسمى هذه الزخرفة بالتعشيرات، وآخر ما وصلت إليه فواصل الآيات استعمال دوائر بها زخرفة نجمية الشكل في وسطها في بعض الأحيان رقم الآية في السورة التي تتبعها. وتسير فواصل السور في الطريق نفسه الذي سارت فيه فواصل الآيات، فقد بدأت بترك فراغ بين كل سورة وأخرى أوسع من الفراغ الذي كان يترك عادة بين كل سطر وسطر وتجلت الخطوة الثانية في

هذه الفواصل في ملء الفراغ الذي وجد بين كل سورتين بشريط من الزخرفة، وجاءت الخطوة الثالثة في فواصل السور في تضمين ذلك الشريط الزخرفي اسم السورة التي يتوجها وقد يتضمن أيضا بيان ما إذا كانت السورة مكية أو مدنية.[10]

أما زخرفة الهوامش الجانبية للصفحات في المصحف الشريف فأبرز ما نراه فيها هو الدوائر المتشمسة التي تتضمن في بعض الأحيان الإشارة إلى أحزاب المصحف أو أجزائه ، ويطلق على هذه الزخرفة اسم " شمسة " أخذا من مشابهتها للشمس.[11]

وبمصحف الجامع الكبير وجدت بعض العناصر من أطر وعلامات متخذة أشكالا ووضعيات متباينة ، ويتضح هذا جليا في التحليل الآتي:

1.3. الأطـر:

- إطار صفحتي الفاتحة وبداية سورة البقرة:

تميزت أطر صفحات البداية في مصحف الجامع الكبير بالإتقان في التنفيذ والتنسيق بين الألوان المستعملة، إذ نجد أن كلا من صفحة سورة الفاتحة وبداية سورة البقرة أحيطت بإطارين كبيرين شغلا بزخارف الرقش العربي وقوامه العديد من أنصاف المراوح النخيلية المنفذة باللون الذهبي على أرضية خضراء، وتتخللها في الإطار الخارجي أشكال لوزية باللون الآجوري الفاتح، ويحيط بهذين الشريطين أشرطة دقيقة بالألوان الذهبي والأحمر والأزرق (شكل 1 – 2 – 3).

- أطر الصفحات:

تميزت أطر صفحات مصحف الجامع الكبير بالبساطة الشديدة ، إذا أحيط النص القرآني بإطار دقيق باللون الأصفر الفاقع.

- إطار صفحات ختام المصحف:

جاءت صفحات تمام أو ختام المصحف بمصحف الجامع الكبير بسيطة على غرار سائر الصفحات

- إطار اسم وتعريف السورة:

ورد إطاران بصفحتي البداية بمصحف الجامع الكبير إلا أنها خالية من أي تعريف للسورة ، أما باقي السور فقد أشير إلى تعريفها بعد انتهاء ما قبلها من آيات السورة السابقة.

2.3. العلامات:

- علامات الحاشية:

تعتبر الشمسة من أهم علامات الحاشية عموما وهي عنصر زخرفي على شكل دائرة بيضاوية تكون عادة مذهبة ومرصعة بزخارف إشعاعية تخرج من جوانبها مما دعا إلى تسميتها بالشمسة لتشابهها مع نجم

الشمس، وغالبا ما نجد في وسط الشمس عنوانا يتضمن اسم مالك المخطوط أو اسم من خط لأجله داخل جامات وغالبا ما تدون الكتابات بخط ملون أو مذهب أو أبيض يختلف عن خط متن الكتاب، وتوجد زخرفة الشمسة عادة بعد عدة صفحات من بداية المخطوط في صفحة تقع في الجهة اليسرى لمن يفتح الكتاب[12] واستعملت الشمسة بحجم صغير للدلالة والإشارة إلى أرباع وأنصاف وتمام الأحزاب. واحتوى هذا المصحف على مجموعة من العلامات نوردها في التحليل التالي:

- **علامات أرباع الأحزاب:**

جاءت علامات أرباع الأحزاب في مصحف الجامع الكبير مكتوبة على الهامش بعبارة "**ربع**" منفذة بخط الثلث وبحبر أحمر بالحاشية (لوحة 1 – 1).

- **علامات أنصاف الأحزاب:**

أشير إلى نصف الحزب بمصحف الجامع الكبير بواسطة الكتابة إذ نجد عبارة **نصف الحزب** مكتوبة بخط الثلث وبحبر أحمر بالحاشية (لوحة 1– 2)

- **علامات تمام الأحزاب:**

وردت علامة تمام الحزب بمصحف الجامع الكبير بطريقة الكتابة كذلك، على غرار الأرباع والأنصاف إذ نجد عبارة **حزب** مكتوبة بخط الثلث وبحبر أحمر بالحاشية (لوحة 1 – 3).

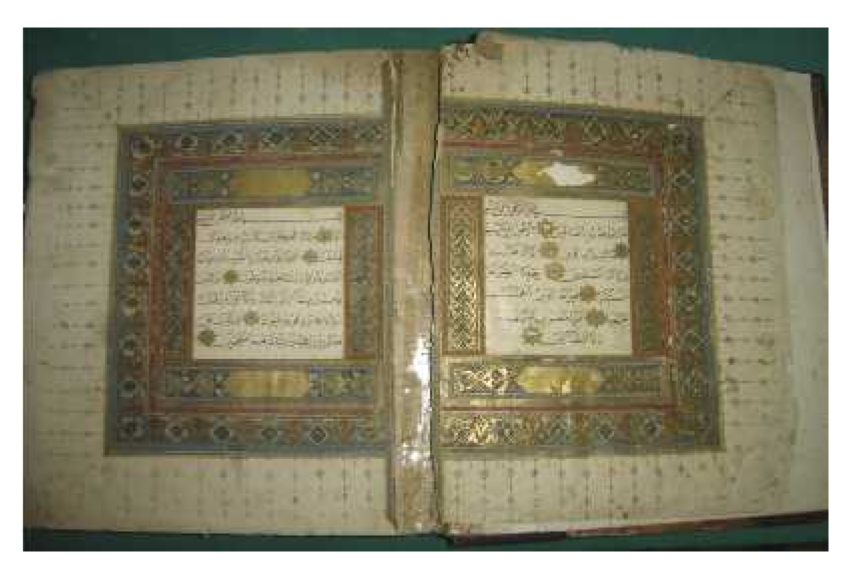
- **علامات سجدة التلاوة:**

وردت علامة السجدة بحاشية مصحف الجامع الكبير عن طريق كتابة كلمة " **سجدة** " على اليسار بخط الثلث وبحبر أحمر (لوحة 1 – 4)

خاتمة.

وفي خلاصة هذا البحث يمكننا القول بأن مصحف الجامع الكبير تحفة من النوادر التي تزخر بها مؤسسات الدولة على غرار المتحف الوطني للآثار القديمة والفن الإسلامي ، وهو يعطي بذلك النموذج الكامل للمصاحف العثمانية كونه يتميز بخصائص فنية متعددة سيما فن التجليد والتذهيب الذي استعملت فيه العديد من التقنيات والأساليب الدقيقة التي نفذت بها العناصر الزخرفية التي ازدانت بها تلك المصاحف العثمانية عموما ومصحف الجامع الكبيرخصوصا، والذي احتوى على مجموعة متنوعة من الأطر الخاصة بالصفحات أو تعريف السور، كما أنه احتوى على بعض العلامات التي تشملها المصاحف وهي علامات الحاشية كأرباع الأحزاب وأنصافها وكذا تمام الأحزاب وعلامة سجدة التلاوة ، كما أن المصحف تضمن اسم الناسخ وتاريخ النسخ وكذلك نص الوقف الذي ورد فيه تاريخ الوقف وصاحب الوقف

والمسجد الذي وقف له إضافة إلى بعض الصيغ والعبارات الدعائية وأسماء بعض المشرفين على الجامع مثل " متولى الخزانة " وهي قيمة علمية بالغة الأهمية في مثل هذه الدراسات.



صورة (1) مصحف الجامع الكبير – صفحتا البداية



صورة (2) مصحف الجامع الكبير – صفحات المصحف –



صورة (**3**) مصحف الجامع الكبير – ختام المصحف –



صورة (**4**) مصحف الجامع الكبير – الختم والتوقيع –



صورة (5) مصحف الجامع الكبير – نص الوقف –



(1) علامة ربع الحزب

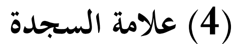


(2) علامة نصف الحزب



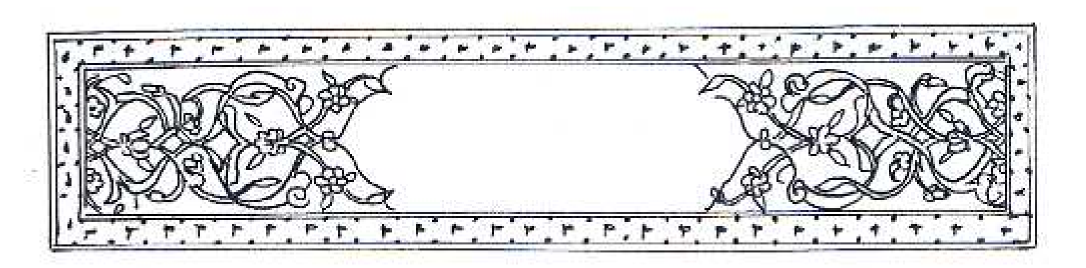
(3) علامة تمام الحزب



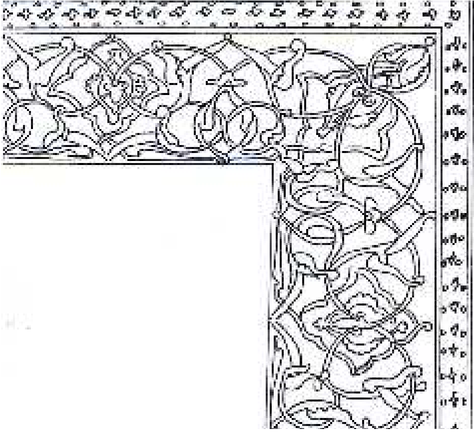


(4) علامة السجدة

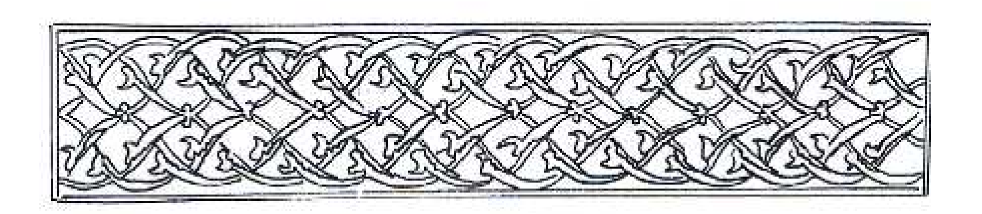
لوحة 1 / علامات الحاشية بمصحف الجامع الكبير



شكل 1 / مصحف الجامع الكبير – إطار صفحتي الفاتحة وبداية سورة البقرة



شكل 2 / مصحف الجامع الكبير – إطار صفحتي الفاتحة وبداية سورة البقرة –



شكل 3 / مصحف الجامع الكبير – إطار صفحتي الفاتحة وبداية سورة البقرة –

الهوامش:

---

1 محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعي، العين الإمارات العربية المتحدة، 2000 – 2001، ص34.

2 نفسه، ص34، 35.

3 نفسه، ص44.

4 شادية عبد العزيز الدسوقي، فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية، الطبعة الأولى، دار القاهرة،2002، ص11.

5 توجد كتابتان أثريتان تتعلقان بالجامع الكبير بمدينة الجزائر، الأولى بالمنبر تحمل تاريخ 490 هـ 1096م والأخرى بلوحة رخامية تشير إلى تاريخ المئذنة وتحمل تاريخ 723هـ/ 1324م واسم الحاكم ابا تاشفين.أنظر:

- Devoulx (A.), Les édifices religieux de l ancien Alger, Typographie Bastide Alger,p.93.
- Bourouiba (R.). L' Art religieux musulman en Algerie, SN.E.D, Alger, 1983, p.108.

6 محمد عبد الجواد الأصمعي، تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام ونوابغ المصورين والرسامين من العرب في العصور الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ص78.

7 نفسه، ص78.

8 نفسه، ص79.

9 محمد عبد العزيز مرزوق، المصحف الشريف – دراسة تاريخية وفنية – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1975، ص99.

10 محمد عبد العزيز مرزوق، المرجع السابق، ص100.

11 نفسه، ص101.

12 سامي نوار، المرجع السابق، ص 48، 49.

ردود صوفية الجزائر على دعاوى الإصلاحيين

خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي

الحركة الوهابية أنموذجا

د/شخوم سعدي، جامعة جيلالي اليابس، بلعباس

نتيجة ضعف الدولة العثمانية وانتهاز الأوربيين للفرصة وإثخانهم فيها، ظهر في العالم الإسلامي ما عرف بحركات الإصلاح التي مثلها عدة تيارات، مثل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1115-1206هـ/ 1703-1791م) بالجزيرة العربية، ودعوة الشيخ محمد عبده (1266-1323هـ/1905 - 1849م) وجمال الدين الأفغاني(1254-1314هـ/1839-1897م) والشيخ محمد رشيد رضا (1282-1354هـ /1864-1935م)، و قد لاقت هذه الدعوات معارضة شديد من طرف تيار التقليد أو ما يعرف كذلك بتيار "التراث"، و إن كان بعض خصومهم يعطونهم صبغة التصوف التي كانت غالبة عليهم أذاك، فلا نكاد نجد ردا عليهم او انتصارا لهم في أغلب مناطق العالم الإسلامي، و لعل الجزائر لم تشذ عن هذا الحال بالنسبة للدعوة التنويرية لمحمد عبده و الأفغاني إلا أن موقف علمائها من محمد بن عبد الوهاب غير واضح، والباحث في الدراسات المتأخرة لا يكاد يجد ذكر لمواقف العلماء من هذه الدعوات إلا عبر جرائد التقليدين أو كما يسمون بالمقلدين مثل النجاح في الشرق الجزائري لصاحبها عبد الحفيظ بن الهاشمي (1310-1393 هـ / 1892-1973م) أو لسان الدين و جريدة البلاغ لصاحبها أحمد بن مصطفى بن عليوة المستغانمي (1291 – 1353 هـ / 1869 -1934 م)، والتي اهتمت بالرد ومنافحة الإصلاحيين المتأثرين بدعوة الشيخ محمد عبده و درسته، و فيما يخص الدعوة الوهابية فقد قلت الدراسات حولها و مواقف علماء الجزائر منها خاصة في القرن الثالث عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، وذهب كثيرون إلى محاولة ربطها بدعوة الشيخ عبد الحميد بن باديس (1307 – 1359 هـ / 1889 - 1943م) و الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1306-1385 هـ / 1889-1965م)، و كلما توغلنا في بدايات القرن الثالث عشر كلما عزّ الوقوف على الكتب التي ردت او ترد على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1115-1206 هـ / 1703-1791م)، و الذي يثير انتباه الباحث و الدارس في هذا الموضوع هو أن بعض الدراسات التي تعرضت لمواقف المغاربة[1] مثل دراسة **الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر**

الخاصة بالمغرب الإسلامي لم نجد فيها إشارة واضحة لعلماء الجزائر، وقد اكتفى واضعوا هذه الدراسة بالحديث عن ردود علماء تونس و علماء المغرب الأقصى، ولا يستطيع القارئ معرفة الأسباب التي أوصلت البحث إلى هذه الحالة، و من جهة أخرى فإن هذا البحث اقتصر على الردود التي كانت للرسائل التي أرسلها سعود بن عبد العزيز إلى بلاد المغرب الإسلامي بداية سنة 1803 م[2]، بل نجد الدراسة تغفل الإشارة المهمة التي تتحدث عن الشخص الذي قدم الرسالة المُرسلة سنة 1805 من طرف محمد بن سعود و التي حصل عليها الطيب بن كيران من قسنطينة بالجزائر، و هو شخصية علمية مهمة كان على الباحثين التوقف عندها[3]، و في جانب آخر فيما يتعلق بالردود على الحركة الوهابية فالواقف على كثير من الدراسات يجد أن أغلبها إما أنها تتعلق بالردود التونسية مثل مقالة **علماء تونس و الدعوة الوهابية** بحوليات الجامعة التونسية[4]، والتي خلصت إلى أن جوهر الخلاف بين الموافقين و الرافضين التونسيين كانوا يرون الحفاظ على الثابت "المتضخم" او "المتحرك" تحت ضغط المجتمع [5] و يذهب الكاتب إلى أن أغلب هذه الردود كانت سياسية[6] ،و في المغرب نجد مقالا لمحمد المنصور الموسوم بـــ **الحركة الوهابية و ردود الفعل المغربية** عند بداية القرن التاسع عشر[7] ،و التي فصّل فيها صاحب المقال تفاصيل مهمة و حاول إيجاد الرابط بين تأثيرات الوهابية على مولاي سليان (أبو الربيع سليمان بن محمد :1206- 1238 هـ/ 1760– 1822 م) والتي انتهت بثورة المتصوفة عليه سنة 1820م[8]، ولعل باحث وصل إلى نتيجة تأثير الدعوة الوهابية التي بلغت البيت العلوي.

و في ظل هذه القراءات يتساءل الباحث أين كان علماء الجزائر في ظل كل هذا السجال العلمي والديني و ربما حتى السياسي، بغض النظر عن الحروب الهائلة التي كانت في الجزائر بينها و بين مختلف دول أوربا و الثورات الداخلية مثل ثورة درقاوة سنة 1805 التي تزعمها عبد القادر بن شريف ، وثورة ابن الأحرش سنة 1803 التي تزعمها محمد بن عبد الله الشريف، وثورة التيجانية سنة 1825 م التي تزعمها محمد الكبير التجاني[9]، لا يجد الدراس و الباحث سجالا كذلك الذي كان بالمغرب و تونس حول الدعاوي الوهابية، فهل السبب يعود للباحثين الجزائريين الذين لم يهتموا بهذا الموضوع الذي لا نملك دلائل سجالاته من انعدامها أو أن الأمر يعود للسوابق التاريخية التي شهدت صراعا كلاميا بين علماء الجزائر و التي أشار لها علماء مثل محمد بن عبد الكريم الفكون (988 – 1073 هـ /1580- 1663 م) وعبد الرحمن الأخضري (918-953هـ/ 1512- 1545م) في مصنفاتهما و غيرهما، ومما يزيد في إشكالات البحث و تعقدها هو تلك الحالة التي تكاد تقترب من التشويش من بعض المهتمين في كتاباتهم حول موضوع الوهابية و محاولة ايجاد رابط تاريخي بين وضعها الفكري الحالي ومختلف السجالات الكلامية المشار إليها والتي عرفتها حتى الدولة الزيانية[10].

ومن المسائل الشائكة التي تعترض الباحث في البحث هو التسمية أي تسمية "الوهابية" بهذا اللفظ الذي لا يقبله أتباع الحركة و يفضلون عليه لفظاً اشتهر في السجال الفكري المتأخر و هو لفظ "السلفية"، وفي هذا الباب نجد الكثير من النعوت التي وسمت الحركة فمثلا نجد لفظ النجديين باعتبار نشأتهم في نجد وورود الأحاديث التي تذم نجدا، وكذا لفظ الخوارج، و نجد تسمية "الإخوان الوهابيون" التي كانت توسم بها الحركة في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، و الحقيقة أن هذه التسميات و النعوت بل والأوصاف هي ترددات الصراع بين الوهابيين و خصومهم، إلا أن الباحث في المجال التاريخي يستعمل تسمية " الوهابيين" من باب الحصر التاريخي و التمييز و الوصف لا من باب التعريض أو تبني الآراء المخالفة أو المُناصرة .

و قد تم الاعتماد في هذا البحث المقدم على مصادر يمكن و صفها بالجديدة خاصة مؤلفات علي محمد الميلي التي كان يكتفي المترجمون له بالإشارة إليها، إلى جانب ردود أخرى مطبوعة مثل تأليف المشرفي الذي طبع على الحجر بمصر سنة 1327 هـ / 1909 م) و إن كان التأليف وضع قبل ذلك، ثم بعض الإشارات الأخرى التي نجدها في كتب أخرى سنعرض لها تباعا، متعرضين لتاريخ معرفة الجزائريين بالحركة الوهابية و الوسائل التي عرفوا بها هذه الحركة ثم مواقفهم و ردود علمائها عليها، و لعل اهم ما يتبادر للأذهان مدى علاقة هذه الردود بكيان الدولة الجزائرية ممثلة في العثمانيين أم أنه جاء في إطار آخر كوجود كثير من الرّادين في غير الجزائر و إن ارتبط هذا بوضع الجزائر الخطير من الاضطرابات المشار إليها .

1. تعرّف الجزائريين على الحركة الوهابية و رؤيتهم لها:

لا نملك وثائق مباشرة تتحدث عن تعرف الجزائريين للحركة الوهابية منذ نشأتها خلال القرن الثاني عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، غير أن أقدم نص جزائري تمّ الوقوف عليه يحوي إشارة للدعوة الوهابية كان نص أبي راس الناصري في كتابه **فتح الإله ومنته في الحديث بفضل الله و نعمته** الذي يعود إلى سنة 1226 هـ/1811م، و كتابات الميلي التي كانت سنة 1240 هـ / 1824 م؛ ثم تأتي رحلة ابن الحاج الأغواطي تتحدث عن رؤية متفقه جزائري لهذه الدولة و لعلها الأقدم فهي تتحدث عن الدولة السعودية الثانية التي باستيلاء تركي بن عبد الله آل سعود (1183 – 1249 هـ/ 1769 – 1833م) و قد كانت هذه الرحلة سنة 1224 هـ/ 1829، وإجمالا يمكن تحدي الطر العامة التي عرف من خلالها علماء و وجهاء الجزائر الحركة الوهابية من خلال ما يأتي:

الحج: وهو أول ما يمكن أن يبحث فيه الدارس، فنظرا لأن منشأ الحركة الوهابية كان في الجزيرة العربية فإن أخبارها و إن كانت بدايتها في نجد فإنها ستصل بطبيعة الحال إلى الحرمين ، لكننا لا نملك نصوصا أو وثائق تتحدث عن القرن الثاني عشر للهجرة، و أقد هي نص بي راس (محمد بن أحمد)الناصري ((1165 –

1238 هـ / 1751-1823م)المشار إليه و الذي يتحدث فيه قائلا: "و لما ذهبت إلى الحج سنة ست وعشرين لقيت علماء الوهابية وهم تسعة علماء أكابر جماهير، وأفضلهم الشيخ علي تاسعهم، فوقع لي مناظرة ومباحثة و اعتراضات وسؤلات، واجوبة فائقات، ودلائل قاطعات و أحاديث مروية عن اكابر الأئمة من الأمهات".

ويبدو أن الشيخ المشار إليه هو علي بن محمد بن عبد الوهاب (ت 1245 هـ / 1829)، وقد خلص أبي راس الناصري إلى ان الوهابية خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع حنابلة في المعتقد بخلاف شيخهم ابن تيمية فإنه حنفي في الفروع و الاعتقاد[11]، فيظهر من خلال هذا الرأي الذي بدو أنه مبدئي عدم ظهور دخول الطراف في مواجهة مباشرة وأكثر مسائله كانت علمية بحتة؛ يظهر أنها كانت امتدا للخلاف المشهور بين ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) (661- 728 هـ / 1236- 1328 م) و مخالفيه، إلا مسألة الاعتقاد التي ذهب كثير من المخالفين لهم أنهم خالفوا حتى الحنابلة كما سيأتي.

الرسائل و الفتاوى الواردة من المشرق: و أبرزها سعود بن عبد العزيز (1218-1229هـ /1803-1814م) فقد أُشير سابقا أن سعود بن عبد العزيز أرسل رسائل إلى ملوك المغرب يدعوهم فيها للآراء الوهابية، وقد ذكر أحمد بن عبد السلام بناني في **كتابه الصواعق و الدواهي الواردة على المبتدع الوهابي بالمناكر و المناهي**[12] أنه حصل على رسالة محمد بن سعود هذه المكونة من ورقتين من طرف الشيخ أحمد بن سعيد العباسي القسنطيني[13] (1251هـ /1835م) وهذا سنة1217 هـ/ 1803 م في رحلة العودة من الحج، وهذه الرسالة اشتهرت بعد ذلك و نشرت عند ابن أبي الضياف وهناك نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1227 د[14] و لعلّها هي التي كانت عند أحمد بن سعيد، و لا نملك رأيا للقسنطيني فيها فلم يشر المترجمون إلى تأليف له في هذا الباب، و من الرسائل كذلك رسالة **كشف الشبهات**[15] التي أشار إليها علي بن محمد الميلي وأنها انتشرت بالقاهرة و قام بالردّ عليها[16] . ونذكر هنا فتوى محمد رشيد رضا (1282- 1354هـ/ 1865- 1935م) التي كانت بمجلة المنار عدد رجب سنة 1322 هـ/سبتمبر 1904م، والتي كان ردّ المشرفي عليها وعلى فتوى الشيخ محمد عبده التي وردتا إليه في كتابه إظهار العقوق.

الرحلات:_و أهمها رحلة ابن الحاج الأغواطي، والتي تحتوي على معلومات مهمة خاصة انها كانت من طرف رجل متفقه وتبدو نظرته نظرة رجل غير مختص تمام الاختصاص في مسائل الكلام و تظهر اهميتها في حديثه عن انتشار عبادة النار و الشمس، بل و عبادة فروج نسائهم و حيواناتهم كما قال[17]، و من جهة أخرى يتحدث عن الوهابية فيقول: "...لا يكنون احترما للنبي صلى الله عليه و سلم و لا للصحابة وهم يؤمنون بمعرفة الله و حده و لا يدعون للرسول كما انهم لا يقرأون دلائل الخيرات .فإذا وجدوه عند أي شخص فإنهم يضربونه و يحرقون الكتاب و هم لا يتسامحون مع التسبيح .فإذا وجدوا السبحة عند أحد يعاقبونه .وهم

يعتبرونه مشركا و لذلك يدعونه إلى التوبة إلى الله.. "[18]، ومن جهة أخرى قدم ملاحظة فريدة حيث شبه إباضية جربة بالوهابيين[19]، ورغم أنه هذا الوصف قد يبدو فيه نوع من التحامل إلا أنه يمثل رؤية رجل ذي صورة مسبقة عن التدين يصطدم بصورة لم يعدها فجعل أحول التدين التي عرفها او تعلمها أصلا في القياس.

المناظرات: ذكرنا المناظرات بلفظ الجمع تجاوزا وإلا فنحن لا نعرف من المصادر إلا مناظرة أبي راس الناصري المذكور أعلاه في رحلته للحج والتي ناظر فيها بعض علماء الوهابية والملفت للأمر انها تناولت النقاط التي تحدث عنها الأغواطي وهي قراءة **دلائل الخيرات**، والتسبيح بالسبحة ومشاهد السادات، وهدم مباني الأولياء ذوي الكرامات فرجعوا عن البعض بعد الاستدلال بالنصوص العظيمة العميمة. وقد نقل بعص ذكر نصا لمجمل الاعتقاد في سؤال طرح عليه بالمدينة يبدو أنه مما كان قد ناظر فيه أو سُئل.

2. خصائص ردود علماء الجزائر على الوهابية

لقد قام علماء الجزائر بالرد على دعاة الحركة الوهابية و حالوا تفنيد الادعاءات التي رأوها في رسائلهم التي وقفوا عليها، و يمكن القول في الاجمال فهم لم يشذوا عن الحالة التي كانت ببلاد الإسلام في موقفها من الحركة الوهابية التي انتقدها بعض المتقدمين مثل أحمد جودت باشا (1237-1312 هـ / 1822-1895م)[20]، لكنها مع ذلك حملت مميزات لا يمكن تجاوزها، خاصة التاريخية منها، فقد اعطت صورة مهم غائبة للعالم الجزائر و موقف منه الحركة الوهابية، فرد محمد بن مصطفى المشرفي كان مقرضا لعلماء محسوبين على الجزائر، بل بعضم كنا جزائريا رغم تغربه بفاس بالمغرب و في هذا إشارة إلى وجود سواد مهم من العلماء الذي انتقدوا الحركة الوهابية و مذهبها الكلامي و أحيانا الفقهي و السلوكي، و للإجمال يمكن تركيز هذه الخصائص فيما يلي :

-الإلماع إلى بعض المخالفين للأشاعرة بالمغرب ومواقفهم مع علماء البلد، ونذكر هنا على الخصوص النص الفريد الذي ينقله لنا الميلي في حديثه عن عبد القادر الراشدي (توفي أوائل العشرة الثانية من القرن الثاني عشر الهجري) وما وقع بينه وبين طلبة قسنطينة حيث يقول: " قد كان ببلدة يقال لها قصمتين (كذا) من أعما الجزائر بالقرب بينمهما نحو عشرة مراحل و هي آخر حكم الجزائر من ناحية الشرق قاضٍ يُسمى بعبد القادر الراشدي يعتقد الجهة و ذلك الاعتقاد القبيح فناظره بعض الطلبة ممن قرأ بتونس و جمع ذلك الاعتقاد الصحيح بحضرة أمير البلدة و كان ذلك الأمير من الجهلة فلبّس عبد القادر على ذلك الأمير بالزور والفجور وقال له هؤلاء نفوا الإله بالكلية حيث نزهوه عن الاستقرار على العرش بالحلو بأي جهة من الجهات"[21] ثم يستطرد قائلا: "وتبع عبد القادر و ذلك الأمير عوام تلك البلدة من جهلهم بما ذكرناه و حررناه و ليسوا معذورين بالجهل لأن عقولهم وافرة في لأمور المعاش فيمكنهم صرفها إلى ما هو مطلوب منهم "[22]، و هذا النص المهم يدل على أن القضايا الكلامية أثيرت في الجزائر قبل ظهور الدعوة الوهابية و رغم ما أثارته من

خلاف بدايتها إلا أنها بقيت محصورة ؛ و في هذا الباب يسوق نادرة أخرى في عهد أبي الحسن المريني (علي بن عثمان بن يعقوب : 697 -752 هـ / 1297 – 1351م) حين استيلائه على تونس و امتحانه لأحد القائلين بالجهة الناقلين لكلام القاضي عياض في هذا الباب و هذا سنة 748 هـ /1347 م ثم تبيانه للمسألة و تفصيله فيها و تعليل كلام القاضي عياض[23] .

-الردود لم توجه على الوهابية خصوصا بل توجهت كذلك إلى بعض المخالفين سواء كانوا من الصوفية مثل إبراهيم بن عبد القادر الرياحي (1180 - 1266 هـ / 1766- 1850م) الذي أشار إليه الميلي وأنه رد عليه في رسالة موسومة بـ :**الصوارم و الأسنة في نحر من تعقب أهل السنة و هي قطرة من الجراز والجراز قطرة من طوفان بيض صفارحي وسمر رياحي لقطع جيد الرياحي و مادحه من تلك النواحي**[24] ، كما ردّ المشرفي على محمد عبده في مقدمة كتابه **إظهار العقوق** في الفتوى التي أفتها بخصوص التوسل و التي نشرت في المنار في العدد المذكور أعلاه، و يبدو أنها أثارت ردود فعل واضحة حيث بلغ صيتها أقاصي المغرب .

- الاستطرادات التاريخية التي تتحدث عن بعض المذاهب والفرق الإسلامية، كحديث الميلي عن المعتزلة والزيدية، الإباضية بجربة التونسية الذي تحدث عن رجوعهم إلى مذهب أهل السنة.

3. **المسائل التي ردّ العلماء الجزائريون على الوهابية** : جاءت الردود في جوِ مشحون، يظهر ذلك جليا في عناوينها التي تحمل أسماء السيف و العقوق، و في ثناياها نجد ألفاظ شديدة النقد للوهابيين تصل أحيان لتكفيرهم بسبب قضية التجسيم، و لعل هذا يعطي صورة الخلاف الذي كان بين الفرقين، و التي لم ينفرد بها الجزائريون فمثل هذه التعابير يجدها الواقف على ردود بعض المشارقة المعروفة، و لمعرفة مواضيع الردود لا بد من التعريف بأهم هذه الردود و ذلك لندرتها و بقائها في حكم المخطوط و هي ردود علي بن محمد الميلي[25] و هي بمجموع تحت رقم 41 دار الكتب المصرية، مشتراة من تركة صالح بن رمضان و تحتوي على ثلاث رسائل هي :

-**كتاب السيوف الهندية لقطع أعناق النجدية**، ويبدأ هذا المخطوط بـ:" بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي خلق العرش والقدس وإعلان العلى..." وينتهي بـ:" هذا وقد ورد إليّ الآن رسالة مصرّحة بتلك العقيدة ومحتوية على شبهات أهل الضلالة فكتبت عليها بقواعد هي عيون العقائد فأردت جمعها هنا لتتم الفوائد فقلت وبالله أستعين" وهو من خمسة وثمانين (85) ورقة من الورقة 01 ظهر إلى الورقة 85 وجه، مكتوب بخط مشرقي واضح.

-**الحسام السمهري لقطع جيد الكاذب المفتري فيما نسبه للأشعري**، ويأتي بعد السابق مبتدئا بـ:" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على آله وصحبه وسلم تسليما الحمد لله الذي تعالى أن يعرف بكيف ..."

وينتهي ب:"...من مخالفة حق حضرتك إنك أنت الوهاب والكريم التواب يا واجب الوجود فيما مقصود، يا موجود وصلي اللهم على سيدنا محمد أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين "، وهو من ستة وخمسين ورقة يبدأ من الورقة 85 وجه وينتهي في الورقة 140 وجه، وهو مثل سابقه بنفس الخط.

– **العجالة في تنزيه الله تعالى عن الشبيه و النظير و المثيل و اثبات الصفة العلية و نفي التعطيل و العلة و المعلول و سائر الانتقاص بسورة الإخلاص**، و هو بعد سابق يبدأ من الورقة 140 وجه ب:" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تنزه عن الحلول في الجهات و تفرد بالذات الموصوفة بالصفات قبل وجود الزمان و المكان و الغلاة (كذا) فخلق الغلاة دالة على علة كلامه القديم ...) و ينتهي في الورقة 284 ظهر ب:. " و الحمد لله رب العالمين و صلى اللهم على سيدنا محمد و صحبه و سلم تسليما، تمّ هذا الكتاب بحمد الله و عونه أوائل شهر المحرم الذي هو من شهور سنة أربعين و مائتين و ألف من الهجرة النبوية "،فهو من مائة و ستة و أربعين ورقة فهو اطول الرسائل كن بتر أو لم يتم تصوير تسعة و عشرين و رقة من الورقة 161 وجه إلى 240 ظهر، و مقاسه : 29.5 X 19.5 سم، مسطرته 21، و النسخة المصورة بدار الكتب المصرية كانت سنة 1968، و قد تمّ نسخ الكتاب كما ذكر أعلاه سنة 1240 ه /1824م .

و بالنسبة لكتاب محمد بن مصطفى المشرفي[26] الموسوم ب :" **إظهار العقوق في الرد على منع التوسل إلى الله تعالى بالنبي و الولي الصدوق**" فهو مطبوع على الحجر بمطبعة التقدم العلمية بالقاهرة سنة 1327 ه / 1909، ويبدو انه قد كتب قبل ذلك فتقريظ عبد السلام بن محمد بن هاشم العلوي السكوري (1289- 1349 ه / 1872-1930م) كتب بتاريخ 1323ه / 1904 م أي سنة بعد ظهور عدد المنار، و هو رد على فتيا الشيخ محمد عبده و الشيخ محمد رشيد رضا المذكوران أعلاه، و يتميز بميزة هامة هو أنه مقرظ بأقلام علماء مغاربة[27]، و لكننا نجد منهم علما جزائريا هو محمد بن الأعرج الإغريسي السليماني (1285-1344ه / 1869 -1926م) ، و قد وصف ابن الأعرج الإغريسي[28] أصحاب الفتيا بالمعتزلة[29] .و يجد القاري و الدارس لهذه المخطوطات أن اهم ما تم طرحه في مجمل هذه الردود:

- **القضايا الكلامية**: كانت مباحث الكلام هي أكثر ما ردّ عليه علماء الجزائر على الرسائل والفتاوى المذكورة؛ وقد يعود هذا إلى الخلفية التاريخية التي عرفت مثل هذا الصراع، فقد ألفت الجزائر –كما تمت الإشارة إليه–مثل هذا الصراع الكلامي في مسائل الصفات وما تعلق بها من كلام، وهذه القضايا هي أكثر ما ملأت رسائل الميلي وجزئياتها التي فصّل فيها هي:

▪ **الجهة[30]** : هي أكثر القضايا التي تناولها و قال بأن الوهابيين يقول بالجهة العلوية[31]، و قد اعتمد في ردّه هنا على قاعدة أساسية عنده و هي نفي صلة هذه المسألة عند الحنابلة بالكلية و القول بأن لبن تيمية

تفرد بها و ينقل هنا ابن حجر الهيثمي (أبو العباس أحمد بن محمد) (909-973 هـ / 1504-1567م) في فتاويه و عن بدر الدين بن جماعة (639-733 هـ/ 1241- 1333م)، و تقي الدين السبكي علي بن عبد الكافي (683- 756 هـ / 1284 – 1355م)، و في معرض ردّ على المعتزلة ينتقد فرق أخرى مثل المعتزلة و الجهمية و الفلاسفة [32]، و في هذا الباب يتحدث عن صفة العلو[33]، و يضع رجزا عن الجهة[34] .

- **التجسيم**: ذي علاقة مع السابق، إلا أنه ركزّ على مسائل الصفات فيه وقد ذكر بأن خصائص التجسيم هي:

–اعتقاد الجهة العلوية.

–الحلول على العرش.

وفصل في صفات رودت في النصوص مثل القدم وعلاقاته بالمكان وفي هذا الباب انتقد مذهب ابن كرام (محمد بن كرام السجستاني :255هـ / 869م) وشببه بمذاهب النصارى في هذا الباب، ويأخذ في النقل من كتاب الاسفراييني (أبو اسحق إبراهيم بن محمد :418هـ /1027م «**الردّ على الكرامية**"[35]

و التجسيم هو أكثر القضايا التي نالت الحظ من هذا النقاش الكلامي ،فقد تكلم عن العرض[36]، و في معرض الانتقاد تكلم عن النصارى القائلين بأن الله جوهر واحد ثلاثة أقاليم[37]، و يعتمد قاعدة يقول فيها أن الرد على أصول المعتزلة في هذا الباب أولى من أهل السنة[38]، و يذهب هنا إلى أن ابن تيمية من المشبهة و من وصمهم بالنجديين على مذهبه[39]، و يذكر أقسام المجسمة و هم قسمان قسمة يخالف أهل السنة في الاسم و المعنى و هم القائلون بأن الله تعالى جسم مركب على صورة آدمي ، و هم هشام بن الحكم الجوالقي (364هـ /975م)، و الطائفة الثانية المخالفة لهل السنة و هم الذي يخالفونهم في الاسم فيقولون أنه جسم في الظاهر و في المعنى لا كالأجسام أي لا نعني بقولنا أنه جسم أنه متبعض [40] و في خبر هشام بن الحكم ينقل على الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر : 159-255هـ /775 -868م) من كتابه الرد على المشبهة[41]، ثم يأخذ في الكلام عن الصفات كالكلام و الروح و القول بتجزئتها و الرؤية و الموجودات و الزمان ناسبا كلامه إلى أئمة اهل السنة كمالك بن انس و عبد الله بن المبارك و خالد بن سفيان صاحب سفيان الثوري و أبي حنيفة و الشافعي و احمد بن حنبل و اسحاق بن راهويه و محمد بن اسماعيل البخاري و أبي داوود السختياني و الليث بن سعد و غيرهم[42]، و يشرح بعد ذلك مسألة التأويل و دلالاتها و في هذا المبحث ينتقد المعتزلة في كلامهم حول الصفات[43]، و يذهب في النقد إلى قطع الصلة بين "النجديين" و الحنابلة[44] ، و في هذا الباب يتحدث عن رؤية الله تعالى في الجنة و رؤية النبي صلى الله عليه و سلم لله تبارك و تعالى في الدنيا[45]، و الملاحظ أن بعض المسائل التي فصّل فيها في السيوف الهندية زادها تفصيلا في

الحسام السمهري، و خاصة مسألة التأويل[46]، و هنا بدافع عن الحلاج فيما نسب إليه منتقدا من سفك دمه لكنه لا يطنب في الحديث[47]، و في هذه الرسالة يذكر سبب التفصيل و هو رده على رسالة محمد بن عبد الوهاب الموسومة بـ : **كشف الشبهات**، و قد ذكر أنها تحوي على التشبيه و التعطيل و التكذيب[48] ،و يعتمد هنا على رسالة **الرد على الجهمية و الزنادقة**، و يشير إلى انتشار عقيدة الوهابية في الأقطار الحجازية و مصر و انها قررت لبعض الأطفال[49] .و في معرض رده على المخالفين لمذهبه الذي يعللون آراءهم بكلام القاضي عياض و ابن أبي يزد القيرواني يعمل تفصيل مرادهما نافيا العلاقة بين رأييهما و آراء المدّعين[50]، و يقدّم تقسيم الظاهرية التي هي قسمان حسب رأيه : "ظاهرية يتمسكون بظواهر الكتاب و السنة في صحة اطلاق ما فيهما على الله تعالى من حيث القول لامن حيث الفهم و يكلون فهم ذلك إلى ما هو عليه فحقيقة الأمر أنهم معترفون بعجزهم أنفسهم عن علم معاني كلاك الله تعالى و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم على حسبما يعلم الله تعالى و يعلمه رسول الله صلى الله عليه و سلم من المعنى الأول الحقيقي ؛ قال تعالى :" **وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** "، و الثانية كابن تيمية و أتباعه ابن قدامة و ابن قيم الجوزية يتمسكون بظاهر الكتاب و السنة في وصف الله تعالى فيما وصفه به نفسه في كتابه العزيز و على لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم و يفهمون ذلك و يؤمنون به على حسب المعنى الذي يتخيلونه في عقولهم ثم تفرقت هذه الفرقة إلى قسمين فمنهم من يقول بالتجسيم و الحلول و الاستقرار على العرش كاستقرارانا على المنبر أو السرير و هذا الذي نقله ابن حجر عن ابن تيمية و بذلك كفر و منهم من يقول بالجوارح و يصفون الله بجميع ذلك و هؤلاء الفرقة لا شبهة في كفرهم و منهم من يقول بالجهة فقط و يزعمون أن من لم يقل بهذا فقد أنكر وجود الاله"[51].و لعل قضية التجسيم هي اكثر القضايا التي نالت حظا وافرا في رسائل الميلي و يدل هذا على تمكنه من الكلام بحيث أنه كان يطنب فيه كل مرة.

- **المسائل التعبدية**

▪ **التوسل:** كان من اهم أسبابا الصراع بين الوهابيين و مخالفيهم، و قد شحنت الكثير من الرسائل حول هذا الموضوع تبادل الطرفان فيها الاتهامات، و نجد الميلي ينكر على من منع التوسل، و يجعل أنه أصل هدم القبور التي بالمدينة المنورة [52]، و غير ان كتاب المشرفي : **إظهار العقوق في الرّد على من منع التوسل إلى الله تعالى بالنبي و الولي الصدوق** أكثر توسعا في هذا الباب من سابقه، و إن كان ريد على محمد رشيد رضا في تنبيه لهذا الرأي فيما يخص هذه المسألة[53]، و يتفرد الميلي عن المشرفي بالشواهد التاريخية لآثار هذا الصراع و هو الأضرحة و القبور التي هدمت بالمدينة المنور على صاحبها أفضل الصلاة و أزكى التسليم و كذا المسجد النبوي[54] .و هنا يأخذ في النقل عن أخبارهم التي تناهت إليه في أحوال الحجاز خلال هذه الفترة

حيث يختم برسالة في آخر العجالة يتحدث فيها عن أخبار نجد من عهد النبي صلى الله عليه و سلم إلى القرن الثالث عشر / التاسع عشر.

- **زيارة القبور:** هي الأخرى ردّ فيها الميلي والمشرفي على الوهابيين، وقد أفرد الميلي لها فصلا في كتابه العجالة، وقبل ذلك نقل عن ابن حجر الهيثمي في كتابه **الجوهر المنظم في زيارة القبر النبوي الشريف المكرم**[55].

وهكذا ومما سبق يمكن القول ان الرادّين على الوهابيين من العلماء المنتسبين للجزائر وافقوا كثيرا من علماء المسلمين مشرقا في المسائل التي كتبوا فيها، ومع ذلك فقد توسعوا كما يبدوا في المسائل الكلامية توسعا ملحوظا، واعتمدوا قواعد علمية مهمة خاصة منها اثبات تفرّدُ الوهابيين وابن تيمية فيما ذهبوا فيه من مذاهب في مسائل الكلام وحتى بعض المسائل الفقهية.

ومن الجدير القول بأن التيار الوهابي جاء في اطار الحملة على الدولة العثمانية في فترة ضعفها، فكان موقف هؤلاء العلماء جاء في إطار الولاء الديني المذهبي للعثمانيين كما يظهر ذلك في كلام الميلي[56]. ومن الصعب القول أن هذه الردود هي في منتهاها تمثل مواقف دول معينة انتهى طواف هؤلاء العلماء بها مثل مصر التي كان يحكمها محمد علي (1220- 1246هـ / 1805-1848م) أو المشرفي الذي كان يتردد بين الجزائر المحتلة والدولة العلوية بالمغرب الأقصى، فأغلب العلماء الشمار إليهم كان تكوينهم العلمي في الجزائر و تلقوا علومهم بها، فكلامهم كما ظهر يعتمد في أصوله على التراث الجزائري الذي تلقوهم كابرا عن كابر، فالميلي ينتسب لأسرة علمية كبيرة بالشرق الجزائري و كذا المشرفي بالغرب الجزائري و أبي راس الناصري كذلك، و يبقى أما الباحثين عمل علمي مهم هو إخراج هذه الكتب و إعطائها الصبغة الجغرافية لها بحيث تأتي مواكبة لما كتب في الموضوع و ملء الفراغ الواضح في هذا الجانب .

ملحق صورة للورقة الأولى (ظهر) لمخطوط السيوف الهندية لعلي بن محمد الميلي

66

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

حمداً لله الذي خلق العرش والفرش وعلا العلي والفرش وما تحت
الثرى فهو رب الاسافل والاعالي الغني عمن سواه المنزه عن الانفعال
من الاداني والمعالي وعن الاحتياج لما عداه في الاسافل والعالي
عنده على حد سواء الاحد في احديته ذاته الواحد في وحدانيته اسمائه
وصفاته السنية التي لا تتناهى وهو ذو الذات الواحدة العلية
من نزه عن كونه في جهة من الجهات العلوية او السفلية قبل
وجود العالم وما عنه احتوى من الجهات الست وبتنزيهه عنها
اهل المعالي تتباهى فكل من عقل الى كونه العالم باسره ليست
في جهة من الجهات كيف لا سبحانه لانه خالقه وحسبه عنه تمكن في خلقه
ومبدعه ائمة الثقات ذوي الالباب المرضية فمن يكون على العرش
من به قاما العرش والفرش والسموات فوقه وانت هذه الشهود
فما من شيء الا يسبح بحمده فله المحامد الدنيوية في دعوة كل
شيء من تجليات الرحمة والجمال والعدل والفضل والافضال
الكبير المتعال سبحانه من علي كبير جل عن التجسيم والتركيب
وعن الحلول والمحل فلا يوصف بالمكان من في علوه هو البعيد
وفي قربه هو القريب اقرب من حبل الوريد القديم الرب المجيد
احمده الفعال لما يريد خالق الزمان فلا يحويه زمان وخالق
المكان اني يحل في المكان ليس بجسم ولا شبح ولا شخص ولا عرض
ولا صورة ولا جوهر ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك
ولا يسكن ولا يزداد ولا ينقص ليس بذي ابعاض ولا اجزاء ولا

جوارح

[1] حمادي الرويسي –أسماء نويرة، الردّ على الوهابية في القرن التاسع عشر –نصوص الغرب الإسلامي نموذجا–، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى: 2008.

[2] حمادي –نويرة، المرجع السابق، ص:14.

[3] حمادي –نويرة، المرجع السابق، ص:23.

[4] عبد الرزاق حمامي، علماء تونس والدعوة الوهابية عدد 30 السنة 1989، تونس كلية جامعة تنوس (49-78).

[5] حمامي، المرجع السابق، ص: 51.

[6] نفسه

[7] محمد المنصور، الحركة الوهابية وردود الفعل المغربية، الإصلاح والمجتمع المغربي، ص-ص (175-191)، سلسلة منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1986.

[8] المنصور، المرجع السابق، 190-191.

[9] حول هذه الثورات يُنظر:

-الزياني (محمد بن يوسف)، دليل الحيران وأنيس السهران في اخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، العمال الكاملة، نشر عبد الرحمن دويب، دار المعرفة، الجزائر: 2013.

-بوشنافي (محمد)، الجيش الإنكشاري في إيالة الجزائر (1700-1830)، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة وهران، 2002. ص-ص: 84-85.

[10] نشير هنا إلى السجال العلمي الذي كان بين ابن مرزوق و العقباني حول مسألة الإنشاد و الأذكار و التي كتب فيها قاسم بن سعيد العقباني (768- 854 هـ /1366- 1450م) رسالة نشرها الونشريسي (أحمد بن يحيى) في المعيار فردّ عليه ابن مرزوق بـ **النصح الخالص في الرد على مدّعي رتبة الكامل للناقص** لمحمد بن مرزوق الحفيد (766-842 هـ / 1364-1439م) و يمكن إجمالا العودة حول هذا الموضوع إلى مقال الشيخ المهدي البوعبدلي الموسوم : بـ، أطوار السلفية بالجزائر، الأعمال الكاملة، الحياة الثقافية، عبد الرحمن دويب، دار المعرفة الجزائر، 2013.

[11] أبي راس (محمد بن أحمد) الناصري، فتح الاله ومنته بالحديث بفضل الله ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1990، ص-ص: 118-119.

[12] أحمد بن عبد السلام بناني، الصواعق والدواهي الواردة على المبتدع الوهابي بالمناكر والمناهي، الخزانة الحسنية، رقم 1/4624.وقد حاولت الحصول على هذا المخطوط بالخزانة الحسنية وفشلت لأن العمال –بعد طول بحث–أخبروني أنه نقل للخزانة الملكية بمراكش. وهذه المعلومات أخذت من المنوني (محمد)، المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1410هـ /1980، ج2، ص: 16.

[13] يُنظر ترجمته في: الحفناوي (أبو القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الغول) تعريف السلف برجال الخلف، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، المكتبة العتيقة تونس، ط1: 1402-1982م، ج2، ص:63.

[14] حمادي –نويرة، المرجع السابق، ص-ص: 125-130.

[15] منشورة ضمن: حمادي –نويرة، المرجع السابق، ص-ص: 131-147.

[16] الميلي (علي بن محمد الميلي) الحسام السمهري لقطع جيد الكاذب المفتري فيما نسبه للأشعري، مجموع رقم 41، (85-140)، ورقة 93 ظهر.

[17] ابن الحاج الأغواطي، رحلة ابن الحاج الأغواطي، تحقيق وترجمة أبو القاسم سعد الله، أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، ص-ص:251-268، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الثالثة: 2005، ج2، ص: 268.

[18] الأغواطي، المصدر السابق، ص-ص: 266-267.

[19] الأغواطي، المصدر السابق، ص:266.

[20] كان جودت باشا من خصوم الحركة الوهابية إلا أنه انتقد ردود على الوهابية في العالم الإسلامي لأنها حسبه كانت مشحونة بالسخف والهراء وأن المنتقدين قدموا بأيديهم الوسيلة للسخرية منهم ومحاربتهم بسلاحهم:

-د/ منير العلجلاني، تاريخ البلاد السعودية، دار الشبل، الرياض:1413 /1993م، ج1، ص: 315.

[21] طمس بمقدار كلمة من حوالي أربعة أحرف.

[22] الميلي (علي بن محمد الميلي)، الحسام السمهري لقطع جيد الكاذب المفتري فيما نسبه للأشعري، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم 14، ورقة 113 ظهر – ورقة 114 وجه.

[23] الميلي، السيوف الهندية اقطع أعناق النجدية، دار الكتب المصرية، رقم 41، ورقة 67 ظهر. يتحدث في الورقة 79 ظهر عن مناظرة وقعت بين ابراهيم الكوراني الكردي الشافعي (1025-1101 هـ / 1616-1690م) وعبد القادر الحنبلي.

[24] الميلي، المصدر السابق، ورقة 130 وجه.

[25] حول الميلي ينظر:

-البابابي (إسماعيل بن محمد البغدادي)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين آ ثار المصنفين، طبعة دار التراث العربي بيروت، ج1، ص-ص 773-774.

-محمد بن عثمان بن محمد السنوسي، مسامرات الظريف بحسن التعريف.

-محمد محفوظ، تراجم العلماء التونسيين، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1405 هـ / 1985م، ج4، ص-ص: 428-429.

[26] عنه يُنظر:

-عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي، معجم الشيوخ (رياض الجنة او المدهش المطرب) . تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت: ط1: 1424هـ /2002م، ج2 ص-ص :146-147، إلا ان الكاتب أهمل في حديثه عنه أحواله بالجزائر حيث كانت له سجالات بينه وبين أحمد أبو طالب المستغانمي المدعو القليل حيث ألف كتاب **الإنصاف في ردّ اعتبارات السّفساف** انتصر فيه لمفتي الجزائر علي بن الحفاف في قضية ثبوت هلال رمضان فردّ عليه المشرفي بتأليف سمّاه **السهام الصائبة في ردّ الدعاوى الكاذبة:**

البوعبدلي (المهدي)، الأعمال الكاملة، التعريف بالمخطوطات، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، نشر دار المعرفة الجزائر :2013، ص: 95.ومن جهة أخرى نلاحظ تناقض المحقق في تعريف حاضرة اغريس ففي في الجزء الأول من الكاتب (معجم الشيوخ) في الصفحة 58 يعرفه بن عبد الكبير الفاسي بأنه اقليم قرب معسكر من الجزائر، بينما نجد المحقق في الجزء الثاني من حاشية الصفحة 146 يقول إن اغريس احدى جماعات دائرة كلميمة التي تبعد عن الراشدية 66 كم ويضيف انه مدينة صحراوية تقع جنوب غرب المغرب قرب تافيلالت!

[27] هم على التوالي:

عبد السلام بن محمد بن هاشم العلو ي، محمد التهامي ابن المدني بن علي كنون، المهدي بن محمد الوزاني العمراني، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن سودة المري.

[28] يُنظر ترجمته في سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال (فهرس الشيوخ) . لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة، القسم الأول، ضمن موسوعة أعلام المغرب، نشر محمد حجي، طبع: دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1417 هـ / 1996 م، ج8، ص: 2955. و:
--عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي، معجم الشيوخ (رياض الجنة او المدهش المطرب) . تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت: ط1: 1424هـ /2002م، ج1 ص-ص :57-58.

[29] المشرفي (محمد بن مصطفى المشرفي)، إظهار العقوق في الرد على منع التوسل إلى الله تعالى بالنبي والولي الصدوق، طبع التقدم العلمية، مصر: 1327 هـ/ 1909م، ص: 56.

[30] حول مفهوم الجهة ينظر:
-محمد علي التهانوي، كشاف إصطلاحات الفنون، مراجعة د/ رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت: 1996، ج1، ص –ص: 598-599.

[31] الميلي، السيوف، ورقة 1 ظهر.

[32] الميلي، السيوف الهندية، ورقة 45 وجه.

[33] الميلي، المصدر السابق، ورقة 70.

[34] الميلي، المصدر السابق، ورقة 78.

[35] لم يذكر المترجمون مثل هذا العنوان لاسفراييني ولعلها مناظرته مع في مجلس السلطان محمود بن سبكتكين (361-421هـ /971-1030م) التي نقلها السكوني (أبو علي عمر بن محمد: 717 هـ / 1317م):
السكوني (عمر بن محمد)، عيون المناظرات، تحقيق سعيد غراب، نشر الجامعة التونسية، تونس :1976، ص-ص 259-260.

[36] الميلي، المصدر السابق، ورقة 7 وجه.

[37] الميلي، المصدر السابق، ورقة 10 ظهر.

[38] الميلي، المصدر السابق، ورقة 12 وجه.

[39] الميلي، المصدر السابق، ورقة 13 ظهر.

[40] الميلي، المصدر السابق، ورقة 13 ظهر وجه و14 ظهر.

[41] الميلي، المصدر السابق، ورقة 14 وجه. وهذا الكتاب طبع بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضامين، بعنوان ما لم ينشر من تراث الجاحظ: الردّ على المشبهة والمسائل والجوابات في المعرفة، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، بغداد: 1979، ص-ص 19-22.

[42] الميلي، المصدر السابق، ورقة 20 وجه إلى ورقة 27 وجه.

[43] الميلي، المصدر السابق، ورقة 27 ظهر.

[44] الميلي، المصدر السابق، ورقة 20 وجه إلى ورقة 34 وجه.

[45] الميلي، المصدر السابق، ورقة 54 ظهر إلى ورقة 67 ظهر.

[46] الميلي، الحسام السمهري، ورقة 87 ظهر.

[47] الميلي، المصدر السابق، ورقة 88 وجه.

[48] الميلي، المصدر السابق، ورقة 93 ظهر.

[49] الميلي، المصدر السابق، ورقة 105.

[50] الميلي، المصدر السابق، ورقة 148 وجه.

[51] الميلي، العجالة، ورقة 148 ظهر –ورقة 149 وجه. قارن هذا الكلام بكلام ابن العربي في العواصم من القواصم بتحقيق عمار طالبي، دار التراث، القاهرة ط1: 1417هـ / 1997م، ص-ص:208-215

[52] الميلي، المصدر السابق، ورقة 258 وجه –ورقة 267 ظهر.

[53] المشرفي، المصدر السابق، ص28 وما بعدها.

[54] الميلي، المصدر السابق، ورقة 267 ظهر. ومن القبور التي هدمت قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر زين العابدين علي بن الحسين وابنه محمد وقبر حمزة بن عبد المطلب وغيرها.

[55] الميلي، السيوف الهندية، ورقة 4 وجه.

[56] الميلي، الحسام، ورقة 105.

مسألة الصحراء في المفاوضات الجزائرية الفرنسية 1960-1962

د/ عسال نور الدين، جامعة جيلالي ليابس، بلعباس

الملخص:

يركز هذه المقال على أحد مراحل الثورة الجزائرية الممتدة من 1960-1962أين شهدت بداية المفاوضات الجزائرية الفرنسية لتقرير مصير الجزائر بعد قرن ونيف من الاحتلال وحاولت فرنسا من خلالها تقسيم الجزائر إلى شمال وجنوب خاصة بعد الاكتشافات الهامة من المحروقات، غير أنها واجهت طرفا جزائريا مؤمنا أن الثورة التي فجرها الشعب الجزائري لا تسعى فقط لتحرير الشمال بل لتحرير كامل البلاد، وأن هدفها تحقيق الاستقلال بمفهومه المكاني والجغرافي والسياسي والاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: الثورة –المفاوضات –الصحراء–الوحدة الترابية.

تمهيد:

راهنت فرنسا الاستعمارية على القضاء على الثورة الجزائرية بفضل الإمكانات المادية والبشرية التي سخرتها بهدف الاحتفاظ بالجزائر فرنسية إلى الأبد، خاصة بعد الاكتشافات البترولية والغازية بالصحراء الجزائرية، الأمر الذي زاد من الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للمنطقة، فحينما بدأت المفاوضات كانت الصحراء من بين النقاط المحورية التي ظهر الخلاف حولها.

أ–موقف الطرف الجزائري والفرنسي من الصحراء:

ظلت الثورة الجزائرية متمسكة بالحقوق الشرعية التاريخية والجغرافية وتحقيق الوحدة القومية واعتبرتها من بين المبادئ التي لا يمكن التنازل عنها، فقد ورد في مقررات مؤتمر الصومام: "إن الذاتية القومية التي تكونها الجزائر والوحدة الاجتماعية لشعبها هي عناصر موضوعية جوهرية، ولهذا فمن توهم تطبيق تقرير المصير بكيفية لا تقرأ حسابا لهذه الحقائق، أو تهدف إلى تمزيق هذه الذاتية وتجزئتها إلى مجموعات عنصرية أو دينية"(1)، كما أكدت الحكومة للجمهورية الجزائرية على مبدأ وحدة التراب الوطني وعزيمة الشعب التي لا تقهر في معارضة أي محاولة للمساس بهذه المبادئ.

واستنادا على هذه الفلسفة أبدت الحكومة المؤقتة قبولها مبدئيا التفاوض مع فرنسا لوضع حد نهائي للحرب في الجزائر، لكن دون التنازل عن حقوق الشعب الجزائري، وفي هذا الشأن قال فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة في 06 أكتوبر 1958: "لم نطرح أي شرط لافتتاح المفاوضات...لسنا أعداء فرنسا، بل بالعكس نتمنى أن نتعاون مع فرنسا على أساس علاقات جديدة في حالة حصولنا على الاستقلال"(2)، كما أكدت في ديسمبر 1959 من تونس على استعدادها لتقديم كل التنازلات التي تسمح بها السيادة الوطنية والقبول بانضمام الجزائر إلى منطقة الفرنك، واتفاقية بترولية تراعي المصالح الفرنسية(3).

طرحت مسألة الصحراء في لوسارن بسويسرا بفندق ترمينوس في يوم 20 فيفري 1961 حيث استؤنفت الاتصالات السرية بين الطرفين، فقد مثل الوفد الجزائري كل من الطيب بولحروف ممثل الحكومة المؤقتة في روما وأحمد بومنجل، أما الوفد الفرنسي فقد مثله جورج بومبيدو George Pampidou مبعوث ديغول، وبرينو دولاس Bruno Deleusse، بوساطة ممثل الحكومة السويسرية أوليفي لونغ Olivier Long، وتمثلت توجيهات الجنرال ديغول بضرورة إفهام الطرف الجزائري بأن سياسته ليست إبقاء الجزائر مرتبطة بفرنسا، بل بالعكس فإن الجزائريين هم الوحيدون الذين يحددون مصيرهم، أما قضية الصحراء فستناقش في وقت لاحق مع الدول المجاورة[4]، مؤكدا على أن استقلال الجزائر يشمل فقط العملات الثالثة عشر أي الجزائر الشمالية، وأن قضية الصحراء هي خارج المفاوضات، وفي هذا الشأن صرح بومبيدو قائلا: "إن الحكومة الفرنسية تسلم باستقلال ما تسميه الجزائر المفيدة، أي باستثناء الصحراء فنحن خلقناها ولا مجال لمنحكم إياها"[5]، غير أن الوفد الجزائري رد على هذا الطرح من خلال أحمد بومنجل الذي صرح قائلا: "إن الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر ولا يمكننا التنازل عنها"، ثم أضاف قائلا: "إننا درسنا في المدارس الفرنسية على أن الجزائر تشكل من الأطلس التلي والهضاب العليا والصحراء، فكيف تغير هذا بعد الاستقلال[6]، أما سعد دحلب فصرح قائلا: "يمكن لاستغلال الصحراء أن يكون مبدءا أساسيا في المفاوضات غير أن سيادة الجزائر على الصحراء تبقى فوق كل نقاش، وأن احترام وحدة التراب الجزائري يبقى بالنسبة لنا شرطا لا نحيد عنه"[7] وبعد عودة بومبيدو من سويسرا قدم تقريرا حول مهمته أمام جون موريال Jean Maurial ذكر فيه: "أن الصحراء هي مشكلة ترابية، واتفقنا على الاستغلال المشترك، لكن لم نتفق حول جنسية الإقليم[8] .

التقى الطرفان مجددا في نيوشتال في05مارس 1961 بعد اتفاق بين كل من رضا مالك وسعد دحلب والوسيط السويسري اوليفي لونغ، وأقر بومبيدو بأن ديغول سيشرع في مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، مجددا رفضه أي مناقشة حول الصحراء مع قبول التطرق إلى نقاط تخص الإطارات والتقنيين ورؤوس الأموال، مقترحا إعلانا عام عن الاختلاف حول السيادة الشعبية على الصحراء وتأجيل التفاوض حول هذه المسألة إلى ما بعد تقرير المصير[9] ، هذا الطرح الفرنسي انطوى على مخاطر جمة فيما يخص مستقبل الدولة الجزائرية، التي ستجد نفسها في صراع مرير لإعادة توحيد البلد، والدخول في مشاكل مع الدول المجاورة التي ما فتئت تطالب بحقوقها الإقليمية.

أكد الوفد الجزائري من جديد على الوحدة الترابية، ولا يمكن التفريط في أي شبر من الأراضي الجزائرية، حتى وإن دامت المفاوضات شهورا وسنينا، فخلال استجواب سعد دحلب من قبل الجريدة الفرنسية فرانس ابسورفاتور France Observateur لمحررها بيار ستيب Stippe Pierre عن رأيه في الصحراء من خلال سؤال: هل تعتبرون استثمارها يمكن أن يكون أحد موضوعات الرئيسية للمفاوضات؟ فأجاب قائلا: "استثمارها نعم أما السيادة الجزائرية على الجزء الجزائري من الصحراء فلا، لقد قلت لكم في بداية حديثنا أن احترام الوحدة الترابية الكاملة للقطر الجزائري بالنسبة إلينا الشرط الحيوي و الأساسي الذي لا يمكن بدونه أن

يتحقق أي شيء"[10]. هكذا آلت محادثات نيوشتال إلى الفشل بسبب رفض فرنسا الاعتراف بوحدة التراب الجزائري[11].

استغلت الحكومة المؤقتة هذه التطورات بتشكيل لجنة بقيادة أحمد فرنسيس من أجل معرفة الخطوة التي يجب إتباعها في اللقاءات القادمة، والتي قدمت تقريرها وفي22 أفريل، وقبلها كان ديغول قد عقد ندوة صحفية في 11 افريل التي حدد فيها الأولويات بالنسبة لفرنسا من بينها الحقوق الاقتصادية فجاء رد جبهة التحرير الوطني بقبول التعاون الجزائري الفرنسي في قطاع المحروقات، لكن شرط اعتراف فرنسا بالسيادة الجزائرية على الثروات الطبيعية للصحراء[12].

تأكد ديغول من أن مناوراته لن تجدي نفعا أمام إصرار الطرف الجزائري على مطالبه، وضرورة إيجاد حل نهائي لهذه المشكلة، من خلال العودة إلى طاولة المحادثات التي بدأت في إيفيان بداية من 20ماي 1961، وقبل افتتاح المحادثات قدم الجنرال ديغول عرضا لـ جوكس و تريكو حول موقف الطرف الفرنسي في هذه المحادثات، حيث شرح لهما أن الصحراء تم ربطها بالجزائر من قبل الإدارة الفرنسية وكل الأشياء التي أنجزت كانت من طرف فرنسا، والبترول لفرنسا وحدها، أما الصحراء جزائرية فهو وهم قانوني ليس لها أي عمق تاريخي، ووفق هذا التصور فإن الدول الإفريقية الشمالية و إفريقيا السوداء المجاورة للصحراء بإمكانها الاستفادة بنفس الصفة من عائداتها وإمكانياتها البترولية و الغازية[13] .

تحدث فرحات عباس على أن المحادثات انطلقت من مبدأين أساسين ومختلفين، بالنسبة للطرف الفرنسي فقد ألح على ضرورة إبعاد الصحراء عن استفتاء تقرير المصير، بينما الطرف الجزائري يرى غير ذلك من خلال شروط استغلال ثروات الصحراء المتمثلة في عدم توقف العمليات العسكرية حتى يتم الوصول إلى حل سياسي، واعتبار الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر[14] ، ومن خلال هذا التصور يمكن معرفة حجم الصعوبات التي سيجدها المفاوض الجزائري في هذه المحادثات.

ترأس الوفد الجزائري كل من كريم بلقاسم وسعد دحلب ومحمد بن يحيي و الطيب بولحروف وأحمد فرنسيس وأحمد بومنجل والرائدين أحمد قائد وعلي منجلي، وكان رضا مالك المتحدث الرسمي باسم الوفد الذي تلقى في 29 افريل تعليمة من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تحدد فيها خطوط التفاوض بضرورة الحفاظ على الأهداف الأساسية المتمثلة في الاستقلال الكامل للجزائر الوحدة الترابية بما فيها الصحراء[15] ، بينما الوفد الفرنسي ترأسه لويس جوكس، وبرينو دولاس كلود شيات Claude Chayet، وفيليب تيبود Philippe Thibaud، سيغان بازيسSeguin Pazzisوتبدأ هذه المفاوضات في ظروف صعبة للغاية.

سيطر على جدول الأعمال نوع من الخوف نظرا لتباعد المواقف بين الطرفين، فقد أكد محمد حربي أحد مستشاري فرحات عباس: "من بداية اليوم الثالث ظهر التباعد بين المواقف الفرنسية والجزائرية التي لا يمكن تجاوزها، فالممثل الفرنسي أكد على رفض فرنسا لأي سيادة جزائرية على الصحراء[16] ، بينما جدد الطرف الفرنسي أطروحاته السابقة، التي وردت في خطاب ديغول في 16سبتمبر 1959 على أن العاملتين الصحراويتين لن تدخلا ضمن الاستفتاء، الذي يبقى صالحا على العاملات الشمالية الثلاثة عشر، و بناء على

ذلك طلب الفرنسيون من الجزائريين عدم إثارة هذا الموضوع الآن، وعدم ربطه بالجزائر الشمالية، وإرجاعه إلى ما بعد الاستفتاء، واستندت السلطات الفرنسية في طرحها هذا على فكرة قديمة دعت إليها منذ الخمسينات من القرن العشرين، فخلال الجلسة الأولى من المحادثات ذكر الوفد الفرنسي أن استغلال ثروات الصحراء وفق المصالح الدول الإفريقية التي تشكل منطقة صحراوية، وتعهدها بالسير في هذا الطريق ولا تريد التخلي عن أي أحد[17] .

أعاد الوفد الفرنسي في جلسة 29 مايو التذكير بما قامت به فرنسا في الصحراء من خلال ممارسة سيادتها عليها التي لم تقتصر فقط على تطبيق التشريع والإدارة الفرنسية، لكن بتثمين وتطويرها مما سمح بفتح طرقات، ومد السكك الحديدية، وبناء المطارات، واكتشاف المعادن والمحروقات. فالسيادة الفرنسية على الصحراء من حيث طبيعتها تجعل من واقع الصحراء مستقل عن الجزائر، كما أكد تريكو أنه إلى غاية 1830 لم تكن الصحراء عرضة لأي احتلال أجنبي، ولم تمارس أي دولة سيادتها عليها بينما استطاعت فرنسا أن تقوم بهذه المهمة وفق الشروط التي وضعها الحق العالمي، وبداية من 22جويلية 1834 صدرت أمرية المنظمة لملكية فرنسا في الشمال الإفريقي من بينها الجزائر، ثم أمرية 18افريل 1845 التي قسمت الجزائر إلى ثلاث عمالات، ومرسوم 04مارس 1848 الذي اعتبر الجزائر قطعة تابعة للأراضي الفرنسية، وعكس ذلك بالنسبة للأقاليم الصحراوية التي لم تنظم إلا بعد صدور قانون 24ديسمبر 1902 أي بعد خمسين سنة، الذي منح لها الشخصية المعنوية وتكوين هوية جديدة[18] .

وفي جلسة 31مايو 1961 من الساعة العاشرة والنصف إلى الساعة الثالثة مساء تدخل لويس جوكس حيث ألقى كلمة جاء فيها: "لاحظت أننا قلقين من تحقيق تقدم للأشغال، فنحن مستعدون لطرح المشاكل التي تمثلها الصحراء، ليس المشاكل الاقتصادية فقط التي تهم الجزائر وفرنسا، بل المشاكل الإنسانية التي بالنسبة إلينا أساسية[19] ، ثم تدخل رونالد كادي Roland Cadet الذي أشار إلى أن الصحراء هي موضوع في حد ذاته، وأنا أريد تحديد بعض النقاط من الموقف الفرنسي من خلال ثلاث ملاحظات: الأول ذات طابع تاريخي، و الثانية ذات طابع جغرافي، و الثالثة ذات طابع قانوني، وهذه النقاط مستوحاة من دراسة القانون الإداري الصحراوي.

بالنسبة للنقطة الأولى لم تبسط الجزائر سيادتها على الأقاليم الجنوبية، وكل الغزاة لم يستقروا فيها من الرومان والوندال والبيزنطيين والأتراك، فالإقليمين لم يتوحدا تحت سيادة واحدة، فكانت أرض بلا سيد، ولم تكن هناك روابط تاريخية بين الجزائر والصحراء. والنقطة الثانية فإن الصحراء تختلف عن الجزائر لأنها كانت خالية، مساحتها تقدر بـ 2.500.000كم^2، ويعيش بها 580.000 نسمة، اعتبرها العرب جزيرة الغرب ومحاطة بحاجزين من الصعب اختراقهما، فإذا كانت هوية جغرافية في هذا الجزء من إفريقيا فلم تكن بين الأقاليم الشمالية والجنوبية، أما النقطة الثالثة فلا يوجد شخصية بين الجزائر والصحراء التي عرفت نظاما خاصا منذ استقرار فرنسا بها وإصدارها لقانون 1902، والنصوص الصادرة سنة 1957 التي تمثل النظام الحالي للصحراء[20].

إن قانون 24ديسمبر 1902 أنشأ بموجبه أقاليم الجنوب ذات شخصية مدنية، أين كانت إدارة خاصة وميزانية مستقلة تختلف عن الجزائر، وكان الحاكم العام هو الرابط الوحيد الموجود بين الإقليمين هذه الروابط هي مماثلة للعلاقات الموجودة بين الدول المستقلة والدول المرتبطة بها، فمثلا إلى غاية 1918 كانت النمسا والمجر متحدتين تحت نفس السلطة الملكية، فالتنظيم الحالي الذي وضع منذ سنة 1957 ليس إلا نقطة بداية لتطور الاستقلال الإداري الصحراوي الذي دشن في 1902، وهكذا فإن استقلال الأقاليم الصحراوية هي واقع من 1947-1957، والقانون العضوي لـ 20 سبتمبر 1947 الذي يعطي الانطباع الخاطئ بإلغاء الاستقلال الإداري للصحراء، حيث أن المادة 50 منه تشير إلى أن النظام الخاص بأقاليم الجنوب سيلغى لاحقا، شرط اقترانه بصدور قانون مصوت عليه وبعد أخد رأي المجلس الجزائري[21].

رأت فرنسا أنه من المستحيل الاعتراف بالوحدة الترابية بين الجزائر والصحراء، ومن المستحيل تطبيق تقرير المصير في الصحراء بنفس الصيغة المطبقة في المحافظات الشمالية الثالثة عشر، على أن يكون استغلال ثرواتها في إطار دولي، وعلى جبهة التحرير الوطني أن تكون واعية بمشاكل بيع المحروقات فاقترحت تحويل المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية إلى مؤسسة دولية ذات طابع اقتصادي، هدفها تطوير الصحراء والأقاليم المجاورة، ويشرف عليها مجلس تكون نسبة 70% من حقوق التصويت لصالح الجزائر وفرنسا، ومقسمة مناصفة، أما النسبة الباقية تخصص للدول المجاورة التي تقبل الانضمام إلى هذه المنظمة[22].

كان رد الوفد الجزائري على الأطروحات الاستعمارية قويا ومدججا بالأدلة الدامغة الذي ركز على الجوانب التاريخية والجغرافية والإنسانية، حيث قام أحمد بومنجل بعرض موقف الجزائري فيما يخص مشكلة الصحراء، وكان هذا الرد مرتبط بالنقاط التي طرحت من قبل الوفد الفرنسي[23] :

1-المشكل الإنساني.

2-المشاكل التاريخية.

3-المشاكل ذات الطابع القانوني والإداري.

4-المشاكل المتعلقة بالسيادة في محتواها وتطورها منذ 1902.

بالنسبة للنقطة الأولى فقد شرح الممثل الجزائري الأطروحة الجزائرية للتأكيد على أن أغلبية سكان الصحراء، إن لم نقل الكل هم جزء لا يتجزأ من الشعب الجزائري، فالميزابيون هم من العرب المسلمين واستقروا بمنطقة تيارت حوالي 161 هجرية مع بني رستم، ثم هاجروا إلى الميزاب، و التوارق ذوي هوية جزائرية، فروا من الاحتلال الاستعماري الذي عرفته الجزائر منذ القدم، و لجأوا إلى الهقار ويعيشون وفق التقاليد البربرية ويطبقون الدين الإسلامي، وهم تجار ومحاربون استطاعوا أن ينشئوا علاقات بين أجزاء الصحراء، أما الشعامبة فهم من أصل عربي ينحدرون من قبائل بني هلال وتعايشوا مع بقية السكان في توات و الهقار، أما القورارة هم من أصل عربي ينحدرون من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشكلوا مجموعة إسلامية نشطت التبادل التجاري بينهم وبين الجنوب خاصة مع غاوو تومبوكتو، وسكان بشار خاصة أولاد سيدي الشيخ لم ينكروا أبدا انتماءهم الجزائري، ومشاركتهم في المقاومات ضد السلطة الفرنسية خير دليل على ذلك، وسكان تندوف من أصل عربي

ويجب اعتبارهم جزائريون، و كل هؤلاء السكان مرتبطون بالشمال الجزائري بعلاقات متنوعة عائلية واقتصادية وروحية نسجت خلال قرون، إضافة إلى أن سكان الصحراء ساهموا مساهمة دائمة في مقاومتنا وكفاحنا، ولم يبق جيش التحرير الوطني غائبا عن الصحراء مثل ما تؤكده معركة توات[24] .

إن سكان الصحراء لديهم قواسم مشتركة كالعرق والدين واللغة وعلاقات تجارية واقتصادية التي توحد جزائر الشمال والجنوب في مجموعة حضارية، وهذه المجموعة كانت موجودة قبل 1830. إن موقفنا لا يقتصر على مطالب إقليمية أو فرض هيمنة، فنحن لا نطالب سوى ما نملكه، وللمشكل الجزائري تداعيات عميقة، فالأفارقة يعرفون على أن استقلالهم تحقق بسبب المقاومة الجزائرية، ويعرفون أن الجزائر بالنسبة إلينا تتضمن الصحراء، وهم يدعموننا لأنهم يعرفون أن مهمتنا هي تحرير الجزائر بما فيها الصحراء، وإذا سمحنا للاحتلال بالبقاء على جزء من إفريقيا فقد خنا الجزائر وإفريقيا[25] .

ليس لفرنسا الحق بإلحاق الشمال أو الجنوب فقد أخضعت البلاد بعمل عسكري، وبقيت تحت إدارة عسكرية وهذا بهدف فصل الشمال عن الجنوب حتى سنة 1902، فقد سمح النظام المدني ببقاء المكاتب العربية في الأقاليم العسكرية، ومن الناحية المالية فان إقليم الجنوب يخضع لنظام المراسيم وهي وضعية غير قانونية، وقد اعتبر القاضي الفرنسي فيارد Viard أن حدود النيجر والحدود الجنوبية للعمالة الجزائرية في اتفاقية الحق العام، كانت محل تسوية وزارية سنة 1907 ومعاهدة نيامي سنة 1911.

أما النظام الإداري الجديد المستوحى لأسباب مالية أدى إلى تقوية المركزية، لكن في صالح الحكم بالجزائر وهو مقر السلطة، فقانون 1902 والتنظيم الداخلي كان من صلاحيات الحكومة العامة وليس للسلطة المركزية بباريس، وهذا التنظيم أدى إلى وجود خصائص إدارية وحافظت على الوحدة في بعض الميادين:

سلطة الحاكم العام بالجزائر: فالإقليم الجنوبية لم تفصل عن سلطة الحاكم العام في الجزائر ولم تفكر أبدا في تطبيق هذا الإجراء، ويتمتع بجميع السلطات لحفظ الأمن والدفاع الخارجي وكل إقليم كان تحت حاكم عسكري يتمتع بنفس صلاحيات عاملات الجزائر الشمالية.

حافظت الوحدة الإدارية في بعض الميادين منها مجلس مقاطعة وهران والجزائر العاصمة وقسنطينة التي احتفظت في داخل اختصاصها بالإقليم الجنوبية والمطابقة جغرافيا للعاملات الثلاث حيث كان مقرها.

على المستوى المالي فان ميزانية الأقاليم يقررها الحاكم العام، وبعد أخذ رأي المجلس الحكومي بالجزائر العاصمة، ثم يقوم بنشرها عبر مرسوم، وهذه الخاصية لم تكن مانعا من دفع جزء من عائدات ضرائب الجنوب إلى خزينة المجالس العامة للشمال [26] .

على مستوى النظام الضريبي الذي حافظ على الضرائب المسماة العربية في هذه الأقاليم هي الدليل على انتمائها الجزائر العربية، واختفت حينما تم توسيع النظام الضريبي في عاملات الشمال على الأقاليم الجنوبية بموجب قرار المجلس الجزائري في 1949.

على مستوى النظام الجمركي كانت الإقليم الجنوبية مندمجة مع بقية الجزائر حتى سنة 1957 التي أعلن فيها عن إنشاء نظام جمركي جديد.

على المستوى السياسي فقد تم الاحتفاظ بوحدة الجزائر من خلال نقطتين: تمثيل الأقاليم الجنوبية في المجلس الجزائري يؤكد على عدم المساس بالوحدة السياسية للجزائر والصحراء، ونظام تمثيل الأقاليم الجنوبية في المجالس المركزية خاضع لنفس أمرية 17 أوت 1945 التي نصت على تمثيل الجزائر في المجلس المشكل من 26 مقعد، وشكلت ثلاث دوائر انتخابية[27] :

الأولى في عمالة وهران في إقليم عين الصفراء

الثانية في عمالة الجزائر العاصمة في إقليم غرداية

الثالثة في عمالة قسنطينة في إقليم توقرت

والنواب الستة والعشرون يضمنون تمثيل الجزائر الشمالية والجنوبية، فقانون 05اكتوبر 1945 منح ثلاثين مقعدا في المجلس الوطني للجزائر الشمالية والجنوبية، والمقاعد التي منحت للأقاليم الصحراوية لم تميز عن العملات الجزائرية، مع تطبيق نفس القاعدة المطبقة في تمثيل الجزائر في مجلس الاتحاد الفرنسي، حيث أن 14 مقعدا الممنوحة للجزائر في مجلس الجمهورية يتضمن تمثيل الأقاليم الصحراوية.

ثم أستطرد أحمد بومنجل في تقديم الحجج و البراهين على أن مجلس الدولة الفرنسي أعلن عن وحدة الجزائر في إعلان 27 مارس 1947 الذي اعتبر أن الجزائر تشمل عمالات الجزائر وأقاليم الجنوب التي تشكل مجموعة واحدة خاضعة لنفس النظام التشريعي، وبترها كان نتيجة لمذهب الذي تشكل منذ 45 سنة، فقانون 20سبتمبر 1947 تم التصويت عليه في ظروف شابها الكثير من اللغط، وهو نص مهم لأن صوت عليه من طرف مجلس الشيوخ أين كان النواب والسناترة الجزائريون يمارسون نشاطهم بينما المادة 50 من القانون كانت واضحة ومحددة بحذف الأقاليم الجنوبية، فإذا كان هذا الحذف مقترن بوجود قانون خاص فانه لم يكن مؤكدا، وعلى هذا صدر النص لتشكيل عملات جديدة أو دمج أقاليم الجنوب في عملات الجزائر الشمالية[28] .

إن موقفكم هو ضد أهدافنا السياسية والثورية، لا نقبل أبدا تقسيم الجزائر، إنها ليست قضية حب أو شرف، لكن سبع سنوات من الكفاح، فكيف نستطيع أن نعلن للشعب الجزائري على أننا تحصلنا على استقلال الجزائر مع قبول بتر الجزء الأكبر من مساحتها، وإذا قبلنا الحل الذي اقترحتموه فان اللأمن سينتشر في الصحراء، ثم يعود سعد دحلب في جلسة 03 جوان إلى التذكير بأهمية مسألة الصحراء حيث قال: "قبل مجيئكم إلى ايفيان قررتم تطبيق تقرير المصير على اثنا عشرة أو ثلاثة عشرة عمالة، لكن من جهتنا فتقرير المصير يجب أن يطبق على كامل التراب الوطني بما فيها الصحراء. لا يمكننا قبول أنصاف الحلول"[29] ليقوم بعدها وبدعم من الطيب بولحروف بتقديم مختصر حول موقف الوفد الجزائري من مسألة الصحراء بأنها تمثل أهمية أساسية بتحريرها.

وفي جلسة 08 جوان عرض سعد دحلب وجهة نظر جبهة التحرير الوطني حول ضمانات مشروع تقرير المصير، فالأمر يتعلق بالإجراءات التي تسمح للشعب الجزائري بالتعبير الحر، وبطريقة سلمية للوصول إلى استقلاله، ويجب أن يطبق على كامل التراب الجزائري بما فيها الصحراء، أما الطيب بولحروف فقد أكد في

تدخله: "بالنسبة إلينا فإن مشكلة الصحراء لا يمكن أن يكون الحل إلا جزائريا. لقد جئنا إلى هنا لأن رئيس الجمهورية الفرنسية تحدث عن تقرير المصير والقضاء على الاستعمار الذي يجب أن يكون كليا"(30) .

وفي افتتاح جلسة 10 جوان أكد كريم بلقاسم على الخاصية الأساسية لموقف الجبهة بوحدة الصحراء، وعدم قبول نفي السيادة على 5/4 من الجزائر، فرجال الجزائر يكونون شعبا واحدا، وبالتالي لابد من أن يكون نفس الاستفتاء على كل التراب الوطني، فجاء الرد الفرنسي في جلسة 13جوان: "لقد سمعنا في المرة الأخيرة عرض من طرف وفدكم، وظهر لنا انه سلبي، فهل هناك أشياء تريد إضافتها؟ فرد كريم بلقاسم على هذا التساؤل ليس لدينا أي إضافة"(31) .

وأمام تمسك الطرفان بمواقفهما، أكد لويس جوكس بعد عودته من باريس في 13 جوان 1961 أن الجنرال ديغول قد اطلع على محتوى المحادثات ولديه رغبة للوصول إلى اتفاق، لكن لا يمكننا توقيف المعارك إلا إذا تم حل المسألة السياسية، غير أن كريم بلقاسم تدخل مشيرا إلى أن المسألة العسكرية هي ثانوية بالنسبة إلينا، فالأهم هي السيادة الكاملة للجزائر وتطبيق تقرير المصير على كامل التراب الجزائري بما فيها الصحراء، فرد لويس جوكس إن مقترحاتكم هي بعيدة عن مقترحاتنا، ثم يعلن الوزير الأول ميشال دوبري في خطاب له في غرداية على أن الصحراء ستبقى فرنسية، وكان من نتائج هذا التصلب توقف المحادثات، واستحالة مواصلة التفاوض(32) ، ليصرح رضا مالك الناطق الرسمي للجبهة في ندوة صحفية قائلا: "لا يمكن لجبهة التحرير الوطني أن تقبل بدولة جزائرية و5/4 من أراضيها منفصلة عنها"(33) .

ركز الملاحظون على احتمالين اللذين كانا سببا في دفع ديغول إلى توقيف المفاوضات، الاحتمال الأول هو أنه تأكد من رفض الوفد الجزائري التنازل عن الوحدة الترابية، أما الاحتمال الثاني أنه عندما لم يجد تجاوبا من الوفد الجزائري فيما يتعلق بمسألة السيادة على الصحراء، قرر أن يدخل أطرافا محسوبة على الاستعمار*، وعندما سئل جوكس عن سبب غضب ديغول، قال انه يئس من اعتبار رجال الجبهة رجال دولة، وذكر كذلك أنه كان يعاني من رعشة رهيبة عندما قدم إلى ايفيان ليعلن للوفد الجزائري عن وقف المفاوضات، لأنه وجد ديغول آخر لا يعرفه وقال له: "إنا استدعينا هؤلاء الناس لأبني معهم جزائر الغد بالتدرج فإذا هم جاءوا إلى ايفيان ليتسلموا مني جزائر جاهزة مستقلة من اللحظة الأولى"(34) .

يظهر أن ديغول لم يتعود مناقشة قراراته بقدر ما تعود على إملاء إرادته ظنا منه أن كل الناس سيرضخون لأوامره، وعندما يتكلم عن السيادة في خطبه العامة يعطيها طابعا من المفهوم العالمي للكلمة، أما على مائدة التفاوض فيعطيها مفهوما ديغوليا معين، بينما عندما يطالب الجزائريون بضرورة تصحيح هذه المفاهيم، يتعجب من عدم الثقة في عهوده ومفاهيمه الخاصة.

طرحت على بساط البحث في ايفيان مشكلة كان الكثير من الملاحظين ينتظرون أنها ستكون وخيمة لأنهم كانوا يعرفون أن الوفد الفرنسي مصمم على فصل الصحراء عن بقية أجزاء البلاد، وأن الوفد الجزائري مصمم بدوره على رفض المقترحات الفرنسية، فعندما بين الناطق الرسمي الجزائري وجهة نظر الحكومة المؤقتة من المشكل فإن الكثير من الصحافيين اندهشوا من هذا الموقف: "أننا لا نكاد نصدق أن جوكس المعروف بذكائه

وواقعيته هو الذي أشرف على إعداد الملفات"[35] ، ثم إن تقسيم الصحراء سيكون له نتائج وخيمة، إذ انه من صالح فرنسا أن تتفاوض مع طرف واحد، لأن قاعدة فرق تسد التي تحاول فرنسا تجسيدها لا يمكن إلا أن تأتي بنتيجة معاكسة، فالاستقرار ضروري لاستثمار رؤوس الأموال، و وحدة المصالح هي أساس الأرباح، فإذا كان الاتفاق مع طرف واحد صعبا، فكيف يكون مع عدة أطراف.

في هذه الأثناء عقدت جمعية المحافظة على المؤسسات والدفاع عن الحريات الشخصية ندوة بمدينة ليل الفرنسية من يوم الجمعة 23 إلى يوم الأحد 25 جوان 1961 لبحث المشاكل التي تتعرض إليها فرنسا، من بينها مشكلة الجزائر، وقد شارك في هذه الندوة الكثير من الشخصيات السياسية الفرنسية مثل منديس فرانس، وإدغافور وفرانسوا متيران، وموريس ديفيرجي، ورجال القانون والإدارة والنقابات الشيوعية، والاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين، وأشرف على الندوة القانوني روني ويليام تورب عميد المحامين ورئيس الجمعية، أجمعت الندوة على ضرورة استقلال الجزائر، و احترام وحدتها الترابية ومن ضمنها الصحراء، معلنة على أن الموقف الفرنسي هو الذي أدى إلى توقف مفاوضات ايفيان، كما تحدث فيها جورج كودال عن شروط التفاوض منها ضرورة استقلال الجزائر، حيث قال: "إن الاعتراف بالسيادة الجزائرية على الصحراء سيخلص المفاوضات من الجرثومة التي تسممها"[36] ، وقال بيير كوت وزير سابق: "إن هناك أسباب عديدة تدعو فرنسا إلى تصفية الاستعمار في الصحراء أكثر من إفريقيا، فهي لم تذهب إلى الصحراء بقصد الاحتلال، بل لإقامة سور جنوبي الجزائر وربط الصلة بإفريقيا السوداء"، وأكد باردول عضو مجلس الشيوخ :"أن الوفد الفرنسي في ايفيان قد رفض طوال المحادثات أن يتعرض للمشكل الحقيقي"[37] .

بعدما قررت فرنسا توقيف المفاوضات عقد كريم بلقا سم ندوة صحفية ردا على هذا القرار الأحادي الجانب قائلا: "منذ محادثات ايفيان بقيت الحكومة الفرنسية رافضة لأي تقدم، ومتمسكة بمواقفها الاستعمارية"[38] ، كما ذكر رضا مالك: "أن توقف المفاوضات بين الفرنسيين و الجزائريين لم يكن سببه المسائل الاقتصادية"[39] ، وأكد المبعوث الجزائري على استعداد الحكومة المؤقتة قبول التعاون الاقتصادي مع فرنسا شرط أن تعترف بالسيادة الجزائرية على الصحراء، وبذلك أصبحت الحكومة المؤقتة تنتظر الرد من الطرف السويسري لمعرفة الأسباب الحقيقية التي دفعت الطرف الفرنسي إلى اتخاذ هذا الإجراء، وفي حالة ما إذا جاءت الحكومة السويسرية برد سلبي، فان الحكومة المؤقتة ستدع إلى انعقاد المجلس الوطني للثورة الجزائرية بصفة عاجلة لبحث هذه التطورات واتخاذ الإجراءات العسكرية والدبلوماسية المناسبة، وحسب الناطق الرسمي فان الحكومة المؤقتة رأت في هذه الخطوة رفض فرنسي لتقرير مصير الجزائر ودمج الصحراء [40] ، غير أن حقيقة الأمر أن فرنسا لم تكن مستعدة للتوقيع مع جبهة التحرير الوطني حتى لا تعترف بسلطتها السياسية والقانونية. وعلى الرغم من تعثر مفاوضات ايفيان الأولى إلا أن الطرفين قررا البقاء على الاتصالات.

ب – **اليوم الوطني ضد التقسيم**:

بعد توقف محادثات ايفيان قامت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بهجوم دبلوماسي في اتجاه إفريقيا فيما يخص مشكلة الصحراء، فقد أرسلت مذكرة باسم الشعب الجزائري للدول الإفريقية للوقوف ضد الامبريالية

الفرنسية[41] ، ثم وجهت نداء من تونس في 30جوان 1961 بإعلان يوم الأربعاء 05 جويلية 1961 يوم وطني ضد التقسيم، مطالبة من شعوب وحكومات الدول الشقيقة والصديقة بإظهار في هذا اليوم الدعم الكامل للشعب الجزائري في كفاحه من أجل الاستقلال الوطني والوحدة الترابية [42]

وعبرت الحكومة المؤقتة عن رفضها القاطع بفكرة التقسيم التي نادت بها فرنسا منذ بداية المفاوضات حيث جاء في تصريح لها: "التهديد بالتقسيم الذي شهره المسئولون الفرنسيون يشكل خطرا على الجزائر والمغرب العربي وإفريقيا بأسرها، ويهدف إلى خلق مناطق للسيادة الفرنسية في بلادنا بدعوى الدفاع وضمان مصالح أروبي الجزائر. إن تقسيم الجزائر الذي هو إنكار صريح لحق تقرير المصير، وتصفية الاستعمار ويعني الزيادة في خطورة الوضع، وأن ذلك التقسيم الذي هو أبعد ما يكون عن تحقيق أي ضمان لأوربي الجزائر...إن الحكومة المؤقتة تؤكد من جديد الحق المقدس الذي يملكه الشعب الجزائري في وحدة ترابه الوطني وتعلن أن يوم 05 جويلية 1961 هو يوم وطني ضد التقسيم ...وتوجه نداء لشعوب وحكومات البلدان الشقيقة والصديقة لتعرب في ذلك اليوم بصورة ايجابية عن مساندتها للشعب الجزائري"[43] .

وحتى تؤكد الحكومة المؤقتة على رفض الشعب الجزائري لتقسيم الجزائر ووقوفه إلى جانب ممثليه وتمسكهم بالوحدة الترابية، دعت إلى شن إضراب يشمل كل التراب الوطني في المدن و القرى والمداشر وكل شبر من الجزائر تحت شعار« الصحراء جزائري» ، حيث ورد في نداء: "في وقت واحد وفي كل مدن الجزائر من العاصمة والمدن الكبرى إلى أصغر دشرة، وأبعد دوار ينفد الإضراب العام تنفيذا دقيقا شاملا وتجري المظاهرات التي يشارك فيها كل المواطنين من رجال ونساء وشيوخ وأطفال ...وفي نفس الوقت يقوم جيش التحرير الوطني بهجمات خاطفة مظفرة على المراكز الاستعمارية الفرنسية وينصب الكمائن لدوريات وقوافل الجيش الفرنسي"[44] .

وكرد فعل على هذه الإجراءات التي أعلنتها الحكومة المؤقتة قررت السلطات الفرنسية قمع هذه المظاهرات الشعبية، فجندت ثلاثين ألف جندي بين مشاة وجنود المظليين، وجنود تابعين للفيف الأجنبي والشرطة، وخمس فرق من الحرس الجمهوري نقلتهم الطائرات على جناح السرعة من فرنسا، ووجهت لهم التعليمات بمقاومة كل اضطراب بحزم، وكان من نتائجها مقتل أكثر من ثمانين جزائري وأربعمائة جريح، بينما قام جيش التحرير الوطني بهجوم عنيف أدى إلى مقتل 18 أروبي و96 جريح في ظرف 24 ساعة[45] .

على الرغم من القمع البوليسي الذي مارسته القوات الفرنسية ضد المتظاهرين، إلا أن الشعب الجزائري لبى النداء، وخرج ليعلن للعالم بأسره عن تمسكه بوحدة ترابه، فانطلقت المظاهرات في الجزائر يهتفون باسم بالحكومة المؤقتة وجبهة التحرير الوطني، وينادون بمقاومة التقسيم[46] ، أما في وهران فكان الإضراب عاما وشاملا، وكذلك في قسنطينة وسطيف وباتنة وجيجل، ليؤكد الشعب الجزائري عزمه على عدم التنازل عن شبر واحد من أرضه، ولن يتوقف عن الكفاح المسلح حتى تتحرر كل الجزائر، مما دفع بوزير الأخبار الفرنسي تيرانوارTerinoire إلى القول:"في علمي أن كلمة التقسيم لم يتلفظ بها أي أحد"[47] .

كما كثفت الحكومة المؤقتة من حملتها على المستوى الخارجي بإبلاغ الدول الشقيقة والصديقة بحقيقة ما يجري في الجزائر، وكشفت المناورات الفرنسية أمام الرأي العام الدولي، فتوجه العديد من الأعضاء إلى مختلف الدول الإفريقية من أجل الحصول على دعم من هذه العواصم، فقد قام فرحات عباس رئيس الوفد الجزائري بزيارة إلى الرباط* في02 جويلية 1961، بينما توجه كل من كريم بلقاسم نائب رئيس الحكومة المؤقتة رفقة محمد السعيد إلى القاهرة في 07 جويلية، ثم إلى بنغازي في 09منه وتوجه محمد يزيد في 12 منه إلى كونكري(48) .

لقي نداء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية صدى واسعا على الصعيد الدولي، فقد أعربت الكثير من الدول والمنظمات الرسمية والغير الرسمية تضامنها الكامل مع الشعب الجزائري، وتأييده المطلق في حقوقه المشروعة المتمثلة في وحدة ترابه، ففي بلاغ مشترك أصدره الاتحاد العام للعمال الجزائريين والجامعة العامة للشغل الفرنسية في يوم 10جويلية 1961 أكدا فيه على سلامة التراب الجزائري واعتبرا الصحراء جزء لا يتجزأ من هذا التراب، ويجب أن تكون خاضعة لسيادة الشعب الجزائري(49) .

كما عقدت المنظمات القومية في 04 جويلية اجتماعا بمقر الحزب الدستوري التونسي، حضره الطيب المهيري الأمين العام المساعد للديوان السياسي، وعبد المجيد شاكر مدير الحزب، والرشيد إدريس، دام الاجتماع ساعتين ونصف صدر عنه البلاغ التالي: "إن ممثلي الحزب الدستوري التونسي للشغل والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة، والاتحاد القومي للمزارعين، والاتحاد القومي النسائي التونسي، والاتحاد العام للطلبة التونسي والكشافة التونسية، يستنكرون أشد استنكار الخطة الجنونية التي ترمي إلى تقسيم الجزائر، وإحلال مجموعة أجنبية بجزء ممتاز منه، ويعتبرون أن أي محاولة لتقسيم الجزائر تشكل خطرا على القطر الجزائري وعلى المغرب العربي وعلى الأمم الإفريقية"(50) .

كما عبر الطلبة العرب المقيمين بسويسرا الذين اجتمعوا بمناسبة هذا اليوم عن رفضهم لأي محاولة للنيل من سلامة التراب الجزائري، وندد الطلبة الأفارقة والأمريكان والأسيويين بسياسة التقسيم التي توشك أن تثير حلقات من ردود الفعل يستحيل معها التفاهم، وطالبوا باحترام فرنسا وحدة الوطن الجزائري الذي تعد الصحراء جزء منه، كما وجه حزب الصوابة النيجري برقية إلى الرئيس فرحات عباس للتعبير عن موقفهم المؤيد للجزائر ورد فيها: "إن إخوانكم النيجيريين يقفون دائما إلى جانب الجزائر، ويساندونها المساندة التامة من أجل تحررها وسلامة وحدتها الترابية بما فيها الصحراء"(51) ، ونشرت الصحيفة البولونية زيسي وارسواكي (حياة فرسوفيا) مقالا حول الصحراء الجزائرية ذكرت فيه: "لا وجود للصحراء بدون الجزائر فأهم طرق الموصلات وأنابيب البترول والغاز تمر من الجزائر. إن الحل المنطقي الوحيد هو الاعتراف بأن الصحراء جزائرية. إذن فالمطالبة بعدم إدخال الصحراء في الحلول السياسية المتعلقة بالجزائر، وإرجاء الحديث عنها إلى ما بعد معناه بصفة عملية هو إحباط المحادثات الجزائرية الفرنسية التي بدأت في ايفيان".(52)

توالت البيانات المنددة بالسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، فقد أكدت جريدة "يومية الشعب" لسان حال الحزب الشيوعي الصيني في افتتاحيتها تحت عنوان لا لتقسيم الجزائر: "أن الشعب الصيني يدعم

مقاومة الشعب الجزائري من أجل الاستقلال، وأن الصين ترفض المؤامرات الامبريالية لتقسيم الأراضي الجزائرية، لا نسمح بالتقسيم، فلا بد للجزائر أن تنال استقلالها الكامل"، وفي تعليق أخر للجريدة الكورية رودونغ شيمون Rodong Shinmoon صدر يوم 05 جويلية أكدت فيه دعم الشعب الكوري للحكومة الجزائرية المؤقتة وأن تقسيم الجزائر يعني استمرار الحرب، وتهديدا للسلم في إفريقيا(53) .

وفي برقية لرئيس حكومة الجمهورية الفيتنامية عبر فيها باسم الشعب الفيتنامي عن استنكاره لموقف السلطات الفرنسية التي ترفض الاعتراف بسيادة الجمهورية الجزائرية ووحدة ترابها الوطني، ومؤكدا على التأييد القوي للشعب الفيتنامي للحكومة المؤقتة، ووقوفه المناورات التي يحيكها الاستعماريون المتطرفون لتقسيم الجزائر(54) ، وبذلك استطاعت الثورة الجزائرية تحقيق نجاحات باهرة على المستوى الدولي، وتجد تعاطفا للقضية الجزائرية، الأمر الذي سيدفع بالحكومة الفرنسية إلى التراجع عن موقفها الرافض للتفاوض.

استأنفت المحادثات بين الطرفين بلوغران الفرنسية القريبة من الحدود السويسرية في 20جويلية1961 شارك في هذا اللقاء كل من لويس جوكس وكريم بلقاسم القريبة، ولم تكن الحكومة المؤقتة تنتظر الشيء الكثير من هذا اللقاء، لكن خطتها كانت واضحة وهي قطع المفاوضات بسبب الصحراء(55) ففي 27 منه عبر لويس جوكس أن الوضع أصبح مقلقا، فرد عليه كريم بلقاسم أن مواقفنا أصبحت متباعدة ودعا إلى توقيف المفاوضات.

حاولت فرنسا في بداية المحادثات التأكيد على أن مطالب الوفد الجزائري بوحدة التراب الجزائري وعدم التخلي عن جزء من أراضيها بما فيها الصحراء سيؤدي حتما إلى اندلاع حرب في الصحراء وعلى هذا الأساس رأى جوكس ضرورة مناقشة المسائل الأقل صعوبة، ثم يأتي الوقت المناسب لفتح نقاش حول القضايا الحساسة، وربط بين مشكل الضمانات المقدمة للأوربيين ونظرة جبهة التحرير الوطني للصحراء، لتعلن بعدها الحكومة الفرنسية بترك مؤقت لمشكلة الصحراء، لكن الوفد الجزائري ظل حذرا من جهة، ومتيقنا أن فرنسا سترفض تقديم أي تنازل عن الصحراء(56) ، فحسب رضا مالك فقد تمثلت خطة المفاوضين الجزائريين في لوفران بمقارعة الخصم بشأن نقطة جوهرية وهي موضوع الصحراء وجعلها سببا في فشل المفاوضات، وهذا ما حدث بالفعل عندما طالب الوفد الجزائري من الوفد الفرنسي برد واضح حول الوحدة الترابية مع تحميله مسئولية انقطاع المفاوضات، مما سمح بإعطاء قضية الصحراء صدى واسعا وإزاحة بقية القضايا إلى المقام الثاني(57) .

وبعد تسعة أيام طالبت الحكومة المؤقتة بتوقيف محادثات لوفران بسبب الخلاف الكبير حول تطبيق تقرير المصير على كامل التراب الجزائري، فقد أكد رضا مالك: "كنا سنقوم بهذا لو توفر لدينا اليقين أو على الأقل الشعور بان النقطة الأولى من جدول الأعمال أي الصحراء سيتم دراستها ايجابيا"(58) ، وفي 29 جويلية عقد فيليب تيبود Philippe Thibaud الناطق الرسمي باسم الوفد الفرنسي ندوة صحفية بإيفيان أعلن فيها تأجيل محادثات لوغران بطلب من جبهة التحرير الوطني حيث صرح قائلا: "إن وفد جبهة التحرير الوطني وبعد مناقشات طويلة أعلنت عن عدم قدرتها على مواصلة المحادثات في حالة عدم تلبية المطالب فيما يخص

الصحراء، ويرفض الوفد الانتقال إلى دراسة بقية النقاط الأخرى المتعلقة بالعودة إلى السلام، والآفاق المستقبلية للجزائر "(59) .

وردا على البيانات الفرنسية التي حاولت إيهام الرأي العام الدولي بمسئولية الوفد الجزائري في تعثر المحادثات عقد رضا مالك ندوة صحفية جاء فيها: "لقد لاحظنا أثناء الجلسات الثلاث التي خصصت للصحراء، أن موقف الوفد الفرنسي لم يتغير، فقد كان الوفد يرجع باستمرار إلى خطاب 16سبتمبر 1959 الذي يتضمن إجراء تقرير المصير في 13 مقاطعة من الجزائر مع إبقاء الصحراء خارجة عن ذلك. هذا الموقف بالذات هو الذي اصطدمنا به من جديد في سنة 1961. إن الوفد الفرنسي عرض علينا فعلا برنامجا لاستثمار الصحراء، ولكن في نطاق السيادة الفرنسية، وباعتبار الجزائر دولة مجاورة للصحراء، وقطرا تمر منه الثروات الصحراوية نحو البحر" ثم أضاف: "إن وقف القتال لا يمكن بحثه إذا لم تبحث قبل كل شيء وحدة التراب الجزائري لقد فقدنا كل أمل في هذا الباب، ويستنتج من الموقف الفرنسي أن مسألة السيادة السياسية على الصحراء يجب تأجيلها إلى وقت لاحق، أي أنها ستبحث بين حكومة الجزائر المستقلة في نطاق 13 مقاطعة الشمالية والحكومة الفرنسية"(60) .

كما عقد رئيس الوفد الجزائري المفاوض كريم بلقاسم ندوة صحفية بعد فشل محادثات لوغران في 13 جويلية لتوضيح حقيقة الأمور جاء فيها: "إن المشكل الجوهري الذي أدى إلى تعليق مفاوضات لوفران هو وحدة أراضي الجزائر، فكل الدول الإفريقية التي نالت استقلالها كان في إطار حدودها، لماذا الجزائر هي الاستثناء؟ أن الحكومة الفرنسية التي انتهى بها الأمر إلى التخلي عن خرافة الجزائر فرنسية خلقت الآن خرافة جديدة ألا وهي الصحراء الفرنسية، حاول الوفد الفرنسي إبعاد هذه المسألة من المحادثات، فكيف يمكن مناقشة المستقبل السياسي للجزائر بدون تحديد حدودها؟ لقد طلبوا منا بوضع الصحراء الجزائرية في الثلاجة، كيف يمكن أن نواصل المحادثات حول مواضيع أخرى؟ بينما سمعنا أن السيادة على الصحراء لا يمكن مناقشتها إلا بعد تكوين دولة جزائرية مبتورة من خمس مساحتها(61) .

أيقن ديغول استحالة دفع الوفد الجزائري التنازل عن الصحراء الأمر الذي جعله يغير نظرته إلى هذه المسألة الحساسة، وكان ذلك حينما ألقى خطابا في 05 سبتمبر 1961 أكد من خلاله على تطور النظرة الفرنسية: "إن سياستنا لن تكون إلا استغلال البترول والغاز اللذين اكتشفناهما، وأن تكون لنا مطارات للتنقل...معنى ذلك أن مسألة السيادة على الصحراء أمر مفروغ منه"(62) .

في هذه الأثناء أحرزت القضية الجزائرية مزيدا من الانتصارات على الصعيد الدولي، منها تأكيد دول عدم الانحياز خلال مؤتمرها الأول ببلغراد في سبتمبر1961على حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ووحدته الترابية، فقد وردفي البيان الختامي: "إن كفاح الشعب الجزائري من اجل الحرية وتقرير المصير وسلامة ووحدة ترابه بما فيها الصحراء، هو كفاح عادل و ضروري"(63) ، وبذلك واجهت فرنسا في هذه الأثناء عزلة دبلوماسية، فالطبقة السياسية الفرنسية بمختلف توجهاتها اقتنعت علن أن المائدة المستديرة* والهدنة بدون استقلال ليس له أي فرصة لقبولها من قبل الحكومة المؤقتة، وانقسم الرأي العام الفرنسي بين مؤيد ورافض للتفاوض، وهذه

الظروف دفعت ديغول إلى التأكيد مجددا على رغبته في عودة المفاوضات بين الطرفين من خلال تصريحه في 15 سبتمبر 1961: "من الواجب الأخذ بالحقائق والواقع...لا يوجد جزائري وأنا اعرف ذلك لا يعتقد أن الصحراء يجب أن تكون جزءا من الجزائر"[64] .

وكرد فعل على هذه التصريحات أعلن بن يوسف بن خدة من تونس في 24 أكتوبر 1961 باسم الحكومة المؤقت للجمهورية الجزائرية للتفاوض المباشر حول كيفية وشروط الاستقلال، وعبر عن استعداد جبهة التحرير الوطني لوقف إطلاق النار فورا مقابل تخلي فرنسا عم فكرة تقرير المصير وإعلانها عن استقلال الجزائر وتحال القضايا المختلفة مثل الأقلية الأوربية وجلاء القوات الفرنسية والتعاون الاقتصادي والثقافي والتقني على الحكومة الجزائرية المستقلة[65] .

اجتمع الطرفان في مدينة بال السويسرية يومي 28-29 أكتوبر 1961، مثل الوفد الجزائري كل من محمد بن يحيي ورضا مالك، والوفد الفرنسي كل من برينو دولوس، وكلود شايي، درست خلالها ورقة عمل صادرة عن الحكومة الفرنسية تتضمن مجموعة من النقاط فعلى المستوى الاستراتيجي محافظة فرنسا على المرافق العسكرية التي تمكنها من إبقاء الاتصال مع الدول الإفريقية متابعة تجاربها النووية واستغلال الثروات الصحراوية، فقد أرادت فرنسا التأكيد على الحقوق المكتسبة ومنح رخص للتنقيب بالنسبة للنظام المنجمي (80الف كلم^2 سنويا ولمدة عشر سنوات)، وإنشاء هيئة تقنية ثنائية لاستغلال الثروات الباطنية للصحراء[66] ، وإجراء الاستفتاء وتطبيقه على كامل التراب الجزائري بما فيها الصحراء وجاء في مذكرة فرنسية أن الوفد الجزائري قد قبل أثناء هذا اللقاء مبدأ منظمة مختلطة فرنسية جزائرية للتعاون في الصحراء، كما قبل بقاء سبعة مطارات في الصحراء تحت السيطرة الفرنسية[67] .

وفي هذه الأثناء دعت الحكومة المؤقتة الشعب الجزائري إلى تنظيم يوم وطني بمناسبة أول نوفمبر 1961 للتعبير عن تمسكه بالاستقلال والوحدة الترابية، وجدت الدعوة استجابة شعبية كبيرة عبر من خلالها الشعب الجزائري عن دعمه للمفاوضات الجزائرية الفرنسية، وتمسكه بجزائر غير منقوصة، الأمر الذي دفع إلى اجتماع الطرفين مجددا بنفس الممثلين ببال في 09نوفمبر1961 التي أكد الوفد الجزائري من خلالها على إنهاء التجارب النووية والفضائية، وعدم استعمال القواعد العسكرية ضد الأفارقة، ويكون وضع قانون البترول ومنح رخص التنقيب من صلاحيات الدولة الجزائرية.[68]

استأنفت المحادثات في 09 ديسمبر 1961، بلقاء بين دحلب وبن يحيي وجوكس وبرونو دولاس، وظلت مسألة الاستفتاء معلقة لأن جوكس اقترح فكرة استفتاء منفصل فيما يخص قبائل التوارق وقبائل الرقيبات في منطقة تندوف[69] ، وفي 23 ديسمبر جرى لقاء جديد بين دحلب وجوكس الذي عبر عن تمسك الفرنسيين بالهيئة التقنية للصحراء ومواصلة التجارب النووية لمدة 15 سنة، وتستعمل مطارات بشار ورقان وعين يكر وبوفاريك بين خمس وعشر سنوات، وبالنسبة لمطارات تلا غمة وبسكرة وورقلة وتندوف ستمنح تسهيلات للإفراغ والعبور ولتحويل[70] .

دخلت المحادثات الجزائرية الفرنسية مرحلة حاسمة ووصلت إلى نقطة اللارجوع، حيث التقى الطرفان بـ لي روس في أعالي جبال الجورا Jura على الحدود الفرنسية السويسرية بين 11إلى 19 فيفري 1962، شارك في هذا اللقاء من الوفد الجزائري كل من كريم بلقاسم وبن طوبال ودحلب ومحمد يزيد بمعية بن يحيي ورضا مالك والصغير مصطفاي كخبير مالي، ومن الجانب الفرنسي كل من برونو دولاس ورولان بيكار Rolland Picard وجون دوبروغلي Jean De Broglie لويس جوكس وروبير برون Robert Buron والجنرال دي كاماس General de Camas وكلود شايي[71] وكانت توصيات ديغول للوفد الفرنسي بالتعجيل في المفاوضات وعدم البحث عن التفاصيل على أساس أن النقاط الأساسية قد تم التطرق إليها في لقاء بال، وكان يتابع كل صغيرة وكبيرة من مقر الرئاسة حيث أكد جون دوبروغلي: "شعرت أن الأوامر كانت تعني التوقيع بأسرع وقت ممكن[72] .

تم دراسة في هذا اللقاء إلى جانب المسائل الأخرى قضية التعاون الفرنسي الجزائري، وظلت المسائل المتعلقة بالصحراء والأقلية الأوربية هي أكثر صعوبة، فقد ذكر سعد دحلب أن الوفد الفرنسي كان يتملكه هاجس المصالح الاقتصادية والاستراتيجية في الجزائر وأرادت أن تبقي قبضتها على الصحراء[73] ، لكن بدا على ديغول نوع من الليونة فيما يخص الصحراء، بعد أن عمل كل ما في وسعه كي يحفز الدول المجاورة للمطالبة باستغلال مشترك لثرواتها، وبعد ثمانية أيام من الأشغال تم التوصل إلى اتفاق على مجمل القضايا المطروحة بإجراء استفتاء تقرير المصير في كل العمالات الخمسة عشر، وبذلك اعترفت فرنسا الاستعمارية بالوحدة الترابية للجزائر، لكن ما الذي حمل فرنسا إلى تغيير موقفها بعدما كانت تعتبر التنازل عن الصحراء خيانة عظمى في حق الموروث الوطني الفرنسي؟. رأى رضا مالك أن السبب واضح هو ضرورة وضع حد لحرب باهظة التكاليف بالنسبة لاقتصادها ومشوهة لسمعتها، وإصرار الثورة الجزائرية على عدم التنازل عن شبر واحد من أراضيها مهما كلف الأمر[74] ، وبالمقابل حصلت فرنسا على تعويضات على الصعيد العملي، فمبدأ التعاون الاقتصادي سمح باحترام الحقوق المكتسبة بالنسبة للشركات الفرنسية والأجنبية، وزالت المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية لتحل محلها هيئة التعاون الصناعي بين فرنسا والجزائر مهمتها صيانة الهياكل والمنشآت الأساسية المقامة في الصحراء، على أن حقوق البحث المنجمي صارت من اختصاص الدولة الجزائرية، وبات في مقدور فرنسا شراء البترول الجزائري بالفرنك بدلا من الدولار، وكان الموضوع الحيوي بالنسبة للحكومة المؤقتة هو الاستقلال والوحدة الترابية، ما عدا ذلك يمكن قبول بعض التنازلات إذا لم تكن عائقا في تطور البلاد[75] .

كما أشار سعد دحلب إلى أن نتائج مفاوضات لي روس هي بمثابة نجاح للوفد الجزائري، فقد سقطت أسطورة الجزائر الفرنسية، وسقطت أسطورة الصحراء بحر داخلي، ومسألة التقسيم وفصل الجنوب عن الشمال. في هذه الأثناء انعقد اجتماعا للمجلس الوطني للثورة الجزائرية بين 22– 27 فيفري 1962 بطرابلس لدراسة نص الاتفاقيات، فقرر المجلس تعيين خليفة لعروسي اليد اليمنى لعبد الحفيظ بوصوف للحضور في النقاش وهو خبير في المسائل البترولية، لكنه دخل في خلاف كبير مع الوفد خاصة مع سعد دحلب الذي قال: "بعد عودتي من تونس اتصلت هاتفيا بعبد الحفيظ بوصوف الذي كان مسئولا على لعروسي وقلت له لا أريد رؤية خليفة

لعروسي بعد اليوم في وفدنا أو في معيتك و لا حتى في أي مكان أخر"[76] ، وبعد نقاش طويل صرح خليفة لعروسي موجها كلامه إلى سعد دحلب: لقد أعطيتم البترول للفرنسيين" فرد عليه سعد دحلب: "بل الفرنسيون هم الذين أعطونا البترول، فهم الذين يملكونه ويملكون كل الثروات الأخرى[77] ، ثم أضاف في رده: "هل تريد أن تحارب، أعطوا للشعب السلاح والمال والرجال والإطارات، والذي أنتم عاجزون عن إدخاله للجزائر...إن الحل ليس عسكريا[78] ، ثم سأل فرحات عباس إنني اطلب من المقرر لماذا يريد الفرنسيون الحفاظ على قواعد في الصحراء فأجابه سعد دحلب للاستجمام تحت الشمس، إنهم يتخلون لنا عن الشواطئ الجزائرية الرائعة، فهم إذن يستحقون أن نعيرهم بعض الكثبان من الرمال لبعض الوقت[79] .

وفي نفس السياق أشار سيد أحمد غزالي في حوار له مع جريدة الشروق أن مسألة وحدة التراب الوطني وما اتصل بها من سيادة على المحروقات، قد شكلت نقطة خلاف جوهرية في المفاوضات من اجل الاستقلال وأدت إلى إطالة الحرب نحو سنتين، وأكد على أن الخلاف الذي حدث بين الوفد المفوض وقيادة أركان الجيش لم يكن سببه التنازلات الممنوحة لفرنسا بقدر ما كان حول الصراع على السلطة مع اقتراب موعد الاستقلال، فقد قال: "من الواضح أن التنازلات التي قدمها المتفاوضون الجزائريون في الجوانب المتعلقة بالقواعد العسكرية والمحروقات لم تكن تساوي شيئا مقابل المضمون أي وحدة التراب الوطني...لو لم نقدم تنازلات في مجال البترول لورثنا آبارا من دون رجال ووسائل وطنية مؤهلة من اجل استغلالها، ولوجدنا إذا أنفسنا غداة الاستقلال أمام هذا التحدي الصعب المتعلق بتوفير ما كنا في حاجة ماسة إليه من رجال ووسائل في قطاع المحروقات"[80] .

بعد اختتام مفاوضات لي روس اجتمع المجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس بين 22-27 فيفري 1962 لدراسة نص الاتفاقيات في كل جزئياتها، واعتبر بعض أعضاء أركان الجيش أن الاتفاقية مجرد خدعة فرنسية، وأن فرنسا لن تلتزم بها خاصة فيما يتعلق باللجنة المؤقتة وحقوق الأوربيين والضمانات التي قدمت لهم، غير أن الأغلبية صوتت على مشروع الاتفاقية باستثناء هواري بومدين وأحمد قايد ومنجلي والرائد مختار بويزم من الولاية الخامسة، أما الخمسة المعتقلون في اولنوي، فقد صوتوا لصالح الاتفاقية، وبعثوا برسالة إلى المجلس الوطني للثورة الجزائرية في 15فيفري 1962 معربين عن ثقتهم الكاملة في المجلس: "إن الوثائق المتعلقة بالمفاوضات التي كانت جارية والتي سلمت لنا والمعلومات الشفهية عن وضعنا في الداخل التي أعطيت لنا، تشير بوضوح إلى أنه كان يجب متابعة المفاوضات حتى النهاية[81].

ج- الاعتراف الفرنسي بالسيادة الجزائرية على الصحراء:

افتتحت المفاوضات في 07 مارس 1962 وبصفة رسمية، ولم تكن هذه الجولة سوى تحصيل حاصل لمفاوضات لي روس و مثل الوفد الجزائري كل من كريم بلقاسم كرئيس للوفد، وبن طوبال وسعد دحلب ومحمد يزيد كأعضاء للحكومة المؤقتة، ومحمد بن يحيي والطيب بولحروف ورضا مالك الصغير مصطفاي والرائد مصطفى بن عودة كممثل لجيش التحرير الوطني، بينما رفضت القيادة العامة للجيش تعيين ممثلين لها، أما الطرف الفرنسي لويس جوكس، وروبير برون و جون دوبرغلي وبرونودولاس وكلود شايي ورولان بيكار والجنرال دي كامس وبرنار تريكو وفانسان لبوري و العقيد سيغان دو بازيس وفيليب تيبو[82] .

ركز الوفد الجزائري في هذه الجولة الأخيرة والحاسمة على تجسيد مبادئ الثورة الجزائرية المتمثلة في وحدة الشعب الجزائري وترابه الوطني من خلال مناقشة مسألة المحروقات لضمان مصالح الجزائر في هذا القطاع الحساس الذي يرتبط بمستقبل البلاد بدراسة الخطوط العريضة التي تتضمن ضرورة إدخال تعديلات جوهرية على قانون البترول الصحراوي، ورفع نسبة الدولة الجزائرية، وحق الجزائر في الحصول على البترول والغاز بسعر منخفض للاستهلاك وحرية التسويق إلى الخارج للحصول على العملة الصعبة، وإعطاء دول الجوار إمكانية استغلال ثروات الصحراء بأسعار مساعدة لتطور اقتصادها أو على شكل مساعدات في أطار التضامن الإفريقي(83) .

كان من الضروري الوصول إلى اتفاقية تضمن شروط استغلال المحروقات، فحسب روبار بيرون وزير الأشغال العمومية والممثل الفرنسي في المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، أن التوجيهات التيلوفونية كانت تأتي من قبل الجنرال ديغول لمساعديه، وفي هذه اللحظة قرر الرئيس الفرنسي رفع آخر عقبة في الاتفاقية بإعلانه عن تخلي فرنسا عن مطالبها بإبقاء الصحراء تحت السيطرة الفرنسية والاعتراف بالسيادة الجزائرية ووحدة ترابها(84) .

استمرت المفاوضات اثنا عشرة يوما من المناقشات الحادة التي توجت بالتوقيع النهائي على الاتفاقية التي أكدت على مصلحة الطرفين وإبعاد المصالح المغاربية والأمريكية، كما نصت الاتفاقية السادسة من اتفاقيات ايفيان، على إعلان المبادئ الخاصة بالتعاون من أجل استثمار ثروات الصحراء، بأحكام دقيقة ومحددة بشأن تنظيم شتى عمليات الإنتاج والإدارة تبعا للأهداف التي حرص كل طرف تحقيقها، فالمفاوض الجزائري ركز على الاستقلال السياسي والوحدة الترابية والشعبية، أما المفاوض الفرنسي فقد ركز على تحقيق جملة من المصالح الاقتصادية في الجزائر، خاصة الامتيازات البترولية.

خاتمة:

سعت فرنسا الاستعمارية بعد فشلها في القضاء على الثورة الجزائرية و رضوخها للتفاوض، إلى تقسيم الجزائر على أسس اقتصادية وعرقية وتاريخية، وفصل الصحراء عن بقية الجزائر، غير أنها اصطدمت بمفاوض عنيد لم يرضخ للضغوطات والمؤامرات الاستعمارية، وبذلك استطاع وبعد مفاوضات شاقة وطويلة أن يحقق المبادئ الأساسية التي نصت عليها كل مواثيق الثورة الجزائرية.

الهوامش:

1-ميثاق الصومام، المتحف الوطني للمجاهد.

2- Meynier (Gilbert) , histoire intérieure du FLN 1954-1962, éditions, fayard, paris, 2002.., p621.

3 - Noushi (André) , l'Algérie amère 1914-1994, éditions, de la maison des sciences de l'homme, paris, 1994,p 242.

4 - Lacouture (Jean), le souverain, éditons, seuil, paris, 1986. p 150

5- مالك (رضا)، « مفاوضات ايفيان او المسيرة الوطنية نحو يوم النصر » ، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث ف الحركة الوطنية و ثورة الفاتح نوفمبر 4s195، العدد 05، 2001، ص ص 22-23 .

- Noshi (André), op.cit., p 243.6

7- دحلب(سعد)، المهمة المنجزة من أجل الاستقلال الجزائري، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص 124.

- Lacouture (Jean), op.cit., p 151.8

9- بن خدة(بن يوسف)، نهاية حرب التحرير في الجزائر اتفاقيات ايفيان ، (ترجمة لحسن زغدار و محل العين جبائلي) مراجعة عبد الحكيم بن شيخ الحسين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986، ص 22.

10 - المجاهد، عدد 91، 13 مارس 1961.

11-دحلب(سعد)، المهمة أنجزت من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، 1986.، ص 124.

12 - Meynier (Gilbert) , op.cit ,p625.

13- Courrière (Yves), la guerre d'Algérie, les feux du d'espoir, tome IV, éditions ,fayard 1968.p 335.

14 - Ferhat (Abbes) , Autopsie d'une guerre , éditions , Garnier , paris , 1980 , p 316.

15 – ANOM .FM.81F. Boite N° 150, réunion d'Evian

16-Lacouture (Jean), op.cit., p180.

17 - Ibid, p 182.

18- ANOM .FM.81F. Boite N° 150, réunion d'Evian.

19- Ibid.

20- Ibid.

21 ANOM.FM.81F Boite N° 150. op.cit..

22- ANOM .FM.81F, Boite N° 148, Sahara département des oasis et de la Saoura.

23- ANOM. FM 81F. Boite N°150, réunion d'Évian.

24 – Ibid..

25 - Ibid.

26- Ibid.

27 - Ibid.

28 -Ibid.

29 - Ibid. .

30 – Ibid.

31 - ANOM .FM.81F, Boite N° 150, télégramme a chiffré.

32 - Courrière (Yves), op.cit., p336.

33 - Ibid., p 337.

*الأحزاب و الشخصيات الجزائرية المناوئة للثورة الجزائرية.

34 المجاهد، عدد 98، 19جوان 1961.

35- نفسه

36 - نفسه.

37- نفسه.

38 - ANOM.FM.81F, Boite N° 350, conférence de presse de Mr Karim belkacem, Genève, 31-07-1961.

39 - Malek (Redha), l'Algérie a Evian histoire des négociations secrètes, éditions, dahleb, Alger, 1995, p 233.

40- Carrefour N° 862, 22 juillet 1961.

41 - El Moudjahid N° 83 , 19 juillet 1961.

42 - Chikh (Slimane) , *l'Algérie porte de l'Afrique* ,éditions, casbah, Alger,1999, p 122.

43- المجاهد، عدد 99، 03جويلية 1961.

44- المجاهد، عدد 100 المصدر السابق.

45 -Morin (Jean) , de gaulle et l'Algérie mon témoignage 1960-1962, éditions, Albin Michel paris, 1966, p 176.

46- المجاهد، عدد 100، المصدر السابق.

47- نفسه

* تكون هذا الوفد من بن طوبال وزير الداخلية، و عبد الحفيظ بوصوف وزير التسليح، و محمد يزيد وزير الإعلام

48 -Chikh (Slimane), op.cit., p 123.

49- المجاهد، عدد 100، عدد 100، 1961/07/17.

50- نفسه.

51- نفسه.

52 – نفسه.

53 - Kiouane (Abderrahmane) , les débuts d'une diplomatie de guerre 1956-1962, éditions , dahleb , Alger , 2000, pp 192-193.

54- المجاهد، عدد 100، المصدر السابق.

55- بن خدة(بن يوسف)، المصدر السابق، ص 25 .

56 -ANOM .FM.81F, Boite N° 352, Sahara et les conversations de lugrin.

57-مالك(رضا)، مجلة أول نوفمبر، المرجع السابق .ص 07.

58- Malek (Redha), op.cit. p 158.

59 -ANOM.FM.81F. Boite N° 352, op.cit.

60- المجاهد، عدد 101، 31جويلية 1961.

61 -ANOM.FM.81F, Boite N° 350, conférence de presse de Karim belkacem, op.cit.

62 - دحلب(سعد)، المصدر السابق ، ص 130.

63 - Kharchi (Djamel), colonisation et politique d'assimilation en Algérie 1830-1962, éditions, Casbah, Alger, 2004, p 529.

* هي فكرة ديغولية و تعني جمع كل التيارات السياسية الجزائرية حول طاولة واحدة للتفاوض وعدم الاعتراف بمبدأ أن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري، ينظر إلى يوسف بن خدة : اتفاقيات ايفيان ...ص 18.

64 - دحلب(سعد)، المصدر السابق، ص138.

65- بن خدة(بن يوسف)، المصدر السابق ن ص 28.

66 - نفسه، ص 29.

67- ANOM.FM.81F, Boite N° 150, constitution …op.cit.

68 -بن خدة (بن يوسف)، المصدر السابق، ص 32.

69 نفسه، ص 33.

70 - نفسه ، ص 35.

71- نفسه ، ص 36.

72-- Benanous (Georges Marc), un mensonge français retour sur la guerre d'Algérie ,éditions, Robert Lafont,Paris,2003 ,p 199.

73 - دحلب(سعد)، المصدر السابق ، ص 144.

74 - مالك(رضا) مجلة أول نوفمبر، عدد 103، المرجع السابق، ص 08.

75- نفسه.

76- دحلب (سعد)، المصدر السابق، ص 152.

77- نفسه، ص 154.

78 - Meynier (Gilbert) , op.cit., p 631.

79- دحلب (سعد)، المصدر السابق، ص 156.

80- الشروق اليومي، عدد 2231، 23 فيفري 2008. حوار مع السيد احمد غزالي مدير سابق لشركة سونطراك .

81- منصور(أحمد)، كتاب الجزيرة شاهد على العصر الرئيس أحمد بن بلة يكشف عن أسرار ثورة الجزائر، دار العربي، الطبعة الأولى، 2007 ص 62.

82- بن خدة(بن يوسف)، الصدر السابق ن ص 38.

83 - C.A.N.GPRA, Boite N° 30, dossier 3.2 le président Bourguiba, le Sahara et l'OCRS.

84 - Buron (Robert) , Carnets politique de la guerre d'Algérie par un signataire des Accords d'Evian , éditions , Plon , paris ,s1965, pp228-229.

الدور الديني والسياسي للزوايا في عمالة وهران

د/ خيرة بوسعادة، جامعة وهران2 محمد بن أحمد

لا يمكن اختزال دور الزوايا في جانب معين بحيث تتداخل فيه المعطيات الدينية والتربوية والسياسية، كما أن الانتماء إلى طريقة من الطرق الصوفية يعتبر علامة من علامات التجمع والالتفاف، فقد اضطلعت الزوايا في عمالة وهران بدور هام مس كلا من الجانب السياسي والديني، وهو ما يؤكده المفكر "بارسونز" بقوله بوجود ثنائية أساسية في المجتمعات الإسلامية تقوم على الجمع بين الزمني والروحي وذلك قصد الحصول على الشرعية الدينية.[1]

كما يرى محمد العربي ولد خليفة: "أن الزاوية والتنظيم الطرقي باعتبارها معقل المقاومة الوطنية، ونقطة الانطلاق لكل الانتفاضات الشعبية من بداية الاحتلال وحتى مطلع القرن العشرين، كانت المؤسسة الوطنية الوحيدة التي أفلتت من السحق والتدجين كونها تشبه هيئة أركان تقوم بالتعبئة والإمداد ورفع الروح المعنوية لجماهيرنا خاصة في الريف والبوادي".[2] وقد أدركت فرنسا دور الزوايا في المقاومة حيث كلفت النقيب "دو نوفوا" (De Neveu) المشرف على المكتب السياسي للمكاتب العربية سنة 1845 القيام بدراسة حول نشاط الزوايا نشرها في كتابه بعنوان (Les Khouans)[3]، مستخلصا الدور المتميز الذي تضطلع به الزوايا بين الجزائريين وما تلاقيه من تقدير واحترام من جهة، ودورها في إذكاء نار التمرد والعصيان ضد فرنسا من جهة أخرى.[4]

الدور الديني والتربوي للزوايا:

يؤمن الطرقيون بأن الدين يجب أن يتطابق مع المعتقدات والعادات التي ورثوها عن آبائهم، فالتقاليد وإتباع السلف ركيزتان أساسيتان تساعدان على الحفاظ على مفهوم الخضوع والطاعة كمبدأ اجتماعي، ولهذا وجدنا أغلب الطرقيين بفصاحتهم ونفوذهم الثقافي، وإشعاعهم الروحي يفرضون احترام الناس، فالتنظيم الطرقي كان يقوم على الخضوع واحترام الشيخ، وقد كانت الزوايا مهيكلة بطريقة هرمية على النحو التالي:[5]

– الشيخ: هو الزعيم الروحي للطريقة ويتم تعيينه مسبقا من قبل الشيخ الذي سبقه سواء عن طريق الوصية أو خلال اجتماع يقدم فيه الشيخ الزعيم الذي سيخلفه،[6] فهو الوريث الروحي لمؤسس الطريقة، كما أن أحفاد الشيخ، يرثون سلطته الفوق طبيعية، وذلك مهما تكن سلوكاتهم وتصرفاتهم،[7] كما يحظى الشيخ بالوقار والتقديس، فهو بتقربه من الله يساهم في تشكيل سد منيع، يحمي المجتمع من الخطايا.[8]

وكتب "رين"(Rinn) عن دور الشيوخ: "أنه مما يجب الإشارة إليه هو أن انعدام سور يحمي القرية– مثلما هو الشأن بالنسبة لمنطقة القنادسة– كان من خلال الأمان الذي يوفره الشيخ للبلاد من اللصوص".[9]

نستشف من هذا التصريح الوقار والهيبة اللتان كان يتمتع بهما شيخ الزاوية ودوره الفعال في استتباب الأمن، كما أن كل من "ديبون وكزافييه" Depont ; Xavier أشارا إلى ذلك: "كان اللصوص يخشون مهاجمة القوافل التابعة للزاوية".[10]

ولقد تفطنت الإدارة الاستعمارية إلى هذا الدور الاجتماعي والسلطة الدينية التي يتمتع بها الشيوخ وأتباعهم، وهذا ما نلمسه من خلال تقرير" ديبون وكسافييه": " علينا الاتصال بالولي وهو يتعبد، ولذلك سنتصل من خلاله بالجماهير التي تبدي له طاعة، وتستمع لتعليماته وكلامه".[11]

هؤلاء الشيوخ يمثلون نخبة دينية، لأن إتباعهم خط التصوف، يفرض عليهم التميز بصفات و مؤهلات، هذا فضلا عن إيمانهم بجملة من المعتقدات، كما أن الخضوع لسلطة الشيخ الذي يتمتع بمعرفة دينية، تجعله قادرا على تلقينها للمريدين والأتباع، فهذه الصفة والمؤهلات لا يتمتع بها، أي كان، بل يفترض في صاحبها توفر الموهبة التي ليست في متناول الجميع، بل إلا من اختاره الله لذلك، هذا فضلا عن الكرامات التي يتمتع بها دون سواه.

– المقدمون: يختار الولي (الشيخ) في كل مدينة قادة يسمون بالمقدمين، يمثلون الشيخ، ومن خلالهم يرسل الشيخ التعاليم الجديدة للطريقة، وفي المقابل يتلقى تقريرا عن الأوضاع السياسية،[12] فقد جاء في السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، أن مولاي العربي الدرقاوي (1737–1823) قد تخرج على يديه أربعون ألف مقدم.[13]

فهم بذلك يضطلعون بمهمة نشر تعاليم الطريقة، ويجمعون الأموال، وينوبون مقام الشيخ في التبليغ، فهم يقومون بمهمة التعليم ونشر المعرفة الدينية بين المريدين، وهذا يعني وجود سلطة دينية مبنية على أساس المعرفة.

كما يتدخل شيخ الطريقة أحيانا وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة لتحفيز الفقراء على اختيار أحد الأعيان المنتمين لطريقته في منصب المقدم، فقد ذكر "رونو"" Renault" في مذكرته بتاريخ 20 سبتمبر 1895 جاء فيها: " أن مقدم زاوية القنادسة عند قبيلة أولاد جرير هو القائد (بن المقدم ولد أحمد) ومقدم الزاوية في قصر بشار هو (الحاج ولد حمو علة) رئيس جماعة القصر، وكان شيخ فرقة أولاد رمضان من قبيلة بني وكيل المدعو (محمد بن إبراهيم بن بوزيان) مقدما للطريقة البوعمامية البوشيخية.[14]

ويجتمع الشيخ خلال السنة مع مقدمي الزاوية ، حيث يراقب الأعمال الإدارية، وتسمى هذه التجمعات "بالحضرة" "Hadra"، وبعد الانتهاء يعود المقدمون إلى مراكزهم للاجتماع مع الإخوان، ويدعى ذلك الاجتماع بالزردة "Zerda"، حيث يقدم المقدمون نتائج اجتماعاتهم مع الشيخ لينتهي اللقاء بتسديد الإخوان اشتراكاتهم.[15]

وللإشارة إلى العلاقة المتينة التي تربط الشيخ بمقدميه، نسوق ما قام به الشيخ بن تكوك BenTekouk عند زيارته للضباط في مركز الاستعلامات والدراسات(C.I.E) بتاريخ: 29 ماي 1941 لتزكية مقدمه وترشيحه لمنصب مفتي وهران وهو السيد "سي الطيب المهاجي"، المعروف بزيدور الطيب، يشير الشيخ إلى التكوين الديني لمقدمه، كما أنه حاليا لا يمارس أي نشاط سياسي، وأنه كان من الأوائل الذين قاموا بتوبيخه نتيجة تعاطفه سابقا مع جمعية العلماء المسلمين.[16]

وفي القاعدة نجد المنتمين إلى الطريقة والذين يطمحون في الحصول على بركة الولي، وبذلك نخلُص إلى أن الهيكل الإداري داخل الزاوية يكشف عن تقاسم الأدوار والتخصص داخلها.

لقد كان المرابطون يؤمنون بأن الدين يجب أن يتطابق مع المعتقدات والعادات التي ورثوها عن آبائهم، فالتقليد وإتباع السلف ركيزتان أساسيتان تساعدان على تكريس مفهوم الخضوع والطاعة

كقاعدة بيداغوجية وكمبدأ اجتماعي، ولهذا وجدنا أغلبية الطرقيين بفصاحتهم ونفوذهم الثقافي وإشعاعهم الروحي يفرضون احترام الناس.[17]

مما سبق، يتجلى لنا قدرة الزوايا على القيام بعملية التنشئة وذلك من خلال ترويض المريدين على سلوكات وترسيخها لقدسية الإسلام والقيادة وتبرير التضحيات التي يجب تقديمها، كما أن عملية إرساء سلوكات جديدة و إلغاء بعضها جعل المريد يتشرب بقيم وأفكار جعلته يحدد بكل وضوح سلوكه اليومي وفي هذا الصدد يرى كارت دوسن أن الزوايا قادرة على كبح جماح وإعادة توجيه ما يعرف غالبا بنزعات الطفل الطبيعية، فضلا عن مساعدة الفرد على عقلنة وتبرير التضحيات التي يجب أن يقدمها لكي يصبح عضوا في المجتمع.[18]

وفي هذا الصدد يرى بعض المفكرين أن ظاهرة تقليد السلف الصالح ومحاكاته يساعد على انتشار الظواهر الاجتماعية بين الأفراد، ولهذا اعتبرت من العوامل المهمة في الحياة الاجتماعية.[19]

وعن نفوذ الزوايا في عمالة وهران وتعدادها أوجب علينا توضيح تواجدها الجغرافي، بحيث انتشرت انتشارا واسعا، وهذا ما نلمسه في دراستنا حيث وجدنا جميع فروع الطرق الدينية موجودة في الجزائر، هذه الحقيقة التاريخية تثبت الدور الذي لعبته هذه الزوايا كمركز للإشعاع العلمي والروحي، ولإبراز هذا النفوذ نسوق مثالين الأول عن انتشارها في البلديات الكاملة الصلاحيات في مقاطعة وهران والثاني عن مدينة مستغانم.

- و ضع الزوايا في البلديات الكاملة الصلاحيات في مقاطعة وهران:[20]

- القادرية: بقيادة الشيخ "بلحول" الذي خلف والده الذي توفي سنة 1933، وتتواجد زاويته في أولاد الخير بمستغانم، ومقدم الزاوية في وهران هو "بغداد ولد لخضر"، وعدد الإخوان التابعين للزاوية 150 عضوا في المقاطعة منهم 75 في مدينة وهران.
- السنوسية: بقيادة الشيخ" تكوك عبد القادر" القاطن ببوقيرات بمستغانم، الفرع الأكثر أهمية في مقاطعة وهران هو فرع مدينة وهران – الذي يسيره المقدم "زيدور الطيب" وهو"طالب"،[21] ومدير مدرسة قرآنية– الذي يضم 200 من الإخوان، في حين يبلغ عددهم في بقية المقاطعة 150.
- الدرقاوية: ومنها فرع الهبرية بقيادة الشيخ بن زيان محمد النابولسي لها مقران بوهران.

- العلوية: تابعة للشيخ بن عليوة بمستغانم وهي تابعة للطريقة الدرقاوية تحت إشراف المقدم بغدادي صالح .
- الطيبية: بقيادة أحمد بن حسني وتتواجد بعمي موسى، وتضم 150 فقراء في كل من مدينة وهران والبلديات المجاورة لها كمسرغين، وبلقايد كان مقدمها بوهران يدعى قورار عبد الرحمن.
- التيجانية: تابعة للشيخ سي أحمد بعين ماضي بالقرب من الأغواط وكان مقدمها بوهران يدعى هامل لبيوض بلقاسم من منطقة تسالة، هذا فضلا عن كونه مدير لمدرسة قرآنية، وكان عدد الإخوان حوالي 100.

والجدول التالي: يمثل شيوخ الزوايا ومناطق انتشارها في عمالة وهران سنة 1942:[22]

الزاوية	شيخ الزاوية	المدينة
الطيبية	شريف الوزاني	وهران
العلوية	عدة بن تونس	مستغانم
العمارية	محمد بلقاسم	مستغانم
السنوسية	بن تكوك	بوقيرات
القادرية	بلحول عبد القادر	Mina Mixte
الدرقاوية	شنتوف عدة	معسكر
الرحمانية	غلام الله	تيارت
الحمداوية	طالبي مولاي حسان	سبدو(دوار غرابة)
التيجانية	سيدي عبد الجبار ولد سيدي محمد	عين ماضي
الزيانية	لعرج سي عبد الرحمن بلعرج	القنادسة

أما في مقاطعة مستغانم الواقعة داخل المربع الممتد بين مدينة مستغانم، وغليزان، وعين تادلس، وسيدي علي، تكثر الزوايا ومنها:[23]

- السنوسية في بوقيرات.
- القادرية بأولاد الخير.
- العليوية في مدينة مستغانم.
- الدرقاوية بسيدي عبد الباقي بسيدي علي.

وكان على رأس هذه الزوايا عائلات ذات جاه ووقار مثل عائلة لطروش، عبد الصادوق، بلحميتي، بوخلوة، وغيرها، مما يجعلنا نقر بأهمية التصوف كظاهرة شعبية ازدادت أهميتها خصوصا عند المصاهرة، وهذا ما لمسناه في الزوايا المنتشرة في مستغانم، الأمر الذي أدى إلى وجود نوع من المنافسة الهادئة نظرا لاحترام كل طرف للطرف الآخر.[24]

مما سبق نلاحظ تشابها كبيرا في وسائل تعبئة الجماهير، فقد سبق وأن استخدموا قبل مجيء العلماء المساجد والمدارس القرآنية لنشر تعاليم الدين الإسلامي، مستغلين المناسبات العائلية لإلقاء الدروس، ومن ثم الحصول على المزيد من المريدين أو الأتباع.

واعتمدت الزوايا على المدارس والمساجد والكتاتيب القرآنية بغية نشر تعاليمها واستقطاب المزيد من المريدين و الأتباع، في المجال التربوي اتخذ مؤتمر قادة الزوايا المنعقد بالجزائر في الفترة مابين: 15 و16 أفريل 1938 قرارا بفتح مدرسة "التلميذ" بتلمسان التي أغلقتها الإدارة الاستعمارية سنة (1911- 1912)، وكان رجال الطرق يهدفون من وراء ذلك، جعل هذه المدرسة منافسة لمدرسة خصومهم العلماء والمتمثلة في دار الحديث. ومن الشخصيات التلمسانية التي شاركت في المؤتمر العشعاشي الحاج محمد (Négociant)، والتاجران بن هلال محمد، وهدام محمد، ومدرسين في المسجد القرآني وهما سي الميسوم، وبن ميدون سي الحسين.[25]

وعن هذا الاهتمام البالغ بتشييد المدارس القرآنية نشير إلى أنه في زاوية جبل السخون بتيارت التي أسسها سيدي بن عدة سنة 1844 (تابعة للزاوية الدرقاوية) وبني فيها مسجدا، وبيوتا لتعليم القرآن، وواصل ابنه محمد بن محمد الكبير عملية بناء المدارس، فأسس مدرستين تابعتين للزاوية، الأولى لتعليم

القرآن، والثانية لتدريس الفقه، وقد اختاره أهالي تيارت نائبا ماليا عنها في مجلس النيابة العامة سنة 1942.[26]

فالبيئة العامة، والحالة العلمية للمجتمع تشير إلى أن فئة الفقراء لم يسعفها الحظ لتحقيق قدر من العلم، وقد كانوا يأملون ويحلمون بتحقيق هذه الأمنية لأبنائهم، ولهذا لعبت الزوايا دورا أساسيا في نشر العلم في المناطق الريفية.

الدور السياسي للزوايا:

إذا كان الدين بالنسبة للزوايا منظما بنيويا ومسهما قي تنظيم المجتمع الجزائري بصفته القاعدة الأعمق للتفكير وتحديد السلوك، فقد استغلت الزوايا الدين لتصعيد الوعي الديني والسياسي ومن ثم الضغط على الإدارة الاستعمارية وذلك ما يؤكد لنا ثنائية وترابطية الدين والسياسة .

كان شيوخ الزوايا أكثر قوة في توجيه المجتمع، فهم نتاج المسجد أو الزوايا، وفي أحسن الأحوال من خريجي الجامعات، مثل فاس، تونس، الأزهر، ودمشق، والمدينة، وكان لهم تأثير كبير على الفئات الشعبية في الريف،[27] فلقد ناضلوا ضد القهر السياسي واضطلعوا بعملية التحريك الاجتماعي و اعربوا عن أفكارهم السياسية من خلال مطالبهم ونشاطهم الذي كان على النحو التالي:

– تقديم قادة الزوايا للعرائض والمذكرات للسلطات الفرنسية، ففي 22 أفريل 1938 قدموا مذكرتين للحاكم العام بالجزائر، جاء في المذكرة الأولى: "إن قادة الزوايا يتحدثون باسم المسلمين ويعتبرون أنفسهم الناطقين الرسميين باسم الدين، وباسم ثلاثة ملايين من مريديهم، مطالبين بفتح المدارس لأبنائهم، وحرية تعليم اللغة العربية".[28]

– عقد مؤتمرات سنوية لتقييم أعمالها ونشاطاتها، ومنها على سبيل المثال المؤتمر الذي عقدته الزوايا في الفترة مابين 14 إلى 17 أفريل 1939 بمدينة الجزائر برئاسة الشيخ مصطفى قاسمي، وحضر المؤتمر 31 شيخ زاوية موزعين عبر التراب الجزائري، ومن أهم الشخصيات التي حضرته من عمالة وهران نذكر محمد غلام الله ممثل زاوية تيارت، وحاج محمد بن إبراهيم ممثل زاوية فرندة، وعدة شنتوف من معسكر، وقد تناولوا المشاريع التي تحققت منذ المؤتمر السابق والمتمثلة في[29]:

- صدور جريدة الرشاد.
- إنشاء مطبعة خاصة لهذه الجريدة.
- إنشاء مكتبة تابعة لجمعية الزوايا مقرها الجزائر.
- تقديم دروس بالعربية والفرنسية، بمقر جمعية الزوايا.

ثم انعقد مؤتمر آخر مماثل بقسنطينة في الفترة 20- 23 جوان 1939 لم يحضره مقدمو الزاوية الطيبية المتحالفين مع جمعية العلماء المسلمين، ولم يحضره من عمالة وهران سوى الشيخ غلام الله من تيارت، واتخذ المؤتمر عدة قرارات منها:[30]

- إنشاء مدرسة للتعليم العالي بالجزائر.
- إلغاء مرسوم 8 مارس 1936.
- دعوة فيدرالية نواب قسنطينة إلى قطع علاقتها نهائيا مع جمعية العلماء، وفي حالة رفضها يتم مهاجمتها.
- مشروع إنشاء جمعية تضم جميع زوايا شمال إفريقيا برئاسة الأمير سعيد من سوريا.[31]

من الزوايا التي كان لها دور كبير في عمالة وهران نسوق مثال الزاوية العليوية بمستغانم، فقد تمكن الشيخ بن مصطفى العلاوي من تأسيس عدة زوايا،[32] منها زاوية بمدينة تلمسان، بدرب الحدادين، قرب مسجد سيدي مرزوق، وهي زاوية ذات أربعة بيوت، ومسجد، وبجانبه مدرسة قرآنية، وزاوية بمدينة وهران بالمدينة الجديدة، هذا فضلا عن الزاوية الكائنة بمدينة غليزان، وهي الزاوية المعدة لإقامة الصلوات الخمس، وبمعيتها بيت لتعليم كتاب الله للأطفال من أبناء الفقراء.

وقد أنشأ الشيخ العلاوي مطبعة لطبع نشرات دينية وكتب، وأصدر جريدة أسبوعية سماها" لسان الدين" تدافع عن الطرق الصوفية و مشايخها.[33]

كما أن أول فرقة مسرحية عربية مثلت على الخشبة بالقطاع الغربي، هي الفرقة التي أسسها الشيخ العلاوي سنة 1926، والتي قامت بتمثيلية عنوانها "الليلة المغضبة"، وكان أغلب الممثلين فيها من تلاميذه، وعرضت في كل من مستغانم، وهران، غليزان، وحققت نجاحا كبيرا، مما جعل السلطة الاستعمارية تمنع تقديمها، واستدعي الشيخ من طرف نائب العامل.[34]

كما أسس أحمد بن مصطفى العلاوي العديد من النوادي قصد نشر التعليم، ففي 1928 بادر بفكرة هادفة يقصد من خلالها تعليم الكبار أصول الدين وبعض المعلومات في اللغة عن طريق النوادي المسماة آنذاك الجمعية الموجودة بالأحياء، والتي كان يلتقي فيها مختلف الفئات الاجتماعية، من حرفيين وتجار وعمال، للتسلية بعد عملهم اليومي الشاق، فيسمعون الحكايات الطريفة، "كألف ليلة و ليلة" و"سيرة عنترة بن شداد"، و" قصة سيف بن ذي يزن"، وكانت مساحة هذه النوادي لا تزيد عن عشرين مترا مربعا أرسل إليها الشيخ فقراء تتوفر فيهم الأخلاق الحسنة، ولديهم بعض المعلومات في الفقه واللغة، قصد تدريس الحاضرين بعد صلاة المغرب.[35]

وتولى المشيخة بعده سيدي عدة بن تونس،[36] والذي كان شديد الحماس لنشر العلم، وهذا ما يتجلى لنا من خلال حثه على طلبه قائلا:

قوموا بنا نحيي الدروس فبالعلم تحيا النفوس

فتجتني ثمر الغروس و نحتفظ بعزنا

وشرع في الدروس منذ 1937 في الزاوية الكبرى بمساعدة شيوخ أمثال: "حسن الطولقي"، و"علي البوديليمي"، كما أن نشاطه تعدى إلى بعض النوادي في حي "تيجديت"، حيث كان يرسل- شأنه شأن شيخه- بعض الفقراء ممن تتوفر فيهم المعرفة الفقهية والسلوك الحسن، عقب صلاة المغرب، فيعلمون مبادئ العربية وبعض الأحكام الشرعية، واستمر المشروع إلى قيام الحرب العالمية الثانية.[37]

وأنشأ سيدي عدة بن تونس المدرسة العلاوية سنة 1945 تحت إشراف ثلاثة مدرسين، وهم:" بلقاسم بن عامر، أحمد بن مكي، و بن عبد الله بن قطاط".[38]

وكان الشيخ حريصا كذلك على إنشاء الزوايا، إذ أسفرت مجهوداته عن إنشاء عدة زوايا في المدن التالية: معسكر، فرندة، تغنيف، زمورة، غليزان، السانيا، وتنس.[39]

وأنشأ سيدي عدة جمعية محبي الإسلام لبث الدعاية الإسلامية بين الأوساط الأوروبية، وتقوم الجمعية بنشر تعاليم الإسلام بين الأمم على اختلاف أجناسها، ونتيجة لهذا العمل الجليل، اعتنق الكثير من الأوروبيين الإسلام على يد الطائفة العلاوية.[40]

كما أنشأ الشيخ" سيدي عدة بن تونس" الجمعية العلاوية للإرشاد في الفاتح من ديسمبر 1930، وحصلت على الاعتماد رسميا في مارس 1939، وهي فرع من الزاوية العلوية، وتهدف إلى حث وإرشاد الأهالي الجزائريين بدون أي تمييز طائفي على الممارسة الصحيحة للديانة الإسلامية حسب ما جاء في القرآن الكريم، ولتحقيق هذا الهدف، قررت اللجنة الإدارية التابعة لها، تنظيم جولات للوعظ والإرشاد من طرف أعضائها، وذلك من خلال إلقاء محاضرات.[41] يمارس الشيخ سياسة روحية تتمثل في المشيخة، و لتحقيق هذه الشرعية كان عليه، أن يحصل على اعتراف المريدين له، ولهذا تتضاعف علاقته مع بقية الشيوخ.[42]

استطاعت الزاوية العلوية نشر نفوذها خارج الوطن من خلال إنشاء جريدة شهرية ناطقة باللغة العربية "السلام" سنة 1948 بمدينة كارديف الإنجليزية[43] وهذا يعني أن المجلة أوجدت مناخا معرفيا سمت بالطريقة من المحلي إلى العالمي من خلال التأثير والانفتاح والتحاور بين الحضارات والديانات الأخرى، وهذا ينم على قدرتها على التواصل والاتصال.

بعد فرض فرنسا قانون التجنيد الإجباري، لعبت طريقة بن يلس بتلمسان دورا هاما في هجرة التلمسانيين سنة 1911،[44] وقد اختار الشيخ بن يلس الشام ولكن الحكومة الفرنسية لم تسمح له، فسافر سرا عن طريق السعيدية، ثم طنجة، ومنها ركب باخرة أوصلته إلى الشام رفقة زوجته، وابنه أحمد الذي كان في سن الخدمة العسكرية، إلا أن السلطات الفرنسية ألقت القبض عليه أثناء الثورة السورية 1925، وعذبت ابنه عذابا شديدا، متهمة إياه بالمشاركة في الثورة، وعدم التقيد بقرارات الدولة الفرنسية، بخصوص التعليم في الزوايا، والخروج من الجزائر دون جواز سفر.[45]

يقوم القادة الدينيون، خارج تأثيرهم على المريدين بعملية الدعاية من خلال الطلبة والمصلين، هذه الفئة الأخيرة كانت مهامها الثناء على الله والرسول (صلى الله عليه وسلم) ولهذا كانوا يجوبون القبائل لنشر شعلة الإيمان، فكلهم كانوا يخضعون للإرادة المطلقة للشيخ.[46]

يستطرد بربروس"Barberousse قائلا:" إن بعض قادة الزوايا المنتخبين في مختلف المجالس- سواء كانوا مفوضين ماليين أو مستشارين عامين- لا يتوانون عن الربط بين نشاطهم السياسي بالعمل الديني".[47]

وقد كان شيوخ الزوايا يُؤثِرون السياسة عن الزعامة الروحية، وهذا ما يتجلى لنا من خلال الاجتماع الذي دعا إليه شيخ الزاوية الدرقاوية بسيدي عدة السيد "غلام الله منور" الذي كان نائبا في المجلس الجزائري، حيث تنازل عن السلطة الروحية لحفيده "غلام الله محمد" بتاريخ 19 أفريل 1951، وذلك بدوار" أولاد لكرد" ببلدية تيارت المختلطة، وبحضور السلطات المحلية، وعدد من الأتباع.[48]

وخلال الحرب العالمية الثانية، لجأت الإدارة الاستعمارية إلى استمالة رجال الزوايا قصد ضمان عملية التجنيد، وحتى تضمن عدم ثورة هذه المؤسسة الروحية خاصة بعد القحط الذي ساد البلاد، حيث جاء في تقرير مصلحة الاستعلامات والدراسات بأرشيف ولاية وهران موجه إلى المقتصد الخاص بعملية التموين، يحدد كمية الهبات القصوى الموجهة شهريا إلى شيوخ الزوايا بعمالة وهران كانت على النحو التالي[49]:

المؤن الموجهة شهريا لرجال الزوايا خلال الحرب العالمية الثانية(1941)

المواد / الشيوخ	مكان الإقامة	السكر (كلغ)	البن (كلغ)	الشاي (كلغ)	الزيت (لتر)
الشيخ بلحول (القادرية)	أولاد الخير	15	05	05	10
الشيخ شنتوف عدة (الدرقاوية)	معسكر	15	05	05	10
الشيخ سي ابراهيم (الرحمانية)	تاقدامرت	10	05	05	10
الشيخ بن تكوك عبد القادر (السنوسية)	بوقيراط	15	05	05	10
شريف الوزاني(الطيبية)	وهران	15	02	05	10
الشيخ غلام الله	تيارت	15	05	05	10
سي هني محمد	مازونة	10	05	05	10

لقد أسعف النفوذ الإداري والديني والمادي هذه النخب من الترشح في المجالس فقد كان السيد "خوسة عدة" مقدما للشيخ "بن تكوك" بعين تادلس ومنتخبا في المجلس الجزائري.[50]

كما كان أحد أبناء الشيخ مولاي البودالي مؤسس زاوية "الرويسة" بسعيدة المدعو "محمد ولد البودالي" قايد بدوار برانيس والعيون فضلا عن كونه شيخ الزاوية منذ 1917 وسنه لم يتجاوز 22 سنة.[51]

ومن القبائل التي تمتعت بنفوذ نشير إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ نسبة إلى "عبد القادر" الذي أسس الزاوية الشيخية في البيوض التابعة للطريقة "الشاذلية" التي امتد نفوذها في جزء كبير من الجنوب الوهراني،[52] وقد بلغ عدد أتباعها سنة 1949 حوالي 50 ألف شخص في نواحي البيض، فضلا عن انتشارهم في كل من المشرية، والعين الصفراء، بني ونيف، عين صالح، ورقلة، وفي القطاع الوهراني تتواجد في كل من عين تموشنت، العامرية، سيدي بلعباس، سعيدة، معسكر، تيارت ويشكلون ما يسمى أولاد سيدي الشيخ الشراقة.[53]

وفي سنة 1932 أصبح الشيخ سي العربي الزعيم الروحي للزاوية وعينته فرنسا "قايد" قبيلة "ويكل" التي لايتجاوز عدد سكانها 70 ألف نسمة.[54]

لم يتزامن النشاط السياسي للزوايا مع العلماء خلال الثلاثنيات، فقد كان لهم تأثير واضح منذ انتخابات 1919 في القطاع الوهراني، فوُجهت من طرف قادة الزوايا، وعلى سبيل المثال أيدت زاوية "طولقا" ترشح "بن قانة"، في حين وقف الشيخ "بن تكوك" من الزاوية السنوسية ضد ترشح" بن كريتلي" المؤيد من طرف الزاوية الدرقاوية، كما ساهمت الطريقة الشاذلية في" وادي رهيو"، التابعة لزاوية ولد لخضر في فوز "غلام الله" أمام منافسه" شريف سيد أحمد الحسني" ممثل الزاوية الطيبية".[55]

خلال انتخابات المفوضيات المالية بتاريخ 18 أفريل 1920، في عمالة وهران، التي تضم ثلاثة دوائر انتخابية على التوالي: معسكر، مستغانم، ووهران، فاز القائد "لطرش أحمد" فوزا ساحقا بـ 4224 صوتا مقابل 269 صوتا لمنافسه "اسكندر مزاري"، في المقاطعة الانتخابية الثانية، ومع فوز لطرش انتصر التيار الطرقي، في مستغانم من خلال دعم "بن تكوك" شيخ زاوية "أولاد الشفة.[56]

وكان نفوذ بن تكوك واسعا بحيث استطاع أحد مقدميه وهو" خوسة عدة" " Khoussa Adda"أن يصبح عضوا في المجلس الجزائري بعين تادلس.[57] كما أن الشاب الصيدلي بوخلوة من غليزان والذي ما لبث يفوز في انتخابات المجلس العام نتيجة الدعم والتأييد الكبير الذي قدمه له الشيخ "بن تكوك عبد القادر"، إلا أنه مع نهاية الأربعينيات حاول التخلص من وصاية الشيخ، من خلال تأييده لمرشح حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، الذي فاز في انتخابات المجلس الجزائري، وهو السيد "طهرات غانم".[58]

وجاء في التقرير الفرنسي حول الزوايا في مستغانم، أن حظوظ بوخلوة في الفوز خلال الانتخابات المقبلة جد ضئيل، خاصة إذا ما بقي الشيخ" بن تكوك" يعارض ترشيحه.[59]

وخلال الحرب العالمية الثانية، وقف بعض رجال الطرق ضد فكرة تجنيد الجزائريين، بل وتحريضهم على التوقف عن دفع الضرائب، مثلما هو الحال بالنسبة لأحد رجال الطرق بعين تموشنت، المدعو" بوزيان سي أحمد ولد بلخير" ، ومن أقواله:"...لا تخشون، إن الألمان سيصلون قريبا إلى الجزائر عبر تونس، لم يعد هناك دافع لتسديد الضرائب، فإن الأراضي سترجع إليكم، وستعيشون في ظل الألمان حياة أحسن مما كنتم عليه أثناء الوجود الفرنسي، لأن الألمان هم أعداء لليهود".[60]

لقد كان للزوايا مواقف جريئة ومناهضة لفرنسا في عمالة وهران وهذا ما نلمسه من خلال مواقف بعض الشخصيات الدينية، فقد رفض عل سبيل المثال مقدم الزاوية الدرقاوية بندرومة فكرة تجنيد الجزائريين داعيا الأسر الجزائرية إلى منع إرسال أبنائها إلى مكاتب التجنيد، نفس الموقف وقفه مقدم الزاوية الطيبية.[61]

فهذا الموقف المعادي لفرنسا جعل هذه النخبة الدينية محط مراقبة من طرف الهياكل الاستعمارية، وهذا ما نلمسه من خلال التقرير التالي حول بعض الشخصيات[62]: منها شخصية شريفي واضح ولد محمد من دوار أولاد إسماعيل البالغ من العمر 65 سنة، وهو مقدم زاوية سيدي واضح، والذي تعتبره السلطات الفرنسية من الشخصيات المشكوك في ولائها بل تشكل خطورة على الإدارة الاستعمارية لهذا أوجب تكثيف حراستها، وشخصيات أخرى قررت فرنسا إبعادها عن دوائر نفوذها أمثال روابح الحاج حبيب، وواضح حاج سعيد، ومحمد بن طيب بسبب ممارستها تأثيرا عدوانيا ضد فرنسا.

لا يمكن الجزم بوجود خصومة بين الطرقية والحركة الوطنية واعتبارها عاملا من عوامل التأخر، فلقد شكلت مؤسسة دينية تأطيرية حمل شيوخها وأتباعها طموحات سياسية جعلتهم ينتقلون إلى الواجهة السياسية ويسهمون في صنع القرار السياسي من خلال دخولهم معترك الانتخابات.

الهوامش:

[1] - Talcot Parsons, sociétés, Essais sur leur évolution comparée, Dunot, Paris, 1973,p110.

[2]- محمد العربي ولد خليفة، الجزائر المفكرة والتاريخية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، 1998، ص 218.

[3] - Fermaux (Jacques), Les bureaux Arabes, Editions Denoël, Paris, 1993, p 129.

[4] - Servier (A), L'islam Et la psychologie musulmane, challamal, Paris, 1923, pp 362-363.

[5] - Merad Ali, Op.Cit, pp 230-231.

[6] - De Neveu(E), Les Khouans, place du Gouvernement, Alger, 1913,p1.

[7] - Petit(R.P Louis), Les Confréries Musulmans, Librairie B Blond, Paris, 1902, pp61-62, I 94.

[8] - Archives des sciences sociales des Religions, Octobre – Décembre 2007, 52 année, p76.

[9] - Rinn Louis, Marabout et Khouans, p 412.

[10] - Depont – Xavier, Les Conférences religieux Musulmans, p 498.

[11] - Depont(Octave)- Xavier, Op.Cit, p 282.

[12]- Neveu (E) Les Khouans, Op.Cit, p 17.

[13]- السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية لجامعة الحاج مصطفى العشعاشي، مطبعة سقال، تلمسان، ص 11.

[14]- د/ أحمد مزيان، ص 102.

[15] - Depont(G) et Coppolani(H), Les Confréries Religieuses Musulmanes, Alger, 1897,p67.

[16]- D . A.W.O, I 2260, Nomination Du Muphti a Oran, 1941.

[17] - Merad Ali, Op.Cit, pp 230, 231.

[18]- ريتشارد داوسن وآخرون، التنشئة السياسية، درسة تحليلية، ترجمة مصطفى خشم ومحمد المغربي، منشورات جامعة قابوس، 1990، ص 58.

[19] - Daniel learner , the passing of traditionnal society, modernizing the meddle east, new york, ny, us, free press, 1958, p48.

[20]- D.A.W.O, I 2260, 27 Mars 1942.

[21]- كلمة "طالب" هي كلمة عامية تعني حفظة القرآن.

[22]- D.A.W.O, I 2260, 27 Mars 1942.

[23] - D.A.W.O, I 2260, Oran, 26 Février 1949.

[24] - D.A.W.O, I 2260,note sur l'activite des sofs dans les milieux traditionalistes mostaganemois, 02 Février 1949.

[25] - D.A.W.O, I 2260, Alger, 1938.

[26]- السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، صص 112-113.

[27] - Mazouni(Abdellah), culture et société: Le cas de L'Algérie 1962 à 1973, In RASJEP, Vol XII, n° 1, 1975, p24.

[28] - D.A.W.O, I 2260, Alger, 1938.

[29] - D.A.W.O, I 2260, Alger, 1939.

[30] - Bulletin Mensuel Du département D' Oran juin 1939.

[31]- الأمير سعيد، حفيد الأمير عبد القادر، تم استدعاؤه خلال مؤتمر الزوايا المنعقد بالجزائر، في الفترة مابين 14و 17 أفريل 1939 .

[32]- رشيد محمد الهادي بن تونس، المرجع السابق، صص 106، 107.

[33]- السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، لجامعه الحاج مصطفى العشعاشي، تحقيق و تحرير مصطفى يلس شاوش، مطبعة سقال، تلمسان، دون تاريخ النشر، ض 101.

[34]- رشيد محمد الهادي بن تونس، المرجع السابق، ص 191.

[35]- المرجع نفسه، ض 142.

[36]- رافق أستاذه الشيخ العلاوي في مختلف مراحل حياته إلى أن توفاه الله عام 1934، فقام من بعده، بالدعوة إلى الله و الإشراف على إدارة شؤون الزاوية الكبرى بمستغانم، و كتب كتاب " الروضة السنية في المآثر العلوية" يعالج فيه جوانب من حياة أستاذه.

[37]- عوض الله بن حسن مصطفى البحيصي، من أعلام الإصلاح الديني " الشيخ عدة بن تونس" ط1 ، المطبعة العلاوية، مستغانم، 1995، ص 60.

[38]- المرجع نفسه، ص 61.

[39]- عوض الله بن حسن مصطفى البحيصي، المرجع السابق، ص 87.

[40]- رشيد محمد الهادي بن تونس، المرجع السابق، صص 118-119.

[41] - D.A.W.O, I 4063, 17 Mai 1939.

[42] -Archives de sciences sociales des Religions, Octobre- Décembre 2007, p 78.

[43] - Les amis de l'islam, 1948.

[44] - Carlier (Omar) Intellectuels et militants en Algérie, 1850- 1950, p 131.

[45]- السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية ، لجامعه الحاج مصطفى العشعاشي، مطبعة سقال، تلمسان، صص 43-45.

[46] - D.A.W.O, BMQI, Rapport Barberousse Léon,(Administrateur Adjoint a Tlemcen), 03 Juin 1936, p 3.

[47] - Barberousse Léon,Op.cit, P4.

[48] - B.M.Q.I, Avril 1951.

[49] - D.A.W.O, I 2260, Centre D'information et D'études, Ravitaillement des Zaouïa, 21Mai 1941.

[50] - D.A.W.O, I 2260, Oran, 2 Février 1949, P 14.

[51] - Marthe et Edmond Gouvion, Kitab Ayane El Maariba.

[52]- Bulletin des questions Islamiques, Mai 1949, p36.

[53] - Ibid, p 36.

[54] - Ibid, p 37.

[55]- Ageron(CH.R), Genèse de L'Algérie Algérienne,pp 184-185.

[56] - Centre des Archives Nationales, Elections Aux délégations Financières, 19 Avril 1920, Boite 1502.

[57] - D.A.W.O, I 2260, Oran Le 27 Février 1949.

[58] - Ibid.

[59] - D.A.W.O, I 2260, Oran Le 27 Février 1949.

[60] - محمد قنانش - محفوظ قداش، , I 4480, Le Commissaire de Police d’Ain Temouchent, 14 Juillet 1940.

[61] - D .A.W.O, I 4471, Notice Signalétique des Caïds D’Oran 1919-1925.

[62] - D .A.W.O, I 4471, Notice Signalétique des Caïds D’Oran 1919-1925.

الحملة المزدوجة "الانجليزية _ الهولندية" على مدينة الجزائر 1816

من خلال وثائق خط همايون

أ/كمال حسنة، جامعة تيارت

ازدادت التدخلات الأوربية في حوض البحر الأبيض المتوسط، منذ بداية القرن التاسع عشر الذي تزامن مع بداية ضعف الدولة العثمانية، ولقد وضعت الجزائر من بين الأهداف الأساسية للدول الأوربية منذ مؤتمر فينا سنة 1815، لأن تدمير الأسطول الجزائري يضمن سلامة السفن التجارية الأوروبية، التي تجتاز البحر الأبيض المتوسط من الجزائريين، لذلك كان على الدول الأوربية إيجاد حل لهذه المشكلة وتكليف أحد الدول للقيام الكبرى بهذه المهمة، فكُلفت بريطانيا للقيام بحملة على الجزائر. والإشكالية المطروحة في هذا الصدد: ما هي الأهداف الحقيقية للحملة الإنجليزية على مدينة الجزائر؟ وما مدى نجاح انجلترا في تحقيق أهدافها؟ وكيف كان رد فعل الجزائريين؟

إن موضوع هذا البحث ليس جديدا، فقد سبق معالجته، من قبل مؤرخين، من بينهم عبد الجليل التميمي، كما أشارت إليه عدة مصادر ومذكرات منها مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، ومذكرات وليام شال قنصل أمريكا في الجزائر خلال فترة الحملة.

لكن ما حاولنا القيام به هو الإجابة على الإشكاليات المطروحة، بالاعتماد على الوثائق والتي تمكن أساسا في الخط الهمايوني [1]، الذي يحتوي على معلومات هامة حول ذا الموضوع، رغم تناقضها في بعض الأحيان، لكن بعد تحليلها ومقارنتها، يمكن إضافة معلومات جديدة تثري الموضوع.

التدخلات الإنجليزية في الجزائر قبل الحملة وموقف الدولة العثمانية:

خلال نهاية سنة 1815 وبداية 1816 تعاقبت السفن الحربية الإنجليزية على ميناء الجزائر، وكان يبدو أن تلك الزيارات المتوالية تنذر بحركة غير معتادة.

1.وصول أكسموث إلى الجزائر للتفاوض نيابة عن سردينيا ونابولي:

وصل اللورد أكسموث إلى الجزائر، في 31 مارس بأسطول يتكون من 17سفينة شراعية، لإجراء مفاوضات الصلح، نيابة عن نابولي وسردينيا، فأعلنت الجزائر استعدادها لذلك [2]، وبعد ذلك قدم الأميرال البريطاني شروطا للسلم بين الجزائر والمملكتين، قبلتها السلطات الجزائرية بعد مناقشة خفيفة، وبموجب هذه الشروط يلتزم ملك سردينيا بدفع مبلغ 500 دولار فدية لكل واحد من رعاياه

المحتجزين في الجزائر، وبالمقابل يعيد جميع الجزائريين المحتجزين في مملكته، دون فدية وأن يقدم هدية قنصلية، أما مالك نابولي، فقد التزم بمقتضى الشروط التي عرضتها بريطانيا، بأن يقدم مبلغ 1000 دولار فدية لكل واحد من رعاياه الموجودين بالجزائر، وأن يقدم الهدية القنصلية التقليدية مرة كل سنتين، ولقد ضمنت بريطانيا تطبيق الطرفين للمعاهدة(3).

2. عودة أكسموث إلى الجزائر لحل مشكلة الأسرى المسيحيين:

"الجدير بالذكر أن القائد الإنجليزي، الذي كان يقود أسطولي الإنجليز والفلمنك (الهولنديين) كان قد حضر إلى الجزائر ليطالب بحل المشكل المتعلق بالأسرى الأجانب الموجودين بالجزائر، مدفوعا من طرف الدول النصرانية المتفقة في تأييده في طلبه هذا، ومنطلقات مواقف حكومته الذي يتمثل في منع بيع وشراء الأسرى في العالم "(4).

وصل القائد الإنجليزي إلى الجزائر في 13ماي، وطالب من الجزائريين إطلاق سراح العبيد المسيحيين جميعا دون فدية، وألا تستعبد أي أوروبي في المستقبل، بل ينبغي أن تعتبره أسير حرب، وهدد بمهاجمة الجزائر في حالة رفض مطالبه (5)، لقد كان هدف أكسموث، من وراء حضوره إلى الجزائر، هو أخذ الأسرى وإبرام معاهدة صلح، يمنع بموجبها الأسر والاسترقاق والتعامل بهم عن طريق البيع والشراء في العالم(6).

3. موقف الجزائريين بين من اقتراح أكسموث:

لا بد من الاعتراف بأن الداي عمر (7) قد أبدى كثيرا من الحزم والحكمة والتبصر في هذه المناسبة، فهو لم يكتف بعرض المطالب البريطانية على الديوان الذي دعي للانعقاد آنذاك، بل وأيضا على الجنود في ثكناتهم، واتفق الجميع على منحه التأييد والمساندة في الموقف الذي سيتخذه (8).

رُفض طلب أكسموث، ولم يحضى بأي تأييد من طرف جميع أهالي الأوجاق ومشايخ الديوان، نظرا لأن ظاهرة الأسرى بالنسبة للأوجاق تكاد تعتبر بمثابة قضية حياة أو موت، باعتبارها الوسيلة الوحيدة والهامة التي تتحقق بها الحياة المعيشية في أوجاق الجزائر، حيث لو منعت لما أمكن لها الاستمرار في الكفاح، ضد القوى المتصارعة في العالم، فضلا عن ذلك فإن هذه الظاهرة كانت تعتبر الركيزة الأساسية للجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته في مشارق الأرض ومغاربها، وبذلك لا يمكن فصلها عن الحياة الجهادية لأوجاق الجزائر (9).

وعقب ذلك رد الداي على مطالب الأميرال أكسموث، قائلا أنه بالنظر إلى أن إيالة الجزائر، ولاية من ولايات الإمبراطورية العثمانية فهو لا يستطيع الموافقة على اقتراحه، قبل أن يجري مشاورات مع الباب العالي (10). ومنه طلب مهلة ستة أشهر، لاستشارة المقام الشهاني، قصد تحقيق النظر والإطلاع الهمايوني في الموضوع المطروح، ثم بعد ذلك يكون العمل بمقتضى الإرادة السنية، التي سوف تتجلى فيه قبولا واستحسانا (11).

وعندئذ هدد اللورد أكسموث بتدمير مدينة الجزائر، إذا صمم الداي على هذا الموقف في رفض شروطه، وأعطاه مدة ثلاثة ساعات للمشاورة والرد النهائي، وحينئذ وجه الداي لوما إلى الأميرال البريطاني على سلوكه الغريب، فرفض مطالبه بصفة نهائية وطلب منه أن يسحب أسطوله من مرمى المدافع الجزائرية (12)، وبذلك عاد أكسموث إلى سفينته وهو يهدد بضرب المدينة.

4.الصلح بين انجلترا والجزائر:

مر يومان على مغادرة أكسموث، تخللتها تهديدات من طرف هذا الأخير، وفي اليوم الثالث أرسل مبعوثا إلي الداي وأخبره بأنه موافق على اقتراح الديوان، المتعلق بترك أمر إلغاء الرق للقرار الذي يتخذه الباب العالي، وبذلك عادت الأمور إلى نصابها (13).

توصل الجزائريون إلى هدفهم وحصلوا على مهلة ستة أشهر للنظر من جديد في قضية الأسرى(14)، وبالتالي الوقوف على رأي الباب العالي، وإتمام الاستعدادات من تأمين الذخائر وجلب الجنود وتحكيم المواقع وغيرها من الأعمال (15).

5.موقف الدولة العثمانية من الوضع:

رغم الصلح بين بريطانيا والجزائر، إلا أن الوضع بقي ينذر بالخطر، لأن الدول الأوروبية وضعت الجزائر ضمن أهدافها الأساسية منذ مؤتمر فينا، وقصد الإحاطة بكل جوانب الموضوع يجب إبراز موقف الدولة العثمانية، من التدخلات الإنجليزية في الجزائر.

وصلت أخبار متناقضة إلى الدولة العثمانية، فيما يخص قضية تسليم الأسرى للإنجليز حيث وصلت تقارير تأكد التسليم وأخرى تأكد العكس (16)، أما فيما يخص النوايا الحقيقية للدول الأوروبية فقد أكدت التقارير التي حصلنا عليها أن الأخبار التي وصلت إلى الدولة العثمانية كانت متناقضة، فتقرير والي أزمير كان مناقضا للتقرير الذي ورد من طرف متصرف رودس، لذلك فلم تقم بأي إجراء في بداية الأمر، وأرادت القيام بتحقيق في الموضوع فلجأت في بداية الأمر إلى الاستفسار من سفير

السويد، لأن بلاده في تلك الفترة كانت قد اتبعت سياسة الحياد اتجاه المصالح الغربية في البحر المتوسط ،كما أن هذا السفير سبق وأن أعطى بعض المعلومات السرية المتعلقة بالدول المتفقة.

ولذلك رأى الباب العالي أن هناك إمكانية الاستفسار من هذا السفير بطريقة ودية، عن طريق ترجمانه الخاص لمعرفة ما إذا كان قد شعر أو شك بشيء أثناء اجتماعاته بسفراء هذه الدول، لكن عندما تأخر السفير السويدي في الإجابة وإعطاء تفسير عن الموضوع، أحيلت القضية إلى مجلس الشورى قصد المداولة، وقد تقرر بعد ذلك انتظار جواب السفير للعمل بمقتضاه، مع مواصلة التحقيقات السرية للتوصل إلى الحقيقة [17].

كان موقف الدولة العثمانية غامضا، كما أنها ترددت في اتخاذ قرار محدد وواضح، لذلك كان على الداي عمر ضبط الأمور وتحضير أسطوله قصد صد أي هجوم مرتقب.

الحملة ونتائجها

وصلت أخبار المفاوضات الإنجليزية الجزائرية إلى أوروبا، فأثارت موجة من الاحتجاج واتهمت الحكومة الإنجليزية بأنها لا تعمل إلا من أجل مصالحها ولا تهتم بالأضرار التي تلحقها بالآخرين في سياستها مع الجزائر، كما أن إنجلترا لم تحقق أهدافها في المفاوضات لذلك كان من الضروري الإعداد لحملة أكثر فعالية.

1.إقلاع الأسطول الإنجليزي نحو الجزائر والتحضير للهجوم:

أمرت الحكومة الإنجليزية بتجهيز أسطول أقلع من ميناء "بورت سموث" وأبحر في اتجاه البحر المتوسط في شهر يوليو 1816[18]. وعندما خرج من مالطة التقى مع عشرة من فراقط الفلامنك[19]، وكان قائد الأسطول الفلمنكي يدعى بارون واندرقلن [20].

حسب تقرير والي أزمير فإن الأساطيل المذكورة قبل أن تتجه هي بنفسها إلى الجزائر، أرسلت سفينة فرنسية من أجل الاستغفال ومحاولة إنقاذ القنصل الإنجليزي، وادعوا أنهم أتوا لتسوية مشكلة الأسرى، فطالبو أن يأتي القنصل الإنجليزي رفقة شخصية جزائرية لإجراء عقد الصلح، وبذلك سُمح لهم لمغادرة ميناء الجزائر بواسطة السفينة الفرنسية.

بعد إنقاذ القنصل الإنجليزي بهذه الطريقة، توجهت الأساطيل المذكورة نحو الجزائر [21]، هذا رغم المصالحة التي تمت بين الطرفين، للانتظار مدة ستة أشهر للبحث من جديد فيما يتعلق بقضية الأسرى، و بالتالي ظهروا في المياه الجزائرية بأسطول يتكون من ثلاثين قطعة من السفن الأسطولية [22]، ولقد

ظهرت هذه القوة البحرية عند مدخل ميناء الجزائر في صبيحة يوم 27 أوت 1816[23]، حيث كان الجو لطيفا و الهواء ساكنا لا يكاد يعكر هدوءه إلا نسيم عليل وكان من الممكن رؤية الأفق البحري كله وهو مغطى بالسفن الحربية، ذات الأشكال المختلفة من البارجة العظيمة ذات الثلاث طبقات إلى مركب المدفعية الصغير[24]، وكان في وسط الأسطول الإنجليزي- الهولندي علم أبيض يرمز إلى الصلح والسلام.

قام قائد الأسطول اللورد أكسموث بإرسال مبعوث على متن زورق صغير، ومعه رسالة إلى قائد الميناء، يطالب فيها بتسليم الأسرى الإنجليز والرد على الرسالة في مدة ساعة [25]. وقد بقي الرسول ينتظر الجواب عند باب المرسى وذهب رئيس الميناء إلى الداي بدار الإمارة فوجده نائما، وحتى وكيل الخرج عندما أخبر بذلك، منع القبطان من قصف الأسطول كونه يحمل الراية البيضاء، وهدد بقتل كل من يضربه[26].

2. بداية القصف:

بعد أن استكمل الإنجليز تحضيرهم وعودة رسولهم إلى الأسطول، تقدمت سفن الأسطول المزدوج نحو الميناء، حيث اقتربت أربعة سفن من نوع الفرقاطة وثلاثة سفن من ذوات المخازن الثلاثة رافعة علم السلام، ودخلت تحت الأبراج، وخارج متناول المدفعية الجزائرية، ثم بدأت السفن المتقدمة تطلق النيران في غفلة من الجزائريين [27]، وبأمر من القائد أكسموث ناقضا بذلك المعاهدة التي تقضي بانتظار مدة ستة أشهر.

تصدى الجزائريون لهذا الهجوم بكل ما عندهم من قوة، فالتحمت القوتان واشتبك الجيشان وتعالت النيران وتهاطلت الطلقات كالأمطار في ملحمة قاسية وفاصلة لم يقع ولم يشهد مثلها في الجزائر ولا في غيرها[28].

ومما يدل على هول المعركة ما قاله الزهار في مذكراته حيث قال أنه رأى طيور بيضاء تحوم حول البلد والأبراج وهو بعيد عن البلد (مكان المعركة) قدر ساعة من الزمن، وكان ذلك من ضوء النار، وأضاف أنه عند بداية القتال لم يستطع أحد من أهل البساتين الذهاب للبلد، لأن الطرقات قد قطعت من ضرب الكور، الذي كان كالمطر الغزير، حيث لا يرى إلا الغبار [29].

ذكر القبطان علي في تقريره إلى الباب العالي أن الحرب المشتعلة استمرت من الساعة الثامنة نهارا إلى منتصف الليل، وكان من الصعب التعبير عن حقيقة المعركة ووصفها لفظاعتها، ولقد ساعد ركود الجو على استمرار المعركة في الليل [30].

ويجب الإشارة هنا إلى التصرف السيئ للداي عمر، الذي لم يقدم جوابا لبعوث الأميرال الإنجليزي، إضافة إلى ذلك سماحه للأسطول المشترك باجتياز المواقع الملائمة لقصف المدينة، دون أي يخطر في باله مقاومته [31]، ومنه فإن الجزائريين كانوا قد خسروا المعركة منذ بدايتها، بعد أن سمحوا للأساطيل المذكورة باجتياز مرمى مدافعهم بحيث تسنى لهم قصف المدينة بسهولة.

3.نتائج المعركة:

تضاربت الآراء فيما يخص نتائج المعركة إلى درجة إعطاء أرقام خيالية للجرحى والقتلى، لذلك فمن الصعب علينا التدقيق في هذا الجانب، لكن من خلال الوثائق التي بحوزتنا سنحاول إبراز أهم النتائج التي انجرت عن هذا القصف.

إن أول الآثار ظهرت بعد الغروب عندما توقفت المدافع عن القصف لبعض الوقت، حيث هدأت الحالة وانقشع الظلام المخيم على الأفق الجزائري، فانكشفت الخسائر الجسيمة التي لحقت بالجزائر والجزائريين، فكم من السفن الموجودة بالميناء احترقت وكم من المحلات والدكاكين والجوامع والبيوت خربت واحترقت، وكم من الجزائريين أصيب بجروح واستشهد، هذا فضلا عن احتراق الترسانة ونفاذ الذخيرة الحربية، كل هذا كان بسبب نيران المدفعية التي كانت تتهاطل على المواقع الجزائرية ومدينتها تهاطل الأمطار [32].

رغم ذلك فإن القبطان علي في تقريره المفصل عن أحداث المعركة ونتائجها الموجه إلى الباب العالي، قدر عدد القتلى والجرحى من الجزائريين ب (300) نفر، كما أحرقت أربعة سفن من الفرقاط وأربعة أخرى من نوع فوروت، بسبب اشتعال النيران في الميناء،، أما من الجانب الإنجليزي – الهولندي فقدر القبطان علي عدد القتلى والجرحى ب (3000) نفر (رقم مبالغ فيه) من بينهم ثمانية أو عشرة قباطنة ،كما احترقت سفينتين لهم وخربت قطعتان من النوع ذات المخازن الثلاثة وقطع أخرى من نوع القليون الكبار [33]، كما أشار والي أزمير في تقريره إلى إصابة قائد الأسطول الإنجليزي بجروح بالغة الخطورة [34].

أما قائد الأسطول الإنجليزي فقد أشار من جهته في تقرير مفصل عن الخسائر التي لحقت بالجزائريين تحت عنوان: "تفاصيل عن تدمير قطع الأسطول الراسي في ميناء الجزائر "إلى: تدمير أربعة بوارج كبيرة ذات أربعين مدفعا للواحدة وخمسة حراقات كبيرة ذات 30 مدفعا للواحدة، وجميع الزوارق الحربية التي يبلغ عددها ثلاثين زورقا، هذه السفن دمرت تدميرا تاما فيما عدا سبع منها، كما دمرت عدد من السفن التجارية وبعض السفن الصغيرة من مختلف الأحجام والأشكال، كما دمرت جميع الجسور جزئيا "[35].

لكن لا يمكننا إثبات صحة هذه المعلومات حول الخسائر المادية، لكن القبطان علي في تقريره إلى الباب العالي قال إن القذائف تركت ثغورا في بعض المناطق من أبراج القلعة، إلا أنها لم تهدم عن آخرها، أما المخازن والمحلات الواقعة خارج الترسانة فلم تصاب بشيء كما لم تصاب المساكن الواقعة داخل القلعة كونها من الكاركير وليست من الخشب [36].

امتدت آثار هذا القصف إلى عنابة، حيث كانت سفن دول مختلفة مرابطة قصد صيد المرجان فخرج إليهم حوالي (500) نفر من المدينة وهجموا عليهم وقتلوا منهم حوالي (300) نفر واستولوا على(100) قطعة من السفن مع طواقمها، بينما فر القنصل الإنجليزي بصعوبة، بعدما أصيب بجروح بالغة الخطورة كل هذه الأحداث كانت بسبب القصف الإنجليزي لمدينة الجزائر [37]، ولقد أكدت تقارير القنصل الفرنسي الموجهة إلى غرفة التجارة بمرسيليا صحة هذه المعلومات [38].

إن الشيء المؤكد هو أن الحملة الإنجليزية كانت ذو فعالية كبيرة، حيث دمرت الأسطول الجزائري والدليل على ذلك قبولها للصلح للشروط الإنجليزية التي كانت قد رفضتها قبل ثلاثة أشهر تقريبا، كما أن طلب المساعدة من الباب العالي، دليل على الآثار الوخيمة التي تركها القصف.

عقد الصلح وإعادة بناء ما خرب أثناء القصف:

لا شك في أن الآثار الوخيمة التي تركها القصف الإنجليزي – الهولندي لمدينة الجزائر قد أجبر الجزائريين على قبول الصلح، قصد إعادة بناء القوة البحرية المنهارة.

1.الصلح بين الجزائر وإنجلترا:

في صباح اليوم التالي (28 أوت 1816) بعث الأميرال زورقا على متنه رسوله حاملا رسالة مضمونها شروط الصلح بين الطرفين، والتي تتمثل أساسا في إرجاع الجزائريين جميع الأسرى النصاري، وعقد الصلح مع الفلمنك [39]، كما طلب أكسموث إعادة مبلغ (350) ألف دولار كان

ملك نابولي وملك سردينيا قد دفعها فدية للرعايا الذين أطلق سراحهم في شهر أفريل أي قبيل الحملة بحوالي شهر. [40].

لما وصل الترجمان (الرسول) إلى الجزائر قال: «إننا لم نرد ما حصل بيننا لقد وقعت خسائر جسيمة لكلا الطرفين، غير أننا لا نتحمل وحدنا المسؤولية، لأننا كلفنا للقيام بهذه المهمة تجاهكم من قبل جميع الدول المسيحية المثقفة على ذلك، وهي التي دفعتنا إلى القيام بما قمنا به من الأعمال الحربية إزاءكم، فإذا لم ترغبوا في الصلح والمصالحة معنا فإننا سوف نجبر على العودة إلى الحرب معكم من جديد"[41].

أمام هذا الوضع اجتمع الديوان للنظر في هذه القضية، وبعد مداولة الأفكار تقرر مواصلة الحرب مع إنجلترا دفاعا عن الدين والوطن [42]، فقام رجل من أحقر العسكر وأصغرهم فقال لهم:"... بأي شيء نقاتله؟ إن كل المدافع تحت الردم..."، ولقد كثر الكلام بين مؤيد ومعارض لمواصلة القتال وفي الأخير تدخل الداي عمر وقال: «اكتبوا له وأعطوه ما يريد "[43].

فسر القبطان علي هذا الميل إلى المصالحة والاستجابة لمطالبهم كون الدول الأوربية كلها تنوي الشر للجزائر والانتقام منها، لذلك فلا يمكن إيقافهم عند حدهم [44]، أما الداي عمر في تقريره إلى الباب العالي، فقد اعترف بأن الجزائريين أجبروا على قبول الشروط، وعقد الصلح سبب الوضعية الصعبة التي أصبحت فيها الجزائر، وبذلك وقع الصلح وفق الشروط السابقة بمقتضى اتفاقية أبرمت بين الطرفين حتى تتاح الفرصة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من ويلات الحرب خاصة بعد أن أصبحت الجزائر ضعيفة من حيث الذخائر والمهمات [45].

بعد أن تمت عملية تسليم الأسرى، الذين وصل عددهم إلى (1500)، والذين كانوا يشكلون المحور الأساسي في الحروب التي وقعت بين الطرفين، أجريت المراسيم اللازمة والمألوفة من أجل تجديد العهد والميثاق، ضمن شروط معينة بين الطرفين [46].

نصت المعاهدة التي وقعت بين أكسموث والداي عمر، على عدم أسرى النصارى (في حالة السلم) وإذا ما وقعت حرب بين الجزائر مع أية دولة أوروبية لا يوضع الأسري تحت العبودية، ولكنهم سيكونون كمسجونين بسبب العداوة، وبعد نهاية الحري، سيبعثون إلى بلادهم من دون فدية، وبذلك ستبطل العادة التي تعتبر أسرى الحرب عبيدا. هذا أهم ما نصت عليه المعاهدة التي وقعت يوم الإثنين الرابع من شوال سنة 1231الموافق لـ 28 أوت 1816 [47].

كما وقع الصلح مع الفلمنك، حيث أنهم لم يدفعوا شيئا، مما كانوا مطالبين به وهو غرامة سبعة سنين، ولقد اعتزم الفلمنك على دفع غرامة سبعة سنين، مقابل الصلح في أجل محدد [48].

وقع الصلح بين الطرفين وفق الشروط التي فرضها الإنجليز ولم يكن في وسع الجزائريين مناقضة هذه الشروط لأنهم لم يكونوا في موقع قوة ومما أن شروط المعاهدة قد فُرضت على الجزائريين فهم الطرف الخاسر في الحرب، كما أننا نلاحظ من خلال المعاهدة، أنها تخص كل الدول الأوربية لذلك يمكن القول أ إنجلترا كلفت من قبل الدول المسيحية للقيام بهذه المهمة.

لكن من خلال العودة إلى مراسلات "دو تستا" عثرنا على وثيقة هامة تتمثل في مقال أحد الجرائد الانجليزية الصادرة في تلك الفترة، والتي أكدت أن هدف الحملة هو احتلال الجزائر، وانتقدت اكسموث بشدة بسبب أقدامه على عقد الصلح وعدم استكمال مشروع غزو الجزائر [49].

2.تجديد السفن والحصون:

تمثلت الضرورة الملحة بعد عقد الصلح في إعادة بناء البحرية، فما كاد الأسطول الإنجليزي يختفي عن الأنظار حتى بدأت الأعمال بكل جد ونشاط لإصلاح الأضرار التي لحقت بالسفن والمنشآت، فجُند آلاف العمال، حيث بعث الداي إلى مختلف العمالات وطلب من باياتها أن يبعثوا البنائين الذين عندهم وأمرهم بإصلاح الأبراج، رفقة بنائي عمالة الجزائر، وقد وقف الداي معهم وهم يعملون ليلا ونهارا، ولم ينتهي شهر حتى أصلح ما فسد من الأبراج وبني الجامع الأعظم وعاد كل شيء إلى أصله [50].

نلاحظ أن عدد البنائين الموجودين في عمالة الجزائر لم يكونوا كافين لإصلاح ما خربته الحرب، لذلك طلب الداي مساعدة العمالات الأخرى مما يدل على ارتفاع حجم الخسائر، ولقد حاول الداي إصلاح الأوضاع ومحو تلك الآثار قصد مواجهة أخطار أخرى مترقبة.

3. طلب المساعدة من الباب العالي:

كان من الطبيعي أن تتجه الجزائر إلى الباب العالي لأجل طلب المساعدة حيث أنه نظرا للأوضاع السيئة التي آلت إليها بسبب فقدان إمكانياتها حيث طالب الداي عمر في تقريره إلى الباب العالي أن يمده ببعض القطع من السفن القرصنية قصد سد الحاجة الملحة التي نشأت بعد الحرب الضروس مع الإنجليز وإلى بسببها لم تتمكن الجزائر من بناء سفن لمدة سنة أو سنتين، حسب الداي عمر، الذي يرجع ذلك إلى عدم وجود الطاقات الكافية، كما أن الجزائريين سينشغلون في بداية الأمر

بإصلاح وتعمير ما خربته الحرب من الأبراج والترسانة [51]. ولقد أكد ذلك القبطان علي في تقريره المفصل إلى الباب العالي حيث طالب بدوره منه أن يبعث لهم المهمات والجبخانة والجنود، قصد إحياء قوتها [52].

بعد أن أ طلعوا الباب العالي بأوضاعهم المنهارة وما حصل مع الإنجليز منح لهم السلطان العثماني محمود الثاني ثلاثة مراكب من نوع فرقاطة واثنتين من نوع كربيت ومدافع وآلات حربية.

كما كتب الداي عمر إلى سلطان المغرب مولاي سليمان، وبعث الحاج محمد العنابي قاضي الحنفية اليه، ولما وصل استضافه السلطان وقدم له مركبتين من نوع كريبط كما قدم له أموالا، أما يوسف باشا أمير طرابلس فقد بعث بدوره إعانة للجزائر [53].

خاتمة:

ازداد تدخل إنجلترا في الجزائر خلال بداية سنة 1816 وكانت تسعى إلى حل مشكلة الأسرى المسيحيين بصفة عامة في بداية الأمر مما يدل على أن نواياها الحقيقية لن تتوقف عند هذا الحد، بل ستطور إلى أمور أخرى مع مرور الوقت وهذا ما حصل فعلا.

كما أن إنجلترا لم تخطط لوحدها للقيام بحملة ضد الجزائر بل حظيت بتأييد العديد من الدول الأوربية وهو ما أكده المبعوث الذي أرسله الورد أكسموث للصلح بعد نهاية القصف لان تحطيم الأسطول الجزائري يخدم المصالح الأوربية بصفة عامة، ولو أن الهدف الأساسي لتلك الحملة كان يتمثل أساسا في غزو الجزائر.

أما فيما يخص الحملة لاحظنا أنها تتكون من أسطولين إنجليزي-هولندي، هذا دليل على أن الأسطول الجزائري في تلك المرحلة لا يزال قويا، لذلك رأت إنجلترا ضرورة التحالف مع أسطول آخر قصد تحطيم الأسطول الجزائري الراسي بالميناء.

ويجب أن تأكد على موقف الدولة العثمانية من التدخلات الإنجليزية في الجزائر قبل الحملة، حيث لاحظنا من خلال الوثائق التي حصلنا عليها ترددها في اتخاذ قرار واضح، وكانت في كل مرة تأكد أن التقارير التي تصلها متناقضة فيما يخص النوايا الحقيقية للدول الأوروبية، هذا التردد يمكن إرجاعه إلى عدة أسباب أولها أن الدولة العثمانية لم تكن في موقع قوة في تلك الفترة حيث كانت الأخطار تحدق بها من كل جهة إضافة إلى التمردات الداخلية. كما أنها فقدت العديد من ممتلكاتها خاصة في أوربا، لذلك كان على الداي عمر الفترة تحضير نفسه لصد أي هجوم مرتقب من قبل إنجلترا وحلفائها وذلك

باستعمال الإمكانيات التي تتوفر عنده حيث أننا لم نجد في مختلف التقارير والوثائق ما يثبت أن الدولة العثمانية قدمت مساعدات للجزائر قبل الحملة.

كانت الحملة المزدوجة ذات فعالية كبيرة حيث كانت كل العوامل في صالح الأسطول الانجليزي – الهولندي خاصة وأن الداي عمر ارتكب خطأ استراتيجيا قبل بداية القصف، عندما سمح لسفنهم باجتياز مرمى المدافع الجزائرية، وتعتبر هذه النقطة من العوامل الأساسية التي ساعدت الأسطول المشترك حيث أصبح في مأمن من المدافع الجزائرية، كما أنه أصبح في موقع ملائم لقصف المدينة وإشعال النيران في السفن الراسية في الميناء.

وهنا يجب الإشارة إلى نقطة مهمة تتمثل في الأسطول الذي بادر بالقصف، فقد اختلفت الوثائق والمصادر التي حصلنا عليها حول هذا الموضوع، لكن الشيء المؤكد هو أن الأسطول المشترك عندما وصل الجزائر بذلك العدد الكبير من السفن كان ينوي القيام بقصف المدينة وأخذ الأسرى من دون فدية ولو جاء للصلح لما أتى بذلك العدد الكبير من السفن وكان على الداي عمر التفطن لهذا الأمر منذ البداية، لكنه خدع بالعلم الأبيض الذي كان في وسط الأسطول فأمر بعدم إطلاق النار عليه في البداية.

أما فيما يخص نتائج المعركة فكان من الطبيعي أن تتضارب الآراء حول الطرف الذي خسر أكثر، إلى درجة إعطاء أرقام خيالية، لكن المهم ليس في عدد القتلى والجرحى من الجانبين بل في الطرف الذي انتصر في المعركة، فالشيء المؤكد هو أن الإنجليز حطموا الأسطول الجزائري وبعض الأبراج، لكن رغم ذلك وجدنا في التقارير أن الأوضاع كانت على ما يرام (التقارير الجزائرية)، وفي نفس التقرير نجد الداي عمر يطلب المساعدة من الباب العالي.

أدى القصف إلى خسائر وخيمة للطرفين، حتى الأسطول المشترك تضرر من جراء المعركة والدليل على ذلك أنه انسحب بعدما تكسرت عدة قطع من أسطوله فالصلح كان يخدم الطرفين وهو ما وقع فعلا، فقام الجزائريون بإعادة بناء ما خرب، كما وصلت بعض المساعدات إليهم لكنها كانت قليلة إذا ما قارناها بحجم الخسائر.

الهوامش:

(1) عددها أربعة ألاف وثيقة محفوظة بالأرشيف الوطني الجزائري، استرجعها احمد توفيق المدني عندما كان سفيرا للجزائر بتركيا في سبعينيات القرن الماضي، ثم ترجمت من قبل فكرى طوبى.

(2) أبو العبد ودودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 65-66.

(3) سلسلة الدراسات الكبرى، (مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)، تعريف وتعليق وتقديم العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982 ص 150-151

(4) مركز الأرشيف الوطني الجزائري: خط همايون عدد 22486(173)،، تاريخ1231.

(5) أبو العبد دودو، المرجع السابق ص 66.

(6) خط همايون، عدد22486(173)، المصدر السابق.

(7) الداي عمر: هو داي الجزائر من07 أفريل1815 إلى 08 سبتمبر1817، لم يتلق هذا الداي أي نوع من التعليم، فلم يكن يعرف القراءة والكتابة ورغم ذلك فقد زودته الطبيعة بصفات الحاكم وكان في حوالي الأربعين من عمره قوي البنية موفور الحيوية.

(8) مذكرات وليام شالر، المصدر السابق، ص. 153.

(9) خط همايون، عدد22486(173)، المصدر السابق

(10) مذكرات وليام شالر،مصدر سابق، ص. 153.

(11) خط همايون، عدد22486(173)، مصدر سابق.

(12) مذكرات وليام شالر، المصدر السابق، ص. 153.

(13) أبو العبد دودوا، المرجع السابق،ص 66.

(14) الأرشيف الوطني الجزائري خط همايون، عدد22486(170)، تاريخ 1231.

(15) خط همايون، عدد22486(173)، المصدر السابق.

(16) الأرشيف الوطني الجزائري، خط همايون، عدد22500(178)، ،تاريخ1231.

(17) الأرشيف الجزائري الوطني،خط همايون،عدد17822(167)، تاريخ1231

(18) مذكرات وليام شالر، المصدر السابق ،ص. 155.

(19) الشريف الزهار (الحاج أحمد): مذكرات 1754-1830، نشر وتحقيق وتعليق: أحمد توفيق المدني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزاءر،1980، ص. 121.

(20) الأرشيف الوطني الجزائري خط همايون، عدد22486، تاريخ 1231.

(21) الأرشيف الوطني الجزائري، خط همايون، عدد22486(172)، تاريخ1231.

(22) خط همايون، عدد22486(170)، المصدر السابق.

(23) أبو العبد دودو، المرجع السابق، ص 67.

(24) مذكرات وليام شالر، المصدر السابق،ص. 289.

(25) خط همايون،عدد22486(170)، المصدر السابق.

(26) مذكرات أحمد الشريف الزهار المصدر السابق، ص. 122.

(27) ذكر الزهار في مذكراته أن الجزائريين هم الذين بادروا إلى ضرب الأسطول البريطاني الهولندي بأمر من الداي عمر.

(28) خط همايون، عدد22486(173)، المصدر السابق.

(29) مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 124.

(30) خط همايون، عدد22486(170)، المصدر السابق.

(31) مذكرات وليام شالر، المصدر السابق، ص 156.

(32) خط همايون، عدد22486(173)،المصدر السابق.

(33) خط همايون، عدد22486(170)، المصدر السابق.

(34) خط همايون، عدد22486(172)، المصدر السابق.

(35) أكسموث اللورد: تفاصيل عن تدمير قطع الأسطول الراسي في ميناء الجزائر، نقلا عن وليام شالر في مذكراته.

(36) خط همايون، عدد22486(170)، المصدر السابق.

(37) الأرشيف الوطني الجزائري، خط همايون، عدد22523، ا، تاريخ 1231.

(38) C.C.M.Série MQ52 /03, Algérie France 1802- 1834.

(39) مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 124

(40) مذكرات وليام شالر، المصدر السابق، ص156.

(41) خط همايون، عدد22846(170)، المصدر السابق.

(42) خط همايون، عدد22486(170)، المصدر السابق.

(43) مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 124-125.

(44) خط همايون، عدد22486(170)، المصدر السابق.

(45) خط همايون، عدد22486(173)، المصدر السابق.

(46) خط همايون، عدد22486(170)، المصدر السابق.

(47) مولود قاسم نايت قاسم: استمرارية الدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، في مجلة الثقافة، عدد خاص بمئوية وفاة الأمير عبد القادر ،1983، ص 17.

(48) مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 125.

(49) L.B.I De Testa, **Recueil des traités de la porte ottomane avec les puissances étrangère,** Tome 1, Amayot éditeur des archives, diplomatique, paris , 1867,p.444.

(50) أبو العبد دودو، مرجع سابق 69.

(51) خط همايون، عدد22486(173)، المصدر السابق.

(52) خط همايون، عدد22486(170)، المصدر السابق.

(53) مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 127.

ملف الفلسفة، علم الاجتماع وعلم النفس

المعوقات الوظيفية في العلوم الإجتماعية

"المجتمع الجزائري أنموذجا"

د. لكحل فيصل، جامعة تيارت

مقدمة:

تبين مقاربة سوسيو–تاريخية للمجتمع الجزائري أن هناك عدة عوائق حالت دون تحقيق التنمية الثقافية والحضارية المأمولة له، وذلك لأن العلوم الإجتماعية التي يعول عليها في فهم المجتمع ومعرفة حاجياته ومتغيراته المختلفة إنما هي علوم حديثة العهد، من حيث الاهتمام بها أو من حيث دراستها أو تطبيق نظرياتها على المجتمع الجزائري، ولعل الأمر يعود بالأساس إلى كون هذه العلوم لم تكن نابعة من خصوصية المجتمع الجزائري، وإنما هي علوم فرضتها التطورات العلمية في مجال علوم الإنسان والمجتمع في الغرب، ومن ذلك أن النظريات التي قدمتها كانت كلها نظريات غربية، وبالتالي شكل هذا الأمر أهم عائق حال دون النهوض بالمجتمع الجزائري، ولكن على الرغم من ذلك هناك عدة عوائق وظيفية أخرى تكمن في العوائق الداخلية المتعلقة أساسا بطبيعة المجتمع الجزائري وبالخصوصية السوسيولوجية والسوسيو–ثقافية للمجتمع.

إن المجتمع الجزائري وإن كان يحمل في ذاته الإرادة الإجتماعية التي يمكنها أن تغير من أوضاعه الحضارية التي يعيشها، إلا أن هذه الإرادة الإجتماعية لم تتمكن بعد من أن تطال الواقع الإجتماعي بالشكل الحضاري المناسب، ولعل رأس الأمر كله يرجع ولا شك إلى وجود عوائق تعمل على بتر الروابط التي تجمع عالم الإرادة مع عالم الإمكانات الحضارية. ولكن ما هي المعوقات الوظيفية التي تواجه العلوم الإجتماعية في الجزائر؟ وبالتالي كيف يمكن تجاوز هذه العوائق من أجل النهوض بالمجتمع الجزائري؟

1–العلوم الإجتماعية والواقع الإجتماعي:

أصل كلمة أنثربولوجيا مشتق من كلمتين يونانيتين هما anthropos ومعناها "الإنسان" و logos ومعناها "علم"، وعليه فإن الاصطلاح الأنثروبولوجيا (anthropology) هو علمُ الإنسان والمجتمع، وتعرف علوم الإنسان والمجتمع على أنها دراسة تخص كل ما له علاقة بالإنسان والمجتمع بصفة عامة من خبرات وعلوم ومعارف وعلاقات وتأثير وتأثر وتواصل وتفاعل من خلال السعي إلى فهمها ومعرفتها، والعلوم الإنسانية والإجتماعية بهذا هي معرفة الإنسان بوجوده الإجتماعي العام والكلي وتتميز

معرفة الظواهر البشرية والإجتماعية بأنها تاريخية ذات أبعاد تجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل ومن ثم تسعى علوم الإنسان والمجتمع في منتهاها إلى دراسة الظواهر الإنسانية والإجتماعية ومعرفة تطورها التاريخي.

وتعرف علوم الإنسان بالأنتروبولوجيا، أي بمعنى الدراسة العلمية للإنسان والمجتمع، من حيث كونه كائن ذو أبعاد تاريخية واجتماعية، أو من حيث أن الظواهر الإنسانية تخضع لمتغيرات المجتمع والتاريخ وبالتالي تفعل وتنفعل بهما، وعلوم الإنسان من جهة أخرى تتعلق بالحياة الإنسانية، من حيث أن الإنسان كائن بيولوجي إلى جانب أنه كائن اجتماعي.

إن دور العلوم الإجتماعية في المجتمعات الحديثة لم يصبح مقتصرا على الدراسات النظرية التي تهدف إلى تثبيت التنظير الفكري باعتباره المعيار في الحكم على المجتمعات ومن ثم القدرة على فهم تغيراتها التاريخية، وإنما أضحى دور العلوم الإجتماعية موجه مباشرة إلى الواقع الإجتماعي لا من أجل فهمه ووصفه وتحليليه فقط، بل ومحاولة تغييره وفق متطلبات الحياة الإنسانية المتجددة والمتغيرة، كما تم توظيف العلوم الإجتماعية في إيجاد الحلول للكثير من المشكلات والأزمات الإجتماعية التي تواجه المجتمعات من خلال تحديد كيفية الاستفادة من الحقائق النظرية في تحقيق التنمية الإجتماعية والنهوض بحال المجتمع.

من هنا فإن الأدوار التي تتميز بها العلوم الإجتماعية تكمن كلها في محاولة تحقيق التنمية والبناء الإجتماعي المتكامل الذي يكشف عن قيمة المبادئ والقيم الثقافية التي تمثل خصوصية المجتمع ومدى تفاعله مع تلك المبادئ الثقافية، ولكن المجتمع لا يملك كل تلك الضمانات التاريخية التي تدفع به –من خلال إمكاناته وقيمه الثقافية والخصوصية التي يتميز بها– أن يحقق التنمية والبناء الحضاري المأمول، لأن أمر البناء والتنمية أو التجديد والنهضة في ما يخص المجال الإجتماعي ليس أمرا إراديا يخضع بشكل مباشر إلى إرادة الإنسان أو إلى الإمكان الإجتماعي، وإنما هو أمر نفسي وتاريخي بالمثل نفسه، أي أنه يخضع لشروط الأنفس ولمتغيرات التاريخ. ويتبين من خلال المتغيرات السوسيولوجية المعاصرة أن التاريخ ينفتح أكثر من أي وقت مضى على الكثير من المستجدات، حتى أن بعض المفكرين الكبار مثل فريديريك هيجل (1770م-1831م) وفرنسس فوكو ياما (1952م) قد تنبؤ بنهاية التاريخ، بمعنى أفول الثقافي وتحلل الإجتماعي زمنيا، ذلك أن الزمان ينساب تاريخيا في حركة خطية فهو لا يعود على ذاته أبدا، بل أنه حتى نظرية ابن خلدون حول الدورة التاريخية للمجتمع، وما قال به مالك بن نبي وغيرهم كثر، لا تكاد تصدق هنا، خاصة بالنسبة للعالم العربي والإسلامي المعاصر، ذلك أنه ومنذ عصر ما بعد الموحدين بقى العالم العربي والإسلامي يراوح المكان ذاته من دون انطلاقة حاسمة في التاريخ، إذ في الوقت ذاته الذي ينساب فيه التاريخ أماما نجد أن الثقافية/ المجتمع العربي والإسلامي ينغلق على ذاته ويؤمن بالخوارق

والمعجزات التاريخية. من هنا تأتي أهمية التساؤل عن دور العلوم الإجتماعية ودورها في عملية التنمية في العالم العربي والإسلامي ككل، والمجتمع الجزائري بوجه خاص.

إن مقاربة بسيطة للفضاء الاجتماعي في الجزائر تقودنا مباشرة إلى تفكير العلائق بين العلوم الاجتماعية وموضوع دراستها "المجتمع الجزائري"، وما نفترضه مبدئيا في فهم هذه العلاقة هو وجود عدة عوائق وظيفية حالت دون أن تطال العلوم الاجتماعية موضوع دراستها، أهمها أن هذه العلوم لم تكن نتيجة النمو الطبيعي للمجتمع الجزائري، لأن مضمونها واهتماماتها المعرفية انعكاس مباشر للفكر الغربي الأوربي، لكن لا يمكن أن نرجع جميع العوائق الوظيفية التي تعاني منها العلوم الاجتماعية في الجزائر إلى عوائق خارجية وفقط، لأن المجتمع يحمل في بعض الأحيان بذور فنائه من الداخل ولا أدل على ذلك من أن بعض المجتمعات التاريخية فقدت مكانتها الحضارية بسبب عجز فكرها الاجتماعي عن قيادة المجتمع إذ حينما لا يتمرجع المجتمع إلى فكر ثقافي/ اجتماعي خاص، فإنه حتما يسير خلف مجموعة أفكار مشتتة ومتناقضة، ومتى تم ذلك فإن المجتمع يصبح ينزاح نحو نوع من الوهم الكاذب في اتجاه تغيرات تفرضها الشروط التاريخية الحاضرة دون وعي ثقافي مسبق، وهذا ما يفرض على المجتمع الجزائري البحث عن الحصانة الثقافية التي تمنعه من الانحلال في معادلات اجتماعية دخيلة، إذ قد حلت في المجتمع الجزائري بدلا من القيم الفعالة قيما ظرفية مؤقتة سيدة نفسها على العالم الثقافي وأضحت تتحكم في زمام الأمور، وهذا منذ أن عجز المجتمع عن تمثل مبادئ وقيم العالم الثقافي الأصيل، فالمجتمع الجزائري يعاني اليوم أكثر من أي وقت مضى من عدم القدرة على تمثل القيم الثقافية التي من شأنها تغيير أوضاعه الحضارية.

2- العلوم الإجتماعية في الجزائر بين الإمكانات والمعوقات:

يعد من بين الأسباب الجوهرية التي أدت إلى وجود عوائق وظيفية في العلوم الاجتماعية حالت دون النهوض بالمجتمع الجزائري هو طبيعة العلوم الاجتماعية ذاتها من حيث كونها علم ذا خصوصية معرفية ومنهجية خاصة، ذلك أن علماء الطبيعة مثل علماء الاجتماع يتناولون الواقع ويصوغون نظريتهم في إطار مفترضات أو محكمات هي نفسها غير مثبوتة كموجبات أو يقينيات[1]، وتعد هذه الميزة إمكان جوهري لا يحط من قيمة العلوم الاجتماعية ولا ينقص من أهميتها في الآن ذاته، ذلك أن قيام العلوم الاجتماعية على الافتراضات إنما يمنحها صفة الاستمرارية والعلمية التي لا تتوقف عند نتيجة بعينها تسقط من مجالها كل النتائج المتوقعة في مجال وموضع الدراسة، وإنما هي افتراضات مفتوحة على إمكانها على حسب طبيعة كل مقاربة نظرية يتم إتباعها أو الأخذ بها في أبجديات الدراسات الاجتماعية وبالنسبة للعلوم الاجتماعية

في الجزائر فإن هذا الأمر يعد حافز وعائق في الآن ذاته، ذلك أنه لا توجد في المجال النظري علوم اجتماعية خاصة بالفكر الجزائري، وإنما هي علوم مستوحاة من النظريات الغربية، يتم الاستعانة بها في مقاربة طبيعة المجتمع الجزائري وبالتالي فإن البون شاسع بين مقاربات نظرية ذات تشكل غربي وبين مجتمع جزائري يملك من الخصوصية التاريخية ما يجعل أمر مقاربته من خلال النظريات الاجتماعية الغربية تحديا أمام الكثير من الباحثين في ميدان العلوم الاجتماعية، لأن أكبر عائق ابيستيمولوجي يبقى يفرض نفسه هو المواءمة بين النظرية الغربية التي تشكلت في ظل ظروف ومناسبات خاصة بالمجتمعات الغربية وبين المجتمع الجزائري الذي لا يخضع لتلك المناسبات والظروف ذاتها، ومن ثم تعذر على الكثير من المقاربات والدراسات الوصول إلى نتائج حاسمة في معالجة الكثير من المشكلات التي تواجه طبيعة المجتمع الجزائري، وللسبب ذاته بقي النهوض بالمجتمع الجزائري أمرا مؤجلا على الدوام.

من هنا يمكن القول بأن هذه المعوقات الوظيفية للعلوم الاجتماعية، إنما هي معوقات تتعلق خاصة بطبيعة العلوم الإجتماعية ذاتها كما تم بيانه سابقا، كما أنها تتعلق بمعوقات خارجية تفرضها طبيعة وخصوصية المجتمع الجزائري تاريخيا، ومن بينها أن الاستعمار وما صاحبه من صور ودوائر للتعبئة يكاد يكون قاعدة في تاريخ العرب الحديث والمعاصر فقد أسلمتنا إمبراطورية الرجل المريض "تركيا" للاستعمار الأوروبي الذي سيطر على المجتمع العربي بأقطاره....وسعى هذا الاستعمار انجليزيا كان أو فرنسيا أو حتى ايطاليا إلى تقسيم المجتمع العربي إلى أقطار ومناطق نفوذ ودويلات[2] والمجتمع الجزائري بدوره خضع إلى الاستعمار الغربي الفرنسي في فترة زمنية طويلة أثرت في الكثير من عاداته وطبائعه الإجتماعية سواء من حيث اللغة أو الثقافة أو السياسة أو غيرها، وهذا الحدث التاريخي إنما يشكل عاملا لا يمكن تجاهله في مقاربة طبيعة المجتمع الجزائري، لأن النهوض بالمجتمع الجزائري من خلال التوظيف اللائق للعلوم الإجتماعية إنما يتطلب فهم البنية التاريخية لتكون المجتمع الجزائري وفي ذلك تشكل اللحظة الاستعمارية أحد أهم العوائق التي أخرت ظهور فعالية وتأثير هذه العلوم في المجال الإجتماعي.

كما كان البناء الإجتماعي للمجتمع العربي وهو الأساس في كل فهم وتفسير يعايش أنماطا إنتاجية مشوهة وعند نقطة أولية جدا في التحليل يمكن التمييز بين نشاطين إنتاجيين أساسيين زراعي ورعوي[3] وهذا الأمر ينطبق بدوره على المجتمع الجزائري الذي لم يخضع إلى بناء اجتماعي ذا وظائف حضارية ذلك أن بدايات نموه التاريخي، إنما كانت تعتمد نشاطات بسيطة تكتفي بالمتطلبات الضرورية للحياة والتي تتمثل في ضروريات العيش، وبالتالي فإن المنجزات الحضارية التي تتعلق بالصناعة والتكنولوجيا وغيرها إنما هي نشاطات حديثة، لأن العلوم الإجتماعية التي نعتمد عليها في مقاربة المجتمع الجزائري، لم تكن ذات نمو

طبيعي نابع من خصوصية المجتمع، وإنما هي علوم حديثة دخيلة عليه ومن ثم تطرح المفارقة التي ينشطر فيها البعد النظري عن البعد العملي.

ومن بين أهم المعوقات الوظيفية الأخرى هو أن التغير الاجتماعي الذي يخضع له المجتمع الجزائري ذاته لم يخضع إلى دراسة اجتماعية قاصدة وهادفة من خلال الاستناد على مناهج حداثية يمكنها أن تتبع كل المتغيرات التي يمكنها أن تطرأ بشكل أو بآخر على خط الزمن التاريخي للمجتمع، ومن ذلك أن تفسير طبيعة التغيير الذي يخضع له المجتمع الجزائري قد خضع إلى دراسات سوسيولوجية وأنتروبولوجية كثيرة من خلال الاستناد على تفاسير وتعليلات معظمها أحادية الجانب تركز على سبب بعينه تسند إليه جميع التغيرات التي تحدث في المجتمع، في حين أن علم الاجتماع الحديث يميل من خلال صوره العلمية إلى الإقلاع عن الفكرة القائلة بوجود سبب مهيمن للتغير الاجتماعي، أي أنه يعترف بتعدد وكثرة أنماط التغير[4]، وإذا عدنا إلى مقاربة البعد الديني فإننا نجد أثره البالغ في التأثير الاجتماعي إلى الحد الذي نسبت إليه الكثير من التصورات الاجتماعية القدرة الفائقة على إحداث التغير الاجتماعي بصفة فعلية ومباشرة، إذ يتمثل البعد الديني للحركات الاجتماعية في كونها تجسد بمعدلات متفاوتة زعامة باهرة يمكن انحطاطها إلى اجتراح معجزات إلى سحر والى مطلقية اعتقاديه قابلة للتحول إلى تعصب وعصبية دينية، إن التوليفة الدينية حاضرة حضورا كامنا في هذه الفترة أو تلك من أزمنة الحركات الاجتماعية حتى أولائك الذين يتصرفون كحركات ضاغطة سعيا وراء مصالح ضيقة جدا إنما يعلنون بكل طيبة خاطر سعيهم وراء قيم مقدسة"[5]، وإذا أسقطنا هذا الفهم على المجتمع الجزائري فإن الدين يشكل حافزا ومؤثرا اجتماعيا فعالا يفسر لنا الكثير من السلوكات والتفاعلات الاجتماعية، ولكن يعد في الوقت ذاته حاجزا وعائقا، وذلك إذا نظرنا إلى الدين الإسلامي بمنظار الواقع الاجتماعي الراهن، لأن الاعتقاد الديني الإسلامي تحول عند الكثير من الفئات الاجتماعية الجزائرية إلى قدرة مهيمنة ومطلقة أو إلى عصبية قاهرة يوظف معها الدين في تحقيق أغراض إيديولوجية خاصة ومصالح فردية تحت غطاء الإيهام بالقداسة والقيم والمبادئ الدينية ذاتها، كما أن المجتمع الجزائري ذاته يفتقد إلى آليات التفاعل الاجتماعي، وإذا عدنا إلى اقترح هاربرت ميد، فإن التفاعل يتكشف عن تحاور بالإيماءات، ولكن الأهم أن هذه التفاعلات تشمل الذات أيضا، بمعنى أن إسقاط دور الأخر على ذاتي يمكنني من التأمل في ذاتي بينما أفكر في صورتي أمام الأخر وهكذا أوفق سلوكياتي تبعا لتلك الصورة[6]، إن المجتمع الجزائري يبقى بحاجة ملحة إلى تحقيق دور تفاعلي بين الأفراد، إذا لا يمكن القول بأن مجموعة العلاقات العفوية والبسيطة يمكنها أن تفيد في تحقيق التواصل الاجتماعي بمفهومه الإيجابي الفعال، وإنما يحتاج الأفراد بالقدر نفسه إلى علاقات هادفة ومقصودة، لأن التواصل التفاعلي هو الذي تحقق من خلاله الذوات الاجتماعية كيانها الاجتماعي من خلال الصورة الكلية التي

تجعل الذات في حالة مستمرة من التكون والتفاعل الاجتماعي، لأن الذات التي تبقى حبيسة ذاتها لا يمكنها أن تحقق كيانها الذاتي إلا من خلال الاندماج الاجتماعي، ولكن مادام أن الفرد الجزائري لا يزال والى غاية الراهن التاريخي يخضع إلى الكثير من التصورات الذاتية التي تبقيه حبيس أرائه وأفكاره الخاصة فإن العلوم الاجتماعية تحتاج إلى قطع أشواط كثيرة من أجل المساهمة في تفعيل العلاقات الاجتماعية، وذلك ليس من خلال الوقوف على وصف وتحليل الظواهر الاجتماعية، ولكن من خلال العمل الدءوب في محاولة تحقيق التفاعل والتواصل بين الأفراد في مجال السلوك والعمل.

إن الجانب الثقافي يعد بدوره جانبا مهما في فهم طبيعة العوائق التي تقف حاجزا أمام النهوض بالمجتمع، ذلك أنه لا يمكن النظر إلى المجتمع الجزائري بمعزل عن الإطار الثقافي الذي يتشكل فيه المجتمع وكما يرى دنيس كوش فإنه تجب دراسة العلاقات الثقافية ضمن مختلف العلاقات الاجتماعية التي يمكن أن تيسر علاقات الاندماج أو التنافس أو النزاع ...ومن الواجب إعادة موضعة ظواهر التآلف الثقافي والتمازج الثقافي، بل الاستيعاب أيضا في أطر بنيتها أو إعادة بنيتها الاجتماعية[7]، إذ الثقافة هي التي تبقى تغذي المجتمع وتدفع به إلى الاستمرار في عجلة التاريخ من خلال الانفتاح على العوالم الحضارية المختلفة، ولكن مادام أن الفضاء الثقافي في الجزائر لا يزال حبيسا لمقارعة الزمن والتاريخ من خلال حصره في الصلة بالتراث وبالماضي الحضاري من دون العمل على تجديد العالم الثقافي، فإن المجتمع الجزائري بالمثل يبقى محصورا في المجال ذاته الذي يتعلق بالتراث الماضي في ما يخص الأعراف والتقاليد وبالتالي يبقى من دون تجديد حضاري، إن أولويات الثقافة الجزائرية قد انحلت في مطالب ظرفية زمنية هذا لأن هناك خطاء في توجيه الثقافة وفي تحديد أهدافها وأدوارها الحضارية، وقد كان هذا الأمر نتيجة عجز المثقف عن تمثل العوالم الحقيقية التي يمكن أن تطالها فعالية الثقافة، وفي ظل تجاذب هذه الأوضاع عجز المثقف الجزائري عن تمثل الأدوار المناطة بمهمته الثقافية في المجال الاجتماعي والسياسي، بل حتى في مجال الكتابة والإبداع الفكري، وحين تفقد الثقافة أسمى مهامها فإنها لا محالة تنحل في الكلام الزائد والثرثرة ويتم اتخاذها أداة للتسلية والترفيه، إذ قد أسست وزارات من أجل هذا الشأن وجعلت هدفها الفن والرقص والموسيقى، في حين أن الفن والرقص والموسيقى أسلوب حياة وذوق وليست هدفا البتة[8].

ذلك أنه لا الذات المثقفة ولا الفضاء الثقافي الذي أنتجته في الجزائر قد استطاعا أن يحققا كينونتـ"نا" التاريخية بما هي المؤجل الذي نستشرفه في أفق الثقافي، وذاك لأن الذات المثقفة/ الجزائرية قد أعفت نفسها من مهمة صناعة التاريخ، لأنها أحالت نفسها إلى لحظة تاريخية تكاد أو تقترب من إعدام هويتها وكينونتها، وهي بالضبط اللحظة التاريخية الماضوية التي أضحت تتحكم في زمام المستقبل الثقافي الذي لم يحن زمنيا بعد، ونقصد بالضبط الحدث الثوري/ الاستقلال السياسي، وذاك لأن ما ندعوه مثقف جزائري

لم يفكر البتة في ما يعنيه التفكير خارج التاريخ الفعلي الزمني المنتهي، إن ثقافة المستقبل بما هو المستشرف الذي نكونه لا يمكن تفكيرها إلا من خلال فتح أفق/ فضاء لا زماني للثقافة، إن فضاء الثقافة يأتينا من المستقبل، لأن موضوع/ فضاء الثقافة الجزائرية مهدد نفسيا واجتماعيا وسياسيا وحضاريا بعامة إذا لم يؤسس كيانه الثقافي بما هو صناعة للحدث الثقافي/ المستقبل أي الذي لم يحدث والمختلف في آن عن الحادث/ ماضي، وكذا الذي يحدث/ الحاضر[9].

بالإضافة إلى كل ما سبق فإن هناك معوقات سياسية حالت دون أن تؤدي العلوم الإجتماعية وظيفتها المنوطة بها في ما يخص النهوض بالمجتمع، ومن ذلك أن نظام الحكم في الجزائر لا يختلف عن غيره من الأنظمة الحاكمة في العالم العربي من حيث نزعته التسلطية ورغبته في الإستمرار وخوفه من التفاعل الحر للمجتمع والأداء الديمقراطي للشأن السياسي مع ما يميز هذه الأنظمة كذلك من ضعف وتدهور في مجالات التنمية المختلفة رغم الإمكانيات الكبيرة المتاحة[10]، إن السلطة السياسية في الجزائر لم تستطع أن تحرر المجتمع ولا أن تدفع به نحو التفاعل والديناميكية الحقيقية، ولكنها دفعت به في الكثير من المناسبات إلى التخبط في أزمات سياسية جعلت المجتمع تحت رحمة الاختيارات السياسية الخاطئة أو الغير مدروسة بالشكل السياسي والإجتماعي الهادف، ذلك أن أصحاب القرار السياسي في الجزائر يصدرون قراراتهم أساسا على روح أبوية تدفع إلى عدم الثقة في نزاهة وقدرة الغير على تحمل أعباء مسؤولية البلد ولا شك أن تشكيل هذه النزعة يعود ابتداء للشرعية التاريخية التي تأسس عليها نظام الحكم في الأول ومع طول البقاء في السلطة وذبول وهج المرجعية الثورية برز مصطلح المصلحة الوطنية الذي لا يفسر إلا وفق ما يريده من بيديهم أمور الدولة[11]، ويفهم من هذا بأن النهج الديمقراطي في الجزائري أصبح يخول لفئة معينة دون غيرها مسؤولية السلطة والحكم، أما عادا ذلك من الفئات الاجتماعية الأخرى فإنه لا يسمح لها لا بكونها من الفئات المثقفة أو العلمية أو غيرها التي تملك الكفاءات العلمية والسياسية أن تشارك في الحكم والسلطة، ومن ثم شكل هذا الأمر توظيفا خاطئا للديمقراطية، وهذا ما فرض وجود عوائق حالت دون تحقيق التواصل العلائقي بين السياسي والإجتماعي، واللافت أن الأزمة التي عصفت بالجزائر منذ سنوات هي الجزء الظاهر من البناء الفاسد للإسمنت الذي يغذي ثقافة الديمقراطية والقناعة الحضارية لنظرية تداول السلطة، ونتيجة لهذا الغياب فقد عبرت الأزمة بعنف عن وجود علاقة توتر بين المشروع الديمقراطي وبنية المجتمع[12]، لأن الظاهر تاريخيا أن تجربة الديمقراطية في الجزائر لم تستطع أن تحقق أهدافها وأغراضها السياسية والإجتماعية، والأزمات الإجتماعية التي مر بها المجتمع تبين ولا شك الإستخدام السيئ لقيم الديمقراطية السياسية في الواقع الإجتماعي.

إن التساؤل المحرج والمقلق للسلطة السياسية في الجزائر، هل نحن أمام مجتمع مدني؟ أم مجتمع سلطة؟ إن السلطة خلقت مجتمعا مدنيا بمؤسسات وهيئات وأحزاب ونقابات موازية للمجتمع المدني الحقيقي وهذا المجتمع أضحي غير قادر على تنفيذ ما تسعى إليه السلطة[13]، والمقصود بالمجتمع المدني من هذا المنظور المنظمات غير الحكومية الخارجة عن التنظيمات الحكومية مثل الأحزاب وغيره، فالمجتمع المدني يعتمد على نشاط الجمعيات والمنظمات الإجتماعية غير الحكومية التي تقوم على قيم ومبادئ اجتماعية خاصة تحقق من خلالها أهدافها وأغراضها الإجتماعية من خلال تحقيق تلك القيم والمبادئ في الواقع الإجتماعي من تفاعل وتواصل وغيرها، إذ قد اهتم المواطن الجزائري بتشكيل الجمعيات والمنظمات والروابط والنوادي التي تخص القضايا الإجتماعية، ولكن على الرغم من سبق الجزائر من حيث العدد في مجال تأسيس الجمعيات فإنها تفقد هذا الموقع في مجال حيوية ونشاط وتطور المجتمع أمام فاعلية الحركة الجمعوية في لبنان ومصر واليمن والمغرب والأردن وفق التصنيفات التي ذهبت إليها بعض المنظمات الغير الحكومية[14].

ولعل سبب قلة فعالية المنظمات الإجتماعية والجمعيات المجتمعية في الجزائر هو افتقادها لآليات التفعيل الإجتماعي وفقدانها للإمكانيات الثقافية والحضارية اللازمة كما أن سبب قلة فاعلية الحركة الجمعوية في الجزائر على كثرة عددها يعود أولا وقبل كل شيء إلى أن هذه الكثرة المعلنة غير صحيحة لأن كثيرا من الجمعيات المسجلة لا وجود لها على أرض الواقع لأنها انقطعت عن النشاط أو لم تنشط أصلا منذ تأسيسها ولم يتخذ قرار إداري أو قضائي بحلها[15]، وبالتالي فإن الجانب الكمي الظاهر في ما يخص الجمعيات لا ينفع في إخراج المجتمع من أزماته الحضارية، إذ ما الفائدة من تواجد الكثير من الجمعيات والمنضمات دون فعالية أو تأثير اجتماعي واضح، إن كثرة المنظمات والجمعيات المجردة من الفعالية والنشاط الثقافي والحضاري الفعال إنما يدل على وهن العالم الثقافي والسياسي الذي ينعكس لا محالة على الوضع الإجتماعي.

-خاتمة:

من خلال التحليلات السابقة يمكن أن نخلص إلى القول أن هناك عدة معوقات وظيفية حالت دون قيام العلوم الاجتماعية بوظيفتها المنوطة بها اتجاه المجتمع الجزائري، ولهذا فإن العلوم الاجتماعية في الجزائر تحتاج إلى فكر اجتماعي جديد يمكنه أن يحقق النهضة الحضارية المأمولة في المجال (النفسي والثقافي والديني والأخلاقي والاقتصادي والسياسي)[16]، لأن التحديات الراهنة التي يفرضها الوضع العالمي المعاصر تفرض على الدوام وجود أبعاد تنموية شاملة تراعي المقتضيات الحضارية التي يحتاجها المجتمع المعاصر، ولكن يجب أن تكون عملية التنمية الإجتماعية مسبوقة بنهضة ثقافية تتوافق مع طبيعة وخصوصية المجتمع.

-الهوامش:

[1]- خليل أحمد خليل، "المفاهيم الأساسية في علم الإجتماع"، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان ط1، 1984، ص218

[2]- عبد الباسط عبد المعطي، "اتجهات نظرية في علم الإجتماع"، عالم المعرفة، 1988، ص169

[3]- المرجع نفسه، ص170

[4]- خليل أحمد خليل، "المفاهيم الأساسية في علم الإجتماع"، مرجع سابق، ص74

[5]- المرجع نفسه، ص97

[6]- جون سكوت، "علم الإجتماع المفاهيم الأساسية"،ترجمة محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1 بيروت لبنان، 2009.

[7]- دنيس كوش، "مفهوم الثقافة في العلوم الإجتماعية"، ترجمة منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، المركز العربي للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007، ص100

[8]- لابد الأخذ بأولوية الفكر الحر والحس النقدي السليم في مجال العلائق بين الاجتماعي والثقافي، لأن حرية الفكر المأمولة في الجزائر هي ذاتها يمكن أن تصنع فضاء ثقافيا جزائريا لا يتحرج من ذاته ولا يشعر بالدونية ولا بالوهن النفسي والاجتماعي المصطنع /أو/ المفروض قصرا وتعسفا. السؤال المطروح هنا لماذا لا يزال النظر إلى الثقافة في الجزائر على أنها سليل الماضي وسجن لحرية الفكر وقيد بوساطة السياسي والديني والسلطوي؟ هل يكمن المشكل في المثقف أم في الفضاء الثقافي؟ أم فيهما معا؟ أم لازلنا لم نفهم الثقافة بعد؟ يقول المفكر الفرنسي أندري مالرو-Malraux.Andre "ت1976م" بأن "الثقافة هي دين القرن العشرين"، إن الثقافة بمعناها العميق هي ذاتها مفكرة في أفقها ك"كينونة" منفتحة على مستقبلنا المجهول/ الحدث، المعلوم / الحضور.

[9]- لكحل فيصل، مقال علمي في جريدة الخبر الوطنية الجزائرية بعنوان، "لا تستوي الحياة الثقافية إلا بعودة المثقف النقدي"، يوم النشر 08/ 12/ 2014، ص24.

[10]- عبد الرزاق مقري، "التحول الديمقراطي في الجزائر- رؤية ميدانية"، الجزائر، 2010، ص4

[11]- عبد الرزاق مقري، "التحول الديمقراطي في الجزائر- رؤية ميدانية"، مرجع سابق، ص8

[12]- زهرة زرقين، "أزمة الديمقراطية في الجزائر بين الفكر والممارسة – مقاربة ميدانية-"، مجلة الباحث الاجتماعي العدد 10 سبتمبر، منشور جامعة سطيف الجزائر، 2010، ص129

[13]- بوحنيفة قوي، "المجتمع المدني الجزائري- الوجه الأخر للممارسة الحزبية"، مجلة المغرب الموحد، العدد الحادي عشر، 1 فيفري 2011، ص40

[14]- بالنسبة للمصطلح يغلب في الجزائر استعمال كلمة الحركة الجمعوية وهي مرادفة لكلمة العمل الأهلي أو المنظومات غير الحكومية يمثل المجتمع المدني بهذا التعريف زخما تاريخيا كبيرا للجزائر إذ كان هو الملجأ الكبير والواسع الذي وجد فيه الجزائريون فرصتهم للتعبير عن ذواتهم وهويتهم وثقافتهم وطموحاتهم وأحزانهم وأفراحهم أثناء حقبة الإستعمار الفرنسي، أنظر في هذا الصدد: - عبد الرزاق مقري، "التحول الديمقراطي في الجزائر-رؤية ميدانية"، مرجع سابق، ص34، ص35

[15]- المرجع نفسه، ص36

[16] - إن ضرورة التأسيس لعلم اجتماع جديد في العالم الإسلامي تتأتي وفق تصور المفكر الجزائري "مالك بن نبي" من ضرورة التأكيد على أهمية البعد الإسلامي، لأن المآل الذي انتهى إليه المجتمع الإسلامي عامة والمجتمع الجزائري خاصة هو نتيجة حتمية لانفصال العنصر الروحي عن العنصر الاجتماعي، أو لأن "...هناك افتراق بين المبدأ والحياة"، أي أن هناك هوة عميقة بين القيم والمبادئ التي يعتقد بها الإنسان المسلم –الجزائري- وبين حياته العملية الاجتماعية التي تربطه بعالم الآخرين من خلال العلاقات والسلوك، لذا يعيد مالك بن نبي الأهمية إلى البعد الروحي في عملية التنمية والبناء الإجتماعي، ومن ثم تصبح الحاجة ملحة إلى التجديد في المنظومة الثقافية للمجتمع من خلال التركيز على الأدوار الحضارية التي يجب أن تحققها العلوم الإجتماعية. أنظر في هذا الصدد، مالك بن نبي، "ميلاد مجتمع"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط6، 2006، ص105.

-قائمة المصادر والمراجع:

1- جون سكوت، "علم الاجتماع المفاهيم الأساسية"، ترجمة محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت- لبنان، ط1، 2009.

2- خليل أحمد خليل، "المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع"، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان ط1، 1984.

3- دنيس كوش، "مفهوم الثقافة في العلوم الإجتماعية"، ترجمة منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، المركز العربي للترجمة مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007.

4- رابح لونيسي، "البديل الحضاري- دراسة مستقبلية لمواجهة الكارثة التي تهددنا"، دار المعرفة، 1998.

6- سيد احمد بغلي، "جوانب من سياسة الجزائر الثقافية"، منظمة الأمم المتحدة العربية للتربية والعلم والثقافة باريس، (د- ط)، 1980.

7- عبد الباسط عبد المعطي، "اتجاهات نظرية في علم الإجتماع"، عالم المعرفة، 1988.

8- عبد الحميد ابن باديس، "اثار ابن باديس"، إعداد وتصنيف،عمار ألطالبي، أربعة أجزاء، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983.

9 - مالك بن نبي، "ميلاد مجتمع"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط6، 2006.

-المجلات العلمية:

1- الزواوي بغورة، "الهوية والعنف في الخطاب الثقافي الجزائري"، مجلة العربي، العدد 599اكتوبر، 2008.

2- بوحنيفة قوي، "المجتمع المدني الجزائري- الوجه الأخر للممارسة الحزبية"، مجلة المغرب الموحد، العدد الحادي عشر،1 فيفري، 2011.

3- زهرة زرقين، "أزمة الديمقراطية في الجزائر بين الفكر والممارسة– مقاربة ميدانية-"، مجلة الباحث الاجتماعي العدد 10 سبتمبر، منشور جامعة سطيف، الجزائر، 2010.

4- عبد الرزاق مقري، "التحول الديمقراطي في الجزائر-رؤية ميدانية"، الجزائر، 2010.

5- لكحل فيصل، مقال علمي في جريدة الخبر الوطنية الجزائرية بعنوان، "لا تستوي الحياة الثقافية إلا بعودة المثقف النقدي"، يوم النشر 08/ 12/ 2014.

النبوة في الأديان السماوية وعلاقتها بالتصوف الإسلامي

أ.بلخير خديجة، جامعة تيارت

تمهيد:

إن الحديث عن النبوة في الديانات السماوية هو المحور الذي تناولته الكتب المقدسة بما فيها التوراة والإنجيل والقرآن، وقد تناولت هذا الموضوع بشكل واسع وكبير على اعتبار أن النبيّ هو المرسل والمختار من الله لإبلاغ رسالته، وبعدما كان المنبئ أو العرّاف في النبوءات الميتولوجية مجرد مفسر ومسؤول لإرادة الله أصبح في الديانات السماوية ملزم بنقل كلمة الله حرفيا ، أي أن العلاقة بين الله والإنسان في النسق الديني مبينة على النبوة والرسالة.

فالحديث إذن عن النبوة في الديانات السماوية هو حديث عن النبوة الظاهرة أي نبوة الأنبياء ، ولقد كان لهذه المسألة أثر على التصوف الإسلامي ، وذلك من خلال ما ظهر على مواجيدهم الروحية وما تمثلت بهم كتاباتهم وأشعارهم ، وغالبا إذا ما قارنا هذه الممارسات على التصوف اليهودي والمسيحي نجدها تتشابه معهم حتى أدى القول إلى بعض الباحثين والمفكرين بأن التصوف الإسلامي دخيل على الثقافة الإسلامية وأن له مصادر أجنبية من ثقافات أخرى ، وللنبوة دور كبير لدى المتصوفة ، وتمثل ذلك من خلال وراثتهم لحكم الأنبياء والمرسلين ولإيمانهم القويّ بوحدة الأديان ، فالدين واحد مهما اختلفت أشكاله ، وعليه نطرح الإشكال التالي: كيف طرحت مسألة النبوة في الديانات السماوية ؟ وما موقف التصوف الإسلامي منها ؟ هل هناك علاقة بين الطرحين ؟ وإن كانت كذلك أين نلمس ذلك ؟

1-اليهودية :

قبل الحديث عن مسألة النبوة في هذه الديانة ، علينا أن نعرج على المفهوم اللغوي والاصطلاحي للكلمة النبوة-النبيء وهذا اللفظ مشتق من النبأ وهو الخبر ، فهو المنبئ ، وقد سمي بذلك لإنبائه عن الله تعالى فترك الهمزة وقال : وإن أخذ من النبوة والنباوة وهي الارتفاع عن الأرض (1) أي أنه أشرف على سائر الخلق ، وجاء في تعريفات الجرجاني أن " النبي من أوحى إليه بملك أو ألهم في قلبه أو نبه بالرؤى الصالحة (2) وقيل أيضا أن " النبوة هي الإخبار عن معرفة ذات الحق وأسمائه وصفاته وأحكامه ، وهي على قسمين : نبوة التعريف ونبوة التشريع ، فالأولى هي الإنباء عن معرفة الذات والصفات والأسماء ، أما الثانية

فهي جميع ذلك مع تبليغ الأحكام والتأديب بالأخلاق والتعليم بالحكمة والقيام بسياسة (3) فالنبيّ هو الإنسان الذي يكون مطلعا على الغيب ، وهو الذي تظهر على يديه القوى الخارقة.

وتمثل اليهودية أول انطلاق للنبوة في المعتقد الديني ، فقد عرف العهد القديم بالنبوات التي اعتبرها الإنباء عن الحوادث المستقبلية التي يكون مصدرها الإله ، فيمتلأ النبيّ إحساسا بأنه مرسل من الإله ، وهذا الإحساس هو الذي يمثل أحد أهم سمات النبوة في التوراة ، فالمقاصد الإلهية كانت تظهر للنبيّ من خلال الرؤى والوحي السماعي مثل ما كان يحدث لموسى عليه السلام .

لقد اعتبر اليهود أن هذا العالم هو مهبط وحي سماوي قد تجلى فيه الإله بذاته ، وحصل هذا الوحي السماوي مرة واحدة على طور سيناء ، حيث ألقى الله إلى موسى بالألواح ، فاعتبر موسى النبيّ مفسرا بما يوحي به الله وهذا ما أشارت إليه الكتابات الأولى أي الأسفار من الكتاب المقدس حيث قال الرب لموسى " أنا جعلتك كإله لفرعون وهارون أخوك يكون كنبيّ لك ، فعليك أن تبلغه بكل بكل ما أمرك به ، فيخاطب أخوك هارون فرعون كي يطلق سراح بني إسرائيل من بلاده " (4) والمقصود من هذا الكلام أن هارون ما هو إلا بمثابة مفسر لكلام موسى ، وموسى هو بمثابة إله فرعون ، وبهذا أطلق اليهود على النبيّ لفظ خطيب أو مفسر.

وقد ظلت اليهودية والمسيحية لقرون طويلة تعتبر أن موسى هو كاتب التوراة بناء على قول الرب لموسى " دونّ هذا في الكتاب للتذكار " (5) وبالتالي فإن التوراة هو كلام الله الذي أوحى به إلى موسى ، ويعتبر موسى هو النبيّ الحقيقي الذي كان مخلصا لبني قومه ، وقد توفر فيه الشرطان : صنع المعجزات وعدم الانحراف عن الدين.

لقد آمن اليهود بالنبوة على اعتبار أن النبيّ مرسل ومختار من الله ، واعتبروا أنفسهم شعب الله المختار أيضا فكان موسى في المقام الأول ، ثمّ بعده كبار الكهنة ، ولم يتجسد للكهنة والعرافين الدور النبوي كما كان سائدا في الديانات القديمة ، لأن هذا الدور كان موجودا عند النبيّ الذي اختاره الله ، فامتاز بالحكمة والصدق وإحداث المعجزات التي لم تكن عند الكهنة ، وبالتالي لم يكن للنبوة وجود أخر من غير الأنبياء ، حتى وإن كان للكهنة دور كبير في تفسير الأحداث إلا أنهم لم يرتقوا إلى مرتبة الأنبياء ، وإن كانوا يحدثون خوارق تشبه خوارق الأنبياء ، وأنهم يتلقون الوحي الإلهي إماّ عن طريق السماع أو الرؤية في المنام ، فهذا لم يصلهم إلى مرتبة النبوة . وظل ما يتلقونه حديث نفس أو لمسات جنية على التعبير الأفلاطوني سواء في عهد الأنبياء أو حتى بعد مرور زمنهم ، فكما قال هوبز " بما أنه لم تعد هناك معجزات في أيامنا هذه ، لم

تعد لدينا علامات نتعرف بواسطتها إلى التجليات أو الإلهامات التي يزعمها أي من الأفراد ، كما لم تعد لدينا الزامات بالاستماع إلى أي مذهب ، يتجاوز ما يتوافق مع الكتب المقدسة التي تحل منذ أيام مخلصنا محل أي نبوءة أخرى ، وتعوّض من نقص النبوءات بصورة ملائمة " (6).

وهذا القول ينفي تماما أي مذهب أو نزعة تدعي بوجود خوارق أو بإدعاء نبوءات ، أو حدوث القاءات روحانية على شكل إلهامات أو رؤى أو ما شابه ، ونخص بالذكر ما ذهب إليه الصوفية في اليهود ، لأن التصوف في التعريف اليهودي هو الارتفاع بالنفس والاقتراب من ملكوت السموات ، والدخول إلى رحاب الألوهية ، والصوفي الذي يعتنق هذا الطريق ، عليه بالمجاهدة الروحية بكل مراحلها ، وبلوغ كل أطوار السلوك الروحي حتى يصل إلى مرتبة الألوهية ، فلا تحصل معرفته إلا بواسطة تفكر متعال يحدد نمط تجربته الخاصة ، فالتصوف اليهودي أيضا يتميز بالعزلة والاختلاء مع النفس ، والارتقاء من هذا العالم الحسي إلى العالم العلوي ، فيتنبؤ بأمور غيبية قد تحدث مستقبلا ، خصوصا بشأن اليهود كقضية التعويض التي شاعت بينهم ، أي تعويض الحاضر بالمستقبل .

ولهذا نجد في التاريخ اليهودي اعتبار بعض الكهنة أنبياء كالصموئيل مثلا " فلم يكن عند معاصريه غير كاهن أو رائي ، فجاءت الأجيال المتأخرة واعتبرته نبيّا عظيما ، وسببت مبادرته في إيقاظ روح الشعب ضد الفلسطينيين أثناء بناء المملكة "(7) ، وبالتالي فإن أي شخص يعتنق مذهبا كالتصوف مثلا ، ويدّعي أنه وصل مرتبة عالية برياضاته الروحية ، وأنه تحدث معه خوارق تفارق الطبيعة ، وبتنبؤ بأمور ستحدث مستقبلا خصوصا إذا كانت تخص الشعب اليهودي ، فإنه من الأمر المحتوم يعتبر من الحكماء والزهاد الذين يجب لهم الاحترام والتوقير ، وقد يصل بهم الأمر إلى تعظيمه مثل ما كان يفعل بالأنبياء ، وبالأخص إذا كان يزعم أنه يوحى إليه من الله.

وقضية الوحي هنا تتخذ أشكالا مختلفة ، فلا يعني به الوحي المباشر من الله بقدر ما يعني الرؤيا في المنام أو إلهام باطني يحصل للمتنبئ ، وهذه ضروب من النبوة ، وقد استمر هذا الاعتقاد قرونا من الزمن.

2–النبوة في الديانة المسيحية :

قد تختلف التعاليم اليهودية التي وردت في التوراة عن التعاليم المسيحية ، إلا أن تعاليم الإنجيل تقوم على طهارة القلب وسلامة الروح ،وتدعوا إلى مفارقة هذا العالم والتفكير في حياة أخرى يكون فيها خلود الروح والجسم معا.

فما إن ظهرت المسيحية حتى أخذت اليهودية تتلاشى ، وذلك حسب ما صرحه موقيون أحد أباء الكنيسة في القرن الثاني ميلادي فقال " بوجود إلهين أحدهما الإله العادل الذي اتخذ من بني إسرائيل شعبا مختارا وأنزل عليهم التوراة ، أما الآخر فهو الإله الخيّر الذي أظهر متمثلا في المسيح وخلّص الإنسانية من خطاياها ، وقد كان للإله الأول السلطان على العالم ، حتى ظهر الإله الثاني فبطلت جميع أعمال الإله الأول وزال سلطانه "(8) ، فلا يخفى أن المسيح عليه السلام قد ولد في مجتمع يهودي ، وتلقى مبادئه منه ، إلا أنه سعى منذ بدايته إلى إصلاح نزعته التي جعلت الله خاصا باليهود فقط ، فجاء بتعاليم غير تعاليم اليهود ، وقد جمعت في أربع نسخ سميت بالأناجيل الأربعة " إنجيل متّى –وإنجيل لوقا–وإنجيل مرقص –وإنجيل يوحنا– فجاءت رسالته تدعو للعدل والسلام والسماحة للعالم كله.

" فلم يكن المسيح هو فقط صانعا سلاما ، بل هو سلامنا بكل المعنى ممّا يحتويه من عمق ، إذ أنه قد صالحنا ليس فقط مع إلهنا بل مع إخوتنا ومع كل من حولنا (9) ، لقد تلقى المسيح قبولا في وسطه ، خصوصا أنه كان يدعو إلى السلام ، هذا السلام الذي كان العالم بأحوج إليه ، فجاء ليكمّل ما كان في الشريعة من قبل وهو ما قاله " لا تظنوا إنيّ جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء ، ما جئت لألغي بل لأكمّل ، فالحق أنزل لكم إلى أن تزول الأرض والسماء ، لن يزول حرف واحد من الشريعة حتى يتمّ كل شيء "(10) ، فالدين هو القوة المحركة للمجتمع ، والنبيّ هو الرسول الذي يبلغ رسالة الله ، ومن صدّق نبوته وحقيقة رسالته هو الإتيان بالمعجزات لأنها علامات على الوجود الإلهي ، فأجابهم يسوع : " قلت لكم ، ولكنكم لا تصدقون والأعمال التي أعملها باسم أبي هي تؤدي ليَ الشهادة "(11) " إن الأب الذي أعطاني إياها هو أعظم من الجميع ، ولا يقدر أحد أن ينتزع من يد الأب شيئا "(12) .

فالمشاهد التي جاءت بها قصص الأناجيل تظهر قرب يسوع من التنور النبوي ، فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا : " حقا هذا هو النبيّ الآتي إلى العالم "(13) ، فعرف يسوع بشفاء المرضى وإحياء الموتى فاعتبره المسيحيون ابنا للأب ، وصلة وصل بين الأب والخلق ، فكان واجبا على كل مسيحي أن يحيا بعقيدة المسيح ، ولا يسعنا أن نذكر أن يسوع عيسى عليه السلام أنكر إلوهيته ، وكونه ابن الله وذلك بأدلة قد وردت في الإنجيل .

فمن أهم القيم التي وردت في التعاليم المسيحية تلخصت في علاقة الفرد بذاته وبالآخرين ، وتجلى الخطاب المسيحي واضحا ودقيقا في مقاومة النفس البشرية بالزهد والتقشف ودفعها إلى الاعتراف بخطاياها ، وكيفية التخلص من عوالقها ، وكان هذا التخلص من الرغبات وقهرها مخالفا للتصور اليوناني الذي تتخذ فيه علاقة الفرد بذاته نطاق جدلية " السيادة والعبودية بما هي شكل من أشكال السيطرة والخضوع "(14).

وهذه اللمسات التي نجدها في الديانة المسيحية ، نلمس لها أثرا في حركة التصوف الإسلامي كلباس الصوف الذي هو زيّ الرهبان ، وفكرة الفناء في الله وغيرهما ، وأغلب الباحثين والمفكرين يرجعون التصوف الإسلامي إلى جذور مسيحية لتقارب طريق الاتصال الروحي بينهما ، ولاعتراف بعض المتصوفة المسلمين بالهامات قلب المسيح ونوره كابن عربي مثلا في قوله :

لقد صار قلبي كل صورة فمرعى لغزلان ودير رهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرأن (15)

فقد كانت صورة المسيح كنبيّ جلية في فكر ابن عربي وغيره من الصوفية ، ولو تأملنا في التجربة الروحية فإننا نجد من ضمنها شوق المتصوف الدائم إلى الترقي في المراتب ، والسعي إلى ملامسة مكانة النبيّ ومن بينهم عيسى عليه السلام ، فلا يخفى إذن أن المسيح قد لعب دورا كبيرا في فكر المتصوفة ، وممّا لا شك فيه أنّ المسيحيين بما فيهم الكهنة والرهبان الذين يعتبرون أنفسهم واسطة بين الله والبشر ، قد وصلوا إلى هذه المرتبة من خلال رياضاتهم الروحية ومجاهداتهم النفسية ، وتكريس حياتهم لخدمة الإله ، ولهذا فهم يعتقدون أن الله اصطفاهم لهذا المقام ، وكشف لهم عن علم الغيب ، فأصبحوا في مكانة كمكانة الولاية عند صوفية الإسلام إذ بها يتمّ الاتصال باللا متناهي وذلك من خلال حلول اللاهوت في الناسوت.

3-الإسلام :

يندرج موضوع النبوة ويأخذ مكانه في الإسلام على غرار الديانات الأخرى ، فبعد ما كان مغتربا في الديانات الميتولوجية ، فإنه قد بلغ أرقى صوره في الإسلام ، وتحقق ذلك في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، هذا النبيّ الذي عظمه الله وبلغ به الرتبة وأعالي الرفعة فقال لنبيّه { يَا أَيُّهَا النَبِيُّ إِنَا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِرًا وَنَذِيرًا } (16).

فالنبوة في الإسلام تجسدت في هذه الشخصية العظيمة ، هذا الرسول والنبيّ الذي بعث لإبلاغ وإتمام الرسالة الإلهية ، فأكرمه الله بالمعجزات لتدل على صدق نبوته ، وكان القرآن الكريم من أعظم المعجزات.

هذا القرآن الذي يحمل أسماء مختلفة كالكتاب والتنزيل والفرقان ، وقد أنزل على النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم ، فتلفظ بالوحي وقاله شفهيا ، وكلمة الوحي " تدل على إلهام الله لأنبيائه أو وحيه لهم بأشياء معيّنة "(17) فالوحي هو ما تلقاه النبيّ أو الرسول من ربه من كلام أو رسالة أو إشارة أو كتاب بشكل خفي.

وقد خاطب الله نبيّه في القرآن فقال : { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا }(18) فالوحي يختص به النبيّ والرسول ، وهو إما أن يكون نصا مكتوبا كما كتبه موسى عليه السلام ، وإماّ أن يكون شفهيا كما ألقي على النبيّ محمد عليه الصلاة والسلام ، والوحي الذي تلقاه نبيّ الإسلام هو القرآن كتاب المسلمين المقدس ،" إنه الكلمة الإلهية ، نقلها الملك إلى نبيّ الإسلام على مدى ثلاث وعشرين سنة " (19).

فالقرآن هو خبر الله بل هو النبوة كلها ، وأول بدايته مع النبيّ أي الوحي كان عن طريق الرؤيا الصادقة التي تكون في حالة النوم كما قالت عائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح " أول ما بدء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي هو الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤية إلا جاءت مثل فلق الصبح " . (20)

فالرؤيا جزء من النبوة كما أنها تعتبر أيضا من أشكال الوحي كما ذكر ذلك النبيّ عليه الصلاة والسلام " رؤيا الأنبياء في المنام وحي" (21) وقد تكون عن طريق الإلهام الذي يلقيه الله في ذهن الملهم وأكبر دليل على ذلك الوحي الذي ألقي إلى أم موسى النبيّ ، وقد يكون من وراء حجاب كما حدث ذلك في العهد القديم وفي القرآن وهو أيضا الإيحاء غير المباشر الذي يكون عن طريق ملك رسول يوحى للنبيّ كما حدث مع النبيّ المحمدي.

ومهما تعددت واختلفت طرق وأشكال الوحي ، فإن الهدف منها هو إيصال الرسالة الإلهية للبشر ، ولا تتحقق النبوة إلا بالوحي الإلهي .

فالنبوة في الإسلام إذن هي الرسالة المحمدية للعالم أجمع ، فيها عظمت كلمة الإله وشنّ فيها مبادئ التشريع للحياة ، وبها ختم الله رسله فكان النبيّ محمد عليه الصلاة والسلام هو آخر الأنبياء والرسل.

4-التصوف الإسلامي :

التصوف تجربة فردية ذوقية تختلف من صوفي إلى آخر ، وذلك كل حسب تجربته الروحية التي عاشها في سفره ، فهو معرفة قبل أن يكون علم ، ولهذا قيل من ذاق عرف ، هو ممارسة تدعو إلى تطهير الروح وتصفيتها من كل الشهوات والملذات ، وبكل ما يعيق النفس من التطلع إلى معرفة الحقائق التي تستوجب

التحلية والتخلية أي التحلي بكل ماهو كريم وحميد من الأخلاق والأفعال ، والتخلية تعني التخلي عن كل ما هو مذموم.

ومما هو معروف أن للتصوف دور كبير في بناء قيم التعايش و السلام بين الثقافات والأديان ، لأنه يسعى دائما إلى رقي الإنسان والسمو به إلى أعلى المراتب ، وهذا البناء السليم هو الذي يمكن الصوفي من الإحساس بمعاني الإنسانية بكل معانيها الخالصة .

وفكرة السلام هذه منبثقة من إيمانهم الشديد بوحدة الأديان ، فالدين كله واحد مهما تعددت صوره وأشكاله ، إذ اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك من الأديان ، ما هي سوى ألقاب مختلفة والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف ، فالاختلاف هو فقط في الاسم في حين أن الأصل أو الباطن واحد ، يقول ابن عربي :" فالدين هو الانقياد ، والناموس هو الشرّع الذي شرعه الله ، فمن اتصف بالانقياد لما شرعه الله له فذلك الذي قام بالدين وأقامه –أي أنشأه كما يقيم الصلاة ، فالعبد هو المنشئ للدين ، والحق هو الواضع للأحكام ، والانقياد عين فعلك ، فالدين من فِعْلِكَ فما سعدت إلا بما كان منك "(22) فالعبادة الصحيحة هي أن ينظر العبد إلى جميع الأديان على أنها حقيقة واحدة وهي الله ، إذ نزولها لا يدل إلا على الأسماء الإلهية .

فابن عربي وغيره من الصوفية لم ينكروا الأديان من حقيقة جوهرها إذ " الدين كله لله ، وكله منك لا منه إلا بحكم الأصالة "(23) وقد شرح علاء الدين علي بن أحمد المهائمي هذا القول " أن الدين كله لله من حيث أنه واضع للأحكام وإن كان لم يصرح ببعضها من حيث المعنى الحقيقي وهو الانقياد ، إذ لا يسمى منقادا وهو كونه خالقا للانقياد ، واضعا لما ينقاد إليه من الأحكام الشرعية التي هي مآخذ أحكام دين الخلق " (24).

فالدين ما شرعه الله لعبادة من أول نبيّ إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ، ونظرة الصوفية له هي نظرة واحدة ، وقد ردها نيكلسون إلى الحب الذي هو موضع القلب ، والقلب هو مصدر العبادة وقد اتخذ الصوفية المحبة وسيلة لتوحيد العبادة وهذا هو السر في اعتبارهم أن الدين واحد مهما تعددت صوره.

وهذه المسألة هي التي جعلتهم ينظرون إلى جميع الأديان ويوظفونها في مواجيدهم الشعرية والنثرية ، ومن بينها مسألة النبوة التي اتخذت طرحا مخالفا تماما لما عاهدناه عند الفلاسفة وعلماء الكلام وحتى الأصوليين ، وقد اعتبروا أن النبوة اصطفاء إلهي ،والنبيّ المحمدي هو أعلى عالم بالله وهو خاتم الرسل وخاتم الأولياء ،

ونبوته هي نبوة التشريع وقد انقطعت معه أما النبوة التي لا تشريع لها فهي مستمرة وسارية في هذا الوجود ، أي أن النبوة نبوتان : نبوة التشريع ونبوة عامة ، الأولى هي نبوة الأنبياء والمرسلين والتي وضع الله فيها التشريع لعباده وقد انقطعت مع خاتم الأنبياء ، أما الثانية فهي نبوة باطنة في قلوب الأولياء ، وتتمثل في مرتبتي " الولاية والوراثة " ، فالوليّ هو الذي يرث مقام الأنبياء ، وفي هذا الباب بالتحديد فإن الأولياء يرثون من الأنبياء جميعا على اختلاف الديانات .

وأغلب الصوفية قد تحققوا بمقام الولاية والوراثة ، ويبدو ذلك جليا في مقاماتهم وأحوالهم الروحية ، ونخص بالذكر حول ابن عربي باعتباره أكبر مشايخ الصوفية ، حيث نلمس استناده لبعض القصص التوراتية التي وردت في الكتاب المقدس ، من بينها ما جاء في سفر الخروج " ولما نزل موسى من جبل سيناء ، ولوحا الشهادة في يده عند نزوله من الجبل ، لم يكن يعلم أن بشرة وجهه قد صارت مشعة من مخاطبة الرب له ، فرأى هارون وجميع بني إسرائيل موسى ، فإذا بشرة وجهه مشعة ، فخافوا أن يقتربوا منه (...) ولما انتهى موسى من مخاطبتهم جعل على وجهه حجابا " (25) فهذه القصة يتخذ منها مثلا لتوضيح اعتقاداته العامة ، حيث بيّن أن هناك من الأولياء من ورث هذا الإرث الموسوي وهو أبو يعزى أحد شيوخ أبي مدين بالمغرب ، فكان ما يرى أحد وجهه إلا عميّ من شدة النور في وجهه ، وهذه من الكرامات التي يمنّ الله بها على أوليائه المخلصين .

و العلاقة بين الولي وإرثه النبوي علاقة تؤثر في سلوك الوليّ وتطبعه بخصائص معينة لا تخطئها العين (26) أما فيما يخص الإرث العيسوي فقد خصص ابن عربي في كتابه الفتوحات بابا كاملا حوله ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كثرة الأقطاب العيسويين الذين ورثوا من النبيّ عيسى عليه السلام ، إضافة إلى تمثل المسيح في تجاربهم وأشعارهم ، تماما ما قاله الحلاج (27):

على دين الصليب يكون موتي ولا البطحا أريد ولا المدينة

فهذه الأبيات تؤكد على ارتباط الحلاج بالمقام العيسوي ، ومن خصائص كرامات الأولياء العيسويين الهمة المؤثرة في الأشخاص ، وبالرحمة والشفقة في معاملتهم للناس وينبه ابن عربي هنا أن ليس " للوليّ العيسوي في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الكرامات المشي في الهواء ، ولكن له المشي على الماء ، والمحمدي يمشي في الهواء بحكم التبعية فإن النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به وكان محمولا قال في عيسى عليه السلام : لو ازداد يقينا لمشى في الهواء " (28) أي أن المعجزات التي كانت لعيسى عليه السلام لا يمكن أن تكون ككرامة للوليّ الذي ورث الإرث العيسوي وهو ومن أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

كما يتسنى أيضا للوليّ أن يرث من المقام المحمدي الذي يعد أكمل المقامات ، فكل نبيّ من الأنبياء له حكمة إلهية ، والوليّ وحده دون غيره هو الذي يتسنى له معرفة هذه الأسرار الباطنية ، فيتمكن من وراثة ما كان عند الأنبياء كأن يرث الرحمة من سليمان ، والصبر من يعقوب وغيرهما .

خاتمة :

إن التصور الذي كان سائدا حول النبوة في الديانات السماوية ، كان مبنيا انطلاقا ما وجد في الكتاب المقدس وهذا التصور قد لمسنا فيه لمسة صوفية ، باعتبار أن الأنبياء كانوا يتميزون بالزهد وصفاء الروح ، وهو ما مشى عليه الصوفية في جميع الثقافات من تصوف يهودي ومسيحي وحتى إسلامي ، وأغلبية صوفية الإسلام كانوا في بداية طريقهم زهادا أمثال الجنيد والبسطامي وغيرهما ، وقد تمثلت علاقة هذه الديانات بالتصوف الإسلامي من خلال وحدة الأديان التي آمن بها الصوفية ، إضافة إلى تأثر أغلب مشايخهم ببعض المعتقدات التي كانت سائدة في الديانات ، وبدا ذلك واضحا بشكل كبير في أقوالهم وكتاباتهم كاستنادهم على بعض النصوص التوراتية وحتى الإنجيلية ، ومحاولة التعليق عليها بما يتلاءم مع عقيدتهم ، وبالتالي هناك تشابه بين القصص الواردة في الكتاب المقدس وبين قصصهم ، وبالرغم من كل هذا يبقى للتصوف الإسلامي ميزته الخاصة التي تميزه عن بقية الثقافات الأخرى .

الهوامش:

(1)-ابن منظور ، لسان العرب ، جزء1، دار صادر ، بيروت ، د.ط، ص 163.

(2)-علي بن محمد الشريف الجرجاني ،كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، 1985، ص359.

(3)-مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، ط5، 2007، ص641.

(4)-الكتاب المقدس ، سفر الخروج-الإصحاح 02-03

(5)-سفر الخروج ، الإصحاح : 14.

(6)-ببير فرانسوامورو ، هوبز (فلسفة، علم ، دين) ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط1، 1993 ص87.

(7)-علي مبروك ، النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ ، دار التنوير ،بيروت ، ط1، 1993، ص106.

(8)-المرجع نفسه ، ص98.

(9)-خالد محمد الزاوي ، سماحة الأديان والسلام العالمي ، دار الوفاء، الإسكندرية ، ط1، 2004، ص49.

(10)-إنجيل متى : 17-18.

(11)-إنجيل يوحنا : 10-25

(12)-إنجيل يوحنا: 10-29.

(13)-إنجيل يوحنا : 06-14

(14)-حسين مروى ، ميشال فوكو –الفرد والمجتمع ، دار التنوير ، د.ط ، 2009، ص53.

(15)-ابن عربي ، ترجمان الأشواق ، د.ط ، د.س، ص43.

(16)-سورة الأحزاب ، الآية : 45.

(17)-محمد أركون ، الهوامل والشوامل حول الإسلام المعاصر ،تر: هاشم صالح ، دار الطليعة ،بيروت ، ط1 2010، ص137.

(18)- سورة النساء ، الآية : 163.

(19)-مارسيل روبي ، تاريخ التفكر بالإله ، تر: سعيد الباكير ، دار علاء الدين ، دمشق ، ط1، 2010، ص149.

(20)-رواه البخاري .

(21)-رواه ابن أبي حاتم .

(22)-محيي الدين ابن عربي ، فصوص الحكم ، تح : نواف الجراح ، دار صادر، بيروت ، ط1، 2005، ص55.

(23)-المصدر نفسه ، ص55.

(24)-علاء الدين علي بن أحمد المهائمي ، خصوص النعم في شرح فصوص الحكم ،تح: أحمد فريد المزيدي دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1، 2007، ص247.

(25)-سفر الخروج ، إصحاح : 29-35.

(26)-علي شودكيفيتش ، الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي ، تر: أحمد الطيب ، دار القبة الزرقاء ، المغرب ، د.ط، د.س، ص 78.

(27)-عبد القادر الحصني ، شرح ديوان الحلاج ، دار الفرقد ، سوريا ، د.ط، 2011، ص229.

(28)- محيي الدين ابن عربي ، الفتوحات المكية ، جزء1، تح: أحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت ط2، 2006، ص314.

العلاقة بين المنطق التقليدي والمنطق الرمزي

أ/ بن حجبة عبد الحليم ، جامعة الشلف

الكلمات المفتاحية: المنطق التقليدي، المنطق الرمزي، أرسطو، العلاقة، القضية العامة، القضية الذاتية.

ملخص:

ظل المنطق التقليدي تقريبا الشكل الرسمي للفكر المنطقي منذ ارسطو حتى اواخر القرن التاسع العشر إلا أنه بعد ظهور المنطق الرمزي طرحت إشكالية العلاقة بين المنطق التقليدي والرمزي إلى ساحة الجدال والنقاش، بين موقف مؤيد للمنطق التقليدي معتبرا أنه ولد كاملا مكتملا، وكأن مبدعه أبلغه درجة الكمال دفعة واحدة وبين موقف منكر لأصالته وقيمته بسب عقمه ومحدودية لغته.

مقدمة:

اعتنى المنطق الأرسطي منذ نشأته الأولى، بضبط مبادئ الفكر التي يرتكز عليها العقل في تفكيره واستدلالاته، فلا يحيد ولا يتناقض،كما اعتنى بضبط المعاني والتصورات، وتحديد الأحكام والقضايا، وبناء البراهين والاستدلالات، مع عدم إغفال الألفاظ والحدود، فأريد بيه أن يكون آلة منهجية للتفكير السليم، ولتفعيل القدرة الإنسانية على الفهم السببي للظواهر والحوادث، وسعيا لتحقيق هذا الهدف فإن المنطق لم ينته بانتهاء مؤسسه (أرسطو_Aristote 384، 322 ق م)، بل زاد الاهتمام بقضاياه ومبادئه واستدلالاته، فكان ميلاد المنطق الرمزي الذي استطاع أن يبسط لنا القضايا في صورة رمزية دقيقة تخضع للبرهان المحكم.

ولكن بظهور المنطق الرمزي ظهرت إشكالية العلاقة بين المنطق التقليدي والمنطق الرمزي إلى ساحة الجدل والنقاش «الذي لم يتوقف منذ حوالي خمسين سنة»[1]، بين تيارات مؤيدة لقيمة المنطق التقليدي معتبرة أنه قد ولد كاملا مكتملا منذ نشأته، وأن أي عمل من بعده فهو مجرد شرح وإضافة، وبين مواقف منكرة لأصالته وقيمته، مقارنة بما تميز به المنطق الرمزي من دقة ورمزية وخصوبة، وكأنه إبداعا جديدا لا صلة له بالمنطق السابق.

إن هذه النظرة المزدوجة (الاتصال، القطيعة) للعلاقة بين المنطق التقليدي والمنطق الرمزي هي موضوع هذه الدراسة المتواضعة، والتي نحاول من خلالها الإجابة عن بعض التساؤلات الجوهرية:

هل العلاقة بين المنطق التقليدي والمنطق الرمزي علاقة انفصال أم اتصال؟ هل ظهور المنطق الرمزي يعتبر تجاوزا وقطيعة للمنطق التقليدي؟ وهل استطاع المنطق الرمزي أن يكشف عن عناصر الجدة والإبداع أم انه لم يخرج عن النسق الأرسطي؟

مفهوم المنطق:

لا نجد للمنطق تعريفا محددا، فهذه الكلمة ذات حقل دلالي متشعب، وربما «نجد مع ج.ديوي (J.Dewey) طرحا إشكاليا لمسألة ما هو المنطق؟ فعلى هذا الموضوع يثور الجدل فيقال مثلا أن المنطق هو علم القوانين الضرورية للفكر، أو أنه نظرية العلاقات المنظمة»[2]، لكن في الغالب يقترن هذا المفهوم: بالعلم الذي يبحث في القواعد الصورية للفكر، أو نظرية الشروط الواجب توفرها للاستنتاج الصحيح، وكلمة منطق التي تعني "Logique" في الفرنسية و "Logic " في الإنجليزية مشتقة من اللفظة اليونانية "logos" «التي تشير إلى الكلام، ثم أخذت معنى اصطلاحي وهو ما وراء الكلام من تفكير واستدلال»[3].

هذا ويتفق البعض على أن كلمة منطق "Logique" لم توجد بهذا المعنى عند أرسطو «و إنما يحتمل أن تكون من ابتكار الشراح المشاؤون من أتباع أرسطو»[4] فكل مايذكره التاريخ أن تلميذه " اندرونيكوس الرودسي" هو من قام بنشر أعمال أستاذه و من بينها مؤلفاته في المنطق حوالي القرن الأول قبل المسيح[5]فهو« لم يعرف الكلمة ولم ترد في كتاباته وإنما أطلق عليه اسم العلم التحليلي»[6].

وإذا ما بدأنا بالمفهوم "الأرسطي" للمنطق فهو يعرفه بقوله: « إنه آلة العلم وموضعه الحقيقي هو العلم نفسه أو هو صورة العلم »[7]، من هذا القول يتضح أن أرسطو يجعل المنطق آلة أو منهجا للعلم، ويضعه خارج دائرة العلوم، فلم يعتبره علما بذاته، ولم يدخله في تصنيفه للعلوم النظرية، ولعل السبب في ذلك كما يري إميل بوترو (E.BOUTROUX) يرجع إلى كون المنطق «يهتم بالتصورات فحسب»[8]، ويعرفه "ابن سينا"(ت 428 هـ) بقوله: «المنطق هو الصناعة النظرية التي تعرفنا من أي الصور والمواد يكون الحد الصحيح الذي يسمى بالحقيقة حدا والقياس الصحيح الذي يسمى برهانا»[9]، إن "ابن سينا" في تعريفه هذا للمنطق لم يخرج عن المفهوم الأرسطي، فهو يجعل المنطق صناعة أو آلة صورية توصل إلى الحدود الصحيحة والأقيسة البرهانية، أما مناطقه "بول رويال" فيصفون المنطق «بأنه الفن الذي يقود الفكر أحسن قيادة في معرفة الأشياء سواء أن يتعلمها هو بنفسه أو أن يعلمها للآخرين»[10]، إن المنطق بهذا المفهوم يعتبر فن اكتشاف ومعرفة.

من التعريفات السابقة يتضح أن المفهوم الأرسطي للمنطق بقي حاضرا تقريبا في كل التعريفات اللاحقة، وعليه يمكن أن نختم القول بالتعريف الذي اقترحه "لالاند" والذي يعتبر أكثر تداولا عندما انتهى في قوله: «من الممكن تخصيص مفهوم المنطق كما يلي: هو دراسة الطرق الصالحة والعامة التي نصل بها إلى الحقيقة، فهو يبحث في الشروط التي يكون فيها فكرنا واضحا ومجددا تماما مفاهيمنا المناسبة، استنباطاتنا الراسخة، استدلالاتنا المسوغة»(11).

ـ إذا فالمنطق المقصود هنا هو المنطق الذي يهتم بصورة الفكر وصحته أكثر من اهتمامه بمادته والمنطق حين يهتم بصورة الفكر يسمى المنطق الصوري، الذي ينقسم إلى:

– أولا: المنطق الأرسطي أو التقليدي.

– ثانيا: المنطق الرمزي: والذي يعرف باسم المنطق الرياضي أو المنطق المعاصر أو جبر المنطق ومن حيث أصل الكلمة (منطق رياضي)، فهي «كلمة قديمة كانت تدل في العصر الوسيط على الحساب العملي»(12)، إلا أن التأصيل الحقيقي لهذه الكلمة بدأ «في مؤتمر جنيف 1904عندما تواضع السادة: "اتلسون"،"لالاند"،"وغواتورا" على إطلاق اسم المنطق الرياضي على المنطق الجديد»(13). ويمكن القول عموما: إن المنطق الرمزي هو علم يقوم على استخدام «الرموز بصورة أوسع وأشمل من المنطق الأرسطي إلى درجة المتغيرات والتطبيقات الرياضية العليا»(14)، حتى أن مناطقة ورياضو العصر الحديث إعتبرو المنطق الحديث علما «لا يختلف عن الرياضيات إختلافا جوهريا و إن كان لكل واحد منهما تطبيقاته الخاصة»(15)، ويرجع ظهور المنطق الرمزي كما يري البعض إلى "ليبنز"ـ Leibniz (1646،1716) الذي حاول أن يستعمل التكميم أو الأعداد في التعبير عن القضايا المنطقية، ثم أرسى قواعده "جورج بول" وطوره "بيانو" و"راسل" ومناطقه آخرون.

– العلاقة بين المنطق التقليدي والمنطق الرمزي:

إن البحث في طبيعة العلاقة بين المنطق التقليدي والمنطق الرمزي يقودنا إلى عرض آراء مختلفة ومتضاربة في هذا الموضوع، هذا الخلاف الذي لم يتوقف منذ حوالي خمسين سنة كما ترى "مارى لويز رو" في مؤلفها "المنطق والمنطق الشارح".

1 ـ الموقف القائل بالقطيعة والتعارض بين المنطق الرمزي والتقليدي: يرى البعض (مناطقه، فلاسفة، رياضيون) أنه يوجد تعارض وتناقض واضح بين المنطق الحديث والمنطق التقليدي، قد يصل إلى حد القطيعة والتجاوز، وإننا لا نجد هذا الفكر الثوري والهجوم العنيف على منطق "أرسطو" يعود إلى سنوات القرن السادس عشر إن لم نقل: قبل ذلك بكثير، يقول "سكولز": «إن التفوه باسم ليبنتز يعنى الكلام على

إشراقه شمس، وبالتالي مع "ليبنتز" بدأ عهد جديد في المنطق... إذ سجل قطيعة كبيرة في التطور التاريخي لهذا العلم»[16].

وكثيرا ما يحتج أنصار هذا الموقف لرأيهم بحجة النقائص والعيوب المسجلة على المنطق التقليدي، أو بحجة التجديدات وعناصر الإبداع التي طرأت على المنطق الحديث.

- عيوب ونقائص المنطق التقليدي:

أ ـ من حيث القضايا: اعتنى المنطق التقليدي منذ نشأته بمبحث الأحكام والقضايا، لأن أرسطو أدرك جيدا أن ابسط عمل يقوم به العقل عند ربطه بين أحساسين أو تصورين للتعبير عن تجربة إدراكية، لا يكون له قيمة «إلا إذا انصب في قالب لغوي، يمكن أن نسميه قضية فتكون القضية بذلك قولا نثبت فيه آمرا لأمر آخر أو ننفيه عنه على سبيل احتمال صدقه أو كذبه»[17].

إلا أن "أرسطو" في تصنيفه النهائي للقضايا حصرها في أربع صور «معتقدا أنها أبسط صور القضايا التي لا يمكن أن تنحل إلى ما هو أبسط منها»[18]، ولكنه اتضح مع المنطق الحديث أن «تلك الصور ليست في حقيقتها صورا بسيطة»[19]. كيف ذلك؟

إن التميز بين القضية العامة، والقضية الحملية[*]، الذي انتبه إليه المنطق الحديث وغفله "أرسطو" كشف أن «القضية الكلية إنما هي في حقيقة أمرها شرطية متصلة تعبر عن علاقة بين دالتي قضيتين[20] وتصبح كل من الداليتين قضية حملية حين تتعين قيمة المتغير»[21]. نلاحظ إذا أن معنى القضية العامة تغير فلم تصبح بسيطة كما كان يعتقد أصحاب المنطق التقليدي، فهي لم تصبح قضية حملية بالمعنى الدقيق وإنما شرطية متصلة.

إن الفصل بين القضية العامة والقضية الذاتية اعتبره البعض حدثا ذا قيمة، لأنه كشف عن حقائق مهمة، فهل يمكن أن نعتبر هذه المسألة منعطفا جديدا في تاريخ المنطق؟ وما هي آثار ذلك؟

استطاع "قوتلاب فريجه" (G.Frege)[22]، أن يميز بين القضية الحملية التي صورتها: سقراط فان والقضية العامة التي صورتها: كل إنسان فان، حيث وضح أننا في القضية الحملية نقرر[**]، بينما في القضية العامة لا نقرر الوجود لأفراد الموضوع بل نكون بصدد الحكم على كل أفراد الموضوع بالفناء، ومن ثم فإن القضية العامة يمكن تفسيرها على الشكل الآتي:

إذا كان س إنسان فإن هذا يتضمن بالضرورة (س) فان، إن هذا التصور الجديد للقضية العامة والتميز بينها وبين القضية الذاتية، نبه المناطقة المحدثين إلى نقاط مهمة وهي:

- أن صورة القضية العامة في جوهرها قضية شرطية، فأصبح الاهتمام المولى في المنطق المعاصر بالقضية الشرطية أكثر من القضية الحملية.

– يوجد تميز بين التقرير والحكم في القضية، فالصدق في القضية الذاتية يختلف عنه في القضية العامة، فنحن في الأولى نحكم وفي الثانية نقرر، لأن موضوع القضية العامة ليس اسم علم وإنما هو إسناد محمول إلى شيء غير محدد في الواقع، بينما في القضية الذاتية موضوعها اسم علم ومحمولها مسند إلى شيء جزئي له وجود في الواقع «هذا ما جعل "راسل" يقرر أن القضايا ذات الصورة كل أ هي ب ليست حملية بالمعنى الدقيق، ولكنها تعبر عن علاقة بين محمولات»[23].

ب . نظرية العكس والأقيسة:

التميز بين القضية العامة والقضية الحملية (الذاتية) أكد عدم صلاحية المنطق التقليدي في بعض استدلالاته وأقيسته عند نقلها إلى النسق الرمزي ويتضح ذلك فيما يلي:

– إن قانون العكس الذي يسمح بعكس القضية الكلية الموجبة إلى قضية جزئية موجبة لا يحافظ على صحته في النسق الرمزي، وسرعان ما يظهر فساد نتائجه، فعندما ننتقل من الكلية القائلة: كل إنسان فان لنصل إلى القضية القائلة: بعض الفان إنسان عن طريق العكس الناقص، نلاحظ أننا انتقلنا من فضية عامة لا تقرر أي حقيقة وجودية، في حين أن النتيجة التي توصلنا إليها تقرر وجود حقيقة واحدة على الأقل، وهذا غير مقبول من وجهة نظر المنطق الرمزي.

– بالصورة بنفسها سوف يظهر فساد مختلف الضروب القياسية..وهى الضروب الأربعة التي تحتوي رمز p : (fesapo, felapton, darapti, baralip.)[24]

ومن الأمثلة على ذلك القياس التالي:

كل إنسان فان

كل إنسان مفكر

بعض المفكر إنسان

نلاحظ في هذا القياس الذي يعبر عن الضرب darapti من الشكل الثالث أنه يبدأ بمقدمتين كليتين «عبارة عن فرضين عامين لا يقران أية حقيقة وجودية، في حين أن النتيجة قضية جزئية موجبة.. تقرر وجود فرد واحد على الأقل»[25].

يمكن القول إذا: جميع الاستنتاجات والأضرب القائمة على الانتقال من القضايا الكلية إلى القضايا الجزئية، غير منتجة وهى فاسدة،كيف ذلك؟

إن القضية الكلية القائلة مثلا: كل إنسان فان، يمكن تفسيرها على الشكل الآتي: إذا كان (س) إنسان فإن هذا يتضمن س فان، وهنا نلاحظ أن القضية الكلية أصبحت تعبر عن دالة قضية، لأنها تحتوي على متغير (س) والذي «قد يرمز في المنطق الحديث إلى حد فارغ لا يدل على أي موجود»[26]، كما أن

«القضية الكلية الموجبة لا تضع وجودا وتقتصر على إدراج صنف الموضوع في صنف المحمول دون أي إحالة على أي وجود »[27]، فالقضية الكلية القائلة: كل إنسان فان «تماما مسألة معرفة ما إذا كان هناك أو لم يكن أناس ويترتب على هذا..أننا عندما نستنتج بالذهاب من (A) الكلية الموجبة إلى (I) الجزئية الموجبة كما تفعل الضروب القياسية المعيبة وكما يحصل ذلك في التداخل وفي العكس الناقص، فإننا نضع وجودا لم يكن في القضية الكلية الموجبة وهو بالتالي غير مشروع»[28]

ج. المنطق التقليدي من حيث الصورنة والنسقية:

يقول: "كوين" (Quine) في "كتابه المنطق الرياضي": «يختلف المنطق الرياضي عن المنطق الصوري التقليدي منهجا ويفوقه قوة ودقة إلى درجة يمكن اعتباره علما جديدا»[29] نلاحظ وكأن "كوين" من زاوية ما يعيب على المنطق التقليدي ضيق نسقيته وصورنته وعدم دقتهما، مقارنة بالمنطق الحديث الذي سعى إلى دفع الطابع الصوري في المنطق إلى أبعد الحدود، كما تميز بتعدد أنساقه «فبفضل الصورنة اتخذ التحليل المنطقي للقضايا، ولصور الاستدلال مجالا واسعا مكن المناطقة المعاصرين من الخروج من الإطار الضيق للمنطق التقليدي»[30]، إن الضيق الذي عرفه المنطق التقليدي من حيث صورنته ونسقيته جعله حبيس القيمة الثنائية، فالقضية لا تخرج عن إحدى القيمتين الصدق أو الكذب «وقد تم التعبير عن هذه الخاصية التي تكتسبها القضايا بصورة واضحة وصريحة في ذلك المبدأ المنطقي الهام الذي صاغه "أرسطو" قديما بعنوان مبدأ الثالث المرفوع»[31].

في مقابل ذلك فإن المنطق الرمزي عرف أنساقا متعددة القيم (m)[*]، فالتطور الذي شهده المنطق منذ القرن التاسع عشر «كشف عن إمكانية التفكير بصورة أوسع وأشمل بعيدا عن المنطق الثنائي القيم»[32].

– إن النقد الذي وجه إلى "أرسطو" «من وجهة نظر اللوجستيقا الحديثة أو المنطق الرياضي هو حصر الاستنباط في القياس وحده، وعدم توسيعه في تحليل الاستنباط وقوانينه»[33].

– كما أنه اقتصر على رابطة واحدة، هي رابطة التضمن التي تعتبر الصلة الوحيدة بين الموضوع والمحمول «مع أن الروابط والعلاقات العقلية لا تعد ولا تحصى، ولكل حالة رابطتها الخاصة»[34]، لذا فإن المنطق الحديث أصلح هذا الخلل في المنطق الأرسطي، حيث اكتشف أنواعا متعددة من الاستدلال غير القياس، كما أنه اكتشف وجود نسب أخرى بين الموضوع والمحمول غير نسبة التضمن.

د. المنطق التقليدي بين فكرة المفهوم والماصدق:

كثيرا ما يعاب على المنطق التقليدي بأنه منطق مفهومي، تأسس على فكرة المفهوم أكثر من الماصدق، فعندما نقول مثلا: الإنسان فان، فإن ما يشغل العقل في المنطق التقليدي – وهو يحكم في هذه

القضية – ليس عدد الأفراد الذين تصدق عليهم صفة الفناء، وإنما صفة الفناء التي يتصف بها الإنسان فالتعريف هنا هو المفهوم ولعل الشيء الذي حمل أرسطو على فكرة المفهوم هو اعتقاده إن لم نقل وفاءه للفكر الأفلاطوني القائل: العلم الحقيقي هو العلم بالكليات، وكأن «المثالية المنطقية الأفلاطونية احتفظت بمكانها في منطق أرسطو»[35]، فبقى منطق أرسطو كما يرى البعض «تابعا لميتافيزيقا معينة والمفاهيم التي يقبلها لا يمكن أن تقبل إلا بشرط ضمان أنتولوجي»[36].

في المقابل نجد المنطق الحديث تأسس على فكرة المصادق، فقد راودت "ليبنتز" فكرة بناء منطق تقوم تصوراته على المصادق أو بمعنى أخر فكرة الكم، فكان بذلك «المبشر الممتاز للوجستيك أو المنطق الرياضي»[37].

– إن فكرة الاعتقاد بما هو كلي والتعامل بالحدود الكلية في المنطق التقليدي لم تلق قبولا من طرف المناطق المحدثين، حيث لم يعد للفكرة الكلية أي اعتبار كأساس للعلم، وإنما الذي يوجد وجودا حقيقيا هو الجزئي، حيث تصبح التصورات الجزئية هي تعبيرات مباشرة للحقيقة الفردية وبهذا فإن «كل قضية وكل برهنة سترد إلى الاستدلالات من الجزئي إلى الجزئي»[38].

و . المنطق التقليدي ومشكلة اللغة:

يعاب على المنطق التقليدي كونه منطق ألفاظ وحدود، يعالج قضاياه في إطار اللغة الطبيعية التي لا ترقى إلى مستوى اللغة الرمزية الرياضية الدقيقة «فأرسطو يستخدم عبارات مختلفة للدلالة على المعنى الواحد، فمثلا يبدأ نظريته القياسية بهذه الألفاظ "أ" محمول على كل "ب"، ولكنه بعد ذلك بقليل يستبدل بهذه العبارة عبارة أخرى "أ" ينتمي إلى كل "ب"، وكثيرا ما يهمل العبارتين محمول على "و" ينتمي إلى، بل إنه أحيانا يهمل اللفظة الهامة الدالة على الكلمة كل»[39]، ويذهب بعض المناطقة المعاصرين، ومن بينهم "برتراند راسل" (B.russel) إلى القول: «بأن المنطق الحديث نشأ في أحضان الرياضيات وتطور حسب متطلباتها، بينما المنطق التقليدي نشأ في أحضان الفلسفة»[40].

ي . المنطق التقليدي وعقم النتائج:

«ينتهي "جون ستيوارت ميل"(J.Stuart) في تحليل بارع إلى اعتبار المنطق الأرسطي خاصة في صورته القياسية منطقا لا موضوع له، وأن في قياسه المشهور مصادرة على المطلوب تجعله قياسا غير مشروع أو عملية عقلية عقيمة»[41]، لأن نتائجه مضمرة في المقدمات فهو لا يقدم نتائج جديدة، فعندما نقول مثلا: كل إنسان فان، سقراط إنسان، لنستنتج أن سقراط فان فإننا نلاحظ أن النتيجة لم تأت بجديد، ويدعو "جون ستيوارت ميل" إلى منطق «يجمع الوقائع بواسطة استدلالات جزئية لكي نصل إلى قوانين عمومتها حسية تجريبية»[42].

إذا كانت هذه هي الصورة العامة للمنطق التقليدي فهل يعنى هذا أنه منطق تجاوزه الزمن وهو لا يمت بأي صلة للمنطق الحديث؟ أم أن جملة النقائص والعيوب التي أخذت عليه مجرد نقائص شكلية لا تنقص أو تقلل من قيمته؟ وأنه يبقى الأرضية التي لا تهتز والقاعدة الصلبة لأي منطق ظهر بعده؟

2 . الموقف الرافض لفكرة التعارض والانفصال بين المنطق التقليدي والمنطق الرمزي:

يبدأ الدكتور "عبد الحميد صبره" في مقدمة مترجمه "نظرية القياس الأرسطية" لصاحبه "لوكاشيفت" قائلا: «والذين يعارضون بين منطق أرسطو والمنطق الرياضي إنما يسيئون فهم العلاقة بينهما، فالمنطق الرياضي ليس جنسا آخر من المنطق يباين المنطق الأرسطي»[43]، على ضوء هذا القول يتبين لنا أن الدكتور "عبد الحميد صبره" واحد من الذين ينفون وجود تعارض أو قطيعة بين المنطق الرمزي والمنطق التقليدي، متفقا مع "لوكاشيفيتش" وأنصار هذه النظرية حيث يقول أيضا: «إن مسألة التناقض المزعوم بين نتائج المنطق الرياضي وبعض قوانين المنطق الأرسطي، سوف يظهر للقارئ وجه الحق فيها حين يقرأ هذا الكتاب»[44]، قاصدا كتاب "نظرية القياس لـ" لوكاشيفيتش، إذا فقد حاول الكثير من المناطقة الأوفياء أن يدحضوا الموقف القائل بالقطيعة والانفصال بين المنطق الرمزي والمنطق التقليدي، إما بالرد على جملة الانتقادات والصعوبات التي أثارها بعض المناطقة الرمزيين، وإما بالكشف عن نقاط التشابه وخطوط التواصل بين المنطق المعاصر والمنطق التقليدي، ويمكن توضيح ذلك في مايلي:

– في مقابل الادعاء الذي وجهه البعض للمنطق التقليدي كونه تميز بضيق صورنته ونسقيته وعدم دقتهما، فإننا نجد المنطقي البولوني "يان لوكاشيفيتش" في كتابه "نظرية القياس" يقول: «إن نظرية القياس الأرسطية نسق يفوق في أحكامه أحكام النظريات الرياضية»[45]، وهذا اعتراف واضح على أن «النسقية والصناعة الصورية الرمزية، رغم ضيقهما وعدم دقتهما في المنطق التقليدي، كانتا حاضرتين، أي أنه حمل خاصيتين أساسيتين من خصائص المنطق المعاصر»[46]، فكان بذلك مرحلة من مراحل تطور المنطق المعاصر وليس منطقا مختلفا عنه تماما.

– أما مقولة إن المنطق التقليدي قائم على فكرة المفهوم بينما المنطق الحديث على فكرة الماصدق فهذه مسألة يختلف فيها المناطقة المحدثون، ثم إن فكرة المفهوم (الكيفية) بدورها لم تنعدم كلية في المنطق المعاصر ونجدها حاضرة في قضاياه، يرى "روديه" «إن الماصدق البحت لا يستحضر شيئا يمكن أن نفكر فيه أو نتخيله»[47].

– إذا كان البعض يقول بوجود تعارض بين المنطق الرمزي والمنطق التقليدي بحجة آن المنطق الرمزي اصطنع لنفسه لغة رمزية بعيدة عن اللغة الطبيعية، فيمكن القول: إن استعمال اللغة الرمزية في المنطق المعاصر «لا يدل بذاته على الخروج عن ميدان المنطق الأرسطي، ولنذكر أن أرسطو كان أول من استخدم

المتغيرات في المنطق فخطا بذلك الخطوة الأولى نحو التعبير الرمزي الشامل»[48]، كما أن نظرية القياس في المنطق الأرسطي لا تخلو من الرمزية «فقد كان إدخال المتغيرات في المنطق من أعظم مبتكرات أرسطو.. ويبدو أن أرسطو قد اعتبر ابتكاره هذا شيئا واضحا لا يحتاج بيانا»[49].

– أما فيما يتعلق بفكرة التضمن التي يرتكز عليها المنطق المعاصر، فالمنطق التقليدي بدوره لم يخل منها، وقد استطاع "لوكاشيفيتش" أن يوضح ذلك، حيث نجده يؤكد آن أرسطو «صاغ أقيسته جميعا على أنها قضايا لزومية على صورة "إذا كان " أ " ينتمي إلى كل "ب" كان "ب" ينتمي إلى بعض" أ "، إذا فالقياس الأرسطي وضع في اعتباره مسألة التضمن»[50].

– وإذا كان المنطق المعاصر يقوم على فكرة المتغيرات والثوابت فكذلك أرسطو في منطقه عرف ذلك إذا لم نقل هو من زودنا بها «وأهم هذه الثوابت (و)، (إذا) (ينتمي إلى الكل) (ينتمي إلى لا واحد)، (ينتمي إلى بعض)، (لا ينتمي إلى بعض)»[51].

– أما مسألة كون المنطق التقليدي ثنائي القيمة، فإننا نجد "لوكاشيفتش" نفسه يقول: «لما ناقش أرسطو إمكانية حدوث معركة بحرية في المستقبل اقترب كثيرا من تصور منطق كثير القيم، ولكنه لم يعمل على توكيد هذه الفكرة العظيمة، فبقيت قرونا لا تثمر شيئا، وبفضل أرسطو استطعت أن أكشف هذه الفكرة سنة 1920، فأنشأت أول نسق منطقي كثير القيم»[52]، نستنتج إذا من هذا الاعتراف لـ"لوكاشيفتش" أن فكرة الأنساق المتعددة القيم التي ظهرت في المنطق المعاصر، لم تكن إبداعا جددا بل جذورها الأولى مرتبطة بالمنطق التقليدي.

– إن ما حصل من تجديدات في المنطق الحديث إنما هو «امتداد وتكملة للمنطق الصوري الذي جاء أرسطو بأول نظرية فيه، مثال ذلك أن حساب القضايا الذي وضع "قوتلاب فريجه" أسسه الحديثة في النصف الثاني من القرن الماضي، هو نظرية تفترضها منطقيا نظرية القياس الأرسطية»[53].

الخاتمة:

إن الملاحظات السابقة التي سجلناها تجعلنا نخلص إلى اقتراح لحل إشكالية العلاقة بين المنطق الرمزي والمنطق التقليدي، وهو رأي استوحيناه من تلك المواقف المتضاربة في هذا الموضوع، فإذا كانت نقاط الاختلاف والتعارض المسجلة بين المنطق التقليدي والمعاصر قد دفعت إلى القول بوجود تمايز بين المنطقين يصل إلى حد القطيعة والانفصال، فإن ما بينهما أيضا من تشابه وتواصل ينفي صحة الموقف الأول ويكشف تهافت ادعاءاته وبطلان حجته، ويدعو إلى القول من جديد، بأن حقيقة العلاقة بين المنطق المعاصر والمنطق التقليدي إنما هي علاقة تداخل وتكامل معرفي. فالمنطق التقليدي بقوانينه، ومبادئه ومفاهيمه، يشكل الأرضية الصلبة للمنطق المعاصر، رغم ما به من عيوب أو نقائص.

فأما عن جملة العيوب، فهي في الحقيقة لا تنقص من قيمته أو تعني قطع الصلة التامة معه أو تفضي إلى القول: أن المنطق المعاصر صورة جديدة و إبداع لا يمت في شكله أو صورته إلى المنطق التقليدي، ومن يصر على هذا الادعاء فهو إما منكر لحقيقة المنطق الأرسطي أو جاحد لدوره وقيمته، وإننا لا نجد «"لوكيه" يقول: في هذا الشأن، كل الزيادات التي أضافها أصحاب المنطق الجديد لكي تكون صورا كاملة لمنطق صوري، ليست إلا امتدادا للمنطق الأرسطي القديم، ولقد بقي المنطق القديم كما وضعه أرسطو... وكل الإضافات الجديدة إنما هي في نطاقه وتبدأ منه وتدور حوله»(54). أما عن النقائص فيمكن القول: أن النقص من طبيعة العلم عموما وليس المنطق فقط فليس المطلوب من أي نظرية منطقية الاكتمال وإنما التناسق وعدم التناقض بين النتائج والمنطلقات.

إن المنطق المعاصر يعبر بدوره عن التكملة والتوسع للمنطق التقليدي لأنه أعطى دفعا قويا وأبعادا جديدة للمنطق التقليدي فقد صاغ طرقا من الاستنتاج والاستدلالات التي زادت من دقة الطرق القديمة، وهذا أمر لا يمكن إنكاره، فالهدف واحد بين المنطق المعاصر والمنطق التقليدي، وهو السعي إلى ضبط المنهج الصحيح للعلم، وتحقيق التطابق بين الفكر مع نفسه من جهة، والفكر مع الواقع من جهة أخرى.

إذا فالعلاقة بين المنطق المعاصر والمنطق التقليدي علاقة تكامل معرفي، وهكذا الشأن في كل علم إذ لا نجد علما تخلي عن تاريخه، أو نظرية انبثقت من عدم، ولعل المستقبل سيكشف لنا في يوم ما، كيف يصبح المنطق الرمزي أرضية جديدة لمنطق جديد!.

الهوامش:

(1)- مي لويز رور، المنطق والمنطق الشارح، ترجمة: محمود يعقوبي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2009، ص29.

(2)– شهرزاد دراس، الأسس الفكرية والأبيستمولوجية للمنطق، مجلة الحوار الثقافي ، عدد ربيع وصيف 2012، مطبعة AGP بئر الجير، وهران، 2012، ص 89.

(3)- علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص 02.

(4)- لالاند، الموسوعة الفلسفية، المجلد الثالث، ترجمة: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر الطباعة، بيروت، لبنان،2008، ص 743.

(5). R. Blanche, la logique et son histoire, Armand Colin, Masson, Paris, 1970, P. 25

(6)- على سامي النشار، المرجع نفسه، ص 04.

(7)- المرجع نفسه، ص 06.

(8)- E.BOUTROUXK, ETUDES DHISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE, PARIS, 1897, P.111

(9)- المرجع نفسه، ص 07.

(10)- المرجع نفسه، ص 10.

(11)- لالاند، الموسوعة الفلسفية، المرجع نفسه، ص 745.

(12)- المرجع نفسه، ص 774.

(13)– المرجع نفسه، ص 750.

(14)- الحفني، عبد المنعم، الموسوعة الفلسفية، بدون طبعة، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1992، ص464.

(15)- R. Blanche, la logique et son histoire, OP CIT, P.347

(16)- روبير بلانشى، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، تر: خليل احمد خليل المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان، بدون تاريخ، ص 259.

(17)- محمود يعقوبي، دروس المنطق الصوري، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثالثة، الجزائر، 2009، ص 69.

(18)- عبد المعطي محمد، المنطق ومناهج البحث العلمي في العلوم الرياضية والطبيعة، الطبعة الثالثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 237 .

(19)- المرجع نفسه، ص 257

(*)- القضية العامة هي القضية التي يكون موضوعها مجموعة أفراد آو فيئه غير محددة. أما القضية الحملية فهي القضية التي يكون موضوعها حدا فرديا، أو اسم علم.

(20)- قول يحتوى على حد واحد أو أكثر متغير أو مشترك، بحيث إذا عوض المتغير بقيم ملائمة أصبح القول قضية.

(21)- عبد المعطي محمد، المرجع نفسه،ص 275

(22)- "قوتلاب فريجه"(1848 ،1925)من أكبر الرياضيين الألمان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، يعتبر من مؤسسي المنطق الحديث ، عرف بالمذهب اللوجيستيقي من أهم كتبه مبادئ الرياضيات .

(**)- تقرري: أي جازم ومؤكد، وهو فعل العقل الذي يعلن صحة قضية أو قول سواء بالإيجاب أو السلب

(23)- عبد المعطي محمد، المرجع نفسه، ص 258.

(24)– ماري لوز رور، المرجع نفسه، ص31.

(25)- أحمد مساوي، مكانة المنطق في الفلسفة التحليلية المعاصرة، معهد المناهج، الجزائر،2007، ص116.

(26)- المرجع نفسه، ص117.

(27)- ماري لوز رور، المرجع نفسه، ص 34.

(28)- المرجع نفسه، ص 34.

(29)- أحمد مساوي، المرجع نفسه، ص129.

(30)- المرجع نفسه، ص 132.

(31)- ماهرعبد القادر، التطور المعاصر لنظرية المنطق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1988، ص 15.

(*)- (m) . متعدد القيم: هو منطق يقول بقيم إضافية إلى جانب قيمتي الصدق والكذب التقليديتين.

(32)- ماهر عبد القادر، المرجع نفسه، ص 15.

(33)- يان لوكاشيفتش، نظرية القياس الأرسطية، ترجمة: عبد الحميد صبره، دار المعارف الإسكندرية، مصر، 1961، ص 192.

(34)- علي سامي النشار، المرجع نفسه، ص 37.

(35)- المرجع نفسه، ص 21.

(36)- ماري لوز رور،المرجع نفسه، ص48.

(37)- على سامي النشار، المرجع نفسه، ص37.

(38)- المرجع نفسه، ص 30.

(39)- يان لوكاشيفتش، المرجع نفسه، ص 32.

(40)- المرجع نفسه، ص 33.

(41)- علي سامي النشار، المرجع نفسه، ص 30.

(42)- المرجع نفسه، ص 30.

(43)- يان لوكاشيفتش، المرجع نفسه، ص 07.

(44)- المرجع نفسه، ص 09.

(45)- أحمد موساوي، المرجع نفسه، ص127.

(46)- المرجع نفسه، ص 129.

(47)- على سامي النشار،المرجع نفسه ، ص 179.

(48)- يان لوكاشيفتش، المرجع نفسه، ص 09.

(49)- المرجع نفسه، ص08.

(50)- يان لوكاشيفتش، المرجع نفسه، ص 190.

(51)- المرجع نفسه، ص 190.

(52)- المرجع نفسه، ص 134.

(53)- المرجع نفسه، ص 20.

(54)- علي سامي النشار، المرجع نفسه، ص 49.

الحدث الجانح بين الأسرة ومؤسسات إعادة التربية

Event delinquent between the family and re-education institutions

أ/قليل محمد رضا، جامعة تيارت   أ.د/فسيان حسين، جامعة وهران2

ملخص:

يتفق الباحثون على أن للأسرة الأثر الواضح في تكوين شخصية الفرد منذ مولده إلى مرحلة شبابه، كما تؤثر في نماء بدنه وعقله ونفسيته وسلوكه.

وتنبع أهمية الأسرة من دورها التربوي والنفسي والاجتماعي والثقافي، فهي البيئة الاجتماعية الأولى التي تحتضن الولد منذ ولادته، وهي أكثر الأماكن ملائمة لنموه.

يعد وضع الحدث الجانح في المراكز المتخصصة " مراكز إعادة التربية " الخاصة بالأحداث الجانحين في كثير من الأحيان يصاحب تكرار الجانح أعمال أخرى مخالفة للقوانين بعد خروجه من المركز وهذا راجع لعدة أسباب أهمها غياب الرعاية الأسرية أو فقدان انتماء الطفل للأسرة.

فمؤسسات إعادة التربية الخاص بالأحداث الجانحين لا تعد دائما الوسط العادي أو الطبيعي للمراهق حيث أن القاصر يكون معرّض إلى أنواع أخرى من العنف من التي تلقاها في الخارج أو داخل العائلة وهي بعض مظاهر العنف التي يتلقاها من الآخرين المتمثلين في الأطفال المقيمين بالمركز أو العمال المؤطرين الذين نجدهم في مراكز إعادة التربية أو حماية الأحداث الجانحين.

تتمثّل أهمية هذا الموضوع في توفير قدر من المعلومات والبيانات التي تتعلّق بشخصية الحدث الجانح والمساهمة في لفت الانتباه لدور العلاقة بين الحدث الجانح وعائلته.

إذا من هو الحدث الجانح وما هو أثر الأسرة في سلوك الحدث الجانح؟ وما هو وضع الحدث الجانح بين أسرته ومؤسسات إعادة التربية؟

الكلمات المفتاحية: الأسرة، البيئة الاجتماعية، الحدث الجانح، مراكز إعادة التربية، الوسط العائلي، شخصية الحدث الجانح.

Article Summary: Researchers agree that the family is obvious impact in the formation of a person's character from his birth to his youth phase, also affect the development of his body and his mind and psyche and behavior.

The importance of family and the role of educational and psychological, social and cultural, it is the first social environment that embraces the boy since birth, and is the most suitable places for the child.
The juvenile offender placed in specialized centers "re-education centers" juvenile delinquents often accompanied by a repeat offender and other acts of violation of the laws after his release from the center and see this for several reasons, most notably the absence of family care or the loss of a child belonging to the family.
Re Special Education juvenile offenders institutions are not always normal or natural for a teenager center where the minor is to be fair to other types of violence of which received abroad or within the family and are some of the manifestations of violence received from the other goals of children living center or trainers who Workers We find them in re-education centers or the protection of juvenile delinquents.
The importance of this subject is to provide as much information and data relating to the character of the offender and contribute to the event to draw attention to the role of the relationship between the juvenile offender and his family.
If the offender is an event and what is the impact of the family in the event delinquent behavior? And what is the status of delinquent event between his family and re-education institutions?
Keywords: family, social environment, the juvenile delinquent, re-education centers, family environment, delinquent personal event.

أولا: مفهــوم الحــدث

تشير كلمة (الحدث) إلى صغير السن الذي لم يتم صاحبه نضجه النفسي والعقلي والاجتماعي، ولم يكتمل نموه وإدراكه. ومصطلح (الأحداث يشمل الفئات العمرية التي لم تبلغ سن الثامنة عشرة) [1] .

ويمثل الحد الأعلى للسن عاملاً حاسماً، ودونه يمنح الشخص صفة "الحدث" الذي تطبق عليه في ضوئها تدابير خاصة... والحدث هو أي شخص صغير السن – ذكراً كان أم أنثى – دون سن معينة، وتختلف المجتمعات عند تحديد هذه السن. ففي إنجلترا – مثلا –تحددت سن الحداثة بثمان سنوات، رفعت بعدها إلى عشر وبنهاية السبعينيات أصبحت أربعة عشر سنة، وأخيرا أصبح الحدث من يقع في فئة عمرية .14 -17سنة [2].

كما يعرف الحدث بأنه "الإنسان في دور التكوين الاجتماعي، وقبل أن يكتمل له النضج والإدراك الصحيحان، وحتى يبلغ الحدث مرتبة النضج والإدراك لا بد من أن تمر فترة من عمره يتمرس فيها على كيفية

الاندماج في المجتمع، ويتسلح فيها بالخبرة والتجارب..." ويعرف الحدث الجانح بأنه "الشخص الذي تحت سن 18 سنة، ويرتكب فعلا لو ارتكبه شخص كبير اعتبر جريمة" [3].

والأحداث الجانحون هم: "الذين يرتكبون في سن صغيرة أفعالا كان يمكن أن تضعهم تحت طائلة العقاب والقانون لو قاموا بها وهم أكبر سناً".

1- الحدث في مفهوم علم النفس:

تبدأ في مرحلة تكوين الجنين في رحم الأم وتنتهي هذه المرحلة بالبلوغ الحسي الذي تختلف مظاهره في الذكر عنه في الأنثى.

ومعنى ذلك أن تحديد الحدث في علم النفس يختلف من حالة لأخرى، رغم تماثل أفراد كل منهما من حيث السن، وذلك تبعا لظهور علامات البلوغ الجنسي ويترتب ذلك أن الشخص الذي يبلغ سن العشرين من عمره يظل حدثا إذا لم تظهر عليه.

في حين يعتبر الشخص بالغا وليس حدثا في مفهوم علم النفس ولو يجتاز العاشرة من العمر ما دامت علامات البلوغ الجنسي قد ظهرت لديه وبذلك يمكن تقسيم مراحل حياة الفرد إلى ثلاث مراحل رئيسية الأولى هي: - المرحلة الأولى: مرحلة التكوين الذاتي، أي مرحلة التركيز على الذات.

- المرحلة الثانية: هي مرحلة التركيز على الغير.
- المرحلة الثالثة: هي مرحلة النضج النفسي وفيها تتكامل الشخصية والقدرات النفسية لدى الحدث الذي يكون في هذه الحالة، قادرا على التفاعل الإيجابي مع المجتمع.

2- الحدث في المفهوم النفسي والاجتماعي:

الحدث هو "الصغير منذ ولادته حتى يتم نضجه الاجتماعي والنفسي وتتكامل لديه عناصر الرشد" ويرى علماء النفس والاجتماع أن الحدث هو الصغير الذي لم يكتمل إدراكه وقدرته على تكييف سلوكه و تصرفاته حسب ظروف الواقع و متطلبات المجتمع. وهو يقولون إن مرحلة الحداثة التي يمر بها الولد تنقسم إلى الأقسام التالي.

أ- **مرحلة الطفولة الأولى**: وتمتد من الميلاد إلى نهاية السنة الثانية، وفيها يتطوّر النمو الاجتماعي، والقدرة على الاندماج في الجماعة التي ينتمي إليها.

ب- **مرحلة الطفولة الثانية**: وتبدأ من العام الثالث وتنتهي في العام السادس، حيث نلاحظ نمو عقلي بمظاهره اللغوية والإدراكية ونمو في أعضاء وأجهزة الجسم المختلفة.

ت- **مرحلة الطفولة الثالثة:** وتستمر من العام السابع إلى العام التاسع، وتتجه حياة الطفل الإنفعالية بعد عامه السادس نحو الهدوء النسبي، وتتكوّن لديه بعض العادات والعواطف والاتجاهات وينمو ذكاؤه فيصبح قادرا على التحليل والفهم والتفكير السليم والتكيّف مع المواقف المتجددة.

ث- **مرحلة الطفولة المتأخرة:** وتبدأ من التاسعة وحتى سن الثانية عشرة، نجد نمو الطفل الاجتماعي واللغوي الذي يساعد على نمو مقومات الحياة الاجتماعية، كما ينمو في هذه المرحلة إدراكه للعلاقات ويزداد تركيز انتباهه وسعة ذاكرته.

ج- **مرحلة المراهقة:** هذه المرحلة التي تبدأ من سن الثانية عشرة وتستمر حتى سن الرابعة عشرة يكتمل فيها النضج الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي، وتتميّز هذه المرحلة بظهور مشكلات في جميع أوجه التكوين النفسي.

ح- **مرحلة البلوغ:** وتبدأ من العام الرابع عشر وتنتهي عند سن الواحدة والعشرين. وتتميز بمظاهر جسمية وعقلية وانفعالية واجتماعية. كما تتميّز بوصول نمو الحدث فيها إلى أقصاه. وتحدث فيها تغيرات جوهرية عضوية ونفسية.

ويلاحظ المتخصصون أن أخلاق الكثير من الأطفال تفسد في سن مبكرة بسبب تأثير المحيط. لهذا يقتضي الإسراع في إصلاح سلوك الحدث ورعايته وحمايته من الانحراف، وتدريبه على السلوك السوي.

ثانيا: مفهـــوم الجنـــوح

هنالك بعض الصعوبة في تحديد هذا المفهوم فالجنوح يتصل بشكل أو بآخر بمفهوم الجريمة وبمفاهيم تعني الجريمة من مفاهيم السلوك الإجرامي ويظهر أن إيجاد تعريف شامل لمفهوم الجنوح مازال يتعذر تحقيقه وذلك لارتباطه بقضايا علمية واسعة يشارك فيها رجال القانون إلى جانب الأحداث بأرضية علماء النفس والاجتماع والخبراء الاجتماعيين وأطباء النفس والعقل وغير هؤلاء من المفاهيم القانونية التي أبرزها الفقه الجنائي للتعامل مع فئة الأحداث الذين يرتكبون أفعالا مخالفه للقانون.

ويشير الجنوح la délinquance في معناه الحرفي إلى "التخلي عن واجب أو ارتكاب خطأ، ولا يعني بالضرورة ارتكاب جريمة، ولكن الاصطلاح كثيرا ما يستخدم كمرادف للجريمة وخصوصا بالنسبة للجرائم غير الخطيرة أوالتهم التي يرتكبها صغار السن.

ويعني الجنوح أيضا "سلوكا أو مجموعة من التصرفات، هذا السلوك يمكن أن يكون من تأثير مجموعة من الاضطرابات أو عدم التوازن الاجتماعي، أو ضغوط اقتصادية أو صراع مع الحضارة المدنية، كما يمكن أن يكون الجنوح بسبب اضطراب نفسي أو مرض عصبي.

كذلك يعني الجنوح "خروج الحدث عن الطريق السوي، وإقدامه على ممارسة أحد أنماط السلوك غير الاجتماعي والإجرامي الذي يتعارض مع المعايير الاجتماعية والقانونية المعمول بها دون بلوغ السن القانونية التي تتيح محاكمته ومساءلته.

إن مشكلة جنوح الأحداث تعد من أكبر المشاكل التي تعاني منها المجتمعات المعاصرة. وتعود جذور المشكلة إلى ضعف التربية في البيت والمدرسة والبيئة، وانصراف الآباء والأمهات عن رعاية الأبناء رعاية كافية.

يعرف علماء النفس الجنوح بأنه السلوك المضاد لعادات وأعراف وقوانين المجتمع. ويصفونه بأن السلوك الشاذ الناتج عن اضطرابات نفسية متمثلة في الصراع والإحباط والتوتر والقلق والحرمان العاطفي وانعدام الأمن والجوع الانفعالي. والخبرات المؤلمة، والأزمات النفسية، وعدم إشباع الحاجات والنمو المضطرب، والضعف العقلي والخلقي، وتأخر النضج النفسي، وعدم الدوافع وتنظيمها والتحكم فيها.[4]

ويعرف بأنه انحراف وهو صورة من صور من الاضطرابات السلوكية، تتميّز بالتعبير عن الصراعات النفسية بسلوك مناهض المجتمع والاستجابة لعدم التوافق بطرق عدوانية.

ثالثا: مفهــوم جنــوح الأحــداث:

حسب الباحثين لو وسوزيني (loo & Susini ,1976) يوجد إبهام وغموض وعدم التمييز {بين مفهومي الانحراف والجنوح، فالجنوح هو مصطلح يضم كل السلوكيات التي تخترق العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية والأخلاقية التي يسيرها المجتمع، وهو يختلف من ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر[5].

ومن ثم الجناح يعد صورة من صور الانحراف، سواء أكان هذا الانحراف يقع تحت طائلة القانون أم لا، وتعد خارجة على القانون، والجناح يشمل أنواعا من الانحرافات لا تعد من الناحية القانونية جرائم وإن كان المجتمع يعدها مضايقات لا يرضى عنها أو يحبذها.

ويرى البعض أن انحراف الأحداث هو لون من اضطراب السلوك يرجع إلى اضطراب في النمو النفسي نتيجة عوامل مختلفة تكون قد عاقت هذا النمو وتؤدي إلى نقص في بعض نواحي الشخصية. فالجنوح من نظرة علم النفس هو سلوك لا اجتماعي أو مضاد للمجتمع يقوم على عدم التوافق أو الصراع النفسي بين الفرد ونفسه

وبين الفرد والجماعة بشرط أن يكون الصراع والسلوك الاجتماعي سمة واتجاها نفسيا واجتماعيا. تقوم عليه شخصية الحدث المنحرف. وتستند إليه في التفاعل مع أغلب مواقف حياته وأحداثها، وإلاّ كان هذا السلوك حدثا سطحيا عارضا يزول بزوال أسبابه الناشئة عن عوامل اقتصادية أو صحية أو حضارية أو ثقافية.

رابعا: أثر الأسرة في سلوك الحدث

من المؤكد أن الأسرة هي البيئة الأولى التي يتعلّم فيها الطفل أنماط السلوك، والتعود على ممارسة العادات والآداب الاجتماعية، وهي التي تغرس فيه الأنماط السلوكية المقبولة، وتعاونه على التكيّف السوي مع أفراد المجتمع وتكوينه السلوك الصحيح. فالأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى المسؤولة عن تطوير شخصية الطفل من النواحي الجسمانية والاجتماعية والنفسية والعقلية والوجدانية...الخ .فهي الجماعة الإنسانية الأولى التي يحتك بها الطفل وهي بهذا مسؤولة عن لإكسابه أنماط السلوك الاجتماعي وكثيرا من مظاهر التوافق وسوء التوافق كما تغرس فيه خلال سنوات طفولته ردود أفعال اتجاه القيم والمعايير.
وبناءا عليه فإن الأسرة هي المسؤولة عن بناء نمط سلوك الطفل وقيمه وغرس الصفات والأخلاق الحميدة فيه وهناك عدة دراسات ترى أن الأسرة المفككة لها دور فعال في تكوين السلوك الإجرامي لدى الطفل وبعضها يرى خلاف ذلك. وتعتبر الأسرة من أهم الجماعات الأولية بالنسبة لتربية الطفل وتوجيهه والاهتمام به، لذا فان الأسرة تؤثر على تكوين شخصية الحدث، ورسم مستقبله، فهي تعد بمثابة الخلية الأولى لأي مجتمع.

1- الصراعات والخلافات الزوجية:

تلعب الصراعات والخلافات المتكررة التي تحدث بين الزوجين في إطار حياتهما اليومية دورا كبيرا في تكوين شخصية الطفل غير السوية، فالطفل يكون له الشعور الدائم بانعدام الأمن والطمأنينة حيث تحصل تلك المشاعر السلبية نتيجة الخوف الطريقة التي يتعامل بها الأبوين فالجو الأسري المضطرب يؤدي بالطفل إلى التطبع على التمرد واكتساب السلوك العدواني وقد يصل إلى الانسحاب أو التشرد والهروب رغبة في التخلص من ذلك الجو المتوتر وغير المناسب ما يؤدي به الدخول في عالم التشرد والانحراف.

2- القسوة في معاملة الأبناء:

من الطرق التي تؤدي إلى السلوك الاجتماعي غير المرغوب فيه، هي إساءة معاملة الطفل، حيث أن بعض الآباء يمارسون العنف مع الأطفال، وقد أشارت الدراسات إلى أن قيام الوالدين بممارسة العقاب النفسي والجسدي الشديد على الأولاد، واستعمال أسلوب القسوة معهم سيؤدي بهم إلى الميل إلى أن يصيروا في كبرهم عدوانيين.

كذلك قسوة المعاملة مع الحدث يمكن أن يولد لديه الرغبة في الانتقام، أو يمكن أن تولد لديه ردود فعل مادية كالسرقة، فالمنزل يجب أن يكفل المأوى الصالح للطفل، ويغذي طفولته بالطمأنينة، ويبعد عنه عوامل القلق والاضطراب المبكر، ويمكنه من الحصول على المستوى الصحي اللازم ويهيئ له الكيان. ويدربه على مواجهة المعايير المتعارف عليها لسلوك.

3- التصدع الأسري:

تعد الأسرة المتصدعة أرضية خصبة وصالحة لإنتاج الحدث الجانح، باعتبار أن الوالدان هما أكثر الناس تأثيرا في توجيه سلوك الطفل، وهذا ما هو معترف عليه من قبل المختصين التربويين والنفسانيين وعلماء الإجرام الذين قاموا بدراسات مكثفة لمعرفة إمكانية وجود علاقة بين جنوح الأحداث والبنية العائلية عند تصدعها.

التصدع الأسري يحدث اضطرابات عاطفية ونفسية جد معقدة، والتصدع لا يعني الطلاقة فقط بل هو يتعدى ذلك، فتصدع العلاقات الأسرية يشمل النزاع بين الزوجين والأبناء، الطلاق، التفريق بين الأبناء...الخ من التعاملات التي تكسر روابط المودة والأمن والحب في البيت.

وقد أظهرت الدراسات التي قام بها مختصون في التربية وعلم النفس وعلم الإجرام، وجود علاقة بين جنوح الأحداث وتصدع الأسرة بسبب الطلاق أو وفاة أحد الوالدين أو كلاهما. وقال (قلواك gluecks) في دراسة له " إن أهم القوى التي تحدد فيما إذا ما كان الطفل ينحرف أم لا، هي الجو العائلي. ففي البيت وفي نوع علاقة الآباء والأطفال توجد أسباب انحراف أو استواء سلوك الطفل «فإذا لم تتمكن الأسرة في توفير احتياجات الولد المتمثلة في الحب والعطف والأمن والتقبل. فمن المحتمل أن يؤثر ذلك على سلوكه مستقبلا[6].

كتبت (مريم ووتر Mariam van waters) و هي باحثة اجتماعية عن الدور الذي تلعبه الأسرة المهدمة في جنوح الأحداث، فقالت " إن المنزل يجب أن يكفل المأوى الصالح للطفل، و يغذي طفولته بالطمأنينة، و يبعد عنه عوامل القلق و الاضطراب المبكر، و يمكّنه من الحصول على المستوى الصحي اللازم لدرء مخاطر الأمراض، و يهيأ له الكيان الاجتماعي، و يدرّبه على مواجهة المعايير المتعارف عليها لسلوك الجماعة، كما يدرّبه على التجاوب مع المواقف الإنسانية التي تبرز العواطف الكبيرة، كالحب و الخوف و الغضب، و يغذي فيه فنّ الحياة في مجتمع صغير – وهو الأسرة – تكون فيه العلاقات الإنسانية بسيطة ورحيمة. وأخيرا فإن للبيت رسالته الكبرى في فطام الحدث، ليس من بطن أمه في هذه المرة، وإنما الاعتماد على الآخرين، بأن يتحرر من الالتصاق بقوة الرحمة والبساطة التي يجدها داخل البيت حتى لا يفقد الشباب روح النضال والعمل والخدمة في مجال العلاقات الإنسانية في الخارج [7].

ومن الأحسن أن نقول بأنه ليس كل أسرة محطمة تنتج أطفالا يسلكون سلوكا مضادا للمجتمع. بل ينبغي القول " إن البيوت المتصدعة تعتبر من الأسباب الأولية التي تساعد على خلق وإيجاد أحداث لديهم اضطرابات سلوكية وانفعالية، ومن ثم يكون سلوكهم مضادا للمجتمع".

4- التربية المنزلية الخاطئة:

إن جهل الوالدين للأساليب التربوية الصحيحة كالإهمال أو المعاملة بالقسوة واللين المبالغ فيه بحيث تصل إلى درجة الإهمال، والرقابة الشديدة لتصل إلى تقييد حرية الطفل الزائد على الحد، سيدفع بالطفل إلى الجنوح أو قد يدفعه إلى الهروب من حضن العائلة، ويفتح الباب أمام الأبناء ليتصرفوا حسب هوامهم دون الالتزام بأي قانون أو عرف اجتماعي والانضمام إلى زمرة الجانحين والمجرمين، فيجدون عالما آخرا ومتنفسا يتنفسون عن مكبوتاتهم ومن ثم لا يتورع عن ارتكاب أي فعل إجرامي، تزينه لهم نفسهم ونوازعهم وغرائزهم.

ولعل تقصير الآباء والأمهات في تربية أبنائهم وإهمالهم في مرحلة الصغر وعدم مراقبة تصرفاتهم الخاطئة اتجاه يجعل أبنائهم يقعون في منزلق الانحراف في المستقبل فنمط تعامل الأهل مع الأبناء له أثر كبير في دفع مراحل النمو الأخلاقي عند الأبناء أو إحباطه، فعندما تكون تربية الوالدين قائمة على العطف والتفاهم والتشجيع فإنها سوف تؤدي إلى دفع النمو الأخلاقي قدما.

يمكن أن يكون الوالدان مصدر أمان وعطف وثقة بالنسبة للحدث، كما يمكن أن يكونا سببا لخيب أمله وكبته وذلك من خلال أسلوب المعاملة التربوية التي يتلقاها الحدث سواء كان ذلك عقابا أم ثوابا .كما أن التفاوت في المعاملة داخل الأسرة يمكن أن يولد لدى بعض الأحداث الرغبة في التفشي والانتقام وخاصة إذا اتبعت هذا الشعور عوامل أخرى قد تؤدي بالحدث إلى الانحراف، فمواقف الوالدين من الأبناء لها أهمية خاصة إذ يجب ألا تثير معاملتهم الضغينة في نفوس الصغار، كما يجب ألا تتسم بعدم العدالة، ويجب التأكيد على أهمية حاجات الطفل للحب والأمان وتأكيد الذات، فعند عدم إشباعها قد تنفجر بصورة أو بأخرى بشكل عدواني ضد المجتمع، كما أن التكيف داخل الأسرة يتوقف عليه التكيف مع المجتمع المدرسي والمهني في المستقبل.

والمؤكد أن مراقبة الأولاد مراقبة مناسبة ومعتدلة، ستحمي الأبناء من الجنوح. فقد وجد (واست فرانقتون Westfarrington) في دراسة له أن الأطفال غير المراقبين من طرف أوليائهم هم أكثر عرضة للجنوح من الأطفال الذين كانت رقابة آبائهم عليهم حسنة أو معتدلة [8].

لقد استخلص من طرق تأديب الأطفال المستعملة في الجزائر من طرف الآباء ن أن العقوبة الجسدية كانت لها علاقة شديدة بجنوح الأحداث، إذ ظهر أن القسوة في المعاملة جعلت الولد ذا شخصية ناقمة متمردة قاسية وتبين أنه يميل في التنفيس عن مشاعره المخبأة داخل نفسه إلى إيذاء الغير، أو تخريب ممتلكاتهم.

5- المستوى الأخلاقي والديني للأسرة:

ما يؤكد عليه أن الدين هو وقاية للإنسان من مختلف السلوكيات المنحرفة، فالتربية على المبادئ الدينية السليمة للأحداث يساعد على إحجام الحدث عن انتهاج السلوك الإجرامي، نظرا لما يتضمنه الدين من مبادئ سامية تحض على الخير وتنهي عن الشر.

ويؤكد المربون المسلمون على أن مصدر أخلاق الولد ومنبع سلوكه هو الأسرة، وأن الأب والأم هما المسئولان عن تربية أولادهما. وصلاحهم مرتبط بصلاحهما.

أما علماء التربية وعلم النفس فيؤكدون أنه منذ سن الرابعة، يشرع الطفل تعلّم بعض المعايير الاجتماعية، ويبدأ في التدرب على السلوك الاجتماعي، كما يؤخذ ضميره في النمو، بالإضافة إلى فهم ما هو مباح وما هو غير مباح من أنواع السلوك. وبعبارة أخرى فإن الأسرة هي من توفر الحاجات الأساسية للأولاد كالطعام و الدواء و الكساء، وتحميهم من القلق المبكر، و تصون صحتهم وتوفر لهم الاحترام الاجتماعي و كذا تعليمهم السلوك الاجتماعي المقبول و ذلك بغرس العادات و القيم الإيجابية ونفوسهم الغضة، كاحترام الآخرين والتعاون معهم و الانتماء إل المجتمع والتضحية في سبيله، فالأسرة هي المسئولة الأولى عن تكوين السلوك السوي لدى أولادهم عن تنشئتهم وهي السبب في ظهور السلوك المنحرف و ذلك عندما تقصر في تعليمهم كيفية التصرف في المواقف الاجتماعية المختلفة على أساس سليم، و كيفية التوافق مع أفراد المجتمع الذي يعيشون فيه حسب السلوك الاجتماعي الذي قررته الجماعة (العربي بختي، المرجع السابق).

إن انهيار الجانب الأخلاقي داخل الأسرة من العوامل المباشرة والتي تؤثر بصفة مباشرة إلى ظهور الانحراف وذلك من خلال انعدام القيم وغياب المثل العليا داخل الأسرة فيصبح الانحراف والجريمة وسوء الخلق أمرا مألوفا لا يكون مصدر إزعاج أو قلق لا يرون فيه حرجا.

ففي ظل ضعف الوازع الديني والخلقي وفشل الأسرة والمجتمع في تنشئة أفراده منذ الطفولة على القيم الحميدة، في غياب المبادئ والتعاليم الدينية ومثله العليا وتقاليده الصالحة التي تهدف إلى الحفاظ على مصالحه وأمن أفراده تكون النتيجة من ذلك الجنوح والانحراف وارتكاب الجريمة وغيرها من السلوكيات المضادة للمجتمع.

خامسا: الحدث الجانح ومؤسسات إعـادة التربية

يجمع الرأي الحديث لعلماء النفس والاجتماع على أن الحدث المنحرف يتأثر بالعادات والتقاليد التي تسود في الوسط الذي يعيش فيه وخاصة الأسرة، فوالديه هما اللذين إما أن يجعلانه صالحاً أو فاسداً، فإذا غابت الرقابة يؤدي ذلك إلى إفساد أخلاقه وبالتالي إلى الإجرام لذلك كان لابد من علاج خارج أسرته

ووجدت ما يسمى بالمؤسسات الإصلاحية يكون الهدف منها تنشئة الحدث نشأة صالحة وتعليمه العلوم أو صناعة ملائمة وبالتالي إبعاده عن الوسط الذي أدى إلى فساده.[9]

إذا تبين لقاضي الأحداث أن الحدث الجانح بحاجة إلى رعاية خاصة يأمر بوضعه في المؤسسات والمراكز وهذه المؤسسات والمراكز:

1- منظمة أو مؤسسة عامة أو خاصة معدة للتهذيب أو التكوين المهني مؤهلة لهذا الغرض.
2- مؤسسة طبية أو طبية تربوية مؤهلة لذلك.
3- مصلحة عمومية مكلفة بالمساعدة.
4- مدرسة داخلية صالحة لإيواء الأحداث المجرمين في سن الدراسة.

غير أنه يجوز أن يتخذ كذلك في شأن الحدث الذي يتجاوز عمره الثالثة عشر تدبير يرمي إلى وضعه في مؤسسة عامة للتهذيب تحت المراقبة أو للتربية الإصلاحية.

إحداث المؤسسات والمصالح المكلفة بحماية الطفولة والمراهقة نجده عدد هذه المراكز والمصالح كما يلي:

1- المراكز التخصصية لإعادة التربية.
2- المراكز التخصصية للحماية.
3- مصالح الحماية والتربية في الوسط المفتوح.
4- المراكز المتعددة الخدمات لوقاية الشبيبة **C.S.P**.

إيداع المراهق الجانح في مؤسسات حماية الشباب وما يسمى كذلك مؤسسات إعادة التربية هي أننا نأخذ الحدث الجانح من محيطه الطبيعي (العائلة، الشارع، جماعة الرفاق) لكي نضعه في محيط مصطنع الذي قد تكون مؤسسة تربوية، عقابية أو علاجية.

إيداع الحدث الجانح في المؤسسة (تربوية ،عقابية أو علاجية) يهدف إلى إعادة تكوين شخصيته و إلى إعادة تأهيله اجتماعيا، كتب SELOSSE 1997 بخصوص إيداع الأحداث الجنّح في هذه المؤسسات "إن الهدف من الإيداع هو توفير إقامة أين تكون هناك تجربة للمراهقين الجنح و فرصة في توفير شخصيتهم و كذا نضج اجتماعي أفضل، والمؤسسة تصبح محيط تربوي إذا كانت جميع النشاطات المتوفرة للأحداث الجنّح تعطي الفرصة لبناء العلاقات الشخصية، وهذا ما يحتّم على أن يكون البرنامج موجّه للأعراض محددة لأن كل علاقة جماعية أو شخصية هي معبّرة عن البنية العامة للتفاعلات الاجتماعية التي تتطوّر في المؤسسة [10].

ما هو مؤكّد أن إيداع للأحداث الجنح يكون في مؤسسات إعادة التربية من قبل مصالح قضائية، إدارية طبية، عائلية، اجتماعية أو تربوية.

في إطار هذه الإقامة عدّة نشاطات تتوفر لكي تسمح للحدث المراهق المقيم بالمؤسسة لإعادة تكوينه وأن يعيد حياة اجتماعية عادية، نشاطات تربوية، مهنية، تعليمية ونشاطات علاجية[11].

1–النشاطات التربوية: تتضمن نشاطات ذات طابع رياضي، ثقافي، موسيقي، أعمال يدوية، اجتماعية، إعلامية، تعطي للمراهق المقيم نظرة إيجابية للعالم الخارجي، حيث تنمّي الروح الجماعية، وتصحّح الأفكار السلبية الموجودة لدى الأحداث وتصحّح كذلك الاضطرابات السلوكية لدى الحالات.

2–نشاطات التأهيل المهني: **تدخل** في إطار التكوين المتوفر للحالات تسمح لهم لتعلّم مهنة لكي يحصل على عمل حقيقي في المستقبل، حيث أنه من بين المشاكل العويصة التي يتلقاها المراهق الجانح هي غياب التكوين الذي يسمح له الحصول على مهنة، فغياب العمل لدى الشباب يكون السبب في خروجهم عن المعايير الغير سوية

العمل يلعب دور فعّال في إعادة تكوين وتطوير الحالة النفسية للمراهقين المقيمين في المؤسسات " ما هو مهم في مؤسسة إعادة التربية هو أنه يمكن توفير العمل وأن له نتائج إيجابية للمراهق، حيث يحميه ويشعره بالوجود وبأنه معترف به كشخص.

3–التعليم: كذلك يعدّ نشاط له أهمية كبيرة في مؤسسات إعادة التربية فهي تتضمن التكوين الفكري للمراهقين المقيمين بالمؤسسة.

يتم التركيز على الاستيعاب في المستوى الفكري، التفكير، الفهم، الإستيعاب، التطبيق، فالمعلمين يساعدون ويشجعون المراهقين من خلال المناهج والأدوات التي يستعملونها في المؤسسة (إعلام آلي، الدروس، وسائل الاتصال إلى غيرها من الوسائل).

4–النشاطات العلاجية: في مؤسسات إعادة التربية تكون من قبل الممرضين، الأطباء، وكذلك الأخصائيين النفسانيين حيث تتضمن علاجات جسمية ونفسية وعقلية كذلك، فيتم متابعة المراهقين الذين يظهرون أمراض جسمية وكذلك متابعة نفسية لكل مراهق جانح مقيم بالمؤسسة.

الحاجة إلى العلاجات النفسية لهؤلاء المراهقين تأتي لتصحيح الفكرة الخاطئة التي تقوم على أنّنا لا نمكن أن نعالج مراهقين يظهرون اضطرابات الطبع واضطرابات سلوكية إلاّ من خلال حلول اجتماعية-تربوية. حيث أن هذه الحلول الاجتماعية-التربوية تأتي من قبل المربيين المتخصصين والمساعدين الاجتماعيين.

ضرورة وجود علاجات نفسية تؤدي بنا إلى استخلاص أن مؤسسات إعادة التربية هي مؤسسات تهدف إلى إيجاد حلول علاجية ليست اجتماعية-تربوية فحسب. فالمقابلات العيادية أو النفسية تسمح للمراهق الجانح بوضع كلمات حول ما يحس به حول قلقه، عدوانيته، وإلى غيرها من الاضطرابات وتسمح في تخفيضها، ففي غالب الأحيان يلجئ المراهق إلى تصرفات عدوانية لأنه لم تكن لديه الفرصة في التعبير عن أحاسيسه فيقوم بتفسير معاناته من خلال سلوكيات قد تصل إلى الجريمة، لدى يجب الإشارة إلى أن المؤسسات التي يقيم فيها المراهقين الجانحين تحوي حالات مماثلة.

سادسا: أسرة الحدث الجانح ومؤسسات إعادة التربية:

العائلة والمؤسسة إعادة التربية هي هيكلين اجتماعيين يختلفان عن بعضهما في الخصوصية (العائلة هي إطار طبيعي والمؤسسة هي إطار مصطنع) لكن لديهم هدف مشترك هو محاولة إيجاد حلول اجتماعية للطفل.

عند وضع المراهق (الحدث) في المؤسسة يصبح تابع لها واتصال مع العائلة، حتى ولو لم يكن هذا الاتصال مباشر فإن المراهق بكون متصلا بمشاعره، أفكاره، طبيعة العيش في المؤسسة مقارنة مع عائلته.

يشرح SELOSSE 1997 أن المراهقين المقيمين بالمؤسسات يعيدون في الإقامة السلوكيات التي اكتسبوها في عائلتهم مع الرفاق أو عمال المؤسسة.

التعاون بين مؤسسة إعادة التربية والعائلة ضروري فيشرح Enriquez 2001 أنه " يمكن للمؤسسة أن تضع مشروع تعاون مع العائلة لكنها قد تجد صعوبة في التعامل معها " ويضيف «أنه هناك بعض الأولياء يضنون أن المقابلات معهم هي في حدّ ذاتها تهديد لهم فيضنّون أن الهدف من هذه المقابلات هي إلصاق لهم التهمة بأنهم السبب في سلوكيات أولادهم وتصرفاتهم وهذا ما يجعلهم يقاطعون هذا النوع من العلاج [12].

إذا أظهرنا أن المقاربة النظامية-العائلية بأن العائلة هي عنصر علاجي لا يمكن التخلي عنه، فيجب كذلك ذكر أنه ليس كل مؤسسات إعادة التربية يعترف بهذه الأهمية.

يقول Enriquez " أنه عدة مؤسسات إعادة التربية تعتبر أن التعاون مع عائلات المراهقين الجانحين بالمؤسسة هو جد ضروري حتى يكون تكفّل جيّد لهم، بالرغم أن البعض يقرّ بضرورة وضعهم بعيدين عن عائلاتهم".

إذا أن بعض المؤسسات تضن أن العائلة هي شريك علاجي لا يجب التخلي عنه، في نفس الوقت هناك بعض المؤسسات تلغي إشراك العائلات في العلاج، فغالبا الصراع الذي يحدث بين الأولياء ومؤسسات إعادة التربية يمكن أن يفسّر من خلال ردود فعل الأولياء الذين يرون أن إقامة المراهقين في المؤسسات هو اختراق للسلطة الأبوية.

أشار Enriquez أن الآباء الذي قام بمقابلتهم الذين لديهم علاقة انصهاريه مع أولادهم يعيشون إقامة أولادهم في المؤسسات كفاجعة لا يمكن التغلّب عليها.

بعض الأولياء لهم رؤية سلبية عن العلاجات المؤسساتية المطبّقة على أطفالهم " أن بعض الأولياء لهم إحساس بأنهم متّهمين وأنهم مجردين من إمكانيتهم في إيجاد حلول لمساعدة أطفالهم، إذ يحسون أنهم بعيدين عنهم، ليس لهم سلطة عليهم بل السلطة رجعت للمؤسسة.

الحلول العلاجية تكون متوفرة بين العائلة ومؤسسات إعادة التربية عندما يشعرون الأولياء بأن وضع أولادهم في هذه المؤسسات هي راحة لهم، رغم إحساسهم بالفشل باعتبارهم أولياء وفي هذه الحالة تمثّل لهم المؤسسة الشريك الذي يأتي بالمساعدة في البحث عن إيجاد حلول لأولادهم وأن هذه المؤسسات هي إضافة لهم وأنها تهدف إلى تحقيق نفس الأهداف التي كانت تسعى إليها العائلة.

هنا تقبل المؤسسة العائلة ما دام أن العائلة تحترم طريقة عملها (أي المؤسسة) وفي هذه الحالة تصبح العائلة بالنسبة للمؤسسة شريك علاجي لا يمكن تعويضه والمؤسسة تصهر على إظهار قدراتها في البحث عن الحلول لمشاكل أولادهم.

ليس كل العائلات لهم نفس المنهج فهناك بعض العائلات تمتاز بعلاقات متوازنة معاملات سوية بين الأفراد وهناك عائلات تسودها اضطرابات في العلاقات ومعاملات غير سوية بين أفرادها.

في نفس المجال، فالعائلات المختلة أين تقوم المؤسسات بالتواصل معها لا تكون منظمة بنفس الطريقة، حيث أن تكوينها يختلف سواء من حيث العلاقات، القواعد، قيمها، سرّها طقوسها، تواصلها وتفاعلها فإقامة عضو

من هذا النوع من العائلات في مؤسسات إعادة التربية يجبر على إعادة ترتيب كلّ أشكال العلاقات داخل هذه العائلات.

يشير Enriquez إلى أنه في العائلات المتفككة لا نجد أي عضو من هذه العائلة يهتّم بالمراهق المقيم بالمؤسسات لإعادة التربية وهذا ما يجبر الاهتمام بهذا المشكل نجد كذلك في العائلات المتشابكة أن أعضائها يتظاهرون بحضورهم الدائم للمؤسسة ومحاولتهم السيطرة على الوضع. فموقف المؤسسات اتجاه كل هذه العائلات حسبه تكمن في تكييف التكفّل بالمراهق الجانح حسب نوع عائلاتهم.

على كل حال يجب على كل مؤسسة إعادة التربية أن تعلم وضعيتها مقارنة مع عائلات المراهقين المقيمين بها.

ونشير هنا أن العلاقات مع الأولياء تتّبع عادة مخطط يشمل ثلاث مستويات مختلفة:

– **في المستوى الأوّل**: يتمثّل في النظر على أن العائلة مصدر للمعلومات للبحث عن السوابق المرضية للمراهق.

– **في المستوى الثاني**: يتمثّل في الإشراك المباشر للعائلات في مشروع علاجي الذي يتطلّب من العائلات أن تلعب دور المعالج المساعد من خلال المشاركة في المقابلات العائلية بحيث أن الهدف الوحيد هو نزع الأعراض عن المراهق.

– **في المستوى الثالث**: يتمثّل في أن النظام الأسري يتقبّل فكرة أنه شريك في اضطراب المراهق من خلال الاعتراف بمؤسسته في ظهور هذه الاضطرابات عند المراهق الجانح.

خـــاتمـــة:

يحتاج المراهق إلى أسرة متينة وسوية تساهم في تكوين شخصيته وتنمية سلوكه الاجتماعي، وتنشئته تنشئة سليمة، تؤثر في نفسيته، وتبعده عن كل الأفكار والأفعال والسلوكيات التي تجعله مراهقا جانحا، فالجنوح يكشف عن وجود أسباب مرضية معقّدة، وأنه نتيجة عدم تكيّف المراهق الذي يؤّدي إلى ظهور فشل في عملية التنشئة الاجتماعية والتي تكون الأسرة سببا في ذلك.

إن عملية إعادة تأهيل المراهق الجانح في وسطه الأسري هي عملية علاجية تحتاج إلى تكثيف الجهود بين العائلة والمؤسسة التي يقيم فيها المراهق الجانح باعتبارهم مؤسستين اجتماعيتين والتي تختلفان في خصوصياتهما لكن لهم هدف مشترك هو البحث على تنشئة المراهق الجانح تنشئة اجتماعية سليمة.

الهوامش:

1- العربي بختي، جنوح الأحداث في ضوء الشريعة وعلم النفس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014.ص 13.

2- غريب سيد أحمد، الجريمة وإحراف الأحداث، المكتب العلمي للكومبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية 1999.

3- على مانع، جنوح الأحداث والتغيير الاجتماعي في الجزائر، دراسة في علم الإجرام المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996.

4- حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة ط3، 1993. ص 436.

5- فتيحة كركوش، ظاهرة إنحراف الأحداث في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011. ص 15.

6- العربي بختي، المرجع نفسه، ص 71.

7- العصرة منير: إنحراف الأحداث ومشكل العوامل، الإسكندرية، المكتب المصري الحديث، 1974. ص 153.

8- على مانع، المرجع نفسه، ص 54.

9- أحمد سلطان عثمان، المسؤولية الجنائية للأطفال المنحرفين دراسة مقارنة، القاهرة الطبعة 2002ص 412.

10- SELOSSE , Adolescence , violences et déviances (1952-1995) vigneux, EDITIONS MATRICE ,1997.p 53.

11- FESSION ,P ET REJAS ,M-C, siegi hirsch ,au cœur des thérapie ,Ramon ville saint agne , Eres,2001.p 147

12- ENRIQUEZ.E ,L'éthique de l'intervenant ,IN D.urancken. kuty.o et coll.(EDS) ,La sociologie de l'intervention :enjeux et perspectives ,Bruxelles de Boeck université ,2001.p 62.

دور الجامعة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر

" دراسة ميدانية ببعض كليات ومعاهد جامعة محمد بوضياف -المسيلة "

د/ براخلية عبد الغني، جامعة تيارت أ/ بيصار عبد الحكيم، جامعة المسيلة

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان دور الجامعة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر من خلال جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، وتكمن أهميتها في تقييم درجة مساهمة الجامعة الجزائرية في التنمية والتعرف على أهم المعوقات التي تحول دون قيامها بدورها المنوط بها في خدمة وتنمية المجتمع وتحديد مختلف احتياجاته.

ولتحقيق أهداف الدراسة فقد تم الاستعانة بأداة دراسية تمثلت في استبيان تم توزيعه على عينة الدراسة البالغ عددها 55 أستاذ في بعض كليات ومعاهد الجامعة محل الدراسة، وتم تحليل بيانات الاستبيان باستخدام البرنامج الإحصائي للحزم الاجتماعية SPSS، من خلال استخدام بعض الأساليب الإحصائية الموجودة في البرنامج والتي تتوافق وطبيعة الدراسة.

ولعل أبرز النتائج التي تم التوصل لها من هذه الدراسة هي أن الجامعة الجزائرية تقوم بدور نسبي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وتساهم بدرجة متوسطة في عملية التنمية، ويرجع ذلك إلى جملة من المعوقات أدت إلى الحد بدرجة كبيرة من قيام الجامعة بدورها التنموي المنوط بها في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: التنمية الاجتماعية، التنمية الاقتصادية، الجامعة الجزائرية، جامعة محمد بوضياف.

مقدمة:

يعتبر التعليم الأداة الإستراتيجية التي يعتمد عليها في تقدم المجتمعات وحل مشاكلها الحاضرة وصنع مستقبلها وترسيخ مكانتها بين الأمم في عصر لا يعترف إلا بالأقوياء والأقوياء في هذا العصر هم أولئك الذين امتلكوا ناصية العلم والتكنولوجيا، والتي كانت النظم التعليمية من ورائها، ونحن إذا ما تتبعنا تاريخ النهضات الاقتصادية للدول المتقدمة، نجد أنها ترجع من قريب أو بعيد إلى عامل تربيتها الصالحة وإلى نظمها التعليمية التقدمية، وقد قامت الدول عبر العصور التاريخية المختلفة بتوجيه التعليم والمعرفة لتحقيق أهداف نمو المجتمعات وتطورها وتميزها بين الدول.

وبما أن الجامعة هي تنظيم أو مؤسسة اجتماعية رائدة في تعليم المجتمع، فمن المتوقع أن تحتل دورا أساسيا في عملية التنمية في جميع المجالات، لأنها المساهم الأول في بناء المجتمع، وذلك من خلال ما تنتجه من إطارات بشرية كفؤة تدفع بعجلة التقدم إلى الأمام، وهذا ما دفع بالمهتمين إلى التفكير في أنجع الطرق

وأفضلها لاستغلال هذا القطاع الهام والحيوي من أجل الوصول إلى تحقيق رفاهية المجتمع ورقيه. ولاشك أن الجامعة كانت ولا تزال تحتل أهمية كبرى في نظم التنمية والتغيير خاصة فيما يتصل بتكوين الإطارات ذات المهارات العلمية العليا والمتخصصة والمؤهلة لتوظيف المعرفة لخدمة الاحتياجات والمتطلبات الملحة لإحداث التقدم العلمي الاقتصادي والاجتماعي.

إن التنمية في وقتنا الحاضر أصبحت الهاجس الأكبر للكثير من الدول، لتحقيق ما تصبو إليه مجتمعاتها من رقي ورفاهية، وتمتع بمتطلبات الحياة الكريمة، هذه التنمية توسعت في مفهومها فأصبحت تشغل جميع مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبشرية وغيرها، ونظرا لارتباط الجامعة بشكل كبير بالمجتمع، صار من الضروري البحث في دور الجامعة الجزائرية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وللقيام بهذه الدراسة ومحاولة الخروج بنتائج قيمة ارتأينا أن تكون دراستنا في مؤسسة من مؤسسات التعليم العالي في الجزائر وهي جامعة محمد بوضياف – المسيلة، وهذا انطلاقا من الإشكالية الأساسية للموضوع والمتمثلة في : **ما هو دور الجامعة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر؟**

ويندرج عن هذه الإشكالية التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هو دور الجامعة في التنمية الاجتماعية من خلال جامعة محمد بوضياف– المسيلة؟
- ما مدى مساهمة الجامعة في التنمية الاقتصادية من خلال جامعة محمد بوضياف – المسيلة؟
- ما هي أهم المعوقات التي تحول دون قيام الجامعة الجزائرية بدورها التنموي المنوط بها؟

وسنحاول الإجابة على هذا الإشكال والتساؤلات الفرعية له من خلال التطرق إلى النقاط التالية :

- مدخل مفاهيمي للتنمية الاجتماعية والاقتصادية
- مدخل نظري للجامعة ووظائفها
- التعليم العالي والجامعة في الجزائر
- إجراءات الدراسة الميدانية بجامعة محمد بوضياف – المسيلة ومن ثم في نقطة أخيرة نتائجها وتفسيراتها.

أولا– مدخل مفاهيمي للتنمية الاجتماعية والاقتصادية وأبعادها:

1– مفهوم التنمية وأبعادها:

1– 1 مفهوم التنمية: التنمية كمفهوم له مدلولات اقتصادية واجتماعية وسياسية وإدارية، وهي تعني حصيلة تفاعلات متداخلة ومستمرة تشكل كل منها وبدرجة متفاوتة عاملا مستقلا وتابعا في آن واحد، وتعني أيضا الانتقال من حال إلى حال لرفع مستوى المجتمع، وهي تخلق التطور الشامل والمتكامل للمجتمع وذلك لتحقيق رفاهية وزيادة كفاءة فاعلية أداء مختلف أنشطته[1].

والتنمية بالنسبة لهيجر: هي صعود واضح في العائد الكلي والعائد الجزئي لكل شخص، وهو منتشر بشكل واسع بين المجموعات العمالية والاجتماعية (occupational and incomes groups) والذي يستمر لجيلين على الأقل ثم يصبح تراكمي، وهنا فكرتان مهمتان لفهم التنمية تمت إضافتهما للنمو البسيط [2]:

- فكرة انتشار نمو العائدات بين المجموعات الاجتماعية.
- فكرة المدة والخاصية التراكمية : فكرة تكرر تلك الخاصة بالنمو الذاتي.

2-1 أبعاد وسمات التنمية: من خلال المفاهيم السابقة يتبين أن التنمية تتصف بالسمات والأبعاد التالية :

1. الشمولية: فهي تغير شمولي لجميع أنشطة المجتمع من اقتصادية، سياسية، إدارية واجتماعية....الخ وهي تتعامل مع المجتمع على أساس كونه نظاما متكاملا[3].
2. الاستمرارية: إذ أنها ذات طبيعة استمرارية مادام المجتمع في تغيير مستمر في حاجاته ومتطلباته؛
3. عملية إرادية واعية ومخططة: فهي ليست عشوائية، بل عملية إرادية تعتمد على التخطيط المسبق للوصول إلى أهداف معينة؛
4. عملية هادفة غايتها تحقيق رفاهية المجتمع عن طريق زيادة كفاءة وأداء مختلف أنشطته؛
5. التنمية عملية ذاتية ومقوماتها موجودة داخل الكيان ذاته[4].
6. التنمية عملية ديناميكية جدلية ليست ثابتة، وهي ليست ذات طريق واحد أو اتجاه واحد؛
7. التنمية تعمل على إزاحة كل المعوقات المالية، التقنية، البشرية والمهنية التي تحول دون انبثاق الإمكانات من داخل الكيان.
8. تعمل التنمية على وقف الاستغلال الذي يعوق النمو والانبثاق أو يحد منه أو يوجهه لمنفعة مجموعة دون أخرى أو لإقليم دون آخر.
9. التنمية عملية بناء حضاري، تضمن التواصل الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي والسياسي، والتطور الحضاري للأمة، بمعنى أنها ليست أقل من مشروع حضاري للمجتمع بأسره في معظم نواحي حياته إن لم نقل جميعها[5].
10. التنمية عملية تنطلق من الإنسان: فهي تنطلق من الإنسان ثم تتجه لتغيير محيطه المادي.

2- التنمية الاقتصادية والاجتماعية : تعتبر التنمية الاقتصادية والاجتماعية " الشاملة أو المتكاملة " امتداد لتطور مفهوم التنمية، حيث كانت التنمية بداية مرادفة للنمو الاقتصادي لتصل إلى ما هي عليه اليوم من خلال ما يطلق عليه مفهوم التنمية المستدامة.

وامتدت مرحلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية تقريبا من منتصف السبعينيات إلى منتصف ثمانينات القرن العشرين، وظهر فيها مفهوم التنمية الشاملة التي تعني تلك التنمية التي تهتم بجميع جوانب المجتمع والحياة، وتصاغ أهدافها على أساس تحسين ظروف السكان العاديين وليس من أجل زيادة معدلات النمو الاقتصادي فقط، بمعنى أنها تهتم أيضا بتركيب هذا النمو وتوزيعه على المناطق والسكان.

والتنمية الشاملة تجمع بين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية لأن كلا منهما شرط لتحقيق الآخر، وعلى ذلك فالتنمية الشاملة متعددة الأغراض ومتعددة الأساليب لرفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي بطريقة متوازنة بحيث تشمل نشاطين[6]:

- تنمية اقتصادية: وهي التي تتجه إلى تنمية الإنتاج وزيادة الدخول القومية والفردية أي زيادة الثروة.
- تنمية اجتماعية: وهي التي تهدف إلى رفع مستوى الحياة الاجتماعية من حيث الصحة والتعليم والمستوى المعيشي والخدمات بشتى أنواعها.

وهكذا التحقت التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية وظهر اصطلاح التنمية الشاملة.

2-1 التنمية الاقتصادية :

التنمية الاقتصادية هي تقدم المجتمع عن طريق استنباط أساليب إنتاجية جديدة أفضل، ورفع مستويات الإنتاج من خلال إنماء المهارات والطاقات البشرية وخلق تنظيمات أفضل، هذا فضلا عن زيادة رأس المال المتراكم في المجتمع على مر الزمن. وعليه فإن الدول المتقدمة اقتصاديا Economically Advanced or Developed Countries هي تلك التي حققت الكثير في هذا الاتجاه، بينما تلك التي حققت تقدما غير ملحوظ في هذا الطريق هي ما يطلق عليها الدول المتخلفة اقتصاديا [7].

ويجري تعريف التنمية الاقتصادية على أنها : " العملية التي يرتفع بموجبها الدخل الحقيقي خلال فترة ممتدة من الزمن " وهذا يعني أن التنمية عندما تتحقق بمعدلات نمو تفوق معدلات نمو السكان فهذا يعني ارتفاع الدخل الحقيقي (أي متوسط الدخل الفردي)، وبما أنها عملية فهذا يعني تحرك بعض القوى التي تفعل في السياق الطويل وتجسد التبدل في متغيرات معينة وأنها ينبغي أن تمتد لفترة طويلة الأجل حيث لا يعتد بالارتفاع القصير الأجل الذي يحدث خلال الدورات الاقتصادية مثلا بل يجب أن يستمر الارتفاع خلال أكثر من دورة [8].

والعنصر الرئيسي في التنمية الاقتصادية هو أن يكون لسكان الدولة النصيب الأكبر في الإسهام في عملية التنمية الاقتصادية التي ينتج عنها تلك التغيرات الهيكلية ويمكن مشاركة الأجانب في ذلك، ولكن لا يمكن أن يقوموا بالعملية برمتها والإسهام في عملية التنمية يتضمن المشاركة في الاستمتاع بالمنافع التي حققتها التنمية[9].

2-2 التنمية الاجتماعية :

يشير قاموس فير تشايلد Fair Child Dictionary إلى أن التنمية الاجتماعية هي عملية تغيير تشمل مختلف الوسائل والقوى الاجتماعية وغير الاجتماعية [10]، فالتنمية الاجتماعية عملية علمية شاملة للتغير الاجتماعي يستهدف إعادة تقييم الإنسان للمواد المتاحة في المجتمع وكيفية التعامل معها للوصول إلى أداء أفضل للوظائف الاجتماعية للفرد والجماعة والمجتمع. ويعتبر كورتيس Curtis التنمية الاجتماعية عملية اجتماعية ديمقراطية، بحيث يشارك الأفراد مشاركة تامة في تحسين أحوال بيئتهم.

والتنمية الاجتماعية في هذه الحالة تهتم أساسا بمتابعة الفكرة منذ بدايتها والى أن تتبلور وتترجم إلى برنامج عمل حتى تقويمها، فهي تركز على الجماعات المحلية وعلى المسؤولية الكاملة لكل من المشاركين والقائمين بالعمل، وتتضمن هذه المتابعة الخطوات التالية:

1- تنظيم أفراد المجتمع المحلي؛

2- تمديد احتياجات ومشاكل المجتمع المحلي ككل؛

3- إعداد خطط فردية وجماعية لمواجهة هذه الاحتياجات والمشاكل؛

4- تنفيذ هذه الخطط باستخدام الحد الأقصى من الموارد المادية والبشرية المتاحة بالمجتمع المحلي.

ثانيا- مدخل نظري للجامعة ووظائفها:

1- نبذة تاريخية عن الجامعة : تعتبر جامعة اليوم الامتداد الطبيعي والمنطقي لمؤسسات التعليم المتخصصة والتي ظلت تتطور على مر السنين كحاضنة أساسية للمعارف الإنسانية من حيث الإنتاج والتطبيق، وبالرغم من أن الجامعة كمؤسسة تعليمية لإنتاج المعرفة المعقدة التنظيم حديثة النشأة نسبيا، فإن جذورها التاريخية ضاربة في القدم تعود إلى مدارس الحكمة في الصين القديمة أو ما يماثلها في الحضارات القديمة في الهند ومصر وحضارة وادي الرافدين وغيرها[11].

أما فيما يخص الحضارة الإسلامية فقد عرفت الهجرة المحمدية إلى المدينة المنورة نقلة نوعية كبرى في بناء المسجد النبوي الذي شكل النواة الحقيقية للمدارس العربية الإسلامية الكبرى والتي تطورت عنها الجامعة الحديثة بمفهومها العصري في أوروبا حيث كان النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أول من جمع العرب حوله في حلقة لأخذ العلم ولم تكن العرب في الجاهلية تعرف الاجتماع لهذا الغرض.

وقد لعبت الجامعة دورا هاما في العصور الوسطى سواء في العالم الإسلامي أو في أوروبا في صياغة أفكار المجتمع وقيادتها للحركة الثقافية والفكرية، وليس هذا مقام المقارنة بين ما قدمته هذه الجامعة أو تلك للمجتمع، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن الجامعة في أوروبا كانت أنجح في قيادة المجتمع وتكييف المعطيات الدينية لمتطلبات التنمية الرأسمالية التجارية التي ازدهرت بفعل الاكتشافات الجغرافية في هذه الفترة

خاصة، بينما تقهقرت الجامعة في العالم الإسلامي ولم يعد لها دور يذكر إلى أن أعيد بعثها في شكلها الحديث المصاحب للاستعمار الغربي الذي فرض على العالم الإسلامي، باستثناء بعض الحالات النادرة كالأزهر في مصر الذي ظل محافظا على طابعه التقليدي الذي يعتبر امتدادا للجامعة الإسلامية في عصرها الذهبي[12].

2- مفهوم الجامعة:

يرى علماء التنظيم التربوي أنه لا يوجد تعريف قائم بذاته أو تحديد شخصي وعالمي لمفهوم الجامعة، لذلك فإن كل مجتمع ينشيء جامعته ويحدد لها أهدافها بناء على تمليه عليه مشاكله ومطامحه وتوجهه السياسي والاقتصادي والاجتماعي. لذلك فالجامعة مؤسسة للتكوين لا تحدد بمفردها أهدافها وتوجيهات تلك الأهداف، بل بالعكس فهي تتلقاها من المجتمع الذي يعتبر الأساس وهو الوحيد الذي بإمكانه أن يمدها بالحياة وبالمدلول وبالواقع.

وتعتبر الجامعة: " مؤسسة تعليمية ومركزا للإشعاع الثقافي، ونظاما ديناميكيا متفاعل العناصر، تنطبق عليه مواصفات المجتمع البشري، حيث يؤثر مجتمع الجامعة في الظروف المحيطة ويتأثر بها في نفس الوقت".

وتعرف الجامعة على أنها: " مجتمعا علميا يهتم بالبحث عن الحقيقة ووظائفها الأساسية والتي تتمثل في التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع الذي يحيط بها"[13].

ويرى محمد مصطفى الأسعد: " أن الجامعة مؤسسة اجتماعية من صنع المجتمع، وهي تمثل قمة الهرم التعليمي، ليس لمجرد كونها آخر مراحل النظام التعليمي وحسب، بل لأنها تتحمل مسؤولية كبيرة في صياغة وتكوين الشباب الجامعي علميا وقوميا وثقافيا وفكريا ووجدانيا، إنها أداة المجتمع في صنع قيادته في مختلف الميادين الفنية والمهنية والاقتصادية والسياسية والإدارية والثقافية والفكرية، والتي من خلالها إما أن يتابع المجتمع مسيرة تنميته بخطى حثيثة وباندفاع وحيوية وإما أن يراوح مكانه مع التقدم بخطى بطيئة ".

3- وظائف الجامعة :

إن الجامعة مركز للإشعاع الفكري والمعرفي وتنمية الملكات والمهارات العلمية والمهنية والتي تمثل الحجر الأساسي لعمليات التنمية الوطنية، وتستمد تعريفها من الأهداف التي يحددها المجتمع الذي تنتمي إليه، فهي مؤسسة اجتماعية تؤثر وتتأثر بالمحيط الذي توجد به، وهي من صنع المجتمع من ناحية، فهي أداته في صنع قيادته الفنية والمهنية والفكرية[14].

إن المتتبع تاريخيا لوظيفة الجامعة في المجتمع، يرى أن هذه الوظيفة قد تبدلت وتغيرت وتطورت بتطور المجتمع علميا وتكنولوجيا، إذ كانت مهمة الجامعة ولقرون عديدة تتمثل في المحافظة على المعرفة القائمة ونقلها من جيل إلى آخر، ولم يكن من مهامها البحث العلمي بمفهومه الحديث الذي يستهدف نمو المعرفة

وتطويرها.وهكذا فالجامعات في الوقت الحاضر أصبحت ذات وظائف متعددة يمكن تلخيصها في ثلاث نقاط رئيسية وهي:

1- التعليم وإعداد المتخصصين في المهن العالية الذين يحتاجهم المجتمع؛

2- خلق المناخ الملائم للبحث العلمي والقيام به؛

3- تقديم الخدمات العامة للمجتمع.

ويتوقف أداء المؤسسة الجامعية لهذه الوظائف على ثلاثة عناصر رئيسية هي: الأستاذ، والطالب، والهيكل التنظيمي.

ثالثا- التعليم العالي والجامعة في الجزائر:

1- أهمية التعليم العالي: يعتبر التعليم العالي - في نطاق السياسة التربوية الشاملة- من الأدوات الأساسية التي تسهم في تكوين الفرد والمجتمع وبلورة ملامحه في الحاضر والمستقبل معا، وضمان طرق التطور السليم للأمة في مسيرتها نحو أهدافها في التقدم والرقي في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، فهم السبيل الأكيد إلى إعداد القوى البشرية المتخصصة التي تخطط للنمو المادي للمجتمع وتسهر على تنفيذه، وهو الذي يعد الباحثين الذين يسبرون أغوار المستقبل ويدلون إلى اتجاهاته والعوامل التي يحتمل أن تؤثر في رسمه، وهو أيضا مبرز المواهب الفكرية والطاقات الخلاقة المبدعة التي تعطي الثقافة أبعادها وتدفع بها نحو الإبداع وتجاوز الواقع، إلى جانب أنه أيضا يمد الواقع الاجتماعي والسياسي بالقوى الوطنية والفكرية التي تعمل جاهدة في سبيل التصدي لقضايا الواقع وطرح بدائل إلى تغيير وتطوير هذا الواقع[15].

2- تطور الجامعة والتعليم العالي في الجزائر ومهامها:

في النصف الأخير من القرن العشرين، فإن مهمة الجامعة قد تغيرت، والرسالة التي أصبح منتظرا منها تبليغها أصبحت غير الرسالة التي كانت تبلغها في السابق. فقد صارت الجامعة أكثر استجابة لمطالب المجتمع، وصارت قضايا المجتمع ومشاكل الحياة المختلفة مركز الاهتمام في الجامعة. وللتكفل الجيد بمشاكل المجتمع والارتباط بها، كان على الجامعة أن تبني برامجها بطريقة تكون مكيفة لما يجري في المجتمع. وفعلا فإن البرامج الجامعية صار تخطيطها يأخذ بعين الاعتبار مطالب الحياة المهنية والاجتماعية. وأصبحت معرفة مدى استجابتها للقطاع المستخدم معيارا من معايير تقويمها، واستحوذت القيمة التطبيقية للبرامج على القيمة النظرية[16].

علاوة على هذا، فإن البحث العلمي – هذه المهمة الثانية من مهام الجامعة– صارت أهدافه في السعي نحو إيجاد الحلول للمشاكل المتنوعة التي تعاني منها مؤسسات المجتمع المختلفة، وصارت موضوعاته هي مشكلات المجتمع ذاتها، وصارت الأبحاث العلمية تقيم بمقدار القيمة العملية لنتائجها.

1-1 مسار بناء قطاع التعليم العالي: إن الجامعة الجزائرية هي اليوم نتاج عملية طويلة من البناء والتطوير والإصلاحات التي تم الشروع فيها ابتداء من سنة 1962، تاريخ استعادة السيادة الوطنية. وقد بدأت هذه العملية بإنشاء وزارة التربية الوطنية سنة 1963، وقد استخدمت جامعة الجزائر، التي يعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 1909، كقاعدة لإطلاق منظومة جزائرية للتعليم العالي والبحث العلمي شهدت بعد ذلك تطورا سريعا للغاية. فبعد أن كان تعداد الطلبة مركزا سنة 1962 في مؤسسة واحدة هي جامعة الجزائر (وفي ملحقتيها في كل من قسنطينة ووهران)، فإنه اليوم يتوزع على كامل التراب الوطني. ويستجيب هذا التوزيع إلى مبدأ الخدمة العمومية الجوارية. وقد أصبحت المؤسسات الـ90 وكذا هياكل المرافقة الاجتماعية التابعة لها تشكل شبكة هائلة تربط كافة ربوع الوطن[17]. وفعلا قد شهدت الجامعة في عشرية الاستقلال الأولى (الستينات) مجموعة من الإصلاحات كإنشاء فرع الآداب باللغة العربية، وارتفاع عدد الطلبة من حوالي 3000 طالب سنة 1963 إلى حوالي 20000 طالب سنة 1972[18]. إن أهم إصلاح شهدته الجامعة الجزائرية كان في عشرية السبعينات، ذلك أن هذا الأخير شمل كلا من التعليم والبحث العلمي.

2-1 المراحل الأساسية الأربعة في مسار بناء المنظومة الجزائرية للتعليم العالي: لقد عرف تأسيس المؤسسة الجامعية الجزائرية وتطورها من حيث تنظيمها ومناهجها أربع مراحل أساسية منذ الاستقلال[19]:

* المرحلة الأولى تمثلت في إرساء قواعد الجامعة الوطنية.

* المرحلة الثانية تمثلت في تنفيذ إصلاح منظومة التعليم العالي سنة 1971 والذي تم تدعيمه وتصحيح مساره من خلال وضع خريطة جامعية سنة 1982 والتي تم تحديثها سنة 1984.

* المرحلة الثالثة تمثلت في دعم المنظومة وعقلنتها تماشيا مع التحولات التي يشهدها كل من المجتمع والاقتصاد الجزائريين. وقد تم الشروع في ذلك من خلال سن القانون رقم 99-05 المؤرخ في 04 أفريل 1999 والمتعلق بالتعليم العالي.

* المرحلة الرابعة تمثلت في تطبيق النظام العالمي، نظام ليسانس. ماستر. دكتوراه، الذي شرع في تطبيقه سنة 2004.

1-2-1 إصلاح التعليم العالي: فبالنسبة لمرحلة إصلاح التعليم العالي، فقد جاء في كتاب "إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي" الصادر سنة 1971 أن الجامعة مطالبة بأن تقدم للقطاع الاقتصادي وفي

أسرع وقت ممكن ما يحتاج إليه من أطر قادرة كما وكيفا على تلبية متطلبات التنمية في البلاد ومتمكنة من مشكلات التخلف المتنوعة لإيجاد الحلول المناسبة لها. كما أنها مطالبة بأن تربط التعليم الجامعي بالحقائق الوطنية وتجعله يعالج مشكلات الحياة المختلفة وتوجهه نحو الفروع التي يحتاجها الاقتصاد الوطني[20].

إلى جانب هذا، فقد شهدت الجامعة ظهور اختصاصات كثيرة سواء في العلوم الإنسانية والاجتماعية أو في العلوم والتكنولوجيا لتشمل المشاكل المختلفة الناجمة عن حركة التنمية الشاملة التي عاشتها الجزائر في السبعينات...

1-2-2 تعزيز المنظومة وعقلنتها: يمثل القانون رقم 99-05 المؤرخ في 18 ذو الحجة الموافق 04 أفريل 1999 لحظة فارقة وهامة بالنسبة إلى تطور منظومة التعليم العالي. فهو قانون توجيهي يمثل خلاصة كل ما استحدث منذ الاستقلال من أطر تنظيمية وقانونية، ويضفي عليها انسجاما عاما. وهو يقنن الجهاز التنظيمي الضروري لإعادة هيكلة المنظومة بكاملها، كما يفتح آفاقا مستقبلية هامة للتنمية على المستوى الديموغرافي وعلى مستوى البنى التحتية[21].

ويعيد القانون التوجيهي لسنة 1999 تأكيد المبادئ التي يسير عليها التعليم العالي ويحدد الأهداف الواجب تحقيقها، كما يحدد القانون الأساسي للأساتذة والطلبة في كل مستويات التعليم العالي، وهي مرحلة التدرج ومرحلة ما بعد التدرج والتكوين المتواصل. فالمادة الثالثة منه، على سبيل المثال، تنص على أن الخدمة العمومية للتعليم العالي، باعتباره مكونا للنظام التربوي الوطني، تساهم في:

* تطوير البحث العلمي والتكنولوجي واكتساب المعرفة والمعلومات وتطويرها ونقلها؛
* رفع المستوى العلمي والثقافي والمهني للمواطن عبر نشر الثقافة والمعلومات العلمية والتقنية؛
* التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للأمة الجزائرية عبر تكوين إطارات في كل المجالات؛
* الترقية الاجتماعية مع ضمان العدالة للجميع ولكل المؤهلين لذلك في الحصول على أسمى أشكال العلم والتكنولوجيا.

كما أن القانون ضمن " شروط الحرية في التطوير العلمي المبدع والناقد " وأعاد التأكيد على " موضوعية المعرفة " واحترام " تنوع الآراء ووجهات النظر ". كما أنه أكد على الطابع الوطني لشهادة التعليم العالي التي " تخول نفس الحقوق لحامليها". وألح على الجانب العضوي للعلاقة بين وظيفتي التعليم والبحث العلمي، كما أنه أشار إلى الروابط الواجب تطويرها "مع الهيئات الوطنية والدولية ".

1-2-3 اعتماد نظام ليسانس.ماستر.دكتوراه: شهدت السنة الجامعية 2005/2004 اعتماد هندسة جديدة في عروض التكوين. وهي تتمفصل وفق ثلاث مستويات، يقابل كل مستوى منها شهادة:

ليسانس وماستر ودكتوراه. وتم تنظيم هذه الهندسة الجديدة داخل مجالات كبرى تضم عدة اختصاصات متجانسة من حيث الكفاءات العلمية والتقنية وكذا المناصب التي يوفرها لها سوق العمل[22].

ففي كل مجال، يتم اقتراح مسارات نموذجية يمكنها أن تؤدي إلى تخصصات أو خيارات محددة. والمسار النموذجي هو عبارة عن مجموع الوحدات التعليمية التي يتم تنظيمها وفق منطق تدرجي بهدف اكتساب كفاءات معينة.

رابعا- إجراءات الدراسة الميدانية :

بعد التطرق في النقاط السابقة إلى مفهوم التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ومفهوم الجامعة ووظائفها، ومن ثم تحديد مسار تطور الجامعة والتعليم العالي في الجزائر، تم تحديد أهم الأدوار التنموية التي رافقت مسار الجامعة الجزائرية، حيث تم وضع أسس للتنمية الاقتصادية والاجتماعية تسعى الجامعة الجزائرية القيام بها، لذلك سنحاول في هذه النقطة تحديد الدور الذي تقوم به الجامعة الجزائرية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية من خلال ما تم وضعه من أسس ومهام أسندت لها في مختلف مراحلها، ولقد تم اختيار جامعة محمد بوضياف – المسيلة لإجراء هذه الدراسة الميدانية، من أجل تحديد وتقييم هذا الدور التنموي للجامعة ومن ثم تحديد أهم المعوقات التي تحول دون قيام الجامعة الجزائرية بدورها التنموي.

ولقد تم الاستعانة بأداة دراسية ميدانية متمثلة في الاستبيان والمقابلة، والذي تم توزيعه على مجموعة من أساتذة الجامعة في بعض كليات ومعاهد الجامعة.

1- التعريف بميدان الدراسة :

تقع جامعة محمد بوضياف – المسيلة على الطريق رقم 65 الرابط بين المسيلة والجزائر العاصمة، بدأت النواة الأولى للجامعة في شهر فيفري من عام 1985 في مؤسسة كانت مخصصة لتكوين سائقي الآلات بالمكان المسمى ذراع الحاجة الذي يبعد عن المدينة ببضع كيلومترات وذلك بإنشاء معهد وطني للتعليم العالي، كانت بدايته بفتح أول فرع تكوين للتقنيين الساميين في الميكانيك بعدد من الأساتذة لتبدأ الانطلاقة مباشرة في شهر سبتمبر من نفس السنة بفتح فرع الجذع المشترك للتكنولوجيا، خاصة مع قدوم بعض الأساتذة الأجانب المتعاونين، وفي شهر فيفري 1986 فتح فرع تسيير التقنيات الحضرية بتكوين قصير المدى (الذي حول من معهد متخصص من مدينة المدية) وفي سبتمبر من عام 1987 بدأ تكوين المهندسين في الميكانيك والهندسة المدنية وقد بدأ في نفس الوقت مشروع بناء المركز الجامعي الذي تم إنجازه في زمن قياسي لتبدأ الدراسة فيه مع بداية السنة الجامعية 1988-1989 وذلك بفتح فرع التجارة وإنشاء معهد وطني ثاني في الهندسة المدنية، ومع بداية السنة الجامعية 1989-1990 أصبح عدد الطلبة يقارب: 2000 طالب ليتم الارتقاء من معاهد وطنية إلى مركز جامعي في: 07 جويلية 1992 بمقتضى

المرسوم التنفيذي رقم 92/301، لكن الانطلاقة الكمية والنوعية كانت مع بداية سنة 1996 بفتح الكثير من الفروع منها بالخصوص: الخدمة الاجتماعية، الإعلام الآلي للتسيير والحقوق مع بداية سنة 1997، ثم فرع الأدب العربي، البيولوجيا، الإعلام الآلي والإلكترونيك وغيرها من الفروع ليصل معها عدد الطلبة مع بداية السنة الجامعية 2000-2001 إلى 9000 طالب، هذا التطور الكمي في عدد الطلبة وهياكل الاستقبال وكذلك التطور النوعي في الاختصاصات مكن من ترقية المركز الجامعي إلى جامعة في: 18 سبتمبر 2001 وذلك بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم: 274/01 المؤرخ في: 18 سبتمبر 2001.

كما شهدت أيضا الجامعة خلال تلك الفترة إنجازات مهمة سواء في مجال هياكل الاستقبال كإنشاء مكتبة مركزية وقاعة محاضرات ومخابر علمية وبيداغوجية وغير ذلك.

وتجدر الإشارة إلى أنه وفق المرسوم التنفيذي رقم 12-361 المؤرخ في 22 ذي القعدة عام 1433هـ الموافق لـ 08 أكتوبر 2012، المعدل والمتمم للمرسوم التنفيذي رقم 01-274 المؤرخ في 30 جمادي الثانية عام 1422 هـ الموافق لـ 18 سبتمبر 2001 والمتضمن إنشاء جامعة محمد بوضياف- المسيلة، تم استحداث نيابة جديدة لمديرية الجامعة وكليات جديدة فأصبحت الجامعة تتكون من أربع نيابات مديرية ، و09 كليات ومعهدين.

مكان إجراء الدراسة الميدانية : تم إجراء الدراسة الميدانية ببعض كليات ومعاهد جامعة محمد بوضياف، وتمثلت أساسا في كليات: العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، الحقوق والعلوم السياسية، العلوم الإنسانية والاجتماعية ومعهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، ومعهد تسيير التقنيات الحضرية.

2- منهج الدراسة المعتمد:

لتحقيق أهداف الدراسة، تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة لمناسبته وهدف الدراسة، وهذا المنهج يتعلق بوصف طبيعة الظاهرة موضع الدراسة وتحليل بياناتها وبيان العلاقات بين مكوناتها، وهذا بهدف الوصول إلى نتائج من شأنها تقييم دور الجامعة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

3- مجتمع وعينة الدراسة: وشمل مختلف الأساتذة العاملين بجامعة محمد بوضياف- المسيلة، وهذا في بعض كليات ومعاهد الجامعة، ولقد تكونت عينة الدراسة بعد توزيع الاستبيان واسترجاع مجموعة منه من 55 فرد.

4- أدوات المعالجة الإحصائية

تستخدم في الدراسات العلمية عدة أدوات للمعالجة الإحصائية للبيانات المتحصل عليها، وهذا بهدف القيام بالتحليل الإحصائي على أكمل وجه والحصول على نتائج وتوصيات من شأنها أن تساعد في اتخاذ القرارات وحل المشكلات المنوطة بالبحوث العلمية، ولقد تم الاستعانة ببرنامج **SPSS الإصدار**

رقم 19 المعروف باسم الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية Statistical Package for Social Sciences في تبويب البيانات المتحصل عليها، ويستخدم البرنامج الإحصائي بكثرة في إجراء التحليلات الإحصائية بكافة أشكالها كالإحصاءات الوصفية واختبارات الفرضيات وتحليل التباين والارتباط والانحدار مما يساعد الباحث في فهم ما يدور حوله ويوفر له المعلومات اللازمة لأجل اتخاذ القرارات الرشيدة[23]، وقد تم استعمال الأساليب الإحصائية التالية:

أ– التكرارات والنسب المئوية: وتستعمل التكرارات والنسب المئوية لمعرفة عدد ومحتوى إجابات أفراد العينة، والمكونات الديموغرافية لأفراد عينة الدراسة.

ب– المقاييس الوصفية: تستخدم المقاييس الوصفية لإيجاد مجموعة من الإحصاءات كالوسط الحسابي والانحراف المعياري والتباين، وفي حالة بحثنا تم الاعتماد على هذه المقاييس لوصف الظاهرة والحكم على استجابة عينة الدراسة، وتمثلت هذه المقاييس الوصفية في:الوسط الحسابي، الانحراف المعياري الذي استخدم لمعرفة مدى تشتت إجابات عينة الدراسة.

- كما تم استخدام **المتوسط النظري للدرجة الكلية**:وهو المتوسط النظري للمحور، ويتم تحديده من خلال ضرب الدرجة المتوسطة في عدد عبارات المحور، ففي المحور الأول مثلا فالدرجة المتوسطة للمحور عند الإجابة بمحايد هي 3 فيكون المتوسط النظري للمحور هو (12*3=36)، ويسمح لنا بمعرفة الاتجاه العام لأجوبة أفراد العينة للمحور ككل بالقبول إذا كان المتوسط الحسابي للمحور أكبر من 36 والعكس إذا كان أقل من 36.

ج– اختبار (ت) لعينة واحدة: للتعرف على ما إذا كان هناك فروق معنوية دالة إحصائيا موجود بين المتوسط الحسابي للعبارة، والمتوسط النظري لها عند مستوى الدلالة المفروض 0.05، وبين المتوسط الحسابي الكلي للمحور والمتوسط النظري للمحور.

د – معامل ألفا كرونباخ: واستخدم لمعرفة مدى ثبات استبيان الدراسة .

5– خطوات بناء أداة الدراسة ووصفها

5–1 أداة الدراسة ومكوناتها: لأجل تحقيق أهداف الدراسة تم القيام ببناء استبيان، بالاستعانة ببعض الدراسات السابقة، إضافة إلى الاستعانة بآراء بعض الأساتذة ذوي الاختصاص في مجال الدراسة، وآراء بعض الفاعلين من ذوي الخبرة في المؤسسة التي تم إجراء الدراسة الميدانية بها، وقد تكون الاستبيان من قسمين القسم الأول خاص بالمعلومات الشخصية، وقسم ثاني خصص لأسئلة الاستبيان حيث ضم 43 عبارة موزعة على 3 محاور، وكان على النحو التالي:

القسم الأول: وخصص للمعلومات الشخصية المتعلقة بعينة الدراسة والمتمثلة في الأساتذة حيث ضم المعلومات التالية: الجنس، السن، الرتبة العلمية، الخبرة المهنية، المنصب الإداري إن وجد، والإنتماء إلى مخبر بحث أو مشروع بحث.

القسم الثاني: وتكون من محاور الاستبيان الثلاثة وهي:

– المحور الأول: تعلق بتبيان دور الجامعة في التنمية الاجتماعية، وتكون من 12 عبارة، وخصص للإجابة على السؤال الفرعي الأول والمتمثل في: ما هو دور الجامعة في التنمية الاجتماعية من خلال جامعة محمد بوضياف – المسيلة؟

– المحور الثاني: تعلق بتحديد دور الجامعة في التنمية الاقتصادية، وتكون من 11 عبارات خصصت للإجابة عن السؤال الفرعي الثاني والمتمثل في: ما مدى مساهمة الجامعة في التنمية الاقتصادية من خلال جامعة محمد بوضياف – المسيلة؟.

– المحور الثالث: وخصص لتحديد أهم المعوقات التي تحول دون قيام الجامعة الجزائرية بدورها التنموي، وتكون من 20 عبارة، وخصص للإجابة على السؤال الفرعي الثالث والمتمثل في: ما هي أهم المعوقات التي تحول دون قيام الجامعة الجزائرية بدورها التنموي المنوط بها؟

2-5 صدق الاستبيان وثباته:

يعرف الصدق بأن تقيس الأداة ما وضعت لقياسه، بينما يعرف الثبات بمدى استقرار إجابات الأفراد على أداة الدراسة في تطبيقات مختلفة، ومن هذا المنطلق كان لزاما علينا التأكد من هذه الخصائص السيكومترية لأدوات الدراسة كالآتي:

أ– الصدق الظاهري (صدق المحكمين): لقد تم التحقق من صدق الاستبيان من خلال عرضه على مجموعة من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص في مجال التعليم العالي، وكذلك بعض الفاعلين من ذوي الخبرة في المؤسسة التي تم إجراء الدراسة الميدانية بها، حيث تم اطلاعهم على الاستبيان وأخذ جميع اقتراحاتهم وإجراء التعديلات اللازمة عليه، حيث كان الاستبيان في البداية مخصصا لجميع هيئات الجامعة (الطلبة، الهيئة الإدارية والأساتذة)، ليصبح مستقرا على فئة الأساتذة فقط نظرا لإطلاعهم ومعرفتهم بالموضوع وهذا بعد الأخذ بآراء المحكمين، وتم أيضا تعديل وتقليص بعض العبارات.

ب– ثبات أداة الدراسة (الاستبيان): لقد تم استخدام معامل الارتباط ألفا كرونباخ (Alpha Cronbach) والجدول رقم (01) يوضح نتائج قياس ثبات أداة الدراسة:

الجدول رقم (01) : نتائج قياس ثبات الاستبيان

المحور	متغيرات الدراسة	عدد	معامل الارتباط

		العبارات	Alpha cronbach
01	دور الجامعة في التنمية الاجتماعية	12	0.827
02	دور الجامعة في التنمية الاقتصادية	11	0.729
03	المعوقات التي تحول دون قيام الجامعة الجزائرية بدورها التنموي	20	0.791
الإتجاه العام لأداة الدراسة		43	0.766

يتبين من الجدول رقم (01) أن قيمة معامل الارتباط ألفا كرونباخ هي عالية وتتراوح بين 0.729 في حدها الأدنى وبين 0.827 في حدها الأعلى بالنسبة للمحاور 01 و02 و03 وهي أكبر من 0.6 وهذا يدل على أن الإجابات في المحاور الثلاث على درجة عالية من الثبات، أما قيمة ألفا كرونباخ لأداة الدراسة أو الثبات الكلي فقد قدرت بـ: 0.766 وهي الأخرى عالية جدا، وهذا يعني أن الاستبيان على درجة جيدة من الثبات .

ونستخلص من قياس صدق الاستبيان وثباته، أن الاستبيان صالح لقياس ما تم تحديده من أهداف بغية الوصول إليها.

ج- تطبيق الاستبيان: بعد التأكد من صدق وثبات الاستبيان ومدى صلاحيته للاستخدام في الدراسة، تم توزيع 60 استمارة على أفراد عينة الدراسة الذين لم تشملهم استمارات العينة الاستطلاعية، وأمكن استرجاع 45 استمارة منها 05 استمارات غير صالحة، ليصبح العدد الإجمالي 55 استمارة بإضافة استمارات العينة الاستطلاعية وهو ما يمثل عينة البحث.

خامسا- نتائج الدراسة الميدانية وتفسيراتها:

من أجل تحديد دور الجامعة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر من خلال الدراسة الميدانية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة والوصول إلى الهدف الرئيسي للبحث، واستخلاص النتائج المتعلقة بإشكالية الدراسة، سنحاول في هذه النقطة تلخيص النتائج المتوصل إليها عن طريق الدراسة الميدانية والأداة الدراسية المتمثلة في الاستبيان، ومن ثم تفسير هذه النتائج لإعطاء إجابة عن التساؤلات المنوطة بإشكالية الدراسة.

1- خصائص عينة الدراسة:

نلخص في هذه النقطة توزيع عينة الدراسة حسب الخصائص المحددة في القسم الأول والخاصة بالبيانات الشخصية، من خلال: جنس العينة، سن العينة، الرتبة العلمية، الخبرة المهنية والمنصب الإداري والإنتماء إلى المخبر أو مشروع البحث. والجدول التالية تبين توزيع أفراد عينة الدراسة حول متغيرات البيانات الشخصية:

الجدول رقم (02) : توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير الجنس.

البيان الشخصي	التصنيف	التكرار	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	43	78.2
	أنثى	12	21.8
المجموع		55	100

ونلاحظ من خلال الجدول رقم (02) ما يلي:

- بالنسبة لمتغير الجنس يبين توزيع أفراد عينة الدراسة من خلال متغير الجنس أن نسبة الذكور هي النسبة الغالبة حيث تقدر بـ 78.2%، في حين قدرت نسبة الإناث بـ 21.8%.

الجدول رقم (03) : توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير السن.

البيان الشخصي	التصنيف	التكرار	النسبة المئوية
السن	أقل من 30 سنة	9	16.4
	من 31 إلى 40	36	65.4
	من 41 إلى 50	7	12.7
	51 سنة فأكثر	3	5.5
المجموع		55	100

وبالنسبة لمتغير السن نلاحظ أن نسبة المبحوثين ممن تتراوح أعمارهم بين (31-40 سنة) تستحوذ على النسبة الأكبر في أفراد عينة الدراسة أي بـ 65.4%، أما الفئة الأقل فهي فئة 51 سنة فأكثر حيث قدرت بـ3 أشخاص فقط أي ما نسبته5.5% من عينة الدراسة.

الجدول رقم (04) : توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير الرتبة العلمية.

البيان الشخصي	التصنيف	التكرار	النسبة المئوية
الرتبة العلمية	أستاذ مؤقت	14	16.4
	أستاذ مساعد ب	5	9.1
	أستاذ مساعد أ	20	36.4
	أستاذ محاضر ب	7	12.7

10.9	6	أستاذ محاضر أ	
5.5	3	أستاذ التعليم العالي	
100	55	المجموع	

تبين نسب توزيع أفراد عينة الدراسة حول متغير الرتبة العلمية أن فئة الأساتذة المساعدين قسم ب هي الغالبة بنسبة 36.4%، تليها فئة الأساتذة المؤقتين بنسبة 25.4%، مع ملاحظة أنهم ذوو خبرة متوسطة تغلبوا عنها الفئة الأقل من 05 سنوات بنسبة 49.1 % والفئة من 05 إلى 10سنوات بنسبة 34.5 % وتشكل باقي الفئات ما نسبته 16.4 %.

الجدول رقم (05) : توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المنصب الإداري والانتماء لمخبر بحث.

البيان الشخصي	التصنيف	التكرار	النسبة المئوية
المنصب الإداري إن وجد	هناك 15 فرد من عينة الدراسة يمتلك منصب إداري في الجامعة أي ما نسبته 27.3 %من مجموع أفراد عينة الدراسة		
الانتماء إلى مخبر بحث أو مشروع بحث	نعم	33	60
	لا	22	40
المجموع		55	100

من خلال الجدول يتبين لنا أن أفراد عينة الدراسة تشتغل في المناصب الإدارية بما نسبته 27.3 %، وهذه المناصب تختلف بحسب الرتبة العلمية والخبرة المهنية، حيث يوجد منها عمداء ونواب عمداء كليات، ورؤساء أقسام ونواب مساعدين ومسئولي تخصصات وشعب في نظام ل م د، وبلغت نسبة الأساتذة المنتمين إلى مخبر بحث أو مشروع بحث النسبة الغالبة بما يقدر بـ 60 %، ويؤكد هذا التوزيع في عينة الدراسة أن أفراد العينة على قدر كبير بالمعرفة والإطلاع على الموضوع.

2- تحليل وتفسير استجابات أفراد عينة الدراسة

سنحاول في هذه النقطة تحليل وتفسير نتائج استجابات أفراد عينة الدراسة لمحتوى الأسئلة الموجودة في الاستبيان، وهذا بغرض الاجابة على التساؤلات الفرعية التي تم وضعها في اشكالية الدراسة، من خلال التعرض إلى أهم المؤشرات الإحصائية التي تم الحصول عليها من المعالجة الاحصائية بنظام SPSS، وهذا بالتطرق إلى نتائج كل محور من محاور أداة الدراسة.من خلال الاعتماد على التكرارات للإجابات والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري، لمعرفة آراد أفراد عينة الدراسة نحو كل عبارة من عبارات المحور

الأول، كما تم استخدام اختبار (ت) لعينة واحدة عند مستوى دلالة أقل من (0.05) لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسط الحسابي لكل عبارة والمتوسط النظري لها. وبين المتوسط الحسابي الكلي للمحور والمتوسط النظري للمحور.

2-1 نتائج استجابات أفراد عينة الدراسة حول عبارات المحور الأول:

سوف نتناول في هذا الجزء استجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات المحور الأول والذي يتعلق بالسؤال الذي ينص على: **ما هو دور الجامعة في التنمية الاجتماعية من خلال جامعة محمد بوضياف-المسيلة ؟**

اتضح من خلال إجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات المحور الأول من الاستمارة أن دور الجامعة في التنمية الاجتماعية يكون دور نسبي ويتجلى بدرجة مساهمة متوسطة، أي أن هذا الدور يبقى محدود،حيث بلغ المتوسط الحسابي الكلي للمحور (38.76) وهو متوسط قريب من المتوسط النظري للمحور (36) وبانحراف معياري قدره (9.881) يعكس تشتت بسيط في إجابات أفراد العينة، وباستعمال اختبار (ت) لعينة واحدة والذي كانت قيمته موجبة وتقدر بـ (2.074)، من أجل معرفة دلالة الفرق الموجود بين المتوسط الكلي والمتوسط النظري (36)، تبين وجود فروق معنوية (دالة إحصائيا) بين المتوسطين لصالح المتوسط الكلي للمحور عند مستوى دلالة (0.043*) وهو أقل من مستوى الدلالة المفروض، وهذا يعني أن أفراد عينة الدراسة يرون بأن الجامعة تلعب دورا نسبيا في التنمية الاجتماعية ويتجلى ذلك بمساهمة متوسطة من خلال غالبية عبارات المحور.

2-2 نتائج استجابات أفراد عينة الدراسة حول عبارات المحور الثاني:

سوف نتناول في هذا الجزء استجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات المحور الثاني والذي يتعلق بالسؤال الذي ينص على: **ما مدى مساهمة الجامعة في التنمية الاقتصادية من خلال جامعة محمد بوضياف- المسيلة ؟.**

اتضح من خلال إجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات المحور الثاني من الاستمارة أن الجامعة تلعب دورا نسبيا في التنمية الاقتصادية ويتجلى ذلك من خلال درجة مساهمة متوسطة، حيث بلغ المتوسط الحسابي الكلي للمحور (33.56) وهو متوسط قريب من المتوسط النظري للمحور (33) وبانحراف معياري قدره (9.496) يعكس تشتت بسيط في إجابات أفراد العينة، وباستعمال اختبار (ت) لعينة واحدة والذي كانت قيمته موجبة وتقدر بـ (0.440)، من أجل معرفة دلالة الفرق الموجود بين المتوسط الكلي والمتوسط النظري (33)، تبين عدم وجود فروق معنوية (دالة إحصائيا) بين المتوسطين لصالح المتوسط الكلي للمحور عند مستوى دلالة (0.662) وهو أكبر من مستوى الدلالة النظري

المفروض(0.05)، وهذا يعني أن أفراد عينة الدراسة يميلون إلى الحياد في الإجابة على عبارات المحور مما يؤكد أن دور الجامعة في التنمية الاقتصادية يكون نسبيا وبدرجة مساهمة متوسطة.

وهو ما تؤكده قيم المتوسط الحسابي لغالبية عبارات المحور والتي كانت تقع ضمن المجال الثالث لسلم ليكيرت (2.61 إلى 3.4) أي مجال الحياد. كما أن قيم مستوى الدلالة لغالبية عبارات المحور كانت أكبر من مستوى الدلالة المفروض (0.05) وهو ما يؤكد عدم وجود فروق معنوية بين المتوسط الحسابي للعبارات والمتوسط النظري لها.

2-3 نتائج استجابات أفراد عينة الدراسة حول عبارات المحور الثالث:

سوف نتناول في هذا الجزء استجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات المحور الثالث والذي يتعلق بالسؤال الذي ينص على: **ما هي أهم المعوقات التي تحول دون قيام الجامعة الجزائرية بدورها التنموي المنوط بها؟**

اتضح من خلال إجابات أفراد عينة الدراسة على عبارات المحور الثالث أن الجامعة تواجه عوائق كبيرة تحد من دورها التنموي، حيث بلغ المتوسط الحسابي الكلي للمحور (76.65) وهو متوسط أكبر من المتوسط النظري للمحور (66) وبانحراف معياري قدره (13.468) يعكس تشتت بسيط في إجابات أفراد العينة، وباستعمال اختبار (ت) لعينة واحدة والذي كانت قيمته موجبة وتقدر بـ (9.171)، من أجل معرفة دلالة الفرق الموجود بين المتوسط الكلي والمتوسط النظري (66)، تبين وجود فروق معنوية (دالة إحصائيا) بين المتوسطين لصالح المتوسط الكلي للمحور عند مستوى دلالة (0.000*) وهو أقل من مستوى الدلالة المفروض (0.05)، وهذا يعني أن أفراد عينة الدراسة يرون بأن هذه المؤثرات والمعوقات تحد وبدرجة كبيرة من قيام الجامعة الجزائرية بدورها التنموي.

كما يلاحظ أن أفراد عينة الدراسة يميلون إلى الموافقة بدرجة كبيرة وذي دلالة إحصائية (قيم ت المحسوبة غالبيتها موجبة ومستوى الدلالة المحسوب لغالبيتها أقل من مستوى الدلالة النظري المفروض 0.05) على أن جميع عبارات هذا المحور تدل على أن هذه المعوقات تحد وتعيق بدرجة كبيرة من دور الجامعة التنموي، فيما عدا العبارات رقم (34، 35، 36) والتي كان مستوى الدلالة لها أكبر من مستوى الدلالة المفروض (0.05) مما يعني عدم وجود فروق معنوية بين المتوسط الحسابي والنظري لها، حيث كانت متوسطات الإجابة لأفراد عينة الدراسة لهذه العبارات هي على التوالي (3.2، 3.11، 2.69) وهي متوسطات تقع ضمن المجال الثالث لمقياس ليكارت، ما يعني أن أفراد عينة الدراسة يميلون إلى الحياد في الإجابة على هذه الفقرات ويعتبرون أن هذه المؤثرات هي عوائق عادية بالنسبة لهم.

3- ملخص نتائج الدراسة: سنحاول في هذه النقطة تلخيص نتائج استجابات أفراد عينة الدراسة لمحتوى العبارات الموجودة في الاستبيان، وهذا بغرض الإجابة على التساؤلات الفرعية التي تم وضعها في إشكالية الدراسة والتي تخص الدراسة الميدانية، بغية الوصول إلى نتيجة عامة.

3-1 النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: بناءا على ما سبق ومن خلال النتائج المتحصل عليها بواسطة التحليل الإحصائي لإجابات أفراد عينة الدراسة حول عبارات المحور الأول، والمتعلق بالإجابة على السؤال: **ما هو دور الجامعة في التنمية الاجتماعية من خلال جامعة محمد بوضياف -المسيلة ؟** تم التوصل إلى أن أغلب أفراد عينة الدراسة يقرون بالحياد نحو كل عبارات المحور، وعليه تمت الإجابة على السؤال الأول، وتم التوصل إلى أن دور الجامعة في التنمية الاجتماعية بالجزائر يبقى دور نسبي ويتجلى بدرجة مساهمة متوسطة، وهذا راجع إلى أن الجامعة الجزائرية أفرغت من وظيفتها الاجتماعية الأساسية وهي خدمة وتنمية المجتمع وبقي لها دور محدود في قيادة عمليات التنمية بالمجتمع الجزائري.

3-2 النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني:

بناءا على ما سبق ومن خلال النتائج المتحصل عليها بواسطة التحليل الإحصائي لإجابات أفراد عينة الدراسة حول عبارات المحور الثاني، والمتعلق بالإجابة على السؤال: **ما مدى مساهمة الجامعة في التنمية الاقتصادية من خلال جامعة محمد بوضياف-المسيلة؟** تم التوصل إلى أن أغلب أفراد عينة الدراسة يرون بأن الجامعة تلعب دورا نسبيا في التنمية الاقتصادية، ويتجلى ذلك من خلال درجة مساهمة متوسطة، وعليه تمت الإجابة على السؤال الثاني، وتم التوصل إلى أن دور الجامعة في التنمية الاقتصادية بالجزائر هو دور محدود لا يرق إلى حجم التطلعات التنموية التي وضعت ضمن أساسيات وظائف الجامعة الجزائرية عبر مراحل تطورها المختلفة، حيث لم تستطع الجامعة الجزائرية مسايرة التطورات الحاصلة في الاقتصاد الوطني وتقديم مخرجات من الكوادر المكونة والمؤهلة لإدارة مختلف المؤسسات ودفع العجلة التنموية الاقتصادية للبلاد.

3-2 النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث:

من خلال النتائج المتحصل عليها بواسطة التحليل الإحصائي لإجابات أفراد عينة الدراسة حول عبارات المحور الثالث والمتعلق بالإجابة على السؤال: **ما هي أهم المعوقات التي تحول دون قيام الجامعة الجزائرية بدورها التنموي المنوط بها؟** تم التوصل إلى أن أغلب أفراد عينة الدراسة يرون بأن الجامعة تواجه عوائق كبيرة تحد من قيامها بدورها التنموي، وعليه تمت الإجابة على السؤال الثالث، وتم التوصل إلى أن الجامعة الجزائرية واجهت الكثير من المعوقات حالت دون قيامها بدورها في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وهذه المؤثرات والعوائق أثرت بدرجة كبيرة على تأدية الجامعة لمهامها ووظائفها التنموية للمجتمع.

" وعليه وكنتيجة عامة ومن خلال الدراسة الميدانية بجامعة محمد بوضياف – المسيلة تم الإجابة على الإشكالية الرئيسية للبحث والمتمثلة في: ما هو دور الجامعة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر؟ حيث تم التوصل إلى أن الجامعة تساهم بدرجة متوسطة ونسبية في التنمية، ويرجع ذلك إلى جملة كبيرة من المعوقات حالت دون قيامها بدورها التنموي، ولعل أبرزها هو غياب رؤية إصلاحية شاملة وهادفة للجامعة وللبحث العلمي تبنى من دراسات ميدانية ".

الخاتمة:

تعتبر الجامعة مؤسسة اجتماعية من صنع المجتمع، وهي تمثل قمة الهرم التعليمي له، ليس لمجرد كونها آخر مراحل النظام التعليمي وحسب، بل لأنها تتحمل مسؤولية كبيرة في صياغة وتكوين الشباب الجامعي علميا وقوميا وثقافيا وفكريا ووجدانيا، فهي أداة المجتمع في صنع قيادته في مختلف الميادين الفنية والمهنية والاقتصادية والسياسية والإدارية والثقافية والفكرية، والتي من خلالها يتابع المجتمع مسيرة تنميته.

والجامعة الجزائرية كغيرها من المنظمات الحكومية تحاول مسايرة التطورات التي ترافق وقتنا الحاضر ومسايرة متطلبات التنمية لتحقيق التغير الذي يحتاجه المجتمع من رقي ورفاهية، والتمتع بمتطلبات الحياة الكريمة، فحاولت الجامعة الجزائرية عبر مراحل تطورها المختلفة صياغة الآليات المثلى في بناء وظائف الجامعة بما يحقق لها التقدم المطلوب للمجتمع اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا، لذلك اعتبرت التنمية الاجتماعية والاقتصادية أحد ركائز وظائف ومهام الجامعة بالجزائر.

ومن خلال الدراسة الميدانية بجامعة محمد بوضياف – المسيلة، تم التوصل إلى أن الجامعة تساهم بدرجة متوسطة ونسبية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، ويرجع ذلك إلى جملة كبيرة من المعوقات حالت دون قيامها بدورها التنموي ولعل أبرزها هو غياب رؤية إصلاحية شاملة وهادفة للجامعة وللبحث العلمي تبنى من دراسات ميدانية ".

الهوامش والمراجع:

[1]محمد حسن زويلف، سليمان أحمد اللوزي : التنمية الادارية والدول النامية ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ، 1993،ص7.

[2]Patrick Guillaumont :Economie du développement ,1/ le sous-développement ,presses universitaires de France , Paris – France , 1ère edition , septembre 1985 , p 39 - 40

[3]محمد حسن زويلف، سليمان أحمد اللوزي: المرجع السابق ،ص8.

[4]نعيم الظاهر: دراسات في الواقع العربي التنموي – الاقتصادي – الاجتماعي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، الطبعة الأولى، 1998 ،ص101.

[5]صالح صالحي: المنهج التنموي البديل في الاقتصادي الاسلامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر ، الطبعة الأولى، 2006، ص ص109-111.

[6]نعيم الظاهر : مرجع سابق، ص102.

[7]محمد عبد العزيز علجمية، محمد علي اللبثي : التنمية الاقتصادية مفهومها –نظرياتها –سياساتها، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية –مصر ،2000ص20.

[8]فليح حسن خلف : التنمية والتخطيط الاقتصادي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، الطبعة الأولى، 2006، ص 177 .

[9]مالكوم جيلز ، مايكل رومر وآخرون : اقتصاديات التنمية، تعريب طه عبد الله منصور وعبد العظيم مصطفى، مراجعة محمد إبراهيم منصور، دار المريخ للنشر الرياض – المملكة العربية السعودية، 1995، ص32.

[10]محمد سيد فهمي : تقويم برامج تنمية المجتمعات الجديدة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية –مصر، 1999،ص59.

[11]فضيل دليو، الهاشمي لوكيا وآخرون : إشكالية المشاركة الديمقراطية في الجامعة الجزائرية، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، فيفري 2001، ص 73.

[12]المرجع نفسه، ص ص76 - 79.

[13]هاشمي بريقل : الجامعة والتنمية الاجتماعية بالمجتمع الحضري : دراسة ميدانية بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة المسيلة- ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص: علم الاجتماع الحضري، جامعة المسيلة- الجزائر، 2009-2010، ص 33.

[14]فضيل دليو، الهاشمي لوكيا وآخرون : مرجع سابق، ص ص 90-91 .

[15]شبل بدران، جمال الدهشان: التجديد في التعليم الجامعي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 2001، ص 36 .

[16] لحسن بوعبد الله، محمد مقداد: تقويم العملية التكوينية في الجامعة – دراسة ميدانية بجامعات الشرق الجزائري-، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزائر 1998، ص ص 2-3.

[17]وزارة التعليم العالي والبحث العلمي: التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر " 50 سنة في خدمة التنمية 1962-2012 "، من موقع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص 16.

[18]لحسن بوعبد الله، محمد مقداد: مرجع سابق، ص ص 2-3.

[19]وزارة التعليم العالي والبحث العلمي: مرجع سابق، ص 18.

[20]لحسن بوعبد الله، محمد مقداد: مرجع سابق، ص 3.

[21]وزارة التعليم العالي والبحث العلمي: مرجع سابق، ص ص23-24.

[22]المرجع نفسه ، ص25.

[23] المرجع نفسه، ص 7 .

الأفازيا دراسة لحالة باتوليجية

وأثرها على عملية التّواصل اللّغوي

د/حميداني عيسى، جامعة تيارت

بات من البديهي –في ظل تطور الدرس اللساني الحديث– معرفة العلاقة الوطيدة بين اللغة والتواصل ،هذه الثنائية التفاعلية ولدت مفهوما وإجراءا جديدين وهو التواصل اللغوي ،وهو في ابسط تعاريفه التفاعل بين طرفين أو أكثر من الأفراد المجتمع اللغوي في شتى مجالات الحياة بغية التعبير عن حاجيات أو رغبات ونقل المشاعر والأحاسيس ... إنه مجمل الميكانيزمات المادية و النفسية التي تستخدم في التواصل بين شخص أو عدة أشخاص (المرسل) و شخص أو عدة أشخاص (المستقبل) بغية الوصول إلى أهداف معينة [1] ،فالتواصل بهذا المفهوم لا يخرج عن إطار الميكانيزم (mécanisme)الذي تتواجد بواسطته العلاقات الإنسانية و تتطور ،ويتضمن جميع رموز الفكر ووسائل إرسالها عن طريق مكان ، وبتدعيم زمان ، إنه يتضمن تعبيرات الوجه ، والاتجاهات ، والحركات ، ونبرات الصوت والكلمات،والكتابات و المطبوعات ، وسكك الحديد ، و التلغراف والتلفون ، وكل ما يسير نحو إتمام اكتشافات الفضاء و الزمن[2] .ومن هنا وجب أن نشير إلى طبيعة الرسالة المتبادلة بين الطرفين ،بحيث لا تقتصر على التعبير اللفظي ،بل يمكن ان تتجاوز ذلك الى مستويات أخرى من التواصل ،فالتواصل الآن معقود بين الكاتب والقارئ لأن الكاتب « هو مصدر كل ما ورد في كتابه من أخبار وأفكار .والقراء هم بمثابة المقصد .وعملية الكتابة والتسجيل هي بمثابة الإرسال .وبقاء محتوى الكتاب مكتوبا هو المسلك الذي يضمن للكتاب الديمومة عبر الزمان والمكان .وأخيرا فان عيون القراء وعقولهم هي أجهزة الاستقبال »[3] ،وكذلك الشأن بالنسبة للمستمع لوسائل الإعلام المختلفة المسموعة منها والمرئية،فيكون السامع حينئذ متلقيا للرسالة الصادرة ،وفي كل هذه الحالات الطرفان(المرسل ،المرسل إليه) كلاهما يعتمد على عمليات عقلية وذهنية مادتها ومضمونها اللغة .من هنا يتبين لنا أن التواصل عملية يشترك فيها عدة عناصر وهي :

أ-مصدرSource.

ب-مقصد Destination

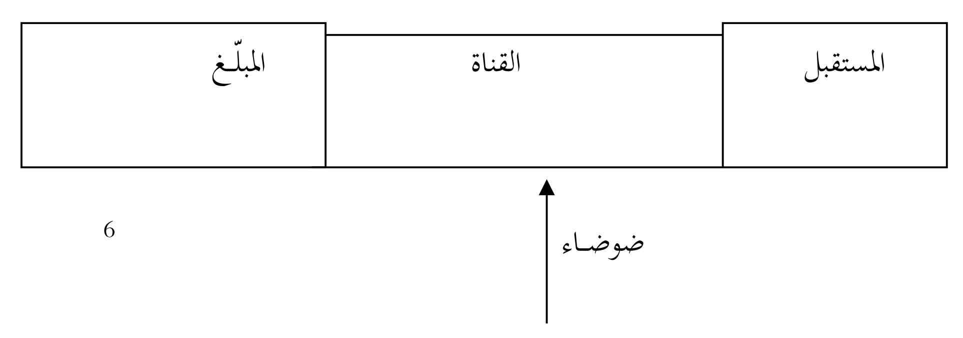
ج-مرسلة Transmetteur

د-مسلك أو قناة Voie ou Canal

هـ-مستقبلة Récepteur (4)

نظرية شانون ""Shannon "التواصلية:

كان مصدر الإلهام لأولى محاولات النظر في تركيب اللغة هو نظرية " شانون" في مجال الاتصالات ،والفكرة الأساسية التي تعتمدها هذه النظرية هي ان المعلومات « لا علاقة لها بمحتوى الرسالة لكنها تتحدد فقط على أساس الإقلال من كمية عدم التأكد .لو ان نتيجة يمكن التنبؤ بها تماما ، لا يكون هناك عندئذ عدم تأكد بالنسبة لها ،لذلك فالرسالة المبلغة لا تحوي معلومات 5،واقترح " شانون " النموذج التالي لكيفية انتقال المعلومات من المرسل إلى المستقبل.



لقد أشار "شانون"إلى قضية العشوائية أو الحد الأقصى من عدم التنبؤ بعيد عن ان يكون عليه الأمر عندما يتعامل مع اللغة البشرية .ان القضية التي يسعى –في نظرنا – شانون لتوضيحها ومن ثم تثبيتها على أساس نظرية تضاهي النظريات الأخرى هي ان اللغات الإنسانية –بعيدا عن قيامها بإبلاغ الحد الأقصى من المعلومات –تتسم بقدر كبير من الإطناب أو التكرار .والإطالة أو الإطناب أو التكرار التي نشير إليها هنا في هذا الصدد هي بتعبير بسيط كمية ما يمكن التنبؤ به في رسالة ما.ولكن على الرغم على ان التكرار يشتمل على فقدان قدر كبير من الحد الأقصى للمعلومات إلا انه يؤدي دورا نافعا في النقل الجيد للرسائل .فلو حدث نوع من الاضطراب أو التشويش في القناة (Canal)هذا يجعل من الصعب سماع الرسالة بأكملها .7ولعل نظام البرقيات (Télégramme)المعمول به في الاتصالات يؤكد هذا المنحى. إذ سعيا لتوفير النقود ،والتقليل من كلفة البرقية يجتهد المرسل في حذف أو إسقاط كثيرا من الكلمات التي لا فائدة منها في نظره ،بل يكتفي فقط بالكلمات المهمة .

وتسمى –نظرية المعلومات –عادة بنظرية الفائدة وضعها علماء الاتصال لتكميم الفائدة ،أو بمعنى آخر قياس كمية الفائدة التي يحتويها الرسالة ،فتقاس أهمية الرسالة بأهمية الخبر الذي تحمله،وإزالة كل تشوش الممكن حصوله في الوقت نفسه في عملية التواصل ،فمن البديهي القول ان « نقل الأشياء الفارغة من حيث المضمون الإعلامي ،عبر القنوات ،عملية مكلفة ولا تعود بأية منفعة لعملية التواصل .فنقل أشياء فارغة من المضمون عبر الخطوط التلغرافية عملية شبيهة جدا بنقل صناديق فارغة في سيارة شحن ذهابا وإيابا ،مسافة مئات الكيلومترات .فالعمليتان مكلفتان ،ولا تعود بأية فائدة .» (8)

لقد تنبه العلماء والدارسون في مختلف المجالات الحياتية ان التواصل أو دراسته بالأحرى أضحى مطلبا مهما وحافزا قويا لفهم العملية التواصلية وما يمكن ان ينضوي تحته من استفهامات بين الباث والمتلقي،ومن بين هؤلاء "كلود شانون"(Claude Shannon)و"وارين ويفر"(W-Weaver)،حيث اقترح هذان العالمان "نظرية التواصل"(La Théorie de Communication)عام 1949.حيث أصبحت هذه النظرية –في عالم الاتصال–ملفتة للانتباه خاصة أولئك المهتمون بالجانب الإعلامي ،بل لقد أقحمت اللغة الإنسانية في عالم آخر وهو عالم الرياضيات والمعادلات والقياس .هذه النظرية التي ظهرت بعنوان " النظرية الرياضية للتبليغ"(La Théorie Mathématique de communication)والذي يدعم أهميتها تأثيراته على مجالات متعددة «على اللسانيين وعلماء النفس ،ويمكننا القول ان علم النفس اللغوي من حيث الظهور كان نتيجة التقاء هذه الأفكار التي اقترحها "شانون Shannon ".» (9) ارتكزت النظرية الرياضية للتبليغ على ستة عناصر وهي :

1)مصدر المعلومات 2)مرسل 3)قناة 4)مستقبل 5)هدف 6)مصدر الضجيج

وقد اعتمدت النظرية السالفة على محاور عدة من أهمها خاصة في مجال التواصل اللغوي :

1–مخطط و ترسيمة التواصل ومفهوم القانون او السنن (Les Codes)

2–قياس كمية الإعلام (Mésure de la quantité d'information)

3–مفهوم الإنسان الآلي المتناهي (Notion d'automate fini) .

والترسيمة التي يقترحها "شانون" تمكننا من إدراك عملية التواصل ،كيف تحدث وترسل ،وكيفية انتقال الإعلام وعبوره ،ووصوله من خلال مرسلة مشتركة بين الباث والمتلقي (10)

–نظرة "جاكوبسون" (Jakobson)(1896–1982)للأمراض اللغوية :

تعدّ ظاهرة الأمراض اللّغوية نقطة تقاطع لاهتمامات العديد من المختصين في الطبّ النفسي والعصبي وعلم اللغة على حدّ سواء ،لذا لم يكن غريباً اهتمام علماء اللسانيات خاصة اللسانيات العصبية (Neurolinguistique)واللسانيات النفسية (Psycholinguistique)بدراسة هذه الظاهرة

تزامناً مع أبحاث جاكبسون حول الأفازيا ،وهذا بدليل اهتمامه بدراسة الجوانب الفونولوجية والتركيبية في لغة الطفل ملاحظاً أن التحريفات déformation اللغوية عند الأطفال لها علاقة بالتطور الصوتي للغات الطبيعية [11]،كما حدّد علاقة بين بداية اكتساب الطفل للغة،وظهور الاضطرابات الأفازية عند المريض وكأنه يعاود مرحلته الأولى للاكتساب اللغوي[12].

لقد تناول "جاكوبسون" [13] ظاهرة الأمراض اللغوية في كتاب خاص حمل عنوانا مشوقا وهو (لغة الطفل والحبسة أو الأفازيا " (Langage Enfantin et Aphasie) ضمنه ثلاثة فصول وقد جاءت وفق التقسيم الآتي [14] :

1-التطور الصوتي للغة الطفل والأفازيا كمشكلة لسانية (L'évolution phonique du langage enfantin et de l'aphasie comme problème linguistique)

2-طبقات النظام الفونيمي (Stratification du Système Phonématique)

3-تأسيس القوانين البنيوية (Fondement des lois structurales)

لقد اهتم "جاكوبسون " بالأمراض الكلامية ، وتعيين الحالات الفيزيولوجية والنفسية والعصبية التي تعترض سبيل العملية النطقية الصحيحة للكلام ،وهذا اعتمادا على النتائج المتوصل إليها في ميدان الطب والدراسات اللسانية والنفسية ،مع اقتراح العلاج . وركز "جاكوبسون " على العملية التواصلية والعلاقة بين المرسل والمرسل إليه ،خاصة المرحلتين :الترميز(Codage) وفك الترميز (Décodage) .لأن اللغة نظام (Système) من العلامات والرموز المتعارف عليها .فالكلام في جوهره هو عملية صياغة للأفكار التي نتصورها ذهنيا ،اعتمادا على رموز عربية أو فرنسية أو اسبانية ...الخ ،وقيمة هذه الأفكار تتعلق بمدى فهم المرسل إليه ولا يتأتى ذلك إلا بفك هذه الرموز والكشف عنها .يقول جاكوبسون : «يجب أن تكون للمستقبل الرموز نفسها التي استعملها المرسل ،ومن خلال سماعنا لرسالته ،كان بمقدورنا معرفة المكونات من الوحدات الترميزية .ومن هنا يمكننا تعيين المرسل على أنه الرامز(واضع الرمز) بينما المرسل إليه هو مفكك الترميز .» [15]

إن المتصفح للكتاب الذي ألفه "جاكوبسون " يدرك أن هذا الأخير قد عالج موضوع الحبسة أو الأفازيا داخل اللغة نفسها ،أو من ناحية الاكتساب اللغوي عند الطفل لأن الافازيا في مفهومها تكون عطلا يصيب لغة المصاب بها لذلك تساعد دراسة مظاهرها في مجال دراسة اللغة العادية والسليمة وتفهمها بالمقدار نفسه الذي تساهم به في هذا الإطار دراسة اللغة عند الطفل وتتمحور دراسات جاكوبسون في هذا المضمار ،حول مشكلتين يعتبرهما أساسيتين ،وهما : الأولى وهي المظاهر اللغوية للاضطرابات الافازية ،وأما الثانية فهي :التوازي الواضح بين التفكك اللغوي عند الأفازي وبين اكتساب اللغة عند الطفل. [16]

في الحقيقة إن جاكوبسون ،وكغيره من اللسانيين البنيويين ،ينطلق في معالجة هذه الظاهرة المرضية الكلامية من اللغة ،كما أكدت سلفا ،متخذا من ظاهرة التقطيع المزدوج التي اعتمدتها المدرسة الوظيفية في اللسانيات الحديثة وعلى رأسها "أندري مارتيني" (A-Martinet)،بحيث أن اللغة تدرس أو بالأحرى تقطع إلى مستويين وهما : المستوى المورفيمي(Morphèmes)،وأما الثاني فهو التقطيع على مستوى الفونيمات (Phonèmes).وبناء عليهما (الفونيم والمورفيم) يحدد جاكوبسون نوعين من الإصابات في ما يتعلق بمقدرة المريض على فهم الكلام [17]

فالفونيمات هي أصغر وحدة صوتية لا تحمل دلالة في ذاتها ،لكنها قادرة على تغيير المعنى ،وفي الحقيقة« إن طبيعة الاضطرابات الفونيمية أو الأمراض اللغوية قد تحدّدت من خلال التطورات الحديثة في دراسة الأفازيا من مبادئ علم النفس الحديث المستوحاة من النظريات القديمة لـ"بروكا Broca" فاضطر العلماء إلى دراسة كل ما يتعلق باللغة من زاوية خصائصها الرمزية وطبيعة علامتها .» [18] وأما المونيم أو المورفيم فهو أصغر وحدة صرفية لا تقبل التقسيم إلى مستويات دنيا ذات دلالة ،علما أنّ المتكلم وهو يباشر عملية الكلام ،فإنه يختار « الكلمات ويؤلف بينها في جمل تتلاءم ونظام تركيب الجمل (النحو) للغة التي يستعملها ،والجمل بدورها تتلاحم في عبارات ،وليس للمتكلم في أي حال من الأحوال الحرية الكاملة في اختيار الكلمات ،فالانتقاء يجب أن ينطلق من الكنز المفرداتي المشترك بينه وبين متلقي الرسالة » [19] .

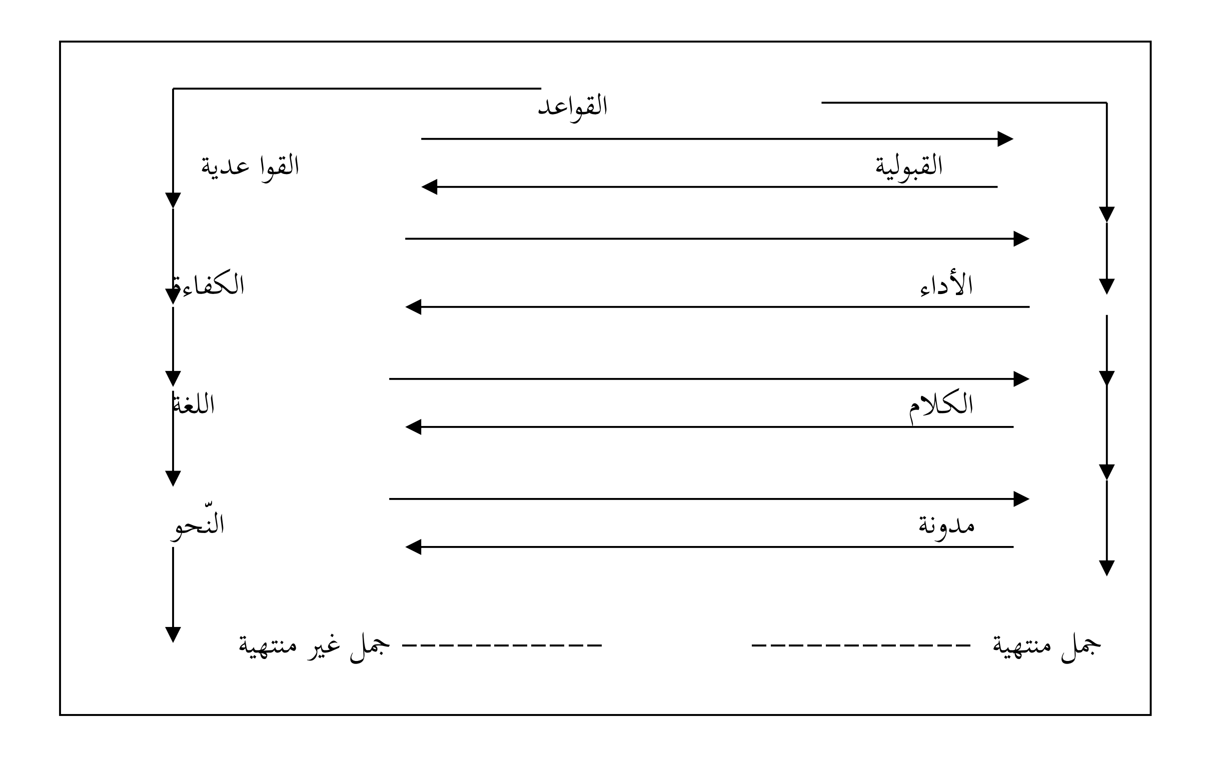
في الحقيقة إنّ جاكوبسون لم يقدم شيئا جديدا في هذا الإطار لماذا؟لأن المفاهيم التي أسس عليها الازدواجية اللغوية لا تخرج عن الإطار المرجعي الأصلي لها ،والذي تبناه "دي سوسير " من حيث تمييزه بين المصطلحات اللسانية خاصة الثنائية المعروفة (اللسان/الكلام) فاللسان هو النموذج اللغوي الذي تخضع له الجماعة اللغوية في كلامها وتواصلاتها ،ولسنا أحرارا في تغييره إضافة أو نقصانا ،وأن اختيارنا للمفردات التي يوّد أحد منا استعمالها وجب عليه أن يعود ضروريا إلى هذا النموذج وهو اللسان ،أما اللغة فما هي إلا تجسيد للسان في الواقع الكلامي .إذن قضية الاختيار التي عرضها جاكوبسون قد يترتب عليها خلل في انتقاء المفردات .فعندما نقدم لمريض من هذه الفئة (خلل الانتقاء) أجزاء كلمات أو جمل ،فانه يكملها بسهولة كبيرة ...ولكنه يجد صعوبة بالغة في الابتداء بالحوار ،وهو قادر على الإجابة على متكلم حقيقي أو متخيل ،عندما يكون هو ذاته متلقي المرسلة أو عندما يتخيل أنه هو ...[20] .أما الحالة الثانية فهي حالة (اضطراب التجاور) ،فالكلمات في الملفوظ اللساني لا تكون رصدا عشوائيا للمفردات اللغوية دون أدنى تنسيق بينها ،فالقواعد ونظام التركيب الخاص بكل لغة كفيلان بضمان تجاور هذه المفردات تجاورا يؤدي دلالة معينة فكما أن «جسد الإنسان يتألف من أجهزة والأجهزة من أعضاء ،والأعضاء من أنسجة،والأنسجة من خلايا ،فكذلك الأمر بالنسبة للغة ،إذ أنها تتركب من كلام ،والكلام من جمل

،والجمل من كلمات ،والكلمات من مقاطع وحروف .وهكذا نرى أن اللغة تتركب من وحدات صغيرة تنتظم فيما بينها لتؤلف وحدات أخرى أكبر منها ،وكلها مترابطة بحسب نسق معين وبحسب ترتيب خاص ،بحيث لا يجوز التقديم أو التأخير ولا العكس ،إلا في حالات معينة » (21)

إنّ المريض لغويا اعتمادا على التجاور غير قادر على تشكيل جملة سليمة تركيبيا، فبغياب القواعد النحوية التي تنظم الكلمات في وحدات أكبر تكون مفقودة ،ويؤدي هذا الفقدان المسمى (لا نحوي)(Agrammatical)إلى تحويل الجملة إلى "كومة من الكلمات .ومن هنا كان أسلوبا تلغرافيا (Télégraphique Style) وإن أعراض هذا المرض غياب المترادفات(Synonymes) والأضداد (Antonymes) لدى المريض ،وفي اختياره للكلمات أو الفونيمات كما يقول جاكوبسون.(22)

وقد يصيب الخلل العديد من المستويات، إذ يفقد المريض القدرة على التمييز بين الفونيمات مما يؤدي الى خلل على المستوى الفونولوجي فيصبح غير قادر على التمييز بين صوتين ،وقد يفقد القدرة على فهم معاني بعض الكلمات مما يجعله يستعمل كلمة بدل كلمة أخرى وقد لا يتمكن من استعمال الروابط او الضمائر في السياقات المختلفة فيصبح الخطاب حينئذ كما وصفه جاكبسون –كما ذكرنا–"تلغرافياً" (23)

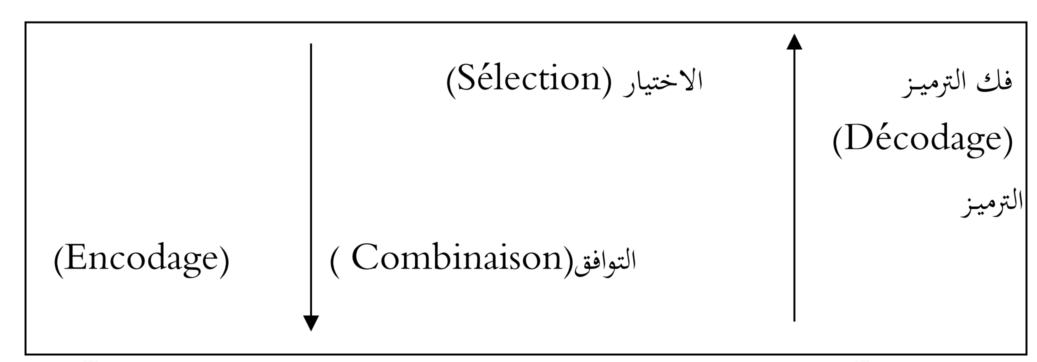
ويمكنا أن نستدل في هذا الباب (النحوية واللانحوية)بالنسبة للملفوظ اللساني بالخطاطة او التقابلات (24) التي اقترحها الدكتور عبد الجليل مرتاض ،والتي من شأنها توضيح هذه المفاهيم اللسانية .



إن جاكوبسون يقرّ صراحة أنّ الأبحاث التي تناولت الأمراض اللغوية أو الاضطرابات المسماة بالافازيا قليلة جدا فلا يوجد مع الأسف غير الشيء القليل للوصف اللساني المستعمل في الافازيا وأن الشيء القليل هذا الذي بحوزتنا لا يهتم إلا بعدد قليل من اللغات ...من الواجب علينا أن نقدم لعلماء النفس وعلماء الأعصاب الكثير من الأفكار التي ترتكز على العديد من الوظائف الكلامية النطقية المنعزلة ،وخصيصاً حول اللغة الداخلية ،ولكن ما لدينا إلا الاستثناءات النادرة [25]

لقد استطاع جاكوبسون ذكر أنواع من الاضطرابات والاختلالات التي تصيب المصابين بالحبسة وقد حددها في عدة ثنائيات ،معللا ذلك بأشكال توضيحية :

1-الترميز /فك التميز (Codage/ Décodage) ،وقد وضحها جاكوبسون بهذا الرسم :[26]



إن الاضطرابات التي تلحق ترميز المرسلة هي عبارة عن (توافق ،ومجاورة) ،أما الاضطرابات التي هي من نصيب المرسل إليه فتوافق (الاختيار ،والتشابه).وتربط العمليتين بنموذجين للعلاقة إذ يؤسس الاختيار على التشابه ،والتوافق على المجاورة .ولكن الاضطراب قد يمس العلاقتين كلتاهما ،ومن هنا يكمن العلاج في تشخيص الاخصائيين من أطباء وعلماء النفس والأعصاب لهذا الاضطراب وبيان نوعه مع تعيين العلاج المناسب لكل حالة مرضية.

أما المستوى الثاني من العلاقات فيتمثل في العلاقات التقابلية المعقدة التي تعتمد أولا وقبل كل شيء لتعيين مركز الخلل المؤثر ،ومنه إلى تحديد الحبسة ونوعها ،وهذه المرحلة تسمح للأخصائيين من تشخيص المرض ومتابعته علاجيا مع مراعاة الأولويات.فاللساني مثلا يعوّد المريض على نطق بعض الكلمات ويراقب مدى تمكنه من النطق السليم والتغلب على مرضه.

قدم جاكوبسون في نهاية بحثه في مجال الأمراض اللغوية عرضا لأهم الأعراض (Symptômes الكلامية التي من خلالها يمكن أن نميّز بين ستة (06) أشكال من الأفازيا ،وقد استوحاها من خلال مؤلفات " ليريا" (Luria 1947-1962) ومن جهة أخرى رسم وجهة نظره اللسانية الخالصة

للعلاقات الرابطة بين الأشكال الستة للأفازيا من منظور أن ثلاث(03) ثنائيات مستترة أو سطحية(Sous-jacents)لستة (06) أشكال من الأفازيا و هي [27] :

1-ديناميكي (Dynamique) :إن هذا التأثير الديناميكي يكون متعلقا بالأقسام الجبهية للمخ ،كما أكدته (ليريا) Luria).

2- مخرجي حركي (Moteur efférent) :وله علاقة بفرع الجبين الأمامي للقشرة (Fronto-temporale antérieure du cortex).

3-مدخل حركي (Moteur afférent) :وله علاقة بالمركز الخلفي (Rétro central)

4-نسياني (Amnestique):وله علاقة بالمركزي

5-حسي (Sensoriel) : وله علاقة بالمركز الأمامي ،مرتبط بالحس .

6-دلالي (Sémantique) :يتحكم في التصنيفات اللسانية .

إلى جانب هذه التصنيفات لأنواع الأفازيا ،والتي يصرح بتأثره بـ"ليريا " في تصنيفها ،يذهب قائلا:«إن الأشكال الأولى والثالثة (الديناميكي والمدخلي) تصيبان الترميز ،التي يتعيّن على المرسل القيام بها .بينما الرابعة والسادسة (النسيانية والدلالية) تتعلق في الأساس بأضرار على مستوى فك الترميز ،التي يتعين على المرسل إليه القيام بها لفهم الرسالة .فبالنسبة للمرّمز (l'encodeur فإن الاختيار من الطبيعي أن يتبع بالتوافق ،أما بخصوص فاك الترميز (Décodeur) فهو في الواجهة مع السياق أي بالنسبة إليه أن الاختيار قد سبقه التوافق (...)فالتوافق متضرر في كل أشكال الأفازيا بالنسبة للمرّمز»[28]

إن مسالة أمراض اللغة تعد نقطة تقاطع لاهتمامات المختصين في الطب النفسي والطب العصبي وعلم اللغة علما ان توجه اللسانيين الى دراسة هذا الجانب ظهر مع ابحاث جاكبسون حول الافازيا وقد اهتم هذا الاخير بدراسة الجوانب الفونولوجية والتركيبية في لغة الطفل ولاحظ ان التحريفات déformation) اللغوية عند الاطفال لها علاقة بالتطور الصوتي للغات الطبيعية [29] كما ربط بين بداية اكتساب الطفل للغة،وبداية الاضطرابات الأفازية عند المريض وكأنه يعاود مرحلته الاولى للاكتساب اللغوي[30]

ومن المفاهيم التي عالجها جاكوبسون أيضا الاستعارة والمجاز المرسل(Métaphore et Métonymie [31] حيث قال :« أود ان أتحدث في كل مرة وخاصة اليوم عن مشكل مختلف تماما عما كنت أفكر فيه وخاصة بأهميته ليس في دراسة الافازيا فحسب ،بل أيضا في العلم العام للغة ،وخصوصا في تحليل البنية الكلامية ،والسلوك الكلامي ،والفنون الكلامية ...إنّ الشكلين الاثنين

المتعارضين ،(المجاز والاستعارة) يقدمان التعبير الأكثر أهمية بالنسبة للعلاقات الأساسية بينهما :علاقة داخلية وعلاقة خارجية » [32]

ومن هنا يمكن للخطاب أن يتقدم على خطين دلاليين مختلفين :هناك موضوع يسوق موضوعا آخر أما بالتماثل أو بالتجاور ومن الأفضل على ما يبدو أن نتكلم عن عملية استعارية في الحالة الأولى وعن عملية مجازية في الحالة الثانية ،ذلك لأن الأولى تجد تعبيرها الأشد كثافة في الاستعارة والثانية تجده في المجاز المرسل .وتكون في حالة الحبسة إحدى هاتين العمليتين منتقصة أو معلقة تماما وهذا ما يجعل دراسة الحبسة مثمرة جدا لعالم اللسانيات.[33]

بهذا لا يمكن الاعتقاد أن الخوض في المسائل المتعلقة بالأفازيا أو الحبسة تقتصر فقط على المسائل الأكلينيكية الطبية ،بل يجب أن يساهم علماء اللغة وعلماء النفس والأرطفونيون في تشخيص هذه الأمراض اللغوية ،ومحاولة التقليل من آثارها السلبية على حياة المرضى ،ومن هنا ليس غريباً أن نقرأ ونسمع بهذا التقاطع المعرفي والمنهجي بين علوم شتى ومنها على وجه الخصوص علم النفس ،وعلم الاعصاب وعلم اللغة ،فشكلت حينئذ علوماً مستقلة لها منهجها ،ومجالها الإجرائي كاللسانيات العصبية (Neurolinguistique.)[34] * ،واللسانيات النّفسية(Psycholinguistique)*

مصادر البحث ومراجعه:

1-بسام بركة " معجم اللسانية " منشورات جروس ،الطبعة الاولى ،سنة 1985.

2- جلال شمس الدين " علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه " الإسكندرية 2003،ج1

3-جوديث جرين " التفكير واللغة " تر :عبد الرحيم جبر ،الهيئة المصرية للكتاب ،1992

4-حنفي بن عبسى " محاضرات في علم النفس اللغوي " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،الطبعة الخامسة ،سنة 2003.

5-عبد الجليل مرتاض " في رحاب اللغة العربية " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،سنة 2004.

6-فاطمة الطبال بركة " النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون " المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الأولى ،سنة 1993

7-ميشال زكريا " الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادؤها وأعلامها " المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان الطبعة الأولى ،سنة 1980.

8-ميشال زكريا " مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة " المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت (دط) 1983

المراجع باللغة الأجنبية

1 -ANZIEU, D et MARTIN ,J.Y ‘’ La dynamique des groupes restreints ‘’ P.U.F, Paris , 1986

BRENARD Pottier et Autres " Comprendre la Linguistique" éd ;Marabout ;Vervier 2 -,1975.

- Charles Bouton , la linguistique Appliquée(2 ed presses universitaires France1979) 3

4- COOLEY, C in Mucchielli , R ‘’ Les réseaux de communication ‘’ , E.S.F, Paris , 1988

5 -Dictionnaire petit Larousse .Librairie Larousse;1983

6 -Georges Mounin " Histoire de la Linguistique des Origines au 20eme siècle " . Presses universitaires de France :1 ère éd ;1967.

7 -Georges Mounin " la linguistique du 20eme siècle " P.U.F ;2eme éd;1975

8 -Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie " ;TRAD de l'anglais et de l'allemand ;par 9- Jean –Paul BOONS .ET RADMILA Zygouris ; éd de Minuit ;1969

الهوامش:

---

[1] -ANZIEU, D et MARTIN ,J.Y ‘’ La dynamique des groupes restreints ‘’ P.U.F, Paris , 1986 (p 589)

[2] -COOLEY, C in Mucchielli , R ‘’ Les réseaux de communication ‘’ , E.S.F, Paris , 1988 (p33)

[3] - حنفي بن عيسى ،محاضرات في علم النفس اللغوي ،ص78.

[4] - حنفي بن عيسى ،م نفسه ،ص77.

[5] - جوديث جرين " التفكير واللغة " تر :عبد الرحيم جبر ،الهيئة المصرية للكتاب ،1992.ص 153

[6] - جوديث جرين ،ص 153.

[7] - جوديث جرين،م نفسه ،ص 155

[8] -ميشال زكريا " الألسنية (علم اللغة الحديث)المبادئ والأعلام.،ص60.

[9] - BRENARD Pottier et Autres " Comprendre la Linguistique" éd ;Marabout ;Vervier ,1975;P44.-

[10] - ينظر عبد الجليل مرتاض "اللغة والتواصل" ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع (دت،دط) ،ص81.

[11] Roman Jakobson langage enfantin et aphasie (Paris le seuil1969) P21-22

[12] Ibid,P108

[13] - من مواليد 11 تشرين الأول عام 1896 من عائلة يهودية روسية ومن طبقة برجوازية ،كان والداه يهتمان بالرسم والانفتاح على الثقافات الأجنبية والأفكار الجديدة ،ويتمتعان بثقافة مرموقة ...تخصص في مجال القواعد المقارنة ،واظهر اهتماما باللهجات الروسية والفلكلور ،تلقى علومه في مؤسسة (لازاريف) ...رحل الى البلاد الاسكندينافية وعمل أستاذا وباحثا في (كوبنهاجن) و(اوسلو) ،وتمركزت أبحاثه في تلك الفترة حول لغة الأطفال ،درس في المعهد الحر للدراسات العليا في "نيويورك " بين عامي (1942-1946) وفي جامعة "كولومبيا " (1943-1949) وفي جامعة "هارفرد ،وكان كوسيط بين علم الألسنية من جهة وعلم الأعصاب والبيولوجيا وعلم النفس وأمراض الأعصاب ،توفي سنة 1982 ومن آثاره (مبادئ الفونولوجيا ،العلاقات الداخلية والخارجية للغة 1973 ،وستة دروس حول الصوت والمعنى 1976.

ينظر :فاطمة الطبال بركة " النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون " المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،الطبعة الأولى ،سنة 1993.،ص 15 وما بعدها .بتصرف

Georges Mounin " la linguistique du 20eme siècle " P.U.F ;2eme éd ;1975 ;P -137-

– وينظر ميشال زكريا " مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة " المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت (دط) 1983 ،ص 163-164.

[14] - -Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie " ;TRAD de l'anglais et de l'allemand ;par :Jean –Paul BOONS .ET RADMILA Zygouris ; éd de Minuit ;1969,P 187.

[15] -Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie ";P110

[16] - ينظر ميشال زكريا "الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام) ،ص 67.

[17] -ينظر ،ميشال زكريا :المصدر نفسه،ص 67.

[18] -Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie;P 38

[19] - فاطمة الطبال بركة،" النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون " المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الأولى سنة 1993 ،ص 155.

[20] - نفسه ،ص 159.

[21] -حنفي بن عيسى ،المرجع السابق الذكر ،ص 58.

[22] -Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie P 140

[23] - Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie p157

[24] - عبد الجليل مرتاض " في رحاب اللغة العربية " ،ص 157.

[25] --Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie ,P34-35

[26]- I B I D .P 143-

[27] -Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie -;P 153

[28] - IBID.P 153–

[29] Roman Jakobson langage enfantin et aphasie (Paris le seuil1969) P21-22

[30] Ibid,P108

[31] -ذهب بسام بركة في ترجمة هذين المصطلحين على عكس ما لمسناه من معان من ثنايا النص المترجم . Métaphore : استعارة ،مجاز ،بينما القاني

Métonymie : كناية ،مجاز مرسل .ينظر بسام بركة " معجم اللسانية " ،ص 130-131.

[32]. Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie P 109

[33] -فاطمة الطبال بركة ،المرجع السابق ،ص 170

[34]- Charles Bouton , la linguistique Appliquée([2] ed presses universitaires France1979),p26

* بدأ علماء اللغة يتحدثون عن علوم أخرى يمكن أن تشاركهم هذه الاهتمامات ،وتمدهم بالتفسيرات المقنعة التابعة لاختصاصهم ومن أمثلة هذا التقارب ما حدث بين علماء اللغة وعلماء البيولوجيا وعلماء الوراثة(Génitique)وعلماء الطب (Médecine)،وعلماء الأعصاب (Neurologues) لبحث السبل الكفيلة لتقديم المعارف العلمية الدقيقة حول اللغة

والكلام ،والمناطق المسؤولة عن كل ذلك. إن الهدف من اللسانيات العصبية هو «فهم الأسس العصبية للغة والكلام ،ومن ثم تفسيرها ووصف العمليات التي تربط باستعمال اللغة ،كما تهدف إلى دراسة الصعوبات والمشكلات التي تواجه الصغار والكبار وتسمى بأمراض الكلام مثل تأخر الكلام واحتباس الكلام (الأفازيا) وصعوبة القراءة واللعثمة واللجلجة...»ينظر: سامي عياد وآخران ،"معجم اللسانيات الحديثة " ،ص 93.

* علم اللغة النفسي علم حديث النشأة ،لم تتبلور معطياته ومفاهيمه إلى درجة كبيرة ،ولكنه أصبح علما قائما بذاته ،له مفاهيمه الخاصة ،وميدانه الإجرائي الذي يتخذه منوالا لاستثمار معطياته النفسية واللغوية .مما هو بادٍ من خلال العنوان فإن هذا العلم يتشكل من علمين بارزين علم اللغة من جهة ،وعلم النفس من جهة أخرى ،فحدث هذا التقاطع مما يجعل الموضوع أشد تعقيدا وصعوبة .

يتكون علم اللسانيات النفسي من علم اللغة بالإضافة إلى علـم النفس ،ومن اهتماماته موضوع الاكتساب اللغوي ،ويهتم أيضا باللغة ودراسة آليات فهمها وإدراكها من الناحية النفسية فهو علم يدرس « ظواهر اللغة ونظرياتها وطرائق اكتسابها وإنتاجها من الناحية النفسية مستخدما أحد مناهج علم النفس .ينظر:

-جلال شمس الدين " علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه " الإسكندرية 2003،ج1 ،ص 10

دور المرأة الجزائرية في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية

(واقع وأفاق) دراسة ميدانية

بالمؤسسة الجزائرية للمياه – ولاية تيارت

د. بن موسى سمير، جامعة تيارت

الملخص:

تسعى المرأة الجزائرية من خلال دخولها عالم الشغل إلى بلوغ غايتين أساسيتين هما: غاية اقتصادية تتمثل في تحسين المستوى المعيشي لأسرتها ومساعدة الزوج في تحمل المسؤوليات والواجبات، وغاية نفسية- اجتماعية من خلال تحررها من القيود الاجتماعية والمعوقات الثقافية ولتحقيق طموحاتها الشخصية، وفي هذه الورقة البحثية سنقدم نموذجا عن دور المرأة الجزائرية في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية (واقع وافاق) بمؤسسة الجزائرية للمياه – ولاية تيارت-الجزائر.

الكلمات المفتاحية: المرأة العاملة، التنمية الاقتصادية، التنمية الاجتماعية، المعوقات الثقافية.

مقدمة:

المرأة شقيقة الرجل وسنده في جميع النواحي والأطر موقعها كأم وأخت وزوجة وزميلة في الدراسة والعمل يجعلها تعمل في حركية وديناميكية مستمرة، باعتبارها المنتجة بالدرجة الأولى، والبوصلة الأساسية لمعرفة درجة تطور المجتمع، دورها حيوي ورئيسي لدفع قاطرة التنمية والتقدم الاقتصادي إلا أن واقعنا الاجتماعي أغفل دورها وأنكر وجودها وأعاق نجاحها وقلّل من شأنها بناءات على خلفيات ثقافية وذهنيات كرست ثقافة الإلغاء والتهميش، وبالرغم من ذلك واجهت المرأة الجزائرية في بداية الألفية الثالثة تلك التمثيلات الاجتماعية من خلال مزاولتها عالم الشغل في قطاعات حيوية من أهمها الصحة والتعليم بل تقلدت مسؤوليات قيادية في تلك القطاعات حتى وصلت لرتبة الوزير.

ولوج المرأة لعالم الشغل بلور فكرة جديدة وغير ذهنيات المجتمع نحوها بحكم حاجات ودوافع اقتصادية ونفسية -اجتماعية، إلا أن هذا المعاش شكل هاجس وعائق من خلال تضارب وصراع الأدوار المُتمثل في مدى توافقها بين وظيفتها و أسرتها، و بالرغم من أن تعدّد الأدوار يُحقّق لها درجة من الرضى إلا أنّ أعباء مهامها ومسؤولياتها يشكل عائقا لمسارها الوظيفي وحياتها الأسرية، فطبيعتها الفسيولوجية ومنظومة القيم الاجتماعية والتراث الجزائري جعل منها منجبة و مربية و راعية لشؤون بيتها بالرغم من اتساع مجال الحرية التي تتحرك ضمنه بخروجها للعمل إلا أنّ ذلك شكل صراع داخلي لشعورها بالذنب اتجاه أسرتها نتيجة أعباء المهام و المسؤوليات المزدوجة الملقاة

على عاتقها فهي تخاف من اللاستقرار في طبيعتها الأنثوية كامرأة وزوجة و أم، و من جهة أخرى الخوف من ضياع منصب عملها . ومن هنا ينتج عن ذلك تراكمات نفسية من إحباط وضغط، ونفسية-اجتماعية من طلاق وانهيار الوحدة الأسرية، واقتصادية من بطالة وضعف القدرة الشرائية، وعدم استثمار الطاقات البناءة، وهدر الكفاءات، وإفلاس للمؤسسات ...الخ.

وفي هذه الدراسة سنبرز دور المرأة في عملية التنمية الاقتصادية (واقع وأفاق) بمؤسسة الجزائرية للمياه – ولاية تيارت-الجزائر.

1-مشكلة البحث:

يشهد عصرنا الحالي تغيرات كبيرة خاصة في منظومتنا القيمية حيث نرى أن المرأة أصبحت مُشاركة وشريكة رئيسية و فعالة في مجالات الحياة العامة و قد عظم دورها، حيث وجدت نفسها أمام رهانات اقتصادية و اجتماعية استوجب عليها تحمّل مسؤوليات مزدوجة في أدائها لمهمتين رئيسيتين في حياتها، بداية بطبيعتها كربة بيت، و ثانيا بخروجها إلى عالم الشغل قصد تغطية المُتطلبات الأساسية للاستها، و قد حقّق لها ذلك مزايا و مميزات من استقلالية شخصية و مادية، و تعزيز ثقتها بنفسها و مُساندتها لأسرتها، و تقلدها لمكانة اجتماعية مرموقة، و إسهامها في عملية الإنتاج الكمي و النوعي، و تؤكد جانيت ستوتسكي 2013 أن دخول المرأة في معترك الحياة الاقتصادية و السياسية حقّق لها تقدّم في محو التفاوت بين الجنسين، واستثمارها لإمكاناتها الاقتصادية و في الحياة المدنية (*جانيت* ،2013، ص: 8) . وقد صاحب خروج المرأة الجزائرية للعمل ترسانة قانونية هامة تُنظم علاقاتها داخل العمل، وتُحدّد مسؤولياتها، بدايتا من ميثاق طرابلس عام 1962 الذي صادق عليه المجلس الوطني للثورة الجزائرية الذي انعقد في مدينة طرابلس الليبية فيما يخص حقوق المرأة ومساواتها بالرجل في الواجبات.

أمّا ميثاق الجزائر 1964 فقد جاء فيه: المساواة بين الرجل والمرأة يجب أن تكون قادرة على المشاركة الفعلية في النشاط السياسي، ويجب أن تكون قادرة على وضع طاقاتها في خدمة البلاد بالمشاركة في النشاط الاقتصادي بحيث تضمن ترقيتها بواسطة العمل (عوفي، 2002، ص: 107). وفي قانون الأسرة الجزائري عام 1984 تم إعفاء المرأة من مسؤولية الأعباء المادية للأسرة وحدد حقوقها في المادة 38 والمتمثلة في زيارة أهلها من المحارم وأيضا حرية التصرف في مالها. وفي الخطاب الوزاري عام 2013 للسيد وزير العمل والتشغيل والضمان الاجتماعي الطيب لوح في كلمته بمناسبة إفتاح الاحتفال باليوم العالمي للمرأة أكد على ضرورة مشاركة المرأة الجزائرية في مجال التنمية المستدامة ليخلص إلى بعض الإحصاءات الخاصة بالمرأة الجزائرية العاملة سنة 2012 حيث بلغ عدد النساء العاملات في الوظيف العمومي ستة الاف وسبع مئة وستة عشر (607.160) عاملة من بينهن 88.7 ٪ موظفات، 11.3 ٪ متعاقدات، وعما يقارب المليونان امرأة

عاملة أي بنسبة 15 ٪ من الفئة العاملة في البلاد. وفي 27 فبراير 2014 صادقت المشاركات في الندوة الوطنية حول المرأة العاملة والحوار الاجتماعي بالجزائر العاصمة على مشروع وثيقة ميثاق المرأة العاملة الذي يهدف إلى تعزيز دور المرأة في المجال المهني وتشجيع مشاركتها في المسار التنموي ويتضمن هذا الميثاق بعض المواد منها تخصيص حصة 30٪ كحد أدنى من مناصب الشغل في كافة المستويات والقطاعات لفائدة المرأة مع الأخذ بعين الاعتبار الشهادات

و الكفاءات و الخبرات و بمقابل الالتزام بذلك يستفيد المستخدمون من تحفيزات و مزايا من بينها جبائيه وشبه جبائيه و بنكية، و ضرورة تخصيص 30٪ من مناصب المسؤولية على كل مستويات السلم النقابي والمناصب العليا المفتوحة بالمؤسسات العمومية الإدارية و ذات الطابع الاقتصادي بغية الترقية الوظيفية للمرأة وإشراكها في المنظمات النقابية، هذا الحراك النوعي تعزّز بحُكم الوضع الحالي للمرأة في المجتمع من خلال احتلالها مركزًا مُهمًا في قطاعات واسعة من الاقتصاد الوطني، و قد أورد تقرير التنمية البشرية للمجلس الاقتصادي – الاجتماعي الجزائري (2009) أن النساء تشكلن 51٪ من الحاصلين على شهادات جامعية، و قد أصبح نسبة الإناث تمثل نسبة 32٪ من العاملات بسلك القضاء، و 50٪ في قطاع التربية، و 53٪ في قطاع الصحة، و 32٪ منهن تتولين مسؤوليات سامية في الدولة، و هي نسب في تزايد مستمر (غياث، 2013، ص: 97) .

وعليه، وبناءات على ما تقدم ذكره، وللإلمام بجوانب الدراسة يُمكن طرح التساؤلات التالية:

- ما هو واقع المرأة العاملة الجزائرية؟
- هل تتم المرافقة الفعلية والجادة لتعزيز دور المرأة العاملة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية؟
- ماهي مُعوقات الأداء المهني للمرأة العاملة؟
- هل يُمكن للمرأة العاملة أن توفق بين حياتها الأسرية ومسارها المهني؟
- هل يتم استثمار الكفاءات والخبرات المهنية للمرأة بشكل جيد وفعال؟
- هل المعايير والقيم الاجتماعية تُعيق المرأة العاملة في مسارها المهني؟

2–فرضيات الدراسة:

بناءًا على التساؤلات التي تم التطرق إليها، قمنا بصياغة الفرضية الرئيسية التالية:

الفرضية الرئيسية والتي تقول: تستطيع المرأة العاملة التوفيق بين حياتها الأسرية الاجتماعية ومسارها الوظيفي الاقتصادي.

3–أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

أ-معرفة واقع الأداء المهني للمرأة العاملة في المؤسسات الجزائرية، ومن بينها المؤسسة الجزائرية للمياه لولاية تيارت

ب -الكشف عن المُعوقات الثقافية والاجتماعية التي تُواجه المرأة العاملة.

ج-تحديد مستوى توافق المرأة العاملة بين حياتها الأسرية ومسارها المهني.

4-المفاهيم الأساسية للدراسة:

تعريف التنمية: التنمية هي مجموع السياسات التي يتخذها مجتمع معين، وتُؤدي إلى زيادة معدلات النمو الاقتصادي استنادا إلى قواه الذاتية، لضمان تواصل هذا النمو واتزانه لتلبية حاجيات أفراد المجتمع، وتحقيق أكبر قدر ممكن من العدالة الاجتماعية.

وتعرف أيضا على أنها: تقدم المجتمع عن طريق استنباط أساليب جديدة أفضل، ورفع مستويات الإنتاج من خلال إنماء المهارات والطاقات البشرية، وخلق تنظيمات أفضل.ويوضح مفهوم التنمية التغيرات التي تحدث في المجتمع بأبعاده الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، الفكرية والتنظيمية من أجل توفير حياة كريمة لجميع أفراد المجتمع.

تعريف التنمية الاقتصادية: التنمية الاقتصادية عملية مخطط لها تهدف إلى تغيير البنيان الهيكلي للمجتمع لتوفير حياة أفضل لأفراده بالاهتمام بنوعية السلع والخدمات . والرفع من مستوى الدخل الفردي والاهتمام بمصدر الدخل القومي وبتنويعه (بناني، 2009، ص: 4).

ويرى بونيه أن النمو الاقتصادي ليس سوى عملية توسع اقتصادي تلقائي تتم في ظل تنظيمات اجتماعية ثابتة ومجددة وتقاس بحجم التغيرات الكمية الحادثة، في حين أن التنمية الاقتصادية تفترض تطويراً فعالاً وواعيًا أي: إجراء تغييرات في التنظيمات الاجتماعية للدولة (بناني، 2009، ص: 4).

الأداء الوظيفي: هو القيام بالأنشطة والمهام والأدوار المختلفة التي تتضمنها متطلبات منصب العمل والكيفية التي يؤدي بها العاملون مهامهم أثناء العمليات الإنتاجية الكمية والنوعية، وهذا يعني تحقيق المعادلة الأتية الذكر: الجهد المبذول + نمط الأداء = صفر خطأ، وهذا يعني مطابقة المنتوج لمعايير الجودة، وقد استخدمنا مفهوم الأداء من الناحية النظرية والإجرائية في هذه الدراسة باعتباره أحد المؤشرات الأساسية لقياس مستوى توافق المرأة بين مسارها الوظيفي وحياتها الأسرية.

المرأة العاملة: هي المرأة التي تعمل خارج بيتها، بحيث تقوم بنشاط نوعي مُمّيز لخاصيتها الرفيعة باعتبارها مصدر كل إنتاج وثروة وحضارة، دورها نخبوي بارز في الجماعات المهنية التالية: طبيبات وأستاذات جامعيات ومهندسات ومحاميات ...الخ (حبيب، 2010، ص: 19).

دوافع خروج المرأة للعمل:

أكدت العديد من الدراسات أن الدافع الأساسي والرئيسي لخروج المرأة للعمل يتمثل في الدافع الاقتصادي ومن بين تلك الدراسات نذكر دراسة رغداء نعيسة 1995 من سوريا التي بينت أن الدافع الأساسي لعمل المرأة كان الرغبة في الرفع من المستوى المادي والاقتصادي للأسرة. وأظهرت نتائج دراسة حيدر خضر سليمان 2007 على موظفات في جامعة الموصل بالعراق أن الدافع الذي حقق أعلى نسبة مئوية هو الدافع المادي (الاقتصادي) بنسبة 48٪، يليه الدافع الاجتماعي بنسبة 18٪، و11٪ لديهن الدافع السياسي، و8٪ فقط من الموظفات لديهن رغبة الدافع الشخصي.

وأوضح الدكتور إنشاد عز الدين أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب المنوفية مصر، أن هناك عدة أسباب مُجتمعة تدفع المرأة للعمل وأبرزها هي رغبة المرأة في الاستقلال المادي وتحقيق ذاتها وأهدافها لكي تصبح عضواً فاعلاً في المجتمع بحكم شهاداتها التعليمية، ومن جانب أخر أكدت الدكتورة نادية حليم، عضو برنامج بحوث المرأة أنّ للعمل قيمة أكبر بكثير من أن نختصره في العائد المادي فهناك من تعمل لكي تشارك في عجلة الإنتاج ومن أبرز الدوافع لخروج المرأة للعمل الوضع الاقتصادي للأسرة والرغبة في تحسين مستوى المعيشة، وهناك بعض النساء تدفعهن الرغبة في رفع مستواها الشخصي سواءاً من الناحية المهنية أو الاجتماعية، وبعضهن الأخر يَعتبرنه هُروبًا من روتين الحياة اليومية والشعور بالملل من البقاء في البيت لذا يُعتبر العمل تجاوز لهذه العقبة، وفي دراسة أجرتها الدكتورة تماضر زهري حسون حول تأثير المرأة العاملة على التماسك الأسري توصلت إلى أن الرغبة في زيادة الدخل وتحسين المستوى المعيشي لها كان السبب الرئيسي الذي دفع أغلبية السيدات العاملات خاصة اللواتي ينتمين إلى الطبقات ذات الدخل المُنخفض والمتوسط بنسبة تفوق 88٪ (فرحات، 2012، ص :130).

انعكاسات عمل المرأة:

أحدث خروج المرأة للعمل تغيرات عديدة في حياتها على مستوى توزيع الأدوار والمهام داخل الأسرة وخارجها، فتحمل المرأة لأعباء المنزل و العمل لوحدها يُنقص من مردُوديتها لذلك ظهر في المجتمع الحديث تقسيم العمل بين الزوجين، و بالرغم من هذه التغيرات التي حدثت على بنية ووظيفة الأسرة نتيجة خروج المرأة للعمل و خاصة على مستوى الأدوار و المهام إلا أنه ما زالت تلك القيم التقليدية تُحمّل المرأة مسؤولية الأعمال المنزلية و رعاية الأطفال بالرغم من ازدواجية الدور الذي قد يُعيق مسارها الوظيفي، و في بحث أجري في أستراليا عام 1984 توصل إلى أن 84٪ من المبحثين يرون أن الرجل و المرأة ينبغي أن يتقاسمان المهام المنزلية، و أن يشارك الرجل في الأعمال المنزلي مثل رعاية الأطفال و الطهي و غسل الصحون و التسوق، أماعن تقسيم العمل خارج المنزل كان واضحًا و مُميزًا بحيث رغم ما توصلت إليه المرأة من درجات علمية عالية و بالرغم من إثباتها في مرات عديدة لكفاءاتها و قدراتها في ميادين سوق العمل، إلا أنها تبقى في نظر النسق

القيمي ناقصة أمام إمكانيات الرجل الجسمية والفكرية لذلك نجد أغلبية النساء يعملن في قطاعات مؤنثة كالتعليم و التمريض و الخدمات وحتى في هذه القطاعات تعمل في المرتبة الثانية في السلم المهني بعد الرجل كنائبة مدير أو سكرتيرة أو ممرضة لأن القيمة الإنتاجية في نظر المجتمع لليد العاملة النسوية ضعيفة نتيجة للعوامل الفيزيولوجية والعوامل الثقافية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع ككل ورغم كل هذا الحصار المفروض على المرأة إلا أنها استطاعت أن تشارك الرجل في نفس المهن وهذا ما أدى الى زيادة حدة التنافس والصراع بينهما. ومن بين أثار عمل المرأة نذكر ما يلي:

انعكاسات عمل المرأة على الأبناء: حيث هاجمت الباحثة البريطانية باولا بيتش بكل قوة الأمهات العاملات واتهمتهن بالأنانية عند ترك أطفالهن بعد الولادة و تعتقد الباحثة أن الجمع بين الأمومة و العمل يجعلهن لا يتقن أيا منهما و لا يعطين لأحدهما حقه، حيث أن رعاية الأطفال و تربيتهم مهنة قائمة بذاتها تأخذ الكثير من الوقت و الجهد، و إن لم تُسلّم المرأة بذلك فستشعر بالذنب، و قد أثبتت الدراسات أن الأطفال الذين عاشوا في المؤسسات هم أقل ذكاءاك و أضعف من حيث المهارات اللغوية و أقل قدرة في تحقيق العلاقات الاجتماعية مع المحيط الاجتماعي و هذا ما يجعلهم أكثر عرضة للاضطرابات النفسية، و قد توصلت الخبيرة في هذا المجال الأمريكية إبدالين أن التجارب أثبتت ضرورة لزوم الأم لبيتها و إشرافها على تربية أولادها فإن الفارق الكبير بين المستوى الخلقي لهذا الجيل والمستوى الخلقي للجيل الماضي إنما مرجعه إلى أن الأم هجرت بيتها و أهملت طفلها و تركته إلى من لا يُحسن تربيته، و على الصعيد الشخصي: فإن خروج المرأة للعمل يُسبب لها اضطرابا كما يعمل على تشتيت جُهدها و عدم ضبط النفس و فقدان القدرة على التركيز و القلق المستمر الذي تعيشه معظم العاملات، إضافة على الحالة الفيزيولوجية و ما تواجهه من مشاكل خاصة بها و بتركيبتها العضوية وبالذات أثناء فترات الحمل و الولادة حيث يجب أن يتناسب العمل الإنتاجي مع عملها الإنجابي، و في نفس الاتجاه حصرت كاميليا عبد الفتاح أثر العمل على المرأة نفسها و ذلك في اشتغال المرأة يساعدها على التخلي عن الروابط الزبيدية، و يُساعدها في التغلب على الفراغ و الملل و يُخفف من شعور المرأة بالتبعية .

وتشير فرحات نادية (2012) أنه من بين أهم أثار خروج المرأة للعمل على المجتمع: حيث إذا تزوجت وأنجبت أصبحت أكثر استرخاءاك وتهاونًا وينتج عن ذلك عدم الانتظام في العمل وكثرة التأخر والغياب والانقطاع عن العمل ورغبتها في الانصراف عن العمل قبل المواعيد المُحدّدة ممّا يخلق لها مشاكل مع المسؤولين و الزملاء و هذا ما يؤثر على عملها بالسلب، بالإضافة لمتغيرات و عوامل عديدة تُحدّد ذلك الأثر، و لا شك في دور النسق القيمي و الثقافي في تحديد مدى مُشاركة المرأة في عملية التنمية أو أنّها تقف عائقا لها، فالقيم الثقافية تُمارس دورًا فعّالاً في عملية التنمية داخل المجتمع حيث تُمثل القيم السلبية عائقًا خطيرًا أمام جهود التنمية حيث إذا كانت

القيم الثقافية للمجتمع تُؤيد عمل المرأة و تراها مُنتجًا ومجهودها مُقدّر أما إذا كانت تقف عائقًا أمام عملها فيُصنّف عمل المرأة ضمن غير المرغوب فيهم ويُصبح عملها مُولّد للمشاكل و النزاعات الأسرية و المجتمع في غنى عنها و من أهم الأسباب التي نتج عنها تغيرات في المشهد و المعاش المجتمعي هو إقبال المرأة على التعليم والعمل كحق طبيعي مشروع، والتي استطاعت من خلاله غزو مختلف الميادين العلمية و العملية والتي كان لها الأثر البليغ على حياتها الأسرية و المهنية، بحيث لم تعد المرأة العاملة قادرة على التوفيق بين مسؤولياتها الأسرية والمهنية اي إحداث التوازن بين الإنتاج المهني و الإنتاج الإخصابين، وللتعرف على الأهم الأثار و النتائج التي ترتبت عن خروج المرأة الجزائرية للعمل جاءت هذه الدراسة لتكشف عن مدى توفيق المرأة العاملة بين أداءها الوظيفي و دورها داخل أسرتها، المؤسسة الجزائرية للمياه بولاية تيارت نموذجًا.

5-منهج وأدوات الدراسة:

وفي الجانب التطبيقي من الدراسة حدّد الباحث مجتمع الدراسة على أربع وتسعون (94) امرأة عاملة) التي تأسست سنة 1974 حيث تقوم بإنتاج ADE على مستوى مديرية الجزائرية للمياه لولاية تيارت (وتوزيع المياه الصالحة للشرب وفق مقاييس وشروط تقنية، التوظيف في هذه المؤسسة يكون وفق مخطط وزاري يكون على أساس الشهادة والاستحقاق، وقد استخدم الباحث أسلوب العينة العشوائية البسيطة.

5-1-حدود الدراسة

أ-الحدود النظرية: اقتصرت الدراسة على موضوع المرأة العاملة ودورها في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية من حيث المفردات النظرية.

ب-الحدود المكانية: تمثل موقع تطبيق الدراسة في مديرية الجزائرية للمياه لولاية تيارت.

ج -الحدود الزمانية: أجريت الدراسة الميدانية مدة شهر ابتداءاك من تاريخ 23 مارس الى 23 أفري 2015، خلال السنة الجامعية 2014-2015.

5-2-صدق وثبات الاستبيان

استند الباحث في بناء استبيان الأداء الوظيفي لدى المرأة العاملة، على مجموعة من المقاربات والدراسات السابقة من أهمها:

- الاستفادة من مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير بعنوان الاتصال التنظيمي وعلاقته بالأداء الوظيفي من إعداد الباحث بعطي جمال الدين 2009 جامعة منثوري بقسنطينة تحت إشراف الأستاذ الدكتور رواق حموضي.
- والاستعانة بمذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير للباحثة سمية بن عمارة الموسومة بـ صراع الأدوار

وعلاقته بالتوافق الزواجي لدى الأم العاملة سنة 2006 جامعة ورقلة تحت إشراف الأستاذ الدكتور محي الدين مختار. وللإلمام والتقصّي بحيثيات موضوع الدراسة قمنا بإعداد دليل مقابلة احتوى على مجموعة أسئلة تضمّنت أبعاد ومحاور هذا البحث. وقد تضمن الاستبيان الذي يقيس الأداء الوظيفي للمرأة العاملة بمديرية المياه لولاية تيارت على عشرون

(20) فقرة موزعة وفق ثلاثة (03) أبعاد، وهي:

- الجهد المبذول: رقم الفقرات: 6،1،2،3،4،5

- كمية الجهد المبذول: رقم الفقرات: 7،8،9،10،11،12،13.

- نمط الأداء: رقم الفقرات: 14،15،16،17،18،19،20.

وقد طُبق الاستبيان على عينة استطلاعية قوامها أربعون (40) عاملة موزعة على مختلف الأقسام، وقد تم وضع البدائل والخيارات المرفقة بالاستبيان وفق سلم ليكرث (دائما– غالبا–احيانا– نادرا – ابدا)، وللتأكد من صدق فقرات الاستبيان استعان الباحث بطريقة:

الاتساق الداخلي: حيث يتم حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات لكل فقرة من فقرات الاستبيان والدرجة الكلية للبعد الذي ينتمي اليه، حيث بينت النتائج ما يلي:

بلغ عدد الفقرات الدالة عند مستوى الدلالة 0.05 خمسة (05) فقرات، بنسبة 25٪ من مجموع الفقرات،

وقدرت الدلالة الإحصائية لمعامل ارتباط الفقرات بين 0.30 الى 0.39.

وبلغ عدد الفقرات الدالة عند مستوى الدلالة 0.01 ثلاث عشر (13) فقرة، بنسبة 65٪ من مجموع الفقرات،

وقدرت الدلالة الإحصائية لمعاملات الارتباط بين 0.40 الى 0.69.

في حين بلغ عدد الفقرات الغير دالة فقرتين (02)، بنسبة 10٪ من مجموع الفقرات؛ هذه النتيجة تدل على

على أن أداة الدراسة تتمتع بدرجة عالية من الصدق في محتواها، وعليه يمكن تطبيقها إجرائيا في دراستنا. أما فيما يخص ثبات الدراسة فقد تم استخراج معامل الثبات لفقرات الاستبيان والذي بلغ (0.81) وفق معادلة ألفا كرو نباخ.، وهذا ما يدل على أن الاستبيان يتمتع بدرجة عالية من الثبات، وعليه يُمكن تطبيقه في هذه الدراسة.

6-نتائج الدراسة:

الإجابة عن الفرضية الرئيسية والتي مفادها تستطيع المرأة العاملة التوفيق بين حياتها الأسرية الاجتماعية ومسارها الوظيفي الاقتصادي. وفق استجابات العاملات بمؤسسة الجزائرية للمياه بتيارت لأدوات الدراسة، فقد تم التوصل إلى: عدم وجود توافق بين أدوار العاملات بين حياتهن الأسرية الاجتماعية ومسارهن الوظيفي الاقتصادي. ويعود ذلك لعدة أسباب من أهمها نذكر ما يلي:

– عدم تنظيمها لوقتها، ومن المظاهر التي تعكس ذلك التأخر باستمرار عن وقت الدوام في العمل وتكرارهن الغياب عن العمل خاصة إذا علمنا أن أغلبهن لديهن أبناء صغار في السن.

– عدم وجود السند الاجتماعي خاصة من طرف الزوج، وهو ما جعلها تعيش صراع الدور والذي تمثل في ازدواجية المهام كربة بيت وعاملة في نفس الوقت، وهذا ما جعلها تعاني من إجهاد بحكم رعايتها لأسرتها ومن جهة أخرى مسؤوليات منصب عملها، وحتى الخادمة المكلفة بشؤون البيت تُعتبر من ناحية تكلفة اقتصادية ومن ناحية أخرى تهديدًا لدور ومكانة الأم.

– ضُعف إن لم نقل انعدام التواصل بين العاملات وزملائهم ممّا ساهم في توتّر علاقات العمل وارتفاع مستوى الصراعات والنزاعات في عملهن وخاصة مع رئيسهم المشرف عليهن، ويُعتبر مُؤشر الاتصال التنظيمي انعكاس للمناخ التنظيمي السائد داخل المؤسسة، والذي يكشف عن وجود هشاشة ثقافية التي أصبحت عُنصرًا معيقًا لعملية الإنتاج والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

– النظرة الدّونية للرجل اتجاهها، وتحجيم دورها، بتشكيل صورة نمطية يرى المجتمع من خلالها المرأة على أن وظيفتها الإنجاب لا غير دون مراعاة جانبها النفسي وقيمتها ودورها داخل النسيج الاجتماعي والاقتصادي. وهذا ما يُعيق تقدّمها وتطورها الوظيفي من ناحية ويُهدّد وجودها ومكانتها داخل أسرتها من ناحية أخرى.

– مُعاناة المرأة من ضغوط نفسية وثقافية ومهنية ممّا يزيد في صعوبات المرأة العاملة، حيث أصبحت تعيش في تناقض بين واقعها كامرأة تميل إلى العطف والحنان والتسامح، في حين يتطلب منها منصب عملها خاصة إذا كان منصبها إشرافي أن تتسم بالصرامة والانضباط وهو ما يزيد من حدّة ومستوى الضغوط، وهو ما يتطلب منها قدراً كبيراً من الجهد والوقت.

خاتمة

بناءًا على نتائج الدراسة و ما تم تناوله من مفاهيم في هذه الورقة البحثية حول دور المرأة العاملة في عملية التنمية الاقتصادية و الاجتماعية بمؤسسة توزيع المياه بولاية تيارت، تتبلور لدينا فكرة أننّا لا

نستطيع دراسة ظاهرة خروج المرأة للعمل دون إغفال عالمها الخارجي في إطار نسق كلي تتفاعل فيه مكوّنات النسيج الاجتماعي وفق ما تمليه القيم الثقافية للمجتمع و التي تُحدّد بدورها مكانة المرأة في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية، و أهم مُخرجات هذه الدراسة أن المرأة العاملة الجزائرية لا يُمكن أن تُوفق بين المسارين الأسري و المهني لعدة اعتبارات و من أهمها الموروث الثقافي الذي لا يزال يُؤثّر بشكل كبير في المجتمع الجزائري خاصة المجتمع التجارتين بحكم أنّها مدينة فلاحية بامتياز يغلب على سكانها التوجّه المحافظ على خصوصياته الثقافية بالرغم أنّ تعداد العاملات بمؤسسة توزيع المياه باعتبارها مؤسسة خدماتية ذات طابع اقتصادي قد تجاوز نصف التركيبة العمالية، حيث بلغ عدد الموظفات السبعون (70) موظف، وهو مؤشر نوعي يدل على التّحولات و التّغيرات التي يشهدها النسيج الاقتصادي و الاجتماعي لولاية تيارت، وعليه فإن المرأة التجارية من خلال ولوجها لعالم الشغل أصبحت تملك مجالا زمانيًا و مكانيًا من الحرية الشخصية والاقتصادية، فإغفال دور المرأة في وسَطِها الأسري و في المؤسسة التي تشتغل بها يُعتبر إعاقة للعملية التنموية.

الاقتراحات:

في ضوء ما تمّ التوصل إليه من نتائج نقدم مجموعة من الاقتراحات بهدف جعل المرأة العاملة أكثر تكيّفًا واستقرارًا من جميع الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية ضمن حلقة تفاعلية تتمثل في المرأة العاملة – الأسرة -الوظيفة، غايتها بلوغ التنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة:

ضرورة متابعة ومراقبة الهيئات الوصية التي ترعى شؤون المرأة العاملة الجزائرية وحفظ حقوقها من خلال التنفيذ الفعلي لمضامين قانون الأسرة واتفاقيات علاقات العمل.

الاستفادة في السياق الإجرائي لجميع المؤسسات الوطنية من الدراسات النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي تخص المرأة ووجب تثمين الأبحاث التي تقدم لنا حلولا يُمكن من خلالها تحقيق الاستقرار الأسري من جهة والدفع بعجلة التنمية الاقتصادية من جهة أخرى وبهذا تتمكّن المرأة والمجتمع ككل من بلوغ الأهداف وتحقيق الغايات.

استثمار وسائل الإعلام والتثقيف فيتم غرس القيم والمفاهيم الإيجابية نحو تنشئة المرأة ودورها في الحياة وتعريف الرجل والمرأة بحقوقهم وواجباتهم وأدوارهم في الحياة الاجتماعية والعملية والمشاركة في اتخاذ القرارات.

الاهتمام بتوفير المتطلبات الأساسية والضرورية للتخفيف من الأعباء المنزلية للمرأة العاملة للتفرغ لعملها وذلك بتوفير مجموعة الخدمات الاجتماعية مثل دور الحضانة ورياض الأطفال، ومؤسسات الخدمات المنزلية.

قائمة المراجع:

1-الساعاتي سامية حسن: المرأة والمجتمع المعاصر، دار قباء المدينة القاهرة، مصر، 2007.

2-النافلات جهاد ذياب: الآثار الأسرية الناجمة عن خروج المرأة السورية للعمل، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق 2011.

3-حبيب زينب منصور: الإعلام وقضايا المرأة، الطبعة الأولى، دار أسامة، عمان، الأردن، 2011، ص 130.

4-زهران حامد عبد السلام: دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي، الطبعة الأولى، عالم المكتب، القاهرة، مصر، 2003.

5-عبد الفتاح ابراهيم كاميليا: سيكولوجيا المرأة العاملة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984.

6-عوفي مصطفى: المرأة العاملة في مضمون الاتفاقيات الدولية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 07، جامعة باتنة، الجزائر، 2002، ص 107.

7-فرحات نادية: عمل المرأة وأثره على العلاقات الأسرية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 08، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، 2012، ص 130.

8-جانيت ستؤنسك: نساء عاملات، العدد 50، مجلة التمويل والتنمية للأمم المتحدة، 2013.

9-بن عمارة سمية: صراع الأدوار وعلاقتها بالتوافق الزواجي للأم العاملة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2006.

10-بعطي جمال: الاتصال التنظيمي وعلاقته بالأداء الوظيفي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009.

11-بوبكر عائشة: العلاقة بين صراع الأدوار والضغط النفسي لدى الزوجة العاملة، رسالة ماجستير في علم النفس عمل وتنظيم غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007.

12-قانون الأسرة الجزائري: الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.

13-قرنق ماري فرنس، شرفي زهية: التقرير الوطني حول حقوق الطفل والمرأة، الجزائر، 2014.

14-ملتقى حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة عنوان المداخلة المرأة العاملة والعلاقات الأسرية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر 9-10-2013.

15-غياث حياة: صراع الأدوار عند المرأة العاملة في المواقع القيادية، العدد 12 سبتمبر 2013، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ص 97.

الملاحـق

الفقرات	دائما	غالبا	احيانا	نادرا	ابدا
تتلقين عبارات الشكر من المشرف المباشر لسرعة إنجازك لعمل					
تقومين بأداء الأعمال الموكلة إليك في الوقت المُحدَّد.					
يعتمد عليك المشرف في أداء الأعمال الصعبة.					
يُوضِّح لك المشرف أداءك في العمل بكفاءة.					
تتردَّدِين في القيام بالأعمال الصعبة.					
تترقبين باهتمام كبير أن تُعهد إليك مهام جديدة.					
تبذلين جُهدًا كبيراً في أداء عملك.					

توظفين ما تعلمته في عملك.					
تمتلكين القدرة على التخطيط للنجاح في عملك.					
يستشيرك زملاءك في كثير من الأمور التي يجهلونها.					
تعتبر عملية التقييم الإداري مهمّة بالنسبة لك.					
اهتمام الإدارة بك حفزك على الإبداع في العمل.					
لديكِ الرغبة في التحدي أثناء العمل.					
تخططين مسبقا للوصول إلى الأداء الجيد.					
لديكِ استعداد لتحمّل مسؤوليات أعلى.					
تفكرين في الحلول لمختلف المشاكل.					
تلتزمين حرفيا بتنفيذ التعليمات.					
يمكنكِ التكيف مع ظروف العمل الصعبة.					
تهتمين بحضور الدورات التكوينية في مجال عملك.					
تنافسين زملاءك في العمل بهدف تحسين الأداء.					

فعالية العلاج السلوكي المعرفي للتخفيف من حدة التأتأة لدى الفتاة المراهقة

د/ عمراني أمال، جامعة مستغانم

ملخص:

لقد كان همنا في هذا المقال هو تسليط الضوء على اضطراب التأتأة على اعتبار أنه اضطراب يصنف ضمن اضطرابات الكلام، وبالتحديد اضطراب في مجرى الكلام يظهر على شكل توقفات، تكرارات، اطالات صوتية، فهاته المظاهر تجعل المفحوص يشعر بالنقص الى جانب أن تقديره لذاته يكون سلبي، الأمر الذي يجعله غير قادر على التواصل اللفظي والعلائقي مع الوسط المدرسي والاجتماعي والأسرة خاصة اذا كان جنس المفحوص انثى مراهقة حيث تعاني من سوء التوافق النفسي وعدم التكيف وعدم الشعور بالأمان والخجل الذي يمنعها من الاستجابات اللغوية في اطار المواقف الاتصالية .

لهذا من الضروري على المختصين في مجال اضطرابات اللغة والكلام ايجاد أسلوب علاجي فعال يساعد على التخفيف من حدة هذا الاضطراب ، ويعتبر العلاج المعرفي من الأساليب الحديثة التي استغلت في مجال التخفيف أو التخلص من اضطراب التأتأة لاسيما من خلال الاسترخاء العضلي، التضليل، الايحاء، تغيير الصورة السلبية للحالة .

واستنادا الى هذا كله حاولنا تطبيق هذا الأسلوب على حالة تعاني من التأتأة للتحقق من مدى فعالية العلاج المعرفي في الوسط الاكلينيكي الجزائري .

الكلمات المفتاحية: التأتأة، الاسترخاء، العلاج المعرفي، التضليل، الايحاء، الأفكار الآلية، المعتقدات.

تمهيد:

تعتبر اللغة تلك الخاصية الانسانية التي انعم بها الله على عباده فهي تعتبر وسيلة جد فعالة للتواصل بين افراد المجتمع الواحد، و بالرغم من وجود أشكال متعددة في اللغة منها اللفظية و غير اللفظية كالاشارات و الحركات اليدوية الا ان اللغة اللفظية تظل اكثر اشكال التواصل و التفاهم شيوعا بين الناس و بواسطة الكلام يستطيع الانسان التعبير عن مشاعره و افكاره و احتياجاته و بتبادل المعلومات مع الاخرين والتعامل معهم لذا يصبح من المهم اتخاذ اجراءات كفيلة بالتعرف و الكشف المبكر عن شتى انواع اضطرابات التواصل لدى اطفالنا و كذلك التدخل العلاجي في الوقت المناسب و بطريقة ملائمة حتى لا

تتفاقم مستقبلا و تتزايد أثارها السلبية على شخصية من يعاني منها كالخجل و الانطواء و القلق و الاحباط و الشعور بالنقص و الدونية.

و من بين الاضطرابات التي تشكل عائق امام التواصل هي اضطرابات طلاقة في مجرى الكلام و هذا الذي نحن بصدد دراستنا فالتاتاة هي اضطراب في مجرى الكلام أو الخلل في ايقاع الكلام يتميز بترددات و اعادات و تكرارات و اطالة في الاصوات أو الكلمات او المقاطع الصوتية و تكون بصورة لا ارادية بالاضافة الى اضطرابات عملية التنفس و عدم انتظامه و استنادا الى ما سبق حاولنا اقتراح نوع حديث جد مهم الا و هو العلاج السلوكي المعرفي و هذا النوع من التكفل ستهدف تغيير نظرة المفحوص حول نفسه و تغيير المعتقدات الداخلية الى الاحسن و هذا كله من اجل الحصول على نتائج ايجابية يمكن لها ان تساعد في علاج الحالة او التقليل من حدة التأتأة لديها فما مدى فعالية العلاج السلوكي المعرفي للتخفيف من حدة التأتأة؟

مفهوم التأتأة :

كثير من الباحثين اهتموا بإعطاء معنى للتأتأة على أساس أنه اضطراب يؤثر على إيقاع الكلام، حيث يتميز نمط الكلام بالإطالة الزائدة، و تكرار الأصوات و المقاطع. و يعرف وندل جونسون: jonson 1955 :التأتأة بقوله:

إنها إضطراب يؤثر على إيقاع الكلام في توقف متقطع intermittent أثناء الكلام و تكرار تشنجي للأصوات convulsive repetition of a sond .

و تصف بربرة دومينيك Dominick 1959: التأتأة بأنها إضطراب في تدفق الكلام بسلاسة بسبب أزمات توقفية و تكرارية مرتبط بالوظائف التنفس و النطق .

عرفت منظمة الصحة العالمية التأتأة بأنها إضطراب يعيب تواتر الكلام حيث يعلم الطفل تماما ما سيقوله و لكن في لحظة ما لا يكون قادرا على قوله بسبب التكرار اللاإرادي أو الإطالة أو التوقف (1990Haynes) .

و يعرفها الدكتور فيصل العفيف بأنها :التلعثم هو نقص الطاقة اللفظية أو التعبيرية و يظهر في درجات متفاوتة من الاضطرابات في إيقاع الحديث العادي، و في الكلمات بحث تأتي نهاية الكلمة متأخرة عن بدايتها و منفصلة عنها أو قد يظهر في شكل تكرار للأصوات و المقاطع أو أجزاء من الجملة و عادة ما يصاحب بحالة من المعاناة و المجاهدة الشديدتين أي أن التلعثم هو اضطراب يصيب طلاقة الكلام المرسل

و تكون العثرات في صورة تكرار أو إطالة أو وقفة (صمت) أو إدخال بعض المقاطع أو الكلمات التي لا تحمل علاقة بالنص الموجودة، فمثلا يقول الشخص أنا أناأنا اسمي محمد –أو يقول – أنا اس اس اسمي محمد وغالبا مايصاحب هذا التلعثم تغيرات على وجه المتكلم تدل على خجله أو تألمه تارة أخرى أو الجهد المبذول لإخراج الكلمات تارة أخرى .

المفهوم الإجرائي:

يعد اضطراب التأتأة من الإضطرابات التي تؤثر على المستويين النفسي و الإجتماعي، فلطالما لاحظنا أن الشخص المتأتأ يتأثر بالتوقفات و الإيطالات و التكرارات التي تتخلل كلامه لأنها تقع في عقبته قبل اخراجه للكلام و بالتالي أول ما يواجه صاحب هذا الخلل هو مشكل التواصل مع الغير سواء كان في الوسط المدرسي أو الإجتماعي أو المنزلي .

أسباب التأتأة:

يمكن وصف أسباب التأتأة في:

الأسباب العضوية: تتلخص في العامل الوراثي، بينما أظهرت دراسة تشير لي عدم وجود أي أدلة على توريث هذا الإضطراب حتى على مستوى الجينات السائدة أو المتنحية، و يتفق مجموعة من الباحثين إلى أن الإصابة المزمنة بأمراض الجهاز التنفسي، أو محاولة الكلام أثناء عملية الشهيق، أو نقص الكالسيوم، أو إضطراب الجهاز السمعي تؤدي إلى هذا الإضطراب .

الأسباب النفسية: يرى أنصار مدرسة التحليل النفسي مثل بلودستينBloodistin أن ضعف الأنا و قمع الميول خشية العقوبة و ضعف الثقة بالنفس من أهم العوامل النفسية التي تكمن وراء التأتأة في مجرى الكلام، و أن المتأتأ إلى مرحلة الكلام اللفظي كتعبير عن القلق أو فقدان الشعور بالأمن أو الشعور بالنقص، ويؤكد حامد عبد السلام زهران، على أن إضطرابات في مجرى الكلام ترجع إلى الصراع و القلق، و الخوف المكبوت، و الصدمات النفسية، و الإنطوائية ، و العصابية و ضعف الثقة بالنفس، والعدوان المكبوت، و الحرمان الإنفعالي، و الإفتقار إلى العطف .

و يؤكد البعض الآخر على أن هذا الإضطراب ما هو إلا عرض عصابي تكمن وراءه رغبات عدوانية مكبوثة، حيث يعيش الفرد نكوصا إلى المرحلة الشرجية و صراعا بين الرغبة الشعورية في الكلام، و الحاجة اللاشعورية بعدم الكلام، فتكون التأتأة وفقا لهذا العدوان و ما التأتأة إلا إخراج يعقبه إيقاف و خوف من

الكلام، ثم إخراج يعقبه خوف آخر من إخراج العدوان و هكذا، ولذا فإن هذا الإضطراب يكون أكثر شيوعا و حدوثا أما الكبار و في المواقف المرتبطة بالصراع .

الأسباب الإجتماعية: يذكر محمود حمودة أنه إذا كان الطفل في موقف إجتماعيسئ يظهر إضطراب التأتأة في مجرى الكلام وهو يعبر عن التشجيع و الإحراج في المواقف الكلامية، و قهره و عدم السماح له بالتعبير عن نفسه، وعدم الشعور بالأمر النفسي داخل أسرته.

مظاهر التأتأة:

للتأتأة ثلاث مظاهر أساسية وهي :

1) **التكرارات Repetitions**: **يرى بيتش** و فرانسيلا BeechFransella 1968:أن التكرار يعد من أهم السمات المميزة للتأتأة، حيث أنها أحد أعراض التأتأة الأكثر شيوعا خاصة عندما تحدث عدة تكرارات بالصوت نفسه بالتتابع لدرجة تلفت إنتباه المستمع، و التكرار يكون لبعض عناصر الكلام مثل:

أ)تكرار حرفمعين مثلما هو في العبارة التالية: د ددد لوقت سأذهب إلى السوق .

ب) تكرار المقاطع اللفظية .

ج) تكرار للعبارة بأكملها .

د)تكرار للكلمة .

2. الإطالاتProlongations

أما في مراحلها المبكرة فغالبا ما ينتج عن الطفل تكرارات صوتية أو مقطعية أكثر من إنتاجه للإطالات الصوتية .

و كما أنه من الأشياء المعروفة لدى الأخصائي الأرطوفونيأن التأتأة إذا تركت فسوف تتطور من السئ إلى الأسوأ(أي من تكرارات صوتية و مقطعية الى اطالات صوتية)، و كذلك فهم يفضلون التعامل مع الأطفال لديهم تكرارات صوتية و مقطعية، حيث تبدو المشكلة في مراحلها المبكرة و والتكفل في هذه الحالة يكون أسرع و أضمن.

3–التوقفات الكلامية:

هناك شكل أخر للتأتأة و الذي يسبب احباطا المتكلم و المستمع، و يظهر من خلالها عجز المتأتأ من إصدار أي صوت على الإطلاق برغم الجهد العنيف الذي يبذله.

و تحدث هذه التوقفات الكلامية بسبب انغلاق ما في مكان الجهاز الصوتي تؤدي الى إعاقة الحركة الآلية للكلام، وقد يصاحبها توترا و ارتعاشا في العضلات. و قد تطول مدة التوقف أو تقصر تبعا لشدة الاضطراب، و بالتالي يتزايد أو يتناقص التأثر العضلي.
و يلاحظ حدوث تلك التوقفات بصورة متكررة في بداية نطق الكلمة أو العبارة .
و لقد جلبت هذه الظاهرة الاهتمام بتنفي المصابين بالتأتأة و عكفوا على دراسة أعراض التنفس لديهم، و لقد لوحظ أن عملية التنفس لدى المتأتئين تتم بطريقة مختلفة، حيث تؤثر مجموعة من الأشكال التكوينية للتنفس الصدري في إعاقة تدفق الحديث لديهم.

الفرق الجنسي في التأتأة: بالنسبة للنمو اللغوي، فمنذ الطفولة الباكرة يبدي البنات تفوقا في اللغة في السن الذي يبدأن فيه الكلام، و يظهر هذا التفوق في حجم المفردات اللغوية، و في بناء أو تركيب الجمل، و في عدد الأصوات الكلامية...إلخ.

و هناك أدلة تشير إلى أن هذا يستمر في مراحل الحياة اللاحقة و لقد وجد أن التأتأة أكثر إنتشارا بين الذكور عنها بين الإناث الصغار.

و لكن تفسير هذا الفرق ليس واضحا إنما **دانلون** :يقدم شرحا لهذا الفرق يرجع التأتأة في الطفل إلى خوفه من أن يقول شيئا رديئا أو يستخدم بعض التعبيرات الشفهية و التي ربما ماتجلب العقاب،و لكن الذكور بحكم لعبهم في الشارع يلتقطون مثل هذه العبارات أكثر من الإناث و الخوف يكون أعظم في حالة الذكور و لكن هذه النظرية في حاجة إلى مزيد من البحوث قبل قبولها و على الرغم من أن كل الأطفال يظهرون نوعا من عدم الطلاقة إلى أن الإحصائيات توضح أن هناك نسبة 4 من الذكور و 1 من البنات يصابون بالتأتأة فالأطفال الذكور أكثر إصابة بالتأتأة عن الإناث و قد تعود الأسباب إلى:

ـ الإستعداد الوراثي للذكور أعلى من الإناث .
ـ يظهر الذكور مشكلات لغوية نطقية أكثر من الإناث، وكما يظهر الذكور سهولة التأثر بالتأتأة.
ـ مستويات التأتأة حسب العمر وصفاتها:

ـ التأتأة الأولية من 2–8 سنوات:

و تتميز بتردد جزء من الكلمة (مل......ملعب)أو كلمة تتكون من مقطع واحد بالإضافة إلى إطالة الأصوات الصائتة (مفتوح)ويعرف الطفل بأنه يعاني من صعوبة طلاقة في الكلام.

في هذا المستوى يظهر على الطفل شد في العضلات و سرعة في الكلام، وإعادة سريعة وغير منتظمة في الكلام، و يبدأ ظهور عمليات الإنسحابية أثناء التأتاة، و هنا يعي الطفل عدم طلاقة كلامية لذلك يشعر بالإحباط.

ـ التأتأة المتوسطة من 6-13 سنة:

تتميز بتردد جزء من كلمة أو كلمة تتكون من مقطع واحد بالإضافة إلى إطالة الأصوات مع تشدد واضح أثناء الخصائص الجانبية المصاحبة للتأتأة بشكل أوضح مثل :رمش الجفوف و هز الرأس أثناء حدوث التأتأة و إستخدام بدايات مثل :أأأ...قبل البدأ بالكلام بالإضافة إلى بعض مشاعر الخوف و الحرج و الإحباط مع معرفة الشخص التامة أنه يعاني من التأتأة .

ـ التأتأة المتقدمة من 14 سنة فما فوق:

تعتبر من أشد مراحل التأتأة في هذا المستوى تكثر الإطالة و تكون التوقفات مصاحبة لرجفة في اللسان أو الشفاة أو الفك،عندها يستخدم المتأتئ التجنب الكامل حتى لا يقع في التأتأة، كما يستخدم أنماط معقدة من التجنب أو الإنسحاب، و تكون عواطفه بين الخوف و الدهشة و الإرتباك و هنا يكون تقديره منخفضا.

مايمكن أن يزيد من حدة التأتأة:

الضغوط الخارجية الداخلية التي يمكن أن تزيد من شدة التأتأة :

أ) **العوامل الخارجية :**

ـ ضغط العدد:تزيد شدة التلعثم عنما يتحدث المتأتئ إلى عدد كبير من الأشخاص و ذلك نتيجة لإحساسه أن عدد كبير من الناس ينظرون إليه و ينتظرون كلامه، بل إن أي شخص طبيعي إذا تحدث إلى عدد كبير من الناس فإنه يحس شيئا من التوتر يجعله مترددا في كلامه فما بالك بالمتأتئ.

ـ ضغط اللغة :عندما يتحدث المتلعثم بلغة غير لغته الأصلية فإنه يعاني من زيادة في شدة التلعثم و ذلك لسببين :الأول أنه يمتلك حرية الإستبدال بين الكلمات، و الثاني أنه لايعرف الطريقة الصحيحة للنطق الكلمات بهذه اللغة (و هذا نوع من ضغط عدم المعرفة)

ـ ضغط جديد: عندما يتحدث المتأتئ لصديق جديد أو مدرس جديد أو عند دخول المدرسة أو الكلية لأول مرة أو عند استلام مهنة جديدة قد يعان المتأتئ من زيادة في شدة التأتؤ (و هذا نوع من ضغط في عدم المعرفة)

ـ ضغط السلطة: تزداد التأتأة بشدة عندما يتحدث المتلعثم مع من له سلطة عليه كالمدير أو العميد أو الضابط الشرطة أو حق الأب في المنزل، و هذا شئ طبيعي و مفهوم .

ـ ضغط السرعة :من الملاحظ على أغلب المتلعثمين أنهم يتحدثون بسرعة كبيرة و خاصة في الكلمة الأولى، و ذلك لأنهم يحاولون بكل سرعة و قوة إنهاء الكلام قبل حدوث التأتأة و لكن للأسف تشكل هذه السرعة ضغطا يؤدي إلى زيادة شدة التأتأة.

ـ ضغط التيليفون: يعتبر التيليفون هو الكابوس الذي يؤرق معظم المتأتئين و خاصة أول كلمة في المكالمة أن ضغط التيليفون ماهو إلا مزيج من ضغطين، ضغط السرعة و ضغط عدم المعرفة، فامتأتئ بمجرد أن يرفع السماعة فعليه أن يتكلم و هذا هو الضغط السرعة، و بالطبع هو لايعرف بالضبط من الموجود معه على الطرف الآخر للخط؟أو أين هو؟أو ماذا يريد ؟و هذا هو ضغط عدم المعرفة، وهكذا نرى أن ضغط التيليفون ليس ضغطا واحدا و لكنه مزيج بين ضغطين و بذلك يتضح لماذا يمثل التيليفون كل هذه الصعوبة بالنسبة للمتلعثم.

ب) **العوامل الداخلية التي يمكن أن تزيد من شدة التأتأة:**

ـ الحالة النفسية للمتأتئ لها التأثير الأكبر على تلعثمه، فعندما يمر المتأتئ، بحالة من الخوف أو التوتر أو الحزن يزيد تلعثمه عن معدل الطبيعي .

ـ الحالة الصحية :للمتأتئ :تؤثر تأثيرا كبيرا على مدى التأتأة، فعلى سبيل المثال عندما يكون المتأتئ مصابا بالبرد فإن تلعثمه يزيد .

ـ في بعض الأحيان ودون تعرض المتأتئ لأي ضغط قد يعاني من زيادة في شدة تلعثمه عن الحد المعتاد،وذلك لإختلاف الشد في العضلات من يوم لآخر مما يؤثر على ميكانيكية الكلام التي تعتمد فيه أساسا على العضلات.

العلاج السلوكي المعرفي :

ظهر مصطلح العلاج السلوكي المعرفي في بداية الثلث الأخير من هذا القرن، و يهتم هذا النوع من العلاج النفسي بالجانب الوجداني لدى المريض، و بالسياق الإجتماعي من حوله من خلال إستخدامإستراتيجيات معرفية و سلوكية و إنفعالية و إجتماعية و بيئية، لإحداث التغير المرغوب فيه .

تعريفالعلاج السلوكي المعرفي: يعرف كندول "Kendall"1993" العلاج المعرفي السلوكي بأنه "محاولة دمج الفنيات المستخدمة في العلاج السلوكي " التي ثبت نجاحها في التعامل مع السلوك و مع الجوانب المعرفية لطالب المساعدة، بهدف إحداث تغييرات مطلوبة في سلوكه، بالإضافة إلى ذلك يهتم العلاج

السلوكي المعرفي بالجانب الوجداني للمريض، و بالسياق الإجتماعي من حوله من خلال استخدام استراتيجية معرفية، سلوكية إنفعالية، إجتماعية و بيئية لإحداث التغيير المرغوب فيه .

و يعرفه ستيف بيك (Stereenbeck . 442 :1995) بأنه تلك المداخل التي ستعي إلى تعديل أو تخفيف الإضطرابات النفسية القائمة عن طريق المفاهيم الذهنية الخاطئة أو العمليات المعرفية .

و يعرف برين (Breouin(1996 . 80 بأنه التدخل الإرشادي ببعض الفنيات المعرفية المنتقاة، لخفض الإضطرابالإنفعالي الوظيفي من خلال تعلم سلوك جديد، و خبرات أكثر تكيف مع العلاج السلوكي للأعراض التي يتبعها تغير معرفي، من خلال ممارسة سلوكيات جديدة، و تحليل أخطاء التفكير وتعلم أحاديث ذاتية أكثر .

أهدافالعلاج السلوكي المعرفي:

يهدف العلاج المعرفي إلى تحقيق الأهداف التالية :

1- التعامل مع تحريف الفرد للواقع ر مثل: لا أحد يحبني، وفي هذه الحالة فإن الجلسات العلاجية، وبصفة خاصة عندما يصبح المريض مدربا على تسجيل أفكاره الآلية، تزودنا بعمل جيد لكشف عن التحريفات (بيك :2000 . 175).

2- التعامل مع التفكير غير منطقي، فقد لا يكون هناك تشويش للواقع، و إنما يكون التفكير نفسه قائم على أساس إفتراضات خاطئة و مشتملا على استنتاجات خاطئة أو الوصول إلى استنتاجات خاطئة من المشاهدات، أو حدوث زيادة في التعميمات، و على المعالج أن يتناول هذه الأفكار الخاطئة ومناقشتها و إثبات عدم منطقيتها في الجلسات العلاجية (الشناوي 1994 (ب): 151)(بيك 2000 . 176)

و تذكر(Zarb 1992 . 4-5) أن من الأهداف الرئيسية للعلاج المعرفي السلوكي :

هو تصحيح التحريف في التفكير لدى المريض و التعامل مع التفكير غير المنطقي، بحيث تصحح صورة الواقع، في نظره و يصبح التفكير منطقيا، معتمدا في ذلك على عدة أسس أهمها :المشاركة العلاجية وتوحيد المحدائية مع المفحوص، و إختزال المشكلة التي يعاني منها المفحوص و مساعدته في معرفة كيفية التعلم في حل المشاكل، و ذلك من خلال المشاركة المنشطة في حل المشكلة .

قواعد العلاج المعرفي السلوكي: العلاقة بين المعالج و المفحوص لها أهميتها في العلاج المعرفي السلوكي كباقي أنواع العلاج، فهي تقدم الوسط الملائم للتقدم العلاجي، حيث يؤكد معظم المعالجين المعرفيين السلوكيين على أهمية علاقة المعالج بالمريض و على دورها في العملية العلاجية، و يؤكد أغلب المعالجين المعرفيين السلوكيين على بعض المتطلبات منها :

1- دور نشط بين المعالج و المفحوص في سبيل تحقيق هدف واحد، فالعلاج المعرفي هو خبرة تعلم يلعب فيها المعالج دورا نشيطا في مساعدة عملية الكشف عن التصرفات الإدراكية :نقلا عن (السيلان 1993 . 20)

2- أن يبلغ المعالج المفحوص بأن لديه معلومات هامة يجب عليه طرحها في الجلسات، للتوصل إلى أفضل الطرق للتغلب على مايعانيه من مشكلات فلدى المعالج الفنيات و الأسلوب العلاجي الملائم، ولدى المفحوص المعلومات عن خبراته الفريدة، و هو الشخص الوحيد الذي يستطيع شرح أفكاره، ومشاعره، و هذه الخبرات تحدد الكيفية التي تستخدم بها القواعد العلاجية التي ينوي المعالج تطبيقها .

فالمعالج المعرفي يساعد المفحوص على التعرف على أفكاره الشخصية و تفكيره الشخصي و يعلمه طرقا أكثر واقعية لصياغة خبراته و هذه الطريقة تعطي معنى للمفحوص، لأنها تتيح له استخدام معرفته عن المفاهيم و التفسيرات الخاطئة .

3- السماح للمفحوص بإبداء الرأي و التعليق على ما يجري و طرح أسئلته لكي يكون بإمكانه معرفة أكبر قدر من المعلومات التي تساعد في التواصل لاتخاذ القرارت و اختيار البدائل المؤدية لتحسن حالته . و يوجد نوعان من التفكير تم التركيز عليهما في العلاج المعرفي السلوكي هما :

الأفكار الآلية :

هو مصطلح أطلقه "بيك" على الأفكار و الصور الذهنية التي تظهر بشكل لا إرادي خلال تدفق الوعي الشخصي (1974).

المعتقدات المضمرة :

هي المعتقدات و الافتراضات التي تنتج الأفكار و الصور الذهنية التي تشكل محتوى الأفكار الالية.

المراجع

- الدكتورة سمير محمود أمين اللجلجة (أسبابها و علاجها) سلسلة الفكر العربي في التربية الخاصة 2، الطبعة الاولى، 2000م، دار الفكر العربي للطبع و النشر

- الدكتورة سهير محمود امين، اللجلجة (التشخيص و العلاج) الطبعة الثانية، 2005، دار الفكر العربي للتوزيع
- الدكتور عبد الرحمن العيساوي العلاج السلوكي، حقوق الطبع و النشر و الاقتباس مملوكة لدار الراتب الجامعية الطبعة 1997.
- زريقات ابراهيم 1993م فعالية التدريب على الوعي و تنظيم التنفس في معالجة التأتأة رسالة ماجيستير غير منشورة الجامعة الاردنية عمان.
- ابو سعيد هيثم جادو،، اللجلجة و التلعثم عند الاطفال 2002م مكتبة الملك فهد، الرياض، ص 22.
- فيصل العفيف (2004) ايام من حياة متلعثم، المملكة الاردنية الهاشمية مكتبة الجامعة الاردنية
- ايناس عبد الفتاح 2002 التلعثم في الكلام، استراتيجيات التشخيص و العلاج النفسي الكلامي، ط1، مكتبة المهندس القاهرة.
- شهاب عبد العظيم 2003 برنامج تدريبي لاسر ذوي الاحتياجات الخاصة عن نشأة اللغة عند الطفل المؤتمر الثالث للجمعية الخليجية للاعاقة، قطر 14-16 يناير.
- عبد العزيز الشخصى 2002 اضطرابات النطق و الكلام ط1، شركة الصفحات الذهبية المحدودة الرياض،
- فيصل العفيف رسالة ماجيستير 2001 الجامعة الاردنية
- فيصل العفيف 2003 اضطرابات النطق و اللغة في سطور – الجامعة الاردنية.
- اضطراب الكلامو اللغة / التشخيص و العلاج الدكتور عبد الله فرج الزريقات/ط2005،1.
- صعوبات التلعثم الدكتور سامي محمد الملحم، دار المسيرة2، للنشر و التوزيع .
- الطبعات 2006،2002 ص 187-188.
- العلاج المعرفي السلوكي المختصر BriefLognitiveBeforeiourTherapy

تأليف :بيرنيكوروبين، بيتر رودل، ستيفن بالمر .

ترجمة :محمود عيد مصطفى . أخصائي العلاج النفسي و الإدمان .

ابتراك: للطباعة و النشر و التوزيع .

الطبعة الخامسة سنة 2008.

- سلسلة علم النفس الإكلينيكي المعاصر.
- مقالات نفسية وسلوكية، العلاج المعرفي السلوكي تعريفه، أهدافه، قواعده. الكاتب الدكتورة: ابتسام عبد الله الرعبي، كلية التربية – قسم علم النفس –جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمان – الرياض.

إدارة الوقت و الأداء داخل المؤسسة الجزائرية

دراسة ميدانية بالمؤسسة المينائية -بسكيكدة

أ/ شياب محمد أمين، جامعة تيارت

الملخص:

في ظل الاهتمام المتزايد بإدارة الموارد البشرية في المؤسسات اليوم، والتي أضحت تشكل نقطة الارتكاز في منحى التطور الإنساني، وتعد الإدارة الفعّالة للوقت والاستثمار العقلاني له احد اهم ادواتها لصناعة النمو والازدهار المنشود؛ فهي تقوم بتحديد الأنشطة و المهام الاساسية وتخضع اجراءات العمل وطرقه الى منظومة من الوسائل التي تقلل من الهدر فيه والسيطرة على مضيعاته مما يسمح الإيفاء بمتطلباتها والرفع من فرص النمو والتوسع، وعليه تحاول الدراسة الراهنة الكشف عن العلاقة بين اتنين من أهم المتغيرات التنظيمية وهما إدارة الوقت والأداء، وذلك عن طريق التطرق للإطار التصوري لإدارة الوقت واهم المقاربات التنظيمية التي درسته فضلا عن تحديد معالم أداء الموارد البشرية ومعايير تقييّمها داخل المؤسسة المينائية بسكيكدة وهذا من خلال اختيار عينة عشوائية طبيقة من مختلف المستويات المهنية داخل المؤسسة و التي بلغ عددها بـــ 230 مفردة، كم لم تغفل التأثيرات المحتملة لباقي متغيرات البناء التنظيمي .

وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج و أهمها وجود علاقة ارتباطيه بين إدارة الوقت و الأداء في المؤسسة محل الدراسة ، وهذا انطلاقا من التحقق الامبريقي للفرضيات الجزئية المطروحة:

- هناك علاقة بين التخطيط للوقت و زيادة معدل الانجاز في العمل.
- هناك علاقة بين تنظيم الوقت و مستوى الرضا المهني لدى عمال المؤسسة المينائية.
- هناك علاقة بين متابعة وقت العمل و فاعلية سلوك العامل.

وتدخل هذه الدراسة ضمن التراكمات المعرفية في مجال التنظيم و إدارة الموارد البشرية و السياقات المختلقة داخل المؤسسة الجزائرية المعاصرة.

مقدمة:

تعد إدارة الوقت من بين المواضيع التي شكلت حلقة نقاش بين المختصين في قضايا التنظيم و الإدارة في الوقت الراهن، نظرا لأهميتها داخل المؤسسة المعاصرة، فلا يمكن أن نتصور اي تنظيم يخلو من الوقت، فهو يفرض وجوده من خلال كونه وعاء لكل عمل و إنتاج، ولما لها من مساهمة كبيرة في انجاز

الاعمال في وقتها المحدد و الرفع من مستوى الالتزام المهني و ما يحمل في طياته من انضباط و عدم التأخر عن الدوام الرسمي، فعندما يتم التخطيط الجيّد للوقت ومتابعة الأعمال شانها أن تحد من هدر الوقت و ضياعه، الامر الذي يجعل المورد البشري يقوم بأدائه الوظيفي على اكمل وجه وتتوافق اهدافه مع اهداف المؤسسة.

ولدراسة العلاقة بين متغيري ادارة الوقت و الأداء حاولت العديد من المقاربات التنظيمية تقصيها وفق أبعاد و مؤشرات متعددة، والدراسة الراهنة تنطلق من التراكمات المعرفية والإمبريقية، التي تساعد على اشتقاق رؤية نظرية لتفسير هذه العلاقة.

بالاستناد الى ما سبق وضمن استراتيجية معينة و أدوات منهجية معتمدة، جاءت هذه الدراسة كحلقة مكملة لحلقات البحث و التقصي عن العلاقة بين متغيري إدارة الوقت و الأداء.

أولا: الاطار التصوري و المنهجي:

1- المشكلة البحثية:

إنّ المؤسسات الاقتصادية العالمية اليوم تحاول وضع استراتيجيات وأهداف محددة للتكييف مع الأوضاع الراهنة، آخذة في الحسابات عامل الوقت والسرعة لتحقيق فعاّلية أداء مواردها البشرية، ومن خلال هذا الاهتمام المتزايد بالوقت ظهر في المؤسسات الغربية ما يعرف بإدارة الوقت والتي تسعى من خلالها تلك المؤسسات وعن طريق مجموعة من العمليات كالتخطيط للوقت والتنظيم والمتابعة والتحفيز والاتصال زيادة استغلال واستثمار الوقت بشكل فعال، ليساهم في تحقيق الأهداف التي سطرتها المؤسسة بصفة عامة، فمن خلال كون إدارة الوقت تعمل على زيادة الإنتاجية، والتحكم في الأداء وزيادة تعديل سلوك العامل وزيادة رضاه الوظيفي.

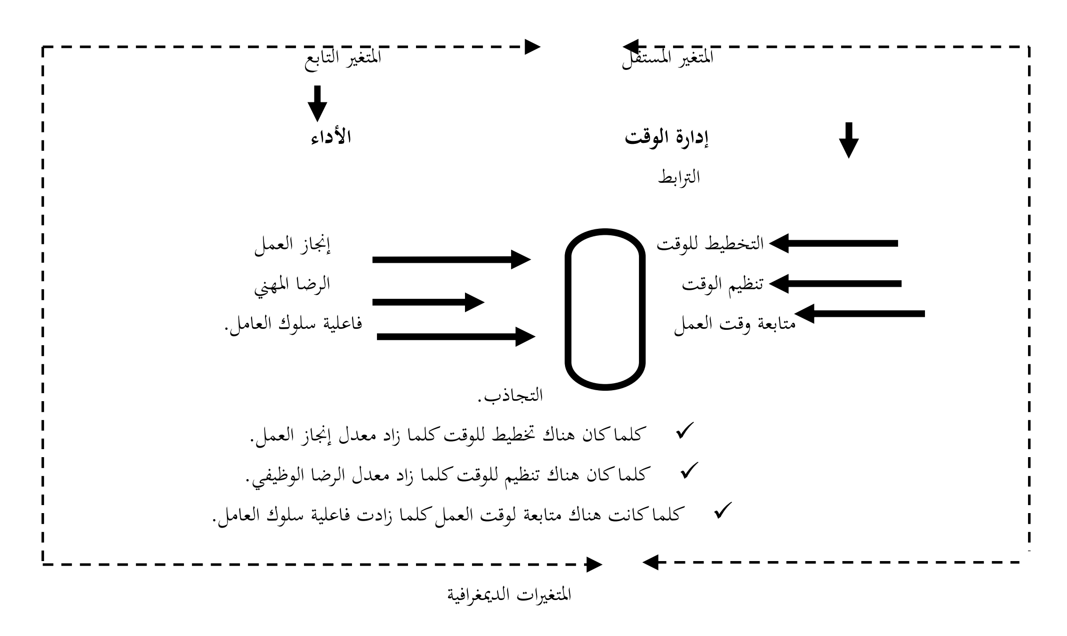
وفي نفس السياق حاولت المؤسسة الجزائرية وكغيرها من المؤسسات أن تبدي اهتماما بهذا المورد ومحاولة استغلاله بشكل أكبر وذلك عن طريق القيام بملتقيات وإجراء دورات تكوينية لعمالها حول الوقت وكيفية استغلاله، لكن ورغم الأهمية الكبرى لهذا المورد يبقى استغلاله في المؤسسة الجزائرية غير كاف حيث أثبتت بعض الدراسات أن نظرة العامل لهذا المورد على أنه عنصر بلا قيمة وهذا راجع لأسباب لعل أهمها عدم الإدراك الحقيقي لهذا المورد.

مما سبق تتمحور اشكالية الدراسة في البحث عن العلاقة القائمة بيت المتغير المستقل ادارة الوقت و المتغير التابع الاداء ، وبغية التحقق الامبريقي منها تم تفكيكها الى تساؤلات فرعية هي:

- هل هناك علاقة بين التخطيط للوقت والزيادة في انجاز الاعمال؟
- هل هناك علاقة بين تنظيم وقت العمل و رفع معدل الرضا الوظيفي لدى العمال؟

- هل هناك علاقة بين متابعة وقت العمل و زيادة فاعلية سلوك العامل؟

الشكل رقم (1): **نموذج الدراسة و فرضياتها:**



2- اهداف الدراسة تتمثل اهداف الدراسة في الآتي:

- محاولة التعرف على عناصر ومكونات إدارة الوقت والأداء الوظيفي في ضوء التراث النظري والإمبريقي.
- تحديد الخصائص البنائية والوظيفية للمفاهيم الإرتكازية.
- الكشف عن العلاقة بين متغيري ادارة الوقت و ابعادها (التخطيط للوقت، تنظيم الوقت، متابعة الوقت) و الأداء و أبعاده (معدلات الإنجاز، الرضا المهني، فعّالية سلوك العامل).

3- المنهج المعتمد في الدراسة:

إن البحوث الاجتماعية والتنظيمية تتطلب من الباحث الاعتماد على منهج معين، يكون مناسبا وقادرا على الحصول على المعلومات اللازمة، وعليه فإن الدراسة الراهنة تندرج ضمن الدراسات الوصفية التي بدورها اعتمدت على المنهج الوصفي.

4- اساليب جمع البيانات و المعلومات: فيما يخص الجانب النظري من الدراسة تم الرجوع الى الادبيات و الدراسات المتوفرة حول ادارة الوقت و الاداء المتمثلة في المراجع العلمية: كالكتب و المجلات و والدوريات المتعلقة بقضايا التنظيم و الإدارة والتي تناولت هذين المتغيرين.

في حين اعتمدنا في الجانب الميداني على الاستمارة كأداة رئيسية لجمع البيانات و المعلومات من افرد العينة المختارة ، فقد صيغت الاستمارة وفق مؤشرات وأبعاد قابلة للقياس في الواقع، متضمنة لـ 44 سؤال موزعة على أربعة محاور هي:

- المحور الأول: البيانات الشخصية للمبحوثين
- المحور الثاني: التخطيط للوقت وزيادة إنجاز العمل
- المحور الثالث: تنظيم الوقت وزيادة الرضا الوظيفي.
- المحور الرابع: متابعة وقت العمل وزيادة فعالية سلوك العامل.

ثانيا: البعد المعرفي و النظري لإدارة الوقت و الأداء.

1- الخصائص البنائية و الوظيفية لإدارة الوقت:

أ- مفهوم إدارة الوقت :

قبل أن نشرع في تعريف إدارة الوقت يجب أن نشير إلى أن هناك لبس وفهم خاطئ يحيط بمفهوم ومصطلح إدارة الوقت، فالوقت كمورد ومصدر متاح لأي نشاط، لا يمكن أن يدار على الأقل بالطريقة التي يتم بها إدارة الموارد الأخرى المتاحة للمشروع، لذلك فإن القول بإدارة الوقت تعد تسلية مظلله، فالحقيقة أن كل ما نستطيع فعله هو إدارة أنفسنا وتنظيم أحوالنا فحسب ونحن في مواجهته، فنحن لا نستطيع التحكم في كم الوقت الذي لدينا وإنما نستطيع فقط التحكم في كيفية استخدامنا له حتى يمكننا تحقيق ما نهدف إليه ونسعى لتحقيقه والوقت لغة معناه " مقدار من الزمان "[1] إلى جانب هذا التعريف فقد حاول **مالك بن نبي** تحديد هذا العنصر من خلال مفهومه الوظيفي «Temps – travaille » الذي يقوم فيه الفرد بتقييّم الأعمال التي أنجزت في ظل فترات زمنية معينة.[2]

قبل أن نشير إلى السياق العلمي لهذا المفهوم يجب أن نوضح العلاقة الوثيقة بين مفهوم الوقت والإدارة، فمن خلال تركيز الإدارة على استغلال الموارد الاقتصادية والبشرية بشكل عام، وكذلك من خلال كون الوقت موردا نادرا لا يمكن إحلاله أو تراكمه أو إيقافه، وبالتالي يفترض أن يستغل بشكل فعال لتحقيق الأهداف المحددة في الفترة الزمنية المعينة، وهناك عدة تعاريف قدمها الباحثين والمختصين لإدارة الوقت ، فهذا **بتير دراكر** يقول: "إن الشخص الذي لا يستطيع إدارة وقته لا يستطيع إدارة أي شيء آخر "[3]، في حين يرى **بونيس لويس ودافيد كيرتز bonus louis et David kurtz** " على أنها:" العملية التي توزع الوقت بفعالية بين المهام المختلفة بهدف انجازها في الوقت الملائم والمحدد"[4].

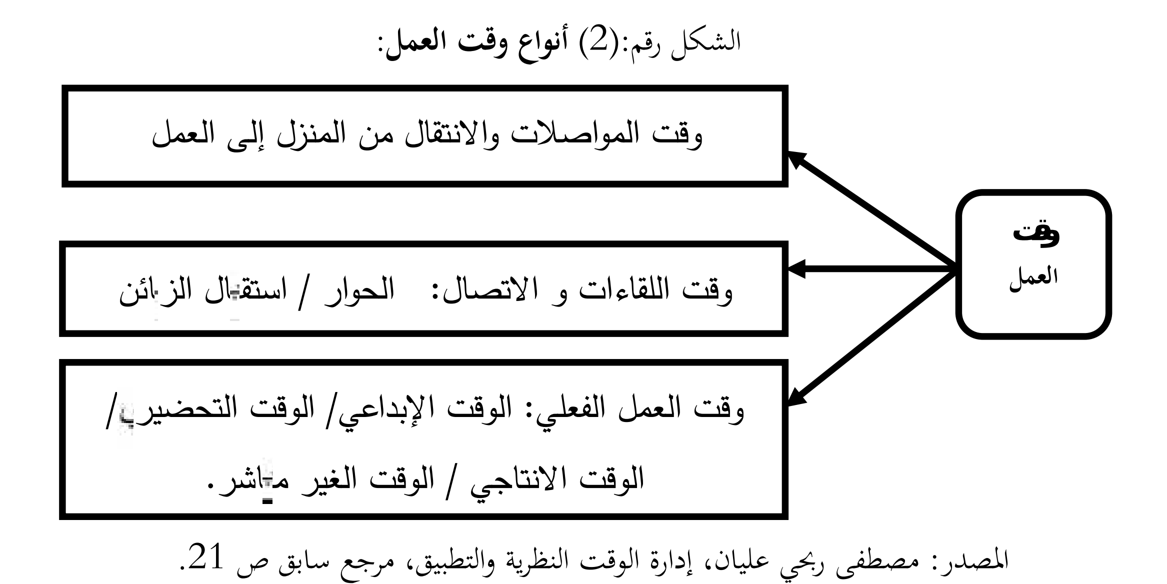
كما عرّفها **ميشال موريس Michael Moris** على أنها: "تحديد ووضع أولويات لأهدافنا بحيث يمكن تخصيص وقت أكبر للمهام الهامة ووقت أقل للمهام التافهة".[1]

أما **الجريسي** فيعرّفه بقوله: "الاستخدام الأفضل للوقت وللإمكانات المتاحة، وذلك بطريقة تؤذي إلى تحقيق الأهداف ولن يكون ذلك إلى من خلال الالتزام والتحليل والتخطيط والمتابعة، من اجل الاستفادة من الوقت بشكل أفضل في المستقبل"[2]، لنصل اجمالا الى تحديد معالم إدارة الوقت والمنبثقة من الخصائص المشتركة من التعاريف السابقة والتي تتضح من خلال أنّها: **"محاولة الاستخدام العقلاني للوقت عن طريق وضع أولويات وأهداف للمهام والأعمال وذلك من خلال اللجوء لعملية التخطيط المسبق والتنظيم والمتابعة وتوجيه الأداء نحو الأعمال"**.

ب– أنواع الوقت:

كما قام الباحثان: **"ريزو وأدريسكول rizzo et odriscoll "** بإجراء مقارنة بين مفهومين اقتصاديين للوقت هما: الوقت الخطي والوقت الغير متجانس فالوقت الخطي لا يمكن قياسه بل نحسه فقط، كما أنه يؤثر على سلوك الأفراد وقد سماه **"برغسون"** الإحساس الداخلي للمدة، أما الوقت الغير متجانس فيتميز بعدم التجانس والتقاطع ويبرز أثره جليا على سلوك الفرد وتصرفاته ويمكن قياسه كميا[3]، وعموما هناك الكثير من التقسيمات التي اعطيت للوت وكل تقسم يرتكز على احد المحكات أو زوايا النظر المختلقة، و لكن اغلبهم يتفق بان هناك وقت يمكن ادارته و وقت لا يمكن ان نديره، ويطرح مصطفى ربحي عليان ان وقت العمل فيه وقت مخصص للمواصلات و خر خاص باللقاءات بينما الاخير متعلق بالوقت الفعلي. انظر الشكل رقم(2).

الشكل رقم:(2) **أنواع وقت العمل:**



المصدر: مصطفى ربحي عليان، إدارة الوقت النظرية والتطبيق، مرجع سابق ص 21.

ج- ادارة الوقت و مرتكزاتها: تستند عملية إدارة الوقت داخل أي مؤسسة على الأبعاد التالية:

1- **التخطيط للوقت**: التخطيط للوقت هو فن تحقيق المستقبل كما يجب أن يكون وليس كما يمكن أن يكون، فهو قائم على رسم سيناريوهات وتصورات المؤسسة لكفاءاتها فهو يساعدها على إكساب عمالها مزايا تنافسية تؤهلها للاستمرار " التخطيط للوقت يعني وضع مجموعة من الاجراءات والخطط لتنفيذ الاعمال، وتخطيط شخص ما لوقته يتضمن أولا معرفة كيفية استخدامه للوقت بالشكل المناسب وذلك باستخدام خطوتين رئيسيتين وهما: تسجيل الوقت وتحليله"(1)، وهو مرحلة التفكير في المستقبل قصد التعرف على : مضيعات الوقت، وسائل تجنب تلك المضيعات.(2)

إن نقطة البدء في تخطيط الوقت هي تحديد الأهداف بدقة وعند وضع الأهداف لابد من أن يسأل الفرد نفسه الأسئلة التالية:

- ما هو مقدار الوقت المتاح لنا في المستقبل لإنجاز الأعمال المطلوبة ؟
- ما هي كمية ونوعية الأعمال المطلوبة إنجازها في الوقت المتاح ؟
- كيف تترجم هذه الأعمال إلى جملة من الأهداف ؟.(3)

2- تنظيم الوقت:

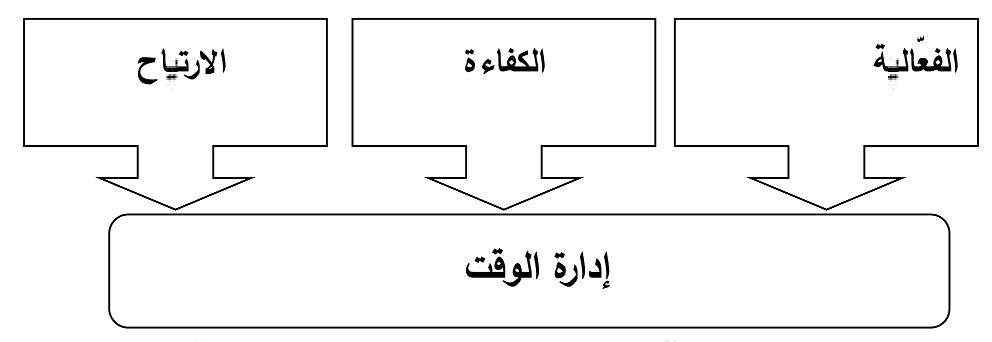
تتم هذه العملية بعد وضع الخطة لاستغلال الوقت وتنفيذها وتقييم نجاحها، وأول خطوة على الإداري القيام بها في هذا المجال هو أن يعرف كيف يستخدم وقته باتباع سجل يخصص لرصد وتنفيذ الوقت الفعلي، فبعض المديرين يحتفظون بمثل هذا السجل ويدونون بأنفسهم الأعمال التي يقومون بها والأوقات التي يقضونها والبعض الأخر يوكل هذه المهمة إلى السكرتيرة وأهم في ذلك أن بدون كل نشاط أو عمل يقوم به عند وقت حصوله وليس في وقت لاحق وتعتمد على تسجيل الوقت و تحليل الوقت و اسلوب التفويض.(4)

3- **المتابعة**: يعرفها هنري فايول Fayol بأنها: " تنطوي على التحقق عما إذا كان كل شيء يحدث طبقا للخطة الموضوعة، والعمليات الصادرة والمبادئ المحددة، وأن غرضها هو الإشارة إلى نقاط الضعف والأخطاء بقصد معالجتها ومنع تكرار حدوثها، وهي تطبق على كل شيء الناس، الأشياء، الأفعال "،(5)وتكون اساليب المتابعة باستخدام: الأساليب الوصفية؛سجلات الدوام، سجلات الزمن، والأساليب الميدانية؛ وهذه الأساليب تقوم على أساس الزيارات لمواقع العمل والإنتاج والإطلاع مباشرة على ما يحدث في كل مواقع المؤسسة وقد تكون هذه الزيارات مفاجئة أو غير مفاجئة أي دورية.

د- الإدارة الفعّالة للوقت: هناك العديد من المساهمات العلمية من قبل العديد من الباحثين في كيفية التعامل الفعّال مع الوقت، ولعل العناصر الثلاث التي اقترحها **ماكفرلاند إيميت** تعد مهمة في ذلك،

لكون التعامل بفعالية مع الوقت تتحقق النتائج التي تريد المؤسسة الوصول إليها، والكفاءة في ادارة هذا العنصر يفضى الى التقليل من التكاليف و الاعباء المادية و المعنوية، والشكل رقم (3) يوضّح ذلك:

الشكل رقم: (3) عناصر الإدارة الفعالة للوقت:



المصدر : ماكفرلاند ايميت: مكونات الادارة الفعالة للوقت وإجراءات السكريتاريا، ترجمة اميرة نجيب عرفة، مركز الخبرات المهنية للإدارة، القاهرة، 1991، ص 80.

إنّ إدارة الوقت تستلزم التحكم في الوقت، بطبيعة الحال ليس بالصورة التي تدار بها بقية المصادر والموارد المتاحة للمؤسسة، وبحكم انه متاح لجميع الناس فقط القصور يظهر في النظرة المتوقعه له، وهذا ما يطلق عليه بإدارة الذات حسب **بيتر دراكر**، وتقع المهمة الاولى للاستفادة المثلى من الوقت في المؤسسة على عاتق الادارة العليا و خاصة المديرون، كذا النسق الاداري المشكل للعمليات الاساسية (تخطيط، تنظيم، توجيه، تنسيق، رقابة) و الالتزام بتحليل وقت الاستغلال الخاصة بكل نشاط او مهمة.

2- الأداء بين المفهوم و القياس:

أ- مفهوم الأداء:حظي موضوع الأداء باهتمام كبير لدى الدارسين كما شهد بحوثا مستمرة للبحث عن حلول للمشكلات والمعوقات المتعلقة به، لهذا اهتم البعض منهم بتحديد مفهوم الأداء ومكوناته وما يصاحب هذا المفهوم من خلط بمفاهيم أخرى مرادفة. كما يرتبط مفهوم الأداء بسلوك كل من الفرد والمؤسسة، ويحتل مكانا مركزيا داخل أية مؤسسة باعتباره الناتج النهائي لمحصلة جميع الأنشطة بها، وقد تعددت تعريفات الباحثين للأداء، حيث عرفته موسوعة إدارة الموارد البشرية: "واجب الموظف الذي يتطلب منه أن يقوم بنفسه بالعمل الذي كلف به، ويخصص وقت العمل الرسمي لأداء واجباته الوظيفية "[1].

كما يعرفه **علي السلمي** بقوله: " ذلك النمط من السلوك الذي يبديه العنصر البشري في مكان العمل" [2]، أما **زلاجي وويلاس** SZILAGYI et WALLACE فعرفاه: " هو العملية التي بواسطتها تحصل المنظمة على التغدية العكسية لفاعلية موظفيها."[3] ، ومن جهة اخرى يرى **هينز**

أنه: " الناتج الذي يحققه الموظف عند قيامه بأي عمل من الأعمال"[1]ويعرّفه الاستاذ **Hagnes**
مصطفى عشوي: " هو نشاط أو سلوك يؤذي إلى نتيجة، وخاصة السلوك الذي يغير المحيط بأي شكل من الأشكال"[2].

ومما سبق يمكن القول ان الأداء هو:" **نشاط أو سلوك يقوم به الفرد من خلال الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة من اجل تحقيق الأهداف والنتائج المسطرة**".

ب– مكونات الأداء: بالتشخيص الدقيق لأداء الأفراد للمهام والوظائف في المؤسسة والاسهامات التي قدمها العديد من الباحثين في قضايا التنظيم و الموارد البشرية نجد أن الأداء يكون من خلال:

- ✓ القدرة على الإلمام بالواجبات الخاصة بالعمل.
- ✓ مدى الانضباط والمواظبة في العمل ، هل العامل مواظب على عمله أو لا، هل يحترم المواعيد والقوانين.
- ✓ مدى تكيف العامل ضمن مناخ العمل وقدرته على إقامة علاقات مع الزملاء.
- ✓ الخصائص الشخصية والسمات ذات التأثير على الأداء.

إنّ أداء المؤسسة يكون محصلة تفاعل نوعين من الأداء هما: أداء العنصر البشري (الأفراد) وأداء العناصر التكنولوجية والفنية، جل المؤسسات تقوم بالوقوف على ما تم تحقيقه من نتائج وهذا لقياس مدى نجاحها ووصولها إلى عتبة التطور، وهذا لا يأتي إلا من خلال تحديد معايير للأداء المنجز وطرق لقياسه، وذلك بغية نشر جو من الشفافية والموضوعية بين الإدارة والعمال وتحفيزهم على العمل بشكل جيّد، لتسمح هذه المعايير والطرق بالحكم على التكيف والتلاؤم بين الأفراد ووصفها كحاجة إنسانية من أجل الوقوف على تقييم العامل نفسه بالنسبة للمتطلبات الوظيفية وإن هذه المعايير تشمل على مجالين هما:

– مدى أداء الموظفين وقيامهم بواجباتهم والنشاطات المطلوبة منهم.

– مدى استعداد ورغبة الفرد بما يحمله من مؤهلات وقدرات ومهارات في الترقية والانتقال إلى وظيفة أخرى ذات مهام وواجبات أكثر مما كان يقوم به[3].

ج– تقييم الأداء: تقييم الأداء والتي تعرّف :"قياس مدى قيام العاملين بالوظائف المسندة إليهم، وتحقيقهم للأهداف المطلوبة منهم ومدى تقدمهم في العمل وقدرتهم على الاستفادة من فرص الترقي وزيادة الأجور وهناك عدة طرق تستخدم في ذلك:

– **الطرق التقليدية**: هذه الطرق تقيس مستوى الأداء وتفيد في تحقيق الأهداف الإدارية بالاستناد إلى مقارنة مستوى أداء العمال بأداء الآخرين، أو مع الأداء العام للمؤسسة

- **الطرق الحديثة**: تقيس إنجاز الرجل المثالي وتكشف عن مستوى الأداء والتنبؤ بمستقبله ن وهذا جراء قياس الأداء بمعزل عن الآخرين أو معدل الأداء النموذجي.(4)

ثانيا: الجانب الإمبريقي للدراسة:

1- التعريف بمجتمع الدراسة:

- **التسمية** : المؤسسة المينائية لسكيكدة (Entreprise portuaire de Skikda) بالاختصار E .P.S
- **الشكل القانوني** : مؤسسة عمومية اقتصادية، مؤسسة ذات أسهم مسيرة عن طريق قوانين ونظم متعلقة بالاستقلالية للمؤسسات.
- **المقر الاجتماعي** : طريق جزيرة الماعز صندوق بريد رقم 65 سكيكدة 21000 الجزائر.
- **الرأسمال الاجتماعي** : 3.500.000.000 دينار جزائري.(1)

2- **عينة الدراسة خصائصها السوسيوديمغرافية:** بما أن دراستنا الراهنة تشتمل على مجتمع بحث يتكون من 1151 عامل ، وبغية تقصي الصدق الميداني لتساؤلات وفروض الدراسة والكشف عن العلاقة القائمة بين متغيري إدارة الوقت والأداء والتعبير عنها كما وكيفا ونظرا لعدم تجانس أفراد مجتمع الدراسة، اعتمدنا في تحديد طبقات العينة على التقسيم الرسمي للفئات العمالية (إطارات، أعوان تحكم، أعوان تنفيذ) باعتبار الاختلافات في الآراء المحتملة بين هذه الفئات الثلاثة، وكان الأسلوب المعتمد في اختيار العينة هو أسلوب العينة العشوائية الطبقية والتي قدر عددها بـ 230 مفردة اي بنسبة 20% موزعة كمايلي: الاطارات: 20 مفردة، اعوان التحكم:60 مفردة، اعوان التنفيذ 120 مفردة، و الجداول التالية تصف الخصائص الديمغرافية لعينة مجتمع البحث:

جدول رقم (1): توزيع افراد العينة حسب الجنس:

الجنس	ذكر	انثى	المجموع
العدد	174	56	230
النسبة	75.65	24.35	100

جدول رقم (02) المستوى التعليمي للعينة:

المستوى	ابتدائي	متوسط	ثانوي	جامعي	المجموع

العدد	4	36	64	126	230
النسبة	1.73	15.65	27.82	54.80	100

الجدول رقم (03) توزيع افراد العينة حسب السن:

الفئات العمرية	أقل من 30 سنة	30 – 35	36 – 41	42 – 47	47 سنة فما فوق	المجموع
العدد	74	72	28	24	32	230
النسبة	32.17	31.30	12.17	10.43	13.93	100

جدول رقم(04) توزيع افراد العينة حسب الأقدمية في العمل:

الاقدمية	اقل من 5سنوات	**5 – 10**	**11 – 16**	**17 – 22**	**22** سنة فما فوق	المجموع
العدد	106	56	32	4	32	230
النسبة	48.08	24.34	13.91	1.76	13.91	100

3– مناقشة الصدق الامبريقي لفرضيات الدراسة (النتائج):

أ– نتائج الفرضية الفرعية الأولى يساهم التخطيط للوقت في زيادة الإنجاز في العمل :

من خلال الشواهد الكمية المستقاة من واقع المؤسسة المينائية بسكيكدة، فإن مؤشرات هذه الفرضية تتجلى في الجدول الاتي:

الجدول رقم (05): نتائج مساهمة التخطيط للوقت في الانجاز في العمل.

التخطيط للوقت و الانجاز في العمل	النسبة الكلية
الوقت عنصر مهم يجب استغلاله	%77.39
إن ترتيب للأنشطة حسب أولوياتها يساعده على سرعة إنجازها.	%46.08
اغلبية المبحوثين يؤكدون على العلاقة بين تحديدهم للأهداف وأولويات	%75.70

الأنشطة ومساعدتهم في سرعة إنجازها	
اقر افراد العينة بأن توزيع المشرف للمهام عليهم يكون بشكل دقيق ، وهذا ما يجنبهم الارتباك في العمل أو غموض ما هو مطلوب منهم	%60.68
هناك امكانية لتحديد المدة الزمنية التي يتطلبها إنجاز عمل معين.	%75.65
إجمالي أفراد العينة أكدوا أن معرفتهم بالوقت الذي يستغرقه إنجاز عمل معين يساعدهم على ضبط الطريقة المثلى لأدائه.	%75.65
إجمالي عينة البحث وافقوا على العلاقة بين المهام بمحتوى المهام و الأنشطة وأدائهم لتلك المهام والأنشطة مع إتقانها	%53.04
متوسط نسبة النتائج	%66

انطلاقا من النتائج الواردة في الجدول أعلاه، والتي اشتملت على المؤشرات الأساسية لعنصر التخطيط للوقت وعلاقته بزيادة إنجاز الاعمال فإنها تترجم وجود علاقة ارتباطية بين التخطيط للوقت وزيادة إنجاز العمل، وهذا ما تأكدنا منه ميدانيا ومتوسط النتائج المقدر بـ 66%، بمعنى أن التخطيط للوقت يساهم في زيادة التحكم في العمل وسرعة إنجازه ومنع الازدواجية وزيادة الإقبال على العمل وضبط الطريقة المثلى لأدائه.

ب– نتائج الفرضية الفرعية الثانية يساهم تنظيم الوقت في رفع معدل الرضا الوظيفي للعامل :

لقد أفضت النتائج المتعلقة بمؤشرات هذه الفرضية والمستقاة من مجتمع الدراسة، وبغية الكشف عن مدى تحققها تم وضع اهم نتائجها في الجدول ويحتوى على متوسط التحقق منها التالي:

تنظيم الوقت و الرضا المهني	**النسبة الكلية**
معظم افراد عينة الدراسة أقروا أن المكالمات الهاتفية هي التي تقطع عملهم وتشغلهم عن قيامهم بالمهام الموكلة إليهم، و يقومون بتعويض الوقت المهدور .	%68.65
معظم العمال يقومون بترتيب المهام الموكلة إليهم على أساس الأولوية ودرجة الأهمية	%63.47
إجمالي نسبة المبحوثين يقومون أحيانا بتسجيل مواعيدهم اليومية والأسبوعية.	%46.08

إجمالي نسبة المبحوثين يقومون بتجميع الأعمال البسيطة (الروتينية) إلى وقت محدد ثم يقومون بها وهذا يشعرهم براحة نفسية	%60
إجمالي نسبة عينة الدراسة يقرون أن مشرفهم أحيانا ما يقوم بتفويض جزء من أعماله.	%68.69
إجمالي نسبة عينة الدراسة راضين عن كيفية تسيير وقتهم.	%67.82
إجمالي عينة الدراسة أكدوا أن المشرف يتابعهم ليستخلص مدى تقدمهم في إنجاز المهام الموكلة إليهم	%84.34
إجمالي نسبة عينة الدراسة أكدوا أنهم أحيانا ما يعتمدون على الساعة الميقاتية من أجل معرفة كيفية انقضاء الوقت وذلك لمحاولة السيطرة عليه	%51.30
متوسط نسبة النتائج	%64

الجدول رقم (06): النتائج الخاصة بعلاقة تنظيم الوقت وعلاقته بمعدل الرضا المهني:

من خلال النتائج السابقة نستخلص أن العمال يقومون بتنظيم وقت عملهم وذلك من خلال تسجيل وقت العمل وتحليله، فمعرفتهم بأهم مضيعات الوقت التي تصادفهم وترتيبهم للأنشطة حسب درجة أهميتها من خلال تفضيل البدء بالأعمال السهلة ثم الأعمال الصعبة يساعدهم في كثير من الأحيان على الاستمرارية والتقدم في إنجاز الأعمال وزيادة الدافعية للعمل وتوفير الجهد وتجنب القيام بالعمل أكثر من مرة، كما أن تفويض السلطة للعمال يزيد من ولائهم وانتمائهم لمؤسستهم، وهذا ما عبرت عنه المتوسط الحسابي لمجموع النتائج والمقدر ب 64%، وعلى هذا الأساس نستطيع القول أن المتغيرات الخاصة بالفرضية الثانية والقائلة "بمساهمة تنظيم وقت العمل في زيادة الرضا الوظيفي لدى العمال" محققة.

ج- نتائج الفرضية الفرعية الثالثة: " تساهم متابعة وقت العمل في زيادة فعّالية سلوك العامل":من خلال الشواهد الاحصائية المتعلقة بمؤشرات هذه الفرضية، والتي نوردها في الجدول التالي:

متابعة الوقت و فعالية سلوك العامل	**النسبة الكلية**
إجمالي نسبة المبحوثين يحافظون دائما على مواقيت الدوام سواء حين الدخول أو الخروج.	%59.56
إجمالي نسبة عينة الدراسة موافقين على أن متابعة المشرف لهم تدفعهم إلى	%60

المواظبة في إنجاز العمل.	
إجمالي نسبة المبحوثين ترى أن المشرف يبدي أهمية للوقت الذي يقضيه العامل في إنجاز مهمة معينة.	%72.17
إجمالي نسبة المبحوثين يقومون بتنفيذ التزاماتهم في وقتها المحدد لها	%56.52
إجمالي نسبة عينة الدراسة تؤكد أن تعامل المؤسسة مع الوقت يرفع من أداء أفرادها وذلك من خلال التحديد الواضح للاختصاصات والإجراءات والآليات التي من شأنها أن تزيد من استغلال العمال للوقت	%93.04
إجمالي نسبة عينة الدراسة يقومون ببرمجة وقتهم وفق جدول زمني منظم	%77.39
إجمالي نسبة المبحوثين ينصتون إلى مشرفهم عندما يكلفهم بإنجاز مهام معينة	%75.12
إجمالي نسبة المبحوثين يؤكدون أن الرقابة الموجودة داخل المؤسسة هي الرقابة الذاتية	%58.25
متوسط نسبة النتائج	%69

الجدول رقم: (07) النتائج المتعلقة بمساهمة متابعة الوقت في زيادة فعّالية سلوك العامل:

من خلال إجمالي النسب الواردة في الجدول اعلاه يتضح أن هناك متابعة للعمال على وقت عملهم ويتجلى ذلك أكثر من خلال اعتماد المؤسسة على المتابعة المستمرة وتبسيط إجراءات العمل ومحاولة توفير المعلومة الخاصة بإجراء العمل، كذلك تحفيز العمال للقيام بالمهام في الوقت المحدد، وهذا ما يزيد من مواظبة العمال في إنجاز المهام الموكلة إليهم والارتباط بالعمل، وهذا ما عبر عنه متوسط النتائج و المقدر ب 69% ، وهذا بدوره يدفعنا لاستخلاص النتيجة الجزئية التالية: إنّ لإدارة الوقت دور كبير في تفعيل أداء الموارد البشرية داخل أي مؤسسة جراء ما تلعبه من زيادة الالتزام المهني للموارد البشرية.

د– نتيجة عامة:

من مجمل ما سبق يتبين أن الفرضية الجزئية الأولى والتي مفادها: وجود علاقة بين **التخطيط الوقت وزيادة إنجاز العمل** قد تحققت ميدانيا، جراء كون تحديد الأهداف والأولويات وتحديد المهام والواجبات يساهم في سهولة البدء في العمل وزيادة الرغبة في العمل.

كما نستخلص ايضا أن الفرضية الفرعية الثانية قد ترجمت ميدانيا من حيث علاقة **تنظيم الوقت ومساهمته في زيادة الرضا الوظيفي لدى العامل**، وذلك من حيث تسجيل وتحليل وقت العمل وتفويض السلطة وكيف تساهم في زيادة الروح المعنوية ودرجة الاستمتاع والانتماء والولاء للمؤسسة.

كذلك استنادا إلى الفرضية الجزئية الثالثة ةالتي مفادها مساهمة **متابعة وقت العمل في زيادة تفعيل سلوك العامل** قد تحققت ميدانيا أيضا، وهذا ما نلمسه من خلال دور كل من المتابعة على وقت العمل وفعّالية الاتصال في زيادة الالتزام المهني والتقدم في إنجاز المهام، كذلك من خلال تحفيز العمال للقيام بالمهام في الوقت المحدد وزيادة الاستقرار النفسي.

من خلال الشواهد الكمية التي بينتها النتائج الإحصائية حول الفرضيات يبدو جليا أن إدارة الوقت تساهم بشكل ملاحظ في الأداء، وهذا ما يوصلنا إلى تحقق الفرضية العامة القائلة " أن هناك علاقة بين إدارة الوقت والأداء" وذلك من خلال مساهمة متغيرات إدارة الوقت في الأداء والتي كانت محور الدراسة الراهنة.

خاتمة:

جاءت هذه الدراسة المعنونة بإدارة الوقت والأداء، للبحث عن العلاقة الارتباطية بين هذين المتغيرين وباقي المتغيرات التنظيمية داخل المؤسسة، وللوصول إلى هذا المسعى جسدنا ذلك من خلال:

البحث في الجانب المعرفي والأدبيات التي كتبت حول إدارة الوقت والأداء، ومختلف التراث النظري، من أجل تحديد معالم الموضوع والإحاطة بمختلف جوانبه وماذا نريد أن ندرس وعن أيّ شيء نبحث، بعدها تطرقنا إلى الإطار المفاهيمي لكلا المتغيرين لنصل إلى المعالجة النظرية لمختلف المقاربات التنظيمية، وكيف عالجت علاقة إدارة الوقت بالأداء في ضوء المفاهيم الخاصة بها، والقضايا التي طرحتها، حتى نستطيع الخروج برؤية نظرية تساعدنا على تحقيق أهداف الدراسة، وإيجاد إجابة حاسمة عن تساؤل الإشكالية والتأكد من مدى صدق الفروض المطروحة.

فبعد جمعنا لجملة من النتائج الميدانية والمبوبة في جداول إحصائية، وهي ذات علاقة بالمتغيرات الأساسية للدراسة ومرتبطة بالفروض المطروحة، فتناولت الفرضية الأولى دور التخطيط للوقت وزيادة انجاز العمل، وتم ترجمتها في مؤشرات تخص كل من تحديد الأهداف والأولويات، وتحديد الوقت الذي يستغرقه انجاز المهام والأنشطة، وكيف يساهم في سهولة البدء في العمل وزيادة الرغبة في العمل وإدراك الدور وهذا ما تأكدنا منه ميدانيا.

أما الفرضية الثانية والقائلة بمساهمة تنظيم وقت العمل في زيادة الرضا الوظيفي لدى العمال، وتمحورت مؤشراتها حول مدى مساهمة تسجيل وتحليل وقت العمل وتفويض السلطة في زيادة الروح المعنوية ودرجة الاستمتاع والانتماء للمؤسسة، وهو ما وجدناه ميدانيا مما يدعم صدقها الإمبريقي.

في المقابل الفرضية الثالثة، والتي ترتبط بين كل من متابعة وقت العمل وزيادة تفعّيل سلوك العامل، كشفت لنا عن العلاقات بين مؤشراتها المتعلقة بالرقابة على زمن العمل وفعّالية الاتصال وتحفيز العمال، للقيام بالمهام في الوقت المحدد ومساهمته في زيادة التحكم والرغبة في العمل وإدراك الدور .

وفي إطار رصد العلاقة بين إدارة الوقت والأداء، فانه يمكن القول ان الفرضية العامة قد تحققت أي أنّ هناك علاقة بين متغيرات الدراسة، وتقصيها في سياقات اجتماعية متباينة، آخذين بعين الاعتبار أن هذه السياقات محكومة بأطر اجتماعية واقتصادية وسياسية.

الهوامش:

(1) ابن منظور: لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، ج13، 1956 ،ص 107.

(2) موسى لحرش: إستراتيجية البناء الحضري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، جامعة عنابة، الجزائر، 2006، ص123.

(3) ربحي مصطفي عليان: إدارة الوقت النظرية والتطبيق، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1 ،2005، ص 29.

(4) حسن رعد الصرن: فن إدارة الوقت، دار الرضا، دمشق (سوريا)، 2000، ص 47.

(1) Michael Maoris: the first time manager, Cogan page, London, 3ed, 2005, p105.

(2) خالد الجريسي: إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري ،مؤسسة الجريسي للنشر والتوزيع والإعلان، الرياض (السعودية) ،2001،ص 53.

(3) Robert le Duff: encyclopédie de loi gestion et du management, Dalloz, paris 1999, p 1233.

(1) قاسم نايف علوان، نجوى رمضان إحميد : إدارة الوقت ، مفاهيم-عمليات-تطبيقات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان(الاردن)، ط1، 2009، ص ص 62-71.

(2) محمد الصيرفي: إدارة الوقت، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، 2006-2007، ص44.

(3) Theirsouccar, franc cousin, chantalgoldstein: le guide nouvelle observateur du temps firstedpovus, 1992, p 4.

(4) حنفي عبد الغفار، عبد السلام أبو قحف، تنظيم وإدارة الأعمال، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1993، ص ص 19-80.

(5) محمد بهجت جاد الله كشك: المنظمات وأسس إدارتها، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، الإسكندرية، 2007، ص 283.

(1) حبيب الصحاف: معجم إدارة الموارد البشرية وشؤون العاملين، مكتبة لبنان ناشرون، ط1،1997،ص97.

(2) علي السلمي: إدارة الموارد البشرية، دار غربي للنشر والتوزيع، القاهرة (مصر)، 1997، ص 79.

(3) Szhlaggi and Wallace organizational behavior and perfennance good your publhshinghng. Santa Monica. Second ed . 1980 , p 443.

(1) محمد توفيق الماضي: الأساليب الكمية في مجال الإدارة، الدار الجامعية، الاسكندرية (مصر)، 1995، ص 13.

(2) مصطفى عشوي: مدخل إلى علم النفس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990 ص 189.

(3) طلعت إبراهيم لطفي : علم اجتماع التنظيم، دار غريب للنشر، الإسكندرية، 1996، ص64.

(4) CJDC centre des jenns dirigent :le guide de la performance global, édition d'organisation , paris, 2004.

(1) http://www.skikda-port.com. التاريخ:05-01-2015. الساعة:17:05.

إستراتيجية الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية للحد من البتر المكتسب لدى مرضى السكري

أ/ ضيف الله حبيبة، جامعة تيارت   بإشراف: د/ سامية شويعل، جامعة الجزائر

الملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على مستوى الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية المقدمة لمرضى السكري على مستوى المستشفيات والمراكز الصحية التابعة لها من وجهة نظر المرضى، وهذا باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، وتطبيق أداة دراسة مكونة من ست أبعاد حيث تم إعدادها خصيصا لهذه الدراسة، فتم تطبيقها على عينة قصدية متكونة من (40) مريض ومريضة مصابين بالداء السكري من المستشفى والمراكز التابعة له وعيادات خاصة في ولاية مسيلة، حيث أظهرت النتائج أن نسبة تقديم مختلف الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية لمريض السكري كانت في المستوى المتدني بنسبة(33.33%)، وحصلت اغلب أبعاد الاستبانة على نسب خدمات متدنية تراوحت بين (33.88%-47.70%) باستثناء البعد الاجتماعي فحصل على نسبة في المستوى المتوسط تقدر ب (53.88%)، بعدها فسرت النتائج في ضوء الدراسات السابقة، وتوجت الدراسة بجملة من المقترحات والتوصيات .

الكلمات المفتاحية : الخدمات الصحية، الخدمات النفسية، الخدمات الاجتماعية، مريض السكري، البتر المكتسب.

1 – إشكالية الدراسة:

إن الإحصائيات تتفاوت بين مختلف الشعوب والدول في نسب الإصابة بمرض السكري، حيث تبلغ النسبة العالمية لانتشاره حوالي 6 %وهي نسبة عالية مقارنة بما كانت عليه خلال عقدين من الزمن .

حيث تتوقع منظمة الصحة العالمية أن عدد البالغين المصابين بالداء السكري سيتضاعف بحلول عام 2025 م ليصل حوالي إلى 300 مليون نسمة أي بنسبة 122 % معظمهم من الدول النامية، بما ينذر بحدوث وباء عالمي في غضون العقدين القادمين.وتؤكد المؤشرات الحالية أن أعداد الحالات الجديدة التي يتم تشخيصها سنويا في تزايد مستمر في كل دول العالم تقريبا، مما يشكل تحديا للخدمات الصحية في كافة أقطار العالم[1].

والجزائر كباقي هذه الدول يهددها خطر انتشار هذا المرض حيث أعلنت الفيدرالية الوطنية لمرضى السكري عشية إحياء اليوم العالمي للداء إصابة 5,3 مليون جزائري بمرض السكري، رقم يرى الأخصائيون أنه مرعب، خاصة في ظل انتشار المرض بين الفئات الشابة.

والداء السكري من الأمراض التي تصيب الفرد وتستمر معه طوال الحياة ولذلك فهو يحتاج إلى استمرارية في العلاج والمتابعة الطبية، فهو ليس كغيره من الأمراض المعتادة، فانه لايصيب عضوا أو جزءا فقط من أعضاء الجسم وإنما يصيب ويؤثر تأثيرا سلبيا على كل أعضاء الجسم بداية من الجلد ونهاية بالعظم مرورا على كل الأنسجة والأجهزة من قلب وأوعية دموية وأعصاب وعضلات[2].

كالإصابة بقدم السكري التي تهدد 200 ألف مريض ببتر القدم إضافة إلى إصابة 80 بالمائة من مرضى السكري في الجزائر بضغط الدم الشرياني مما يشكل أخطارا ومعاناة مزدوجة[3].

فمرض السكري هو مرض صامت وغير مؤلم وتطوره يكون دائما نحو المضاعفات الايضية خاصة الانحلالية والمخلفات غير المؤلمة تكون بسبب غياب الألم عند المريض في الجزء المسئول عن التطور الخطير للإصابة، وفي حالات مرض السكري تقدر أهمية الوقاية بشكل كبير[4] .

حيث توصلت دراسة Diana Youssouf عن البتر الناتج عن مضاعفات السكري في مستشفى ناناكورو nianankoro بمالي وجد أن مضاعفات السكري الأكثر تكرارا عند مريض السكري هي قدم السكري « le pied diabétique » فنجد حوالي 60% من البتور الغير ناتجة عن الرضوض بل ناتجة عن مرض السكري .

فيقر المجلس السكري الاسترالي **Australian Diabetes Council** بأنه لايوجد شفاء لمرض السكري ولكن مع الإدارة السليمة يمكن لمعظم الناس أن يتمتعوا بحياة كاملة ونشيطة وتأخير أو منع المضاعفات على المدى الطويل، ولتامين الصحة المثلى فان الأشخاص الذين يعانون من السكري وأسرهم بحاجة إلى فهم الكثير حول هذا المرض .

لهذا وجب تقديم لهؤلاء المرضى الرعاية الكاملة بمختلف جوانبها الصحية والنفسية والاجتماعية وذلك لتفادي مجمل المضاعفات الخطيرة التي قد تنجم عن مرض السكري وأولى هذه المضاعفات البتر الناتج عن تعفن قدم المريض

ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة لتحاول تشخيص واقع الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية في المستشفيات والمراكز الصحية بأحد المدن الجزائرية تفاديا للمضاعفات الخطيرة التي قد تنجم على احد الأمراض المزمنة ألا وهو مرض السكري من خلال تحليل وجهات نظر عينة من المرضى المصابين بهذا الداء، وعليه فإن الدراسة الحالية وفي إطار المنهج الوصفي التحليلي تسعى للإجابة عن التساؤلات التالية:

1- ما مستوى خدمات الصحة العامة المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر ؟

2 – ما مستوى الخدمات النفسية المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر ؟

3 – ما مستوى الخدمات الاجتماعية المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر ؟

4 – ما مستوى خدمات الغذاء الصحي المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر ؟

5 – ما مستوى الخدمات النشاط الرياضي المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر ؟

6 – ما مستوى خدمات رعاية قدم السكري المقدمة للمريض المصاب بالداء السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر ؟

2 – فرضيات الدراسة:

1 – ينخفض مستوى خدمات الصحة العامة المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر.

2- ينخفض مستوى الخدمات النفسية المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر.

3- ينخفض مستوى خدمات النشاط الرياضي المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر.

4 – ينخفض مستوى خدمات الغذاء الصحي المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر .

5 – ينخفض مستوى الخدمات الاجتماعية المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر .

6 – ينخفض مستوى خدمات رعاية قدم السكري المقدمة للمريض للحد من البتر المكتسب بالجزائر .

3– أهداف الدراسة: تتجلى أهداف الدراسة الحالية في :

– الكشف عن مستوى خدمات الصحة العامة والخدمات النفسية المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب من وجهة نظر المرضى المصابين بهذا الداء .

– الكشف عن مستوى خدمات النشاط الرياضي والغذاء الصحي المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب من وجهة نظر المرضى المصابين بهذا الداء .

– التعرف عن مستوى الخدمات الاجتماعية ورعاية قدم السكري المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب من وجهة نظر المرضى المصابين بهذا الداء .

4– تحديد المفاهيم:

4-1- الإستراتيجية: الإستراتيجية عامة هي جملة الإجراءات المستخدمة لمعالجة مهمة لتحقيق هدف محدد أو أكثر،

وهي فن استخدام الإمكانيات والوسائل المتاحة بطريقة مثلى لتحقيق الأهداف المرجوة على أفضل وجه ممكن[5].

وتعرف الخدمات هي مختلف البرامج الصحية والوقائية المنظمة والهادفة إلى توفير العلاج والحماية من مضاعفات الأمراض وهي خدمات تهتم بتحسين مستوى معيشة مرضى السكري صحيا ونفسيا واجتماعيا وتمارس هذه البرامج والاستراتيجيات داخل المستشفيات والمراكز الصحية التابعة له من قبل الكادر الوظيفي العاملين في هذه المؤسسات .

4–2– مرض السكري: هو مجموعة من اضطرابات التمثيل الغذائي تؤدي إلى عدم قدرة الجسم على استهلاك الجلوكوز الموجود بالدم بطريقة طبيعية، مما يؤدي إلى ارتفاع مستوى سكر الدم، إما نتيجة لنقص كامل أو جزئي للأنسولين الذي يفرزه البنكرياس أوعدم فاعلية الأنسولين الموجود على خلايا الجسم[6].

يعرف إجرائيا في هذه الدراسة بأنه مجموعة المرضى المصابين بالداء السكري والذين يتوافدون الى المستشفيات والمراكز الصحية والعيادات الخاصة بولاية المسيلة .

4–3– الرعاية الصحية: هي مجمل الخدمات الصحة الجسمية التي توفر التوافق التام بين الوظائف الجسمية المختلفة مع القدرة على مواجهة الصعوبات والتغيرات المحيطة بالإنسان والإحساس الايجابي بالنشاط والقوة والحيوية[7].

كما أن الخدمات الصحية تتنوع بين برامج الخدمات الوقائية و برامج الخدمات العلاجية فالبرامج الوقائية تركز على الوقاية من المشكلات الصحية بالدرجة الأولى سواء كانت الوقاية أولية أو ثانوية وبالعلاج بالدرجة الثانية أما الخدمات الصحية العلاجية فهي تلك التي تقدم في المؤسسات الصحية كالمستشفيات أو العيادات ومراكز الرعاية .

وتعرف إجرائيا: بأنها مجموع الخدمات الصحية التي تقدم لمرضى السكري والمتمثلة في الدرجات المتحصل عليها عينة الدراسة في بعد الصحة العامة،وبعد الغذاء الصحي وبعد النشاط الرياضي، بعد رعاية القدم .

4– 4– الرعاية النفسية : وهي مجموع الخدمات التي تقدم للفرد لكي يصل إلى الصحة النفسية باعتبارها حالة ايجابية توجد لدى الفرد وتظهر في مستوى قيام وظائفه النفسية بمهمتها بشكل حسن ومتناسق ومتكامل في وحدة الشخصية[8].

وتعرف إجرائيا: على أنها مجموع الخدمات النفسية المقدمة لمرضى السكري والمعبر عنها بالدرجات المتحصل عليها من خلال بعد الخدمات النفسية .

4 –5– الرعاية الاجتماعية : هي العمليات المهنية التي يقوم بها الأخصائي الاجتماعي لدراسة استجابات المريض إزاء مشاكله المرضية وتتضمن خدمة الفرد وخدمة الجماعة في بعض المواقف، وذلك في المستشفيات والعيادات وغيرها من المؤسسات الطبية لتوفير الفرص الملائمة التي تسمح للمريض بالانتفاع بالخدمات الطبية بطريقة فعالة[9].

تعرف إجرائيا في هذه الدراسة بأنها الرعاية الاجتماعية المقدمة لمرضى السكري ومجموع الدرجات المتحصل عليها من خلال الأداة المطبقة في الدراسة الحالية وبالتحديد بعد الخدمات الاجتماعية .

4-6- تعريف البتر المكتسب: هو فقدان طرف أو أكثر من أطراف الجسم جزئيا أو كليا في مراحل لاحقة من العمر بسبب التعرض للحوادث أو الأمراض الخطيرة كمرض السكري[10].

5- منهج الدراسة:

يتوقف نجاح المنهج الذي يختاره الباحث على مدى توافقه مع طبيعة الدراسة، وعلى مدى تحكم الباحث في تقنياته، وقد تم اختيار المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى وصف وتحليل البيانات المحصل عليها، حيث نسعى من خلال استخدام هذا المنهج إلى تحليل وجهات نظر عينة من المرضى المصابين بالداء السكري بولاية المسيلة حول مختلف الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية المقدمة لهم على مستوى المستشفيات والمراكز الصحية التابعة لها وكذا العيادات الخاصة التي يقومون بالفحص الدوري على مستواها .

6- عينة الدراسة:

تمثلت عينة الدراسة في مجموعة من المرضى المصابين بالداء السكري على مستوى ولاية المسيلة، وقد تم اختيارها بالطريقة القصدية من مجتمع الدراسة، والمتكونة من 20 مريض ومريضة ممن يتلقون العلاج على مستشفى الزهراوي والعيادات الخاصة والحكومية التابعة لولاية المسيلة، وقد تم اختيار هذه العينة بعد إجراء الدراسة الاستطلاعية.

7- أدوات جمع البيانات:

1- المقابلة الشخصية غير المقننة: اعتمدت الباحثة على المقابلة الشخصية مع الأطباء المتخصصين والعامين والأكاديميين المتخصصين وبعض أفراد عينة الدراسة بحيث أصبح هناك وعي كامل بأهداف الدراسة، وتم إعداد الأداة بناءا على مراجعة الأدب التربوي والدراسات السابقة المرتبطة بموضوع الدراسة الحالية كما أمكن من خلال الحوار التوصل للعبارات المكونة لاستمارة الاستبيان.

2- أداة الدراسة وتشمل الاستبيان " إعداد الباحثة " واتبعت الباحثة في إعداده الخطوات التالية:

- تحديد الهدف من الاستبيان: تم تحديد هدف الاستبيان بالتعرف على واقع الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية من وجهة نظر المرضى المصابين بهذا المرض، ولهذا الغرض قامت الباحثة بالاطلاع على المراجع العلمية المتخصصة والدراسات التي تناولت مرضى السكري والخدمات الواجب تقديمها لهم وكذا

المضاعفات الناجمة على هذا الداء في حالة غياب الرعاية اللازمة بهدف تحديد مضمون فقرات محاور المقياس.

– **تحديد محاور الاستبيان:** بعد الاطلاع على الدراسات والبحوث العلمية وتحديد هدف الاستبيان ومن خلال المقابلات الشخصية مع بعض الأطباء المتخصصين في أمراض الغدد والسكري والأطباء الذين يعملون في المستشفيات والأكاديميين المتخصصين في التربية الخاصة والصحة النفسية تم تحديد المحاور الأساسية للدراسة وتم عرض هذه المحاور على (10) خبراء يحملون درجة الدكتوراه ولا تقل عدد سنوات الخبرة لديهم عن 10 سنوات لإبداء مدى مناسبة هذه المحاور لأهداف الدراسة وكذلك تحديد الأهمية النسبية لكل محور، وقد اتفقوا على وجود (6) محاور للاستبانة من أصل (6) محاور، وفيما يلي عرض للمحاور والنسب المئوية لأراء الخبراء كما يوضحه الجدول التالي:

جدول (01): يمثل النسب المئوية لأراء الخبراء قبل وبعد التحكيم لمحاور الاستبانة

الرقم	المحاور	الموافقة	النسبة المئوية
1	الصحة العامة	10	%100
2	الخدمات النفسية	10	%100
3	خدمات النشاط الرياضي	10	%100
4	الغذاء الصحي	10	%100
5	الخدمات الاجتماعية	10	%100
6	رعاية قدم السكري	10	%100

يتضح من الجدول رقم (01) أن جميع المحاور الخاصة بالاستبانة قد حصلت على نسبة (100%) وقد تم قبول تلك المحاور التي حصلت على نسبه أكبر من 70%.

–**صياغة عبارات الاستبيان:** قامت الباحثة بوضع مجموعة من العبارات لكل محور من محاور الاستبيان وتم عرض هذه المحاور على الخبراء لإبداء مدى مناسبة هذه العبارات لمحاور وأهداف الدراسة، وقد بلغ عدد العبارات الخاصة باستمارة عينة البحث اثنان وستون (62) عبارة موزعة على محاور الاستبيان، وقد روعي عند صياغة العبارات أن يكون للعبارة معنى واحد وأن تكون لغة كل عبارة صحيحة وتجنب استعمال الكلمات التي تحمل أكثر من معنى، وفيما يلي عرض للمحاور وعدد العبارات قبل وبعد التحكيم كما يوضحه الجدول التالي:

جدول (02) يمثل: عدد العبارات قبل وبعد التحكيم لمحاور الاستبانة

الرقم	المحاور	العبارات قبل التحكيم	العبارات بعد التحكيم
1	الصحة العامة	16	16
2	الخدمات النفسية	6	6
3	خدمات النشاط الرياضي	11	11
4	الغذاء الصحي	8	8
5	الخدمات الاجتماعية	9	9
6	رعاية قدم السكري	12	12
	عدد بنود الاستبانة	62	62

يتضح من جدول (01) وجدول (02) أن آراء الخبراء اتفقت على وجود (6) محاور لاستبانه من أصل (6) محاور وعدد (62) عبارة من أصل (62) عبارة، وبذلك أصبحت الاستمارة الخاصة بواقع مختلف الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية جاهزة لعمل المعاملات العلمية الخاصة بالصدق والثبات.

-**تصحيح الاستبيان:** لتصحيح الاستبيان قامت الباحثة بوضع ميزان تقديري ثلاثي، وقد تم تصحيح العبارات كالتالي: **نعم** (3) ثلاث درجات، - **إلى حد ما** (2) درجتان، - **لا** (1) درجة واحدة.

كما اعتمد في بنائها على سلم ليكرت الثلاثي الذي يعبر عن درجة الشيوع بالبدائل التالية : (كبيرة، متوسطة، قليلة) وتقابلها الدرجات (1.2.3) على الترتيب، كما تم اعتماد 3 مستويات للشيوع هي:

- مستوى مرتفع: يقابل نسبة مئوية تقع بين (70-100%)
- مستوى متوسط : يقابل نسبة مئوية تقع بين (50-69%)
- مستوى منخفض : يقابل نسبة مئوية تقع مادون (50%).

- **صدق الاستبانة:** للتحقق من صدق فقرات الاستبانة وصلاحيتها من حيث الصياغة والوضوح تم حساب ما يلي:

- **صدق المحكمين**: حيث عرضت الأداة في صورتها الأولية على (10) أساتذة وأطباء من داخل الوطن وخارجه، وتم الاتفاق على وضوح البنود وارتباطها بالمجالات المراد قياسها، حيث بلغت نسبة الاتفاق بين المحكمين من (70- 100%) كما جرى تعديل صياغة بعض الفقرات دون حذف أي فقرة من الفقرات لتصبح الأداة مكونة من (62) فقرة موزعة على أبعادها الستة، وبهذا تكون قد حققت الصدق المطلوب.

- **الصدق التمييزي**:

تم حسابه بعد ترتيب درجات العينة الاستطلاعية المكونة من (40) فرد من أعلى درجة إلى أدناها، ثم حساب اختبار دلالة الفروق (ت) بين مجموعتين حيث تمثل المجموعة الأولى المجموعة العليا في مستوى تقديم مختلف الخدمات، والمجموعة الثانية تمثل المجموعة الدنيا أيضا مستوى تقديم مختلف الخدمات لمريض السكري وكل مجموعة تمثل (27%)، أي ن=11 أفراد. والجدول رقم (02) يوضح النتائج المحصلة :

جدول رقم (03) يوضح دلالة الفروق (ت) بين المجموعة العليا والمجموعة الدنيا في مستوى مختلف الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية المقدمة لمريض السكري .

الفئات	عدد أفراد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
عينة المجموعة العليا	11	106.81	23.05	20	20.09	0.01 دالة
عينة المجموعة الدنيا	11	68.63	13.12			

من خلال الجدول رقم(03) نلاحظ أن قيمة "ت" المحسوبة قد بلغت (20.09) وهي دالة عند مستوى الدلالة (0.01) وهذا مقارنة مع قيمة "ت" المجدولة، وهذا يؤكد قدرة المقياس على التمييز بين المجموعتين العليا والدنيا، وبالتالي يعتبر صادقا لما وضع لقياسه.

- **ثبات الاستبانة**: تم التحقق من ثبات الاستبانة بطريقة التجزئة النصفية بين العبارات الزوجية و العبارات الفردية وحساب معامل الثبات باستخدام معادلة" سبيرمان -براون "، وتم التوصل إلى هذه النتائج :

جدول رقم (04) يوضح المتوسط الحسابي وقيمة (ر11) ومستوى الدلالة بين الفقرات الفردية والزوجية في مستوى مختلف الخدمات

الاستبانة	حجم العينة الاستطلاعية	متوسط العبارات الفردية	متوسط العبارات الزوجية	درجة الحرية	قيمة (ر11) قبل التصحيح	قيمة (ر11) بعد التصحيح	مستوى الدلالة
	40	45.25	42.47	39	0.91	0.95	0.01

من خلال الجدول رقم (04) نلاحظ أن قيمة معامل الثبات(ر11) المحسوبة قد بلغت بعد التصحيح(0.95) وهي قيمة دالة عند مستوى الدلالة (0.01) ومقارنة مع القيمة المجدولة فهي قيمة مرتفعة تعبر عن ثبات الاستبانة و صلاحيتها للتطبيق في الدراسة الحالية.

8- الأساليب الإحصائية: تمت معالجة البيانات بعد جمعها و تحليلها بواسطة التقنيات الإحصائية التالية:

- التكرارات والنسب المئوية: استخدمت في حساب مستوى الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية التي تقدم للمرضى

- اختبار(ت) (T.test) : استخدم في حساب صدق الأداة .

- معامل الارتباط بيرسون : استخدم في حساب ثبات أداة الدراسة.

- المتوسطات والانحرافات المعيارية : استخدمت في حساب صدق وثبات أداة الدراسة.

9- نتائج الدراسة:

9-1- عرض وتحليل النتائج في ضوء الفرضية الأولى:

تنص الفرضية الأولى على انخفاض مستوى خدمات الصحة العامة المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب من وجهة نظر مرضى السكري بالجزائر، ومن خلال تحليل البيانات تم التوصل إلى النتائج المبينة في الجداول المرتبة أدناه حسب الأبعاد الستة لاستبانة الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية :

جدول رقم (05): يمثل التكرارات والنسب المئوية والرتب في مستوى خدمات الصحة العامة

الرقم	البعد الأول (الصحة العامة)	التكرارات	النسبة المئوية	الترتيب
01	القيام بفحص طبي لصالح مريض السكري بانتظام وبشكل دوري من قبل الطبيب المختص في أمراض السكري على مستوى المستشفى	36	% 60	2
02	إعطاء شرح كافي ومبسط لمريض السكري بخصوص نوعية المرض الذي يعاني منه	32	%53.33	4
03	إجراء فحص طبي شامل لمريض السكري من قبل طبيب عام في المستشفى	33	%55	3
04	تقديم شرح مفصل للمريض عن كيفية استعمال أدوية مرض السكري	38	%63.33	1
05	مراقبة سكر الدم للمريض الصائم dosage	29	%48.	8

	33		بشكل دوري على مستوى المستشفى والمراكز التابعة له	
6	% 51.66	31	فحص وزن المريض بانتظام خلال كل زيارة للطبيب المعالج	06
5	%53.33	32	قياس الضغط الدموي للمريض بشكل منتظم وخلال كل زيارة للطبيب المعالج	07
15	%36.66	22	فحص نسبة الكوليستيرول CHOLESTEROL ET LDL في الدم للمريض في المستشفى كل ثلاثة أشهر	08
14	%38.33	23	فحص نسبة TRIGLYCERIDE في الدم للمريض وعلى مستوى المستشفى كل ثلاثة أشهر	09
9	%46.66	28	فحص سكر خضاب الدم HBA1C بشكل منتظم وخلال كل ثلاثة أشهر على مستوى المستشفى	10
10	%43.33	26	القيام بتحليل البول للبحث عن ألبومين المجهري MICROALBUMINE URIE كل ستة أشهر	11
16	%36.66	22	فحص فم و أسنان مريض السكري كل ستة أشهر	12
11	%43.33	26	إجراء فحص مدقق لكليتي المريض بشكل منتظم ودوري كل ستة أشهر	13
13	%40	24	فحص رسم تخطيط القلب ECG لمريض السكري كل ستة أشهر	14
12	%43.33	26	إجراء فحص مدقق للبصر وشبكية العين FOND DE L'OEIL لمريض السكري من قبل طبيب العيون كل ستة أشهر	15
7	%50	30	تنبيه الطبيب المعالج مريض السكري بضرورة الابتعاد نهائيا عن التدخين	16
	%47.70	458	**البعد ككل**	

من خلال الجدول رقم (05) نلاحظ أن مستوى الخدمات المقدمة لمريض السكري في البعد الأول والمتعلق بالصحة العامة قد بلغت (47.70%) وهي قيمة تقع في المستوى المتدني، كما حصلت معظم الفقرات على مستويات متدنية (48.33%، 46.66%، 43.33%، 40%، 38.33%، 36.66%) وهي تمثل على التوالي الفقرات

(5، 10، 1311،15، 14، 9، 8، 12) إلا بعض الفقرات التي تحصلت على المستوى المتوسط مثل الفقرة رقم 4 والتي حصلت على الترتيب الأول بنسبة قدرها (63.33%) و جاءت الفقرة الأولى في الترتيب الثاني بنسبة قدرها (60%) تليها الفقرة الثالثة في الترتيب الثالث بنسبة (55%)، أما الفقرتان الثانية والسابعة فجاءتا في المستوى المتوسط أيضا بنسبة قدرها (53.33%)، و حلت الفقرة السادسة

في الترتيب السادس بنسبة قدرها (51.66%)،في حين حلت الفقرة السادسة عشر الترتيب السابع بنسبة قدرها (50%).فمن خلال تحليل هذه النتائج يتبين أن الفرضية الأولى محققة أي تدني في مستوى خدمات الصحة العامة الموجهة إلى مرضى السكري بالجزائر للحد من البتر المكتسب .

ويمكن تفسير هذه النتائج المتحصل عليها على أن مريض السكري لا يتلقى اغلب الخدمات الصحية على مستوى المستشفيات أو المراكز التابعة لها فاغلب هذه الخدمات تكون على مستوى العيادات الخاصة مما يضطر المريض لدفع الثمن مقابل تلقيه هذه الخدمات، على الرغم من أن اغلب هذه الخدمات تتواجد على مستوى المستشفيات كتحليل نسبة سكر دم الصائم حيث يعترض القائمين على أداء هذه الخدمة تأديتها لجميع مرضى السكري فقط ربما تكون في الحالات الطارئة كالحالات الاستعجالات مما يضطر المريض تأجيل عمل الفحوصات اللازمة في وقتها ربما لغلاء ثمنها أو عدم توفر الثمن كل مرة مما يحتم على المريض أن لايكون جادا في القيام بالعناية بنفسه وتأجيل المضاعفات قد المستطاع.

حيث نلاحظ هنا أن الفريق الطبي وعلى رأسهم الطبيب يقدم فقط خدمات التوجيه والتحذير من ممارسة بعض العادات السيئة التي تعود بالسلب على صحة المريض كعادة التدخين إن لم تكن في الفحص الأول فقط، كما نسجل الغياب التام لدور طبيب الأسنان حيث حصلت هذه الفقرة على الترتيب الأخير رغم وجود طبيب الأسنان على مستوى العيادات الحكومية فإنه لا يقوم بدوره على أكمل وجه خاصة مع عينات حساسة كعينة مرضى السكري .

في حين أن المراقبة والعناية الخاصة بمريض السكري في دول أخرى يعتبر هدف في قانون الصحة العمومية ففي فرنسا اجري تقييم لمختلف الخدمات التي يتلقاها مرضى السكري من سنة 2004 إلى غاية 2008 فخلصت نتائج هذا التقييم إلى انه تم التحكم بانتظام في تأدية مختلف الخدمات على مستوى المستشفيات حيث وصلت نسبة المتلقين 80% من المرضى وعلى رأس هذه الخدمات خضاب سكر الدم HBA1C ثلاث مرات في العام على الأقل، ووظائف الكلى وكمية الدسم في الدم وفحص العين FOND DE L'OEIL والأسنان والفم، وكذا فحص تخطيط القلب ECG ثلاث مرات على الأقل في العام[11].

فينصح جميع مرضى السكري بمراقبة مستوى السكر بالدم لديهم، لان المراقبة المستمرة لمستوى السكر تسهل التكيف المناسب للتعامل مع المرض مثل تغير جرعات الأنسولين والنظام الغذائي، والتمارين الرياضية لذلك فان الجهود تهدف إلى الوصول إلى حياة صحية والمحافظة عليها، وهما التحدي الأكبر لجميع مرضى السكر[12].

كما إن توقعات المرضى تدور حول الإصغاء إليهم وتقديم الرعاية والاهتمام بحالتهم وكذا بناء علاقة ثقة بهم[13].

9-2- عرض وتحليل النتائج في ضوء الفرضية الثانية : تنص الفرضية الثانية على انخفاض مستوى الخدمات النفسية المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر من وجهة نظر مرضى السكري، ومن خلال تحليل البيانات تم التوصل إلى النتائج المبينة في الجدول التالي :

جدول رقم (06) يمثل التكرارات والنسب المئوية والرتب في بعد الصحة النفسية

الرقم	البعد الثاني (الصحة النفسية)	التكرارات	النسب المئوية	الترتيب
01	وجود مختص نفسي على مستوى المستشفيات يقدم خدمات نفسية لمريض السكري أثناء تواجده بالمستشفى	20	33.33 %	3
02	إجراء جلسات الإرشاد النفسي لمريض السكري بانتظام على مستوى المراكز والمصالح الملحقة بالمستشفيات	20	33.33 %	4
03	تقديم تدريبات نفسية لضبط القلق والتغلب على ضغوط الحياة التي تواجه مريض السكري	21	% 35	1
04	تقديم جلسات الإرشاد الديني والروحي لمرضى السكري على مستوى مراكز تابعة للمستشفيات	20	33.33 %	5
05	تقديم جلسات نفسية لعلاج الاكتئاب الناتج عن مريض السكري	20	33.33 %	6
06	تقديم خدمات نفسية للتوافق النفسي للمريض	21	% 35	2
البعد ككل		122	% 33.88	

يتضح من الجدول رقم (06) أن نسبة الخدمات المقدمة لمريض السكري في بعد الخدمات النفسية قد بلغت (33.88%) وهي قيمة تقع في المستوى المتدني، وحصلت جل الفقرات على نسب تنتمي إلى المستوى المتدني وهي بين (35%) و(33.33%)، في حين كان ترتيب الفقرات على النحو التالي (3، 5،4،2،1،6) وكلها تنتمي إلى المستوى المتدني فمن خلال هذه النتائج يتبين أن الفرضية الثانية محققة أي تدني في مستوى الخدمات النفسية الموجهة إلى مرضى السكري بالجزائر للحد من البتر المكتسب .

ويمكن تفسير هذه النتيجة بان مرض السكري على مستوى مستشفياتنا بالجزائر لايتلقى الدعم النفسي من قبل المختص النفسي أو ربما يتلقى الدعم بشكل قليل جدا في حين نرى أن هذا النوع من الأمراض المزمنة التي تصاحبها الكثير من الحالات النفسية التي قد تؤدي بدورها إلى مضاعفات نفسية وجسمية على

جسد المريض، وتزداد ظهور هذه الحالات في حالة غياب الدعم النفسي للمريض وبالتالي قد يؤدي هذا الغياب إلى المساهمة في ظهور المضاعفات مبكرا .

ففي دراسة اتضح أن مرضى السكر يظهر عليهم التعب، وسهولة الاستثارة، والاكتئاب وتدهور في الجانب النفسي الجنسي كما وجد choe أن التأثير النفسي لمرض السكر يشمل الضغط العام والخوف والشعور بالعجز والاكتئاب والغضب[14].

كما تبين دراسة جازميران، زمير، بارينز gazmaraian,ziemer et baranes, 2009 على عينة قوامها 35 مريضا بالنوع الثاني من السكري أن الإجهاد والإحباط والعزلة الاجتماعية والنزاعات الشخصية،والاكتئاب والخوف والحرمان وانخفاض الوعي الصحي من أكثر العوائق التي تحول دون التدبر الذاتي للمرض والإقبال على دورات الرعاية الصحية لعلاج السكري[15] .

ويختم الباحثون بأهمية التثقيف الصحي لتصحيح معارف المرضى عن المرض والتعليم بوجه عام وذلك لتحسين مستوى الرفاه لديهم .

وأضافت دراسة سيشانوسكي وآخرون ciechanowski et all, 2000 من خلال عينة من مرضى النوعين الأول والثاني من السكري قوامها 376 مريضا أن الاكتئاب المرتفع لدى مرضى السكري من النوعين يعد منبئا فعالا بعدم الانتظام بتناول الدواء والحمية السيئة والضعف الجسدي والعناية الذاتية السيئة بوجه عام[16].

ونظرا لأهمية الخدمات النفسية الموجهة في التقليل من حدوث الأعراض النفسية الناتجة عن المرض وجب الاعتناء بهذا الجانب خاصة لفئات الأمراض المزمنة كفئة مرضى السكري وهذا ما أثبتته دراسة بكيري 2012 نجية حيث أظهرت نتائج هذه الدراسة انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في العلاج المعرفي في درجات الاكتئاب الموجه للمجموعة التجريبية دون المجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية .

كما أن توجيه الرعاية النفسية لمرضى السكري يساهم في تعديل سكر الدم الذي يعاني من ارتفاعه مرضى السكري وبالتالي الابتعاد قدر الإمكان عن المضاعفات الخطيرة التي يسببها مرض السكري، وهذا مااسفرت عنه نتائج دراسة لوستمان وآخرون lustman et all, 2000 على أن علاج الاكتئاب في مرضى السكري النوع الأول والثاني يمكن أن يحسن من ضبط سكر الدم بما يعادل 41إلى 58 % من الحالات .

3- عرض وتحليل النتائج في ضوء الفرضية الثالثة :

تنص الفرضية الثالثة على انخفاض مستوى خدمات النشاط الرياضي المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر من وجهة نظر مرضى السكري، ومن خلال تحليل البيانات تم التوصل إلى النتائج المبينة في الجدول التالي:

جدول رقم (07) يمثل التكرارات والنسب المئوية والرتب في بعد خدمات النشاط الرياضي

الرقم	البعد الثالث (النشاط الرياضي)	التكرارات	النسب المئوية	الترتيب
01	توجيه المريض إلى ضرورة ممارسة النشاط الرياضي	41	% 68.33	1
02	توفير برامج رياضية تدريبية خاصة بمرضى السكري على مستوى مراكز صحية رياضية تابعة للمستشفيات	20	% 33.33	8
03	ممارسة مرضى السكري للنشاط الرياضي تحت إشراف طبي	22	%36.66	2
04	تلقي المريض تدريبات رياضية على مستوى مراكز صحية رياضية تابعة للمستشفيات	21	% 35	5
05	مراقبة وزن المريض بشكل منتظم مع ممارسة الرياضة	22	%36.66	3
06	قياس نسبة السكر في الدم للمريض بانتظام بعد كل ممارسة للنشاط الرياضي	21	% 35	6
07	ممارسة مريض السكري للرياضة الخاضع لها مرتين في الأسبوع على الأقل	21	% 35	7
08	قياس نسبة الكوليستيرول CHOLESTEROL ET LDL في الدم بعد ممارسة الرياضة بفترة	20	% 33.33	9
09	مراقبة ضغط دم المريض بعد ممارسة النشاط الرياضي	20	% 33.33	10
10	تدريب مريض السكري على تمرينات خاصة بالقدمين	22	%36.66	4
11	إجراء فحص التخطيط القلبي بعد ممارسة النشاط الرياضي بفترة	20	% 33.33	11
المقياس ككل		250	% 37.87	

من خلال الجدول رقم (07) نلاحظ أن نسبة الخدمات المقدمة للمرضى في البعد الثالث والمتعلق بعد النشاط الرياضي قد بلغت (37.87%) وهي قيمة تقع في المستوى المتدني، وحصلت كل الفقرات على نسب منخفضة، ماعدا الفقرة الأولى التي حصلت على نسبة متوسطة (68.33%) وحلت الفقرة الحادية عشر التي حصلت على نسبة قدرها (33.33%) في ذيل الترتيب، فمن خلال هذه النتائج يتبين أن الفرضية الثالثة تحققت أي هناك تدني في مستوى الخدمات الرياضة الموجهة إلى مرضى السكري بالجزائر

للحد من البتر المكتسب . ويمكن تفسير هذه النتيجة على ان مريض السكر لايتلقى أي خدمات رياضية على مستوى المستشفيات أو المراكز التابعة له باستثناء توجيهه ونصحه بممارسة الأنشطة الرياضية رغم أهمية النشاط الرياضي لهؤلاء المرضى .

وهذا ما أكدته العديد من البحوث والدراسات على أن التمرينات الرياضية جزءا هاما في علاج مرضى السكري بجانب العلاج الدوائي والغذاء المنظم حيث أصبحت التمرينات البدنية تشكل جانبا أساسيا ضمن البرنامج التاهيلي لهؤلاء المرضى وفي هذا الصدد يذكر شلبي محمد 1989 أن علاج مرض السكر بالمثلث العلاجي الدواء-الغذاء المنظم -الرياضة أفضل من العلاج بالدواء والغذاء فقط فيؤدي ذلك إلى تحسين اكبر في انخفاض مستوى السكر بالدم علاوة على تحسن لياقة كل من الجهاز الدوري والتنفسي والتغيرات الفسيولوجية المرتبطة بالمرض مما يساعد المريض على الاقتراب من الحالة الطبيعية بصورة أفضل وأسرع[17] .

كما يؤكد V.Fattorusso et O.Ritter على أهمية النشاط البدني لمرضى السكري حيت انه يدخل ضمن العلاجات فيساهم في خفض نسبة سكر الدم وبالتالي إلى إنقاص كمية الأنسولين المستعملة من قبل المريض[18] .

فالنشاط الرياضي يؤثر خاصة على الناحية الفيزيولوجية فيزود الشخص بزيادة الطاقة عنده،وكذا يمنع خطورة المضاعفات على المدى البعيد والناتجة عن بعض الأمراض المزمنة كمرض السكري[19].

فقد ذكر كات وولفKATE,WOOLF,2008 أن مرض داء السكري يعد مرضا مزمنا، إلا انه يمكن السيطرة عليه والتمتع بحياة طبيعية بدون مشاكل ومضاعفات إذا قام المريض بإتباع النصائح الطبية باستمرار والمداومة على ممارسة الرياضة بانتظام[20].

4- عرض وتحليل النتائج في ضوء الفرضية الرابعة :

تنص الفرضية الرابعة على انخفاض مستوى خدمات الغذاء الصحي المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر من وجهة نظر مرضى السكري، ومن خلال تحليل البيانات تم التوصل إلى النتائج المبينة في الجدول التالي:

جدول رقم (08) يمثل التكرارات والنسب المئوية والرتب في بعد الغذاء الصحي

الرقم	البعد الرابع (الغذاء الصحي)	التكرارات	النسب المئوية	الترتيب
01	وجود أخصائي تغذية على مستوى المستشفيات والمراكز الصحية لقيامه	25	% 41.66	4

	بمتابعة غذاء مريض السكري			
02	متابعة أخصائي تغذية مريض السكري على مستوى المراكز الصحية التابعة للمستشفيات	30	% 50	1
03	تقديم الطبيب المعالج حمية غذائية خاصة بمريض السكري	28	% 46.66	3
04	ضبط غذاء مريض السكري مع نسبة السكر في الدم	30	% 50	2
05	تكييف غذاء مريض السكري على حسب الجهد المبذول من طرف المريض	22	%36.66	5
06	تكييف غذاء مريض السكري مع النشاطات الرياضية التي يمارسها المريض	22	%36.66	6
07	تقديم دورات تدريبية لمريض السكري عن الوجبات الغذائية والغذاء الصحي المناسب له	21	% 35	8
08	مراجعة الأكل الصحي الموجه لمريض السكري مرة في العام على الأقل من قبل أخصائي تغذية	22	%36.66	7
المقياس ككل		200	% 41.66	

يتضح من الجدول رقم (08) أن نسبة خدمات التغذية الموجهة لمريض السكري في بعد الغذاء الصحي قد بلغت (41.66%) وهي قيمة تقع في المستوى المتدني، كما حلت كل الفقرات الخاصة بهذا البعد مستوى متدني بين نسبتي (46.66%،35%) وهي الفقرات الآتية بالترتيب (3،1،5،6،8،7) ماعدا الفقرتان الثالثة والرابعة فجاءتا في المستوى المتوسط . فمن خلال هذه النتائج يتبين أن الفرضية الرابعة تحققت أي هناك تدني في مستوى خدمات الغذاء الموجهة إلى مرضى السكري بالجزائر للحد من البتر

المكتسب على الرغم من أن الغذاء عنصر أساسي في علاج مرض السكري فهو يعمل أكثر من مجرد توفير الغذاء ومواد البناء للجسم .

فيعتبر الأكل الصحي من أهم أجزاء معالجة مرض السكري فيمكن أن يساعد على إدارة مستويات الجلوكوز(السكر) في الدم والكوليستيرول **CHOLESTEROL** وضغط الدم، فالأكل الجيد يمكن أيضا أن يساعد على الحفاظ على وزن صحي فالوزن الزائد يزيد من صعوبة التعامل مع مرض السكري، ولذا فمن المهم أن يكون هناك نظام غذائي صحي لمساعدة المريض على إنقاص الوزن الزائد وتحسين إدارة مرض السكري .

ومن المهم أن تتناسب أي مشورة غذائية مع احتياجات المريض وهنا تجد أن اختصاصي التغذية مفيد[21]. فعنصر الحمية هي عنصر أساسي و فعال في علاج السكري خاصة النوع الثاني الغير معتمد على الأنسولين وذلك من اجل ضمان وزن جسم قريب من الوزن المثالي وبالتالي تجنب صعود السكر في الدم أي تقليص السعرات ذات الامتصاص السريع، أما في النوع الأول من مرض السكري المعتمد على الأنسولين الحمية تكون ضرورية لكن يجب أن يرافقها العلاج بالأنسولين حيث أن هذا النوع من السكري يحتاج إلى تربية غذائية مفصلة يكيف فيها الغذاء وفقا للاحتياجات الخاصة للمصاب[22]

5- عرض وتحليل النتائج في ضوء الفرضية الخامسة :

تنص الفرضية الخامسة على انخفاض مستوى الخدمات الاجتماعية المقدمة لمريض السكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر من وجهة نظر مرضى السكري، ومن خلال تحليل البيانات تم التوصل إلى النتائج المبينة في الجدول التالي :

جدول رقم (09) يمثل التكرارات والنسب المئوية في بعد الخدمات الاجتماعية

الرقم	البعد الخامس(الخدمات الاجتماعية)	التكرارات	النسب المئوية	الترتيب
01	إشراك أسرة مريض السكري في العملية العلاجية	36	60 %	3
02	استفادة المريض من مجانية الأدوية بصفة عامة	54	90 %	1
03	تقديم أيام دراسية لفائدة مرضى السكري من قبل جمعيات السكري	25	41.6 % 6	8

04	تلقي المريض كل الخدمات الصحية من قبل المؤسسات الاجتماعية	27	45 %	7
05	تقديم رحلات ترفيهية لفئة مرضى السكري من طرف جمعيات السكري	22	%36 .66	9
06	إجراء الفحص الطبي مجانا للمريض من قبل الطبيب المختص بالمؤسسات الاستشفائية	37	%61 .66	2
07	يتلقى مريض السكري كل التحاليل الطبية مجانا على مستوى المستشفيات والمراكز الصحية التابعة لها	32	%53 .33	4
08	إجراء فحوص الأشعة مجانا للمريض على مستوى المستشفيات والمراكز الصحية التابعة لها	30	50 %	5
09	تكييف عمل مريض السكري في المؤسسة التي يعمل بها على حسب قدراته	28	46.6 % 6	6
البعد ككل		291	% 53.88	

يتضح من الجدول رقم (09) نلاحظ أن الخدمات في بعد الرعاية الاجتماعية قد بلغت (53.88%) وهي قيمة تقع في المستوى المتوسط، وحصلت كل الفقرات على نسب متفاوتة، كما جاءت الفقرة الثانية في مقدمة الترتيب بنسبة (90%)، بينما رتبت الفقرة الخامسة في نهايته بنسبة مئوية قدرت ب (36.66%).من خلال النتائج المحصل عليها نقول بان الفرضية الخامسة لم تتحقق أي انه توجد خدمات اجتماعية موجهة لمرضى السكري للحد من البتر المكتسب على الرغم من أن بعض الفقرات فقط حصلت على المستوى المرتفع والمتوسط على حسب سلم ليكارت، وهذا يدل على أن هناك بعض الخدمات الاجتماعية يستفيد منها مريض السكري كاستفادة المريض من مجانية الأدوية وكذا تلقيه بعض الخدمات الصحية، إلا انه يبقى القصور في تقديم الخدمات من قبل المؤسسات الاجتماعية لان هذه الخدمات لا تقدم في مجمل الحالات كدور الجمعيات في القيام بأيام دراسية لفائدة مرضى السكري أو غياب الإعلام للقيام بدورات تدريبية لتوعية مرضى السكري حول المخاطر التي تنجم على المرض، مع الغياب التام

للجانب الترفيهي لفائدة مرضى السكري رغم إن هذا الجانب مهم جدا لتخلص من الضغوط النفسية والمساهمة في تعديل نفسية المريض.

كما نلاحظ أيضا غياب دورها في إعادة التأهيل والتشغيل وتكييف المريض في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه[23].

كما تؤكد إحسان الحسن على أهمية الرعاية الاجتماعية فتقول أن الرعاية الطبية وحدها لا يمكن أن تحقق الشفاء الكامل للمريض مهما يكن مرضه حيث أن المريض بجانب الرعاية الطبية والتمريضية التي تقدم له أثناء مرضه يحتاج إلى الرعاية الاجتماعية، هذه الرعاية التي لا يمكن أن يقدمها الأطباء والممرضون والصيادلة وبقية أفراد الفريق الطبي إلى المرضى المراجعين والراقدين في المستشفيات والمصحات، بل يقدمها الاختصاصيون الاجتماعيون الطبيون الذين ينبغي استخدامهم في المؤسسات الصحية لكي يتعاونوا مع أفراد الفريق الصحي في إنقاذ المرضى من الأمراض والعاهات الجسمية والعقلية والنفسية التي يعانون منها[24].

6- عرض وتحليل النتائج في ضوء الفرضية السادسة :

تنص الفرضية السادسة على انخفاض مستوى خدمات رعاية قدم السكري المقدمة للمريض المصاب بالسكري للحد من البتر المكتسب بالجزائر من وجهة نظر المرضى، ومن خلال تحليل البيانات تم التوصل إلى النتائج المبينة في الجدول التالي :

جدول رقم (10) يمثل التكرارات والنسب المئوية والرتب في بعد رعاية قدم السكري

الرقم	البعد السادس(رعاية قدم السكري)	التكرارات	النسب المئوية	الترتيب
01	إشراف طبيب مختص في قدم السكري على رعاية قدم السكري	21	% 35	10
02	إشراف طبيب عام متدرب على العناية بقدم السكري على رعاية قدم المريض	23	%38.33	7
03	إعطاء المريض نصائح وشروح من قبل المختصين في كيفية العناية اليومية بقدميه	26	%43.33	3
04	تلقي المريض تدريبات على كيفية فحص قدميه بنفسه يوميا	22	%36.66	9
05	إعطاء شروح للمريض على كيفية استعمال	25	41.66	4

	%		الدهانات والبودرة لقدمي مريض السكري	
11	% 35	21	تدريب مريض السكري على كيفية تدليك قدميه يوميا	**06**
12	33.33 %	20	إعطاء شروح بواسطة الفيديو عن المخاطر والمضاعفات التي قد تواجه مريض السكري من جراء إهمال قدميه	**07**
2	% 50	30	التحاق المريض بالمصالح الطبية والمراكز التي تعنى بمريض السكري بمجرد رؤيته أي تغيير على مستوى قدميه	**08**
1	%58.33	35	تقديم عناية خاصة بجروح مريض السكري على مستوى المراكز الطبية والمستشفيات	**09**
6	%40	24	إعطاء الطبيب المعالج تعليمات للمريض حول نوعية الحذاء الذي يرتديه المريض	**10**
5	41.66 %	25	يفحص الطبيب المعالج بشكل دوري ومنتظم قدمي مريض السكري	**11**
8	%38.33	23	إعطاء رسومات توضيحية لتعليم مريض السكري فيما يخص نوعية القروح والجروح التي تخص القدم	**12**
	% 40.97	295	**البعد كله**	

من خلال الجدول رقم (10) نلاحظ أن نسبة الرعاية بالقدم في بعد رعاية قدم السكري قد بلغت (40.97%) وهي قيمة تقع في المستوى المتدني، وحصلت كل الفقرات على نسب متدنية، كما حصلت الفقرة السابعة على نسبة متدنية قدرها (33.33) وكانت في الترتيب الأخير، بينما جاءت الفقرة التاسعة في مقدمة الترتيب بنسبة متوسطة بلغت (58.33%) تليها مباشرة الفقرة الثامنة بنسبة متوسطة أيضا بلغت (50%) فمن خلال النتائج المحصل عليها نقول بان الفرضية السادسة تحققت أي انه لا توجد خدمات لرعاية القدم الموجهة لمرضى السكري للحد من البتر المكتسب أو بالأحرى هناك تدني في مستوى الخدمات الموجهة للمريض فيما يخص الرعاية بقدمه ماعدا تقديم الخدمات بخصوص جروح القدم .

فالضرر الذي يصيب الأوعية الدموية والأعصاب الطرفية يؤدي إلى زيادة مخاطر الإصابة بالغرغرينة التي تؤدي إلى بتر الأطراف السفلى من الجسم[25].

فتقول الدكتورة سلمى الخريبط 2012 بأنه قبل أن نفكر في بدائل بتر الأصبع أو القدم،يجب أن نركز على أهمية العناية بالقدم لتفادي الوصول إلى مرحلة الحاجة للبتر .وأهم عامل هنا هو زيادة التوعية بأهمية النظر إلى القدم والعناية بها وعلاج أي مشاكل تظهر بسرعة وبالشكل المطلوب فيجب على الجميع إدراك عامل الوقاية، من أطباء وممرضين ومرضى وأهلهم و مريض سكر[26].

فحوالي من 60 إلى 70%من مرضى السكري يعانون من أشكال حادة أو متوسطة من تلف الجهاز العصبي، منهم 30% تقريبا في عمر40 عاما فما فوق يعانون من فقدان الإحساس في القدمين[27].

فتوجد 40إلى70%من عمليات البتر والتي تكون ناتجة عن مضاعفات مرض السكري، وان 6إلى8% مريض مصاب بالسكر قد يفقد طرفه السفلي نتيجة للإهمال في العناية بقدمه[28].

يزيد الاعتلال العصبي الذي يصيب القدمين ضعف جريان الدم، وزيادة فرص الإصابة بقرحات القدم والى بتر الأطراف في نهاية المطاف[29].

خاتمة:

تعد المستشفيات والمراكز الصحية احد أهم المراكز التي تقدم مختلف الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية من خلال طاقم طبي مختص وموظفين مؤهلين على أعلى طراز لتأدية أعلى الخدمات للمرضى، خاصة المرضى الذين يعانون من أمراض مزمنة كمرض السكري .

لذلك كان لابد من ضرورة تزويد مرضى السكري بالوعي الصحي لتفادي المضاعفات من خلال تفعيل استراتيجيات الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية لتحقيق مستوى أفضل من الرعاية لدى مرضى السكري ومن ضمنها رعاية قدم السكري تجنبا لحدوث البتر على المدى البعيد .

الهوامش

---

[1] حسن بن علي الزهراني: الأقدام السكرية، كلية الطب بجامعة الملك بن عبد العزيز بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، **ص6،7،** 2006

[2] ريم محمد محسن ذو الفقار: فاعلية برنامج تدريبي هوائي للمشي والهرولة على الدورة الدموية الطرفية لبعض مريضات الداء السكري من النوع الثاني، دراسة بمدينة نصر والجزيرة على سيدات مريضات بالداء السكري، مصر، 2006.

[3] سمية ب: 25 بالمائة من مرضى السكري شباب و14بالمائة أطفال، جريدة صوت الأحرار يومية إخبارية جزائرية، الجزائر. 2013

[4] **Diana :étude des amputation consécutives aux complications du diabète , a Youssouf l'hopital nianankoro fomba de ségon, 2006**

[5] عبير عبد الله شعبان جوهر.():إستراتيجية مقترحة في مجال الأنشطة الخزفية لتدريب المعاقين ذهنيا بالمراكز الثقافية، دراسة في مؤتمر التوجهات الحديثة في التربية الخاصة، الجزء الثاني، عمان، 2012، ص 159 .

[6] إكرامي محمد قورة: وجها لوجه أنت ومرض السكري،ط1، دار القيروان للنشر والتوزيع،القاهرة، 2010، ص8،9.

[7] بطرس حافظ بطرس: التكيف والصحة النفسية للطفل، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2008، ص31 .

[8] سامي محمد ملحم: التقويم في الإرشاد النفسي والتربوي، ط1،دار الرضوان للنشروالتوزيع، جامعة عمان العربية، الأردن، 2014، ص 25.

[9] خليصة دعميش: الخدمة الاجتماعية الصحية المقدمة للأطفال المصابين بالداء السكري دراسة ميدانية بالقطاع الاستشفائي بسطيف،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع والديموغرافيا بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر،2000، ص49.

[10] جمال الخطيب: مقدمة في الإعاقات الجسمية والصحية،ط1،دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان. 1998، ص121.

[11] ANNICK MOREL,GILLES LECOQ ,DANIELE JOURDAIN-MENNINGER EVALUATION DE LA PRISE EN CHARGE DU DIABETE ,INSPECTION GENERALE DES AFFAIRES SOCIALES RM2012-033P ,TOMEI ,PARAIS: 2012

[12] هدى جعفر حسن: مرض السكر وعلاقته ببعض العوامل النفسية وسمات الشخصية، دراسة من مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 34 العدد1،كلية العلوم الاجتماعية، الكويت، 2006، ص 51.

[13] لكحل رفيقة: تأثير التربية الصحية على الالتزام الصحي لمرضى ضغط الدم، رسالة ماجستير غير منشورة تخصص علم النفس الصحة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2011. ص56 .

[14] هدى جعفر حسن، مرجع سبق ذكره، ص 53 .

[15] تغريد سليمان الشطي: مقاييس في علم النفس الصحة، ط1،دار الكتاب الحديث، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت، الكويت، 2014، ص92 .

[16] نفس المرجع، ص181 .

[17] مصطفى محمد نور: مرض السكر والتمرينات البدنية، المكتبة المصرية، سلسلة 17 الوعي الرياضي، الإسكندرية مصر، 2005، ص43.

[18] FATTURSSO ,O. RITTER.: VADEMECUM CLINIQUE DU DIAGNOSTIC AN TRAITEMENT, 17 édition, Masson Milan Barcelone, paris. 2006,P1223

[19] BENKHEDACH MOHAMED.: EDUCATION THERAPEUTIQUE DU PATIENT
« eduquer pour mieux soigner »,ecole de l'asthme-mostaganem ,mostaganem,allger 2006, P25

[20] ريم محمد محسن ذو الفقار: فاعلية برنامج تدريبي هوائي للمشي والهرولة على الدورة الدموية الطرفية لبعض مريضات الداء السكري من النوع الثاني، دراسة بمدينة نصر والجزيرة على سيدات مريضات بالداء السكري، مصر، 2006، ص280 .

[21] كل ماتحتاج معرفته عن السكري :المجلس الاسترالي لمرضى السكري، ص25

[22] FATTURSSO ,O. RITTER, Ibid, P1223.

[23] إحسان محمد الحسن: علم الاجتماع الطبي، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 171.

[24] نفس المرجع السابق،ص 369

[25] هدى جعفر حسن، مرجع سبق ذكره، ص 52 .

[26] سلمى الخريبط: تفادي البتر عن طريق لتفادي البتر،ركن صحة، مجلة القبس، 2012.

[27] معالي محمد أنور محمد الهجان: اثر تدريبات التغذية المرتدة البيولوجية على التحكم في مستوى السكر بالدم وتعديل بعض المتغيرات النفسية لدى عينة من مريضات السكري من النوع الثاني دراسة تجريبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس كلية الآداب قسم علم النفس، القاهرة، 2008 ، ص7.

[28] حسن بن علي الزهراني، مرجع سيق ذكره،، ص6،7

[29] احمد محمد بدح، أيمن سليمان مزاهرة، زين حسن بدران: الثقافة الصحية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2009، ص102.

المقاربة بالكفاءات وبيداغوجيا الادماج

أ/ميلود عمار، جامعة مستغانم

الملخص :

ترتكز مقاربة التدريس بالكفاءات على البيداغوجيات النشطة، التي تجعل المتعلم مسوؤلا عن تعلّمه، و التي تستمد مبادئها من النظريات المعرفية، البنائية والبنائية الاجتماعية ، مستفيدة بذلك من أبحاث بياجي Piaget، فالون Wallon، فيجوتسكي Vygotsky، اوزبلAusubel، برونر Bruner، جاني Gagné، بيغنو Perrenoud، جيرارد Gérard وغيرهم، دون ان تحدث قطيعة ابيستمولوجية مع المقاربة بالأهداف وما ارتبطا بها من المفاهيم التي جاءت كنتيجة لأعمال بلوم Bloom، دلاندشيرDelandsheer ، هاملاين Hameline، مايجرMager وغيرهم ممن جزؤوا المحتوى الى وحدات صغيرة حتى يسهل اكتسابه من قبل المتعلم، لكنهم اهملوا الوقوف على مدى قدرته على تجميع تلك الوحدات المجزأة وبلورتها في وحدة منسجمه ، لذا كان البحث عن بيداغوجيا تمكن المتعلم من ادماج ما تعلمه من خلال وضعه وفي وضعيات مشكلة تحدث خللا في توازنه المعرفي وتحرضه على البحث عن الحل الأنسب، فبيداغوجيا الادماج التي برزت من خلال أبحاث ديكتل De Ketele وروجرزRoegiers وغيرهما تشكل الحجر الأساس للمقاربات التي تضع المتعلم في قلب تعلماته ومنها المقاربة بالكفاءات.

الكلمات المفتاحية :

التدريس – المقاربة – الكفاءة – البيداغوجيا –الادماج – الوضعية – المشكلة

المقدمة:

أصبح مفهوم الكفاءة Compétence بمثابة القلب النابض للبرامج الدراسية في كثير من الدول، ومنها الجزائر التي تبنت هذه المقاربة املا في تجاوز نقائص المقاربات السابقة، و بالأخص تلك المرتبطة بالأهداف البيداغوجية التي جزّأت المحتوى الدراسي للمحور الواحد إلى مجموعة من المعارف المبعثرة حسب الأهداف الإجرائية لكل حصة، بشكل صعّب على الأستاذ الوقوف على مدى امتلاك المتعلم لها مجتمعة ؛ كما صعّب عليه تخصيص وقت ضمن الحجم الساعي لتنفيذ البرنامج الدراسي يكون كافيا لتجميع تلك المعارف في وحدة واحدة مندمجة ومتكاملة، بل ولطبيعة تكوينه النابع من فكرة تتبع

أساسا من الفكر التيلوري القائم على تجزئة المهام الكبرى إلى مهام صغرى حتى يسهل امتلاكها من قبل الأفراد ؛ هذه الفكرة التي لا تمده بحقيقة نجاح هؤلاء الأفراد عند انجاز المهمة الأم مجتمعة، في حالة نجاحهم في المهام المجزّأة كل على حدا.

لهذا كان لزاما البحث عن آليات عملية تمكّن الأستاذ من التخطيط المسبق لفترات و كيفيات تنفيذ المحتوى الدراسي المرتبط بمادته، في إطار كفاءات ختامية مدمجة Compétences finale intégratrice يمتلكها المتعلمون بعد امتلاكهم لكفاءات أدنى مستوى ومرتبطة بها، تتدرج من كفاءات قاعدية Compétences de base إلى كفاءات مرحلية Intermédiaire مرورا بكفاءات عرضية Transversale والتي تتقاطع مع مواد أخرى.

فالمقاربة بالكفاءات بتبنيها الفكر المنبثق عن النماذج المعرفية Cognitiviste، البنائية Constructiviste، والبنائية الاجتماعية Socio-Constructiviste ، لم تعد تكتفي بمدخلات العملية التعليمية – التعلّمية ولا بمخرجاتها، بل تهتم بالولوج للعلبة السوداء التي تجنب السلوكيون البحث في أغوارها، كما تركز على النشاط الفكري للمتعلم، هذا النشاط الذي يعد احد أهم مكونات البنية الذاتية له، حيث أن التعلّم يمثل نتاج هذه البنية المتفاعلة بايجابية في مختلف الوضعيات التي يقل فيها الارتكاز على الغير (الأستاذ والآخرون) عند اللحظة الحاسمة التي تكون الكفاءة في طور الاكتمال، و لا يكون تدخل الغير إلا في مراحل سابقة عندما تكون تلك الكفاءة مازالت في طور البناء، والتي ينبغي حسن تقدير فترة التدخل تلك، وهي الفترة التي يكون فيها الفرد عاجزا فعلا عن تجاوز العقبة التي تواجهه وتحول دون بلوغه الحل لوحده، والتي تنطبق مع ما يسميه فيجوتسكي vygotsky المنطقة الاحتمالية للنمو La Zone Proximale de Développement (ZPD)، حيث لا ينبغي التدخل المستمر والعفوي من قبل الأستاذ وتوجيهه لذات المتعلم، لأن الأمر حينها سيكون مثلما " قال بابيير Papert احد المتعاونين مع بياجي Piaget في كل مرة يشرح الأستاذ للتلميذ شئ ما، فان هنالك منعا له من خلقه " (غريب ، 2011 : 51)، وسيؤدي به ذلك إلى الشعور بأنه غير ذي قيمة في مختلف المواقف المدرسية، كما يمكن أن يتعلم الشعور بالعجز عن الاستمرارية حتى بلوغ الحل الأنسب، في الوقت الذي تسعى فيه المدرسة إلى أن يمتلك فيها مرتادوها معارف مرتبطة بالكينونة (savoir-être)، ويشبعون حاجاتهم النفسية في جو لا يهدد أمنهم النفسي، و لا يجعل أخطاءهم منغصات تهدد مكانتهم الاجتماعية داخل الصف الدراسي، أو تكون سببا في جلد ذواتهم ؛ فالوقوع في الخطأ من قبل المتعلم حق بيداغوجي، وهو مقبول في العملية التعليمية

– التعلّمية، ولا ينبغي معاقبة المتعلم عليه، أو تغيير السفينة وطرد الربان، وإنما ينبغي الركوب معه في السفينة ذاتها، والعمل على إصلاح العيوب التي بها، وتمكينه هو من العبور بها إلى بر الأمان ، من خلال مساعدته على كيفية تنظيم معارفه، ترتيبها وتجميعها في وحدة مجتمعة متفاعلة بين مختلف مكونتها وغير متراكمة بعضها فوق الأخر أو متجاورة جنبا إلى جنب، بحيث يكون الحاصل مجتمِعا أرقى وأجود (نوعي) من الأجزاء منفصلة ؛ ولا يكون ذلك إلا من خلال تعليمه تعليما صريحا كيفية إدارة الوقت ومهارات واستراتيجيات التفكير العليا، و التركيز على هذا الأمر أهم وأنجع من التسرع في إعطاء الحلول للأخطاء التي يقع فيها أو معاقبته أو تجاهل الأمر، وبذلك تتاح فرصة التحاور بين أقطاب المثلث الديداكتيكي المتمثلة في الأستاذ، المتعلم والمحتوى، على أحسن وجه.

فمادام إذن هذا حال هذه المقاربة، ومادام الإدماج شريانها الأساس، فما مفهوم هذا الإدماج في ظلها ؟ وما هي شروطه وخصائص الوضعيات المرتبطة به ؟ وكيف السبيل إلى إقحامه عند تنفيذ البرنامج الدراسي وتمكين المتعلمين من استثماره على أحسن وجه؟

1. مفهوم الإدماج في ظل المقاربة بالكفاءات :

استخدم مفهوم الكفاءة بمعنى إدماج المكتسبات في الإطار المدرسي intégration des acquis للدلالة على تعبئة mobilisation التعلّمات في وضعيات معينة معدة من قبل الأستاذ، بحيث تتمظهر الكفاءة بهذا المعنى كتفعيل للمعرفة ضمن سياقات محددة (Le Boterf 1995, De ketele 1996 , Roegiers 2000) وهي مفهوم إدماجي concept intégrateur، حيث تأخذ بعين الاعتبار المحتوى الدراسي، النشاطات المنجزة من قبل المتعلمين، والوضعية التي تتم فيها هذه النشاطات كل مع بعض ؛ مع مراعاة السياق الذي يوضع فيه المتعلّم ضمن تلك الوضعية.

ولعلّ مفهوم الهدف الإدماجي الذي قدمه Deketele (1988) يعد نقطة التحول من هيمنة الفكر التيلوري والسلوكي الذي ساهم في تعزيزه Kratwohl, Gilbert, Delandsheer, Mager, Bloom وغيرهم ممن اقتحمت أفكارهم مجالي التربية والتكوين من خلال بيداغوجيا الأهداف La pédagogie par Objectifs (PPO) وبيداغوجيا الإتقان la pédagogie de maîtrise (PM)، فدكتل Deketele كان يعتبر الهدف الإدماجي في مجال التعليم، على أنه كفاءة تتضمن مجموعة من الخصائص : (Gérard et al, 2009 :61)

- الكفاءة تدور حول وضعية ادماجية Situation d'intégration بها معلومات أساسية وأخرى مشوشة...
- الكفاءة هي نشاط معقد يتطلب الإدماج ويمكن تقويمه...
- الوضعية الإدماجية هي الوضعية الأقرب للوضعية الطبيعية التي يمكن أن يجابهها المتعلم ولها وظيفة اجتماعية.
- الهدف الإدماجي يستدعي معارف الكينونة savoir-être ومعارف مرتبطة بحسن التصرف savoir-vivre وهي موجهة نحو تعزيز الاستقلالية Autonomie .

إذن، إدماج التعلّمات، "هو عملية تعبئة Mobilisation جملة من المعارف و المعارف الفعلية (Savoir et Savoir- faire) من أجل معالجة وضعية معقدة " (Roegiers .x 2003. : 259) فنشاط الإدماج يتميز بما يلي :

- **نشاط فردي** : أي يكون فيه التلميذ مستقلا عن أستاذه أو زملائه، بمعنى أنه هو الفاعل والمنجز للمهمة .
- **يتطلب اكتساب معارف** : ومن ثمة جمع و انتقاء المعارف المترابطة و المشتركة و التنسيق بينها حتى تتكامل، وتساهم في تجاوز العقبات المعترضة أو إيجاد حلول لمختلف الوضعيات.
- هذا النشاط **هو نشاط واعي** : حيث أن كل ما يحدث من عملية تجنيد، تنسيق و توظيف للمعارف، لا يحدث بصورة عفوية، وإنما بوعي من التلميذ، الذي يهدف من وراء ذلك إلى بلوغ نتيجة معينة .

و بالتالي فإن بيداغوجية الإدماج تعمل على **إعداد التلميذ القادر على حل الوضعيات المعقدة**، أكثر من كونها تعمل على إكسابه المعارف المجزأة كما هو الحال في بيداغوجية التدريس بالأهداف، كما أنها الأساس الذي ترتكز عليه مقاربة التدريس بالكفاءات .

2. مراحل نشاط الإدماج:

يتضح نشاط الإدماج عندما يتمكن التلميذ من الوصول إلى نتائج مقبولة، مع الوعي التام بهذا الإنجاز، على أن يكون بلوغه هذا فرديا ؛ فالكفاءة هي إذن نتاج إدماج وتفاعل معارف و مهارات، هذه المهارات تنمو عبر مروره خلال عمليات تعليمية-تعلّمية، تمتد فصولا، بل حتى أطوارا مدة الواحد منها ثلاث أو أربع سنوات ، " فالإدماج عموما يعتمد على مرحلتين نشطتين و متكاملتين.

❖ المرحلة الأولى : تتمثل في اكتساب الكفاءات

❖ المرحلة الثانية : تتمثل في تقوية و إثراء الكفاءات المكتسبة " (Touzin. 1997 :01) .

1.2. المرحلة الأولى :

اكتساب المعارف من قبل التلميذ يمكّنه من حل المشاكل الموضوعة أمامه، أو تجاوز الوضعيات المشكلة التي تواجهه في مختلف المواد و المواقف، و بالتالي يمكن القول أنه تمكن من اكتساب كفاءات قاعدية، تكون بدورها قاعدة لعمليات تعليمية لاحقة .

2.2. المرحلة الثانية :

ما دامت الكفاءة تشتمل على قدرات، ومادامت المفاهيم التي تشكل الحجر الأساس للمعارف تتميّز بأنها تنمو وتتطور، فإن الكفاءات المكتسبة لا تبقى على حالتها الأولى عند اكتسابها من قبل التلميذ، إذ أنه كلما تشابكت الوضعيات و تعددت، كلما تعقدت عملية التجنيد، بحيث يتطلب تجنيد كفاءات مرحلية تدمج وتتضافر فيما بينها مشكلة وحدة عضوية جديدة، يكون الحل فيها نوعي .

مثلا : الطالب الذي يمتلك كفاءة التعامل مع مختلف أنواع المتغيرات في spss (الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية) باحترام شروط كتابة اسم المتغير ووصفه وتحديد مستوى قياسه وتصنيف قيمه، بإمكانه أن يطور هذه الكفاءة لتصبح لديه كفاءة أوسع تمكنه من التعامل مع أي مقياس كان عن طريق spss .

إن أهم ما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال، هو أن الكفاءات في تطورها لا تسير في خطوط متوازية بل إنها مدمجة فيما بينها، وهذا الإدماج هو في حد ذاته سيرورة ديناميكية، قد تكون نهاية كل حصة أو بعد نهاية محور أو مجموعة محاور، حيث يجب وضع المتعلم في وضعيات تكون كفيلة بتحريضه على إدماج مكتسباته السابقة.

3. شروط نشاط الإدماج :

لكي يتحقق نشاط الإدماج بالصورة المتوقعة، ينبغي توفر عناصر مهمة بدونها لا يمكن لعملية الإدماج أن تحدث :

- **توفر قدر من المكتسبات السابقة** Pré-acquis:

فالمكتسبات السابقة التي تم امتلاكها في حصص ماضية، هي المادة الخام التي ينتقي منها المتعلم ما

يساعده على بلورة حل يمكّنه من تجاوز العائق الحابه في الوضعية، فمثلا، الطالب الذي تغيّب عن الحصص التي تناولت مكونات شاشة عرض المتغيرات affichage des variables وشاشة عرض البيانات affichage des données ولم يستدرك تلك الحصص من خلال نشاط صفي أو خارج الصف، لا يمكنه أن يقوم بنشاط الإدماج من خلال وضعية تتطلب تفريغ استمارة بمعلوماتها الشخصية، مع احترام تعليمات تتعلق بمراعاة نوع و مستوى قياس المتغيرات وكذا إدخال درجات بدائل العبارات السالبة والموجبة.

- **نشاط الإدماج ينبغي ان يتجسد في فعل** Action :

فالمعارف المكتسبة غير كافية في حد ذاتها، بل يجب إدماجها مع بعضها البعض وتمحيصها عن طريق الأداء، إذ يجب على الأستاذ ضبط مؤشرات مختلف الكفاءات و انتقاء الأنشطة الدالة عليها، مع الإشارة إلى معيار الأداء وتحديد محكات التقويم، على أن تكون هذه الأنشطة مساعدة على إدماج مكتسبات مختلفة في وضعية واحدة، ولا يكون ذلك إلا باختيار الأسلوب المناسب، كانجاز المشاريع وحل المشكلات ؛ ففي المثال السابق ، يمكن لذلك الطالب أن قام بنسخ أو كتابة محتويات تلك الحصص من عند زملائه ،وقام بحفظ مكونات spss وشروط كتابة المتغيرات، وكل أنواعها ومستويات قياسها ...لكنه يقف عاجزا أمام جهاز الإعلام الآلي فلا يتمكن من تجسيد تلك المكتسبات على ارض الواقع.

- **الفهم** Compréhension :

الفهم لا يعني استرجاع التلميذ لما تعلمه وإنما هو عملية عقلية تتجاوز عملية الاسترجاع البسيطة، متمثلة في قدرته على تحويل مضمون المعرفة من صياغة إلى صياغة أخرى دون تغيير المعنى، وكذا قدرته على تجسيد ذلك المضمون في آداءات فعلية متمثلة في حل المشكلات و مجابهة الوضعيات الصعبة، أي تحويلها من مجرد أفكار ومعارف مرتبطة بالذهن، إلى واقع ملموس يحقق التكيف و الاستمرارية .

فالمعارف المكتسبة خلال سيرورة التعليم و التعلّم، تشكل قاعدة نظرية يرتكز عليها التلميذ أثناء قيامه بعمليات التحويل، التفسير أو التعميم، و منه يتمكن من فهم و إدراك ما يفعل بل إن "المكتسبات القاعدية – هذه– تشكل ركيزة أساسية لعملية الإدماج " (Touzin .1997 :03).

ولقد أدرجنا الفعل كشرط قبل الفهم، لان " التعلم للفهم قد لا يكون دائما عمليا أو مرغوبا فيه، وذلك حسب طبيعة المادة المراد تعلمها، قدرات المتعلمين والمعلمين أو الوقت المتوفر".

(قطامي.2013:288) فتعلم العمل قبل الفهم يساهم في تعلم المعرفة الإجرائية procédurale Savoir أكثر منه تعلم المعرفة التقريرية Savoir déclaratif .

- **نشاط الإدماج يتم خلال وضعية مشكلة:**

إن عملية إدماج التعلّمات بحاجة إلى توفّر وضعيات تشكل حوافز تُحدث نوعا من عدم التوازن في البنية المعرفية للمتعلم، مما يدفعه إلى استدعاء موارد متعددة، تدمج مع بعضها البعض مشكلة وحدة متجانسة تساهم في تشكّل صيغة معرفية تكون محصلتها القدرة النوعية على تفكيك البنية المعقدة للموقف، المسألة أو المشكلة المطروحة، ومنه بلوغ الحل، وإحداث التوازن المعرفي، إلى جانب اكتساب خبرة تساعد على تجاوز العقبات المشابهة مستقبلا، علما بأن كل هذا يتمظهر في آداءات قابلة للملاحظة والقياس .

فالوضعية المشكلة إذن هي حواجز ومهام غير مكتملة ومبهمة المعالم، توضع من قبل الأستاذ في سياقات محددة، تحرّض التلميذ الذي لا يملك الحل المسبق لها على تجنيد وتوظيف موارده الذاتية المتمثلة في مكتسباته السابقة ، أو موارد المجموعة (إذا كان النشاط جماعي) ، وكذا المعطيات المقدمة من قبل الأستاذ (كالوثائق، الخرائط، التعليمات ...).

✍ خصائص الوضعية الإدماجية : (Roegiers et al .2010 : 45-47).

- وضعية معدة من قبل الأستاذ.
- إعدادها لا يتم بمحض الصدفة.
- يتم اختيارها بدقة حتى تتناسب مع الكفاءة المستهدفة.
- لا تكون جد سهلة ولا جد صعبة.
- مرتبطة بعائلة من الوضعيات une famille de situation
- الوضعية الإدماجية ليست عبارة عن أسئلة بسيطة، لأن المتعلم مدعو لإيجاد الموارد ressources التي ينبغي تجنيدها بغية الوصول الى الحل.
- الوضعية الإدماجية مرتبطة بحياة التلميذ اليومية، المدرسية والمهنية (ذات دلالة significative بحيث تلامس مركز اهتمام المتعلم وتمثل تحد له، فهي وضعية محرّضة ودافعة.
- ترتكز على سند support (صور، أشكال...) والمتعلم مدعو لمعالجة هذا السند الذي ينبغي أن يتم توضيح المعلومات فيه (...) والامتناع عن العبارات التي يكون لها دور مباشر في الحل.

- التعليمات les consignes موجهة للتلميذ لأنه هو المدعو إلى إدماج تعلّماته، وليس الأستاذ من يقوم بذلك مكانه، فالحل يكون من قبل المتعلم لوحده.
- ينبغي تقديم أكثر من تعليمة حتى تعطى للمتعلم فرصة اكبر للنجاح، حيث ينبغي ان تكون منفصلة عن بعضها البعض.

- **الاستقلالية** Autonomie:

الاستقلالية تعني " التصرف بحرية " (Marvan. 1995 :53) و الحرية هذه لا تعني عدم تدخل الأستاذ إطلاقا، بل هي الاعتماد على النفس واخذ زمام المبادرة، بحيث تعزى فيها أسباب الإقبال على المهام إلى إشباع دوافع داخلية أكثر منه تلبية لإملاءات خارجية، حيث تكون فيها استراتيجيات الضبط الداخلي أعلى من الضبط الخارجي، يتولد معها شعور بالمسؤولية الذاتية والاعتماد الفردي عند القيام بالنشاطات المرتبطة بتلك المهام.

وبما أن الكفاءة المستهدفة لا تكون أثناء عملية الإدماج (خاصة الإدماج الجزئي) مكتملة، فان المتعلم بحاجة إلى تغذية راجعة، وإلى توجيه، و مساعد ة، ويجب التأكيد هنا على الأثر الذي يتركه التقويم التكويني في سيرورة بناء الكفاءة ؛ إن بلوغ التلميذ للحل باعتماده على نفسه، يدل على أنه تمكن من إدماج مكتسباته على أحسن وجه، وكلما توفّرت الوضعيات التعليمية المناسبة أمامه، كلما ساهم ذلك في عملية تطوير كفاءاته .

- " وهناك مبدآن أساسيان لتكوين الاستقلالية في المدارس :

الأول: مثلما نتعلم المشي بالمشي، نتعلم بناء الاستقلالية بالتمرن (تنظيم أعمال تطبيقية...) الثاني: كل كفاءة تفترض تنمية شاملة للتفكير الناقد (La Pensée critique) و كذا الممارسة التأملية التي لا يمكن القيام بها إلا من خلال مجموعة من المعارف ووضعيات التكوين أو وضعيات الحياة " .(Perrenoud .1999 : 31)

4. تخطيط التعلّمات في المقاربة بالكفاءات :

كل أستاذ مدعو لإحداث نقلة ديداكتيكية للمعارف المتضَمنة في المنهاج الدراسي لمادته، فيتم تحويلها من اطارها القابل للتدريس الى الاطار المدرّس فعلا، وعليه ينبغي تحديد المعارف الضرورية وضبط الاطار الزمني لتدريسها، مع اختيار عائلة الوضعيات المشكِلة ذات المعنى بالنسبة للمتعلّم، وحسن اختيار طرائق التدريس وأساليبه واستراتيجياته التي من خلالها يتم تحويل تلك المعارف، على أن يكون التخطيط لتلك التعلمات متكاملا، بحيث يراعي ما تم وضعه من قبل معدي المناهج، و ما هو متاح

أمامه داخل الصف الدراسي من حاجات المتعلمين، معارفهم السابقة، و كذا السياق contexte الذي يتم خلاله تمرير تلك المعارف ، سواء أكانت معارف جديدة في نطاق وضعيات ديداكتيكية ، أو معارف سبق تعلّمها في نطاق وضعيات مشكلة بهدف تعلّم الادماج، أو بهدف تقويم الادماج ، على أن يتم خلال هذا وذاك حسن التمكّن من العلاج البيداغوجي المناسب وفي الوقت الأنسب.

وعليه، فإنه يمكن التخطيط لتلك التعلمات في ثلاث فترات مهمة :

- **الفترة الأولى** : تهدف إلى تقديم معارف تقريرية وإجرائية جديدة، فهي ترتبط بالتعلمات الجديدة وتتم ضمن وضعيات ديداكتيكية situations didactique.
- **الفترة الثانية** : مخصصة للإدماج الجزئي partielle بهدف تعويد المتعلم على عملية إدماج التعلمات، بحيث يمكن أن تكون في نهاية كل حصة أو مجموعة حصص مترابطة فيما بينها.

فالنشاط المدرسي هنا موجه نحو هدف الإدماج، وتحديدا إلى:

- اكتشاف الوضعية.
- تفحص التعليمات.
- تعويد المتعلم على الإنتاج الفردي.
- الاستغلال الفردي لمنتوج المتعلمين.

وخلال هذه العمليات يمارس الأستاذ التقويم التكويني ويستثمر بيداغوجيا الخطأ la pédagogie de l'erreur حيث يقوم في الوقت ذاته بإجراءات مناسبة لعلاج بيداغوجي فردي أو جماعي، القصد من وراء ذلك كله هو تعبئة المتعلم وتهيئته لفترة الإدماج النهائي عند نهاية المحور أو مجموع المحاور.

- **الفترة الثالثة** : يتم إقحام المتعلم في نشاطات تهدف إلى إدماج ختامي، يكون في نهاية محور دراسي، سداسي او سنة دراسية، بحيث تكون مختلف النشاطات موجهة بمساعدة محدودة من قبل الأستاذ، فيتم تهيئة المتعلم لمرحلة التقويم النهائي.

الخاتمة:

لا يمكن لأي إصلاح تربوي أن ينجح دون تهيئة الأجواء وتوظيف إعلام قوي وواسع النطاق قبل الشروع فيه، فينبغي إذابة الجليد مثلما أشار إلى ذلك جون ديوي John Dewey كخطوة من

خطوات عملية التغيير، كما لا يمكن له أن يحقق ما هو مرجو منه دون إتاحة الفرصة للمعنيين به لفهم عميق لمضامينه وما يرتبط بها من خلفية نظرية، واستراتيجيات، وإلمام لما تشتمل عليه من بيداغوجيات.

فالمقاربة بالكفاءات ترتكز على بيداغوجيات نشطة، تضع المتعلم في قلب تعلماته، و أمام تحد يحدث اهتزازات في بنيته المعرفية قصد إعادة تشكيلها وفق المعطيات والظروف الجديدة، وتعزيز بنائها ، من خلال الفعل و الممارسة، اللذان يحدثا ضمن وضعيات مشكلة متعددة الوظائف (تعليمية- ادماجية – تقويمة)، وبالأخص تلك الوضعيات التي ترتبط بإدماج التعلمات السابقة، والتي ينبغي ان يسبقها تدريب للمتعلم عليها، متعلم يعتمد على ذاته في سبر أغوارها بغية الوصول إلى حلول نوعية وليس أي حلول وفي أي وقت، على أن يتم ذلك تحت أنظار أستاذ يقوم مقام المرشد والموجه تارة، ومقام المدرب والمعالج تارة أخرى.

قائمة المراجع :

- **المراجع باللغة العربية :**

1. عبد الكريم غريب ،(2010). بيداغوجيا الإدماج – نماذج وأساليب التطبيق والتقييم، ط 1، الدار البيضاء- المغرب، منشورات عالم التربية.
2. قطامي يوسف ،(2013). استراتيجيات التعلم والتعليم المعرفية ،ط1،عمان-الأردن ،دار المسيرة للنشر والتوزيع .

- **المراجع باللغة الأجنبية :**

1. . Gérard .F. M ; Roegiers .X ; Bosman.Ch , (2009).Des manuels scolaires pour apprendre - concevoir , évaluer , utiliser. (2^em éd) , Bruxelles, Ed. de Boeck université.
2. Marwan Danièle, (1995). Le Robert mini – Dictionnaires Le robert , paris.
3. Roegiers Xavier, (2003).Des Situation pour intégrer les acquis scolaires. (1er éd), Bruxelles, Ed. de Boeck université.
4. Roegiers .X ; Dieng.S .A ;Goza.N.A ;Gbennou.P ; Bipoupout.J-C ; Boutanba.B ; Randriambao.Y , (2010). Les pratiques de classe dans L'APC. (1e éd), Bruxelles ,Ed. de Boeck université.
5. Touzin Ghislain, (1997). La contribution de l'approche par compétences à l'intégration des apprentissages . *Cégep de Chicoutimi. vol 08 .N°01.* www.cegep-chicoutimi.qc.ca/reflets/reflet06.htm . 07.03.2005
6. Perrenoud Philippe, (1999) . La clé des champs : essai sur les compétences d'un acteur autonome. *Contribution au programme DeSeCo de l'OCDE " Définition et sélection de compétences ". Le texte définitif a paru en anglais : Perrenoud, Ph. (1999)The Key to Social Fields : Essay on the Compétences of an Autonomous Actor, OFS, Neuchâtel et OCDE, Paris.* http://www.unige.ch/fapse/SSE/teachers/perrenoud/php_main/php_1999/1999_04.rtf. 03.02.2006

مدى مساهمة التكوين والتعليم المهنيين في تحقيق التنمية المستدامة

أ/ بوشريط نورية، جامعة تيارت أ/نبار رقية، المعهد الجهوي سيدي بلعباس

الملخص:

التكوين عنصر أساسي في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية كما يعتبر أحد المحاور الأساسية لتنمية أداء الموارد البشرية خاصة بعد التطور التكنولوجي والتغير الاجتماعي والاقتصادي السريع الذي أدى إلى وضع التكوين المهني في مكانة أساسية تكمل بناء المؤسسات وتحقيق التقدم.

اعتبارا أن التكوين هو أفضل استثمار فهل يمكن اعتبار قطاع التكوين والتعليم المهنيين من الاستثمارات ذات الأولوية في المؤسسة الجزائرية التي حققت التنمية؟

على هذا الأساس هدفت الدراسة إلى التعرف على ما مدى مساهمة التكوين والتعليم المهنيين في التنمية من خلال دراسة وصفية لمدى تطور هذا القطاع على طول الفترة الزمنية 1962 الى غاية 2013 لإحدى ولايات الجزائر. توصلت النتائج ان التكوين المهني مؤشر من مؤشرات التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية:

التكوين والتعليم المهنيين، التنمية، ابعاد ومؤشرات التنمية .

1. مقدمة:

اهتمت المجتمعات النامية بمشروع التنمية باعتباره الأداة والطريقة الوحيدة لمواجهة التخلف، بذلت جهود كثيرة لتصل إلى أن التنمية الاجتماعية والاقتصادية هي المؤشرات الأساسية للقضاء على التخلف لكنها لا تتم إلا في الإطار الاجتماعي حيث أن التنمية الاجتماعية ضرورية للتنمية الاقتصادية فهي تدفع عجلتها وتضمن نجاعتها واستمرارها من جهة ومن جهة أخرى تعتمد عمليات النمو الاقتصادي على الرأس المال لكن في المقام الأول الرأس المال البشري باهتمامها بالجوانب الصحية والتعليم والإسكان والتغذية ...بهذا تصبح التنمية الاجتماعية تحديا كبيرا يحدث حركة نوعية على مستوى النمو و التقدم.

يعد التعليم من أهم العمليات الاجتماعية التي تهتم الدول المتقدمة لما لها من دور أساسي في استمرارية وبقاء وتطور هذه الدول، في حين نشهد ان التعليم في الدول السائرة في طريق النمو تتميز بتفاوت نسب التعليم وبارتفاع نسبة الأمية، التسرب المدرسي ..الخ

يشكل التكوين والتعليم المهنيين بالجزائر قطاعا استراتيجيا هاما في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وهذا من خلال ربط مسالة التشغيل بالتكوين المهني باعتباره حلقة أساسية في سلسلة الإدماج الدائم في سوق العمل فبقدر ما تساهم مخرجات التكوين المهني في التطوير الاقتصادي من جهة، تتأثر من جهة أخرى بمدى التطور الاقتصادي،وما يفرضه من احتياجات ومعايير الأداء وما يوفره من فرص العمل والتشغيل.

و يحتوي قطاع التكوين و التعليم المهنيين على شبكة واسعة من المؤسسات و مراكز التكوين موزعة عبر التراب الوطني، حيث تغطي مجموعة واسعة من التخصصات في مختلف الأنماط و مستويات التأهيل، وهي تستقطب أكثر من 60% من مجموع المتسربين من قطاع التربية، وتمتص أكثر قدر من الشباب، وبذلك فمهمة مؤسسات التكوين المهني فعالة في مداها التعليمي. حيث يمثل التكوين والتعليم المهنيين فرصة ثانية لمن لم يحالفه الحظ للحصول على دراسات عليا، بإعطائه فرصة لتعلم مهارات ومهن تسهم هي الأخرى في التنمية، على هذا الأساس ارتأينا طرح التساؤل التالي:

ما مدى مساهمة التكوين والتعليم المهنيين في التنمية المستدامة ؟

2. **أهداف الدراسة**: نسعى في هذه الدراسة إلى تحقيق بعض الأهداف المتمثلة في:

- محاولة استكشاف مدى مساهمة التكوين والتعليم المهنيين في التنمية المستدامة
- تحديد جوانب مساهمة التكوين والتعليم المهنيين في التنمية المستدامة.
- استكشاف مؤشرات مساعدة في تحقيق التنمية المستدامة من قطاع التكوين والتعليم المهنيين.

3. **أهمية الدراسة** : تتلخص أهمية الدراسة في العناصر التالية:

✓ تبرز أهمية الدراسة من الموضوع المتناول التنمية الذي يعد من أهم المواضيع السيكولوجية والاقتصادية التي فرضت نفسها على بساط البحث والمناقشة من خلال معرفة الميكانيزمات والأبعاد التي تحدد التنمية، والعلاقة التي تتجلى ضمن أبعاد ومؤشرات التنمية مع متغير التكوين والتعليم المهنيين.

✓ كما تظهر أهمية الدراسة في مفهوم التكوين المهني الذي أصبح في الوقت الراهن أهم عناصر تنمية الموارد البشرية، والركيزة الأساسية في تحسين المعارف والتدريب على الكفاءات، و نظرا للدور الجوهري في مساعدة الشباب وإدماجهم مهنيا.

✓ كما تبرز أهمية الموضوع من علاقة التكوين المهني مع سوق العمل التي هي ضرورة لابد منها من اجل تزويد المؤسسات باليد العاملة والتي تمكنها هي الأخرى من مسايرة التطورات الحاصلة في مختلف الميادين وبالتالي المساهمة في التنمية المستدامة.

✓ كما تتجلى أهمية الدراسة باستخلاص وتقديم بعض النتائج يمكن ان تساعد القائمين والمخططين في تحقيق التنمية.

4. المفاهيم الإجرائية لمتغيرات الدراسة:

1.4.التنمية المستدامة: هي عملية مخططة موجهة لها أهداف تتمثل في توفير الاحتياجات الأساسية للفرد بغية تحسين ظروفه في جميع المجالات الاجتماعية الثقافية السياسية البيئية التكنولوجية.

2.4.التكوين والتعليم المهنيين : يعرف القانون رقم 78 / 12 المؤرخ 05 أوت 1978 المتعلق بالقانون الأساسي العام في مادته 171 "العمل التكويني بأنه " أحد عوامل الترقية الاجتماعية والمهنية للعمال ، وضمان لتنمية الاقتصاد للبلاد".

5.الجانب النظري:

1.5.التنمية : عملية تهدف إلى إحداث تغيير حضاري في طريقة التفكير والسلوك، كما تعد التحولات الجادة والمستمرة التي يقوم بها البشر لتحسين ظروف الحياة الجماعية والفردية بما يتوافق مع الإمكانات المتاحة، وفق نسق القيم السائدة في المجتمع (رافيق بن مرسلي، 2011: 17) يعرف كل "من سيلتر و والت رستو Silter and w.Rostow" التنمية تكون بتخلي المجتمعات المتخلفة عن السمات التقليدية السائدة فيها وتبني الخصائص السائدة في المجتمعات المتقدمة.

كما يشير "شوداك Shodak " بأنهاعملية تغيير جذري من نواحي مختلفة اقتصادية او اجتماعية او ثقافية او غيرها..(فكرون السعيد،2005 : 48) وبالتالي هي مجهودات مخططة من قبل الجماعات أو الأفراد تحدث تحولا جذريا في مختلق جوانب الحياة بغية تحين ظروف العيش.

مع اشتداد تنامي الوعي للدول والهيئات والمؤسسات والأفراد بقضايا البيئة والمجتمع ظهر مفهوم جديد للتنمية اصطلح عليه التنمية المستدامة والذي بلورت خطوطه في مؤتمر ستوكهولم سنة 1972(العايب عبد الرحمن، 2010: 11)، ومع نشر تقرير اللجنة العالمية "بورتلاند Brudtland 1987 " مستقبلنا المشترك" Our commun future التنمية التي تلبي الاحتياجات الحالية الراهنة دون المساومة على قدرة الاجيال المقبلة في تلبية احتياجاتهم.

Sustainable developme,t is denelopment thats meets the needs of the presen without compromising the ability of future generations to meet their own needs .(ديب ، مهنا، 2009: 488)

تختلف التنمية المستدامة باختلاف الوسائط التي تستخدم المصطلح فقد تكون حماية بيئة، كما تكون إدارة موارد، في حين هي إدارة جودة....وبالتالي التنمية المستدامة هي توفير الاحتياجات الأساسية للفرد بغية تحسين ظروفه في جميع المجالات الاجتماعية الثقافية السياسية البيئية التكنولوجية، لذلك هي عملية موجهة لها أهداف تسعى إلى تحقيقها تتميز بالاستمرارية يساهم فيها جميع القطاعات وفئات المجتمع.

2.5.أهداف التنمية المستدامة: تسعى التنمية المستدامة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- **زيادة الدخل الوطني:** الدافع الأساسي الذي يدفع الدول المتخلفة إلى إحداث التنمية المستدامة فقدها وانخفاض المستوى المعيشي لديها وبالتالي تسعى إلى زيادة الدخل الوطني من خلال التنمية الاقتصادية بزيادة إنتاج السلع والخدمات.

2- تحسين المستوى المعيشي: التنمية المستدامة تسعى إلى تحسين نوعية حياة الأفراد والمجتمع عن طريق التركيز على الجوانب النوعية للنمو، من خلال إشباع الحاجات الأساسية للأفراد الحالية والمستقبلية، وتحسين جودة الحياة من خلال توفير وتحسين فرص العمل ،التعلم ،الصحة ،الخدمات الاجتماعية ،السكن**،** احترام الحقوق و**تمكينهم من** المشاركة في اتخاذ القرار.

3- **تقليل التفاوت في الدخول والثروات**: يندرج هذا الهدف ضمن إطار التنمية الاجتماعية، من خلال تركيزه على الفوارق في توزيع الدخل للفرد.

4- **ترشيد استخدام الموارد الطبيعية**: حقيقة أن التنمية تعمل على تحسين نوعية الحياة، لكن ليس على حساب البيئة فهي تؤكد على الحفاظ على الموارد الطبيعية، والاستخدام العقلاني بالإضافة إلى البحث عن بدائل لهذه الموارد حتى تبقى لفترة زمنية طويلة.

5- ربط التكنولوجيا الحديثة بأهداف المجتمع: تسعى التنمية إلى توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال لتخدم المجتمع (مراد ناصر،2010: 139)

3.5.أبعاد التنمية المستدامة: تظهر أبعاد التنمية من التعاريف المطروحة والكثيرة فكلها تظهر اهتمامات التنمية فمنها من يشير الى الاهتمام بالمورد البشري، كما قد نجد الجوانب الاقتصادية، وآخر يركز على الجانب البيئي والاجتماعي، كما وقد نلمس التركيز على الجانب الاداري المؤسساتي، هذا الاختلاف لا يعكس هذه الجوانب بمعزل عن بعض انما تشير ان كل اهتمامات التنمية المستدامة تركز على جوانب وبشكل متصل فهي تحرص وتهتم بتقديم استراتيجيات اقتصادية على الامد البعيد والتي تتضمن تصورا اجتماعيا وبيئيا وإداريا ومؤسساتيا وبشريا..لذلك نعرض أبعاد التنمية المستدامة بالشكل التالي:

-1 البعد البيئي : Enveronmental demonsion of sustainability

النظام البيئي المستدام هو الذي يحافظ على قاعدة ثابتة من الموارد الطبيعية، وتجنب الاستنزاف الزائد للموارد المتجددة وغير المتجددة ويتضمن ذلك حماية التنوع والاتزان الجوي وإنتاجية التربة والأنظمة البيئية الطبيعية الأخرى التي لا تصنف عادة كموارد اقتصادية (العايب عبد الرحمن،2012: 27) يمكن اختصارها في الاهتمامات التالية: النظم الايكولوجية، الطاقة، التنوع البيولوجي، الإنتاجية البيولوجية، القدرة على التكيف.

-2 البعد الاجتماعي:Social demonsion of sustainability

النظام مستدام اجتماعيا بمعنى تحقيق العدالة في التوزيع وإيصال الخدمات الاجتماعية إلى محتاجيها والمساواة في النوع الاجتماعي والمحاسبة السياسة والمشاركة الاجتماعية (العايب عبد الرحمن،2012 :27) البحث في كافة أشكال تحسين المستوى المعيشي من حيث التعليم والسكن والصحة وغيرها للسكان من خلال المساواة في التوزيع، الحراك الاجتماعي، المشاركة الاجتماعية، التوزيع الثقافي، استدامة المؤسسات.

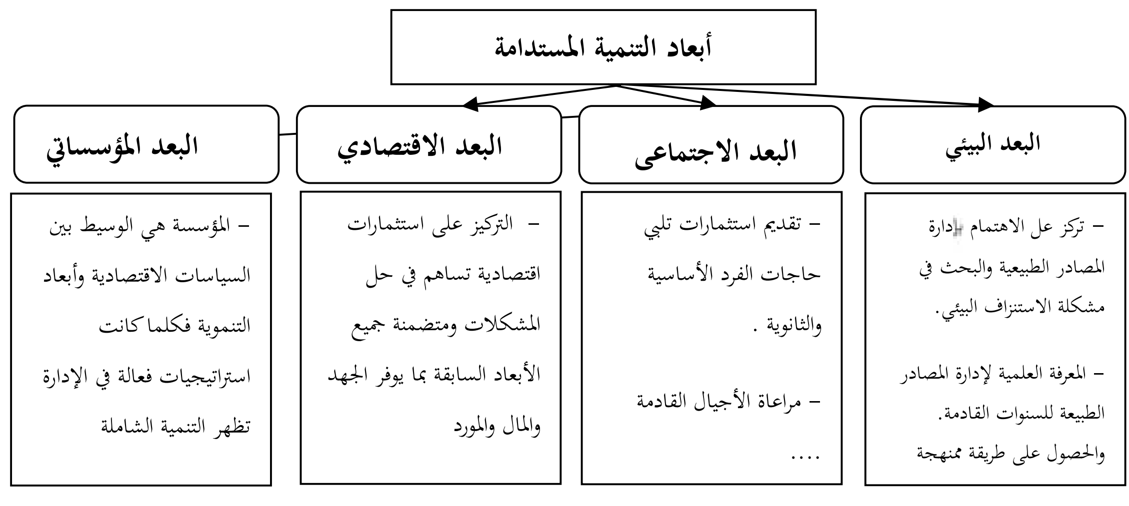
-3 البعد الاقتصادي:Economic demonsion of sustainability

الاستدامة الاقتصادية هي نظام يتمكن من إنتاج السلع والخدمات بشكل مستمر يحافظ على مستوى قابل للإدارة من التوازن الاقتصادي ما بين الناتج العام والدين(العايب عبد الرحمن،2012:27) وتظهر في الجوانب التالية :النمو الاقتصادي المستدام، كفاءة رأس المال، إشباع الحاجات الأساسية، العدالة الاقتصادية.

4– البعد المؤسساتي: Governant demonsion of sustainability

إذ تعد إدارة الموارد البشرية من أهم وظائف الإدارة لتركيزها على العنصر البشري و الذي يعتبر أثمن مورد لدى الإدارة و الأكثر تأثيرا في الإنتاجية على الإطلاق، إن إدارة و تنمية الموارد البشرية تعتبرا ركنا أساسيا في غالبية المنظمات حيث تهدف إلى تعزيز القدرات التنظيمية، و تمكين الشركات من استقطاب و تأهيل الكفاءات اللازمة والقادرة على مواكبة التحديات الحالية والمستقبلية لذلك اهتم علماء الإدارة بوضع المبادئ و الأسس التي تساعد على الاستفادة القصوى من التكنولوجيا.(ثلايجية نوة، ب ت: 3) وتتجلى من خلال الاستفادة من الابتكارات التكنولوجية في التنمية والتقدم الاقتصادي والاجتماعي.

يمكن تلخيص أبعاد التنمية المستدامة في الشكل التالي:



الشكل (1) : يوضح الأبعاد التنمية المستدامة

4.5.مؤشرات التنمية المستدامة: من خلال أبعاد التنمية المستدامة و من خلال القمة العالمية للتنمية المستدامة المنعقدة في "جوهانسبورغ2002" تم تحديد أولويات التنمية المستدامة التي تتركز في المجالات التالية (المياه، الطاقة، الصحة، الزراعة، التنوع البيولوجي، الفقر، التجارة، التمويل، التكنولوجيا، الإدارة الرشيدة، التعليم، المعلومات والبحث العلمي)(العايب عبد الرحمن،2012 :134) وعليه يمكن أن نحدد مؤشرات التنمية المستدامة الاقتصادية منها والاجتماعية والبيئية والمؤسساتية (دبقة شريف، 2008) لنلخصها في الشكل التالي:



الشكل (2): يوضح مؤشرات التنمية المستدامة

6.تعريف التكوين المهني:

يعرف القانون رقم 78 / 12 المؤرخ 05 أوت 1978 المتعلق بالقانون الأساسي العام في مادته 171 "العمل التكويني بأنه " أحد عوامل الترقية الاجتماعية والمهنية للعمال ، وضمان لتنمية الاقتصاد للبلاد".

وكذلك منظمة العمل العربية في دورتها الرابعة لمؤتمر العمل العربي، عرفت التكوين المهني بأنه " جميع أنواع التدريب التي تؤدي إلى إكساب معلومات فنية ومهنية، آو تنميتها سواء تم هذا التدريب في المدرسة أو في مكان العمل. (عيشوبة ،2006 ص:20).

أما "وزارة التكوين المهني "(1995) فتعرفه: هو توفير اليد العاملة المؤهلة للاقتصاد الوطني في أسرع وقت ممكن، وأفضل الشروط المتعلقة بالنوعية والكمية الضرورية لانجاز مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية. (العمري، 2006: 65).

ويعرف "غياث بوفلجة" التكوين المهني بأنه مجموعة من النشاطات تهدف إلى ضمان الحصول على المعرفة والمهارات والاتجاهات الضرورية لأداء مهمة، أو مجموعة من الوظائف، مع القدرة والفعالية في فرع أو مجال من النشاطات الاقتصادية المعنية. (غياث بوفلجة ،2002 ص: 79).

أما "مدحت محمد أبو النصر" (2007: 17) يرى أن التكوين المهني " هو عملية مخططة ومستمرة تهدف إلى تلبية الاحتياجات التكوينية الحالية والمستقبلية لدى الفرد، من خلال زيادة معارفه، وتدعيم اتجاهاته، وتحسين مهاراته، بما يساهم في تحسين أدائه في العمل، وزيادة الإنتاجية في المنظمة".(رحماني، 2009 ص:11 . 12).

التكوين المهني عبارة عن عمليات أو نشاط منظم مستمر يسمح للفرد من اكتساب معلومات، مهارات، معارف وقدرات مهنية من خلال برامج نظرية وتطبيقية محددة لازمة لأداء عملية مهنية معينة. وذلك من خلال دروس نظرية وأعمال تطبيقية يوجهها المتخصص بالمهنة، تجعل المتكون صالحا لمزاولة عمله وإتقانه والتكيف معه ومع المتغيرات الحاصلة، وهو عملية شاملة تضم جوانب نفسية وفنية واجتماعية.

1.6.أهمية التكوين المهني :

انطلاقا من التعاريف السابقة الذكر للتكوين المهني، اتضح لنا جليا أهميته الكبيرة، حيث انه أحد القطاعات الأكثر أولوية لمختلف مخططات التنمية، ويمكننا توضيح ذلك فيما يلي:

1/ يساعد التكوين المهني على التشخيص الجيد لاحتياجات المؤسسات الخاصة وأن عملية إعداد البرامج التكوينية يكون وفقا لمتطلبات المؤسسة الاقتصادية لتوفير يد عاملة مؤهلة.

2/ قدرته على التحكم في التكنولوجيا " فالتطور التكنولوجي والتغير الاجتماعي والاقتصادي السريع أدى إلى وضع التكوين المهني في مكانة أساسية تكمل بناء المؤسسات والنظر إلى مخططات التكوين

المهني على أنها ممر يمكننا من خلاله تعديل المؤسسات (Abdelhak lamiri 1993p :90).

ويذكر "سلاطنية" (2001) أن أهمية التكوين المهني تتجلى في النقاط الآتية :

- يشكل التكوين المهني المتطلب الأساسي لتحقيق أية تنمية اقتصادية، قائمة على التنمية الصناعية، فضلا عن أنه يؤدي إلى إيجاد توازن اقتصادي يحافظ على استقرار المجتمع واستمراره.
- هناك علاقة ارتباطيه بين التقدم التقني والتكوين المهني .
- يشكل التكوين المهني استثمارا فعالا لدفع عجلة التنمية نحو الأمام .
- عملية التكوين المهني في مختلف مستوياتها ترتبط قضايا اجتماعية عديدة مثل الحراك المهني والاجتماعي والجغرافي وغيره.

كما ورد في الدليل العلمي للتكوين بالمؤسسات الفرنسية أن " التكوين الجيد هو أفضل وسائل الاستثمار". (سلاطنية ،2001 ص:22-23).

وهكذا يمكن اعتبار التكوين المهني من الاستثمارات ذات الأولوية في المؤسسة الجزائرية حيث انه يشكل الوسيلة المميزة لتلبية حاجياتها من عمال مؤهلين لتقويم وتطوير الموارد البشرية ولرفع مستوى التأهيل والكفاءة لمتطلبات التطور التقني والتكنولوجي.

3.6. أهداف التكوين المهني بالجزائر :

يهدف التكوين المهني إلى انجاز أهداف محددة ومن بينها ما يلي :

- الاستجابة لاحتياجات الاقتصاد بتوفير اليد العاملة المختصة لتحسين الإنتاج، ورفع مستوى الاقتصاد.
- تكييف العمال مع مراكز عملهم مع الأخذ بعين الاعتبار التغيرات التكنولوجية وظروف العمل، وبالإضافة إلى الترقية الاجتماعية والمهنية للعمال.
- مواجهة التحدي التكنولوجي والآلي.
- كما أن للتكوين المهني هدف إجتماعي، حيث أنه يساعد في إيجاد حل للشباب الذين تركوا مقاعد الدراسة في نهاية التعليم الأساسي والثانوي، حيث دلت الأبحاث على أن أكثر من 50% من تلاميذ التعليم الأساسي لا ينتقلون إلى المرحلة الثانوية، كما أن أكثر من 80% لا ينجحون في شهادة البكالوريا، ومن بين المسارات التي تختارها هذه الفئة الهائلة هو مسار التكوين المهني (بوسنة وآخرون 1995) في (العمري، 2006 : 72).

كما أن التكوين المهني وسيلة لمحاربة البطالة: حيث تشير حصيلة التشغيل المنجزة من قبل وزارة العمل والتكوين منذ 1982 أن نسبة الشبان الذين يعملون لأول مرة في انخفاض مستمر فيما يخص التوظيف إذ أنها انتقلت من (15.6%) في سنة 1982 إلى 13% سنة 1984، وفي سنة 1989 اقل من 15%.

وفي سنة 1992 أصبح 2.000.000 بطالا أكثر من 70% من الشبان منهم 148000 متخرجا من الجامعات، ويبدو من هذا أن البطالة تمس على وجه الخصوص الشباب وأنها تتزايد سنة بعد أخرى نتيجة عدم إحداث مناصب شغل جديدة.

تنص الجريدة الرسمية رقم 36 المؤرخة في 07 . 09. 1982، أن التكوين المهني يساهم في تحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والمهني للمجتمع عن طريق الارتباط العضوي لهذا النمط من التكوين باحتياجات المجتمع المرحلية (مكي احمد، 2007 :177).

ويحصر "مكي احمد" (2007) أهداف التكوين المهني فيما يلي:

1 . الأهداف الاقتصادية: إن عملية التكوين المهني تساهم بصفة فعالة ومعتبرة في الميدان الاقتصادي، وذلك برفع مستوى الإنتاج وتحسين نوعيته كما يؤدي إلى تحسين الفعالية، في كل المصالح بتكوين الإطارات القادرة على اتخاذ القرارات المناسبة وتحمل المسؤولية.

2 الأهداف الاجتماعية: إن التكوين المهني يساعد اجتماعيا في إيجاد حل للآلاف الشباب الذين يتركون مقاعد الدراسة في نهاية التعليم الأساسي والثانوي والمنتظرين لإدماج اجتماعي فعال.

3 . الأهداف الفردية: وتتجلى في تكيف الفرد مع متطلبات المهنة حسب التغيرات التقنية، فالتكوين يساعده على التحكم في التقنيات وبالتالي ترقيته، كما يوفر التكوين فرص التعليم والتكوين في كل وقت وبالتالي نجد أن للتكوين المهني دورا مزدوجا:

أ . بالنسبة للعامل: يسمح له بالاستفادة من ترقية مهنية واجتماعية، وذلك عن طريق الارتقاء في السلم المهني لمنصبه.

ب . بالنسبة للمؤسسة: يساهم في حل المشاكل الخاصة بنقص اليد العاملة المؤهلة، فحسب ما جاء في الجريدة الرسمية الجزائرية رقم 36 المؤرخة في 07. 09. 1982.فان التكوين المهني يهدف إلى المساهمة في تلبية حاجات المؤسسة الكلية والجزئية فيما يخص اليد العاملة المؤهلة. (مكي احمد، 2007: 177).

3.6.أنماط التكوين :من اجل الاستجابة لطلبات التكوين المتنوعة والمتعددة بمختلف فئات المجتمع الجزائري يقدم قطاع التكوين المهني ثلاثة أنماط للتكوين المهني وهي:

- التكوين الإقامي.

➢ التكوين عن طريق التمهين.

➢ التكوين عن بعد. (circulaire ministerielle n 5 du)
2004; 29

أ.**التكوين الاقامي**: يتم تقديم هذا النوع من التكوين كليا بمؤسسة التكوين المهني ويدعم بتربص ميداني في نهاية التكوين، ويغطي التكوين الإقامي احتياجات 223009 طالب تكوين (إحصائيات 2006)، ويعتبر أكثر أنماط التكوين انتشارا بمؤسسات التكوين المهني مقارنة مع الأنماط الأخرى.

ب . **التكوين عن طريق التمهين**: يتم هذا التكوين بتناوب مع التكوين التطبيقي في ميدان العمل والتكوين النظري (تكوين تقني وتكنولوجي تكميلي) داخل مؤسسات التكوين المهني، وقد تم إدخال هذا النمط من التكوين سنة 1981 بناء على القانون 81-07 الذي بدأ حيز التطبيق سنة 1982 ويعتبر التكوين عن طريق التمهين أقل تكلفة و أكثر انسجاما مع سوق العمل واحتياجاته .يستضيف هذا النمط من التكوين ما لا يقل عن 203462 متمهن (إحصائيات 2006).اذ أصبح العمود الفقري لقطاع التكوين والتعليم المهنيين للوزارة لكونه يسمح بجعل الشباب باتصال مباشر مع عالم الشغل، وكذا ان هذه الشريحة عنصرا هاما في معركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد حسبما صرح به السيد وزير التكوين المهني.

http://www.aps.dz/ar/economie/2368-%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%A9

ج . **التكوين عن بعد**:

بدأ العمل بهذا النمط من التكوين ابتداء من سنة 1985، ويتم عن طريق تقديم دروس بالمراسلة مع تجميع دوري للمستفدين من هذا النمط من التكوين، ويسمح هذا النمط بمختلف الفئات من الشباب والعمال الذين فشلوا في متابعة المسار الدراسي لتحسين مستوى تكوينهم ويقدم نتيجة ذلك شهادات ذات علاقة بمستوى تكوينهم. ويشرف على هذا النمط من التكوين المعهد الوطني للتكوين عن بعد ويغطي احتياجات 11726 طالب تكوين (إحصائيات 2006).

إضافة إلى ذلك هناك أنواع أخرى من التكوينات منها:

التكوين عن طريق اتفاقية: حيث يتم هذا التكوين في المؤسسة المستخدمة ويتم تزويده من مؤسسات التكوين المهني ببرامج التكوين وتقوم هذه الأخيرة بمتابعة العمال في المؤسسة المستخدمة.

التكوين بالبطاقة: ويكون بطلب المؤسسة الراغبة في تكوين عمالها حيث يتم تكوينهم في المؤسسات التكوينية تكوينا متخصصا.

تكوين سيسكو CISCO: يتم التكوين في المعاهد الوطنية المتخصصة في التكوين المهني للحصول على أربع شهادات معترف بها دوليا وهي بالاتفاق مع ميكروسوفت Microsoft والمستوى الدراسي المطلوب 3 ثانوي فما فوق للشعب العلمية، العلوم الدقيقة الرياضيات والشعب التكنولوجية .

تكوين المرأة الماكثة بالبيت: هذا التكوين خاص بالمرأة الماكثة بالبيت ويكون غالبا في عطلة الأسبوع في بعض التخصصات خاصة الخياطة، الطبخ والحلويات وهي تكوينات تأهيلية تتحصل من خلالها المرأة على شهادات.

التعليم المهني: يقصد بالتعليم المهني ،كل تعليم أكاديمي وتأهيلي ،ممنوح من مؤسسات التعليم المهني بعد الطور الاجباري في مؤسسات التربية الوطنية (المادة 10)، وهو يهدف الى التحضير لممارسة مهنة أو مجموعة من المهن. (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2008 :05).

بادرت وزارة التكوين والتعليم المهنيين إلى إجراء معاهد تكوينية أولية في هذا النوع من التعليم كانطلاقة أولى،ويكون التكوين لمدة أربع سنوات (شهادة التعليم المهني الدرجة الأولى DEP1 سنتين (02))، ولشهادة التعليم المهني الدرجة الثانية DEP2 تكون بسنتين (02))، تم إدراج التعليم المهني في منظومة التكوين و التعليم المهنيين مع بداية شهر سبتمبر 2005.

7.الافاق التنموية في التكوين والتعليم المهنيين:

كان التكوين المهني بمثابة وعاء يستقبل المتسربين من النظام التربوي،لكنه شهد الكثير من التحولات والإصلاحات حتى يتمكن من التوفيق بين الاحتياجات من التكوين وعروض التكوين ليتمكن من القيام بدوره في عملية التنمية.فهو يعمل جاهدا للرفع من مستوى الطلب على العمل المتخصص والدقيق من أجل وضع علاقة مستقرة بين مخرجاته ومدخلات العمل. وفي هذا الاطار أكد وزير التكوين والتعليم المهنيين " **نور الدين بدوي**" على عدة نقاط منها :

- التفكير الجدي بتكييف التكوين مع خصوصيات كل منطقة.
- التكوين عن طريق الشراكة مع المؤسسات والشركات الأجنبية، ويكون ذلك بوضع مؤسسات تكوينية ذات امتياز بالتنسيق مع المجمعات الأجنبية، وهذا يذكر بالتعليمة التي أمضاها الوزير الأول سنة 2013 والتي تفرض على كل مؤسسة أجنبية عاملة في الجزائر في مجال السكن أو أي مجال آخر أن توضع مادة في اتفاقية عملها تفرض عليها تكوين الشباب بنسبة تتراوح بين 10 الى 15 %من تعداد عمالها.

- انخراط القطاع الاقتصادي في مسعى التكوين حيث ذكر "وزير التكوين والتعليم المهنيين"أن كل مؤسسات البناء والأشغال العمومية التي فازت بصفقات لمشاريع إنجاز برامج عمومية "ملزمة بالانخراط في عملية التمهين وتكوين الشباب"، مشددا على أن كل ورشة لا تأخذ بعين الاعتبار هذا الجانب ستكون محل أعذار وقد يصل الأمر إلى فسخ المشروع."ونجد أن قطاع التكوين والتعليم المهنيين يستقبل سنويا ما يتعدى 600 ألف متربص ومتمهن في أكثر من 420 تخصص يشمل 22 فرعا من النشاطات المهنية على مستوى 1200 هيكل موزع عبر التراب الوطني.

- التأهيل شرط أساسي لتقديم أية تسهيلات في الاستثمار فالدولة "لا تقدم مستقبلا أية تسهيلات مالية لفائدة المستثمرين بدون تأهيل مسبق لصاحب المشروع في التخصص الذي يريد الاستثمار فيه". وأكد هذا التأهيل يأتي عن طريق التكوين الميداني المتوج بشهادة الكفاءة التي تخول لصاحبها بأن يستثمر أو يدخل عالم الشغل.وهذا ما اكدته الاهمية التي اولتها الدولة الى التمهين ومزايا هذا النمط التكويني الذي يجعل الشاب في قلب النشاط ويقربه من عالم الشغل.

أولت سياسة التكوين المهني اهتماما كبيرا بالمرأة الجزائرية،حيث سمحت بارتفاع عدد الفتيات اللواتي أستفدن من التكوين من 76.000 فتاة سنة 1995 إلى نحو 250.000 سنة 2013. وتم استحداث برامج مختلفة تهدف لتقريب التكوين في الوسط الريفي والمناطق النائية و تكوين المرأة الماكثة بالبيت و وضع برامج لمحو الأمية و انشاء مراكز جواريه لفائدة النساء سمح بتحقيق " نتائج طيبة في الميدان" مضيفا ان هناك "عملا متوصلا من أجل تحقيق مكاسب أخرى للمرأة الجزائرية".

كما اكد وزير التكوين والتعليم المهنيين ان حوالي 160.000 متربص قد سجلوا في اطوار التكوين المهني لسنة 2014-2015 مشيرا خلال منتدى "يومية **ليبرتي**" ان الشباب قد اصبحوا على وعي بأهمية التكوين في اطار البحث عن العمل و بالتالي قرروا التسجيل في تخصصات من اختيارهم.

ويمكن للقطاع ان يستقبل حتى 600.000 متربص و متمهن سنويا في اكثر من 420 تخصصا على مستوى 1200 مؤسسة عبر التراب الوطني.

8.الجانب الميداني:

1.8.المنهج :

نظرا لكون أهداف هذه الدراسة تتمثل في استكشاف مدى مساهمة التكوين المهني في التنمية المستدامة والبحث عن مؤشرات توضح العلاقة بين المتغيرين ، فان المنهج الذي يتلاءم وهذه الأهداف هو المنهج

الوصفي المسحي من خلال تقديم أوصاف دقيقة لخصائص وتحديد جوانب وأبعاد التنمية المستدامة ، كذلك تحديد متغير التكوين والتعليم المهنيين والبحث عن المؤشرات الإحصائية التي تسهم في التنمية المستدامة وبالتالي فهم العلاقات بين المؤشرات مبرزين ذلك من خلال دراسة حالة على احد ولايات الجزائر.

2.8.العينة :

تمثل مجتمع الدراسة في قطاع التكوين والتعليم المهنيين، بمختلف جوانبه الإدارية والتقنية والبيداغوجية، حيث تم الاعتماد على دراسة حالة والمتمثلة في دراسة التكوين والتعليم المهنيين في ولاية تيارت ومدى التطور في هذا القطاع حيث نجد فيه 1141 عاملا موضحة في الجدول التالي :

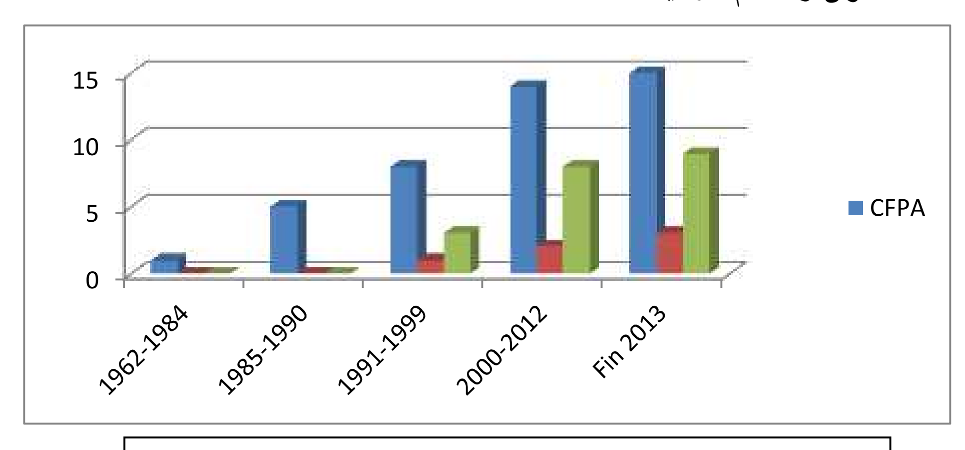
الجدول (1): يوضح عدد وتصنيف عمال قطاع التكوين والتعليم المهنيين بالولاية

عمال مديرية التكوين	التأطير التقني	التأطير الاداري	التاطير البيداغوجي				
59	234	359	ATP	CONSEILLER	P S F E P 2	P S F E P 1	PEP
			34	18	95	72	277
			496				

3.7.عرض نتائج دراسة الحالة:

3.7.عرض نتائج دراسة الحالة: اعتمدنا في الدراسة على جمع البيانات المتعلقة بالتكوين والتعليم المهنيين من مؤسسات التكوين الى عدد المسجلين والمتوجين بشهادات (خريجين) باختلاف أنماط التكوين، يمكن توضيح ذلك على النحو التالي.

1– مؤسسات التكوين والتعليم المهنيين:



1

الشكل (3): يوضح تطور مؤسسات التكوين والتعليم المهنيين من فترة 1962– 2013

نلاحظ من خلال الشكل (3): أن هناك تطور كبير في عدد مؤسسات التكوين المهني في الولاية إذ شهد القطاع بعد الاستقلال مركزا واحدا على مستوى الولاية " حمداني عدة " ليرتفع العدد بخمسة 5 مراكز في فترة 1985- 1990 ليصل سنة 1999 إلى 7 مراكز للتكوين والتعليم المهنيين (CFPA) **و** معهد متخصص للتكوين والتعليم المهنيين بقدرة استيعاب 2050 مقعد بيداغوجي و ثلاث ملاحق للتكوين والتعليم المهنيين.

والفترة 2000 إلى نهاية 2012 تم تقييم القطاع بحوالي 14 CFPA مركزا للتكوين والتعليم المهنيين، و معهدين متخصصين للتكوين والتعليم المهنيين، مع 7 ملاحق للتكوين والتعليم المهنيين، وفي نهاية سنة 2013 نلحظ ان عدد مراكز التكوين والتعليم المهنيين 15 مركزا، و ثلاثة معاهد متخصصة و تسعة ملاحق للتكوين والتعليم المهنيين – مع وجود مشاريع لم تجهز بعد بحوالي 5 مؤسسات ضمنها 3 معاهد للتكوين والتعليم المهنيين .

2- عدد المسجلين بمؤسسات التكوين والتعليم المهنيين باختلاف أنماط التكوين: النتائج موضحة في الجدول التالي:

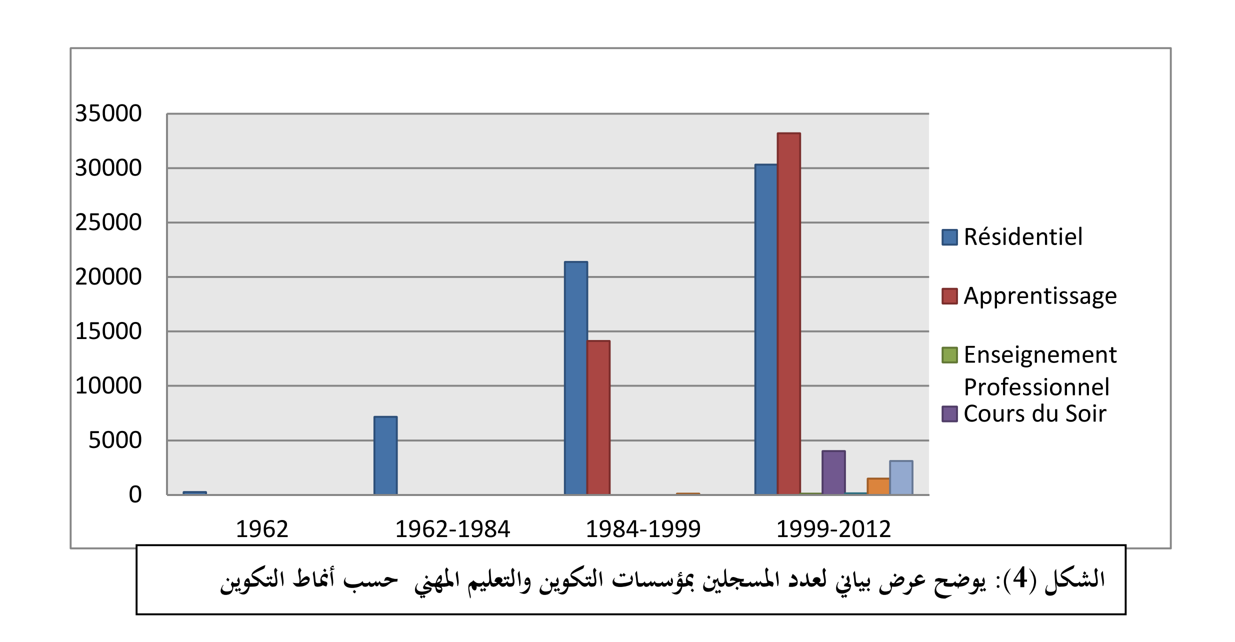
الجدول (2) : يوضح عدد المسجلين بمؤسسات التكوين والتعليم المهنيين بالولاية حسب نمط التكوين 1962- 2012

Modes et Types de Formations	1962		1962-1984		1984-1999		1999-2012		Total	
	Total	Dont Filles	Total	Dont Filles	Total	Dont Filles	Total	Dont Filles	Total	Dont Filles
Résidentiel	246	0	7174	651	21372	7781	30306	11302	59098	19734
Apprentissage	0	0	0	0	14130	2896	33209	10877	47339	13773
Enseignement Professionnel	0	0	0	0	0	0	110	26	110	26
Cours du Soir	0	0	0	0	0	0	4014	1378	4014	1378
Passerelle	0	0	0	0	0	0	133	94	133	94
Conventionnée	0	0	0	0	112	16	1501	553	1613	569
Femme au foyer	0	0	0	0	0	0	3098	3098	3098	3098

Catégories Particulières	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
Total	246	0	7174	651	35614	10693	72371	27328	115405	38672

من خلال الجدول (2) نلاحظ ظهور لأنماط تكوين جديدة باختلاف سنوات بداية من النمط الشائع الانتشار التكوين الاقامي منذ 1962 و الذي شهد إقبال للذكور فقط بحوالي 246 متربصا، ليزيد عدد الملتحقين قي الفترة الزمنية مابين 62- 84 الى 7174 منها 651 إناثا، ليتضاعف العدد وأزيد خلال الفترة الممتدة من 1984- 1999 ليصل 21372 منها إناث بحوالي 7781 مع تميز الفترة بظهور نمط التمهين.بعدد قدر ب 14130 منها 2896 إناث، في حين الفترة 1999-2012 يصل عدد المتربصين 30306 ونجد التمهين 33209 مع تغطية أنماط أخرى التعليم المهني 110 متربصا والدروس المسائية والتكوين عبر المعابر وتكوين المرأة الماكثة بالبيت والتكوين التعاقدي.

كما ونلخص البيانات التقييمية لتطور التكوين والتعليم المهنيين حسب أنماط التكوين في البيان التالي:



الشكل (4): يوضح عرض بياني لعدد المسجلين بمؤسسات التكوين والتعليم المهني حسب أنماط التكوين

يتضح من خلال الشكل أن هناك تطور في قطاع التكوين والتعليم المهنيين خلال الفترة الزمنية 1962-2013 يميزها زيادة نسبة الملتحقين بالمؤسسات وكذلك ظهور أنماط جديد في التكوين والتعليم المهنيين.

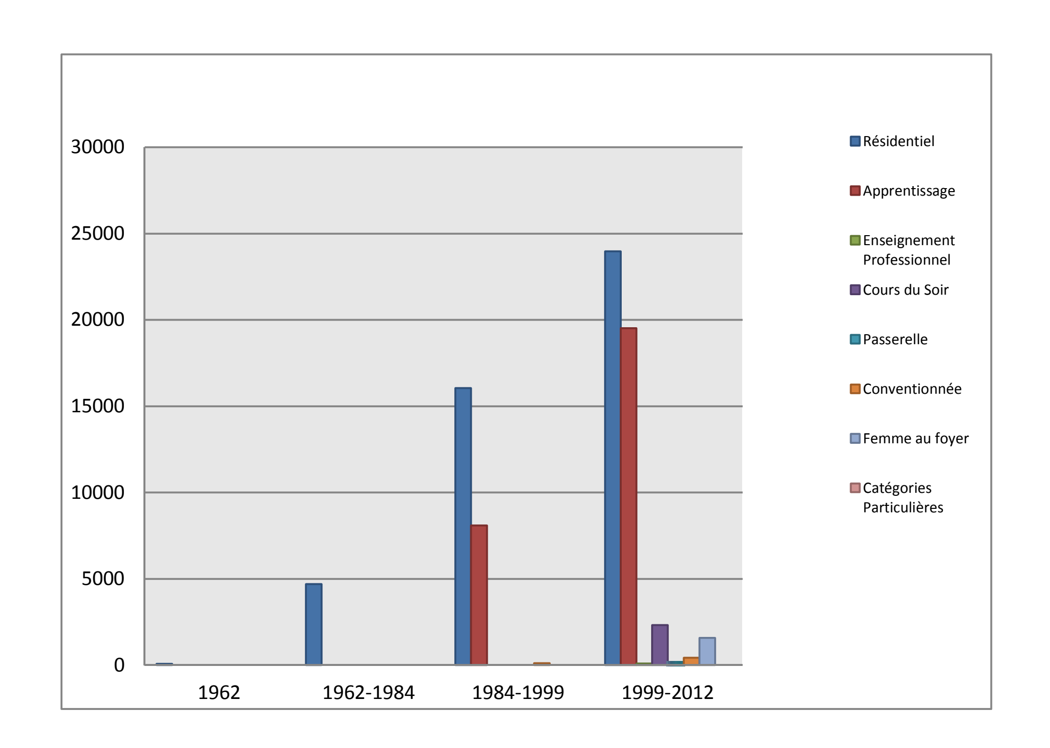
3-عدد خريجي مؤسسات التكوين والتعليم المهنيين باختلاف الأنماط للتكوين:

الجدول (3) : يوضح عدد المتوجين بالشهادات باختلاف أنماط التكوين.

Modes et Types de Formations	1962		1962-1984		1984-1999		1999-2012		Total	
	Total	Dont Filles	Total	Dont Filles	Total	Dont Filles	Total	Dont Filles	Total	Dont Filles
Résidentiel	89	0	4695	466	16061	6415	23969	10085	44814	16966
Apprentissage	0	0	0	0	8090	1890	19520	7385	27610	9275
Enseignement Professionnel	0	0	0	0	0	0	110	26	110	26
Cours du Soir	0	0	0	0	0	0	2335	905	2335	905
Passerelle	0	0	0	0	0	0	132	93	132	93
Conventionnée	0	0	0	0	112	16	438	321	550	337
Femme au foyer	0	0	0	0	0	0	1595	1372	1595	1372
Catégories Particulières	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
Total	89	0	4695	466	24263	8321	48099	20187	77146	28974

بالرجوع الى بيانات الجدول (2) والجدول (3) نجد ان نسبة المتوجين بشهادات بعد مدة التربص خلال الفترة الممتدة 1962-2013 قدرت بـ 66.85%، في حين نسبة المتوجين خلال الفترة 1999-2013 بلغت 66.46%، اما عن الفترة 1984-1999 لتمثل نسبة 68.12 المتوجين بشهادات ممن التحقوا بتلك الفترة كما ونجد ان نسبة النجاح لسنة 1962 تمثلت في36.71 %، بينما المرحلة 1962-1984 نجد نسبة 65.44%.

كما يوضح الشكل (5) ارتفاع نسبة المتوجين بشهادات حسب انماط التكوين:

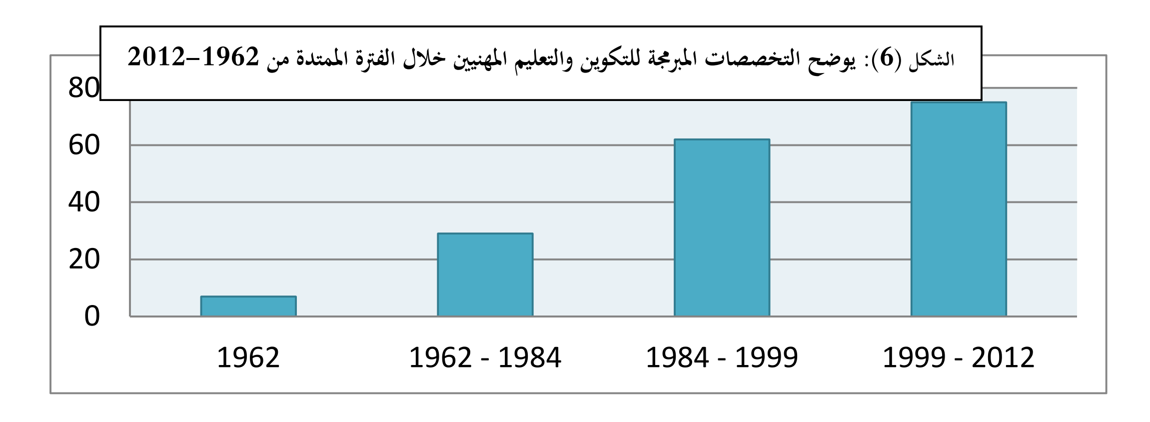


الشكل(5): يوضح عدد المتوجين بشهادات التكوين والتعليم المهني باختلاف انماط التكوين

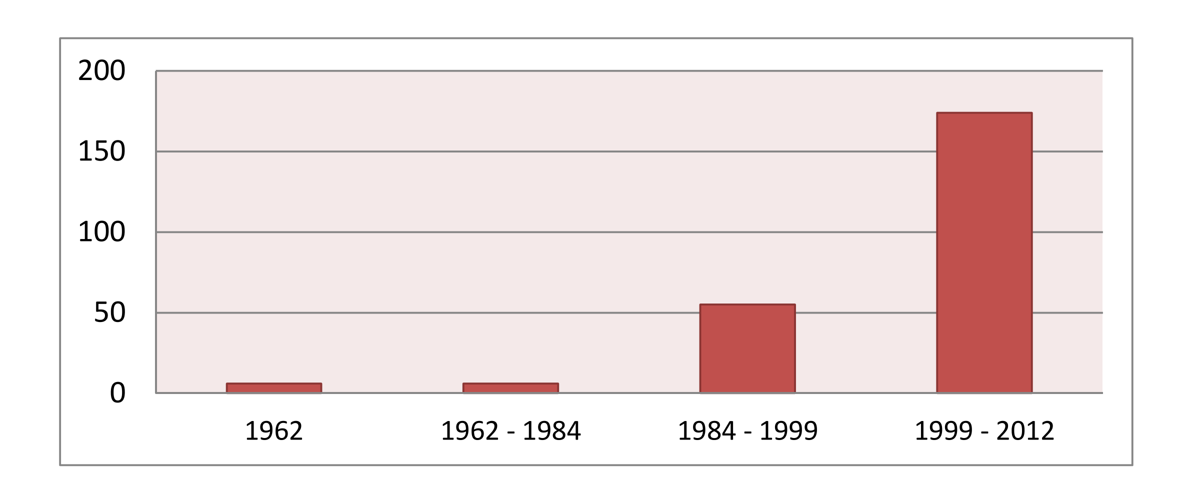
نلاحظ من خلال الشكل ان نسب المتخرجين من قطاع التكوين المهني تتزايد بزيادة السنوات بداية من عدد لا يتجاوز 89 خريجا من نمط اقامي وصولا بالعدد إلى 48044 متوجا موزعة على مختلف أنماط التكوين والتعليم المهنيين

4- التخصصات المدرسة على مستوى الولاية:

الشكل (6): يوضح التخصصات المبرمجة للتكوين والتعليم المهنيين خلال الفترة الممتدة من 1962-2012



5- تعداد الأجهزة التقنية – البيداغوجية على مستوى الولاية:



الشكل (7): يوضح الأجهزة التقنية البيداغوجية في التكوين والتعليم المهنيين خلال الفترة الممتدة من 1962–2012

من خلال الشكلين نلاحظ اهتماما كبيرا لقطاع التكوين والتعليم المهنيين بداية بالتخصصات المدرسة كما هو موضح في الشكل (6) اذ شهدت الولاية حوالي 5 تخصصات على مستوى مؤسسة واحدة لتتوسع التخصصات بزيادة عدد المؤسسات وصولا الى 80 تخصصا سنة 2012 و 15 مؤسسة ، في نفس الوقت نلاحظ الاهتمام بالأجهزة التقنية – البيداغوجية حظيت باهتمام كبير لدورها الفعال في إنجاح العملية التكوينية.

8. مناقشة النتائج:

التنمية المستدامة ليست فقط الاهتمام وتحقيق غايات بعيدة المدى في الجانب الاقتصادي، كما أنها لا تحصر اهتمامها بالبيئة إنها تنمية موجهة لفائدة المجتمع بشكل عام يدخل ضمن إطار اهتمامها الجانب الاجتماعي من خلا السعي تلبية حاجات الفرد القضاء على مشكلة الفقر والأمية تخطي كل مشكلة البطالة وتوفير مناصب شغل للفرد، خاصة أن المسائل الاجتماعية أصبحت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنمو والتطور الاقتصادي على وجه الخصوص العمل والبطالة ..في الاتجاه المقابل نجد التعليم الذي يمثل عملية توسع القدرات والمعارف العلمية للموارد البشرية التي تدفع بعجلة التنمية الاقتصادية .... لكن لوحظ ان ما يميز البطالة في الجزائر ان 83% يمس فئة تقل أعمارهم هم 30 سنة الى غاية 2004 بلغ 1.671 مليون شخص وحوالي 68 % من البطالين فئة المقصيين من النظام المدرسي من ليس لديهم مؤهل دراسي للالتحاق بمناصب شغل. (دبقة شرف،2008: 119) لذا وجد قطاع التكوين والتعليم المهنيين كذلك من برامج الانخراط في عالم الشغل فحسب تقرير الأمم المتحدة للتنمية والخاص بالتنمية البشرية 1999 أكد ان فرص

العمل في السوق العالمي للشغل متاح للأشخاص الأكثر تأهيلا من إطارات وفنيين وخبراء ويكون أجورهم مرتفعة وحركتهم قوية (ليازيد وهيبة،2005: 143) في نفس السياق تؤكد دراسة بلقاسم سلاطنة (1995) حول التكوين المهني وسياسة التشغيل في الجزائر، خلصت الى العلاقة الارتباطية الطردية بين التكوين المهني والفعالية الاجتماعية والاقتصادية إذ توصلت الدراسة إلى أن التكوين والتعليم المهنيين مطلب اساسي لتحقيق تنمية اقتصادية وهو استثمار فعال لا يمكن الاستغناء عنه ، حيث ان التكوين المهني يعمل على تنمية قدرات العامل ورفع كفاءته وهذا ما يندرج تحت إطار التنمية من خلال تلبية حاجات اقتصاد السوق من أيدي عاملة مؤهلة(بلقاسم سلاطنة ،1995)

لا يمكن الفصل بين التربية والتعليم والتكوين، فهي مفاهيم على صلة دائمة تعكس عمليات تطور الإنسان والجماعة الإنسانية، فالتكوين عملية صقل الإمكانات وقدرات ومعارف الفرد بما يتوافق مع إمكانات وأهداف المؤسسة والمجتمع ، يشير وزير التكوين والتعليم المهنيين.

يشكل التكوين المهني المتطلب الأساسي لتحقيق أية تنمية اقتصادية، قائمة على التنمية الصناعية، فضلا عن أنه يؤدي إلى إيجاد توازن اقتصادي يحافظ على استقرار المجتمع واستمراره،وتؤكد ذلك دراسة "ايشي Eicher "أن التكوين عملية ضرورية لنجاح أي مؤسسة تطمح إلى زيادة مردوديتها الإنتاجية، فرأس المال البشري عندما نزوده بطاقة وتعلمه مهارات ومعارف وتقنيات تجعله يواكب التطورات المعرفية والتكنولوجية، في هذه الحالة سيكون دائما استثمارا حيويا وفعالا يدفع عجلة التنمية نحو الأمام وتحسين الأداء (صبرينة ميلاط،2006: 83).

كما أن للتكوين المهني هدف إجتماعي، حيث أنه يساعد في إيجاد حل للشباب الذين تركوا مقاعد الدراسة في نهاية التعليم الأساسي والثانوي، حيث دلت الأبحاث على أن أكثر من 50% من تلاميذ التعليم الأساسي لا ينتقلون إلى المرحلة الثانوية، كما أن أكثر من 80% لا ينجحون في شهادة البكالوريا، ومن بين المسارات التي تختارها هذه الفئة الهائلة هو مسار التكوين المهني (بوسنة وآخرون 1995) الذي يساعدهم على الالتحاق بأعمال تتفق مع تخصصاتهم التي تلقوا فيها تكوين.

إن قياس التنمية المستدامة يحتاج بطبيعة الحال الى مؤشرات يمكن من خلالها قياس مدى التقدم نحو تحقيق التنمية المستدامة، اذ أصدرت لجنة الامم المتحدة للتنمية المستدامة كتابا بعنوان Methodologies indicators if sustainable fomworke and development يتضمن 134 مؤشرا مصنفة الى أربعة فئات رئيسية هي في الحقيقة أبعاد التنمية المستدامة (البيئية، الاقتصادية، الاجتماعية، الإدارية) إذ نجد من بين المؤشرات الاجتماعية " المساواة الاجتماعية يمكن قياسها بالفقر والأجر ، الصحة

العامة من ضمنها التغذية مثلا الوفاة والرعاية كما يوجد مؤشر اجتماعي أخر هوالتعليم ويتضمن كل ما يتعلق بفرص التعليم وزيادة فرص التدريب.

على هذا الأساس التكوين والتعليم المهنيين مؤشر في التنمية المستدامة باعتباره فرصة الثانية لتعلم مهارات ومهن تسهم هي الأخرى في التنمية الاقتصادية وتوفير فرص أكثر للعمل وتقليص حجم البطالة ولهذا الأمر أهمية اجتماعية وإنسانية. كما يعد التكوين والتعليم المهنيين وسيلة لمحاربة البطالة إذ تشير الاحصائيات أن نسبة الشاغرين للمقاعد البيداغوجية الى 90.5% في حين وصلت نسبة توظيف حاملي الشهادات الى 72.7% في حين وصلت نسبة البطالة لحاملي الشهادات الى 25 % (Office National 2013:28;) des Statistiques

اتخذت الجزائر لمكافحة البطالة ودعم التشغيل إجراءات خاصة بالاستثمار: ي ، والتي تضم القرض المصغر، المؤسسة الصغيرة ومركز دعم النشاط الحر، وإعانة المؤسسات التي تواجه صعوبات. هذه الإجراءات ساهمت في تقليل نسبة البطالة من نسبة مقدرة 17.7 %سنة 2004 إلى 13.79 % سنة 2007 (مراد ناصر،2010: 114)

خلاصة عامة:

لم يعد النظر إلى عملية التكوين والتعليم المهنيين كحد لظاهرة الفشل الدراسي، بل أصبحت استثمارا يرجى من ورائه المساهمة في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية، مما جعل القائمين على هذا القطاع يركزون على تمويله وسبل الإنفاق عليه، اخذين بعين الاعتبار العديد من الموضوعات تحت الأنظار كالأمور المتعلقة بتكوين الأستاذ، توفير الوسائل البيداغوجية للتكوين وادراج تكنولوجية التعليم ،التكوين حسب الطلب ،إشراك مختلف القطاعات خاصة الاقتصادية منها في عملية التكوين.

قائمة المراجع:

- العايب عبد الرحمن (2010): التحكم في الاداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر في ظل التحديات التنمية المستدامة، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية، جامعة فرحات عباس، سطيف

- بلقاسم سلاطنية(1995): التكوين المهني وسياسة التشغيل في الجزائر،دراسة حالة الصناعات الميكانيكية بقسنطينة، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع التنمية، جامعة قسنطينة.

- بلقاسم سلاطنية (2001). التكوين المهني والتنمية، رؤية امبريقية عن كيفية طرح ومعالجة مشكلة بحث في علم الاجتماع، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة سكيكيدة، العدد الأول - نوفمبر ص ص 121- 133/الجزائر.

- بليازيد وهيبة (2005): اهمية التكوين المهني في الجزائر ودوره في الحد من ظاهرة البطالة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علوم التسيير اختصاص تسيير الموارد البشرية،كلية العلوم الاقتصادية والتسيير بلقايد أبي بكر، تلمسان.

- ديب ريدة، مهنا سليمان (2009): التخطيط من اجل التنمية المستدامة، مجلة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد 25 ، العدد1 ص ص 487- 490.

- يقة شريف، العايب عبد الرحمن(2008): العمل والبطالة كمؤشرين لقياس التنمية المستدامة حالة الجزائر، مجلة أبحاث اقتصادية، العدد الرابع، ديسمبر، سطيف، ص ص 91- 113.

- واضح العمري (2006). مدى تصور تأثير التكوين المهني الإقامي على التصورات الذهنية للمتربصين دراسة ميدانية ببعض مراكز التكوين المهني لولاية سطيف، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر.

- مكي احمد (2007). اتجاهات تلامذة التعليم الثانوي نحو التكوين المهني دراسة على عينة من تلامذة مدينة وهران، رسالة دكتوراه الدولة غير منشورة، وهران، الجزائر.

- صبرينة ميلاط (2006): التكوين المهني والفعالية التنظيمية، دراسة ميدانية بالمحطة الوطنية للكهرباء والغز جيجل نموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماجستير تخصص تنمية وتسيير موارد بشرية، جامعة منتوري قسنطينة.

- رافيق بن مرسلي (2001) : الأساليب الحديثة للتنمية الإدارية بين الحتمية والتغيير ومعوقات التطبيق، دراسة حالة الجزائر 2001-2011، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة مولود معمري، تيزي وزو الجزائر.

- رحماني ليلى (2009). تقويم أثر التكوين المهني على فعالية أداءات الخرجين، رسالة ماجستير غير منشورة، وهران.

- ثلايجية نوة، زوايدية أفراح: مداخلة بعنوان :تكوين الموارد البشرية في ظل التنمية المستدامة و تحقيق التشغيل الكامل، الملتقى العلمي الدولي بعنوان :إستراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحقيق التنمية المستدامة، كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير، قسم العلوم الاقتصادية، جامعة باجي مختار -عنابة-

- عيشوبة فاطمة (2006). نظام التكوين المهني في الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة في القانون الاجتماعي، جامعة وهران.

- فكرون السعيد (2005): استراتيجية التصنيع والتنمية المجتمعات النامية حالة الجزائر — دراسة نظرية- مذكرة تخرج لنيل شهادة دكتوراه قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، جامعة منتوري قسنطينة.

الوثائق الرسمية:

الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية (2008) العدد11،ص:5، الجزائر.

المراجع باللغة الفرنسية :

- l'entreprise algérienne en économie de marche –.(1993) Abdelhak lamiri/gerer prestcomm Editions-annee1993.

- La Direction technique chargée des statistiques de la Population et de l'Emploi (2013) : Enquête Emploi auprès des Ménages, Office National des Statistiques – .ALGER
- Ministère de la formation et de l enseignement professionnels (2004), circulaire ministérielle n° :5.

مواقع الانترنت

http://www.aps.dz/ar/economie

http://www.aps.dz/ar/sante-science-tech

دراسة مقارنة بين طلبة النظام الكلاسيكي ونظام

(ل م د) في بعض المهارات الحياتية

أ/ سعيد بوجلال، جامعة المسيلة

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن الفروق الموجودة بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في بعض المهارات الحياتية، ولتحقيق أغراض الدراسة قام الباحث بتطبيق مقياس المهارات الحياتية على عينة مكونة من (244) طالبا من كلا النظامين والجنسين، وبعد تحليل البيانات بينت النتائج المتوصل إليها وجود فروق دالة إحصائيا بين طلبة النظامين الكلاسيكي و(ل م د) في المجموع الكلي للمهارات الحياتية، وفي بقية الأبعاد باستثناء بعد مهارة مواجهة الضغوط والمهارات الإجتماعية.كما بينت عدم وجود فروق بين الطلبة والطالبات في المجموع الكلي للمهارات الحياتية، وفي جميع أبعاد المقياس.

مقدمة:

في ضوء التطوّرات العلمية، والتحديات العالمية – مثل العولمة، وظهور التكتلات الإقتصادية والسياسية وإلزامية الخضوع للمقاييس والمواصفات الدولية (**الإيزو**)، والثورة المعرفية– والتغيرات التكنولوجية المتلاحقة في كافة المجالات، التي حدثت في النصف الثاني من القرن العشرين، خاصة في مجالي المعلومات والإتصال، عقد في مقر اليونسكو بباريس "**المؤتمر العالمي حول التعليم العالي في القرن الحادي والعشرين**" في المدة من 5 إلى 9 أكتوبر1998، شاركت فيه (180) دولة، وممثلون من الهيئات الأكاديمية، وخبراء في التعليم العالي. وتدارس المشاركون في المؤتمر ضرورة تطوير التعليم العالي، وقد تمخض هذا المؤتمر العالمي عن "**الإعلان العالمي للتعليم العالي للقرن الحادي والعشرين**" الذي نصّت ديباجته على دواعي وأسباب إصلاح التعليم العالي، فأشارت إلى أن الصعوبات والتحديات الكبرى التي سيواجهها التعليم العالي في القرن الحادي والعشرين تتمثل في توفير التمويل اللازم، وتحقيق عدالة الفرص التعليمية، وتطوير كفاءة الهيئة التدريسية، وتنمية البحث العلمي، وتحقيق استجابة البرامج الدراسية لحاجات المجتمع الفعلية، وتمكين الخريجين من الحصول على عمل، وإقامة تعاون دولي فعّال، واستثمار تقنيات الإتصال في إنتاج المعرفة وإدارتها ونشرها والوصول إليها والتحكُّم فيها.

وفي أعقاب هذا المؤتمر، سعت الكثير من الدول إلى إصلاح التعليم العالي لديها، إيمانا منها بأن الرقي والحضارة لا يتحققان إلا بالاستثمار في الموارد البشرية، وأن أبرز ما يميز المجتمعات البشرية ومؤسساتها

ما يمتلكه أفرادها من مهارات، ومن أجل هذا وذاك قامت الولايات المتحدة الأمريكية بوضع صيغة جديدة للخروج من الطور التقليدي للجامعات، باعتبار أنها مؤسسة استثمارية لنقل وتسويق التكنولوجيا، بحيث تقدم عددا من البرامج للمستثمرين، وبالتالي تقديم برامج لإعداد الخريجين المؤهلين في هذا المجال، حيث قدمت جامعة **Texas** تجربتها في ذلك تحت عنوان الحاضن الأمريكي وهو عبارة عن مركز يعكس إسهامات الجامعة في مجال التنمية، ويسعى إلى تكييف المناهج وتوجيه البحوث وتهيئة فرص البحث، والإرتباط مع الشركات،كما قامت اليابان بتأسيس مجلس وطني للإصلاح التربوي، يهدف إلى إدخال تغييرات في أنظمة التعليم، وزيادة الدعم لهذا الجانب لمواجهة القرن الجديد.

وفي السياق ذاته قامت المجموعة الأوروبية بتمويل أربعة برامج أساسية للتعليم، وهي برامج (**Comett**) يقوم على التعاون بين الجامعات والمؤسسات في مجال التدريب والتكنولوجيا على أساس المشاركة، وبرنامج (**Erasmos**) يهدف إلى إنشاء **شراكات** بين الجامعات لتقديم برامج متماثلة، بحيث يستطيع الطالب إكمال أي جزء من دراسته في أحد الدول المشاركة، وبرنامج (**Liagua**) الذي يهتم بتعليم اللغات وإجادتها. والشق الخاص بالتعليم العالي ينفذ بالإشتراك مع برنامج (**Erasmos**)، وبرنامج (**Tempus**) ويهدف إلى إنشاء مؤسسة أوروبية للإعداد والتدريب ويكون مركزا لنقل الخبرات، وقد أنطلق هذا البرنامج سنة 1990.[1]

وقد ازداد اهتمام التربويين من أمثال **Bowen** وزملاؤه، **وتوفلر**[2]، والمنظمات الدولية والإقليمية (اليونسكو1996، الألكسو2004)[3]، ومجلس قمة الدول العربية (2001) بالأردن في وثيقة الإطار العربي للطفولة، إلى ضرورة إعداد مناهج دراسية تنمي المهارات الحياتية، وتثير قدراته في الإبداع والإبتكار، والدراسات التي قامت بها الجمعية الأمريكية للتدريب والتطوير (**ASTD**) (1990) باستثمار هذه المهارات واعتبارها من متطلبات الوظيفة في عصر العولمة، وإدراجها في كافة مراحل التعليم بما فيها التعليم العالي، خاصة مهارات الإتصال وحل المشكلات واتخاذ القرارات، والمهارات المؤثرة، وتتمثل في المشاركة في القيادة، ومهارات العمل في إطار الجماعة، والقدرة على التفاوض، ومهارات تطويرية تتمثل في الثقة بالنفس، والقدرة على رسم الأهداف، والتخطيط للمستقبل الوظيفي، والتعامل الإيجابي مع مكونات البيئة لحمايتها، وترشيد مواردها، وتقبل تنوع ثقافات الشعوب ومعتقداتها، والتفاعل معها بإيجابية. ومن هذه المنطلقات اعتنت الدول في الآونة الأخيرة بتطوير تعليم المهارات الحياتية بغية إصلاح أنظمة التعليم بها.

وقد أفردت بعض الجهات مقررات دراسية مستقلة لإكساب الطالب مثل هذه المهارات، خاصة في تلك الجامعات التي تتبنى مفهوم التعليم المعتمد على الأداء. ويذكر **Hodgkinson** على أن

هناك الكثير من الخريجين من طلبة المدارس العليا في أمريكا يتميزون بعدم المهارة، أو بالقدرة المحدودة على حل المشكلات

والجامعة الجزائرية كغيرها من جامعات العالم، وحتى تتكيف مع هذا التوجه العالمي، ووعيا منها بأهمية التعليم واتباع النظم التعليمية المتطورة في تحقيق التقدم والرقي، سعت إلى تطوير نظامها التعليمي، بما يستجيب للمقاييس العالمية من جهة، ولمتطلبات السوق من جهة ثانية، وإيمانا منها بحاجة المتعلمين للمهارات الحياتية المرتبطة بمعايشة مواقف الحياة اليومية، وعلى نحو يجعل للتعلم معنى في حياة الطالب، فقد تبنت تطبيق نظام (ل م د) كإصلاح جديد ابتداء من السنة الجامعية (2005/2004).

1ـ مشكلة الدراسة

تنطلق مشكلة الدراسة من أن المتتبع لما يجري في الميدان التعليمي، يجد أن غالبية القائمين عليه، ما زالوا يختزنون بعض السمات الأساسية للتعليم الكلاسيكي، الذي لا يستوعب الوقائع الكاملة للحياة والأحياء والبيئات والظواهر الكونية والاجتماعية، والذي يهتم أساسا بالشهادة دون الاهتمام بتوصيل المهارات للخريجين[4]، تلك المهارات التي تعد المتعلم للإنتقال من المدرسة إلى عالم الشغل. وعليه كان لزاما على العلماء والدارسين في المجالات المختلفة تقع مسؤولية البحث عن طبيعة هذا النظام، وإحكام بنايته، لتحيله إلى أدوات وظيفية. حيث يقول محللو التعليم: إن التعليم الكلاسيكي فشل في إعداد طلاب ذوي مهارات يكونون من خلالها قادرين على التفاعل مع متغيرات العصر، وتحقيق الطموحات، وأن مناهجنا الدراسية لا تزال تركز على الأساليب والطرائق التقليدية، التي تعتمد على التلقين والحفظ والاستظهار، وتهمل تكوين المهارات الحياتية.

لذا أصبح من الضروري مواكبة نظام التعليم لمتطلبات العصر، فضلا عن المتطلبات المستقبلية المتوقع حدوثها. ولما كان تكوين المهارات الحياتية عند الطلبة ليس أقل أهمية من استيعابهم للمادة العلمية "**اليونسكو**(1996)، **الألكسو** (2003).

فهل نظام (ل م د) مؤهل لمواكبة هذه التغيرات، وهل تختلف الوظائف الأساسية التي يقدمها عن تلك التي كان يقدمها النظام الكلاسيكي؟ فإنَ المشكلة التي تتصدى لها هذه الدراسة تتلخص في التساؤلين التاليين:

- **هل توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في المهارات الحياتية؟**
- **هل توجد فروق بين الطلبة ككل في المهارات الحياتية تعزى لمتغير الجنس؟**

ويتفرع التساؤل الأول عدة أسئلة فرعية كالآتي:

- هل توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة موجهة الضغوط؟

- هل توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة حل المشكلات؟
- هل توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة اتخاذ القرار؟
- هل توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في المهارات الإجتماعية؟
- هل توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة الإتصال؟
- هل توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة القيادة؟

2ـ فرضيات الدراسة:

الفرضية العامة الأولى:

توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في المهارات الحياتية.

الفرضيات الجزئية:

- توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة موجهة الضغوط.
- توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة حل المشكلات.
- توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة اتخاذ القرار.
- توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في المهارات الإجتماعية.
- توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة الإتصال.
- توجد فروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة القيادة.

الفرضية العامة الثانية:

توجد فروق بين الطلبة ككل في المهارات الحياتية تعزى لمتغير الجنس.

3ـ أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تتناوله من جهة، ومن طبيعة الفئة المستهدفة من جهة أخرى (طلبة الجامعة ومرحلة الشباب)، وما يمكن أن تحققه من نتائج يمكن الاستفادة منها، أو الاستناد إليها، سواء من الناحية العلمية أو التطبيقية، كما تنبع أهميتها من التغيرات التي حدثت في أنظمة التعليم.

المساهمة في تشخيص طبيعة النظامين الكلاسيكي و(ل م د) في المهارات الحياتية (مواطن القوة والضعف). وتقييم مدى فعالية إصلاح التعليم العالي في تزويد الطالب بالمهارات، التي تمكنه عند التخرج من مواجهة الحياة العملية.

توفر هذه الدراسة مؤشرات عن أهم المهارات الحياتية المتوفرة لدى **طلبة** الجامعة. كما تلقي الضوء – في ضوء تحليل النتائج – على نسبة توفرها عندهم. وتقديم تصور عام عن مستوى خريجي الجامعة كما

يراه الخريجون أنفسهم، ومن ثم نسعى إلى تطويره، حتى نتمكن من تلبية احتياجات سوق العمالة، من الناحية النوعية لخريجي الجامعة.

الاهتمام المتزايد عالميا بالتعليم المبني على المهارات الحياتية، وتستجيب لمقترحات الدراسات العلمية التي تنادي بإعداد طالب اليوم لتحديات المستقبل، كما تستجيب للدعوات التي تطلقها بعض المنظمات العالمية كمنظمتي الصحة العالمية واليونسكو اللتان تناديان بتنمية المهارات الحياتية.

تنبثق أهمية الدراسة من القول أن التمتع بقدر كبير من المهارات الحياتية، يمكن أن يكون له أهمية أكبر لتحقيق النجاح في الدراسة وفي الحياة.

4. أهداف الدراسة:

لكل دراسة هدف أو مجموعة أهداف حتى تكون ذات قيمة علمية، فالهدف من الدراسة يفهم عادة على أنه السبب الذي من أجله قام الباحث بهذه الدراسة. وتكون الأهداف في الحقيقة معرفة مدى تحقق الفرضيات المقترحة، وعليه تسعى هذه الدراسة بالإضافة إلى الإجابة على الأسئلة السابقة إلى ما يلي:

- التعرف على الفروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في المهارات الحياتية.
- التعرف على الفروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة موجهة الضغوط.
- التعرف على الفروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة حل المشكلات.
- التعرف على الفروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة اتخاذ القرارات.
- التعرف على الفروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في المهارات الإجتماعية.
- التعرف على الفروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة الإتصال.
- التعرف على الفروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في مهارة القيادة.
- التعرف على الفروق بين طلبة جامعة المسيلة في المهارات الحياتية تعزى لمتغير الجنس.

5. تحديد مصطلحات الدراسة إجرائيا:

1.5. نظام التعليم:

نظام التعليم جملة الأنشطة التعليمية النظامية الممنهجة التي تقوم بها الدولة من خلال المؤسسات التعليمية عبر المراحل التعليمية، والمعارف المحددة المراد منها تخريج مواطنين ذوي الكفاءات والمهارات المحددة.

2.5. النظام الكلاسيكي:

وهو النظام الدراسي الجامعي الذي أستحدث بداية من سنة (**1971**) بغية توجيه برامج التكوين للحصول على شهادة جامعية، تكون بمثابة اعتراف شرعي بمقدرة معينة للعمل في مجال محدد. ويعتمد هذا النظام على ثلاثة مراحل تكوينية، تتوج كل واحدة منها بشهادة جامعية، وحسب مستويين هما: مستوى التدرج وتتوج بشهادة ليسانس، ومستوى ما بعد التدرج وتتوج بشهادة ماجستير ودكتوراه.

هو نظام تعليمي تعتمد مناهجه على مجموعة من المواد التعليمية السنوية، على مدى ثلاث أو خمس سنوات دراسية حسب التخصص، وتعنى بتزويد الطلاب بمعلومات ومهارات معرفية.

منظومة قديمة في هيكل النظام العالي تهدف إلى التكوين بإكساب المعارف العلمية وتعميقها حسب مستويين: مستوى التدرج، وما بعد التدرج.

3.5. نظام (ل م د):

نظام (ل م د) (لسانس– ماستر– دكتوراه) (3/ 5/ 8): منظومة جديدة في هيكل للتعليم العالي مستوحى من البلدان الأنجلوسكسونية، وأخذ هذا النظام مكانته في بلدنا تدريجيا ابتداء من سبتمبر 2004.

ويعتمد هذا النظام على ثلاثة أطوار تكوينية متمايزة ومترابطة لرصد تطور كفاءات الطالب، تتوج كل واحدة منها بشهادة جامعية، وتتمثل هذه الأطوار في:

أولا طور ليسانس: شهادة البكالوريا + 03 سنوات.

ثانيا طور ماستر: شهادة البكالوريا + 05 سنوات.

ثالثا طور دكتوراه: شهادة البكالوريا + 08 سنوات.

4.5. المهارات الحياتية:

ويقصد بها القدرات التي تمكن الأفراد من القيام بسلوك تكيفي وايجابي، يجعلهم قادرين_على التعامل الفعال مع متطلبات الحياة وتحدياتها، **وتعرف إجرائيا:** بأنها الدرجة الكلية التي يتحصل عليها الطالب في مقياس المهارات الحياتية (حيث تبلغ أدنى درجة 78 نقطة، أما أقصاها فتقدر بـ 390 نقطة). يتكون هذا المقياس من الأبعاد الستة التالية:

ـ مهارة مواجهة الضغوط:

يعرفها **Lazarus** بأنها مجموع العمليات الني تتوسط الفرد والحدث الذي يدركه بأنه مهددا قصد التحكم فيه أو تحمله أو التخفيف من تأثيره على كفاءته النفسية أو الجسدية[5]. **وتعرف إجرائيا:** الدرجات التي **يتحصل** عليها الطالب من خلال الإجابة على ثلاثة عشر بندا تقيس مهارته في مواجهة الضغوط. (حيث تبلغ أدنى درجة 13 نقطة، أما أقصاها فتقدر بـ 65 نقطة).

ـ مهارة حل المشكلات:

مجمل العمليات الذهنية التي يستخدمها الطالب عند حله لأية مشكلة. **وتعرف إجرائيا**: وهي الدرجات التي يتحصل عليها الطالب من خلال الإجابة على ثلاثة عشر بندا تقيس مهاراته في حل المشكلات.

ـ مهارة اتخاذ القرارات:

يعرفها **Webester** بقوله: اتخاذ الموقف النهائي عن طريق الحسم في مسألة ما بتصميم ثابت وأكيد وصياغته عمليا بإدخاله حيز التنفيذ[6]. **وتعرف إجرائيا**: وهي الدرجات التي يتحصل عليها الطالب من خلال الإجابة على ثلاثة عشر بندا تقيس مهاراته في اتخاذ القرارات.

ـ المهارات الإجتماعية:

قدرة الطالب على التفاعل بإيجابية مع زملائه وحسن التعبير عن المشاعر الإيجابية والسلبية، وضبط انفعالاته في مواقف التفاعل الاجتماعي مع رفاقه، وكذلك التعرف على مشاعر زملائه وتلميحاتهم، وحسن التصرف بما يناسب الموقف. **وتعرف إجرائيا**: وهي الدرجات التي يتحصل عليها الطالب من خلال الإجابة على ثلاثة عشر بندا تقيس مهاراته الإجتماعية.

ـ مهارة الإتصال:

يعرف **Anderson** مهارة الاتصال بأنها: قدرة الطالب على إرسال واستقبال الرسائل اللفظية وغير اللفظية مع الفهم للخواطر والتعليمات والمعلومات[7]. **وتعرف إجرائيا**: وهي الدرجات التي يتحصل عليها الطالب من خلال الإجابة على ثلاثة عشر بندا تقيس مهارته في الإتصال.

ـ مهارة القيادة:

تلك المهارة التي يتمتع بها الطالب والمتمثلة في تحفيز وتوجيه سلوك الآخرين، نحو أهداف محددة، يؤمن بها ويتبناها. **وتعرف إجرائيا**: وهي الدرجات التي يتحصل عليها الطالب من خلال الإجابة على ثلاثة عشر بندا تقيس مهارته في القيادة.

6ـ منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في الدراسة الحالية على المنهج المقارن الذي يعتبر أحد المناهج الوصفية التي تهتم بوصف الظواهر وتحليلها والمقارنة بين أفرادها حسب بعض المتغيرات الديموغرافية.

7ـ مجال الدراسة (المكاني، الزمني، البشري):

أجريت الدراسة الميدانية بجامعة المسيلة، وشملت طلبة السنة الرابعة نظام كلاسيكي، والسنة الثالثة نظام (ل م د) من الكليات التي بها نظامي التعليم. حيث قام الباحث بالإشراف المباشر على توزيع

استمارة مقياس المهارات الحياتية على أفراد العينة، والتي تتضمن مجموعة من البيانات كنظام التعليم والجنس، وذلك في نهاية السداسي الأول للسنة الجامعية (2013/2012).

وبعد جمع الاستمارات واستبعاد التي لم تستوف الشروط تم الحصول على(244) استمارة.

8. الأساليب الإحصائية المستعملة في الدراسة:

بالرجوع إلى فرضيات الدراسة وإلى خصائص العينة فقد استخدم الباحث الأساليب الإحصائية التالية:

ـ النسبة المئوية، ـ والمتوسط الحسابي، ـ الإنحراف المعياري، ـ واختبارT لحساب (الصدق التمييزي) لمقياس المهارات الحياتية، ولدلالة الفروق بين متوسطات طلبة النظامين، والكشف عن الفروق بين الجنسين (ذكور/إناث).

9. الخصائص السيكومترية للمقياس:

من المستلزمات الأساسية لجودة المقياس، وقدرته على قياس ما أعد لقياسه، التثبت من الخصائص السيكومترية له، والتي من أهمها الصدق والثبات.

1.9. الصدق:

يعد الصدق من الخصائص الأساسية في بناء المقاييس التربوية والنفسية، ويقصد بصدق الاختبار هو أن يقيس الاختبار ما أعد لقياسه، وتم التأكيد من صدق المقياس من خلال القيام بالإجراءات التالية:

1.1.9. صدق المحكمين:

تم التأكد من صدق محتوى مقياس المهارات الحياتية عن طريق استخدام الصدق الظاهري، وذلك من خلال عرضه في صورته الأولية على مجموعة من المحكمين من حملة درجة الدكتوراه في جامعة الجزائر والمسيلة والأغواط، ومن أصحاب الخبرة والإختصاص، حيث بلغ عددهم (9) محكمين، لإبداء الرأي حول مدى ملائمة عبارات المقياس، ووضوحها من حيث المضمون، والصياغة، واللغة، ومدى مناسبة العبارة للمهارة التي تندرج تحتها، وإضافة أو حذف أي عبارات، أو أي اقتراحات يرونها مناسبة، وفي ضوء آراء الأساتذة تم إجراء التعديلات المناسبة، حيث بلغ عدد عبارات المقياس (78) عبارة موزعة على **ستة** أبعاد وكل بعد يتضمن ثلاثة عشر عبارة.

2.1.9. الصدق التمييزي بأسلوب المقارنة الطرفية:

تم التأكد من صدق مقياس المهارات الحياتية بالإعتماد على الصدق التمييزي أو المقارنة الطرفية، وذلك بعد ترتيب درجات أفراد العينة الاستطلاعية من أعلى درجة إلى أدناها، والتي ضمت (60) طالب من كلا النظامين كلا الجنسين، حيث تم اختيار مجموعتين من طرفي التوزيع، وتمثل نسبة (27%) من

الأفراد الذين حصلوا على أعلى الدرجات، و(27%) من الأفراد الذين حصلوا على أدنى الدرجات، فكان حجم كل مجموعة لكلا الطرفين (27) طالب، فاستخرجت لهم المتوسطات الحسابية والإنحرافات المعيارية، ثم حسبت قيمة "ت"للفروق بين المجموعتين العليا والدنيا بالإعتماد على الرزمة الإحصائية للعلوم الإجتماعية (SPSS).والجدول رقم (1) يبين ذلك.

جدول رقم (1): يبين دلالة الفروق بين متوسطات المجموعة العليا والمجموعة الدنيا في مقياس المهارات الحياتية "صدق المقارنة الطرفية"

	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجة الحرية	مستوى الدلالة
المجموعة العليا في مقياس المهارات الحياتية	ن= 17	316.18	13.13	35.65	32	0.00
المجموعة الدنيا في مقياس المهارات الحياتية	ن= 17	236.88	12.89			

من خلال الجدول رقم (1) نلاحظ أن المتوسط الحسابي لمجموع الدرجات العليا بلغ (316.18) وبانحراف معياري (13.13) في حين بلغ المتوسط الحسابي لمجموع الدرجات الدنيا (236.88) وبانحرافمعياري (12.89)،أما الفرق بين المجموعتين العليا والدنيا فنجد أن قيمة "ت"بلغت (35.65) عند درجة حرية (32)،وهي دالة إحصائية عند مستوى الدلالة0,01 ($\alpha \leq$)، مما يدل على وجود فروق دالة إحصائيا بين نتائج المجموعة العليا ونتائج المجموعة الدنيا، وبالتاليفللمقياس قدرة على التمييز بين أطرافه، ومنه نستنتج بأنه مقياس صادق.

3.1.9. صدق الاتساق الداخلي:

باستعمال الاتساق الداخلي تم حساب معاملات الارتباط بين كل بعد والدرجة الكلية للمقياس. وتم حساب معاملات الارتباط البينية لأبعاد المقياس الستة كما هو موضح في الجدول رقم(2):

جدول رقم(2): يبين معاملات الارتباطات البينية لأبعاد المقياس الستة والدرجة الكلية للمقياس.

الأبعاد	مهارة القيادة	مهارة الإتصال	المهارات الإجتماعية	مهارة اتخاذ القرار	مهارة حل المشكلات	مهارة مواجهة الضغوط	الدرجة الكلية
مهارة القيادة	1	0.57**	0.56**	0.44**	0.46**	0.38**	0.72**

مهارة الإتصال		1	0.56**	0.52**	0.55**	0.52**	0.80**
المهارات الإجتماعية			1	0.40**	0.44**	0.30*	0.72**
مهارة اتخاذ القرار				1	0.78**	0.67**	0.81**
مهارة حل المشكلات					1	0.68**	0.84**
مهارة مواجهة الضغوط						1	0.74**
الدرجة الكلية							1

*** دالة عند 0.05 . ** دالة عند 0.01**

يتبين من خلال الجدول رقم (2) أن معاملات ارتباط بين كل بعدين من أبعاد المقياس، وبينها وبين المجموع الكلي للمقياس، تراوحت بين (**0.84/0.30**)، وأن جميعها ذات دلالة إحصائية على مستوى أقل من (0.01) باستثناء معامل الارتباط بين المهارات الإجتماعية ومهارة مواجهة الضغوط فهو دال على مستوى أقل من (0.05) مما يدل على اتساق المقياس.

2.9. الثبات:

تم التأكد من ثبات المقياس عن طريق حساب معامل ألفا كرونباخ لكل بعد من أبعاد مقياس المهارات الحياتية وكذا الدرجة الكلية، والجدول رقم (3) يوضح ذلك:

جدول رقم (3) يبين معاملات ألفا كرونباخ لحساب ثبات أبعاد المقياس الستة

البعد	مهارة مواجهة الضغوط	مهارة حل المشكلات	مهارة اتخاذ القرار	المهارات الإجتماعية	مهارة الإتصال	مهارة القيادة	المجموع الكلي
معامل الثبات	0.41	0.52	0.50	0.49	0.52	0.42	0.79

مما سبق تبين أن **معاملات ألفا كرونباخ** لأبعاد المقياس تراوحت ما بين (0.41 /0.52) بالنسبة للأبعاد، أما الدرجة الكلية فبلغت قيمتها (0.79) وهذا يدل على درجة مقبولة من الثبات، مما يمكننا من استخدامه في الدراسة الأساسية.

ـ **الصدق الذاتي**:ذكر فؤاد السيد (1996) أن الصدق الذاتي للمقياس يمكن حسابه عن طريق الجذر التربيعي لمعامل الثبات، والجدول رقم (4) يوضح ذلك:

الجدول رقم (4) الصدق الذاتي لأبعاد المقياس والدرجة الكلية

البعد	مهارة مواجهة الضغوط	مهارة حل المشكلات	مهارة اتخاذ القرار	المهارات الإجتماعية	مهارة الإتصال	مهارة القيادة	المجموع الكلي
الصدق الذاتي	0.64	0.72	0.70	0.70	0.72	0.64	0.88

قمنا بحساب معامل الصدق الذاتي للمقياس من خلال معامل الثبات للمقياس (α = 0.78)،حيث أن الصدق الذاتي يساوي الجذر التربيعي لمعامل الثبات، وقدرت قيمة معامل الصدق بـ (0.88)

10ـ عينة الدراسة الأساسية:

سمحت لنا الدراسة الاستطلاعية بالتعرف على ميدان الدراسة، واختبار أداتها بالتقرب أكثر من عينة الدراسة الأساسية، والتي تتكون من (244) طالب وطالبة تم اختيارهم بنفس الطريقة التي تم بها اختيار عينة الدراسة الاستطلاعية، والجدول رقم(5) يوضح ذلك:

جدول رقم(5) توزيع الطلبة حسب متغير نظام التعليم والجنس

نظام التعليم والجنس	العدد	المجموع	النسبة المئوية	المجموع
طلبة النظام الكلاسيكي	101	244	41.39	100
طلبة نظام (ل م د)	143		58.60	
الطلبة	112	244	45.90	100
الطالبات	132		54.09	

بإلقاء نظرة على الجدول رقم (5) الذي يوضح توزيع الطلبة حسب متغير نظام التعليم والجنس أن طلبة نظام (ل م د) يشكلون أعلى نسبة من بين أفراد عينة الدراسة، حيث شكلوا ما نسبته

(58.60%) في حين أن طلبة النظام الكلاسيكي شكلوا نسبة (41.39 %) فقط. وهذا نظرا لكثرة عدد طلبة نظام (ل م د) في مجتمع الدراسة، مقارنة بطلبة النظام الكلاسيكي كما سبق كما أن نسبة الإناث أكثر من الذكور نظرا لكثرة عددهن في مجتمع الدراسة مقارنة مع الذكور.

10. عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

1.10. عرض نتائج الفرضية العامة الأولى وفرضياتها الجزئية:

تنص الفرضية العامة على وجود فروق بين طلبة النظامين الكلاسيكي و(ل م د) في المهارات الحياتية وعلى كافة الأبعاد الفرعية لمقياس المهارات الحياتية والمجموع الكلي، وللتحقق من هذه الفرضية تم استخدام اختبار "ت" لمعرفة الفروق بين طلبة النظامين على أبعاد المقياس، وعلى المقياس بصورته الكلية، والتي تظهر في الجدول رقم(6):

جدول رقم (6) يبين نتائج اختبار"ت" لدلالة الفروق بين متوسطات طلبة النظامين الكلاسيكي و(ل م د) وعلى كافة الأبعاد الفرعية لمقياس المهارات الحياتية والدرجة الكلية

البعد	نظام التعليم	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ف"	sig	قيمة "ت"	درجة الحرية	مستوى الدلالة
مهارة مواجهة الضغوط	كلاسيك	101	45.87	5.77	1.96	0.16	1.85- 1.90-	242	0.06 0.05
	(ل م د)	143	47.38	6.59					
مهارة حل المشكلات	كلاسيك	101	44.61	7.02	0.64	0.42	2.35- 2.37-	242	0.02 0.01
	(ل م د)	143	46.83	7.42					
مهارة اتخاذ القرار	كلاسيك	101	43.63	7.45	0.16	0.68	4.20- 4.16-	242	0.00 0.00
	(ل م د)	143	47.50	7.13					
المهارات الإجتماعية	كلاسيك	101	45.10	5.33	6.23	0.01	1.71- 1.79-	242	0.08 0.07
	(ل م د)	143	46.50	6.89					
مهارة الإتصال	كلاسيك	101	44.50	6.15	0.26	0.60	2.61- 2.66-	242	0.00 0.00
	(ل م د)	143	46.73	6.80					
مهارة	كلاسيك	101	44.50	5.30	2.42	0.12	3.46- 3.55-	242	0.00 0.00

القيادة	(ل م د)	143	47.14	6.21					
الدرجة الكلية	كلاسيك	101	263.02	23.94	9.89	0.00	6.04- 6.34-	242	0.00 0.00
	(ل م د)	143	285.21	31.12					

يتبين من خلال الجدول رقم (6) وعلى اعتبار أن المجموعتين مستقلتين ولهذا نختار قيمة"ت" ومستوى دلالتها بناء على قيمة اختبار **Levene** للتجانس "ف"، والذي بلغت قيمته بالنسبة للأبعاد الخمسة التالية: (مواجهة الضغوط، وحل المشكلات، واتخاذ القرار، والإتصال، والقيادة) وعلى التوالي (1.96)، (0.64)، (0.16)، (0.26)، (2.42)، وهي قيم غير دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0,05≥α)، وعليه سنختار قيمة "ت" في حالة افتراض تجانس التباينات، وبالتالي سنعتمد النتائج الموجودة في **السطر الأول** من الجدول. أما في بعد المهارات الإجتماعية والمجموع الكلي للمقياس فقد بلغت قيمة "ف" وعلى التوالي: (6.23)، (9.89) وهي دالة، لأن مستوى دلالة قيمة "ف"أقل من (0.05)،وفي هذه الحالة سنختار قيمة "ت" في حالة عدم افتراض تجانس التباينات، وبالتالي سنعتمد النتائج الموجودة في **السطر الثاني** من الجدول. وفي ما يلي نوضح النتائج الموجودة في الجدول رقم (6):

1. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلبة النظامين الكلاسيكي و(ل م د) في مهارة مواجهة الضغوط والمهارات الإجتماعيةإذ بلغت قيمة "ت"في هذين البعدين وعلى التوالي (-1.85)، (-1.79) وهي غير دالة إحصائيا على مستوى دلالة 0,05. وقد بلغ المتوسط الحسابي لطلبة النظام الكلاسيكي في هذين البعدين وعلى التوالي (45.87)، (45.10)، وبانحراف معياري(5.77)، (5.33)، في حين بلغ متوسط طلبة نظام (ل م د)، (47.38)، (46.50) وبانحراف معياري (6.59)، (6.89) حيث تبين أن متوسط طلبة نظام (ل م د) كان أكبر بـ(1.51)(1.4) درجة من متوسط طلبة النظام الكلاسيكي. وبالتالي نرفض الفرضية البديلة ونقبل الفرضية الصفرية التي تنص على عدم وجود فروق بين طلبة النظامين الكلاسيكي و(ل م د) في مهارة مواجهة الضغوط،والمهارات الإجتماعية.

2. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلبة النظامين الكلاسيكي و(ل م د) في المهارات التالية(حل المشكلات،واتخاذ القرار، والاتصال، والقيادة،والمجموع الكلي للمهارات الحياتية) ولصالح طلبة نظام (ل م د) إذ بلغت قيمة "ت" وعلى التوالي (-2.35)، (-4.20)، (-2.61)، (-2.61)، (-6.34) وهي دالة إحصائيا على مستوى دلالة 0,05 (≥α) حيث بلغ المتوسط الحسابي لطلبة النظام الكلاسيكي في هذه الأبعاد وعلى التوالي(44.61)، (43.63)، (44.50)، (44.50)، (47.14)، (263.02) وبانحراف معياري (7.02)، (7.45)، (6.15)،(5.30)، (23.94) في حين بلغ المتوسط الحسابي

لطلبة نظام (ل م د)، (46.83)، (47.50)، (46.73)، (47.14)، (285.21) وبانحراف معياري (7.42)، (7.13)، (6.80)، (6.21)، (31.12) وبالتالي نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديلة، التي تنص على وجود فروق بين طلبة النظامين الكلاسيكي و(ل م د) في هذه المهارات.

2.10. عرض نتائج الفرضية العامة الثانية:

تنص الفرضية الرئيسية الثانية على ما يلي: لا توجد فروق بين الطلبة والطالبات وعلى كافة الأبعاد الفرعية لمقياس المهارات الحياتية. وللتحقق من هذه الفرضية تم استخدام اختبار "ت" لمعرفة الفروق بين الطلبة والطالبات على أبعاد المقياس، وعلى المقياس بصورته الكلية، والتي تظهر في الجدول رقم (7):

جدول رقم (7) يبين نتائج اختبار "ت" لدلالة الفروق بين متوسطات الطلبة والطالبات وعلى كافة الأبعاد الفرعية لمقياس المهارات الحياتية والمجموع الكلي

البيانات / أبعاد المقياس	الجنس	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ف"	Sig مستوى الدلالة	قيمة "ت"	درجة الحرية	الدلالة
مهارة مواجهة الضغوط	الطلبة	112	46.54	6.19	0.06	0.79	0.48-	242	0.62
	الطالبات	132	46.94	6.40			0.49-		0.62
مهارة حل المشكلات	الطلبة	112	45.54	6.55	4.38	0.03	0.72-	242	0.47
	الطالبات	132	46.23	7.93			0.73-		0.46
مهارة اتخاذ القرار	الطلبة	112	45.54	7.27	0.20	0.64	0.62-	242	0.53
	الطالبات	132	45.14	7.73			0.62-		0.53
المهارات الإجتماعية	الطلبة	112	45.88	5.70	1.66	0.19	0.10-	242	0.91
	الطالبات	132	45.96	6.83			0.10-		0.91
مهارة الإتصال	الطلبة	112	45.58	6.49	0.06	0.80	0.49-	242	0.62
	الطالبات	132	46.00	6.73			0.49-		0.62
مهارة القيادة	الطلبة	112	45.66	5.85	0.003	0.95	0.93-	242	0.35
	الطالبات	132	46.38	6.09			0.93-		0.35
المجموع الكلي	الطلبة	112	274.01	28.30	2.30	0.13	0.96-	242	0.33
	الطالبات	132	277.73	31.75			0.96-		0.33

من خلال الجدول رقم (7) وعلى اعتبار أن المجموعتين مستقلتين ولهذا نختار قيمة"ت" ومستوى دلالتها بناء على قيمة اختبار**Levene** للتجانس "ف" والذي بلغت قيمته بالنسبة لجميع لأبعاد المقياس الخمسة (مواجهة الضغوط، واتخاذ القرار، والاجتماعية، والإتصال، والقيادة) وللدرجة الكلية له على التوالي: (0.06)، (0.20)، (1.66)، (0.06)، (0.003)، (2.30)، وهي قيم غير دالة

إحصائيا عند مستوى الدلالة0,05 (α ≥)، وعليه سنختار قيمة "ت" في حالة افتراض تساوي التباينات، وبالتالي سنعتمد النتائج الموجودة في **السطر الأول** من الجدول.

أما في بعد مهارة حل المشكلات فقد بلغت قيمة اختبار **Levene** للتجانس "ف"(4.38)وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة0,05 (α ≥)، وعليه سنختار قيمة "ت" في حالة افتراض عدم تجانس التباينات، وبالتالي سنعتمد النتائج الموجودة في **السطر الثاني** من الجدول.كما يتضح من الجدول رقم (7) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلبة والطالبات فيجميع أبعاد المقياس والمجموع الكلي له.

مناقشة النتائج حسب الفرضيات:

– **مناقشة نتائج الفرضية العامة الأولى والفرضيات الجزئية التابعة لها:**والتي تنص على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلبة النظامين الكلاسيكي و(ل م د) ولصالح طلبة نظام (ل م د)في المجموع الكلي وفي المهارات التالية: (حل المشكلات، واتخاذ القرار، والإتصال، والقيادة) حيث جاءت حسب ما توقعناه أي تحققت الفرضيات ويمكن تفسير ذلك بـ:

مواكبة نظام (ل م د) لحاجات ومتطلبات السوق، وتضمينه للتوجهات الحديثة التي تركز على المهارات الحياتية، والاستفادة من وسائل الإتصال الحديثة وخاصة الأنترنت، وكذا الاستفادة من نظام الوصاية والمتابعة، ووضع خطة بيداغوجية لتوجيه الطالب في اختيار تخصصه، وإقحامه في برمجة الكثير من الحصص والدورات التعليمية الفردية والجماعية، وقربه من الأستاذ ومن الإدارة وهذا من شأنه أن يعزز قنوات الاتصال، فيتحقق التفاهم والاستقرار، ويتحسن على ضوء ذلك الأداء الفردي والجماعي، ويوفر له الحرية لاختيار المسار الذي يعتقد أنه الأنسب لرغباته وقدراته، وأساليب الدراسة الحديثة والمتنوعة في نظام(ل م د)، وهذا يتفق مع ما توصلت إليه دراسة **سليمان عبد الواحد ووافي**[8].

وجود تحديات تواجه الطالب في النظام الكلاسيكي وضآلة دوره في المشاركة في تصميم الأنشطة وتنفيذها، وعدم تهيئة البيئة التعليمية لتطبيق المهارات الحياتية،وتكدس حجرات الدراسة

وقد أشارت دراسات كل من **أحمد عودة واللولو**[9]، إلى تأثر اكتساب الفرد للمهارات الحياتية في المؤسسات التعليمية بالعديد من العوامل، والتي من بينها، وجود تحديات تواجه الطالب، وضآلة دوره في المشاركة في تصميم الأنشطة وتنفيذها، وعدم تهيئة البيئة لتطبيق المهارات الحياتية، وتكدس حجرات الدراسة، كما هو الحال في النظام الكلاسيكي[10].

وبالنسبة للفرضيتان اللتان تنصان على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلبة النظامين الكلاسيكي و(ل م د) في مهارة مواجهة الضغوط، والمهارات الإجتماعية.حيث جاءتا عكس ما توقعناه

أي لم تتحقق الفرضيتان،ويمكن تفسير ذلك إلى تشابه الظروف التي يعيشها طلبة النظامين،و كذا الإطار المرجعي لهم،وقد يرجع ذلك إلى أن أساتذة طلبة النظام الكلاسيكي هم نفس أساتذة طلبة نظام (ل م د)، وأن طرائق التدريس نفسها، وقد حدد **Stevens** وزملاؤه أن من أساليب تعلم المهارات واكتسابها التعلم غير المباشر والمبنية على نظرية التعلم الاجتماعي لـ **Bandura** النمذجة بأنواعها (الحية والمصورة وبالمشاركة)، ويرى أصحاب النظرية السلوكية بأن السلوك الإنساني عبارة عن مجموعة من العادات التي يتعلمها الفرد، ويكتسبها أثناء مراحل نموه المختلفة، ويتحكم في تكوينها قوانين العقل. وهذا يتفق مع ما توصلت إليه دراسة كلا من **أحمد عودة واللولو**[11]

– **مناقشة نتائج الفرضية العامة الثانية:** والتي تنص على ما يلي: لا توجد فروق بين الطلبة فيما يخص المهارات الحياتية على الدرجة الكلية للمقياس، وعلى كافة أبعاده الفرعية الستة تعزى لمتغير الجنس (ذكر/أنثى)، وقد تحققت هذه الفرضية.

وهذه النتيجة تتفق مع ما توصلت إليه دراسة رانيا صاصيلا، ودراسة جورانة ودراسة زارع[12]، وهذا يدل على عدم التمييز في المعاملة حسب الجنس،حيث أن التغيرات التي حدثت في المجتمعات عملت على إذابة الفوارق بين الجنسين. وكذلك دخول المرأة في كافة المجالات التي كانت بعيدة عنها، وطبيعة التنشئة الإجتماعية التي لا تفرق بين الجنسين في عصرنا الحالي، فقد أصبح المجتمع يتعامل معهما بشكل واحد في المدرسة والجامعة والعمل. كل هذا وغيره يمكن أن يكون من أسباب عدم وجود الفروق بين الطلبة والطالبات في المهارات الحياتية[13].

كما يمكن تفسير ذلك إلى تغير الكثير من المفاهيم المرتبطة بالجنس، مقارنة بالمفاهيم القديمة التي كانت تنظر للأنثى باعتبارها كائن اجتماعي له دور محدد لا يتجاوزه ولا يتعداه. إضافة إلى الفرص التعليمة متاحة لكلا الجنسين في كافة المؤسسات التعليمية ولتعرضهم لنفس الخبرات اليومية التي يمرون بها بالإضافة إلى استفادة الجنسين من بعضهم البعض، كما أن القدرة على ربط علاقات اجتماعية حاجة نفسية وفطرية في أي إنسان مهما كان جنسه. ولأن المهارات معظمها متعلمة.غير أن هناك دراسات بينت نتائجها وجود فروق بين الذكور والإناث، وهذا يشير إلى أن متغير **الجنس** عامل فعال **ومؤثر** على اكتساب نوعية معينة من المهارات الحياتية. وقد تعزى هذه النتيجة إلى وجود فروق جوهرية بين الجنسين في **فرص التفاعل مع البيئة** المحيطة خاصة خارج الحرم الجامعي، وطبيعة الأدوار الإجتماعية لكل من الذكر والأنثى،[14] واختلاف المواقف الحياتية التي يتعرض لها الذكور والإناث، ونقصد بذلك فرص التفاعل مع البيئة المحيطة خاصة خارج الحرم الجامعي، فالأعراف والقيود الاجتماعية والثقافية المفروضة والتي تضع ضوابط للإناث أكثر صرامة منه لدى الذكور، ففي مجتمعنا العربي تختلف تنشئة الذكور عن الإناث

(**وليس الذكر كالأنثى) آل عمران: 36**، ويمكن أن توضع الإناث تحت تأثير ضغوط اجتماعية كثيرة (مثلا عدم الإنفتاح في تكوين صداقات) بغرض توفير الحماية لها بالإضافة إلى التكوين النفسي للإناث، كما يمكن تفسير ذلك للمتاعب الصحية المصاحبة للدورة الشهرية، في حين نجد الذكور يتمتعون بقدر كبير من الحرية من طرف أسرهم، ويتلقون خبرات يومية علمية وعملية متنوعة من خلال علاقاتهم بالأصدقاء وجماعات اللعب تزيد من قدرتهم على تعلم المهارات. إلا أن دراسة **Brenda**، أشارت إلى تفوق الإناث عن الذكور في امتلاك المهارات الحياتية[15].

الاستنتاج العام:

بعد عرض ومناقشة نتائج الدراسة الحالية، والمتعلقة أساسا بالكشف عن الفروق بين طلبة النظام الكلاسيكي وطلبة نظام (ل م د) في **المهارات الحياتية** نستخلص جملة من الإستنتاجات أهمها:
وجودفروقدالةإحصائيابينطلبةالنظامينفيالمجموعالكليللمهاراتالحياتيةوفيجميع الأبعاد. ولصالح طلبة نظام (ل م د)، باستثناء بعد مهارة مواجهة الضغوط، والمهارات الاجتماعية).وعدم وجود فروق في المهارات الحياتية على الدرجة الكلية للمقياس، وعلى كافة أبعاده الفرعية الستة تعزى لمتغير الجنس.

الإقتراحات والتوصيات:

في ظل ما خلصت له الدراسة ميدانيا، يمكن الخروج بجملة من الإقتراحات والتوصيات فيما يخص التعليم العالي في الجزائر والمهارات الحياتية

- ✓ ضرورة مواجهة متغيرات العصر التي تأتي العولمة في مقدمتها، ضرورة لابد منها، استحداث أنواع جديدة من التعليم تواجه التغيرات الجديدة بغية زيادة فعاليته في التنمية الشاملة.
- ✓ عقد ملتقيات وطنية ودولية وتنظيم ندوات علميةلصالح الأساتذة لإيضاح جوانب هذا النظام وإشكالاته لتقديم المعطيات المتنوعة الخاصة به: ماهيته خصائصه، كيفية تطبيقه. حتى يمكنالأساتذة من فهمه والمساهمة بفعالية في تطويره وإنجاحه.
- ✓ إدراج تعليم المهارات الحياتية كجزء من المناهج الدراسية حتى يتم تعليمها تعليما مباشرا للطلبة في المدارس من خلال تعليمهم المقررات الأكاديمية، وإيلاء وسائل الإعلام أهمية لها.
- ✓ توسيع عينة الدراسة للتمكن من تعميم نتائجها، وتطوير أساليب التقويم لتمس أبعاد أخرى.
- ✓ إجراء دراسة لمدى ممارسة الأساتذة للمهارات الحياتية من وجهة نظر الطلبة.
- ✓ إجراء دراسة لمدى ممارسة الطلبة للمهارات الحياتية من وجهة نظر الأساتذة.

الهوامش:

[1] مجدى عبد الكريم حبيب، مجتمع المعرفة والإبداع في القرن الحادي والعشرين. الطبعة 1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2009.

[2] نزار محمد خير فالح الويسي، تأثير برنامج تعليمي في تنمية المهارات الحياتية والحركية الأساسية لدى طلاب المرحلة الأساسية الدنيا. أطروحة دكتوراه غير منشورة في التربية الرياضية، الجامعة الأردنية، الأردن، 2009.

[3] جبرائيل بشارة، إدماج بعض المهارات الحياتية المعاصرة في مناهج التعليم (الحوار وإكساب التلاميذ مهاراته الحياتية)ن دراسة مقدمة لمؤتمر "نحو استثمار أفضل للعلوم التربوية والنفسية في ضوء تحديات العصر" المنعقد في كلية التربية بجامعة دمشق في الفترة 2725 أكتوبر 2009.

[4] صليبي محمد اكتساب مهارة الحوار لدى طلبة الصف الأول الثانوي وعلاقته بالتحصيل في مادة العلوم.أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق، 2007.

[5] مريامة حنصالي، إدارة الضغوط النفسية وعلاقتها بسمتي الشخصية المناعية (الصلابة النفسية والتوكيدية) في ضوء الذكاء الانفعالي دراسة ميدانية على الأساتذة الجامعيين الممارسين لمهام إدارية. أطروحة دكتوراه غير منشورة في علم النفس العيادي، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2014.

[6] علي ناصر فرحان، بناء مقياس للمجازفة في اتخاذ القرار لطلبة جامعة صلاح الدين. أربيل، العراق، 1987.

[7] محمد أبو سمرة الإتصال الإداري والإعلامي. الطبعة1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص10.

[8] إياد عبد الله زقوت، تقدير الذات وعلاقته بالأفكار العقلانية والمهارات الحياتية لدى الدعاة في محافظات غزة. رسالة ماجستير غير منشورة، في علم النفس، جامعة الأزهر بغزة، فلسطين، 2013، ص88.

[9] ، هدى بسام محمد سعد الدين، فاعلية تصور مقترح لتضمين المهارات الحياتية في مقرر التكنولوجيا للصف العاشر الأساسي بفلسطين. مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية المجلد24، العدد1، 2010.

[10] سليمان عبد الواحد يوسف إبراهيم، المهارات الحياتية ضرورة حتمية في عصر المعلوماتية(رؤية سيكولوجية). القاهرة، مصر، 2010، ص34.

[11] فؤاد إسماعيل سلمان عياد، مرجع سابق.

[12] رانيا صاصيلا، دور كلية التربية في جامعة دمشق في تنمية المهارات الحياتية في ضوء الإتجاهات التربوية المعاصرة. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، المجلد 9، العدد4، 2011.

[13] مريم السيد، حاجات طلبة جامعة الإسراء إلى المهارات الحياتية. عمان، الأردن، 2006، ص133.

[14] إياد عبد الله، مرجع سابق، ص87.

[15] مريم السيد، مرجع سابق، ص133.

دور القدرة على حل المشكلات في تحسين القدرة القرائية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية

أ/ قندوز محمود، جامعة تيارت

ملخص:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن علاقة صعوبات تعلم القراءة بالقدرة على حل المشكلات لدي أطفال المرحلة الابتدائية الجزائرية.

اعتمدت الدراسة على عينتين مستقلتين عددهما الإجمالي 68 تلميذ من الجنسين:

العينة أ: وتتكون من 34 حالة تمثل مجموعة من القراء العاديين من الصف الرابع ابتدائي وتبلغ أعمارهم بين 9 و 11 سنة من الجنسين.

العينة ب: وتتكون من 34 حالة تمثل مجموعة من الأطفال ضعاف القراءة من الصف الرابع ابتدائي وتبلغ أعمارهم بين 9 و 11 سنة من الجنسين.

نشير إلى أن أفراد العينتين كانوا سالمين من مختلف العاهات الجسدية حيث تم استبعاد الحالات التي تعاني خللا بصريا أو سمعيا. . .

كما أعتمد على رأي المعلمين و نتائج التلاميذ في مادة القراءة في التعرف على التلاميذ ذووا الأداء القرائي الجيد، و التلاميذ ضعاف القراءة بالإضافة إلى تمرير اختبار القراءة للفصل بين الجيدين والضعاف. بعد تحديد العينتين تم تمرير مشكل برج هانوي على التلاميذ ضعاف القراءة و القراء العاديين، فأظهرت نتائج اختبار ت وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين العينتين في القدرة على حل المشكلات، ومنه وجود علاقة بين صعوبات تعلم القراءة والقدرة على حل المشكلات، حيث أن صعوبة تعلم القراءة مظهر لخلل معرفي يكمن في ضعف في القدرة على حل المشكلات من حيث اختيار الإستراتيجيات الملائمة لعملية القراءة و بطء في عملية معالجة المعلومات.

من أهم التوصيات التي خلصت إليها الدراسة: انتهاج التعليم القائم على حل المشكلات من مبدأ أن كل موقف تعليمي في أي مادة دراسية يمكن النظر إليه كموقف لحل مشكلة، إذ أن تنمية القدرة على حل المشكلات لدى التلاميذ تؤثر إيجابا على الأداء القرائي بصفة خاصة، وعلى التحصيل الدراسي بصفة عامة .

الكلمات المفتاحية: القدرة على حل المشكلات – صعوبة تعلم القراءة.

تحديد مصطلحات الدراسة اجرائيا:

القدرة على حل المشكلات : هو عملية فكرية يسعى خلالها الفرد للوصول إلى هدف معين يصعب تحقيقه بسبب عدم وضوح أسلوب الحل وصعوبة تحديد الأدوات المستخدمة في حل المشكلة. ويستدل على هذه القدرة باستخدام اختبار مشكل برج هانوي.

صعوبة تعلم القراءة : عجز جزئي في القدرة على قراءة أو فهم المادة المقروءة سواء كانت هذه القراءة صامتة أو جهرية . و يستدل على هذه الصعوبة باستخدام مقياس صعوبة تعلم القراءة المعد من طرف " اسماعيل لعيس" القراءة هي أهم مادة تعليمية بالنسبة للتلميذ، فهي مفتاح كل العلوم، لهذا فقد لقيت اهتمام كبيرا من العلماء و الباحثين و التربويين هذا الاهتمام كان ينصب في الكشف عن مكونات القراءة و جوانبها المختلفة وكذا دراسة العوامل التي تؤدي إلى النجاح أو الفشل فيها أيضا وضع البرامج التي من شأنها زيادة كفاءة القارئ على غرار كل دول العلم فإن المدرسة الجزائرية أولت اهتمام لمادة القراءة فهي تحظى بأكبر نصيب في جدول التوزيع الزمني للمواد المقررة خاصة في سنوات التعليم الأولى من المرحلة الابتدائية هذا راجع إلى أن تعليم القراءة شرطا أساسي لتحقيق النجاح في المدرسة ، حيث أن باقي المواد الدراسية في جانبها الأكبر ليست إلا أفكارا مكتوبة أو مقروءة تمثلها لرموز اللغوية المكتوبة . (01)

إن هذا الاهتمام البالغ الذي تعنى به عملية القراءة لا يرجع فقط لكونها أساس التعلم ، بل يعود إلى سبب آخر فقد قدر عدد من الباحثين أن الأطفال ذوو صعوبات تعلم القراءة يشكلون 20 % من الأطفال المتمدرسين وقد اختلفت الاتجاهات في تفسير هذه الظاهرة إلى أن الاتجاه المعاصر و القائم على مبادئ علم النفس المعرفي يرى أن صعوبات تعلم القراءة ترجع أساسا إلى خلل معرفي من حيث عجز في استخدام السيرورات المعرفية و الوصول معرفية الخاصة بالأداء القرائي السليم، هذه السيرورات هي التي تتيح للقارئ معالجة الوحدات الخطية و تحويلها إلى وحدات منطوقة مع تحليل معانيها، هذه العملية تتطلب مقدرة فونولوجية عالية. (02)

مما سبق يتضح أن الطفل الذي يعاني صعوبات تعلم القراءة لا تؤهله قدراته المعرفية وصول المعرفية لتحكم بعناصر المادة المقروءة و تفسيرها، حيث أن وضعية القراءة أو موقف القراءة ما هو إلا "موقف – مشكلة" إذن فصعوبة تعلم القراءة يمكن النظر إليها على أنها عدم قدرة القارئ على استخدام الأدوات اللازمة لفك الرموز الخطية ثم استيعاب معاني المادة المكتوبة هذه الأدوات تتعلق في غالبه بالقدرة على حل المشكلات. (03)

إن القدرة على حل المشكلات تختلف بحسب درجة تعقيد المشكلة في حد ذاتها، كما تختلف من فرد إلى أخر، وأوجه الاختلاف و التفاوت في هذه المقدرة تكمن في زمن و عدد خطوات حل المشكلة، فالانتقال من

مرحلة ابتدائية و التي هي موقف المشكلة إلى مرحلة نهائية و التي هي حل المشكلة لا يكون بنفس الفترة الزمنية ولا بنفس عدد الخطوات من فرد لآخر . (04)

ومن هنا فإننا نحاول من خلال هذه الدراسة: **الكشف عن علاقة صعوبات تعلم القراءة بالقدرة على حل المشكلات.**

1- تساؤلات الدراسة:

يمكن أن نستخلص من إشكالية الدارسة التساؤل التالي:

هل توجد فروق بين التلاميذ ذوي صعوبات تعلم القراءة و القراء العاديين في القدرة على حل المشكلات؟

2 - فرضية الدراسة:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ ذوي صعوبات تعلم القراءة و القراء العاديين في القدرة على حل المشكلات.

3 - اجراءات الدراسة الميدانية :

1-3 . منهج الدراسة:

بالنظر إلى طبيعة الموضوع و هدف من الدراسة الذي يتمثل قي كشف العلاقة بين القدرة على حل المشكلات ومستوى الأداء القرائي،يمكن التأكد أو الوصول إلى هذا الهدف من خلال القيام بمقارنة القدرة على حل المشكلات بين عينة من قراء عاديين و قراء من ذوي صعوبات تعلم القراءة وعلى هذا الأساس إعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المقارن فهو الأنسب و الذي يوائم طبيعة الموضوع ويمكن بوسطته إختبار الفرضيات و التحقق من صدقها أو عدمه .

3 .2 . عينة الدراسة:

تم الاعتماد على عينتين تم اختيارهما من أربع مدارس ابتدائية تابعة للمقاطعة التربوية الأولى لولاية الوادي.

العينة أ : وتتكون من 34 حالة تمثل مجموعة من القراء العاديين من الصف الرابع ابتدائي وتبلغ أعمارهم بين 9 و 11 سنة من الجنسين تم اختيارهم بطريقة عشوائية بسيطة.

العينة ب : : وتتكون من 34 حالة تمثل مجموعة من الأطفال ضعاف القراءة من الصف الرابع ابتدائي وتبلغ أعمارهم بين 9 و 11 سنة من الجنسين تم اختيارهم بطريقة مقصودة.

نشير إلى أن أفراد العينتين كانوا سالمين من مختلف العاهات الجسدية حيث تم استبعاد الحالات التي تعاني خللا بصريا أو سمعيا.

كما أعتمد على رأي المعلمين و نتائج التلاميذ في مادة القراءة في التعرف على التلاميذ ذووا الأداء القرائي الجيد ، و التلاميذ ضعاف القراءة بالإضافة إلى تمرير اختبار القراءة للفصل بين الجيدين و الضعاف .

3-3. أدوات الدراسة:

أ. اختبار القراءة : والهدف منه هو الفصل بين القراء العاديين و ضعاف القراءة ، و هذا الاختبار عبارة عن نص بسيط يتكون من125 كلمة روعي فيه ملائمة مستوى تلاميذ الصف الرابع ابتدائي ، و كذا أن يكون النص جديدا أي لم يسبق لأحد أفراد العينة أن قرأه . كم يحتوي الاختبار على أسئلة حول النص تخص جانب الفهم.

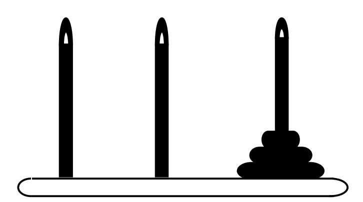
ب . مشكل برج هانوي :

إن مجال حل المشكلات هو من أحد مجالات علم النفس أين تكون الوضعيات اصطناعية ظاهريا فقط فرغم أننا لا نحل مشكل برج هانوي يومياً ، إلاّ أنه وضعية مشكل يركّز كل خصائص الوضعيات المشكل التي نصادفها يوميا .

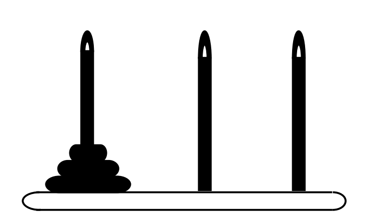
ففي كل مشكل يجب تحقيق هدف من خلال وضعية انطلاق، و للوصول إلى هذا الهدف يمكن استخدام عدّة طرق.

في هذا المشكل لدينا ثلاثة سيقان و ثلاث حلقات كما هو مبين في الشكل (06) فالحلقات الثلاثة في وضعية الانطلاق موضوعة على أحد السيقان و في وضعية الوصول الحلقات يجب أن توضع على الساق المقابلة و بنفس الترتيب .(05)

الشكل (1) مشكل برج هانوي



الحالة الابتدائية



الحالة النهائية (

كيفية تطبيق الأدوات وطريقة التصحيح :

أ. اختبار القراءة: يقدم الاختبار للتلاميذ كل على حدا ونشرح التعليمات التالية:

القراءة تكون بطريقة جهرية .

عليك قراءة النص كاملا.

حاول القراءة بالطريقة التي تعودت عليها في القسم.

أثناء قراءة التلميذ للنص نقوم بتسجيل عدد الأخطاء المرتكبة باختلاف أنواعها، وبعد فراغ التلميذ من القراءة تقدم له ستة أسئلة للإجابة عنها تخص الفهم العام لمضمون النص، ونسجل عدد الإجابات الخاطئة من الصحيحة.

ب . كيفية تطبيق مشكل برج هانوي :

تم تمرير المشكل للطلبة بصفة فردية و ذلك لتفادي تأثر الطالب بزملائه و كذلك لعزل عامل الخبرة عند الطلبة الآخرين و قبل أن يبدأ الطالب في حل المشكل نشرح له الشروط التي يجب أن يحترمها أثناء الحلّ .

طريقة التصحيح

زمن حلّ المشكل : نقوم بحساب الزمن الذي يستغرقه الطالب في حل المشكل بالميلي ثانية (MS)

.

المجال المشكل : يتم حساب عدد الخطوات التي يمرّ بها الطالب للوصول إلى الحل ، وعدد الخطوات لم تخرج عن الاحتمالات التالية لدى عينة بحثنا .

7 خطوات ، 9 خطوات ، 11 خطوة ، 13 خطوة ، 15 خطوة ، 17 خطوة ، 19 خطوة ، 21 خطوة ، 23 خطوة ، 25 خطوة ، 27 خطوة)

4- عرض نتائج الدراسة:

جدول (01): نتائج اختبار مشكل برج هانوي (المتوسط الحسابي)

	مشكل برج هانوي	**المتوسط الحسابي**	**الاجمالي**
ضعاف القراءة	الزمن المستغرق	127.67	**74.22**
	عدد الخطوات	20.76	
القراء العاديون	الزمن المستغرق	46.61	**29.41**
	عدد الخطوات	12.20	

بالنظر الى نتائج المتوسط الحسابي نلاحظ تفاوت كبير بين في نتائج اختبار برج هانوي بين التلاميذ العادين و ذوي صعوبة تعلم القراءة الذين استغرقوا وقتا أطول و عدد خطوات أكبر من نظرائهم العاديين.

جدول(02): نتائج اختبار مشكل برج هانوي (قيمة ت بين التلاميذ العاديين و ذوي صعوبة تعلم القراءة)

		قيمة ت	**مستوى الدلالة**
نتائج اختبار مشكل برج هانوي	الزمن المستغرق	13.965	دال عند 0.01
	عدد الخطوات	8.159	دال عند 0.01
	الاجمالي	11,062	دال عند 0.01

على ضوء ما سبق يمكن الإقرار بتحقق الفرضية اي توجد فروق بين القراء العاديين و ذوي صعوبة تعلم القراءة في مستوى القدرة على حل المشكلات.

5 – مناقشة و تحليل نتائج الدراسة: إن الصعوبة التي يواجهها المعسور في تعلم القراءة تتمثل في"حل مشكلة " العناصر والرموز الكتابية أي أن الصعوبة مركزة في النص المقروء رغم ما يتلقاه الطفل على الدوام من تعليم لقواعد التحويل الحرفي ـ الصوتي واستراتيجيات فك الرموز الكتابية .

فمعالجة المعلومات الخاصة باللغة الكتابية في موقف القراءة تتضمن أساسا الاعتماد على العمليات المعرفية التي وهي المراد معالجتها واكتسابها. (Type de connaissances) ترتبط " بنمط ونوعية المعارف" " عمليات يمكن حثها وتوظيفها باستعمال استراتيجيات مختلفة بوسائل ملاحظة أو غير ملاحظة، هذه الأنماط من القراءة التي سنأتي على ذكرها نجدها كذلك في نشاط القراءة. (06)

ـ **المعارف التصريحية** : تسمح بالتعرف على الإستراتيجية المستعملة وتتمحور حول "ماذا؟" أو "ما هو؟" مثل :" ما هي القراءة الصامتة ؟" .

ـ **المعارف المرحلية** : تسمح بالتعرف على عملية التنفيذ والإنجاز ، وتتمحور حول إستراتيجية " كيف ؟" ـ **المعارف البراغماتية** : وتتمحور حول إستراتيجية " لماذا ؟ " و " متى ؟" .

لقد طبعت في مجال علم النفس المعرفي وعلم النفس العصبي التصورات الراهنة حول صعوبات تعلم القراءة مفهومها ووسائل تقييمها وطرق التعليم الموجهة للتغلب عليها ، فأضحت هذه الصعوبات تتمثل بشكل جوهري في خلل في معالجة المعلومات .

فأشكال التفكير والسيرورات والاستراتيجيات المعرفية هي بالتالي المسؤولة عن ضعف الأداء لدى ذوي صعوبات تعلم القراءة .

إنَ ما يظهر كميزة مشتركة بين ضعاف القراءة بمختلف مستوياتهم هي" السلبية الذهنية" حيث لا يطرحون على أنفسهم إلا قدرا ضئيلا من التساؤلات الحول قرائية و منه يجدون صعوبة في الربط بين المعارف مما يجعلهم أكثر اتكالية على المعلم و توجيهاته و من هنا تظهر أهمية ربط صعوبات تعلم القراءة بحل المشكلات و ذلك من خلال وضع هذه الفئة من الأطفال في مواقف حل المشكلة لأنها تمثل المواقف الحقيقية التي تحفز الطفل على استخدام استراتيجيات مختلفة لحلها، بدءا من الشعور بالمشكلة وصولا إلى تنفيذ الحل والتحقق منه.

ترتكز على عدد من العمليات يرى أن تعلم القراءة (**Martinez J. P1992**) وفي نفس السياق نجد أن المعرفية المنسجمة في نمو وتفاعل دائمين ، هذه العمليات تتمحور في مجملها في القدرة على حل المشكلات بحيث تساعد على تعلم القراءة في إطار متكامل توجهه المعارف السابقة المتراكمة حول نظام القراءة ، لذلك كلما زادت قدرة الفرد على استعمال هذه العمليات كلما زادت مهارة القراءة لديه.

في مقارنة أجراها العالم(مارتناز) بين ضعاف القراءة و القراء الجيدين تمحورت حول طبيعة السيرورات المعرفية التي يستعملها كلا الصنفين أثناء عملية القراءة توصلت إلى أن ضعاف القراءة يتميزون بضعف في عملية التقييم الذاتي و التعبير عن عملية التفكير التي ترافق القراءة ويتصفون بتصلب على المستوى المعرفي من حيث استعمال نفس الإستراتيجية ، وذلك في نشاط القراءة لأنماط مختلفة من النصوص تعكس اختلاف في نمط الخطاب المستعمل (سرد ، حوار. . .).كما يتميز هؤلاء الأطفال بصعوبات في تنشيط واسترجاع المعارف السابقة ،لذلك تلاحظ لديهم صعوبات جمة على مستوى الفهم الذي يتطلب سرعة ودقة في معالجة الرموز الخطية من حيث الانتقال من التعرف على صور الرموز المشكلة للكلمة ثم حفظها بشكلها الصحيح دون إبدال أو قلب أو تحريف وبعدها نطقها الصحيح مع تحليل المعنى في الوقت ذاته، هذه العملية هي التي تمثل مظهر الصعوبة عند ضعاف القراءة فهميفشلون بشكل أو بآخر في القيام المنسق بين خطوات حل هذه المشكلة. (07)

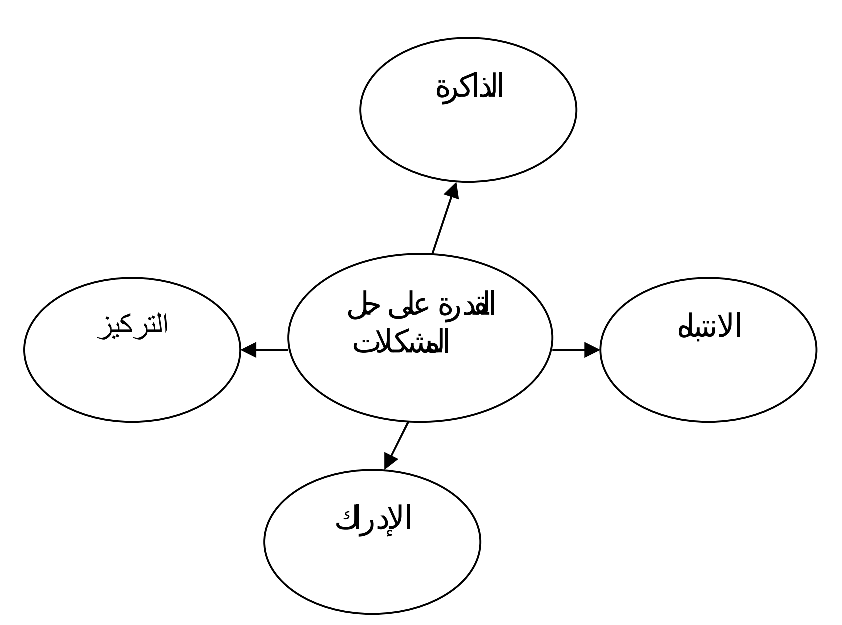
(تعرف على الصور الخطية ← حفظ سليم ← نطق + معنى).

في المقابل نجد أن القراء الجيدين يقومون بالعملية السالفة الذكر بدقة وتنسيق تامين وفي وقت مناسب بالإضافة إلى استعمال متنوع لإستراتيجيات القراءة وتوظيف سليم للمعارف السابقة.

6- خلاصة: يتضح مما سبق أن القارئ العادي يستخدم كل طاقاته و مصادره المعرفية من أجل الوصول إلى التعرف على الكلمات وفهم معانيها بالنظر إلى طبيعة القراءة التي هو بصددها ، وبذلك فهو في كل وضعية جديدة للقراءة يعمل على تنشيط وتوظيف الاستراتيجيات المعرفية والمعارف المكتسبة ، غير أن الطفل الذي يعاني من صعوبات تعلم القراءة لا تؤهله قدراته المعرفية (وحول المعرفية) للتحكم في كل وضعية أو موقف قراءة جديد، هذا الأخير لا يعدو أن يكون " موقف مشكلة" من حيث أنه موقف كلي متكامل ذو أبعاد ثلاثة: قارئ،نص،نسق(أو سياق).كما أن الاختلاف الجوهري بين القارئ المبتدأ والقارئ الكفؤ من جهة ، والقارئ العادي و ضعيف القراءة من جهة ثانية يكمن مستوى القدرة على حل المشكلة وتوظيف المعارف السابقة حول القراءة (الخبرة) وتكييفها حسب الموقف أو الوضعية.

القدرة على حل المشكلات نشاط معرفي تتدخل فيه مجموعة من السيرورات كالتركيز، و الإدراك، والذاكرة والانتباه ، والأكيد أن هذه السيرورات لها دور كبير في تحديد مستوى الأداء القرائي لدى التلميذ والضعف فيها يؤدي حتما إلى ظهور اضطرابات قرائية قد تصل إلى عسر القراءة وهي نفس النتيجة التي تنتج عن قصور في القدرة على حل المشكلات من مبدأ ما ينطبق على مجموعة الأجزاء ينطبق على الكل. (08)

الشكل(02) مكونات القدرة على حل المشكلات



صعوبة تعلم القراءة تمثل عجزا في ترجمة الرموز المكتوبة إلى رموز منطوقة ذات معنى ويكمن هذا العجز في:

. أخطاء في عملية فك الترميز الخطي الصوتي.

. أخطاء في عملية إعادة الترميز.

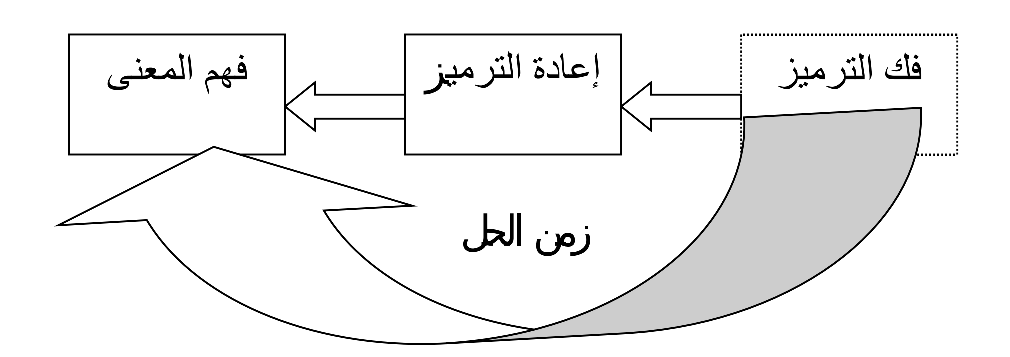
. عجز عن التعرف على معاني ما تم تحويله من شكله الخطي إلى الشكل الصوتي.

. بطء عملية فك الترميز.

هذه الصعوبات هي التي تمثل خطوات حل المشكلة القرائية (فك الترميز، و إعادة الترميز ،و فهم المعنى).

ويمكن أن نمثل المشكلة كما يلي:

شكل (03) مكونات المشكلة القرائية.



4 . آفاق البحث و توصياته:

تشغل حلّ المشكلات في الحياة اليوميّة حيّزاً كبيراً من النشاط الفكري الإنساني. وتعتبر مهارة حلّ المشكلات من المهارات الأساسيّة التي ينبغي على التعليم العام تنميتها في إطار مهمّته في إكساب الفرد المهارات الضروريّة للعيش في المجتمع. وإذا كان إكساب هذه المهارة ينبغي أن يشكّل هدفاً عاماً للتعليم المدرسي، فإن تعليم القراءة كان، ولا يزال، يحتكر، من حيث الهدف المعلن على الأقل، إكساب هذه المهارة وتنميتها. أضف إلى ذلك أنه مع هيمنة الفهم الشكلي في أوساط المشتغلين في ميدان تعليم القراءة أصبح حلّ المشكلات يعتبر الإطار الأمثل لتعلّمها.

يصنف جانييه الإمكانيات العقلية الخاصة بعملية التعلم إلى ثلاثة أنماط رئيسة يعتمد كل منها على الآخر وهي : **المعلومات** ، **المهارات العقلية** ، **الاستراتيجيات المعرفية** ،هذه الأنماط هي التي تحدد مستوى القدرة على حل المشكلات، فالمتعلم يتعلم المعلومات ويختزنها في ذاكرته ، ويمكن أن تتعلق هذه المعلومات

بمادة دراسية أو مجال تعليمي أو تدريبي معين ، أو تتعلق بمحتوى يتميز باستمرارية توظيفه في الحياة مثل معرفة الحروف والأعداد والحقائق المتعلقة بالإنسان والبيئة.(09)

إن انتهاج التعليم القائم على حل المشكلات يتيح للتلاميذ الذين يعانون صعوبة تعلم القراءة بصفة خاصة و ذووا صعوبات التعلم بصفة عامة تعلم استراتيجيات قرائية متنوعة بالإضافة إلى استراتيجيات حول معرفية تمكنهم من التحكم في الاستراتيجيات الأولى. من جانب آخر تمثل وضعيات حل المشكلات عاملا مهما في الرفع من مستوى الدافعية لدى الطفل، من حيث أنها تتيح له أداء نشاطات لها دلالة و قيمة لأنها تتطلب حل مشكلة حقيقية مما يجعله يشعر بقيمة النشاط الذي يؤديه، خاصة و أن هذه النشاطات تتم في إطار مجموعات صغيرة من الأطفال، وفقا لما تقتضيه هذه الطريقة ،فيصبح المتعلم هو المسؤول عن أدائه وتطوره ومن ثم يكتسب نوعا من المراقبة الذاتية . مع أن الدراسة توصلت إلى نتائج أولية حول علاقة صعوبة تعلم القراءة بالقدرة على حل المشكلات توافقت في معظمها و نتائج الدراسات الأجنبية إلى أنها تحتاج إلى دراسات أخرى تتناول نفس الموضوع لكن بتحديد أكبر وبعينة معتبرة حتى يمكن تعميم نتائجها، وذلك للاعتبارات التالية:

. اعتماد الدراسة على عينة تمثل القسم الرابع ابتدائي فقط.

. عدم الأخذ بعين الاعتبار فئات ذوي صعوبات تعلم القراءة.

. عدم التركيز الوافي على أنواع الاستراتيجيات المستخدمة في الفعل القرائي.

الهوامش:

(**01**) عبد الوهاب سمير (2004) **تعليم القراءة و الكتابة في المرحلة الابتدائية**،المكتبة العصرية، مصر.

(**02**). Inizian.A(1998) : **Et si la dyslexie n' existait pas ?** psychologie et éducation, n :3, p33/49.

(**03**)La Fantaine.D(2003) :**comment faciliter ,developer et évaluer compréhension des textes aux différente étapes de la scolarité primaire ?**Conférence de consensus sur l enseignement de la lecture a l école primaire , 4-5 décembre 2003, Liège .

(**04**) الزيات فتحي مصطفي(1998) **صعوبات التعلم الأسس النظرية الشخصية و العلاجية**، دار النشر للجامعات ، القاهرة.

(**05**). Niwell.A & Simon.H(1972):**Human problem solving**, Englewood chifs.Hall.

(**06**) .La Fantaine.D(2003) (ibid)

(**07**) . Olivier Hondé & autre (1998) :**vocabulaire des sciences cognitives collection psychologie et science de la pensé** ,1 ed Puf, Paris.

(**08**) . Van Grunderbeeck .N (1994) : **les difficultés en lecture diagnostique et pistes d interventions**, Boucherville, Geatan Morin Edeteur.

(**09**). راشد عدنان غائب (2002) **سيكولوجية الأطفال ذوي الصعوبات التعليمية**،دار وائل للنشر، الطبعة الأولى ، عمان الأردن .

الثقافة الأمنية بين المصطلح والمفهـــوم

أ/ براهيم عامر، جامعة تلمسان

مقدمة

إن الثقافة هي ثمرة النشاط الفكري، والمادي للإنسان منذ أن وجد، وفي كل عصر وزمن هناك الأحداث والظواهر التي تفرز من المتغيرات والمستجدات وما تحمل في طياتها من متناقضات ونزاعات فكرية ومادية تفرض على المجتمع إعادة النظر في منهج تفكيرهم ونمط حياتهم وأسلوب معيشتهم، ليخرج من خلالها المجتمع بتصور وتوجه جديد يوضح معالم الحياة المستقبلية.

وفي عصرنا هذا نجد أن حتمية التفاوت بأشكاله وأنماطه المتنوعة له انعكاساته الواضحة على الحياة الاجتماعية التي يعيشها الإنسان بصورة عامة إذ تؤدي الثقافة دوراً في الحياة فهي المتنفس وخاصة في الأزمات والظروف الصعبة، حيث نجد أن الكثير من الأعمال الأدبية والفكرية إنما هي نتاج ظروف وأزمات مرّ بها أصحابها، ومن ثم أصبحت فيما بعد أعمالاً يأخذ بها.

و من المؤسف جداً أننا نعيش جملة من التحديات منها التحدي الثقافي و هو من أخطر أنواع التحديات لأنه يهدف إلى القضاء على لغتنا و تاريخنا وحضارتنا... هذا الانهيار في الجدار الثقافي يؤدي حتماً إلى خلل في الأمن الوطني (القومي)على كافة المستويات.

فحينما تكون الثقافة قاصرة عن مفهوم الأمن يكون الاهتزاز أكبر في ظل الواقع الدولي الراهن بكل معطياته ومتغيراته لأن التطورات التقنية الحديثة بكل أبعادها المختلفة، و اضمحلال خصوصية المكان أعطى إفرازات جانبية لمفهوم الأمن كونه هاجساً ليس فقط للحكومات وإنما للشعوب أيضاً .

فالثقافة في بعدها الحضاري عامل بناء وتكامل وانفتاح على الآخر ، وقد يحدث أن تتباعد الرؤى الثقافية والفكرية بين المثقفين أنفسهم وهذا طبيعيّ ، لذا سنعرض مؤشرات الثقافة الأمنية مستوياتها في مجتمعنا الجزائري.

تحديد المفاهيم الأساسية للموضوع

لا بدَّ من الإشارة هنا إلى أنَّ كلَّ التَّعريفات مرتبطة بجذور عقائديَّة وتعبِّر عن مناخات منفعيَّة بمعنى أنَّ هذه التَّعريفات لا تعبِّر عن واقعٍ أبداً وإنَّما تعبِّر عن مطالب ومتطلَّبات وتَحقُّق ذلك على أرض الواقع مرهن بجملة معقَّدة من الشُّروط والمعايير والمقاييس والظُّروف .

فما معنى الثقافة ؟

ما معنى الأمن ؟

إن شرح المعنى الدلالي و الاصطلاحي لكلمة الثقافة المأخوذة معجمياً من "مادة ثقف أي وجد «اقتلوهم حيث ثقفتموهم» .. و ثقف أيضاً بمعنى خبر و تعلم و عرف ، فالثقافة تعني التراكم المعرفي الذي يختزنه الإنسان و ينمي سلوكه على أساسه ... أي توجيه الفكر و تنمية السلوك" .[1]

أما كلمة الأمن فهي من أمن و تعني نقيض الخوف و نقيض الحذر وكلمة الأمن من الناحية الدلالية والاصطلاحية فتعني كل ما يتصل بأجهزة الأمن بمختلف أشكالها كما أنها تعني "استراتيجية الحفاظ على ثقافة الأمة و أمنها الاجتماعي و الاقتصادي"[2] .

ومفهوم الأمن يتخذ وضعاً أكثر حساسية وأهمية ويحتل في بناء الدول وفي مهامها الوظيفية الأولية ، كما أنه أصبح مطلباً بحاجة إلى إعادة صياغة في إطار العلاقات الدولية، حسب مستجدات الواقع الجديد كونه لم يعد يعتمد على تحشد الجيوش الجرارة على الحدود القريبة والبعيدة بل أصبح مفهوماً أكثر اتساعاً حتى لا يكاد المرء يحصي الثغرات التي يمكن أن تتسلل منها المهددات فمشكلة الفقر أو مشكلة المياه أو مشكلة التركيبة السكانية أو الهوية أو الأرض أو الأمراض الوبائية إلى جانب الجيوش المتربصة، وترسانات الأسلحة التقليدية، وأسلحة الدمار الشامل بأنواعها في يد الأخر، تهديداً مباشراً للأمن الذي يجب أن يراعى من المجتمع ككل لحماية كينونته من انعكاساته السلبية.[3]

مفهوم الثقافـة

يعتبر مفهوم الثقافة من المفاهيم التي تثير الكثير من الغموض والجدل وذلك للأسباب عديدة أهمها :

- التطور اللغوي والفكري للكلمة ذاتها سواء في اللغة العربية أو في اللغات الأجنبية الأخرى ، فكما يقول دنز كوش "Denys Cuche " {من أجل فهم المعنى المعاصر لمفهوم الثقافة واستعمالاته المختلفة في العلوم الإجتماعية من الضروري استرجاع كيفية تشكله وتتبع شجرة تطوره والوقوف على أصوله وتطور دلالته اللغوية والاصطلاحية" [4].
- ما يثيره تشابك الدلالة مع أهم كلمة مجاورة لها وهي كلمة الحضارة Civilsationوهي الكلمة التي ظهرت تقريبا في نفس الفترة التي ظهرت فيها كلمة الثقافة بمعناها الحضاري .

ن المعلوم أن المعاني التي يُضفيها كل باحث على المفهوم ذاته ،إلى جانب شيوع المصطلح الذي جعل من الصعب تعريفه والثقافة فكل من يطلقها يقصد بها معنى ومصطلح الثقافة من أكثر المصطلحات استخداما في الحياة المعاصرة، وبالتالي فهو من أكثر المصطلحات صعوبة على التعريف ففي حين يشير المصدر اللغوي والمفهوم المتبادر للذهن والمنتشر بين الناس إلى حالة الفرد العلمية الرفيعة المستوى، فإن استخدام هذا المصطلح كمقابل لمصطلح (Culture) في اللغات الأوروبية تجعله يقابل حالة اجتماعية شعبية أكثر منها حالة فردية، فوفق المعنى الغربي للثقافة : تكون الثقافة مجموعة العادات والقيم والتقاليد التي تعيش وفقها جماعة أو مجتمع بشري، بغض النظر عن مدى تطور العلوم لديه أو مستوى حضارته و عمرانه. وبذلك فان الإشكال يطرح نفسه : ماذا يقصد بالثقافة ؟

الثقافة في اللغة العربية أساسا هي " الحذق والتمكن ،والمثاقفة أي الملاعبة بالسيف ، وثقف الرمح أي قومّه وسواه، ويستعار بها للبشر فيكون الشخص مهذباً ومتعلماً ومتمكناً من العلـوم والفنون والآداب" [5] ، فالثقافة هي إدراك الفرد و المجتمع للعلوم و المعرفة في شتى مجالات الحياة؛ فكلما زاد نشاط الفرد و مطالعته واكتسابه الخبرة في الحياة زاد معدل الوعي الثقافي لديه، وأصبح عنصراً بناءً في المجتمع.

وتعريف الثقافة اختلط عند العرب باعتبار أن هناك فرق بين المثقف والمتحضر.فالمثقف هو الذي يتعدى إحساسه الذاتي للإحساس بالآخر والمتحضر هو الذي يسلك سلوكا يلائم البيئة الذي يعيش فيها ولكي يكون الإنسان متحضرا لابد أن يكون مثقفا .

فمفهوم "الثقافة" في اللغة العربية ينبع من الذات الإنسانية ولا يُغرس فيها من الخارج. ويعني ذلك أن "الثقافة تتفق مع الفطرة، وأن ما يخالف الفطرة يجب تهذيبه، فالأمر ليس مرده أن يحمل الإنسان قيمًا– تنعت بالثقافة– بل مرده أن يتفق مضمون هذه القيم مع الفطرة البشرية" [6].

إن مفهوم "الثقافة" في اللغة العربية يعني البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحق والخير والعدل، و" كل القيم التي تُصلح الوجود الإنساني ، ولا يدخل فيه تلك المعارف التي تفسد وجود الإنسان"[7]، وبالتالي ليست أي قيم وإنما القيم الفاضلة. أي أن من يحمل قيمًا لا تنتمي لجذور ثقافته الحقيقية فهذه ليست بثقافة وإنما استعمار وكل المجتمعات إذا استوفت مجموعة من القيم الإيجابية التي تحترم الإنسان والمجتمع هي ذات ثقافة تستحق الحفاظ عليها أيًا كانت درجة تطورها في السلّم الاقتصادي .

ويستخدم مصطلح الثقافة وفق المفهوم الغربي للإشارة إلى ثقافة المجتمعات الإنسانية، وهي طريقة حياة تميّز كل مجموعة بشرية عن مجموعة أخرى. والثقافة يتم تعليمها ونقلها من جيل إلى آخر؛ ويقصد

بذلك مجموعة من الأشياء المرتبطة بنخبة ذلك المجتمع أو المتأصلة بين أفراد ذلك المجتمع. فيقصد بالثقافة الكيان المادي والروحي لمجتمع من المجتمعات ويدخل في ذلك التراث واللغة والدين وعادات المجتمع ونشاطه الحضري.

ومن جهة أخرى تباينت الاجتهادات في أدبيات العلوم والمعارف حول تعريف مفهوم الثقافة ، وبات مفهوم الثقافة يقف في موقف النقيض من مفهوم الطبيعة أو الفطرة ، ولم يعد مقترنا بالتهذيب والتعليم ، ثم تطور هذا المفهوم ليصبح مرادفاً لتطوير وتنمية الفكر ، فلم يكن مفهوم الثقافة قبل أربعة قرون واضحاً ومتميزاً عن التعليم والتقدم ، حيث يرجع مصطلح الثقافة إلى عهد حديث نسبياً ، رغم أن اللغات المختلفة قد عرفته منذ الماضي السحيق، فقد شاع استخدامه في اللغة اللاتينية بمعنى " التقديس وبمعنى الحرث والزراعة ، وفي اللغة الألمانية ارتبطت الثقافة بالمظاهر الحضارية في المجتمع ، أما في اللغة الفرنسية فقد ارتبطت بالإنتاج الأدبي والفني والجمالي الرفيع" [8] كما ينظر المفكرون الأنجلو سكسونيون للثقافة من الزاوية الانتروبولوجية التي تشمل نمط الحياة والسلوك حيث بدأ مفهوم الثقافة ينضج تدريجيا بتطور المدرسة الأنثربيولوجية في أوربا ، فجاء توضيـــح المفهوم عند العالم البريطاني (ادوارد تيلور) في كتابه الثقافة البدائية الصادر في سنة 1871 م بأن الثقافة هي:" مركب يشتمل المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق والقوانين والعادات وكل التقاليد والإجراءات التي اكتسبها الإنسان كعضو ينتمي إلى مجتمع معين " [9]

هذا التعريف يتضمن مجمل الأشكال الرمزية للانتماء الاجتماعي ، وهي تمثل شكلاً من القبول والتحكم والسيطرة على المدونات والرموز والاتفاقيات للمجتمع الذي ننتمي إليه إذ هي كل ما صنعه وحققه الإنسان وأبدعه من مظاهر في البيئة الطبيعية والاجتماعية .

والثقافة ليست مجرّد إمتاع ومؤانسة كما يتصوّر كثيرون بل هي التي تعطي للشخصية الإنسانية بعدا عالميا وتتيح إيجاد جسور تواصل بين بني الإنسان والأكثر من ذلك فهي التي تقرّب الفجوات بين البشر بمختلف توجهاتهم العقائديّة والمذهبية والدينية وغيرها .

أمّا المفهوم الشامل للثقافة الذي اعتمدته المنظمـة العربيــة للتربية والثقافة والعلوم يشير إلى أنّها " تشتمل على جميع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية، وتشمل جميع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها، وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني، وسبل السلوك والتصرف والتعبير، وطراز الحياة، كما وتشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا ومحاولاته في إعادة

النظر في منجزاته، والبحث الدائم عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله وإبداع كل ما يتفوق به على ذاته" [10].

ومما سبق نجد أن الثقافة هي مجموعة من الأشكال و المظاهر لمجتمع معين تشمل عادات، ممارسات، قواعد ومعايير كيفية العيش والوجود، من ملابس، دين، طقوس و قواعد السلوك والمعتقدات. و من وجهة نظر أخرى، يمكن القول أن الثقافة هي كل المعلومات والمهارات التي يملكها البشر ومفهوم الثقافة أمر أساسي في دراسة المجتمع .

مفهوم الأمن

يبحث الإنسان دائما عما يشبع حاجته الغريزية ليأمن على حياته ومعيشته ثم يسعى بحثا عن رفاهيته وحاجات أسرته ثم يلجأ إلى جماعة تحقق له مزيدا من الرغبات التي تُشبع آماله وأحلامه ورفاهيته أسرته وحاجات مجتمعه ويتعاون مع غيره لتحقيق مطالب الحياة وتتسع دائرة المطالب ويتسع معها السعي نحو الآمان الأكثر ضمانا وفي كل تلك المراحل من الفردية إلى الاجتماعية ، سعى الإنسان للحصول على ضروريات الحياة ورفاهية العيش وتحقيق أمن المجتمع إذ في ظل الأمن والأمان، يصير النوم سباتاً، والطعام هنيئاً، كونهما عماد كل جهد تنموي، وهدف مرتقب لكل المجتمعات على اختلاف مشاربها.

والأمن لا ينحصر فقط في الجانب الداخلي الذي يتمثل في شيوع الطمأنينة لدى المجتمع من قيام بعض أفراده بالعدوان على حقوق الآخرين في المجتمع نفسه ، ولكنه يشمل الجانب الخارجي أيضا الذي يتمثل في أمن مؤسسات الدولة من عدوان دولة أخرى عليها أي على مستوى الساحة الدولية .

" ويعود استخدام مصطلح "الأمن" كما هو مثبت في المراجع العلمية العالمية إلى نهاية الحرب العالمية الثانية؛ حيث ظهر تيار من الأدبيات يبحث في كيفية تحقيق الأمن وتلافي الحرب، وكان من نتائجه بروز نظريات الردع والتوازن، ثم أنشئ مجلس الأمن القومي الأمريكي عام 1974، ومنذ ذلك التاريخ انتشر استخدام مفهوم "الأمن" بمستوياته المختلفة طبقًا لطبيعة الظروف المحلية والإقليمية والدولية "[11].

و الأمن لغة هو نقيض الخوف وهو يعني الطمأنينة والاستقرار والتخلص من الخوف والخطر سواء كان داخلياً أم خارجياً والأمن يعني الدفاع عن الأمة وعقيدتها ومُثلها ومبادئها وقيمها وتراثها وأرضها ويقوم الأمن بلا شك على القوة و القدرة على تحقيق الهدف المنشود وهو العدل.

ولو راجعنا تعريف الأمن في القواميس لوجدنا تقاطعاً يشير إلى "**تحقيق حالة من انعدام الشعور بالخوف**" [12]وإحلال الشعور بالأمان ببعديه المعنوي، والمادي ، والشعور بالأمان قيمة مرغوبة للبشر على

مستوى العالم، ولا تقتصر على فئة اجتماعية معينة أو مرتبطة بمكانة وموقع الفرد في المجتمع، فالفقير مثل الغني يحتاج إلى الشعور بالأمان ويسعى إلى تحقيقه وإن اختلفت درجات التمتع به.

أما إذا رجعنا إلى ابن خلدون وجدنا أن هذا المصطلح يعادل القوة لأنها سر وجود الدولة وسبب استمرارها واستقرارها فإن وجدت القوة وجدت الدولة، وإن غابت القوة زالت الدولة من الوجود، وتتجسد القوة بالملك والجيش من جهة والمال من جهة أخرى، ويلخص ابن خلدون " الأمن بأنه الأمن من الهزيمة، وللحيلولة دون ذلك لا بد من مضاعفة الحذر، القوة، والاقتدار، التحشد، الدفاع والحماية" [13].

وفي الأدبيات الغربية نجد أن مصطلح الأمن تعددت دلالاته ومعانيه ففي كتابه الأمير يرى ***نيكولا ماكيافيلي (1469-1527)*** **" أن الأمن مرهون بالقضاء على المنافسين، لأن القاعدة العامة بالنسبة إليه تقول "من يسمح لأي كان بأن يصبح قوياً يدمر ذاته"**[14].

ويربط ***والترليبمان*** Walter Lipman بين الأمن والحفاظ على المصلحة فيقول "**الأمة الآمنة هي التي لا يتحتم عليها التضحية بمصالحها المشروعة لتجنب حرب ما، وفي الوقت نفسه تكون قادرة، إذا ظهر في وجهها أي تحد، على حماية مصالحها الحيوية باللجوء إلى الحرب**"[15].

ويبقى مصطلح الأمن من بين المصطلحات الشائعة، محتلاً صدارة وأهمية خاصة كونه الهدف أو المرتجى الذي يتم توظيف المصطلحات الأخرى لخدمته تفسيراً وبحثا أو تبريراً. فالحرب تشن من أجل الأمن أو هكذا يزعم من يشنها، وتصاغ الإستراتيجية توخياً لتحقيق الأمن.

وإن كان (الأمن) من الناحية اللغوية هو ضد الخوف، فما الذي عسى المرء أن يخافه أو يخشاه من العدوان والظلم والفقر والجهل والمرض؟، ولذا فهو مدفوع " بدافع فطري للدفاع عن كيانه و السعي الدؤوب لنيل حقوقه وتحسين أحواله وتأمين مستقبله ،أن يعيش المواطن بسعادة وامن وسلام" [16]. فالأمن هو أحد الحاجات الأساسية للإنسان بين التحديات المختلفة التي تهدد كيانه، فأمنه هو أساس أمن أسرته التي أمنها هو أساس أمن المجتمع والدولة وتحقيق أدنى درجات الأمن أساس تحقيق أعلى الدرجات ،بل هو مطلب الشعوب كافة بلا استثناء ، ولا نماء بلا ضمانات واقعية ضد ما يعكر الصفو في أجواء الحياة اليومية.

فالخلاصة هي أن كلّ ما يزرع الأمن والطمأنينة في الناس فهو داخل في مفهوم الأمن ، وكل ما يُدخل الخوف في الناس فهو داخل في نواقض الأمن ومنغصاته كالبطالة والانهيار الاقتصادي والحروب والكوارث الطبيعية وتفكك الأسر ونشر الثقافات السلبية.

الثقافة الأمنية في المجتمع: إن الثقافة بوصفها الحامل والمحمول الحضاري للأمَّة، فإنها بطبيعة الحال معرَّضة للانتهاك والاختراق حتَّى وإن كانت ثقافة أمَّة رائدة و محصَّنة ضدَّ الاختراق والانتهاك، ذلك أنَّ اختراق

أيِّ ثقافة لثقافة أخرى ليس يعني دائماً التَّأثير السَّلبي أو الضَّار أو المفسد لها فقد يكون إيجابيا وفاعلاً أيضاً، ولا توجد ثقافة بمعزل عن التَّأثُّر بغيرها من الثَّقافات إيجابيا أو سلبيا لأنَّ تحصين ثقافة الأمَّة أو انغلاقها يعني تقوقعها.

وليست العولمة هي التي تقود إلى تدمير الثَّقافة أو اندثارها، وليست هي التي ستقضي على الحدود وتكشف الأغطية عن الأمكنة، كلُّ ما في الأمر أنها تلعب دوراً ما في تسريع وتائر مثل هذه الخطى فالثقافة لم تكن في يوم من الأيّام عاملا لتكريس الاستئصال و التحريض على الكراهية ، لكن لا يمكن أن تنزل الثقافة إلى مستوى الغلّ والكراهية و التعامل بمنطق الاستئصال والإقصاء . فاختطاف الثقافة من قاعدتها الحضارية الحوارية الانفتاحية إلى الدائرة الضيقّة متجاوزين أهم مبدأ في الثقافة وهو ضرورة سماع الآخر و الانفتاح .

إنّ واحدة من أهم أسبابترديّ الأوضاع الأمنية في الجزائر في العشرية السوداء هو بروز فكر تكفير الأخر المخالف للرأي حيث أتقنوا ثقافة الببغاوية ورددوا كل المفردات الثقافية والفكرية التي ولدت في مناخ فكري وثقافي مغاير جغرافيا و فكريا و سياسيا و اجتماعيا[17]

مؤشرات الثقافة الأمنية في المجتمع الجزائري

أن الثقافة الأمنية وبخصائصها تفرض وجود نسبة غالبة من المتغيرات والمؤشرات وقد أدت تلك السمة الحركية المتغيرة إلى توسيع مفهومها ليصبح مطاطا يسع الأهداف والأطماع معا ويمكن من تبرير العدوان والاستفزاز بما يتوافق مع القدرات والقوى والحقائق والمبادئ التي تحكم الأمن للدولة .

وقد كشفت الدراسات عن ثلاثة مؤشرات رئيسية والتي سندرجها في الفروع الآتية :

1 ـ مؤشر التوازن الداخلي والخارجي: يوازن هذا المتغير بين تجميع القوى داخليا وتنسيق المطالب خارجيا محددا أدنى حد يُرضى عنه في أهداف السياسة الخارجية مع اتفاق الأغلبية حول أسلوب العمل وأدواته لتحقيق الأهداف الوطنية داخليا وخارجيا ،وهذا المتغير يتفاعل عادة مع البعد السياسي للأمن الوطني بشقيه الداخلي والخارجي بحيث يتحقق التوازن في السياسة الداخلية بتماسك القوى المكونة للمجتمع من طوائف وجماعات مذهبية سواء دينيا أو سياسيا وطبقات ، بينما " يتحقق لتوازن في السياسة الخارجية بتحديد المطالب في العلاقات الخارجية المتاحة التي يمكن الحصول عليها وينتج عن التوازن في

الشقين السياسيين تحديدا للحد الأدنى المقبول كأهـداف للسياسة الوطنية الخارجية التي يمكن لقوى المجتمع أو غالبيتها أن تعمل على تحقيقها" [18] .

إن مكونات البعد السياسي تشمل السياسة الداخلية التي توضح تعدد القوى الداخلية ومدى تمسكها وانسجامها وقوتها كما تشمل السياسة الخارجية التي تضع مطالب محددة من العلاقات الخارجية للدولة ويكون التوازن بين القوى الداخلية والمطالب السياسية الخارجية أساسا لتحديد الحد الأدنى والأعلى للسياسة الوطنية الخارجية وبهذا المفهوم يصبح متغير التوازن أحد أهم محددات الأهداف الوطنية كما يكون مقياسا لقدرة الأمة على تحقيق أهدافها وهو كذلك المحرك للسياسة الخارجية ويقيس تأثيرها على العلاقات القائمة مع الآخرين، وكذا مدى اتساع أو انكماش نفوذ الدولة نتيجة لتلك السياسة الخارجية على المستويين الإقليمي والعالمي .

ويظل التوازن على المجالين الداخلي والخارجي محصلة للتوازنات جميعها محدثا التغير الإيجابي لصالح الدولة وأهدافها وإلاّ فإن اختلال التوازن قد يؤدي إلى تعريض أمن الدولة لمخاطر جمة .

2_ مؤشر رفاهية المجتمع

يُعنى هذا المتغير بقياس قدرة المجتمع على رفع مستوى المعيشة وتغير الأنماط المعيشية للمواطنين إلى الأفضل نتيجة للتنمية الحقيقية للدخل الوطني ، إذ تعد المؤشر على تقدم المجتمع نحو الرفاهية.

ويقاس هذا المتغير بعدة معدلات أهمها الناتج الوطني الإجمالي – متوسط الدخل الفردي – متوسط نصيب الفرد من الناتج الوطني الإجمالي – نسبة توقع الحياة عند الميلاد {مستوى الرعاية الصحية} ومعدل التعليم ونسبة الحضر إلى الريف وإلى إجمالي السكان.

وترجع أهمية قياسات هذا المتغير والدلائل التي يشير إليها، إلى " ارتباطه بالمفهوم الأكثر أهمية وهو التنمية والتي تعبر بحق عن مدى ديناميكية الثقافة الأمنية كانعكاس لحيوية الأمة" [19] .

3_مؤشر القدرة الأمنية

متغير القدرة الأمنية بمعنى توفر أسباب القوة وعناصرها من معدات وقوات مدربة ومنظمة واستراتيجيا الاستخدام وعلى الرغم من الاختلاف الموجود بين الكتاب والمفكرين في مكونات القدرة الأمنية ومؤشراتها ومفرداتها إلا أن أهم هذه المؤشرات التي تستخدم بكثرة للدلالة على القدرة الأمنية هي حجم القوة الأمنية ، نسبتها للإجمالي من السكان وحجم ونوع الأسلحة التقليدية وفوق التقليدية والنووية والتصنيع الحربي بالدولة والتدريب والتكوين.

والقدرة الأمنية تختلف تبعا لما يستحدث من أنواع القوات التي تساير المخترعات الحديثة عسكريا، وتختلف أنواع القدرة الأمنية وفقا لما يحدث من تطور في المعدات والأدوات وقد لا يلغي ما يستحدث ما هو موجود وإن كان سيؤثر على حجمه وهو ما يؤثر على فاعلية القوة .

كذلك فإن أسباب القوة متغيرة بتغير الظروف المحيطة من حجم تهديدات أو قدرات اقتصادية منافسة أو ظهور تحالفات معادية أو صديقة .

وتوفير أسباب القوة وإضافتها للعناصر يتيح حساب القوة في بعض مكوناتها و بعضها الآخر يجري تقديره كميا وهو ما يمكن معه المقارنة مع قوى الآخرين أو مع الحدود المطلوبة لبلوغ المستوى الآمن والمقارنة تتيح تقدير الحدود المطلوب بلوغها وهي في الغالب حدود التعادل مع العدائيات أو التفوق على المستويات الأخرى وهو ما يعني التوازن عند التعادل أو التسابق للحفاظ على التفوق وكلاهما أصبح متغيرا بتغير القيمة الكمية للآخرين سواء كان القصد التفوق أو التعادل أو باستبدال الخصوم وفق التغيرات

مستويات الثقافة الأمنية في المجتمعات الوطنية

إن تعارض الأهداف والمصالح بين الدول توقعها في مصادمات تكون من نتائجها انتهاك الثقافة الأمنية للفريق الخاسر في كل أو بعض مكوناتها لذلك سعت الدول إلى العلاقات الدولية والإقليمية تزيد بها من صلابة أمنها وتغطي نقاط ضعفها في إطار المصلحة العامة وتلاقي الأهداف دون تعارض إذ استطاعت المصلحة العامة المطلقة أن تجمع بين دول أكثر عددا وأكثرا اختلافا في قاعدتها التي يطلب أن تتوافر على ثقافة أمنية متراصة ، سعيا لتحقيق الأمن لكل منهم بتحقيق أمن جماعي لهم خوفا من تكرار تجربة أليمة مضت[20] .

ومن هذا المفهوم ظهرت عدة تكتلات لها عدة أهداف على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وبدخول التعاون الأمنية تكتمل الصفة ليصبح التكتل ذا صبغة أمنية متكاملة كما تكررت ظاهرة مشاركة الدولة في العديد من التنظيمات سعيا وراء مزيد من الضمان لثقافتها الأمنية .

وقد صنفت التكتلات في مستويات تتدرج من الفردية {الذاتية} إلى الدولية {الجماعية} لإدراك مجالاتها وتحديد اتجاهاتها الأمنية ، وفي ما يلي سنعرض إلى مستويات الثقافة الأمنية في الفروع الآتية

1_ المستوى الداخلي

وهو أدنى درجات الأمن وأساسها أيضا إذ يُعنى بالحالة التي يوجد عليها الفرد {المواطن} من استقرار وطمأنينة وعدم تهديد لوجوده وبقائه لذا يعرف أيضا" بالأمن الفردي " وهو ذو مظهرين أحدهما مادي وهي مجالات الأمن الأساسية لدى الفرد من مورد رزق يوفر ضروريات الحياة له ولأسرته من مأكل ومشرب وملبس ومأوى دائم وآمن والاطمئنان على حياته وأسرته من اعتداء الآخرين ، أما الثاني معنوي

يحقق الحاجات للإنسان من الاعتراف بوجوده وفائدته للمجتمع وبالخصوص البيئة التي يعيش فيها وأهمية نشاطه ودوره في مجتمعه" [21].

هذا الشق {أمن المواطن الداخلي} هو من مسؤوليات الدولة وشأنها الداخلي مع مواطنيها ومحصلة تحقيق هذا الأمن لجميع الأفراد هو تحقيقا للأمن الداخلي للدولة.

لذلك نجد المنظمات العالمية تصوغ هذا الأمن في مواثيقها باسم حقوق المواطنة أو حقوق الإنسان وغيرها وهو ما يعكس قلق الدول الأعضاء في المنظمات من انتهاك أمن المواطن وانعكاسات ذلك على أمن الدولة وأمن المجتمع الذي يصيب ما جاورها من الدول فيهدد أمنها .

2_المستوى الوطني

والقصد منه ضمان تأمين الدولة من الداخل مع توافر القدرة على دفع التهديد الخارجي وصولا لتحقيق حياة آمنة مستقرة في إطار حدود الدولة والتزاماتها السياسية ،وهو مستوى مركب من عدة جزئيات فالأمن الداخلي لهذا المستوى يسمى الأمن المحلي وهو جزء من البعد السياسي للأمن، والأمن الذاتي جزء من الأمن المحلي وهو أمن خاص بالنظام الحكم الذي يشمل إجراءات المحافظة على الشرعية الدستورية للحكم أو إجراءات الحفاظ على الوضع القائم وبقاء النخبة الحاكمة في السلطة [22].

ويعتبر المستوى الوطني هو أساس الثقافة الأمنية في المجتمع إذ تسعى الدولة " لتحقيقه داخليا وخارجيا وتنتهج كل السبل الممكنة في سبيل ذلك بما فيها القوة المسلحة"[23].

3_ المستوى دون الإقليمي

يعنى هذا المستوى بتأمين متطلبات الأمن لعدد محدد من الدول في إطار مصلحة مشتركة سواء كان ذلك من خلال ترتيبات أمنية فقط أو تنظيم كامل أي المنظمة وتكون هذه الدول غالبا عضو في تنظيم أوسع يتيح لها الاشتراك في منظمة (دون إقليمية) والتركيز على مصلحة مشتركة تجمع هذه الدول في التنظيم دون الإقليمي لتحقيق المصلحة المشتركة بين أعضاء هذه المنظمة بسبب تخوفهم من تأثير الحرب على البعد الاقتصادي للأمن ، وكما يجمع بين دوله أيضا الأصول العرقية واللغة والدين والتاريخ المشترك وجميع دوله في تنظيم أوسع .

" ويرى بعض الدارسين أن المنظمات دون الإقليمية المتفرعة من تنظيم إقليمي أوسع {كما في المنظمات الثلاث السابقة } تتيح خصوصية زائدة لأعضاء التنظيم دون الإقليمي بما يفترض معه رؤى أمنية خاصة يحققها هذا والذي يفضل معه عدم إشراك التجمع الأكبر من دون أن يتعارض ذلك مع أمن التجمع الأكبر ،من منظور أن تحقيق الأمن للمستوى الأقل يعاون على تحقيق الأمن للمستوى الأكبر" [24].

4_المستوى الإقليمي

ويعبر عن سياسة تنتهجها مجموعة من الدول تنتمي إلى إقليم واحد وتسعى للتنسيق الكامل لكافة قدراتها وقواتها لتحقيق استقرار لأمنها في محيط الإقليم بما يردع التدخلات الأجنبية من خارج الإقليم وقد ظهر مصطلح الأمن الإقليمي في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ،ثم انتشر استخدامه عقب الحرب العالمية الثانية بظهور تنظيم إقليمي اهتمت معظم دول العالم به، وإن كان " عدد من الباحثين والكتاب أجازوا التنظيم دون الإقليمي في إطار التنظيم الإقليمي الأكبر ، على أساس أن تحقيق أمن أصغر يعاون أمن أكبر فإن عددا آخر يعد التنظيمات دون الإقليمية مغرقة في الخصوصية تفضل أمنها القطري على الأمن الإقليمي وهو ما يحرم التنظيم الإقليمي من قواتها وقدراتها ويضعفه أحيانا" [25] .

5_المستوى الدولي

قرب انتهاء الحرب العالمية الثانية بحثت الدول الكبرى المنتصرة (الو.م.أ–والاتحاد السوفيتي والمملكة المتحدة) وضع صيغة أمنية عالمية وإقامة تنظيم دولي جديد يستند إلى مبادئ وأسس دولية بعدما تبين عدم فاعلية هيئة عصبة الأمم التي أنشأت عقب الحرب العالمية الأولى ولم تستطع منع نشوب حرب عالمية أخرى لعدم ملائمة أجهزتها وميثاقها لمتغيرات المجتمع الدولي .

وصدر في 7 أكتوبر 1944 مقترحات للأسس والمبادئ التي سينشأ عنها التنظيم الدولي الرسمي الجديد تحت اسم "هيئة الأمم المتحدة" وتكونت لائحة المقترحات من ستة مبادئ وكان المبدأ الخامس فيها ينص على {مساعدة التنظيم الدولي إذا اضطر إلى استعمال القوة}[26] .

نتج عن هذا المفهوم للأمن الدولي تدخل مسلح لقوات دولية أو إقليمية سواء استخدمت القوة أو لوحت بها وسواء كان ذلك بتفويض دولي أو إقليمي ، لفض النازعات الإقليمية ومنع تصاعدها إلى مواجهة دولية أو لرد العدوان عن الطرف الأضعف أو لفرض عقوبات دولية لردع التهديد وعدم تصعيد الخلافات .

إن المفهوم الدولي للأمن يوضح ضرورة أن تضع الدولة في حسباها اعتبارات الأمن الدولي أثناء اتخاذهم قرارات لحل مشاكلهم مع الآخرين مهما اختلفت توجهات الدولة أو عظمت قواها السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية.

قد أصبح ميسورا استخدام قوة دولية لغرض الأمن من مناطق النزاع الإقليمية وكثر استخدام تلك القوات في أنحاء العالم ، تأكيدا للشرعية الدولية وتثبيت دورها في حفظ الأمن والسلام الدوليين .

ويسمي بعض المحللون هذا المستوى بالأمن الجماعي وينسبونه إلى المنظمة الدولية للأمم المتحدة كما نص ميثاقها ويعتبرون تحقيقه مسؤولية جماعية وليست مسؤولية قومية بعينها أو إقليمية بذاته وهو يهدف إلى" منع تغيير الواقع أو الإخلال بعلاقاته وأوضاعه على نحو غير مشروع وذلك عن طريق تنفيذ تدابير دولية جماعية كقوة ضاغطة ومضادة لمحاولات التغيير" .[27]

والحرص على تحقيق الأمن الجماعي لا يلغي الاختلافات السياسية أو العقائدية بين الدول الساعية إلى تحقيق مصالحها وإنما يستنكر العنف المسلح كوسيلة لحل النزاع ويفرض اللجوء إلى الوسائل السلمية عوضا عن الحرب ،وترى فكرة الأمن الجماعي أن إحباط العدوان وردعه في المجتمع الدولي لا يمكن تحقيقه " من خلال المنطق والأخلاق الدولية " وإنما بمواجهته بقوة متفوقة عليه ، لردعه وتطبيق تدابير العقاب على الدولة المعتدية مهما كانت مكانتها الدولية [28].

الخاتمة

تعتبر الثقافة الأمنية الركن الركين في الحضارة الإنسانية والتراث البشري ، وعلى الدوام كان تقدم الأمم والشعوب يقاس بمدى اهتمامها بالثقافة الأمنية التي شكّلت ماضيّا وستشكل حاضرا ومستقبلا فهي أهم عامل من عوامل النهوض و الوثبة الحضارية .

ولم تتراكم الإخفاقات والانتكاسات في الواقع إلا بعدما بات ملف الثقافة الأمنية مطويا وبعدما تمّ تجريد الثقافة من صلاحيتها في ترشيد مجالات الحياة المختلفة .ولا يمكن بأي حال من الأحوال الحديث عن أي دور للأمم والأفراد بمنأى عن الثقافة الأمنية التي بها ودون غيرها نلج الخارطة العالمية دون إلغاء خصائصنا ومميزاتنا .

والأمن من المصطلحات الشائعة والتي يسعى الكل لتحقيقه إذ يضع الفرد نصب عينيه فكرة مثالية عن أمنه الذاتي متخيلا ما يصبو إليه من مأكل ومشرب وملبس وأسرة ومسكن ودخل ينفق منه ليقتني به كل مستلزماته الضروري منها والكمالي .

وانتقلت فكرة الأمن المثالي إلى المجتمعات والدول التي كونها الإنسان على مر العصور ولم تكن الفكرة متطابقة في كل المجتمعات فهي وإن تشابهت في مضمونها إلاّ أنها اختلفت في طرق تحقيقها .

ولاحظ المفكرون تلازم الحقائق الجغرافية مع الأحداث التاريخية وأن من أحسنَ واستغلال ما أوحت به العناصر المتاحة، أمكنه تحقيق أمنه.وقد تحقق ذلك المعتقد عسكريا في الحروب المتعاقبة واستفاد الاقتصاديون من تلك الحقيقة وأوعزوا بها إلى السياسيين الذين سعوا إلى تملك أكبر قدر من العناصر داخل الإقليم أو خارجه أحيانا عندما افتقر الإقليم الوطني للعناصر الحيوية وأصبحت العالمية هي الميدان المفضل لتحقيق الأمن ولكن ظلت القاعدة الأساسية كما هي : بتحقيق الدرجات الأدنى من الأمن {الأمن

الفردي } يمكن تحقيق الدرجات الأعلى {الأمن الجماعي }، وأساس استعمال القوة يبقى في خدمة العدل وهو أساس الأمن ونشر الثقافة الأمنية توفر الاستقرار للمجتمعات كافة.

الهوامش:

1- إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط : معجم اللغة العربية ج1. القاهرة: المطابع المصرية ، 1969.ص 29

2 -- إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط : مرجع سبق ذكره ، 1969.ص 31

3 - ممدوح شوقي ، الأمن القومي و الأمن الجماعي . القاهرة : د.د.ن 1985 ص24

4 - إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط : مرجع سبق ذكره ، 1969.ص 33

5 عصام نور الدين ، معجم نور الدين الوسيط : معجم اللغة العربية :منشورات محمد علي ،دار الكتب العهلمية،الطبعة الأولى،2005 ص330

6 - إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط : مرجع سبق ذكره 69.ص 45

7- إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط : مرجع سبق ذكره 69.ص 49

8 -عصام نور الدين ، معجم نور الدين الوسيط : معجم اللغة العربية : مرجع سبق ذكره ،2005 ص337

9 عصام نور الدين ، معجم نور الدين الوسيط : مرجع سبق ذكره ،2005 ص341

10-إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط : مرجع سبق ذكره 69.ص 50

11 DO CEU PINTO , Maria « European and American Responses to the Algerian crisis " Mediterranean politics, volume , N°, Witer 1998.

12 - إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط : مرجع سبق ذكره 69.ص 47

13 عصام نور الدين ، معجم نور الدين الوسيط : مرجع سبق ذكره ،2005 ص215

14 عصام نور الدين ، معجم نور الدين الوسيط : مرجع سبق ذكره ،2005 ص216

15 عصام نور الدين ، معجم نور الدين الوسيط : مرجع سبق ذكره ،2005 ص217

16 محمودي ، عبد القادر ، النزعات العربية – العربية و تطور النظام الإقليمي العربي (مع التركيز على النزعات حول القضية الفلسطينية) 1945-1985.ص95

17 - مجموعة باحثين، الأزمة الجزائرية: الخلفيات السياسيات و الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1996.ص97

18 مجموعة باحثين، الأمن العربي: التحديات الراهنة و التطلعات المستقبلية .باريس : مركز الدراسات العربي – الأروبي، 1996. ص108

19 حسين ، عدلي ، الأمن القومي و إستراتيجية تحقيقه .القاهرة : مطابع الهيئة المصرية العامة 1977.ص119

20 ماكنمارا، روبرت ، جوهر الأمن ، مرجع سبق ذكره ص 53

21- ماكنمارا، روبرت ، جوهر الأمن مرجع سبق ذكره ، 1971.ص135

22 - حسين ، عدلي ، الأمن القومي و إستراتيجية تحقيقه .مرجع سبق ذكره.ص 77

23 هويدي ، أمين في السياسة و الأمن: بيروت : معهد الإنماء العربي ، 1982.ص100

24 - يوسف جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية للدولة الرسمية ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب 1984.ص52

25 – يوسف جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية للدولة الرسمية مرجع سبق ذكره، 1984.ص122

26 – كولار ، دانيال ، العلاقات الدولية : ترجمة خضر خضر ، بيروت : دار الطبعة ، 1980.ص57

27 – بوزيادة ، معمر ، المنظمات الإقليمية و نظام الأمن الجامعي ،الجزائر،ديوان المطبوعات ص 28.

28 مجموعة باحثين، العرب و أوروبا . ندوة دولية. بمقر جامعة الدول العربي ، نظمها مركز دراسات الوحدة العربية 1992. ص154

نبتة الشّيبة بين المرجعية الفكرية الشّعبية و الطّب الحديث

د . نصر الدين سعيدي، جامعة تيارت

قبل أن نتطرق للموضوع لابد أن نشير إلى خواص هذه النبتة العجيبة والتي كثرت حولها الحكايات والمفاهيم و التأويلات فارتسم في الذّهنية الفكرية الشّعبية للكثير من الشعوب صورا قد تكون خاطئة أو صحيحة، المهم هو أن الشهيبة عرفت مند عصور و هي تعرف بأسماء مختلف حسب المناطق الجغرافية و الثقافة السائدة، لقد اقترن ذكر اسمها بالشّاي بشمال إفريقيا، فهل تعد من الأعشاب الطبية؟ أم غير ذلك؟ وما رأي الطّب المعاصر في ذلك؟ وإن كانت لها فائدة طبية فأين تكمن؟ وما علاقتها بالثقافة الشعبية؟ للإجابة عن كل هذه الأسئلة في ظل المرجعية الفكرية السائدة حسب الاستطلاع الأولي بمنطقة دراستنا تلمسان، و التي لها فكرة أن الشهيبة تعد من الأعشاب السامة ويجب الحذر في استعمالها؟

الاسم باللاتينية	Artemisia absinthium
الاسم بالفرنسية	Absinthe
الاسم بالإنجليزية	Wormwood
الاسم بالعربية	الأبسنت ، افسنتين ، الشّويلاء ، الشيح الرومي ، شيبة العجوز، شيح ابن سينا ، شجرة مريم ، شيح خرساني [1].
الاسم باللّهجة المحلية	الدّسيسة ، الشّهيبة ، **الشّيبة** ، ذقن الشيخ . [2]
الاسم بالأمازيغية	أزري ، الشيح و بالفرعونية تسمى شنايت.
الاسم بالعبرية	לענת האבסינת
الإسم الفارسية	افسنتين

إن مصطلح الشّيبة يدل على تعبير اشتقاقي من فعل شاب مصدرها شيب وشيبة ، وربما يكون اسم الشيبة أطلق على هذا النبات لأنه يشبه الشيب ، فهذا النبات طالما كثرت حوله الشائعات فطرحت

الإشكالية بأنه مضر و سام فأين تكمن الحقيقة ؟. فمن هذا المنطلق ، تتبادر إلى الأذهان فرضيات وهي ، لماذا يشرب الشاي بالشيبة (الشهيبة) ؟ إن كان حقا فيه ضرر أو تسمم ؟ فما هو السّر في ذلك ؟. هل حقا لازلنا نحتفظ بالمكنون الثقافي الشّعبي الخاص حول النّبتة في عصرنا هذا ، طالما أننا نعلم أن أسلافنا تغنوا بمشروب الشّاي بالشّيبة ؟ .

إن الشّيبة أو الشّهيبة كما تدعا بمنطقة الغرب الشمالي الجزائري ، هي الأبسنت Absinthe ومعناها " **بدون رائحة** "و تعتبر من بين النّباتات الأكثر مرارة ، لذا تصنف من بين النّباتات الطّبية الفّعالة خاصة في تنشيط و تقوية الجهاز الهضمي.سميت بأرتميزي Artemisia نسبة إلى آلهة الرومان ، **أرتميس** ، ابنة زيوس وآلهة القمر.

وبالجزائر أعتاد السّكان غرسها في الحدائق و البساتين، و قرب المساجد في البادية ، لكي يسهل استعماله مع الشّاي . إذ أعتاد قارئي القران (الطّلبة عند قراءة الحزب) بعد صلات العصر شربها رفقة الشاي (منطقة واد الشولي و بني سنوس بتلمسان). و من الملاحظ، انوه لا يكاد يخلوا منزلا بالرّيف منها، نجد الأهالي يغرسونها و يعطونها كل العناية ، بل البعض يتباه بغرسها في بيته لكونها رمز لقاء الأحباب والضيافة والسّمر والحديث في المجمع الطيب بين الأصدقاء و رحابة الصدر. إنها تعطر القعدة ، إذ في السّهرات و الأمسيات يحضر الشّاي بالنّعناع و الشّيبة في جو ودي بطقوس خاصة .

إن الشهيبة أصلها أوربا ، وانتشرت في جل بقاع العالم خاصة شمال إفريقيا و سواحل أمريكة ووسط أسيا . فالجزء المستعمل منها هو الأوراق و البراعم المزهرة.

أما محتوياتها ، التي أثبتتها تحاليل المخابر العصرية و منها مخبر العلوم البيولوجية قسم الحيات و الطبيعة بجامعة أبي بكر بلقا يد تلمسان ، تحت إشراف أساتذة لامعين كابن باجي نوري و بن مرزوق و ابن عبد الله حمزة ، أنها تحتوي مادة مرّة و زيت طيار تصل نسبته إلى حوالي 0,3٪ وزيت ثابت أهم مكوناته مادة تييون **Thuyon**e وهو مركب سام بالنسبة للخلايا العصبية ، إذا ما أخد بكمية كبيرة . والفيلندران **Phellandrène** و التاربن **Terpène** و حامض الماليك **Acides Malique** و سانيك **Sanique** السيليكا و الأبسانتين **Absinthine** والأنبسانتين **Anabsinthine** . وهذه المكونات لها خصائص طبية ممتازة كما يحتوي على بوليفينول **polyphénol** و الأرتابسين **Artesine** والديغوكسين **digoxine**. ونعلم أن الأبسانتين هو Alcaloïd ألكالويد سام عند تناوله بكمية كبيرة [3] .

يعرف عنها في الطّب الحديث و الصّيدلة أنّها [4] منشطة قوية للجهاز الهضمي و الحويصلة الصفراء (**vésicule biliaire**) و محفزة لها على إدرار المادة الصفراوية ، فهي مسكن لآلام المرارة بامتياز، و بكوننا مختصون في العلوم الطّبية ، لحضنا في ممارستنا الطّبية اليومية بقسم الإستعجلات ، أن الكثير من المرضى سكّنت ألامهم بتناولها نقعا ، و هذا بسرعة و فعال عالية بالنسبة للحقن أو الأقراص المألوفة في الطّب الحديث (مثل spasfon أ و visceralgine) .

كما أنّها مضادة للالتهابات (anti inflammatoire) بأنواعها.وقاتلة للطفيليات (anti parasitaire) والديدان في الأمعاء.ومسكنة لألام البطن(Gastrite) بدرجة عالية وكل الاضطرابات المعدية (colique) الناتجة عن سوء الهضم أو بعض الأعراض الأخرى التي قد تصيب المعدة . كما لا ننسى أنّها مضادة للاكتئاب (angoisse) نسبيا .

وتقي الجسم من الإصابة بالبرد والزكام و تسخنه . كذلك مطهر من الدّاخل و الخارج و تقي من لسع الحشرات. مسكن كمشروب قبل الولادة ومسهلة الوضع.

زيتها منشطة للقلب ومحسنة الدّورة الدّموية، لكن جد سامة، ويجب عدم استعمالها بدون مختص.والعجيب إن نبتة الشيبة مطهرة و بكون فصل الشتاء بارد و هي معروفة كمسخنة للجسم، فإنّها تكثر في هذا الفصل ، بينما يختفي النّعناع في هذه الفترة لأنه منعش و مبرد ، إذ بالعكس ينمو و يخضر في فصل الصيف ويعطي رائحة زكية .

إنّها مفتحة للشهية و مساعدة للهضم بدون الإفراط، مضادة لإمساك العصبي، مضادة لإسهال المصحوب بالمغص، مطهر للجسم من السموم خاصة (السموم الرصاصية) مقوي للذاكرة ، ومقلل للنسيان والشعور بالخجل، ورافع للمعنويات.

منقوع شراب الشيبة يساعد في تنظيف الرحم من بقايا المشيمة بعد الولادة، ويسهل الولادة أيضا، ويقوي الطلق(contraction)، ويساعد على خروج الجنين الميت من الرحم!!. كما إنّها مفيد جدا للقضاء على قشرة الرأس *تستعمل من الداخل:* كمشروب بنقعه أو مع الشاي أو الحليب أو القهوة.

ومن الخارج: يستعمل كمطهرة للجروح و هذا بغلي خمسون غرام من النبتة في لتر ماء. أما الأوراق الجافة فهي مضادة للسّوس، بينما عصيرها فهو طارد للبعوض.

بالنسبة للجرعة فيأخذ ملعقة من مسحوق الشيبة لكل كوب من الماء الساخن بدرجة الغليان ويترك خمس دقائق ثم يصفى ويشرب.

الطّب الحديث و الشيبة [5]

إن المواد المرّة التي تحتويها النبتة ، بمجرّد ما تلتقطها المسام الدوقية في اللّسان ، و بطريقة آلية تحفز المعدة والبنكرياس و الأمعاء على الإفراز .

أما الدراسات الباكستانية في 1995 م ، توصلت إلى أن الشيبة لها خاصية نافعة و حافظة للكبد بفضل التحكم في إفراز الكبد[5] (تنظيم السكري بالتأثير على مادة glucagon).

الشيبة عالميا : في شمال إفريقيا تشرب مع الشاي أو الحليب أو القهوة ،أما في أوربا و أمريكا تعرف من خلال بعض المشروبات الكحولية التي كانت تصنع منها ، خاصة في القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين إلى أن منعت في كل دول العالم نضرا لشدة مفعول خمرها الذي ضمّرت أوربا في هذه الفترة لكنها مؤخرا منذ 1999م حظيت بالترخيص من جدد .

لكن يبقى هذا النبات غير معروف على مستوى الاستعمال اليومي ، ولذلك يستهلاك مع الشاي بطريقة ذكية ، لضبط الكمية كي لا تسبب خطورة [6].

واليوم لا يعرف استهلاك الشّهيبة على شكل مشروب عادي ، بل يستهلك لأغراض طبية ضد طفيليات الأمعاء و ما ذكر سابقا.

الشيبة في الثقافة الشعبية :

تستهلك الشيبة في فصل الشّتاء و أوائل فصل الربيع إذ أنّها مسخنة بينما النّعناع والذي هو منعش ومبرد للجسم ، يتواجد في أواخر فصل الربيع و فصل الصيف. يشاع حول هذا النبات أنّها سامة [07]، لكن الحقيقة هناك خلط كبير حول مكونات وطرق استهلاك هذه النبتة الطّبية العجيبة والتي ارتبط استهلاكها بشرب الشاي في المجتمع الجزائري و المغربي عموما .

استخدمت قديماً في تفتيت حصى الكلى و المرارة والتخلص من أورام الرحم [08].

كما كانت في الماضي من المنكهات الرئيسية لشراب الفرموت **vermouth** الذي اشتق منه اسم الأفستين الألماني .] 09[[10]

استعمل قديما كمضاد للسوس(العث) anti-mites - قاتل للحشرات pesticides - و طارد للحلزون (lymacon)و ما شبه .

ومن غرائب ما يقال عن نبات الشّيبة في الثقافة الشعبية أن الإكثار من شرب منقوعه يؤدي إلى الجنون!!.

المصادر والمراجع:

1- أمين رويحة التداوي بالأعشاب دار القلم بيروت لبنان ط 7 – 1983 ص 50

3- د.حلمي عبد القادر النباتات الطبية في الجزائر ط1 برتي الجزائر 2004

6- موقع الدكتور محمد فائد

7 – د.جابر بن سالم القحطاني الدمسيسة www.Alriyadh .Com

8 – تذكرة داود الأنطاكي المسمى تذكرة أولي الألباب و الجامع للعجب العجاب للشيخ داود ابن عمر الأنطاكي المتوفى 1008هجرية ، حققه أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة 2 - 2006م ص203

2 - Lucienne Dellille Les plantes medecinales d'Algerie Berti

édition Alger 2007 P21-22 -23

4- Larousse encyclopédie des plantes médicinales 2001 P66

5 -Dr L . Trabut « Nom indigènes des plantes d'Afrique du nord » ibis press paris2006 p

9 - ARNOLD W.N. : L'Absinthe - *Pour la science* 1989 n°142 : 42-47

10 -LECLERC L. : Traité des simples par Ibn el Beïthar, 3 vol., Paris, 1877-1883

11- DAUMAS F. : Remarques sur l'absinthe et le gattilier dans l'Egypte antique pp.66-89. In Festschrift Elmar Edel- Bamberg 1979

النقع: هو وضع النّبتة المراد استعمالها في فنجان من الفخّار، و صب عليها ماء ساخن إلى درجة الغليان و انتظار مدة زمنية بين 15 – إلى 20 دقيقة، طبعا مع تغطية الفنجان، ليشرب.

واقع تكوين الموارد البشرية في المؤسسة الجزائرية
مؤسسة نفطال تيارت نوذجا

أ/ بلعربي عادل عبد الرحمان، جامعة تيارت

ملخص:

نحاول من خلال هذه المداخلة تسليط الضوء على واقع التكوين داخل المؤسسة الجزائرية والوقوف عل مختلف المراحل التي تمر بها هذه العملية الجوهرية في إدارة الموارد البشرية، وفي هذا الإطار قصدنا مؤسسة نفطال بمدينة تيارت فرع غاز البترول المميع مرتكزين على الإشكالية التالية:

هل تتبع مؤسسة نفطال خطوات مضبوطة في تسيير عملية تكوين الموارد البشرية؟ ولذلك عمدنا إلى إجراء مجموعة من المقابلات الموجهة وكان عددها 7 مع مختلف الأفراد الذين لهم علاقة مباشرة بعملية التكوين. وفي الأخير توصلنا إلى تحقق فرضية الدراسة وهي: تتبع مؤسسة نفطال خطوات مضبوطة في تسيير عملية تكوين الموارد البشرية.

المقدمة:

إن التطور الحادث في المجتمعات أوجب عليها أن تكون دائمة التغيير في مختلف الجوانب ذلك التغيير الذي يتطلب تكيف مستمر مع معطيات العصر التقنية. إن مفهوم التكوين ينطوي تحت مفهوم التعليم حيث يتم إكساب الفرد قدرات عقلية وعضلية تتمثل في المعرفة والمهارات مع تنمية السلوك والاتجاهات نحو حب العمل والإخلاص فيه، والتكوين يجب أن يرقي الفرد إلى أن يكسب سلوك ومهارات عملية ومعارف علمية تمكنه من القيام بمسؤولياته حيث يصبح قادرا على المساهمة في التنمية الاقتصادية والإنتاج

تعد وظيفة التكوين في المنظمات الاقتصادية الحديثة من أهم مقومات التنمية التي تعتمدها هذه المنظمات في بناء جهاز قادر في الحاضر والمستقبل على مواجهة الضغوطات والتحديات الإنسانية، التقنية والإنتاجية والإدارية التي ترتبط مباشرة بالفرد كونه إنسان من جهة والمحرك الأساسي لكافة عناصر الإنتاج من جهة أخرى.

لقد أصبحت المؤسسات الجزائرية معرضة أكثر من أي وقت أخر للمنافسة داخليا وخارجيا كنتيجة حتمية للاقتصاد العلمي المفتوح، الاقتصاد الذي لا يعترف إلا بالإبداع والابتكار، وبهذا يأخذ التكوين مكانته الأساسية والجوهرية لما يمكن أن يحدثه من أثار إيجابية على مستوى الفرد والمؤسسة، وهو كفيل بتفجير الطاقات الكامنة في تسيير الموارد البشرية.

وستدور المداخلة حول مجموعة من المفاهيم التي لها علاقة بموضوع التكوين والعملية التكوينية داخل المؤسسة كعامل من عوامل الارتقاء بالعنصر البشري خاصة في ظل عصر المعرفة والمعلومات. بهدف كشف الواقع الموجود داخل المؤسسة الجزائية ومدى اعتمادها واهتمامها بالعنصر البشري أساس أي مشروع اقتصادي.

1–مشكلة وفرضية الدراسة: يعتبر التكوين من المواضيع الحساسة في إدارة الموارد البشرية إذ انه يهدف إلى تكييف المستخدمين وتهيئتهم للعمل وفق وضعيات مختلفة مع تفادي مختلف المشاكل والأخطار التي يمكن أن تنجم، وتعطي المؤسسات في الوقت الحالي بالغ الاهتمام لهذه العملية خاصة وهي تعيش وتنشط في وسط موسوم بالتسارع التكنولوجي و المعلوماتي وتغير تقنيات الإنتاج وتطورها.

والمؤسسة الجزائرية ليست في معزل عن العالم وعن التنافسية في ظل اقتصاد مفتوح، فلابد لها من مسايرة مختلف التطورات، وذلك يستدعي امتلاك يد عاملة كفئة قادرة على التكيف مع التقنيات الجديدة. ومن هنا تبرز أهمية التكوين كأداة في يد القائمين على تسيير الموارد البشرية لكي يرتقوا بعمالهم إلى مستوى التنافسية.

تأتي دراستنا محاولين الكشف من خلالها على واقع التكوين في المؤسسة عينة الدراسة منطلقين من الإشكالية التالية: هل تتبع مؤسسة نفطال خطوات مضبوطة في تسيير عملية تكوين الموارد البشرية؟ وكانت الفرضية على الشكل التالي: تتبع مؤسسة نفطال خطوات مضبوطة في تسيير عملية تكوين الموارد البشرية.

2. تعريف التكوين:

التكوين لغويا: اسم مشتق من الفعل كون الذي يعني عادة "أنشأ، صنع" والمكون للشيء لا ينتهي إلا بعد إحداث تغييرات ومعالجته لمادته الأولية وأيضا التكوين هو التربية والتثقيف، التهذيب، التدريب، التأهيل، التشكيل.[1]

اصطلاحا: كلمة التكوين في اللغة الفرنسية Formation، وهي مرادف لـ: Training باللغة الانجليزية.

يرى بوفلجة غياث التكوين على أنه تنمية منظمة وتحسين الاتجاهات والمعارف والمهارات ونماذج السلوك المتطلبة في مواقف العمل المختلفة من أجل تأدية الفرد لمهمته على أكمل وجه وفي أقل وقت ممكن، وغالبا ما يكون ذاك في إطار التربية المستمرة.[2]

ومن هنا نكتشف أهمية العنصر البشري في النمو والتطور، وأحسن استثمار هو الذي يوجه نحو هذا المورد ولا يضاهيه في ذلك الاستثمار المالي وهذا ما دفع بالكثير من الدول إلى تكوين وإعادة تكوين أفرادها من مختلف المهن. واهتم الباحثون بالتكوين وأوضحوا مفهومه في ميادين متعددة منها التكوين البيولوجي، التكوين بمعنى التدريب المهني وأيضا بالمعنى التربوي، ويعرف على أنه عملية تهدف إلى تغيير سلوكيات واتجاهات الفرد من النمط الذي اتخذه لنفسه إلى نمط آخر تعتقد فيه الإدارة أنه أكثر ارتبطا مع أهداف الوحدة التي يعمل بها .[3]

3 . أهمية وفوائد التكوين:

تعتبر وظيفة التكوين كعنصر مكمل لعملية الاختيار والتعين أو التوظيف، فلا تكتفي إدارة الموارد البشرية باستقطاب واختيار وتعين العاملين، بل يجب أن يعقب هذه العملية إعداد برامج تكوينية تساعد على تطوير وتنمية المهارات لدى العاملين وتحسين قدراتهم على أداء المهمات الموكلة إليهم.[4] ويمتد نشاط التكوين ليشمل توجيه العمال الجدد وتكوينهم في مختلف المستويات الوظيفية وإعادة تدريبهم عندما تتغير متطلبات وظائفهم.[5]

ومن ذلك تظهر أهمية التكوين في تزويدها للأفراد بمعلومات ومهارات تؤدي إلى زيادة معدلات أداء الفرد في عمله وقد تشمل هذه التنمية كما يرى صلاح الدين عبد الباقي وعبد الغفار حنفي الجوانب التالية[6]:

1. تنمية المعرفة والمعلومات لدى المتكون ومن بينها:

- معرفة تنظيم المؤسسة وسياستها وأهدافها.
- معلومات عن منتجاتها وأسواقها.
- معلومات عن إجراءات ونظم العمل بالمؤسسة.
- معرفة عن خطط المؤسسة وسبل تنفيذها.
- المعرفة الفنية بأساليب وأدوات الإنتاج.
- المعرفة بالوظائف الإدارية الأساسية وأساليب القيادة والإشراف.

. معلومات عن المناخ النفسي والإنتاجي للعمل.

2 . تنمية المهارات والقدرات للمتكون ومن بينها:

. المهارات اللازمة لأداء العمليات الفنية المختلفة.

. المهارات القيادية.

. القدرة على تحليل المشاكل واتخاذ القرارات.

. المهارات في التعبير والنقاش وإدارة الندوات والاجتماعات.

. القدرة على تنظيم العمل والاستفادة من الوقت.

. المهارات الإدارية في التخطيط، التنظيم، التنسيق، الرقابة.

3 . تنمية الاتجاهات للمتكون ومن بينها:

. الاتجاه لتفضيل العمل في المنشأة.

. الاتجاه لتأييد سياسات وأهداف المنشأة.

. تنمية الرغبة في الدافع إلى العمل.

. تنمية الاتجاه إلى التعاون مع الرؤساء والزملاء.

. تنمية الروح الجماعية والشعور بالمسؤولية.

. تنمية الشعور بأهمية التفوق والتمييز في العمل.

. تنمية الشعور بتبادل المنافع بين العامل ومؤسسته.

– وتكمن فائدة التكوين كذلك في عدم اقتصاره على إلقاء المعلومات وفقط بل الممارسة الفعلية لتلك الأساليب الجديدة، أي التكوين هو محاولة لتغيير سلوك الأفراد مما يجعلهم يتقنون أساليب وطرق جديدة بعد التكوين، وذلك كله يعود بالنفع على المؤسسة بزيادة الأرباح واقتصاد التكاليف.[7]

4. أسس التكوين الفعال:

لتتحقق فعالية التكوين ويحقق ما وضع لأجله هنالك مجموعة من المبادئ أو الأسس ينبغي أخذها بعين الاعتبار ومن أهمها ما يلي:

1) . التكوين نشاط ضروري ومستمر وليس كماليا ولفترة معينة:

ويراد هنا أن التكوين ليس أمرا كماليا يمكن غض البصر عنه من طرف الإدارة بل هو أمر حتمي، فبعد عملية التوظيف تأتي عملية التهيئة وتعريف الفرد بالعمل الموكل إليه وما تتطلبه منه

المؤسسة، وكذلك إعداد برامج تكوينية للعمال القدامى بهدف إكسابهم مهارات جديدة، وبشكل عام تعد برامج التكوين في حالة ظهور تعديلات على أنظمة العمل وإجراءاته تتطلب مواكبتها، وبذلك فالتكوين نشاط أساسي ورئيسي ومستمر وملازم للتطور الوظيفي للفرد.

2) . التكوين نظام متكامل:

العمل التكويني متكامل وهنالك ترابط فيه، فهو ليس نشاط عشوائي كما أنه لا ينبع من فراغ ولا يصب في فراغ ويمكن إيضاح التكامل في نظام التكوين كالأتي:

أ . التكامل والتجانس والتفاعل الايجابي بين المكونات الأساسية التي يقوم عليها التكوين:

ونعني بذلك الأفراد المراد تكوينهم والمادة المطلوب إكسابها والمكونين القائمين على البرنامج التكويني والمشكلات التي تعاني منها المؤسسة.

ب . التكامل في الأنشطة التكوينية وهي:

. توصيف وتحليل الأوضاع والأنماط التنظيمية الإدارية.

. توصيف وتحليل العمليات والإجراءات.

. توصيف وتحليل سلوك الأفراد وتقييم أدائهم.

. تحديد الاحتياجات التكوينية.

. تحديد البرامج التكوينية.

. تجهيز المعدات والمساعدات التكوينية.

-إعداد المكونين.

. تنفيذ البرامج التكوينية.

. متابعة وتنظيم النشاط التكويني.

ج . التكامل في نتائج التكوين:

ينبغي أن يكون هناك توازن بين النتائج الاقتصادية المتمثلة في انخفاض النفقات والوقت والنتائج السلوكية المتمثلة في السلوك الجيد للمتكونين وإقبالهم على العمل وكذا النتائج البشرية المتمثلة في الأفراد الذين يؤهلون وتحتاج إليهم الإدارة.

3) . التكوين نشاط متغير ومحدد:

ويقصد بذلك أن التكوين يخضع لمتغيرات عديدة داخل وخارج المؤسسة، ومن ثم يجب أن يتصف بالتغيير والتجدد، وهذه المتغيرات تتدخل في تحديد وتطوير النشاط التكويني.

4) . التكوين نشاط إداري وفني:

فباعتباره عملا إداريا ينبغي أن تتوفر فيه مقومات العمل الإداري الكفء من وضوح للأهداف والبرامج وتوفير الإمكانيات المادية والبشرية وكذا الرقابة المستمرة ويعتبر فنيا لأنه يعتمد على خبرات متخصصة.

5). التكوين له مقومات تنظيمية نذكر منها:

. وجود خطة للعمل تحدد الأهداف والأنشطة.

. توفر الإمكانيات والمعدات اللازمة للأداء السليم للعمل.

. توفر القيادة والإشراف من قبل الرؤساء ليحصل الموظف على المعلومات الأساسية والتوجيه المستمر.

. توفر الإطار التنظيمي الصحيح لكي يستند عليه التكوين.

. توفر نظام سليم للاختيار والتعيين حيث أن التكوين لا يوضع لإصلاح تلك الأخطاء الناجمة عن التوظيف.

. توفر نظام سليم لقياس أداء الأفراد وتقييم كفاءتهم للتمكن من تحديد الاحتياجات التكوينية بموضوعية

. توفر نظام للحوافز المادية والمعنوية يربط التقدم الوظيفي والمزايا وأشكال التقدير المادي والمعنوي.[8]

6). تصميم العملية التكوينية "البرنامج":

عادة ما يقوم المسئولون عن التكوين بالمؤسسة بإعداد برامج التكوين اللازمة للعاملين بها والسؤال هو كيف تعد هذه البرامج بحيث تكون قابلة للتنفيذ، وما المشاكل التي تعرقل تقدمها وتقلل من نتائجها وفعاليتها.

أ. مراحل إعداد برامج التكوين:

إن إعداد برامج للتكوين يتطلب عدة مراحل وهي كالآتي:

المرحلة الأولى: جمع وتحليل المعطيات

يقوم المشرف على إعداد خطة التكوين بجمع البيانات التي تمكنه من بناء خطة سليمة توفي باحتياجات العمال، وتتناسب مع ظروف وإمكانيات المؤسسة، ويمكن استخلاص بعض المؤشرات من

هذه المعلومات التي لها تأثير على الخطة التكوينية: التعديلات المحتملة في الهيكل التنظيمي، وجود مشاكل في الاتصالات في التنظيم، انخفاض الروح المعنوية للعمال، انخفاض معدلات الأداء الفعلية. الخ

المرحلة الثانية: تحديد الحاجات التكوينية

الحاجات التكوينية تعبر عن تحديد الأفراد المطلوب تكوينهم ما هي التطورات التي يجب إحداثها في معارف أو مهارات أو سلوكات العمال للتغلب على مواطن الضعف لديهم ويتم الكشف عليها عن طريق:

1 . تحليل التنظيم: الوقوف على حجم الحاجات الخاصة بكل مصلحة على حدة لتقوم بجمعها وترجمتها في برنامج تكويني واحد.

2 . تحليل الفرد: وذلك بأن تقوم بدراسة الجوانب التي لها علاقة بالمستوى العلمي والخبرة في الوظيفة وما هي المهام الموكلة إليه وما هي ميوله ودوافعه وكل العناصر التي تشكل نقصا وحاجة للتكوين.

3 . تحليل العمليات: وذلك بدراسة مختلف الأنشطة والعمليات التي يقوم بها العمال ومحاولة سد الثغرات الموجودة فيها عن طريق بناء برنامج تكويني موجه لذلك.[9]

ويمكن تقسيم الاحتياجات كالاتي:

. احتياجات تتعلق بتطوير المعارف و المعلومات لدى بعض العمال .

. احتياجات تتعلق بتطوير المهارات و القدرات لدى بعض العمال .

. احتياجات تتعلق بتطوير سلوك بعض العاملين وطريقة تعاملهم مع مرؤوسيهم.[10]

تقنيات جرد الحاجات:

عملية الجرد لها أساليب وتقنيات مختلفة لابد أن يتحكم فيه المسئول عن التكوين وتراقبها مصالح الموارد البشرية. وهي تتم من خلال:

. تجزئة الأهداف.

. من خلال البحث عن التعديل والتغيير على مستوى إنجاز المهام.

. من خلال الكشف عن الخلل .

. من خلال المساهمة في إنجاز المشاريع.

. من خلال دراسة تطور المهام.

وبذلك ينبغي أن يكون المسئول عن التكوين في اتصال دائم ومستمر مع العمال ليكتشف مختلف الفوارق ودور التكوين مستقبلا.[11]

بعض أدوات الجرد:

طريقة فلانغان: وترتكز هذه الطريقة على أن كل حادث مهما كان يوحي بصلاحية الفرد من عدمه لهذا المنصب وتعمل على التحليل الدقيق للحادث بتحديد متطلبات العمل. وبالتالي فإنها تسمح بالوقوف على الحاجة لمجموعات العمل الموجودة في عين المكان وكذلك هي تسمح بتحديد متطلبات منصب معين في بناء مرجع المنصب.[12]

طريقة إثارة الأفكار: و فكرتها الأساسية تتلخص في أن المسئول يقوم يطرح فكرة معينة أو مشكلة ما بين أفراد الفريق الواحد ويتركهم يفكرون فيها ويأخذون ويعطون فيه يحللون و يتناقشون ومن خلال ذلك يكتشف مختلف النقائص والتي يصيغها في حاجات يبني على أساسها التكوين.

دورة التسيير والإنجاز وتقدير القدرات:

وتبدأ هذه الدورة بتحديد متطلبات المنصب وفقا لمرجعيات المنصب لتليها مرحلة تحديد الأهداف وهي الأهداف على مستوى المناصب والمنبثقة من الأهداف العامة للمؤسسة لتتوزع على المناصب ثم عل العمال وبعد سنة كاملة من المتابعة والإشراف من قبل المسئول المباشر للعمال. المرفقة بمختلف التدعيمات والتوجيهات والتصحيحات المقدمة حيث يلاحظ المشرف لزوما لذلك تمر المؤسسة للتقويم أو لتقدير القدرات.

المرحلة الثالثة: تصميم برامج التكوين: وهي تتضمن عدة عناصر أهمها:

. تحديد أساليب التكوين (أسلوب المحضرات الندوات...)

. تجهيز المعدات والمستلزمات التكوينية (وسائل الإيضاح، سمعية بصرية، ......)

. إعداد المكونين المناسبين الذين تتوافر فيهم الخصائص والمقومات الأساسية.

المرحلة الرابعة: تنفيذ برنامج التكوين:

. إعداد الجدول الزمني للبرنامج وتنسيق التتابع الزمني للبرنامج وموضوعاته.

. تجهيز وإعداد مكان التكوين.

. متابعة المتكونين والمكونين.

المرحلة الخامسة: تقييم برنامج التكوين:

إن فعالية التكوين لا تحقق بحسن التخطيط فقط بل لابد من الدقة في التنفيذ ولابد من القيام بتقييم النشاط التكويني بشكل عام في المؤسسة، وفعالية التكوين تتحقق إذا توفرت عوامل مثل الدافع الفردي إلى التكوين ووجود بيئة العمل المناسبة وأن يتم تنفيذ البرنامج بكفاءة.

. وحتى تتحقق فعالية التكوين فلابد من:

. ارتباط التكوين بحاجة فعلية لدى الفرد.

. اقتناع الفرد بفائدة التكوين.

. اقتناع المكون بحاجته إلى التكوين، وتحمسه في العملية التكوينية .

. اقتناع إدارة المؤسسة بأهمية التكوين .

. تهيئة الظروف المناسبة لتطبيق ما تم التكون عليه.[13]

ب . طرق تكوين العمال:

إن استخدام التكوين من حيث الطرق قد يختلف حسب الظروف من بينها: اختلاف المستوى الوظيفي للأفراد، اختلاف الفرص من التكوين، الاختلاف من حيث عدد الأفراد المطلوب تكوينهم...إلى غير ذلك من الاختلافات.

وطرق تكوينهم تنقسم إلى طريقتين طريقة التكوين الفردي وطريقة التكوين الجماعي.

أولا التكوين الفردي: أي تكوين كل فرد عامل على حدة، ويتم هذا بالطرق الآتية:

1 . التكوين أثناء العمل .

2. نقل العامل مؤقتا لأداء أعمال أخرى .

3 . تكليف العامل للقيام بأعمال ذات مسؤولية أعلى.

ثانيا: التكوين الجماعي:

وهو ذلك التكوين الذي يضم مجموعة من العمال ويكونون معا لكن في أوقات العمل غير الرسمية، وقد يكون في مركز داخل أو خارج المؤسسة، وهذا النوع يعمل على إكساب المتكونين من خبرات بعضهم البعض بسبب وجودهم في مكان واحد وفي وقت واحد، والتكوين الجماعي يكون بطرق عديدة نجملها فيما يلي:

1 . المحاضرات.

2 . المؤتمرات .

3 . ندوات أو حلقات الدراسة.

4 . التطبيق العلمي.

5 . تمثيل الأدوار: مما يساعد على تطوير سلوكيات جديدة للعمال المتكونين وهو أن يختار المشرف على التكوين موقفا معينا فيختار كل متكون دورا بمثله ثم نقوم بمناقشة تصرف ذلك المتكون بشكل جماعي.[14]

6 . المناقشات.

6-الدراسة الميدانية:

تم إجراء الدراسة الميدانية على مستوى مؤسسة نفطال فرع غاز البترول المميع بمدينة تيارت معتمدين على المقابلة الموجهة مع مسئولين لهم علاقة بالعملية التكوينية طرحنا عليهم عدة أسئلة من أجل الإلمام بالموضوع من جميع جوانبه وكان دليل المقابلة كالاتي:

1 . ما هي أنواع التكوين عندكم؟

2 . ما هي مراحل التكوين عندكم؟

3 . كيف يتم جرد الحاجات؟

4 . ما هي الطرق التي تعتمدون عليها لاكتشاف الحاجات؟

5 . ما هي المعايير التي تعتمدونها لاختيار الأفراد للتكوين ؟

6 . ما هي أنواع التقييمات ؟

عينة البحث ومكان الدراسة:

احتوت العينة على 7 أفراد منهم مدير مصلحة الموارد البشرية والتكوين وإطار الدراسات بالمصلحة، و5 رؤساء أقسام بهذه المديرية يرأسون الأقسام التالية: الأمن الصناعي، الأجور، تسيير المستخدمين، الخدمات الاجتماعية، الصيانة، وتم اختيارهم بطريقة مقصودة لمشاركتهم في عملية التكوين.

عرض النتائج:

السؤال الأول: . ما هي أنواع التكوين عندكم؟

هناك نوعان من التكوين بالنسبة لمؤسسة نفطال:

1 . **تكوين متناوب**: حيث يذهب العامل أسبوعا كل شهر لإجراء التكوين وتكون مدته عادة 8 أشهر.

2 . **تكوين متواصل**: وهنا يذهب العامل مرة واحدة ويبقى حتى ينهي التكوين.

السؤال الثاني: ما هي مراحل التكوين عندكم؟

أولا: نتلقى قرارا من الهيئة المركزية بالعاصمة يتضمن البدء في جرد الحاجات وتحديد قوائم العمال الذين يحتاجون إلى التكوين وعادة ما تأتي هذه العملية خلال الفترة الممتدة بين شهري أفريل وماي.

ثانيا: تأتي عملية جرد الحاجات:

السؤال الثالث: كيف تتم عملية جرد الحاجات؟

يتم توزيع استمارات على رؤساء الأقسام ويطلب منهم ملؤها وهي خاصة بكل عامل على حدى وتضم هذه الاستمارة جزءا للمعلومات وخانة عامة بالملاحظات والنقائص التي يلاحظها المشرف.

السؤال الرابع: ماهي الطرق التي تعتمدون عليها في اكتشاف الحاجات؟

بالنسبة لرؤساء الأقسام التالية الأجور تسيير المستخدمين الخدمات الاجتماعية الصيانة أكدوا لنا أنهم يكتشفون النقائص لدى العامل من خلال معايشتهم اليومية له وكذلك من خلال أداء المهام الموكلة له وأي صعوبة أو عجز تعتبر حاجة لابد من تقليصها عند التكوين.

أما رئيس قسم الأمن الصناعي يرى أن:

اكتشاف الحاجات للتكوين يتم بالإضافة إلى الملاحظة والمعايشة من خلال التمارين المسطرة التي تأتي كل شهر أو ثلاثة أشهر وذلك لطبيعة المهمة المنوطة بهذا القسم المتمثلة في السهر على أمن وسلامة المؤسسة من كل الجوانب وهذا يتطلب عمالا أكفاء.

والتمرين يرتكز على حريق مفتعل في منطقة معينة من المؤسسة تمثل نقطة مركزية مثل منطقة التخزين أو حقل تعبئة القارورات وتتم ملاحظة سلوك العون في التعامل مع هذا الموقف فالأفراد الذين تلاحظ عندهم نقائص يقترحون في التقرير الذي يرفع إلى إدارة الموارد البشرية لمزاولة برنامج تكويني في مجالات مختلفة يمكن أن تكون الاسعاف. استعمال وسائل إخماد الحريق وغيرها وكذا من خلال ملئ

الاستمارات، وبعد ذلك يتم تجميع الاستمارات وتخضع لترشيح وتصنيف أولي يتم على مستوى مصلحة الموارد البشرية استنادا على عدة معايير.

السؤال الخامس: ما هي المعايير التي تعتمدون عليها في ذلك؟

أجاب أن هناك عدة معايير نذكر منها:

أ . السن: فالأفراد الكبار أو القريبين من التقاعد لا يدمجون في برنامج التكوين.

ب . الخبرة والأقدمية.

ج . المستوى التعليمي: حيث يتم تقديم الأفراد في فئات ذات مستوى واحد.

. بعد ذلك تبعث الاستمارات إلى الهيئة المركزية بالعاصمة حيث تجمع كل استمارات المراكز الموزعة عبر التراب الوطني.

ويتم دراستها وتحليلها ويستخرج منها مواضيع للتكوين ويتم على أساسها بناء برنامج التكوين حيث يقسم الافراد إلى فئات حسب مستواهم والنقائص الموجودة عندهم.

. بعد ذلك تقوم المؤسسة بالتعاقد مع مركز التكوين ويمكن أن يكون داخليا حيث يوجد مركزان الأول بأرزيو والثاني بالخروب. أو مراكز خارجية ويتم تحديد الرزنامة الزمنية للتكوين.

. وبعد ذلك يتم تزويد كل مركز ببرنامج للتكوين وكذا قائمة العمال المعنيين بالتكوين وأفواجهم ومركز التكوين ومدته.

. وبعد ذلك يتم استدعاء العمال المعنيين وإعطائهم رزنامة التكوين الخاصة بهم.

. إذا تجاوزت مدة التكوين 120 ساعة يتم إمضاء عقد بين المتكون والمؤسسة يسمى contrat de frant.

تلزم المتكون بملازمة التكوين وعدم ترك المؤسسة في تلك الفترة وعدة شروط أخرى ينص عليها العقد.

. ثم يذهب العمال إلى التكوين مرفقين بوثيقة تكليف بمهمة ordre de mission.

. ثم بعد ذلك تأتي مرحلة التقويم.

السؤال السادس: ما هي أنواع التقويمات المتبعة؟

هناك ثلاثة أنواع من التقويمات:

أ. التقويم أثناء التكوين: حيث يقدم المركز الخاص بالتكوين استبيان للمتكونين عند بقاء مقياس عن نهاية التكوين لتقدم نتائجه للمركزية بالعاصمة.

ب . تقويم بعد انتهاء التكوين مباشرة: achaud كذلك نفس العملية.

ج . تقويم بعد عودة العامل إلى منصبه: a froidحيث يملأ المشرف استبيانا خاصا بالعامل ثم يعرضه على العامل لإبداء رأيه لتقدم نتائجه كذلك للعاصمة.

مناقشة النتائج:

من خلال النتائج المحصل عليها نستخلص أن مراحل عملية التكوين في مؤسسة نفطال كالتالي:

1 . تلقي القرار بعملية جرد الحاجات.

2 . جرد الحاجات.

3 . الترشيح الأولي.

4 . تحديد المواضيع وبناء البرامج.

5 . التعاقد مع مركز التكوين.

6 . التقويم.

وفيما يلي سنحاول مناقشة هذه الخطوات:

أولا: بالنسبة لتلقي القرار ببدء عملية جرد الحاجات، نحن نعلم أن هناك نظام وقانون تتبعه المؤسسة، فمن جهة الجانب القانوني يساهم إلى حد ما بعدم إهمال المؤسسة للتكوين، ومن جهة يجعل المؤسسة لا تشعر بالغاية الحقيقية للتكوين، فان جاءها القرار تقوم بجرد الحاجات، وإذا لم يأتها القرار لا تقوم بجرد الحاجات حتى لو كانت موجودة، وهذا من سلبيات المركزية في اتخاذ القرار.

فيما يخص جرد الحاجات تتبع أساليب جديدة وفعالة، وقد تعرضنا لهذا المجال في الجانب النظري وبالمقارنة يمكن القول أن الأساليب والتقنيات التي يتبعها المشرفون في المؤسسة هي أكثر نجاعة لجرد الحاجات، فالمشرفون يتعاملون بصفة مباشرة مع عمالهم من خلال إعطائهم بعض المهام التي تسمح بتشخيص نقائص العمل، أو اختبارهم من خلال تمارين تسمح بشكل واضح تحديد الحاجات.

ثانيا: الترشيح الأولي يتم في فروع المؤسسة الوطنية، وتبعث ملفاتهم مع كل المعلومات الخاصة بهم إلى المركز بالعاصمة، فيقبل البعض وترفض بعض ملفات العمال، وهذا لمحاولة التنسيق بين فئات

العمال المقترحين للتكوين من السن والمستوى التعليمي ونوع الوظائف. وهذا يقودنا إلى أن نقصي بعضا من الأفراد الذين لهم حاجات لا تتلاقى مع زملائهم أو لا تدخل ضمن المواضيع المختارة فمن خلال ذلك نلاحظ أن المؤسسة تغض الطرف على بعض النقائص التي يمكن أن تشكل عائقا على أدائها.

ثالثا: تأتي مرحلة تحديد المواضيع وبناء البرامج، وهذه الخطوة تحترم التسلسل المنطقي لعملية التكوين، فعلى أثر الحاجات المحددة التي تحول إلى أهداف، يقوم المركز بتحديد المواضيع الخاصة بها، وعلى هذا الأساس يتم وضع برنامج التكوين.

رابعا: بعد تحديد المواضيع وبناء البرامج، تبحث المؤسسة عن مركز تكوين مناسب لموضوع التكوين المقترح وإمكانياتها المادية، للتعاقد معه، ويتم على إثره تحديد الشروط اللازمة لتنفيذ التكوين، وهذا من خلال دفتر الشروط الذي يحتوي على عدة عناصر متعلقة بالتكوين، ويتفق عليه بعد مفاوضات بين المؤسسة ومركز التكوين أو صاحب الخدمات، منها عدد المتكونين وفترة التكوين ...إلخ

خامسا: تتبع مؤسسة نفطال أسلوب تقويم جيد للتكوين، فالتقويم الذي يتم على ثلاثة مستويات مقسمة على ثلاثة مراحل، يسمح بالتحكم الجيد والمتابعة المستمرة له، فالتقويم أثناء التكوين يساعد على المعرفة التامة لحالة سير التكوين والتدخل المبكر في الأوقات المناسبة، والتقويم مباشرة بعد التكوين يساعد على معرفة مدى استيعاب المتكونين لمحتوى البرامج المقترحة وكذا مدى مناسبة الطرق والتقنيات المستعملة والتقويم الثالث يتم بعد عودة العامل إلى منصبه، ومن خلال مزاولته لإعماله نلاحظ التحسينات التي أكسبها له التكوين، ومن خلال هذا كله تتضح فعالية التقويم الذي تتبعه المؤسسة وهنا لا بد أن نؤكد على الموضوعية في عملية التقويم وأن لا نعمد إلى تقويم الغرض منه إنجاح عملية التكوين وفقط بل لابد أن نقدم التقويم الموضوعي الذي يكشف ثغرات البرامج التكوينية حتى نتفاداها في المستقبل .

وفي الأخير نقول بأن الفرضية قد تحققت: نعم تتبع مؤسسة نفطال خطوات مضبوطة في عملية تسيير التكوين.

الهوامش:

1- المنجد الفرنسي العربي، دار المشرق، بيروت، لبنان. ص 387

2- بوفلجة غيات، الأسس النفسية للتكوين ومناهجه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984ص 96

2-عادل جودة وغسان قلعاوي، الكفاية الإنتاجية ووسائل رفعها في الوحدات الاقتصادية، دار الفكر، دمشق،1972، ص32

3-عبد الباقي صلاح الدين وحنفي عبد الغفار إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1988.ص251.

4-سنان الموسوي، إدارة الموارد البشرية وتأثير العولمة عليها، الطبعة الأولى، الإصدار الثاني، دار مجدلاوي، عمان، الأردن،2006. ص33

6- عبد الباقي صلاح الدين وحنفي عبد الغفار، مرجع سبق ذكره ص 252-254

7- ابراهيم بلوط، إدارة الموارد البشرية من منظور استراتيجي، دار النهضة، بيروت لبنان، 2002.ص72

8 - عبد الباقي صلاح الدين وحنفي عبد الغفار، مرجع سبق ذكره ص 261-263

9- محمد جمال الكفافي، استثمار في الموارد البشرية للمنافسة العالمية، الدار الثقافية للنشر، مصر2007.

10 - عبد الباقي صلاح الدين وحنفي عبد الغفار، مرجع سبق ذكره ص 226

11- محمد مسلم، مدخل إلى علم النفس، الطبعة الثانية، دار قرطبة الجزائر، 2007.ص98

12- محمد مسلم، مرجع سبق ذكره 99

13 - عبد الباقي صلاح الدين وحنفي عبد الغفار، مرجع سبق ذكره ص 230

2 – ISOLD FEUILLE , le nouveau formateur , 2 – édition dunod ,paris,France.1999 p 45

مدى مساهمة البحوث السوسيولوجية

في معالجة القضايا الاجتماعية

د/ محمد يسعد ليلى، جامعة لونيسي علي، البليدة

ملخص

عرفت النظرية السوسيولوجية تطورا بارزا منذ نشأة علم الاجتماع إلى يومنا هذا ، فقد استفاد هذا الأخير من تأثره وتأثيره بالعلوم الإنسانية الأخرى كعلم النفس والفلسفة والدراسات اللغوية خاصة مع ظهور العولمة وتحدياتها .

إن أول من استعمل مصطلح السوسيولوجيا (علم الاجتماع) هو العالم الفرنسي " اوجست كونت " ، كما استعمل هذا المصطلح أيضا في انجلترا من طرف " جون ستوارت ميل " في الفترة التي عاش فيها " كونت " وظهر ذلك في كتابه "علم المنطق " الذي نشره عام 1843 وكان يطمح هذان المفكران إلى تخليص هذا العلم من الذاتية والنزاعات النفسية والأحكام القيمية ليصل إلى مقام العلوم الطبيعية .

لذلك اتفق اغلب علماء الاجتماع إلى تعريف هذا العلم على انه العلم الذي يختص بكل ما هو إنساني و اجتماعي ، أي بكل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الاجتماعية ، وكل ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الإنسانية ، ويمكننا القول أن دور علم الاجتماع لا يقف عند الوصف الجاف للظواهر الاجتماعية والمشكلات المتنوعة التي يتخبط فيها الإنسان بل يهدف إلى فهم آليات الظاهرة والعوامل الباطنية التي تتحكم فيها من اجل التحكم فيها والتنبؤ بمستقبلها .

كما اهتمت النظرية السوسيولوجية بعملية التغير الاجتماعي بغرض الوصول إلى قوانين جادة تتحكم فيه ، إلا أن اغلب البحوث والدراسات التي جاءت في هذا الصدد كانت غربية لا تمد لمجتمعاتنا العربية بأي صلة ، لذلك فقد ظهر بعض المفكرين العرب لينا دوا بضرورة مساهمة علماء الاجتماع العرب كغيرهم من العلماء الآخرين لنهوض بهذا العلم وتقديم الحلول وليس مجرد قراءة المشكلات الحادة التي تتخبط فيها الدول العربية ووصفها ، ومن اجل ذلك كان لابد من الدعوة لتأسيس علم اجتماع عربي عامة ومغاربي خاصة ، فالنظرية السوسيولوجية أصبحت ذات أهمية كبيرة بحيث أصبحنا لا نكاد نتصور عملا ما على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي دون أن يكون قد استند إلى دراسات سوسيولوجية .

الكلمات الدالة : النظرية – الفرد – التغير الاجتماعي –

الإشكالية :

عرفت النظرية السوسيولوجية تطورا بارزا منذ نشأة علم الاجتماع إلى يومنا هذا ، حيث كان في البداية يدرس البناء الاجتماعي ، الجماعة بمختلف أشكالها ، وكذلك الأنظمة المختلفة وبقي الوضع على حاله إلى غاية الستينات من القرن الماضي حيث أصبح الفرد هو الفاعل الرئيسي في معظم التفاعلات الاجتماعية والمؤسسات المختلفة في المجتمع ،وأيضا القضايا اليومية التي يعيشها الفرد والجماعة .

وفي مطلع القرن العشرين استفاد علم الاجتماع بصفة عامة والنظرية السوسيولوجية بصفة خاصة من علاقته وتأثره بعدة علوم منها علم النفس والدراسات اللغوية وحتى الفلسفية وتتمثل في النظرية التفاعلية الرمزية التي كان لها الأهمية البارزة في مختلف الإشكاليات التي تم عرضها من طرف المختصين في مجال العلوم الاجتماعية .

وفي الوقت الحالي تجاوزنا النظرية الكلاسيكية ودخل علم الاجتماع مرحلة جديدة يمكن اعتباره علم الاجتماع ما بعد الحداثة في ظل العولمة وتحدياتها التي اكتسحت كل الميادين ومختلف المؤسسات لاسيما الاجتماعية، إن علم الاجتماع اليوم يجب أن يراعي كذلك التغير الذي طرأ على كل المؤسسات حتى يتماشى مع هذا التحول الذي يشمل الجانب الاقتصادي والاجتماعي حتى السياسي الذي وصل إليه المجتمع الإنساني ، والسؤال الذي سوف نطرحه ما مدى مساهمة البحوث السوسيولوجية في معالجة مختلف القضايا التي يعيشها الفرد والمجتمع ؟ وهل هناك حلول يقدمها الباحث في العلوم الاجتماعية لمعالجة مختلف المشكلات الاجتماعية ؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة وأخرى لابد أن نعرف المراحل التي مر بها علم الاجتماع وما هو واقعه ؟ غير أن مختلف الدراسات تؤكد أن هذا العلم شمل المراحل الآتية :[1]

أولا– أعمال بارسونز

منذ السبعينات والثمانينات من السنوات الماضية ظهرت بعض من المحاولات تحمل في طياتها إعادة صياغة وتحليل أعمال بارسونز، كما حاولت هذه الأعمال أيضا طرح وظيفة جديدة تكمل الأعمال التي قام بها بارسونز من اجل الإجابة عن بعض الأفكار التي كانت محل ا انتقادات بعض المفكرين وعلماء الاجتماع ، لكن هذه الأعمال والجهود لم ترتقي إلى أعمال بارسونز وما حققته الوظيفية من نجاحات في الخمسينات .

ثانيا –الأعمال النقدية

تمثلت هذه الأعمال بالنقد البنيوي التي كانت منطقاتها متأثرة بالفكر الماركسي الاشتراكي ولبعض المفكرين الذين ينتمون إلى المدرسة الفرانكفورتية والذي مثله بعض المفكرين .

ومعظم أفكارهم التي جاءت من اجل التنديد لقيام النظام و الدولة الرأسمالية ومن خلال مناقشة أطروحاتهم حاولوا تحليل إنتاج العلاقات العامة كما طرحوا أفكار جديدة وفي مختلف الميادين مثل الاتجاه

الجديد للماركسية الذي أحدثه بيار بورديو في مجال علم اجتماع التربية ومن الواضح إن الانتقادات الموجهة لعلم الاجتماع الكلاسيكي لعبت دورا بارزا و مهما تمثل في إظهار الاتجاهات المختلفة وهي كالأتي : ما بعد الحداثة ، و ظاهرة العولمة التي أصبحت من المواضيع الهامة في علم الاجتماع .

ثالثا –النظام السياسي

إن علم الاجتماع في هذه الفترة انصب في تحليل بعض القضايا التي لها صلة بالنظام السياسي وعلاقته بمختلف الأنظمة ودراسة الإستراتيجية التي يقوم عليها الفاعلين والأكثر من ذلك إيجاد تطبيقاته في تحليل العلاقات الدولية مثل قضايا السلم و الحرب ومن بين هذه الأعمال : ريمون ارون وأعمال توماس شلينغ و لا ننسى الأعمال والدراسات المتعلقة بالتنظيمات الكبرى التي قام بها كل من هربت سايمون وميشيل كروزييه

رابعا –النظام الاجتماعي

– من الواضح والأهم في هذه الفترة وضع الصراع في قلب الحياة الاجتماعية والتركيز أكثر على الفاعلين والحركات الاجتماعية والتي تأثرت وبشكل ملحوظ بالفكر الماركسي و من بين هؤلاء المفكرين الان تورين .

– فعلا علم الاجتماع يحمل أفكار جديدة تعكس الفكر الغربي الحديث وتتمثل هذه المبادئ والمحاور في ما يلي:

– العقلانية أي الاعتماد على الموضوعية والدقة في حل معظم القضايا التي يعاني منها المجتمع وذلك من اجل تحقيق التقدم والتطور

–الاعتماد على الأحداث التاريخية في حل مختلف القضايا الاجتماعية لان التاريخ أحداث لا يمكن تعديلها أو تغييرها.

–الاهتمام بالفرد الذي أصبح محور كل برنامج كما أن الفردية هي حرية الفرد في الحياة والاختيار فهذه الثلاثية مهمة في الدراسات الاجتماعية (الفرد – الدولة – الحرية)، إذن الفرد هو جوهر كل عمل تنموي أو تطويري يمس المجتمع بمختلف مؤسساته خاصة ونحن نعيش ثورة معلوماتية هامة .

لقد تأثر علماء الاجتماع أيضا بالفكر الغربي بمختلف اتجاهاته والعولمة التي أصبحت أمرا لابد منه في ظل التحولات التي يشهدها العالم لذلك إسهامات علم لاجتماع كثيرة ومتنوعة فالجامعات العربية عامة والجامعات الجزائرية خاصة، اليوم تتناول عدة قضايا التي لها صلة بالفرد العربي ومختلف المؤسسات التي ينتمي إليها فالطرح عميق فنحن بحاجة في الوقت الراهن إلى طرح القضايا وإيجاد الحلول من اجل تفعيلها على ارض الواقع وليس الطرح من اجل الطرح وما أحوجنا في الوقت الحالي إلى التحليل ودراسة القضايا التي تهم الفرد

بالدرجة الأولى والجماعة ومختلف المؤسسات المتواجدة في المجتمع العربي خاصة ونحن نعيش أزمات مختلفة مصدرها الفرد ،الأسرة ، المدرسة ، الجامعة و غيرها من المؤسسات الموجودة في المجتمع كما أن عرض وتشخيص القضايا ليس كفيلا وحده في معالجتها وإنما أيضا بتكاتف كل المؤسسات والجهود من طرف الدولة والمجتمع .

المقصود بعلم الاجتماع

هناك اختلاف في تناول وطرح علم الاجتماع كمفهوم إلا أن العديد يخلط بين علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية وعلاج الأزمات الاجتماعية كالفقر والجريمة.....ويعتبر أصحاب هذا الرأي أن المظهر التطبيقي كعلم أو فن الخدمة الاجتماعية يجعل منه دون مستوى العلم ،وأدنى من العلوم الأخرى [2]

لهذا فقد اجتهد علماء الاجتماع الغربيون في تعريف علم الاجتماع ،وقد بالغوا في هذا الاجتهاد ،حتى أن الدارس لهذا العلم يصعب عليه الحصول على تعريف جامع وموحد لعلم الاجتماع ،و لعل ذلك يعود إلى صعوبة تحديد موضوعات هذا العلم

نحاول في هذه الدراسة التطرق إلى أهم التعاريف لهذا العلم والمواضيع التي يشملها ،و ذلك كما جاء به علماء الاجتماع الغربيون أنفسهم وحتى العرب .

غير أن أول من استعمل اصطلاحا سوسيولوجيا (علم الاجتماع) هو العالم الفرنسي "اوغيست كونت" ، إلا أن الفيلسوف الانجليزي " جون ستيوارت ميل " استعمل هذا الاصطلاح في انجلترا خلال الفترة التي عاش فيها كونت ، وظهر استعمال هذا الاصطلاح في كتابه" علم المنطق" الذي نشره في عام 1843. و كان يقصد هذان العالمان بهذا الاصطلاح الحقيقة و المنهج الذي يجب أن يتبعه علم دراسة المجتمع ليكون مطابقا للعلوم الطبيعية من ناحية طرقه المنهجية و حقائقه النظامية المترابطة ،و كذا تحرره من العواطف و النزعات النفسية و الأحكام القيمية " [3]

إن ما يمكن الإشارة إليه هنا هو تعدد الآراء و المواقف حول قضية تعريف علم الاجتماع لدى علماء الاجتماع الغربيين والعرب و هذا طبقا لانتماءاتهم الإيديولوجية .إلا أنهم قد مالوا جميعا إلى التعريف المختصر و هو أن علم الاجتماع " علم المجتمع " باعتباره العلم الذي يختص بكل ما هو إنساني اجتماعي ،أو بكل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الاجتماعية ، و كل ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الإنسانية ، ذلك أن المجتمع عبارة عن سلوك أي جماعة مكونة من أعضاء يحيون حياة متساندة ووسيلتهم في ذلك التفاعل و العلاقات المتبادلة وينطبق الأمر على المؤسسات المتواجدة في المجتمع .

دور علم الاجتماع :

يلخص انا تيما شيف دور علم الاجتماع كالتالي :

هناك أربع إجابات أساسية على هذا التساؤل –ما هو دور علم الاجتماع و عمله بالنسبة للعلوم الأخرى التي قدمها علم الاجتماع في عصور مختلفة من تاريخ هذا العلم ، فقد اعتقد كونت انه ينبغي على علم الاجتماع انه يضطلع بكل المادة التي درستها هذه العلوم المحدودة ، وان يستوعبها بحيث يجردها من سبب وجودها . ثم تصور سبنسر علم الاجتماع انه علم فوقي لا يلاحظ بنفسه الظواهر الاجتماعية ، لكنه يوحد الملاحظات و التعميمات التي انتهت إليها العلوم الاجتماعية المحدودة . أما جورج زيمل فقد أصر على أن موضوع دراسة العلوم الاجتماعية المحدودة يتمثل في مضمونه للأفعال الإنسانية التي تستهدف غايات معينة . فعلم الاقتصاد يهتم بالأفعال التي تستهدف حل مشكلات مادية كالإنتاج و التوزيع و التبادل و الاستهلاك وتعالج العلوم السياسية الأفعال التي تستهدف تحقيق السلطة السياسية و ممارستها لكن زيمل كان يعتقد أن أيا من هذه العلوم لا يدرس صورة الأفعال الإنسانية في المجتمع و هي الصورة المشتركة بين كل نماذج الجهود و المحاولات كتكوين الجماعات الإنسانية و انحلالها و المنافسة و الصراع [4]

و حسب "بول لازار سفيلد فان السوسيولوجيا– خلافا للعلوم الاجتماعية الأخرى– ليس لها موضوع دراسة محدد و دقيق .و مهمة السوسيولوجيا الرئيسية هي وضع التكتيك و الطرق و الأساليب للأبحاث التجريبية التي يمكن استخدامها في أي علم اجتماعي كالاقتصاد و الحقوق و علم السكان [5]. أما السيد محمد بدوي فينظر إلى دور علم الاجتماع كما يلي :

"بحث الظواهر بحثا موضوعيا لا دخل للعاطفة و لا للأهواء الشخصية فيه، فإذا ما استوفينا البحث و تكونت لدينا فكرة واضحة عن ظواهر المجتمع أو البيئة التي ندرسها ،أمكننا بعد ذلك أن نخطو خطوة ثانية نحو الإصلاح،و نكون في هذه الحالة واثقين من أن مشروعاتنا الإصلاحية قائمة على أساس متين و تدعمها دراسة موضوعية مستفيضة تلم بأطراف البحث من جميع نواحيه. [6]

وبهذا نصل إلى القول أن دور علم الاجتماع لا يقف عند الوصف الجاف للظواهر الاجتماعية و المشكلات المتنوعة التي يتخبط فيها الإنسان ، بل يهدف هذا العلم أيضا إلى فهم آليات الظاهرة و الباطنيةالتي تتحكم في هذه الظواهر و يسعى خاصة إلى التحكم فيها و التنبؤ بمستقبلها من إيجاد الحلول اللازمة .

كما يظهر لنا أن دور علم الاجتماع فيه شطران من المسؤوليات . الشطر الأول علمي تنظيري و الشطر الثاني هو الإسهام وعلاقته مع العلوم الأخرى في تقديم الحلول ،بل العلاج المناسب للحد من المشكلات والآفات الاجتماعية .

كما نتساءل عن قيمة هذا العلم إذ اكتفى البعض من العلماء فقط بوصفه و تحليل بعض المشكلات الاجتماعية كما ينادي بها بعض العلماء ، أي عدم إقحامه في عملية التغيير و المشاركة في العلاج الاجتماعي.

نظرا لطبيعة علم الاجتماع والتوجه الذي أخذ لأول مرة مع مجيء الرواد الأوائل ، من المفيد التذكير بان ظهور علم الاجتماع بصورته الحديثة تزامن مع مختلف التغيرات التي شهدها العالم من تحولات فلسفية ، اقتصادية واجتماعية في اوربا ، وإذا حاولنا حصر المبادئ الأساسية والأصول الفكرية لعلم الاجتماع فمجالها يتمثل في معظم النظريات الفلسفية الفكرية والنظريات البيولوجية التطورية والحركات الاجتماعية الإصلاحية عبر الأزمنة.

كما اهتم العلماء القدامى بالتغير الاجتماعي والمجتمع وذلك بغرض الوصول إلى قوانين جادة تتحكم فيه ، وكانت ابرز الانشغالات التي جسدها الباحثون في هذا الحقل والبحث عن طرق جادة وأساسية التي أدت إلى تلك التغيرات الاجتماعية الهامة عبر المراحل التاريخية لان " التغير الاجتماعي سنة من سنن الحياة والمتتبع لمختلف الحركات الموجودة في المجتمع الحديث يجد أن كل شيء في عالمنا هذا يتغير ، وهذا ينطبق على الأفراد والمجتمعات والشعوب والجماعات والأفكار والمبادئ والقيم وفي النظريات التي تظهر فتقلب الأوضاع وتعيد الحسابات ، فكل شيء يسير ويتحرك ويتغير في كل اتجاه وفي كل زمان ومكان [7] ' و تعددت أهداف هذا العلم داخل البلدان الغربية وفي كل دول العالم تقريبا ، تلك البلدان التي تم استيراد مجمل النظريات والمفاهيم المختلفة حتى ما يتعلق بالمنهجية من قبل المشتغلين في هذا التخصص ، لكن هو كيفية تطبيق هذه المناهج داخل الدول خاصة العربية لأنها تختلف كل الاختلاف عن الدول الغربية .

والملاحظ أن " البحوث الاجتماعية لها أهداف عديدة متباينة والمقصود منه تطوير المعرفة أو التقدم وتطوير النظريات بغية التفنن في إعطائها صيغة شاملة كونية ، وجعل المفاهيم المستعملة لمواصفة الواقع أكثر دقة وجودة ووضوحا" [8]

ومن هنا يتبين انه من واجب المشتغلين بعلم الاجتماع داخل بلداننا العربية عامة والجزائر خاصة عرض المواضيع التي يمكن لعلم الاجتماع معالجتها و المساهمة أكثر في بعث هذا العلم و تطويره و عدم الاكتفاء بالاستهلاك دون الإنتاج .و عليه يكون دوره التعرف على الأوضاع قصد تحليلها و تفكيك بنى المجتمع و كشف النقاب عن كل الملابسات من أقوال و أفعال ،و بذل الجهد المرير بغية الوصول إلى أعمق المشاكل التي يعيشها المجتمع لاتخاذه معيارا أساسيا و أخذه بعين الاعتبار في كل محاولة كبيرة أو صغيرة كانت ترمي إلى علاج الأمراض الاجتماعية و تقويم الحالات الصعبة و التغلب على الصعاب التي تحول دون التقدم

و الرقي – فيكون بهذا علم الاجتماع الصورة والدعامة للنهضة الشاملة المرجوة من خلال تطلعات أي مجتمع.

بعد هذا العرض من الواجب أن يساهم علماء الاجتماع العرب كغيرهم من العلماء الآخرين في النهضة بهذا العلم عالميا ويبين لنا عبد الوهاب بوحديبة انه من واجب علماء الاجتماع العرب المساهمة في عملية النهضة الشاملة لبلدانهم وخاصة في ظل التحولات التي يشهدها العالم ،و بان هذا لن يأتي إلا بفهم و تحليل الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية ،و الثقافية لهذه البلدان ، كذلك تفكيك البنى الاجتماعية لهذه المجتمعات ، فهم العقليات و العادات و التقاليد و غربلتها لمعرفة ما هو صالح و ما هو طالح . كذلك تكمن مهمة علم الاجتماع و المشتغلين به في تقديم الحلول و ليس مجرد قراءة المشكلات الحادة، التي تتخبط فيها الدول العربية و وصفها . لان الدراسات تختلف من بلد لأخر بحكم الخصوصية التي يشهدها كل بلد .

هكذا نجد عبد الوهاب بوحديبة ينادي بتأسيس علم اجتماع عربي عامة و مغاربي خاصة ، يقوم على الميدان وتشخيص المشكل من اجل إيجاد الحل و ليس مجرد علم يدرس في الجامعات بعيدا عن عملية التنمية الشاملة .

إن الغاية من جميع البحوث التي أنتجت في الساحة العربية و المغاربية بالخصوص –في نظر بوحديبة– الفائدة المرجوة منها أن "تتجاوز بكثير التطوير العربي للمعرفة العامة ، بل اجمع علماء الاجتماع العرب –على ضرورة وضعها في صميم التحرك الاجتماعي ، بحيث أصبحنا لا نكاد نتصور عملا ما على الصعيد السياسي أو الاقتصادي ، أو الثقافي دون أن يكون قد استند إلى بحوث و إلى دراسات سوسيولوجية .

فوظيفة علم الاجتماع و المشتغلين به داخل هذه البلدان صعبة ومهمة في نفس الوقت و لا تقتصر على الجانب التدريسي و الأكاديمي أو القيام بالبحوث من اجل الشهادات و المراتب الاجتماعية لأصحابها ، بل ابعد من هذا ،فهذه البحوث يجب أن تساهم في توضيح الرؤية لدى أصحاب القرار ،سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي ، أو الثقافي ، أو حتى التربوي .... الخ

إسهامات علم الاجتماع

1–المساهمة في تقدم هذا العلم عالميا ،أي عدم ترك الآخرين لإنتاج المفاهيم والنظريات ، بل المساهمة الفعالة من طرف علماء الاجتماع داخل البلدان العربية كبقية علماء الاجتماع المتواجدين في مختلف البلاد الأوروبية .

2– المساهمة المحلية وتكمن في الفهم الواعي والموضوعي لواقع علماء الاجتماع دون ربطه بالتنمية الشاملة ، بمعنى أي قرار سواء كان اقتصادي أو سياسي لا يتفاعل مع الدراسات السوسيولوجية من اجل عملية التقدم والازدهار.

3- يعتبر علم الاجتماع علم تحليلي للأوضاع الراهنة كما يشخص الحلول والاقتراحات اللازمة .

لقد تناول علم الاجتماع عدة قضايا لها صلة بالمشكلات التي يعانيها الفرد من جهة والجماعة من جهة ثانية خاصة ونحن نعيش في ظل التغيرات والعولمة التي اكتسحت كل الميادين والمؤسسات بدون استثناء فانشغالات الجزائر ومختلف الدول العربية تمثلت فيما يلي :

قضايا تخص الأسرة

إن الأسرة هي النواة الأولى و الأساسية لبناء المجتمع كما يقال إن صلحت صلح المجتمع ككل ، فهناك العديد من الباحثين اهتموا بهذا الموضوع وأعطوا له بعدا اجتماعيا موضوعيا ، ويرى في هذا الصدد فردريك لوبلاي أن العائلة الإنسانية تمر بثلاث مراحل مهمة وتاريخية فهناك العائلة المستقرة ومرحلة العائلة الفرعية ومرحلة العائلة غير المستقرة .

وإذا كان التركيب الاجتماعي للأسرة في مجتمع ما ، يعكس حقيقة موضوعية تقع في زمن معين فان الشكل التركيبي للأسرة يعتبر تجريدا أو حالة مثالية وللتغير الاجتماعي انعكاس على الأسرة فهو " التطور الذي يحدث تأثيرا في النظام الاجتماعي أي الذي يؤثر في بناء المجتمع ووظائفه وهو ذلك الذي يطلق عليه اسم التغير الثقافي[9] تعتبر الأسرة أهم مؤسسة موجودة في المجتمع و قد تداولتها كل الدول من حيث التعاريف والأهمية ، فعلا هي الدرع الحصينة التي يقوم عليها المجتمع ، وهناك من يعتبرها أهل الرجل وعشيرته ، كما تطلق على الجماعة التي تربطهم أمور مشتركة كرابطة الدم والقرابة وأكثر من ذلك العصبية مثل ما أشار إليه ابن خلدون.

ومن أنماط الأسر الأكثر انتشارا اليوم وهي الأسرة النواة ، لكن السؤال المطروح هل هذا النوع من الأسر يقوم بكل الوظائف المنوطة به خاصة ونحن نعيش في ظل التغيرات والتطور الباهر لوسائل الإعلام ، وهناك من اعتبرها جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج والدم والتبني ويعيشون معيشة واحدة ، ويتفاعل كل واحد مع الآخر في حدود ادوار الزوج والزوجة "والعلاقات الأسرية في صيغتها الرسمية ترمي إلى أن تصبح المقياس الذي تبنى على أساسه وتقيم كل علاقة اجتماعية[10]

الملاحظ في الآونة الأخيرة ومع ظهور الوسائل التكنولوجية العالية أصبح داخل الأسرة نوع من التنافر وعدم وجود الحوار والاتصال الذي يمكن القول عنه شبه موجود ، والتفاعل الاجتماعي في الأسرة أمر ضروري ويعتبر من الأدوار المهمة داخلها وهذا من بين الإشكالات المطروحة على مستوى هذه المؤسسة الهامة في المجتمع .

وهناك العديد من العلماء الذين تطرقوا إلى ماهية الأسرة ، وإذا كان الاختلاف واضحا بين العلماء في تعريف ماهية الأسرة ، فان هذا الاختلاف يظهر جليا كذلك بين العلوم الاجتماعية التي تشترك في دراسة

الأسرة وعلى رأسها الانثربولوجيا وعلم الاجتماع العام والأسرة والديموغرافيا لان كل من هذه العلوم تتبنى زاوية تنظر منها إلى هذه المؤسسة المهمة في المجتمع كما " إن التربية هي ذلك النشاط الممارس من طرف الأجيال الراشدة على تلك التي لم تصبح كذلك لخوض معاناة الحياة الاجتماعية هدفها إثارة وتنمية القدرات الجسدية الثقافية والأخلاقية عند الطفل [11] .

وهناك اعتقاد سائد وواضح في الوسط العلمي أن الأسرة النووية هي امتداد جزئي للأسرة أو العائلة أو حتى القبيلة خاصة في المجتمعات العربية ومن أهم القضايا التي طرحت على هذا المستوى : التنشئة الاجتماعية ، الرعاية الأسرية ، المعاملة الو الدية ..

قضايا تربوية و أخرى

من الطبيعي لأية دولة كانت، الاهتمام بالمسائل التربوية بحيث لا يمكن فصل المدرسة عن هذا الكل (المجتمع) لأنها تكمل الأسرة، وقضايا التربية أصبحت من المواضيع التي يقوم بدراستها علم الاجتماع لأنه من المستحيل الحديث عن مجتمع دون التطرق إلى المدرسة خاصة في ظل التحولات التي يشهدها العالم والمدرسة هي جزء هام من هذا الكل .كما أن التربية تهدف إلى معرفة تأثير المرء في بيئته بفاعلية وتعقل وليس من باب أو تنفيذ تقنيات [12] .

واليوم معظم الجامعات العربية تدرس لطلبتها علوم التربية وعلم الاجتماع التربوي نظرا لطبيعة هذا الموضوع الذي يعتبر من المواضيع الحساسة ومن أهمها : المنهاج ، الأهداف التربوية ، التقويم المدرسي ، جماعة الرفاق ، التسرب المدرسي .

كما تطرق علماء الاجتماع العرب إلى عدة قضايا مختلفة وهامة ، منها قضايا تخص المرأة والطفل خاصة بعد التحولات المختلفة التي شهدها المجتمع .والقضايا الاقتصادية الهامة كظاهرة العولمة والنمو الديموغرافي ومشاكل اجتماعية متنوعة ، كالإدمان وتعاطي المخدرات ، الاغتصاب .....، ودليل ذلك التنوع الموجود في التخصصات على مستوى الجامعات . إن علم الاجتماع اليوم يحاول عرض و طرح مختلف القضايا التي يتخبط فيها المجتمع العربي لكن الهدف يبقى دائما حل هذه الأزمات وليس عرضها فقط .

خاتمة:

وفي الأخير نرجو أننا قد طرحنا موضوع يساهم ولو بالقليل في عملية البحث العلمي والسوسيولوجي . لقد شكلت القضايا والمشكلات الاجتماعية اهتمام العديد من علماء الاجتماع ، فكل واحد كانت له وجهة معينة في دراسة وطرح المواضيع والإشكاليات حسب طبيعة المجتمع الذي ينتمي إليه .

بإمكان الباحث أن يلاحظ أن المجتمع العربي راح ساعيا وباحثا على من يأخذ بيده ، إننا في عصر المعلومات والانترنت وعصر الصراعات الذي يستدعي من عالم الاجتماع أن يدرس القضايا الاجتماعية حتى يصل إلى الحلول والنتائج المبنية على خطوات علمية ثابتة .

إن المجتمع اليوم من خلال أفراده يجب أن يغير نفسه بنفسه وعليه أن يبدع من خلال النماذج الثقافية والمعيارية ومن خلال معارفه ، وبالتالي هو ليس إنتاجا وتكيفا بل يتعدى هذا المفهوم فهو إنتاج نفسه وهو أيضا يقوم بإنشاء وإقامة علاقاته مع محيطه من خلال نماذج معارفه الاجتماعية "[13]

و من الضروري على المجتمعات العربية أن تسعى إلى تغيير محيطها وشروط حياتها وأيضا واقعها ويجب أن تعرف ذاتها ويجب أن تتعلم المجتمعات وأن تعرف ذاتها اجتماعيا عندما تعرف أنها نتاج عملها وروابطها المختلفة .

كما يجب مناقشة كل البحوث والدراسات من الواقع المعاش والخروج بنتائج الغاية منها المساهمة الفعلية في عملية التنمية والبناء الاجتماعي . وليس الاكتفاء بالجانب النظري فقط أو دراسة المجتمعات الأخرى

إن خلق واقع اجتماعي وسياسي أو حتى اقتصادي هو فعل مرتبط بنا وبنشاطنا وإرادتنا الفعلية والأساسية في عملية التغيير وهذا بدوره يساهم وبشكل كبير في المساهمة في أعمال كثيرة ومهمة لان في النهاية هو تطوير المجتمع .

الهوامش:

---

[1]-عبد العالي دبلة ، **مدخل إلى ا لتحليل السوسيولوجي** ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، سنة 2011

[2] -حسين عبد الحميد رشوان ، **دور المتغيرات الاجتماعية في طب الأمراض** ، الإسكندرية ، الكتاب الجامعي الحديث ، سنة 1989، ص19

[3] ينكين ميتشال ،**معجم علم الاجتماع** ، ترجمة إحسان محمد حسن ،بيروت، دار الطليعة ،ط 2 ،1986،ص 228

[4]محمد الزغبي ،**علم الاجتماع العام و البلدان النامية** ، مطبعة خالد بن الوليد ، جامعة دمشق ، سوريا ، سنة1987 ، ص 62

[5]نفس المرجع ،ص 65.

[6]السيد احمد بدوي ،**مبادئ علم الاجتماع** ، الإسكندرية ، دار المعارف الجامعية ،1990 ص 09 .

[7]سيف الإسلام علي مطر ، **التغير الاجتماعي** ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، القاهرة 1988 ، ص08

[8]عبد الوهاب بوحدبية ، **لأفهم فصول عن المجتمع والدين** ، الدار التونسية للكتاب ، تونس ، سنة1992 ص 09

نخبة من الأساتذة المصرين والعرب المتخصصين ، **معجم العلوم الاجتماعية** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة 1975 [9]

[10] Bourdieu P , à-**propos de la famille comme catégorie réalise in ate de la recherche en science sociale,** décembre 1993,p33 .

[11] Durkheim ; E , **de la division du travail social** , paris , PUF , 1944

[12]تيري بروتون ، **البعد اللامرئي التحدي الزمني والإعلامي** ، ترجمة : نذير طيار ، المجلس الأعلى للغة العربية ، 2006، ص32.

[13] Alain Touraine **; production de la sociétés** , édition du seuil , paris , 1973

الانتفاضات العربية وأثر الاستقطابات

السياسية البحرين نموذجا

أ/ غمبازة جمال، جامعة تيارت

مقدمة:

إن النظام الديمقراطي هو اجتهاد بشري سياسي دنيوي لتقريب الحاكم إلى المحكوم، توصل إليه الفكر الإنساني عبر مراحل تاريخية وتضحيات جسام ومخاض عسير، انطلاقا من المجتمع الإغريقي ووصولا إلى تنظيم الحياة العامة والخروج من مرحلة حكم الغلبة والفوضى. كما يمر على مراحل ويحتوي على شروط ومعايير لابد من توفراها كحكم القانون وفصل السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، وشفافيتها وحكم الدستور، ومحاسبة الحكومة، والتحول الديمقراطي السلمي في إطار ما أصبح يعرف حاليا بالديمقراطية التوافقية، ونعني بهذا توفر إرادة سياسية حقيقية لدى الطبقة الحاكمة والمعارضة السياسية الفاعلة، وقد أخذنا دولة البحرين مثال على ذلك.

1-التاريخ السياسي للبحرين:

لقد عرفت البحرين عبر التاريخ عديد التحولات السياسية التاريخية والجغرافية وكذا الدينية، وجعلتها تتميز وتنفرد بخصوصيات سوسيو سياسية مفصلية عبر التاريخ منذ ما قبل ظهور الإسلام، كما أنها عرفت تأسيس كيانات سياسية مستقلة في شبه جزيرة العرب، واحتوائها عدة قبائل وفرق دينية مذهبية كان لها وقع في أحداث سياسية هامة، جعلت أهل البحرين، خصوصا النخبة الحاكمة تلعب دورا مؤثرا في رهانات الجغرافيا السياسية، رغم الهيمنة التي عرفتها المنطقة آنذاك بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية واقتسامها لمناطق النفوذ.

كما تملك موروثا سياسيا ثريا منذ عهد الجاهلية لغاية بروز فجر الإسلام في شبه جزيرة العرب على يد الرسول الأكرم محمد عليه الصلاة والسلام، ونجد من الباحثين ما يؤكد ذلك كهوية سياسية مستقلة لغاية عهود الخلافتين الأموية والعباسية ودور القرامطة السياسي النشط، لغاية الخلافة العثمانية والانتداب البريطاني الإمبراطوري لحفظ مصالحه الاستراتيجية بالمنطقة وأصبحت البحرين حلقة الوصل.

لقد دفعنا التحول الديمقراطي بأحد مؤشراته وهو الإصلاح الدستوري في البحرين للتفكير ثم

دراسة إحدى دول مجلس التعاون الخليجي الذي أنشأ عام 1981، بكل أبعاده الداخلية من خلال صانع القرار، وهي الطبقة الحاكمة، وقمت بربطه بأبعاد خارجية بدراستي لمشروع الشرق الأوسط الكبير، وما مدى تأثيره سواء الإيجابي أو السلبي في سيرورة الإصلاح السياسي البحريني.

من الناحية الجغرافية، البحرين مجموعة من الجزر في الخليج العربي، الكائن بين شبه جزيرة قطر وساحل المنطقة الشرقية (الإحساء) بالمملكة العربية السعودية، لا تزيد مساحتها جميعا على 575 كيلومترا مربعا، ويزيد عدد الجزر على أحد عشر جزيرة، أكبرها جزيرة البحرين التي أعطت أسمها للدولة كلها، والذي أخذته من اسم المنطقة كاملة، وكانت من قبل تعرف باسم جزيرة (أوال)[1].

وقد وجدنا أنه من الأجدر الانطلاق من إشكالية مركزية عامة تتمثل في:

هل مشروع الشرق الأوسط الكبير هو النموذج الملائم للإصلاح السياسي في البحرين ؟

طبعا الشرق الأوسط الكبير، هو مصطلح أطلقته إدارة الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش على منطقة واسعة تضم كامل البلدان العربية، إضافة إلى تركيا، إسرائيل، إيران، أفغانستان وباكستان أطلقت الإدارة الأمريكية المصطلح في إطار مشروع شامل يسعى إلى تشجيع الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، حسب تعبيرها، في المنطقة. أعلن عن نص المشروع في مارس 2004 بعد أن طرحته الإدارة الأمريكية على مجموعة الدول الصناعية الثماني". ونجد إشكاليات ثانوية تدعم الإشكالية المركزية وتتمثل فيما يلي:

الإصلاح السياسي الذي شرعت فيه البحرين هل هو مكمل أم بديل لمشروع الشرق الأوسط الكبير؟

- ما هي الجوانب التي مسها الإصلاح السياسي في البحرين؟

هل الإصلاح السياسي طبق عموديا كما أشيع من طرف الطبقة الحاكمة للبلاد بدون تمهيد لأرضية سياسية أهمها نشر الثقافة السياسية لدى القاعدة الجماهيرية، أم إصلاحا أفقيا ساهمت فيه المعارضة السياسية، لتشمل كل المجالات السياسية كالسلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية) والاقتصادية بالتنمية والأكثر انفتاحا، والاجتماعية كالتعليم والصحة والإعلام والمرأة وبناء تنمية بشرية كما جاء في وثيقة مشروع الشرق الأوسط الكبير؟

- كيف هو واقع الإصلاح السياسي في العهد الجديد ونعني منذ تولي الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة مقاليد الحكم في مارس 1999؟
- ما هي أفاق الإصلاح السياسي على الأقل على المدى القريب ؟

ونجد أن الإشكالية الرئيسية التي تتمحور على سبق الذي عرفته التجربة الإصلاحية بعد عام ألفين (2000) والانتقال الديمقراطي خاصة أن البحرين بالإضافة إلى الكويت هما الدولتين اللتان عرفتا وما تزال تعرفان انتقالا ديمقراطيا، رغم فترات عرفت بتراجع المسار الديمقراطي والإصلاح لعوامل داخلية وأخرى خارجية كابحة.

كما أن الإشكاليات الثانوية ركزت على أن الإصلاح السياسي الذي شرعت فيه البحرين منذ تغير القيادة السياسية للبلاد، وذلك بعد وفاة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة في مارس (1999)، والجدير بالذكر أن البلاد عرفت في عهده تجربة ديمقراطية (1973- 1975) ثم بما يشمله من انفراج سياسي أتى به الشيخ حمد بن عيسى أل خليفة، والذي كان غرضه نزع فتيل الاحتقان و الاستقطاب السياسي الكبير الذي عرفته البلاد بالأخص في أواسط التسعينات من القرن الماضي وبالتالي لم تنتظر القيادة البحرينية مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي أعلن عام (2004)، ولكن بمعنى أخر هل هو مكمل لها؟

كذالك عند التطرق إلى الجوانب التي مسها الإصلاح السياسي، ونقصد بذلك هل الإصلاحات مست الجانب السياسي فقط لامتصاص و ربح الوقت ثم تمييع تلك التطلعات الديمقراطية المشروعة للشعب والنخب البحرينية؟ أم أنه إصلاحا سياسيا حقيقيا عالج كل الميادين بتوازن؟ كذلك ما هو واقع الإصلاح السياسي بعد سنوات قليلة من الشروع فيه؟

يليها المستقبل الذي سيستشرف الإصلاح السياسي في البحرين على الأقل على المدى القريب؟ خاصة أن الاستشراف على المديين المتوسط والبعيد في الشرق الأوسط يعتبر مجازفة سواء لدى عديد من علماء المستقبليات أو صانعي القرار لأنها تصنف كأكبر منطقة صراعات وقلاقل في العالم سواء بالنسبة إلى طبقة الحاكمة في البلاد أو الحسابات الجيوسياسية للولايات المتحدة و إستراتيجيتها في المنطقة إضافة إلى اللاعبين الإقليميين اللذين أثرا على البحرين خارجيا وداخليا وهي المملكة العربية السعودية وإيران.

وبسبب مرور هذا الطريق بالبحرين كميناء ومحطة تجارية، أصبحت مع الزمن أكثر انفتاحا على العالم، ثم ازدادت مكانتها مع اكتشاف النفط في ثلاثينيات القرن العشرين، وتحول البلاد إلى مخزون نفطي ولو نسبي مقارنة ببلدان الخليج العربي الأخرى، واعتماد اقتصادها على النفط بشكل كبير[2]

وقد لعبت الطبقات الوسطى من التجار والمتعلمين وأهل الحل والعقد بالأخص لدى الشيعة والنقابات منذ العشرينات دورا هاما في المطالبة بالإصلاح السياسي، موجهة العديد من العرائض للأسرة

الحاكمة من آل خليفة التي عرفت صراعات داخلية مزمنة، بسبب تأرجحها بين الولاء للانتداب البريطاني أو الوصول إلى قيادة الأسرة الحاكمة لأكبر القبائل سواء سنية أو شيعية، وتأثير إيران السياسي فضلا عن المذهبي منذ عهد الشاه 1941-1979، خصوصا بعد انتصار الثورة الإيرانية 1979، ومحاولات النظام الإيراني تصدير الثورة الإسلامية، على الرغم من أن البحرين تضم ديمغرافيا بين 55 إلى 70 % من البحرينيين العرب ولاؤهم للوطن البحرين وعروبيين، أما دينيا فهم مسلمون شيعة هذا من جهة، ومن جهة أخرى التدخل السعودي في الشؤون الداخلية البحرينية منذ استقلال الإمارة في 1971/08/14 بحجة منع تغلغل النفوذ الإيراني وتهديد سلطة أل خليفة السنية.

وحينما أعلن مجلس الأمن قراره بتقرير مصير البحرين في 11 أيار سنة 1970 وأرسلت لجنة لتقصي الحقائق، التي خرجت بنتيجة هي تأكيد عروبة البحرين، وقد عمدت إيران إلى التقارب مع البحرين، حيث أرسلت وفد للتهنئة بمناسبة صدور القرار، وذلك برئاسة وكيل وزارة الخارجية الإيرانية بتاريخ 23 مايو سنة 1970، كما قام رئيس مجلس الدولة البحريني الشيخ خليفة بن سلمان بأول زيارة رسمية لمسؤول بحريني إلى إيران منذ أكثر من مئة عام، هذا وقد زار حاكم البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة في 18 ديسمبر 1970 إيران، وفي سنة 1975 زار "عباس هويدا" رئيس الوزراء الإيراني البحرين[3].

2- العوامل الداخلية والخارجية ودورها في عملية التحول الديمقراطي البحريني:

واستكمالا للتطرق للإصلاحات السياسية التي شرعت فيها البحرين في العهد الجديد يجد الباحث "برنار الغول Bernard EL GHOUL" أنه في إطار المسيرة نحو تأسيس ملكية دستورية (التي تقوم مقام الملكية المطلقة) عن طريق الميثاق الوطني الذي كان نتاج استفتاء فبراير2001، حيث أصبح الشيخ حمد بن عيسى ملكا في 14 فبراير 2001، و أعلن عن إجراء انتخابات بلدية نظمت يومي 9 و 15 مايو 2002، وعرفت انتصارا ساحقا للمرشحين الاسلامين المحافظين.

أما بالنسبة للتشريعية، التي كانت مقررة في 24 أكتوبر 2002 [4]فقد عرفت حسب الباحث مقاطعتها من طرف أربع جمعيات سياسية معارضة -بالأخص الوفاق، أهم جمعية شيعية في البلاد-الأمر الذي سمح بفوز السنيين (أقلية) بنسبة مشاركة 50 % التي بينت غياب الدعم للسياسة الملكية[5].

يواصل الباحث بأنه في إطار استكمال الانتقال نحو ملكية دستورية، تم تقوية سلطة البرلمان (تقديم المعارضة مشروع قانون لإقالة الحكومة في فبراير 2003)، أما فيما يخص وضعية النساء قد عرفت عدة مبادرات (تظاهرات تطالب تشريع قانون جديد للحالة المدنية وإصلاح النظام القضائي

المؤسس على الشريعة – التشريع الإسلامي- في جوان 2003، وكذلك بالنسبة للدفاع عن حقوق الإنسان (عارضة ممضاة من طرف 33000 بحرينيا لإلغاء قانون العفو حول التعذيب).

إن الإصلاحات الطموحة والتي تخفي صراعات سياسية بين التيارات الإصلاحية (الملك الشيخ حمد ونجله، ولي العهد) والمحافظين (الشيخ خليفة، الوزير الأول) داخل الحكومة قد تصاعدت عند إطلاق الملك سراح مدير مركز البحرين لحقوق الإنسان وثلاثة عشر مناضلا في 22 نوفمبر 2004[7]

كما أنّ مجهودات الإصلاح السياسي في البلاد عرفت خطوات مهمة حيث تؤكد الباحثة فتيحة دازي هنيFatiha DAZI HENI أنه منذ اعتلاء الأمير الشيخ حمد بن عيسى آل الخليفة قيادة دولة البحرين، لم يتوانى عن التطلع إلى الحداثة مع تقوية المؤسسة الملكية[8].

أصبح الإصلاح السياسي في الخليج خلال الألفية الثالثة يواجه تحديا ديمقراطيا ومطالب شعبية دائمة بعدما استنفذ سنوات الاستبداد والشمولية، وذلك حسب تقارير المنظمات الدولية، أهمها تقرير التنمية الإنسانية العربي لعامي 2002 و 2003 من طرف باحثين أكاديميين عرب، وهو ما شكل الأسس العلمية والإيديولوجية لمشروع الشرق الأوسط الكبير لعام 2004 والذي استندت إليه الإدارة الأمريكية السابقة بقيادة الرئيس " جورج ولكر بوش) في الضغط على الحكومات العربية، ولكن ليس بنفس الدرجة، أي بالتهديد المبطن لدول كمصر وسوريا والسعودية و منح شهادة حسن السيرة والسلوك لدول كالأردن، والبحرين (موضوع دراستنا) وكذا الجزائر والمغرب واليمن التي قامت بإصلاح سياسي رغم نسبته المتدنية، والعوائق التي تعترضه.

تشهد مملكة البحرين تحركات كبيرة في الشارع وزياد سقف مطالب المعارضة التي تلح على ضرورة الدفع بالإصلاحات السياسية والديمقراطية، وتتمثل هذه المعارضة في :- جمعية الوفاق الوطني الإسلامية – جمعية العمل الإسلامية- جمعية العمل الديمقراطية الوطني – جمعية التحكم القومي الديمقراطي[9].

كذلك وجدنا انه من العوائق السيادية للتحول الديمقراطي والذي ساهم ولو ثانويا هو التواجد العسكري الأمريكي، حيث يؤكد الباحث اللواء ياسين سويد على ذلك بقوله: " بدأت العلاقات العسكرية الأمريكية البحرينية منذ أن تخلت بريطانيا عن هذا القطر، ففي 31 ديسمبر عام 1971 تم توقيع اتفاقية أجرت بموجبها مساحات شاسعة (30 كم) للولايات المتحدة الأمريكية في البحرين لخدمة قواتها في الخليج، إلا أن البحرين ألغت هذه الاتفاقية رسميا في 20 تشرين الأول أكتوبر عام 1973 بسبب التوتر الذي جرى في المنطقة أثناء حرب تشرين الأول أكتوبر، وعلى رغم أن هذا الإلغاء لم يؤد

مفاعيله في الواقع، فقد أعادت البحرين العمل بالاتفاقية في تموز يوليو عام 1975، واستمر الأمر حتى 30 حزيران يونيو عام 1977، حيث استبدلت هذه الاتفاقية باتفاقية أخرى وقعت في التاريخ نفسه 30 حزيران / يونيو 1977 "[10]

وفي ما يخص الاضطرابات التي قامت في البحرين بمظاهرات شعبية انطلاقا من الأحياء الفقيرة للبحرينيين، فيقول رياض نجيب الريس ما يلي "إن اضطرابات البحرين التي بدأت في خريف 1994، لم تكن أزمة بحرينية بالمعنى المحلي المجرد، بقدر ما كانت مكانا لأحداث مسرحها البحرين، ولكنها موجهة ضد السعودية بالدرجة الأول، فالبحرين مجتمع مسلم ومتآلف منذ القدم، وآل خليفة، والأسرة الحاكمة، غير مختلف عليها بين البحرينيين، سنة وشيعة فهم منذ أن جاؤوا إلى البحرين من الزيارة في جنوب شبه جزيرة قطر في العام 1783 أي حوالي 222 سنة مراعون لأوضاع البحرين الخاصة .

ولكن الجديد الذي حدث في البحرين، أن السعودية بعد استقلال البحرين في العام 1971، أخذت تعامل تلك الجزيرة (قبل بناء الجسر مع السعودية في العام 1987) كأنها جزء من إقطاعها في المنطقة الشرقية، ولما قامت الثورة الإيرانية في 11 شباط العام 1979، خافت السعودية من المد الإسلامي الشيعي، وأخذت تضغط على النظام في البحرين التي تشكل الشيعة نسبة كبيرة من سكانها، البالغ عددهم حوالي 350 ألف نسمة لعزلهم عن مسار الحياة السياسية والاقتصادية في البلاد، وعدم إشراكهم في وظائف الدولة خوفا من تعاطفهم مع إيران.

وحول سجال الديمقراطية يواصل الكاتب فيقول " فالشيعة في البحرين شاركوا في كل الحركات الوطنية عبر التاريخ، ووقفوا مع عروبة البحرين وحكم آل خليفة في الاستفتاء الذي أجرته الأمم المتحدة في آذار 1970 لتقصي الحقائق عن وضع البحرين ورغبة شعبها في الحفاظ على عروبته، وكان هذا الاستفتاء الخطوة العملية التي حدت من المطامع الإيرانية أيام الشاه التي كانت قد خيمت فوق البحرين خطر نصف قرن. "

كان قد سبق لشيعة البحرين أن شاركوا في كل الحركات الوطنية خلال فترة الاستعمار البريطاني، وكانوا في طليعة الوطنيين الذين جرى نفيهم إلى جزيرة "سانت هيلانا " في الخمسينيات عندما تصدوا لحلف بغداد وتظاهروا ضد زيارة سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا الأسبق للبحرين في العام (1956).

وعند تأكيده بدور الجانب الاقتصادي و بالأخص المالي و هو عصب الحرب، فيصرح البحرينيون أنه لو كان عندهم المال لكان عندهم الديمقراطية ويضربون مثلا في المقارنة بينهم وبين الكويت

التي لولا المال الذي تملكه لما توافرت لها الديمقراطية التي تمارسها[11].

وعند الحديث عن الأمور السياسية الإجرائية يؤكد الباحث ما يلي: تعد البحرين واحدة من أبرز دول الخليج نشاطا سياسيا منذ فترة طويلة، حيث يزخر تاريخ البحرين الحديث بنشاط سياسي معارض ملحوظ منذ فترة ما قبل الاستقلال عام 1971، وقد أدت هذه الخلفية السياسية المعارضة إلى خلق أرضية ملائمة للبدء في إحداث انفتاح سياسي بعد الاستقلال مباشرة خلافا لدول الخليج الأخرى التي استقلت في الوقت نفسه، فكان أن صدر الدستور البحريني في كانون الأول ديسمبر 1971، تم بموجبه إجراء انتخابات للمجلس الوطني البحريني (30 عضوا بالانتخاب و 14 عضوا بالتعيين)، إلا أنه يبدو أن بنية سلطة البحرين لم تكن قادرة على استيعاب هذه التجربة، فكان أن تم حل المجلس الوطني بعد أقل من سنتين من عام 1975 عندما بدأت تلوح بالأفق حقبة جديدة تتسم بقدر عال من الانفتاح السياسي[12].

وتؤكد الباحثة الفرنسية لورنس لويار Laurence LOUER أن صعود الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة على رأس الدولة بعد وفاة أبيه الأمير عيسى بن سلمان آل الخليفة في مارس1999 يمثل تحولا، إذ كان عليه تسيير مخلفات الأزمة السياسية المستمرة منذ أن قام والده بحل البرلمان عام 1975. كما أن المرحلة اتسمت بين الحين و الأخر بمحاولة انقلاب عسكري 1981 وأربع سنوات بوضعية اضطرابات 1994 -1998، حيث أن قوة الأمن لم تنجح في إخماد الانتفاضة إلا بعد قمع كبير، ما وضع البحرين على القائمة السوداء لمنظمات الدفاع عن حقوق الانسان[13].

وحول خصوصيات النخبة البحرينية يؤكد الباحث، محمد بن صنيتان أن آليات تجنيد النخبة السياسية هي:

أ. الوراثة

ب. التعيين

ج. الانتخاب

أما السمات العامة للنخب السياسية فهي:

أ. الطابع العائلي، أي الانتماء إلى الأسرة الحاكمة، ورغم انفتاح النخبة على أعضاء جدد إلا أن الطابع العائلي ما زال الأقوى.

ب. الانقسام الطائفي حيث تتوزع النخبة بين الشيعة والسنة.

ج. التنوع المهني مع توافق للتجار و رجال الأعمال.

د. التعليم و الثقافة، حيث تطعم النخبة من أولئك الحاصلين على مؤهلات عالية من خارج البحرين[14].

أما فيما يخص الشكوك التي تحوم حول تطبيق مشروع الشرق الأوسط الكبير يؤكد الباحث فريديريك شاريون Fréderic CHEARILLON أن مشروع "الشرق الأوسط الكبير" جاء بعد التواجد الأمريكي بالعراق، حيث صرح الرئيس الأمريكي الأسبق جورج ولكر بوش عند إعلانه للمشروع بالوصول إلى ثلاث رهانات جريئة أولها فهم التركيبة المعقدة سياسيا، اجتماعيا وثقافيا للمنطقة، وجدوى فرضها من الخارج وثانيا تمثل هذا البناء للمنطقة بعد 30 سنة من فشل حرب فيتنام لأجل بناء دولة (العراق) رغم أنها واجهت معارضة من طرف الرأي العام الدولي وميدانيا من الدولة المعنية، إذن الرهان أن أمريكا تريد إعادة تشكيل العالم[15] .

ويؤكد الباحثين بيار هاسنارPierre HASSNER وجستون فايس Justin VAISSE، أن ملف الشرق الأوسط ينظر إليه الآن بطريقة شاملة وأن النقاش قد تطور نحو الإشكاليات التي تتعلق بالتطور التاريخي للعالم الإسلامي و إعادة النظر بطريقة جذرية حول الهجمة الأمريكية في المنطقة[16] .

وعندما تقوم الإدارة الأمريكية بإعلان مشروعها المسمى "الشرق الأوسط الكبير" وعند خطابه حول حالة الاتحاد في العشرين يناير 2004 صرح الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش: " مادام الشرق الأدنى باقيا مسرحا للطغيان، واليأس، الغضب، سيستمر في إنتاج الرجال والحركات التي تهدد أمن أمريكا وأصدقائنا. أمريكا تتبع إذن إستراتيجية الحرية للشرق الأدنى، وسنقوم بتحدي أعداء الإصلاح"[17].

ونجد بتحليل معمق لنظرة كل الإدارات الأمريكية للأنظمة العربية الرسمية وبكل واقعية ينقل إلينا الباحث العربي فواز جرجس المقيم بالولايات المتحدة بأن الرئاسة تتحرك بحذر شديد عندما يتعلق الأمر بتلك المنطقة، لأن الكونغرس يراقب كل بيانات السلطة التنفيذية وتصرفاتها وأعمالها، ويعترض على صلاحيات الرئيس في السياسة الخارجية.

إن هذه الحقيقة يمكن تفسيرها بالنفوذ الذي تمارسه جماعات المصالح المؤيدة لإسرائيل والتي أصبحت قادرة على أن تغير رأي الكونغرس في كل قضية سياسية تتعلق بإسرائيل واهتماماتها المباشرة.

إن سلطة الرئيس في ما يتعلق بالمنطقة العربية مقيدة في الوقت الحاضر، فقد تم تأسيس تحالف غير

رسمي بين الكونغرس واللوبي المؤيد لإسرائيل الذي يضع حدودا على ما يمكن أو لا يمكن للرئيس القيام به. وفي الحقيقة فقد قيل أن قدرة اللوبي الصهيوني المؤيد لإسرائيل على التأثير في سياسة واشنطن في المنطقة العربية مرتبطة بشكل وثيق بجهوده الناجحة في تشكيل الرأي العام الأمريكي وخصوصا جمهور المثقفين.

ثم يواصل قوله بأنه من بين كل الأسباب التي أدت إلى إخفاق العرب في الحصول على موقع منصف ومحترم في الولايات المتحدة، يبرز سبب واحدا هو الأهم، متمثلا في انقسام البلدان العربية وتمزقها بشدة، فنادرا ما تمكن الوطن العربي من إقامة جبهة موحدة، ناهيك عن العمل بها، إذ دعا الحكام العرب مرارا وتكرارا القوى الأجنبية ومن ضمنها أمريكا لمساعدتهم بالتدخل عسكريا وسياسيا في القضايا العربية المشتركة. فباستثناء تحدي " القومية العربية" التي قادها جمال عبد الناصر والمقاطعة النفطية العربية، فإن الولايات المتحدة لم تواجه أبدا أية جبهة عربية حقيقية موحدة ومنظمة .

ويؤكد باحثين عرب آخرين عن العوامل الخارجية وتداخلها مع العوامل الداخلية وتكريسها للحلقة المفرغة، حيث يقول نصر محمد عارف، أنه هنا تمكن خطورة جدلية الداخلية والخارجية في استمرار الاستبداد وإعادة إنتاجه وتأصيله في الواقع العربي وعدم القدر ة على التخلص منه، فالمثقف العربي المعاصر غالبا ما يكون حاملا لخبرة أجنبية مضيفا إليها مصلحته الشخصية أو انتماءه الإيديولوجي أو حاملا لانتماء إيديولوجي معاكس للسابق، وفي كلتا الحالتين فإن مفردات هذه الأجندة واحدة من حيث الجوهر المعرفي وإن اختلفت المواقف.

ومن هنا ظهرت الدعوة للإصلاح السياسي الذي هو ضرورة ولزومية تاريخية في ظل جو ثقافي سياسي يحول هذه العملية النبيلة، التي يجب أن تكون لدى النظم السياسية الإصلاحية والمجتمعات الحية، ويوصم من يتبناها بأنه يعبر عن مصالح أجنبية في أحسن الأحوال وانتهازي يستغل الضغوط الدولية لتحقيق أهداف معينة سواء حزبية أو طائفية أو عرقية[19].

وحول إرادة الإدارة الأمريكية في فرض الإصلاح السياسي و الديمقراطية بالقوة العسكرية، قام الرئيس الأمريكي الأسبق جورج ولكر بوش بتفويض صقور البيت الأبيض وهم المحافظين الجدد بأهم مراكز صنع القرار. وفي هذا الإطار يؤكد الباحث اللبناني غسان سلامة على انحراف هؤلاء المحافظين، الذين يتغذون من إيديولوجيين توسعيين، ومؤ طرين من طرف القديس (نائب الرئيس ديك تشيني) ومساعد رئيسي (نائب كاتب الدولة للدفاع بول ولفوفتز:" تشيني"، راميسفيلد (كاتب الدولة للدفاع)، الذين يشكلون فرقة حقيقة يشير جايم فالوس[20] .

يمثل الإصلاح السياسي إحدى قضايا الساعة والتي ما فتئت الشعوب ونخبها السياسية المعارضة

والحاكمة داخليا والمجتمع الدولي تشجع وتدفع إلى دمقرطة الأنظمة من جهة، وتفرض عقوبات على الدول الشمولية التي مازالت ترتكب الفظاعات في حق شعوبها من جهة أخرى، وذلك حسب تقرير التنمية الإنسانية العربية لعامي 2002 و 2003 الذي جاء بعد جهد ومثابرة وتمحيص شامل لأوضاع العالم العربي من قبل العديد من الباحثين والخبراء الأكاديميين العرب بالتنسيق مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، حيث اعتبر هذا الأخير قاعدة للمشروع الأمريكي المتمثل في وثيقة الشرق الأوسط الكبير لعام 2004، الذي عرض خلال القمة العربية المنعقدة بتونس في مارس 2004، واجتماع مجموعة الثمانية الكبار في سي أيسلندا في جويلية من نفس السنة، ثم جاء نص المشروع الفرنسي – الألماني من أجل المستقبل المشترك مع الشرق الأوسط لإدخال نقطة هامة وهي احترام الخصوصيات الداخلية، والتأكيد على أن الإصلاح السياسي لا يمكن أن يأتي إلا من الداخل. وقد ردت عليه الدول العربية بوثيقة الإسكندرية وفي توصيات القمم العربية.

على الرغم من كل ذلك فإن غالبية الأنظمة العربية لم تقم إلا ببعض الإصلاحات السياسية السطحية التي لا تأخذ بمطامح وأمال الشعوب العربية، ولكنها بالمقابل قدمت تنازلات كبيرة وخطيرة للإدارة الأمريكية فيما يعرف بالحرب العالمية ضد الإرهاب، التي مست بسيادتها وما تبقى لها من اتخاذ القرار، وأكبر مثال على ذلك السيناريو العراقي المخيف لعديد من الأنظمة العربية إقليميا و دوليا من جهة، وتحديات اقتصادية وتدهور الأوضاع الاجتماعية وبالتالي مخاوف الانزلاق نحو حروب أهلية داخلية من جهة أخرى، الأمر الذي أدى ببعضها إلى إتباع أسلوب القمع ضد المعارضة كالعادة، وبالبعض الأخر إلى القيام بالالتفاف السياسي الصوري المضلل، والمراوغة حول الإصلاح السياسي بتمييعه، وفئة ثالثة من الدول العربية انتبهت أخيرا إلى أن صداقة الولايات المتحدة الأمريكية لها لا تحميها من مطالب شعبية أصبحت على حافة الانفجار.

كذلك نجد أن النظام الديمقراطي رغم تعرضه للكثير من الانتقادات والاعتراضات داخليا وخارجيا مازال يمثل لحد الآن -إلى أن يظهر النظام السياسي البديل- الخيار الوحيد للشعوب، إذ أن الديمقراطية تكون علاجا لعديد المآسي و التخلف و الاستبداد.

وعند الحديث عن الدول العربية ودول مجلس التعاون الخليجي وبالأخص مملكة البحرين التي حاولنا من خلالها إعطاء الأسباب الموضوعية والذاتية التي دفعتها إلى تبني إصلاح سياسي منذ بداية الإرهاصات الأولية بتكوين قاعدة ناضجة سياسيا وواعية ديمقراطيا ومتمكنة حضاريا ومتأهبة نفسيا لخوض غمار إصلاح شامل و مترابط. أما اقتصاديا فيتم ذلك بتبني اقتصاد السوق الاجتماعي.

ورغم اختلافها فإن هناك مبادئ وممارسات محددة تميز الحكومات الديمقراطية عن غيرها من نظم الحكم، فالحكومة الديمقراطية هي تلك التي تمارس فيها السلطة والمسؤوليات السياسية بواسطة كل المواطنين بصورة مباشرة (الدول صغيرة المساحة) أو عبر ممثلين عنها يتم انتخابهم بحرية، كذلك الديمقراطية هي مجموعة من المبادئ و الممارسات التي تحمي حرية الإنسان من الشمولية، و تقوم على أساس حكم الأغلبية المقرون بحقوق الفرد والأقليات والطوائف، كما تلعب دور الحارس الذي يحول دون تحول نظام الحكم إلى حكومة مركزية تمتلك كل السلطة، على عكس النظام الملكي الدستوري الذي صوت عليه الشعب البحريني من خلال وثيقة الميثاق الوطني.

وقد انتهى مشروع الشرق الأوسط الكبير بتراجع الإدارة الأمريكية في تطبيقه بعد ما حدث في العراق، والسجل التاريخي غير المشرف للولايات المتحدة الأمريكية في دعمها عبر عقود طويلة لغالبية الأنظمة العربية الاستبدادية. هذه التجربة أوضحت جليا أنه لابد من القيام بإصلاح سياسي ديمقراطي اقتصادي ثقافي واجتماعي شامل لا ينبع إلى من الداخل، بدون ضغط خارجي وبطرق سلمية حضارية مشروعة، ولكن بالتدرج (على المديين المتوسط والبعيد)، ولن يتأتى هذا إلا من خلال إرادة سياسية حقيقية من طرف النخبة السياسية الحاكمة.

3- الانتفاضات العربية ودورها في المشهد السياسي البحرين:

أما عن ماحدث في بعض الأنظمة العربية منذ ديسمبر 2010، سواء من تغيير رؤوس الأنظمة في تونس، مصر، اليمن، ليبيا، وحرب أهلية في سوريا، وإصلاحات دستورية في المغرب والجزائر، باستثناء قطر و الإمارات العربية المتحدة، فقد تم تقديم عرائض و بمظاهرات احتجاجية في بعض دول الخليج وهي المملكة العربية السعودية والكويت، سلطنة عمان، أما في البحرين فقد عرفت احتجاجات و مسيرات سلمية.

وبقي ألوف المواطنين، طوال الأسابيع الثلاثة التالية، يتجمعون في دوار اللؤلؤة و يجوبون الشوارع في تظاهرات صاخبة. وفي هذا الجو المرتبك، ارتكب المحتجون في الدوار، ومعهم الجمعيات السياسية الراكضة تلهث من ورائهم، ما يمكن اعتباره أخطاء و خطايا، كان من أهمها:

- جنوح بعض الخطابات اليومية في الدوار نحو التجريح المبتذل لبعض شخصيات الحكم الكبيرة.

- ارتفاع سقف المطالب إلى حدود غير معقولة، من مثل مطلب إسقاط النظام، أي إسقاط العائلة الحاكمة، و ذلك بالرغم من أن هذا المطلب سيعني نسفا لمحطات تاريخية أساسية في تاريخ ما بعد

الاستقلال البحريني، و نسفا لمواثيق مجتمعية دستورية بين المجتمع و العائلة الحاكمة، من مثل الاستفتاء الذي قامت به الأمم المتحدة في بداية السبعينيات، و أكد عروبة البحرين، و ارتضاء غالبية كبيرة بحكم آل خليفة، و من مثل دستور البحرين عام 1973 أو عام 2002، و ميثاق العمل الوطني عام 2000، حيث نص على أن الحكم وراثي في عائلة آل خليفة.

- قيام البعض، وهنا الطامة الكبرى، بطرح شعار المطالبة باستبدال الحكم الملكي الحالي بنظام جمهوري، فكان ذلك صداما مباشرا مع الحكم، واجتيازا لخط أحمر يهيئ للعنف.

- إغلاق شارع يمتد من دوار اللؤلؤة إلى مرفأ البحرين المالي، وهو شارع بالغ الأهمية لأنه يمثل المدخل الرئيسي للمنطقة التجارية في وسط العاصمة. هنا انتقلت حرية التعبير إلى حرية الفعل التي لا يمكن إلا أن تؤدي إلى الاعتداء على مصالح الغير وحقوقهم. وهذا ما حدث، إذ بدأ تجار البحرين بالشكوى العلنية ضد ما اعتبروه تهديدا لمصالحهم وأرزاقهم.

- وصول الفعل العبثي إلى قمته بأخذ قرار التظاهر في منطقة الرفاع، أمام قصر الملك، بالرغم من التحذيرات التي أطلقها الكثيرون من أن ذلك الفعل هو عبث جنوني لا مكان له، ذهب بعض المتظاهرين إلى الرفاع، وحدثت صدامات مروعة مع أهالي الرفاع ومع قوى الأمن.

- اقتناع كثيرين من قادة السنة بأن ما يجري يتخطاهم، بل قد يكون ضد مصالحهم، وبالتالي تجمع عشرات الألوف أمام جامع الفاتح للتشديد على أن للشارع السني مطالبه ومواقفه السياسية الخاصة به[21].

كما أن من أسباب تأثر البحرين بالمد الثوري كان اكبر كثيرا من تأثر غيرها، و ذلك لأسباب عدة، أهمها:

1- وجود إشكالات وقضايا دستورية وقانونية ومعيشية عالقة؛ فهناك ملفات كثيرة، من مثل:

- ملف الخلاف حول شرعية دستور 2002، المنحة، مقارنة بدستور 1973 العقدي؛

- ملف قانون الانتخابات الذي تراه المعارضة منحازا ضد تمثيل أكثر عدلا للناخبين الشيعة؛

- ملف سلطات المجلس التشريعي المنتخب، و استقلاليته، وعلاقته بمجلس الشورى المعين؛

-ملف ما تسميه المعارضة"التجنيس السياسي"؛

– ملف ملكية ومضاربات الأراضي البحرية المدفونة ذات الأحجام الكبرى، وتأثيره السلبي في السياسة الإسكانية، وذلك بوجود قوائم طويلة بأسماء من ينتظرون الحصول على مسكن، وهم من ذوي الدخل المحدود، علما بأن فترة الانتظار قد تمتد عشرين عاما من أجل الحصول على بيت متواضع أو على قرض محدود؛

– ملف الفساد المالي والإداري.

كل هذه الملفات، وغيرها الكثير، كانت تحتاج إلى حوار بشأنها، والتوصل إلى حلول معقولة، لكنها ما تزال معلقة منذ أعوام طويلة، بانتظار طرحها في فترات الهياج السياسي.

2- وجود جمعيات سياسية نشيطة وعلنية، وذات أعضاء في البرلمان وأنشطة مجتمعية وإعلامية كبيرة، و وجود نقابات تاريخية منظمة ومرتبط بعضها بالجمعيات السياسية، إضافة إلى وجود مؤسسات مجتمع مدني مهنية وحقوقية ونسائية شديدة التنوع والارتباط بالسياسة.

3- وجود شارع مجيش سياسيا منذ خمسينيات القرن الماضي، وقابل للحراك السياسي الجماهيري الواسع و الملتزم.

4- صادف يوم 14 شباط/فبراير 2011 ذكرى مرور عشرة أعوام على العمل بالميثاق الوطني، ووجود توجه لدى الملك والقوى السياسية لتقييم تجربة ديمقراطية ما بعد الميثاق، ولفتح حوار مجتمعي بشأن تطوير تلك التجربة إلى مستويات ديمقراطية أعلى. ولما جاءت مناسبة 14 شباط/ فبراير البحرينية في قلب الأحداث العربية الكبرى، كان طبيعيا أن تتأثر بأطروحاتها وأهدافها ووسائلها واعتمادها الكبير على وسائل التواصل الاجتماعي، وعلى قيامها في الأساس على أكتاف الشباب غير المنتظم في أحزاب سياسية، مثلهم مثل زملائهم الشباب في مصر، تونس، اليمن وغيرها.

5- من الممكن إضافة عاملين آخرين، وهما: أولا إجراء الملك اتصالات ببعض القيادات السياسية، و تأكيده لها أنه شخصيا يفكر في إجراء مراجعة تقييمية لتجربة ما بعد الميثاق الديمقراطية؛ ثانيا، وجود أكثر من 300 معتقل ينتظرون المحاكمة منذ بضعة شهور، وينتمون أساسا إلى جمعيتين انشقتا عن الوفاق، الجمعية الأم، ورفضتا الاندماج في الحياة البرلمانية، وأمنتا بضرورة تجييش الشارع في كثير من المناسبات.

خلاصة:

نجد من خلال تحليلنا للتحول الديمقراطي الذي عرفته مملكة البحرين أنه نتاج تراكمات تاريخية، سياسية، و مجتمعية في آن واحد منذ عشرينيات القرن الواحد و العشرين من تاريخ دولة البحرين المعاصرة، مرورا بفترات تاريخية طويلة منذ ما قبل الإسلام لغاية تأسيس آل خليفة في الزيارة العام لسلطة الحكم، وكانت الإرهاصات الأولى نتيجة الإرادة السياسية لبعض حكام و أمراء آل خليفة الإصلاحيين من جهة، و بالتنسيق مع الحركات الاحتجاجية و بالأخص النقابات العمالية و الدور الفاعل الذي لعبته بعض الأسر التجارية و مازالت كمجتمع مدني مؤثر سياسيا، و تلعب دورا ملحوظا كجماعات ضاغطة اقتصاديا من جهة أخرى، كما أن تجربة التحول الديمقراطي (1973-1975) بعد حصول البلاد على استقلالها عن الانتداب البريطاني العام 1971، و التي تم إجهاضها من طرف بعض القوى السياسية داخليا سواء بمطالب سياسية مبالغ فيها و متطرفة بسبب ضعف و عدم نضج الثقافة السياسية بروافدها الثقافة الديمقراطية، ثقافة الدولة، و ثقافة المواطنة زيادة عن عديد المعايير الديمقراطية، وخارجيا من بعض القوى الإقليمية التي تحاول دائما الهيمنة على المشهد السياسي البحريني، مما دفع بعض النشطاء الحقوقيين والحركات السياسية بين أعوام (1975-1999) بعد حل البرلمان و تجميد العمل بالدستور إلى النضال السلمي من أجل العودة إلى استكمال مسار التحول الديمقراطي، ولكن تخللته في بعض السنوات (1994-1998) جنوح بعض القوى السياسية وبتحريض من بعض الدول والمنظمات و الإعلام في الخارج بتوجيه التنافس السياسي الداخلي السلمي بتأجيج صراع طائفي بغيض، ورد الفعل - وهو منطق الدولة- الأمني من أجل الحفاظ على الأمن العام، ورفض الحوا مع من يتبنى العنف السياسي للوصول للسلطة، إلا أن الانفراج السياسي في العهد الجديد مع اعتلاء الأمير حمد بن عيسى آل خليفة سدة الحكم في مارس 1999، و قيامه بإجراءات التهدئة السياسية لنزع فتيل الاحتقان السياسي سواء الإفراج و العفو عن سجناء الرأي في الداخل و الخارج ووثيقة الميثاق الوطني، و الذي مهد إلى صياغة ثم التصويت على دستور توافقي، و تنظيم انتخابات دورية و شفافة وإعطاء المرأة كافة الحقوق منها المشاركة السياسية، والدفع أكثر في التنمية الاقتصادية و ذالك بالتخلي التدريجي من الريع البترولي و هذا ما جعل مملكة البحرين تصنف في المراتب الأولى عربيا و خليجيا و دوليا في ترتيب التنمية البشرية وسلم و تقارير التنمية الإنسانية العربية منذ العام 2002 بالتنسيق مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وهي إجراءات و قرارات كانت تابعة من إرادة سياسية للنخب الحاكمة ومساهمة القوى السياسية و المجتمعية الإصلاحية، ثم جاء مشروع الشرق الأوسط الكبير العام 2004 من طرف الإدارة الأمريكية للرئيس جورج والكر بوش الابن- الذي دعم الإصلاحات الشاملة في البحرين- للدفع نحو التحول الديمقراطي لبعض الأنظمة الديكتاتورية و لكنه فشل لأنه جاء بطريقة سياسية عنفيه و بإشعال الحروب من طرف الرئيس بوش و صقور البيت

الأبيض، وأخلطت بين الإصلاح السياسي و منها التحول الديمقراطي كمسار وتجربة سياسية ومجتمعية تتطلب فترات زمنية و بطرق سلمية للوصول للسلطة ثم التداول على الحكم ديمقراطيا، والتدخل في الشؤون الداخلية للدول وعدم احترام سيادتها، وكذالك تحت ذريعة محاربة الإرهاب الدولي، ومنها العراق وأفغانستان، ثم تأتي إدارة أوباما التي ساهمت في الدعم المعنوي للإصلاحات السياسية التي عرفتها مملكة البحرين، والتجربة التونسية الناجحة في التحول الديمقراطي بأقل الخسائر أمنيا وسياسيا و اقتصاديا، أما ما يتم تسويقه سياسيا و إعلاميا بما يسمى "الربيع العربي" أسوة "بربيع براغ" الذي عرفته دولة تشيكوسلوفاكيا العام 1969، بين القوى السياسية والمجتمعية التي طالبت بالتحرير السياسي والاقتصادي من الهيمنة السوفياتية على البلاد.

ورغم ذلك نجد أن عملية التحول الديمقراطي و عبر كل المحطات التاريخية السياسية البشرية، تؤكد على أن الإصلاح السياسي و من أبرز مكوناته التحول الديمقراطي لا ينجح و لا يصل إلى تحقيق أمال الشعوب و طموحات النخب السياسية و المجتمعية الإصلاحية من أجل بناء دول ديمقراطية مؤسساتية، إلا بتوفر شروط أهمها:

أولا: أن التغيير السياسي يكون بطرق سلمية- و ليس التسبب في حروب أهلية مثلما تعرفها أغلب الدول العربية تحت ذريعة الربيع العربي، أو ما عرف "بالفوضى الخلاقة" في ما يعرف بمشروع الشرق الأوسط الكبير – للوصول إلى الحكم حتى تحت هيمنة نظام ديكتاتوري،

ثانيا: أن تكون الإصلاحات السياسية وأهمها التحول الديمقراطي نابعة من القوى السياسية و المجتمعية معا وإبعادها من التدخل الخارجي خاصة من الدول الكبرى.

الهوامش:

[1]- إسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2000)، ص. 87.

[2]- مفيد زيدي، مؤشرات التحول الديمقراطي في البحرين من الامارة إلى الملكية الدستورية، في مجلة المستقبل العربي السنة 24، العدد 270، أغسطس 2001، ص. 08، عن إبراهيم خلف العبيدي، " تاريخ الحركة الوطنية في البحرين: 1914-1971، " (رسالة ماجستير، كلية الآداب، بغداد، 1973) ص. ص. 10-11.

[3]- محمد نصر مهنا، الخليج العربي: التطور الحديث والمعاصر، (القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة، 1996)، ص. 432، عن مجلة الخليج العربي، العدد الرابع، 1981، ص. 60-62.

[4]- L'état du monde 2003 (Annuaire économique géopolitique mondiale),in Bernard EL GHOUL (Paris: Editions La Découverte Et Syros, 2002), P. 238.

[5]- L'état du monde 2004 (Annuaire économique géopolitique mondiale) ,in Bernard EL GHOUL (Paris: Editions La Découverte Et Syros, 2002), P. 236.

[6]- L'état du monde 2005 (Annuaire économique géopolitique mondiale),in Bernard EL GHOUL (Paris: Editions La Découverte Et Syros, 2002), P. 234.

[7]- L'état du monde 2006 (Annuaire économique géopolitique mondiale),in Bernard EL GHOUL (Paris: Editions La Découverte Et Syros, 2002),

P. P. 229-230.

*- L e jeune émir (né en 1950), alors âgé de 49 ans, accède à la tête de l'émirat après le décès de son père survenu le 9 mars 1999.

[8]-Fatiha Dazi-héni, Monarchies et sociétés d'Arabie: le Temps des confrontations, (paris: presses de sciences Po, 2006), P. P. 279-280 in A. H. KHALAF, « The New Amir of Bahreïn: Marching Side- Ways », Civil Society, 9 (100), avril 2000, P. 6-13.

[9]- عبد القادر رزيق المخادمي، مشروع الشرق الأوسط الكبير: الحقائق والأهداف والتداعيات (بيروت، الجزائر، الدار العربية للعلوم وديوان المطبوعات الجامعية، 2005) ص. 92.

[10]- اللواء ياسين سويد، الوجود العسكري الأجنبي في الخليج، واقع وخيارات دعوة إلى أمن عربي وإسلامي في الخليج، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص. 75.

في العام 1949 ومن خلال اتفاق جرى بين بريطانيا والولايات المتحدة، تم ترتيب لإقامة " قوة بحرية صغيرة" هي " قوة الشرق الأوسط" (MIDDLE-East Force) قوامها " سفينة قيادية ومدمرتان" في ميناء " الجفير" بالبحرين، كما تم ترتيب استخدام مطار مسيرة في عمان من قبل طائرات الحراسة التابعة لسلاح البحرية الأمريكية للتزود بالوقود، أنظر آغا (وآخرون) وثائق.

[11]- رياض نجيب الريس، رياح الشمال: السعودية والخليج والعرب في عالم التسعينات، الطبعة الثالثة، (بيروت، لندن. رياض الريس للكتب والنشر، 1998)، ص. 252-262. راجع كتاب لبيب عبد الستار " قصة الخليج" – دار الجاني، بيروت، 1989. راجع كتاب نجيب الريس " صراع الواحات والنفط: هموم الخليج العربي بين 1968-1971") بيروت: النهار للخدمات الصحافية، 1973). راجع جريدة " الغارديان" البريطانية، لندن، (11 نيسان 1995).

[12]- علي خليفة الكواري، رؤية مستقبلية لتعزيز الديمقراطية في أقطار مجلس التعاون لدول الخليج العربية، في: مجلة المستقبل العربي، العدد 268، جوان 2001، السنة 2004، ص. ص، 7-33.

[13]-Rémy Leveau, Frédéric Charillon (sous la direction de), Monarchies Du Golfe: Les Micro Etats De la Péninsule Arabique, (paris: La Documentation Française, 2005), in LAURENCE LOUER: Démocratisation des régimes

dynastique: le modèle bahreïnien en question. P. 112. Voir, entre autre, le rapport d'Amnesty International de 1997, http://www. amnesty. org

[14]- محمد بن صنيتان، النخب السعودية، (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، 2004). ص. 43-44. حارس فرج، " نخبة البحرين" ورقة قدمت إلى: النخبة السياسية في العالم العربي: أعمال المؤتمر الثالث للباحثين الشباب، القاهرة، 11-13 نوفمبر 1995، تحرير على الصاوي (القاهرة مركز البحوث والدراسات السياسية 1996)، ص 65-94.

[15]- Rémy Leveau, Frédéric Charillon (sous la direction de), Afrique du nord et Moyen –Orient: les incertitudes du Grand Moyen-Orient – (paris: La Documentation Française, 2005), in Frédéric Charillon les incertitudes du Grand Moyen- Orient, P. 11.

Pour Reprendre Le Titre du Remarquable Ouvrage de Ghassan Salamé L'actuelle Vision du monde Et Sur Le Débat Politique Aux Etats- Unis Quand L'Amérique Refait Le Monde, Fayard, Paris, 2005.

[16]- Pierre Hassaner et Justin Vaisse, Washington et le monde: dilemmes d'une puissance, Paris, (Paris, édition autrement, 2003) P. 144.

[17]- LE MONDE, Vendredi 27 Février 2004, p. 8

للإطلاع أكثر على الموضوع أنظر مذكرة الماجستير للطالب: غمبازة جمال: الموسومة ب: "الطبقة الحاكمة وسيرورة الإصلاح السياسي على ضوء مشروع الشرق الأوسط الكبير البحرين نموذجا" (قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران: 2009.

[18]– فواز جرجس، السياسة الأمريكية تجاه العرب كيف تصنع؟ ومن يصنعها؟ ط2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000)، ص. ص 25-30.

[19]- علي خليفة الكواري(تحرير): الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، نصر محمد عارف، في ممكنات الإصلاح السياسي العربي(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005) ص. 543.

[20]- Ghassan Salamé, quand l'Amérique refait le monde, (Paris: édition Fayard, 2005), p. 159

[21]- عبد الإله بلقزيز: الربيع العربيإلى أين؟ أفق جديد للتغيير الديمقراطي، طبعة ثالثة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2012، عن علي محمد فخرو: انعكاسات التحركات العربية من أجل الديمقراطية على البحرين"،ص 304-. 305 "نشرت هذه الدراسة ضمن ملف"معالم النظام الديمقراطي المنشود في دول مجلس التعاون"، في: المستقبل العرب، السنة 34، العدد 390(أب/أغسطس 2011)، ص 113-117.

الأعمال المصرفية في ظل تكنولوجيا المعلومات

سحنون خالد، طالب دكتوراه بجامعة تلمسان

الملخص:

لقد أصبحت تكنولوجيا المعلومات بمختلف مكوناتها عنصرا هاما من عناصر النشاط الذي تقوم به منظمات والسمة الأساس المصاحبة لها نظرا لما توفره هذه التكنولوجيا من معلومات دقيقة وسريعة تساعد المنظمات في اتخاذ القرار بسرعة، كما أنها تعمل على اختصار الوقت والمسافات وترشيد الجهود و الموارد وإزالة المعوقات المكانية والزمانية، لذا أصبحت البنوك احدي القطاعات الرائدة في استخدام هذه التكنولوجيا فأخذت بتقديم خداماتها المصرفية التقليدية بأسلوب جديد وميسر وتهدف من وراء ذلك إلى تحقيق عدة أهداف أهمها نقل المعاملات المصرفية إلى قنوات بديلة أقل كلفة، كما تتيح للمصارف التوسع وزيادة قدرتها التنافسية على كافة المستويات المحلية والإقليمية والدولية وقدرتها على توفير الأموال، وهي توفر كذلك مجالات متعددة لزيادة العوائد عبر خلق فرص جديدة لبيع الخدمات والمنتجات واكتساب عملاء جدد.

الكلمات المفتاحية: تكنولوجيا المعلومات، الخدمات المصرفية، تنافسية المصارف، العملاء.

مقدمة:

لقد أسهمت التطورات الحديثة في مجال تكنولوجيا المعلومات إلى تغيرات جذرية في مختلف جوانب الحياة المعاصرة إذ أصبحت هي السمة الغالبة على بيئة الأعمال ونظرا لأهميتها الخاصة بالنسبة لمنظمات الأعمال من خلال توظيف الأجهزة والبرمجيات ونظم الاتصالات لخدمة عملياتها وتحسين قدرتها التنافسية وتلبية حاجات ورغبات الزبائن دفع هذه المنظمات للعمل على رفع مستوى كفاءة وفعالية أدائها لضمان تحقيق أهدافها.

فالبنوك هي الأكثر استفادة من هذه التغيرات والتطورات المتسارعة مما شجعها على الأخذ بمبدأ تعدد الخدمات التي تقدمها لزبائن والانتقال من الأسلوب التقليدي إلى التحديث وأصبح لزاما عليها تبني المفاهيم الأساسية لتكنولوجيا المعلومات واعتماد على الأجهزة والحاسبات الالكترونية وشبكة الاتصالات العالمية بهدف تحقيق أفضل خدمة. إذ أصبح التحدي الحقيقي للمصارف يتمثل في إيجاد مجموعة من الخدمات التي تلبي احتياجات ورغبات الزبائن وتفوق توقعاتهم.

أولا: الإطار المفاهيمي لتكنولوجيا المعلومات

1- مفهوم تكنولوجيا المعلومات

تباينت أراء المختصين والباحثين عن مفهوم تكنولوجيا المعلومات لاختلاف توجهاتهم الفكرية والعلمية ففي هذا الصدد:

هناك من يرى أن تكنولوجيا المعلومات هي أداة فاعلة لانجاز وتطوير العمليات الإدارية في جميع المنظمات وتتضمن مجموعة الأجهزة و المعدات والبرمجيات والإتصالات والعنصر البشري والتي يترتب على اعتمادها جمع البيانات الخاصة بنشاطات المنظمة ومعالجتها وتجهيزها واسترجاعها وتحديثها بمرونة عالية وسرعة كبيرة .[1]

هي مختلف أنواع الاكتشافات والمستجدات والاختراعات التي تعاملت وتتعامل مع البيانات والمعلومات من حيث جمعها وتحليليها وتنظيمها وخزنها واسترجاعها، في الوقت السريع والمناسب، وبالطريقة المناسبة والمتاحة، وتكنولوجيا المعلومات هي واحدة من الأدوات الرئيسية التي يستثمرها الإنسان، وخاصة المدراء في الشركات و المؤسسات لكي يواجهوا التغيرات والتطورات المحيطة بهم، ويتعايشوا معها، بل وإستثمارها في تحسين الأداء [2].

أما الزغبي وآخرون فينظر إليها "بأنها مجموعة من الأدوات التي تساعدنا في استقبال المعلومة ومعالجتها وتخزينها واسترجاعها وطباعتها ونقلها شكل الكتروني سواء كانت بشكل نص أو صوت أو صورة أو فيديو وذلك باستخدام الحاسوب".[3] وهناك مصطلح آخر مرتبط بتكنولوجيا المعلومات وهو الأتمتة التي ترتكز على وجود أهداف ومهام وأعمال يراد انجازها عن طريق وسائل ومعدات وأجهزة مختلفة أليا وبدون الاعتماد على العنصر البشري أو أن يستخدمها الإنسان من أجل انجاز ما يريد بأقل الأوقات والتكاليف والجهود والحصول على أفضل المخرجات .[4]

تدل تكنولوجيا المعلومات على تطور القدرة البشرية في التعامل مع البيئة وإدراك أهمية المعلومات وفائدتها، إذ يعرفها البعض على أنها "كل أشكال التكنولوجيا المستخدمة لجمع وتخزين وتصنيع والتعامل مع المعلومات[5] ويمكن تمثيلها بمجموعة من المكونات المترابطة التي تجمع وتعالج وتخزن وتنشر البيانات والمعلومات وتوفر وسيلة للتغذية العكسية لتحقيق هدف معين.[6]

2- أهمية تكنولوجيا المعلومات

مما لاشك فيه إن أهمية تكنولوجيا المعلومات تأتى من أهمية المعلومات نفسها، إذ أن هذه الأخيرة تمثل العصب الحيوي لنشاط المنظمة فعدم توفرها يجعل المنظمة تعيش في حالة من اللاتأكد والضبابية مما يؤدي إلى إضعاف قدرتها على إتخاذ القرارات الصحيحة[7] وتتبع أهمية تكنولوجيا المعلومات من خلال ما تقدمه للأفراد والمنظمات والمجتمع من دعم يساعد الجميع في الوصول إلى تحقيق أهدافهم، كونها توفر الوسائل والأدوات

والتقنيات المساعدة في هذا المجال[8]، إذ بات من الصعب إدارة المنظمات الكبيرة بأساليب الإدارة المألوفة، إذ وجدت المنظمات العون فيما أبدعته الثورة العلمية والتقنية في مجالي المعلومات والإتصالات، وتكمن أهمية تكنولوجيا المعلومات في ما يأتي:

– **تعزيز القدرة التنافسية للمنظمات**: إن تكنولوجيا المعلومات السريعة قليلة التكاليف قادرة على دعم القدرة التنافسية للمنشآت، إذ قيل أن إحدى أهم ركائز ثورة المعلومات هي أن المعرفة رديف القوة.[9] فأهمية تكنولوجيا المعلومات تبرز من خلال ما تمنحه للمنظمات من فرص سوقية جديدة لأنها تجعل المنظمات تخرج على النظام التقليدي في ممارسة أعمالها في موقع واحد وهي بذلك توفر فرص لإقامة شبكات أعمال بين أطراف متفرقة في شتى أنحاء العالم .[10] إذ أن المنظمات التي تكون في مجال المنافسة العالمية لابد لها أن تمتلك عناصر ومقومات الميزة التنافسية المستقبلية والتي تعد تكنولوجيا المعلومات جزء هام فيها.

– **خلق لغة مشتركة بين القطاعات**: هناك من يرى أن أهمية تكنولوجيا المعلومات تأتي كنتيجة للتطورات التي حدثت في العالم .وتتسم أغلب هذه التطورات بالاعتماد على تكنولوجيا المعلومات أو قدرتها على الارتباط بإدارة المنظمة التي من المتوقع أن تصبح اللغة المشتركة بين القطاعات الصناعية، والخدمية، والاجتماعية، والحكومية كافة.[11]

– **تحقيق التوازن المطلوب**: إن توفر المعلومات وتدفقها بشكل كبير ومكثف من دون وجود طريقة أو آلية تساعد على إدارتها وتنظيمها وتصنيفها بشكل يسهل عملية الإفادة منها، فأنه سوف يؤدي إلى إرباك المنظمة ومن هنا جاءت أهمية تكنولوجيا المعلومات التي تساعد المنظمة على تحقيق التوازن المطلوب ما بين كثرة المعلومات وندرتها بغية أداء أعمالها بشكل مميز.[12]

– **تنمية المهارات**: لقد أحدثت تكنولوجيا المعلومات تغيرات في طبيعة عمل المنظمات، من خلال خلق فرص عمل جديدة وإلغاء أعمال قديمة فاستخدام تكنولوجيا المعلومات أدى إلى تقليص عدد كبير من الوظائف لانتفاء الحاجة إليها وإيجاد فرص وظيفية جديدة التي تتميز بالأجور العالية والمواقع الوظيفية المتميزة. كما عملت على تنمية المهارات والمعارف التي تعمل على إثراء الجانب الفكري للعاملين الأمر الذي يساعد في تقييم أعمال وأفكار مبدعة.[13]

– **تحسين عملية صنع القرارات**: تعد تكنولوجيا المعلومات العصب الحيوي لنشاط المنظمة، و إن عدم وجودها يؤدي إلى ضعف إتخاذ القرارات الصحيحة، فلقد ساعدت في تحسين عملية صنع القرارات التي أصبحت تتم عبر معلومات تتسم بدرجة عالية من الدقة والسرعة في الاسترجاع وبث المعلومات من حيث

الكم والنوع، فضلاً عن الحصول عليها في الوقت المناسب، ومن خلال إيجاد قنوات اتصال جديدة يمكن زيادة سرعة المعلومات وتدفقها وتبادلها بين المستويات الإدارية وتطوير أساليب عمل جديدة.[14]

– **زيادة كفاءة العمليات:** يعتقد الباحثون أن أهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة لها قيمة إستراتيجية لإسهامها في إدخال تحسينات جذرية على أعمال المنظمة، بشكل يزيد من كفاءة العمليات التشغيلية والتسويقية والإدارية، لينعكس بشكل إيجابي في الإقتصاد في التكاليف الناتجة عن الفوائد التي تقدمها وهي السرعة والثبات والدقة والموثوقية...... الخ، وتحسين الجودة، وتطوير منتجات مبتكرة ومتطورة لأسواق جديدة.هذا فضلا عن قدرتها في إدخال تحسينات كبيرة على التصميم، والهندسة، والإنتاج، وإدارة موارد المنظمة بشكل تام. وهي تنعكس على كفاءة الأداء.[15]

– **تقليص حجم المنظمات:** تعدّ تكنولوجيا المعلومات أداة فعالة في تقليص حجم المنظمات وتقليص عدد المستويات الإدارية وتبني الهياكل التنظيمية الشبكية بدلاً من التقليدية مما أدى إلى زيادة قدرة التنسيق بين أقسامها وبين المنظمات مع بعضها من خلال ما توفره شبكات الإتصالات الحديثة وربط الحواسيب مع بعضها[16] .

– **إعادة صياغة إستراتجية المنظمات:** إستطاعت تكنولوجيا المعلومات أن تدفع بالمنظمات إلى النهوض بعملية نمو هائلة للاستجابة والتكيّف مع متطلبات البيئة الحديثة، حيث أن تطبيق مفهوم وأساليب تكنولوجيا المعلومات في المنظمات يحتم عليها اللحاق بركب التطور تجنباً لإحتمالات العزلة والتخلف عن مواكبة عصر المعلوماتية[17]، والذي أدى إلى تبنّي مداخل حديثة في تخطيط وتنظيم الأعمال مثل مدخل إعادة هندسة الأعمال.[18]

– **بناء قاعدة معلومات:** ساهمت تكنولوجيا المعلومات بما تتمتع به من قدرات فائقة بالتعامل مع المعلومات بتقليل حدوث الأزمات يكسب المنظمة الميزة التنافسية وتقديم الدعم المباشر لإستراتيجية المنظمة بما توفره من معلومات عن عوامل المنافسة لتخطيها حواجز الزمن والمكان.[19]

– **توفير المعلومات المطلوبة:** تزداد أهميتها من خلال ما توفره من معلومات واسعة ودقيقة للعاملين والمديرين مما يساعدهم في السيطرة على تنفيذ قراراتهم من مرؤوسيهم وهذا ربما يعود بهم إلى المركزية من خلال الرقابة التي ستوفرها لهم أدوات تكنولوجيا المعلومات.[20]

3- قدرات تكنولوجيا المعلومات

في هذا الصدد يرى Turban أن تكنولوجيا المعلومات قد أصبحت المحفز الرئيسي لنشاطات الأعمال في عالم اليوم وذلك بسبب قدرات هذه التكنولوجيا وإمكاناتها المتمثلة في القيام بحسابات رقمية كبيرة الحجم تتحدى العقل البشري والسماح بالحصول السريع والرخيص على كميات كبيرة من المعلومات مما يتيح

فرصة التبادل والتعاون و نشر المعلومات وتداول الأفكار في كل أرجاء العالم فيما بين المنظمات، كما تساعد على تطوير الأعمال من الشكل اليدوي إلى الشكل الآلي واستيعابها في اقل حيز مما يوفر في المكان ويجعلها أكثر أمان من التعرض للمخاطر التي قد تتعرض لها المواد الأخرى المطبوعة.مما يجعل التعامل معها لاسترجاع المعلومات أسهل وأكثر وفرا للوقت.مع زيادة فاعلية الأشخاص العاملين وكفاءتهم في مجاميع سواء في موقع واحد أو في عدة مواقع، كما ستمكّن ثورة تكنولوجيا المعلومات المنظمات من جمع وتنظيم وتحليل بيانات مفصلة ودقيقة عن عادات الأفراد مما يجعلهم قادرين بشكل أفضل على معرفة حاجات ورغبات وطموحات هؤلاء العملاء من خلال آليات مبتكرة وأساليب متطورة تستند إلى مفاهيم تسويقية جديدة.[21]

4- إستخدامات تكنولوجيا المعلومات

استخدمت تكنولوجيا المعلومات في شتى الميادين الأعمال و أحدثت تطبيقات الحاسوب و تكنولوجيا الاتصالات ثورة في طبيعة منظمات الأعمال و ترتيب أعمالها، حيث يرى TURBEN أن تكنولوجيا المعلومات: [22]

– تقدم للمنظمات على اختلاف أنواعها وطبيعة أعمالها تطبيقات جاهزة يمكن لاستفادة منها في تحقيق الأهداف.

– تدعم التغيرات الإستراتجية، مثل إعادة هندسة الأعمال والسماح بتبني اللامركزية من خلال تأمين خطوط الاتصال السريع وتحقيق الانسيابية وتقليل الأزمنة اللازمة.

– تأمين المعلومات الإستياقية في مجال العمال والأسواق والمنافسين والتغيرات الحاصلة في البيئة الداخلية والخارجية للمنظمة.

5- أثر إستخدام تكنولوجيا المعلومات على المنظمات

اما من حيث أثر استخدام تكنولوجيا المعلومات على المنظمات فإن ذلك الأثر يظهر من خلال الاستراتيجيات الوظيفية التالية:[23]

– **أثر تكنولوجيا المعلومات على إستراتيجية الإنتاج:** حيث عملت على تنفيذ الاستراتيجيات الخاصة بحجم الإنتاج والجودة وخدمات المستهلكين، وذلك من خلال نظم التصميم الهندسي، ونظم الرقابة، ونظم إدارة المخزون والمشتريات، ونظم التصنيع بمساعدة الحاسب الآلي.

– **أثر تكنولوجيا المعلومات على الإستراتيجية المالية:** وذلك من خلال تسهيل تنفيذ الاستراتيجيات المالية من حيث الحصول على الأموال واستخدامها والسيطرة عليها وتوزيعها بكفاءة عالية، وتوفير السيولة المالية من المصادر الداخلية والخارجية، ومراقبة التدفقات النقدية المختلفة، كما ساعدت تكنولوجيا المعلومات

على تقليل التكاليف الثابتة والمتغيرة وترشيد الإنفاق وزيادة الأرباح عن طريق تقييم الأداء المالي من حيث السيولة والربحية والمديونية.

- **أثر تكنولوجيا المعلومات على الإستراتيجية التسويقية** :وذلك من خلال تسهيل إجراء بحوث التسويق، عن طريق تعدد مصادر الحصول على البيانات والمعلومات، وبالتالي تسهيل تقييم السوق، مما يساعد في تطوير السلع والخدمات اللازمة لمقابلة احتياجات العملاء والتميز عن المنافسين، كما أسهمت في تقصير طول القناة التسويقية، وتقليل التكاليف، وسهولة متابعة حجم المخزون.

- **أثر تكنولوجيا المعلومات على إستراتيجية الموارد البشرية** :بحيث تمكنت من زيادة التوافق بين الأفراد والوظائف، وبالتالي اختيار الموارد البشرية المؤهلة الكفؤة وتدريبها وتقييم أدائها وتخطيط مسارها الوظيفي، وتحسين نوعية وظروف العمل، كما أسهمت تكنولوجيا المعلومات في زيادة كفاءة عملية الاتصال والحفز والدافعية لدى الأفراد، وذلك عن طريق إغناء الوظائف وتوسيعها، وبالتالي بناء قاعدة معلوماتية للموارد البشرية.

- **أثر تكنولوجيا المعلومات على إستراتيجية البحث والتطوير** :حيث لعبت هذه التكنولوجيا دورًا مهمًا في تنفيذ وظيفة البحث والتطوير من خلال تطوير المعرفة اللازمة للإدارة وللعاملين ومساعدتهم في تصميم المنتجات الجديدة، وتطوير المنتجات الحالية، وتحسين العمليات الإنتاجية على مستوى المنظمة.

6- دور تكنولوجيا المعلومات

- **دور تكنولوجيا المعلومات في تفعيل إدارة الجودة الشاملة**

يوحي مصطلح الجودة الشاملة بأن ثمراتها تتحقق نتيجة الإدارة الجيدة لهذا النشاط وكلمة شاملة تعني أنها مسؤولية الجميع، وتمثل الإدارة الشاملة للجودة إستراتيجية ممتازة لتحقيق وضع تنافسي أفضل، حيث أنها توفر الأساليب والأدوات لهذا الوضع. ونجاح الإدارة الشاملة للجودة يعتمد على استخدام تكنولوجيا المعلومات في ظل نظام معلومات فعال فإذا ما تم تخطيط وتنفيذ تكنولوجيا المعلومات بطريقة سليمة فإنها تدعم بصورة كبيرة، التطبيق الناجح لإدارة الجودة الشاملة في منظمات الأعمال، وتتمثل أدوار تكنولوجيا المعلومات في إدارة الجودة الشاملة في ما يلي:[24]

-تساعد أفراد المنظمة في الاتصال الفعال فيما بينهم في الوقت المناسب وبالكفاءة والفعالية المطلوبة.

-تستطيع تحسين عملية متابعة ومراقبة وجمع وتلخيص البيانات وإعداد التقارير المناسبة.

- تعمل على تزامن الأعمال المختلفة من خلال أدائها في نفس الوقت، دون الحاجة في التتابع في أداءها، وهو ما يزيد من عملية تطوير المنتج.

-تمكن تكنولوجيا المعلومات من زيادة كفاءة عملية جمع قياسات الأداء الفعلي، ووضعها في جداول ورسومات، يستطيع العاملين تصفحها لعمل التعديلات المستمرة وتصحيح الأخطاء ورقابة نتائج أعماله.

-تكشف المعلومات التي توفرها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عن تفاصيل العمل الحالية وإجراءاته وتكشف عن إمكانية وجود خلل أو انحراف في الأداء، وبالتالي تجعل هذه العمليات أكثر وضوحا للعاملين بالمنظمة، وهذا ما يمثل الخطوة الأولى الضرورية في تحديد أين نحن الآن ؟ وما هي التحسينات التي نود القيام بها ؟

-تساعد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في بناء أنظمة رقابية معتمدة على الحاسب الآلي وهذا يدعم القدرة التنبؤية لنتائج عمليات وأنشطة المنظمة.

-برامج إدارة الجودة الشاملة غالبا ما يترتب عليها حجم كبير من المعلومات وتحليل إحصائي معمق ودقيق مما يؤدي بالحاجة إلى استعمال ما يعرف بنظم معلومات إدارة الجودة الشاملة وبالتالي وصول المعلومات المناسبة في الوقت المناسب لمتخذي القرار.

– دور تكنولوجيا المعلومات في عملية اتخاذ القرارات الإدارية

يمكن تصنيف القرارات الإدارية طبقا لأسس متعددة فمثلا يمكن أن تصنف حسب الأنشطة الإدارية إلى قرارات تخطيط وقرارات تنفيذ وقرارات رقابة، أما حسب المستوى الذي يتم فيه التخطيط فتقسم إلى قرارات تكتيكية وقرارات استراتيجية، كما تقسم حسب إمكانية هيكلة المشكلة التي يتخذ القرار بشأنها إلى قرارات هيكلية وقرارات شبه هيكلية وقرارات غير هيكلية .وتعتبر عمليات تدفق المعلومات داخل المنشاة أفقيا بين الأقسام والوظائف المختلفة في نفس المستوى ورأسيا بين المستويات التنظيمية المختلفة، إضافة إلى تدفق المعلومات من الخارج بمثابة الشرايين التي تغذي عملية إتخاذ القرار بمستوياتها وأنواعها المختلفة [25].

يتمثل دور تكنولوجيا المعلومات في زيادة فاعلية وكفاءة المنظمات الحديثة من حيث تبسيط الإجراءات وتوفير الوقت والجهد المبذول وتقليل التكاليف وزيادة الدقة والسرعة في عمليات الانجاز ورفع الإنتاجية الإدارية. إضافة إلى ذلك فان بناء نظم دعم قرارات تتسم بالدقة الموضوعية والاستفادة منها في إتخاذ القرارات الإستراتيجية المهمة يحتم أن تختلف تقنياتها عن النظم التقليدية وخاصة إذا ما اعتبرنا أن الذكاء الاصطناعي عنصرا أساسيا فيها نظرا لدمج النظم الخبيرة وتكاملها مع هذه النظم في القرن الجديد .

لقد كتب الكثير حول تكنولوجيا المعلومات ودورها في إتخاذ القرارات، فتكنولوجيا المعلومات قادرة على التأثير في منظمات الأعمال بشكل أساسي من ثلاثة نواحي: [26]

- تغيير وتطوير الهيكلية الصناعية.
- خلق قدرات تنافسية جديدة.

- استقطاب أعمال جديدة.

- **دور تكنولوجيا المعلومات في إعادة الهندسة**[27]:

تلعب تكنولوجيا المعلومات دور هام جدا في عمليات الهندرة ويتجلى هذا الدور في الأمور التالية:

•استخدام برامج المساعدة الآلية المرتبطة بنظم المعلومات عن طريق الحاسب لمساعدة الزبائن والمواطنين على الحصول على الخدمات.

•المساعدة في القيام بأعمال جديدة لم تكن متوفرة من قبل مثل المؤتمرات عن بعد.

•المساعدة في تخيل حلول جديدة لمشكلات لم تحدث بعد.

•المساعدة على التخلص من الأنماط الجامدة والقديمة.

•انجاز الأعمال بحركة وسرعة ومرونة وشفافية.

•المساعدة على التكامل والاندماج بسن إجراءات العمل لتكوين عمليات مترابطة ذات معنى.

•التحديث المستمر للمعلومات عن طريق البريد الالكتروني ولوحات الإعلان الالكترونية وحلقات المناقشة وقواعد معلومات المستندات.

•الحصول على دورات تدريبية عامة من مؤسسات ومعاهد تدريب خارجي.

•وضع نظام للاختبارات في كافة برامج التدريب لتقييم فعالية التدريب وقدرات الموظفين.

•توفير احتياجات التعلم الذاتي والمستمر مع الاختبارات وإعادة تحديد مستويات الأداء.

- **دور تكنولوجيا المعلومات على الأداء الوظيفي للعاملين**

أصبحت تكنولوجيا المعلومات عاملا محفزا للمنظمات الباحثة عن المنافسة والتميز في إنتاجها ومخرجاتها وعن الكفاءة والفعالية في أدائها، لذا تسارعت المنظمات لتهيئة الأرضية الكفيلة لتطبيقها ثم استخدامها لما لهذه الأداة من خلق فرص غير مسبوقة في مجالات عدة مثل رفع مستوى الأداء الوظيفي وتحسين القرارات الإدارية وتبسيط وتسهيل الإجراءات والاستغلال الأمثل للقوى العاملة فضلا عن إسهامها الكبير في الأنظمة المالية، وذلك من خلال تطبيق عدد من الإجراءات والتغييرات الهيكل، العمليات، إدارة المنظمة وتدريب المستخدمين على كيفية الاستخدام وذلك لضمان عملها بشكل صحيح وبما يحقق معايير الأداء الكفء التي تسعى المنظمة لتحقيقه[28] . فدور استخدام تكنولوجيا المعلومات على الأداء الوظيفي يكمن في:[29]

-تسببت إلى حد كبير في تحسين الأداء الوظيفي وذلك من خلال تخطي القيام بكثير من الأعمال الروتينية وما يترتب عليه، من إنجاز الأعمال بسرعة وكفاءة ودقة متناهية وتكلفة قليلة.

-تسببت في تقليل الأعباء الوظيفية الروتينية الملغاة على عاتق المدراء، مما يتيح لهم استغلال هذا الوقت في التخطيط الاستراتيجي ورسم السياسات العامة للمنظمة، مما أسهم في رفع كفاءة وفعالية الإدارة العليا.

-تسببت في التأثير على الجانب المعنوي لدى العاملين باتجاه زيادة ولائهم وانتمائهم للمنظمة من خلال ما توفره من فرص للإطلاع على المعلومات بشكل سهل مما يسهم في تعزيز مشاركتهم في عملية صنع القرار.

-إن اهتمام المنظمات بالتوجه نحوا الميزة التنافسية يدفعها نحو استخدام تكنولوجيا المعلومات، مما يبرز زيادة الاهتمام بالبحث والتطوير والتدريب، الذي يسهم في بناء وتنمية القدرات الفردية.

-إن الثقافة التنظيمية والتوجيهات الإدارية في المستويات العليا في أي منظمة مهما كانت مخرجات عملياتها الإدارية لها دور هام في التوجه صوب إستخدام تكنولوجيا المعلومات مما ينعكس على شكل البيئة التنظيمية للعمل وتبنى وتفعل وتطور العملية الإدارية برمتها.

-تسببت في زيادة فعالية المنظمة في تحقيق أهداف طويلة الأجل المتعلقة بالبقاء والنمو والاستمرار وذلك من خلال تحسين عمليات التعلم ونقل المعرفة، واستخدام شبكات الأعمال المحلية والعالمية، وتحسين فعالية عملية إتخاذ القرارات وزيادة جودتها وتحسين محتواها وزيادة فعالية عملية الاتصالات الإدارية داخل المنظمة وخارجها وتحسين عملية التنسيق والتحالف بين مختلف المستويات والوحدات الإدارية لإنجاز أهداف المنظمة.

-تسببت في زيادة كفاءة المنظمة في استغلال مواردها المختلفة لتوليد المخرجات المطلوبة بأقل تكلفة ممكنة وذلك من خلال أتمته عملياتها وأنشطتها اعتمادا على تطبيقات الحاسوب مما يسهم في تحسين نوعية المنتجات وتقليل التباين والتفاوت في مستوى أداء هذه السلع والخدمات.

-تسببت في زيادة عدد الفرص المتاحة أمام المنظمة في الأسواق الداخلية والخارجية وتفعيل عملية توليد وتطبيق الأفكار الجديدة أللازمة لتطوير السلع والخدمات.

ثانيا: تكنولوجيا المعلومات المصرفية

شهدت الصناعة المصرفية في الآونة الأخيرة تقدماً ملموساً في مجال توظيف تكنولوجيا المعلومات لما تنطوي عليه هذه التكنولوجيا من ابتكارات تؤثر في تحسين وتطوير العمل المصرفي وابتكار خدمات مصرفية جديدة، لذلك أدركت المصارف الترابط الوثيق بين نجاحها وبين توجهها الإبداعي بما يحقق للمصرف ميزة تنافسية والمحافظة عليها والسماح لعملاء البنوك بإجراء العمليات المصرفية من خلال شبكات الاتصال الإلكترونية. فاستخدام الأنظمة الآلية في العمل المصرفي أمر لابد منه من اجل التكيف مع معطيات التطور ولضمان بقاء المصارف واستمراره.

1- مفهوم تكنولوجيا المعلومات المصرفية

أما تكنولوجيا المعلومات المصرفية فهي مجموعة من المكونات المترابطة وظيفتها تجميع ومعالجة وخزن المعلومات لدعم عملية صنع القرار والسيطرة داخل المصرف ومساعدة الإدارة والموظفين على حل المشاكل وتبسيط الأمور المعقدة وتقديم خدمات متطورة وجديدة. [30]

وهي برأي آخرين أنها "أداة تستند إلى الحاسوب يستخدمها الأفراد للتعامل مع المعلومات ومعالجتها لدعم حاجات المصرف للمعلومات".[31]

2- دور تكنولوجيا المعلومات المحوري في الصناعة المصرفية:

إن تكنولوجيا المعلومات أصبحت تلعب دورا محوريا في الصناعة المصرفية في عصر أصبح للعملاء تأثيرا هائلا على إستراتيجية العمل في البنوك والمؤسسات المصرفية، إن متطلبات العملاء من الخدمات والمنتجات البنكية أخذت في الارتفاع بشكل كبير، إن قوة العملاء اليوم تنبع من قدرتهم على الاختيار والمقارنة بين عروض السوق القادمة من المؤسسات المصرفية المختلفة بطريقة سهلة وفعالة، مع قدرتهم على الوصول السلس عن طريق الانترنت أو أجهزة الموبايل، ويستطيع العملاء معرفة المزيد عن المنتجات والخدمات والعروض المقدمة من البنك ومقارنتها مع المنافسين وإمكانية العميل تحديد خياراته بصورة دقيقة.

فالبنوك التي تعتمد على التميز يجب أن تركز على خدمة العملاء في إستراتيجياتها وعملياتها الداخلية، وميزانيتها على التقنيات التي تعزز المعرفة والتواصل مع العملاء والأولوية على إبقاء الحواجز التنافسية التقليدية.
إن تكنولوجيا المعلومات تصنع الفارق من خلال محاور أساسية أصبحت الصناعة المصرفية تحتاجها بصورة محورية ويمكن تلخيصها فيما يلي:[32]

– **دراسة احتياجات العملاء بدقة وفعالية ويسر** :توفر أنظمة علاقات العملاء المحسوبة إمكانات هائلة لدراسة احتياجات العملاء من خلال دراسة البيانات المالية وغير المالية بدقة كبيرة وبفترات زمنية قصيرة مهما كان حجم هذه البيانات مما يمكن للمؤسسات المصرفية من تصنيف السوق المصرفي إلى قطاعات تسويقية حسب احتياجات العملاء والاستجابة لهذه الاحتياجات من خلال تقديم المنتجات والخدمات المصرفية الملائمة بصورة سريعة وكفؤة.

– **نظم إتخاذ القرارات** :إن تطور نظم تكنولوجيا المعلومات وفر للمؤسسات المصرفية إمكانات هائلة للاستفادة من البيانات المالية وغير المالية الحالية والتاريخية في النظم التحليلية ونظم إتخاذ القرارات .ولقد وفرت تكنولوجيا المعلومات الكثير من التقارير التحليلية ومؤشرات الأداء التي تحتاجها جهات إتخاذ القرارات بصورة علمية تضمن صواب هذه القرارات في المؤسسات المصرفية التي تعتمد على تكنولوجيا المعلومات الحديثة في إدارتها لثرواتها من البيانات المالية وغير المالية.

– **تصميم وتنفيذ وطرح المنتجات المصرفية خلال مدة زمنية قياسية** :أن تطور نظم تكنولوجيا المعلومات وفر للمؤسسات إمكانات الاستفادة من القدرة على تصميم منتجات وخدمات مصرفية خلال مدة وجيزة مما سمح للمؤسسات التي تمتلك هذه الإمكانات والأنظمة التكنولوجية من تحديد قطاع العملاء المصرفي الذي ستتجه إليه هذه المنتجات والأسعار التنافسية المناسبة لهذا القطاع، كما سيتم تصميم وتحديد كافة المتغيرات

الخاصة بهذه المنتجات مثل :وسائل التسويق(حملات تسويقية مباشرة وغير مباشرة، ربطها مع منتجات سابقة، الفروع وشبكات التوزيع الالكترونية وغيرها من وسائل التسويق، العمولات والفوائد، العمليات سواء في الفروع أو المكتب الخلفي وغيرها من المتغيرات)، إن الأنظمة البنكية الحديثة أصبحت تمكننا من انجاز كل ما سبق بصورة سلسة وسريعة وكفؤة مما يمكن المؤسسات المصرفية التي تمتلك هذه الأنظمة والبرامج من تلبية احتياجات السوق المصرفي في وقت قياسي بحيث يضمن لها أكبر شريحة من السوق كنتيجة طبيعية لقدرتها على تلبية هذه الاحتياجات بالسرعة والكفاءة اللازمة.

– **الاستخدام الأمثل لشبكات التوزيع** :غدت شبكات التوزيع سواء الانترنت البنكي أو الموبايل البنكي أو مركز الاتصالات وسائل أساسية في إيصال الخدمات والمنتجات إلى عملاء البنوك ولم تعد وسائل تكميلية للفروع .إن وظيفة فروع البنك تغيرت في ظل هذا التوسع في استخدام شبكات التوزيع البديلة وأصبحت ذات وظائف بيعية بالمطلق .وتوفر تكنولوجيا المعلومات الإمكانات اللازمة لخلق تجربة فريدة للعملاء حينما يستخدمون قنوات وشبكات التوزيع من خلال المزايا الخاصة والملائمة التي يوفرها استخدام العملاء لهذه القنوات في بيوتهم أو في أي مكان يتواجدون فيه بعيدا عن بنكهم أو مؤسستهم المصرفية فحسب، بل إن تكنولوجيا المعلومات توفر للبنوك إمكانية قياس مدى نجاح كل قناة من قنوات التوزيع ومدى مساهمتها في تحقيق الأرباح للبنك بصورة دقيقة، مما يسمح بالتركيز على شبكات التوزيع الأكثر ربحية.

– **زيادة كفاءة العمليات الداخلية**: قدمت الأنظمة والحلول المصرفية المعتمدة على تكنولوجيا المعلومات وسائل رقابة وضبط محوسبة زادت بصورة كبيرة من كفاءة العمليات الداخلية وعمليات المكتب الخلفي مما قلل الأخطاء البشرية والمخاطر التشغيلية من جهة .وكذلك فان هذه الإجراءات المحسوبة زادت من إمكانية تقديم خدمات مصرفية متميزة وصناعة مصرفية على مستوى عالي من الكفاءة والمهنية ومن الأمثلة على هذه الخدمات المحسوبة خدمات مقاصة الشيكات الآلية من خلال المصرف المركزي ونظام المدفوعات وأنظمة الدفع من خلال أجهزة الموبايل وأنظمة دفع الفواتير وغيرها.

إن إستراتجية تكنولوجيا المعلومات في المؤسسات المصرفية أصبحت جزء من الإستراتيجية المؤسسية في هذه المصارف وهذا المحور في الصناعة المصرفية مرشح لأن يلعب أدوارا متعاظمة إضافية في السنوات القليلة القادمة لجهة خدمات العملاء أو كفاءة العمليات أو نظم إتخاذ القرارات أو بالقدر ذاته من الأهمية لجهة مراقبة ودرء المخاطر التشغيلية والأنواع الأخرى من المخاطر.

3– ميزات استخدام تكنولوجيا المعلومات في المصارف

ففي الوقت الراهن عملت المصارف إلى استحداث نسق جديد من المعاملات فرضتها بيئة الأعمال وأصبحت نشاطاتها مرهونة بمدى تبني تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تقديم خدماتها، فاعتمادها ليس فقط

في خفض التكاليف وتسريع انجاز العمل وإنما أيضا لتحسين الخدمة المقدمة وتنوعها وزيادة مرونتها بما يتلاءم واحتياجات العميل وتسهيل الإبداع في تقديمها. كما ألغت مفهوم الزمان والمكان للخدمة البنكية، فاستخدام تكنولوجيا المعلومات في المصارف أدى إلى:

- زيادة اكتساب متعاملين جدد عن طريق استخدام تكنولوجيا المعلومات باعتبارها عنصرا مهما من عناصر تنافسية المصارف على كافة المستويات المحلية والإقليمية والدولية وهذه التوسع لا يتم إلا بزيادة الإنفاق على هذه التكنولوجيا والتي تتطلب أموال كبيرة من اجل جني متزايد للأرباح.
- يعتمد المصرف في كافة أنشطته وعملياته الإدارية وفي مختلف مستويات هيكله التنظيمي على تكنولوجيا المعلومات التي تعمل على زيادة توفير معلومات مؤكدة وتدفقها في الوقت المناسب والتي يستند عليها صانعي القرار في عملية اتخاذ القرارات الإدارية الفعالة وتقويم نتائج مختلف القرارات وصحة التوقعات بهدف تقليل درجة عدم التأكد وتزويده بالمرونة اللازمة للتعامل مع البيئة التي يعمل فيها لتلبية حاجياته. بهدف وضع استراتيجيات طويلة المدى وتنفيذها.
- تعد تكنولوجيا المعلومات أداة فعالة على إحداث تغييرات جذرية في أنشطة المصرف وأعماله. حيث ساهمت في تبسيط وتسريع العمليات والمعاملات **المصرفية** من خلال أتمتها للحد من بيروقراطية العمل المكتبي والعمليات، بالتخلي عن جميع الأعمال الورقية والتحول إلى النظام الإلكتروني حيث أصبحت هذه التكنولوجيا جزء لا يتجزأ من الخدمة المقدمة إلى درجة أن أي عطل أو خلل في تكنولوجيا المعلومات يؤدي في الغالب إلى توقف الخدمة ذاتها.
- ساهمت تكنولوجيا المعلومات على تقليص عدد المستويات الإدارية في المصرف وتبني الهياكل التنظيمية الشبكية بدلاً من التقليدية، وكذلك ساعدت على تبنّي مداخل حديثة في تخطيط وتنظيم الأعمال مثل مدخل إعادة هندسة الأعمال[33]، كما تعمل تكنولوجيا المعلومات في تكوين نظام معلومات شامل يساعد في إعداد التقارير و الكشوفات الدورية و تخزين واسترجاع المعلومات في أي وقت والنشر السريع والفوري لها و زيادة كفاءة نوعيته المعلومات المنتجة.
- ارتفاع أهمية تكنولوجيا المعلومات باعتبارها مورداً ماليا هاماً في مختلف النشاطات. كما أنها تسهم في الإقتصاد في التكاليف الناتجة عن الفوائد التي تقدمها وهي السرعة والثبات والدقة والموثوقية...... الخ. وهي تنعكس على كفاءة الأداء[34]. كما أنها تتيح للمصارف إمكانية الوصول إلى نتائج هامة جدا من حيث التواجد في أسواق جديدة وتعزيز جودتها وإدارة أكثر فعالية للموارد البشرية والزبائن وتحسين الإنتاجية والتحكم في التكاليف وتعزيز المزايا التنافسية.

- فتطوير الأعمال المصرفية وزيادة كفاءتها مرتبط بشكل أساسي بما تقدمه تكنولوجيا المعلومات من وسائل تعمل على توفير جميع المعلومات المطلوبة للأطراف المستفيدة وتعزيز سلامة نظام المعلومات وزيادة قدرة التنسيق بين كافة المستويات.

- أدت تكنولوجيا المعلومات إلى تخفيض القوى البشرية على كافة مستويات المصرف مما يسمح باستغلال موارده بشكل أفضل وتقليل مستويات التنظيم كما تساعد في تنمية المهارات والمعارف التي تعمل على إثراء الجانب الفكري للعاملين وتخفيض عبء الأعمال الروتينية الأمر الذي يساعد في تقييم أعمال وأفكار مبدعة.

- ساهمت تكنولوجيا المعلومات بتقليل حدوث الأزمات العمل المصرفي بما توفره من قاعدة معلومات مستقبلية، [35]والتي مكنت من مراقبة الحسابات الرئيسية للوضعية المالية للمصرف واستشعار الإنذار المبكر باستحقاقات المصرف من اجل إدارتها والعمل على تسويتها.

- مكنت تكنولوجيا المعلومات على ربط العاملين وأنشطة العمل عبر الإدارات من خلال ما توفره شبكات الإتصالات الحديثة وربط الحواسيب مع بعضها والتي تساعد على تخفيض الوقت المنفق على التنسيق وتعطي الإدارة المزيد من السيطرة على الأنشطة في المستويات الإدارية المختلفة.

4- أهمية تكنولوجيا المعلومات في مجال التطبيقات المصرفية والمالية[36]

- تحظى تكنولوجيا المعلومات بأهمية خاصة بالنسبة للمصارف والمؤسسات المالية، وتتجلى أهمية تكنولوجيا المعلومات في المصارف في تيسير المعاملات المالية وتطوير ومعالجة العمليات المصرفية للإسهام في عملية إتخاذ القرارات باعتبار قطاع المعلومات المالية والمصرفية بالقطاع ذي النفع العام.

- فتطوير الخدمات المصرفية أصبح ضرورة وليس ترفًا، وأن هذه الضرورة تنبع من الظروف المتغيرة التي يشهدها العالم الآن وعلى رأسها المنافسة الشرسة من جانب المصارف والكيانات المالية العالمية التي تدخل إلى الأسواق في ظل تطبيق اتفاقية تحرير التجارة في الخدمات المالية، بالإضافة إلى وجود العديد من محفزات التطوير الأخرى كالفرص والتهديدات المرتبطة بالتطور الهائل في مجال الاتصالات والمعلومات وارتفاع تطلعات العملاء حيث صارت جودة الخدمة وليس ولاء العميل للبنك هي معيار الاختيار بين المصارف بالنسبة للعملاء.

- إن تطوير البنية التكنولوجية للمصارف لا يعني توفير أجهزة حاسب آلي وكفى، إنما يأتي ذلك في إطار إستراتيجية متكاملة لتطوير الخدمات والمنتجات المصرفية خاصة وأن المصارف لا تزال تفتقر إلى وجود منتجات مصرفية متنوعة تجذب العملاء والمستثمرين، كما يجب توفير مناخ تشريعي مناسب يساعد على حفز العمل المصرفي وتطويره.

الخاتمة:

إن تفاعل القطاع المصرفي مع جوانب تكنولوجيا المعلومات يستلزم تفاعل وتطوير البيئة التي يتحرك فيها مثل البيئة القانونية، البيئة الإدارية، البيئة الثقافية، البيئة التكنولوجية. لأن تكنولوجيا المعلومات ليست هدفا في حد ذاتها، بل هي عنصر من العناصر لتمكين المصارف من تنفيذ أعمالها بكل كفاءة وفعالية بهدف تحسين نوعية الخدمة المصرفية وجذب أكبر للعملاء من خلال تقديم خدمات لزبائنها لم تكن معروفة من قبل كما تعمل على خفض مصاريفها التشغيلية وتكاليفها العامة في ظل البيئة التي تعمل فيها.

لقد عملت تطبيقات تكنولوجيا المعلومات على تجسيد مفهوم "زبون اليوم يعود كل يوم"، وينطوي هذا المفهوم على ما توفره التكنولوجيا من خلال إلغاء عبارة "أنا ذاهب إلى البنك"، وبذلك يتلاشى البعد ألزماني والمكاني في كثير من الحالات، لذا أصبحت تكنولوجيا المعلومات جزءا من الخدمة ذاتها، ليس فقط في خفض النفقات وتسريع انجاز العمل، وإنما أيضا لتحسين الخدمة المقدمة وزيادة مرونتها بما يتلائم واحتياجات الزبون وتسهيل الإبداع في تقديمها.

وعلى الرغم من الفوائد والعوائد والايجابيات المتوقعة من استخدام تكنولوجيا المعلومات في المصارف وعلى رغم من الحجم الكبير للإنفاق المالي عليها إلا أن الاستثمار فيها يواجه العديد من المشاكل والعقبات والصعوبات والتي يجب على المصارف إعادة النظر في إستراتجية تبني هذه التكنولوجيا ووضع المعايير الكفء لنجاحها مستقبلا.

الهوامش:

---

1 الطويل أكرم، رشيد حكمت " اثر تقانة المعلومات في إدارة المعرفة " دراسة ميدانية في عينة من الشركات في محافظة نينوى، بحوث مستقبلية العدد العاشر .2055 ص 16

2 عامر إبراهيم قنديلجي، علاء الدين عبد القادر الجنابي " نظم المعلومات الإدارية ". الطبعة الثانية دار المسيرة لنشر والتوزيع والطباعة. عمان الأردن 2007 ص 32

3 الزغبي حسن علي"نظم المعلومات الإستراتيجية –مدخل استراتيجي"، دار وائل، عمان_ الأردن، 2005 ص 48.

4 نجم عبود نجم " إدارة عمليات الإنتاج والنظم والأساليب والاتجاهات الحديثة "، مكتبة الملك فهد، الرياض _ السعودية، 2001 **ص** .764

5 Pearlson, Keri E. &Saunders, Carols. " Managing And Using Information Systems : A Strategic Approach ". 3rd edition. WILeY- Inc. USA. 2006. p14

6 Stair, Ralph M & Reynolds, George W. " Principles Of Information Systems : A Managerial Approach ".8th edition. Thomson-Inc.2008.p 4

7عثمان إبراهيم أحمد الخفاجي "تقنيات المعلومات الإدارية ومتطلبات النجاح في إدارة منظمات الخدمة العامة :دراسة فكرية" مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة العدد الرابع والاربعون ٢٠١٥ كلية الإدارة والاقتصاد– جامعة بغداد ص 335

8عجام إبراهيم محمد حسن، »تقانة المعلومات وإدارة المعرفة وأثرهما في الخيار الإستراتيجي :دراسة تحليلية مقارنة لآراء عينة من مديري المصارف العراقية، رسالة دكتوراه مقدمة الى الجامعة المستنصرية-كلية. الإدارة والإقتصاد، 2007 ص45

9 الدليمي إحسان علاوي حسين، " تحليل علاقة تقانة المعلومات بفاعلية إدارة الموارد البشرية وأثرها في بناء الكفايات الجوهرية، دراسة ميدانية في عينة مختارة من كليات جامعة بغداد"، رسالة دكتوراه مقدمة الى جامعة بغداد-كلية الإدارة والاقتصاد، 2006، ص 35

10صبري هالة «تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية الاقتصادية «، عمان الأردن، 2002، ص 215

11 العاني مزهر شعبان وجواد شوقي ناجي " العملية الإدارية وتكنولوجيا المعلومات"، دار إثراء للنشر، عمان _الأردن، 2008، ص 28

12 Turban, E.; Miclean, E. & Wetherbey, J, (1999), Information Technology for Management,Making Connections for Strategic Advantage, 2nd ed, John Wiley & Sons Inc, New York.p 103

13يوسف بسام عبد الرحمن» أثر تقانة المعلومات ورأس المال الفكري في تحقيق الأداء المتميز"، أطروحة دكتوراه فلسفة في إدارة الأعمال مقدمة لجامعة الموصل،كلية الإدارة والاقتصاد، 2005ص182

14 التميمي وسام خالد، " العلاقة بين القيم الثقافية وتقانة المعلومات وأثرها في صنع وإتخاذ القرارات، دراسة تشخيصية لآراء عينة من العاملين في الدارة الفنية/وزارة النفط، دراسة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد .-كلية الإدارة والإقتصاد، 2007، ص 46

15الصباغ عماد عبد الوهاب، »علم المعلومات " الطبعة الأولى، الدار العلمية ومكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2002، ص 182

16 Daft,Richard.L.,"Organization Theory and Design", 7th ed.,South Western College Publishing, U.S.A.,2001 p246-247

17أبو غنيم، أزهار نعمة عبد الزهرة، »المعرفة التسويقية وتكنولوجيا المعلومات وأثرهما في الأداء التسويقي"، أطروحة دكتو ا ره فلسفة في إدارة الأعمال مقدمة للجامعة المستنصرية،كلية الإدارة والإقتصاد، 2007، ص97

18ياسين سعد غالب، »نظم المعلومات الإدارية"، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان_ الأردن، 2003، ص 51

19عزاب كامل السيد وحجازي، فادية محمد، "نظم المعلومات الإدارية-مدخل إداري"، الطبعة الأولى .مطبعة الشجاع الفنية، مصر-الإسكندرية، 1999 ، ص127

20 Miller , P., " Strategy and The Ethical Management of Human Resources " , New york , 1996 p 16

21الوارث عبد " محمد، إقتصاد المعرفة والتطور والمؤتمر "التكنولوجي العلمي الثاني لكلية الاقتصاد الأردن، الإدارية، والعلوم2006 ص 12

22 Turben , Afraim Miclean , Ephraim , Information Technology for Management 2nd ed , Colfornia, Vsa ,2000 P 198

23 رياض عبد الله الخوالدة ومحمد فالح الحنيطي " أثر استخدام تكنولوجيا المعلومات على الإبداع الإداري في المؤسسات العامة الأردنية"، دراسات، العلوم الإدارية، المجلد35 ، العدد2 2008 الأردن ص ص 321-322

24 Gordan,Judith R, Steven R.Gordan : Information Systems : Amanagement Approach, 2é edition; N.Y, Dryden press, 1999, p:98.

25 عصام محمد البحيصي " تكنولوجيا المعلومات الحديثة وأثرها على القرارات الإدارية في منظمات الأعمال- دراسة استطلاعية للواقع الفلسطيني، مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإنسانية المجلد الرابع عشر، العدد الأول، يناير2006 . ص 161

26 عصام محمد البحيصي، المرجع السابق، ص 157

27 الشيخ الداوي، سمية برنو عملية" إعادة الهندسة في تطوير الخدمة المصرفية." دراسة حالة البنك الوطني الجزائري، جامعة يوسف بخدة الجزائر ص 9

28 العربي عطية" أثر إستخدام تكنولوجيا المعلومات على الأداء الوظيفي للعاملين في الأجهزة الحكومية المحلية –دراسة ميدانية في جامعة ورقلة الجزائر" مجلة الباحث، عدد 2012/10 جامعة قاصدي مرباح ورقلة – الجزائر كلية العلوم الإقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، ص 325

29 حنان احمد القضاة، " أثر استخدام تكنولوجيا المعلومات على التطوير الإداري في الجامعات الأردنية الرسمية، رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، جامعة آل البيت، عمان –الأردن، 2007 .ص ص65-68

30 Landon, Kenneth. C & London, Jane .P. " Management Information Systems Managing The Digital Firm ". 8th edition. Prentice – Hall. 2004.p 11

31 Haag, Stephen, Cummings, Maeve & Phillips, Amy. " Management Information Systems: For Information Age ". 6th edition. McGraw- Hill.2007.p172

32 سامر ابو زايد " دور تقنية المعلومات المحوري في الصناعة المصرفية" مجلة الدراسات المالية والمصرفية– العدد الأول 2014ص 5

33ياسين سعد غالب، »نظم المعلومات الإدارية"، دار اليازور العلمية للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، 2003، ص 51

34 الصباغ عماد عبد الوهاب، »علم المعلومات "مرجع سبق ذكره، ص 182

35اللوزي موسى، »التنمية الإدارية – المفاهيم والأسس والتطبيقات"، دار وائل للطباعة والنشر، عمان–الأردن، 2001.

36 سلوى محمد الشرفا "دور إدارة المعرفة و تكنولوجيا المعلومات في تحقيق المزايا التنافسية في المصارف العاملة في قطاع غزة" رسالة ماجستير في إدارة الأعمال الجامعة الإسلامية غزة عمادة الدراسات العليا،كلية التجارة قسم إدارة الأعمال 2008، ص ص 55- 56

هل الفعالية الشخصية نسخة طبق الأصل لمفهوم الذات؟

د/ ربعي محمد، المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان

الملخص: هذا المقال يقدم عرض لجملة من المعارف النظرية والتطبيقية لنقاط مشتركة ونقاط إختلاف بين كلا المفهومين. مفهوم الذات ومفهوم الفعالية الشخصية و الذي يعتقد في الغالب أنهما متماثلان. حيث أن الأخير يستند إلى النظرية المعرفية الإجتماعية (لبونديرا،1997) والذي قدمه وعالجه كمفهوم نفسي عالمي يساهم في تباين السلوكات والأداءات البشرية.

الكلمات المفتاحية: الفعالية الشخصية، تصور الذات، تقدير الذات، إدراك الذات.

Abstract: This article presents a literature review in matters of common points and difference between the concept of self and the new of Self-efficacy.The latter which is based on the socio-cognitive theory (Bandura, 1997) this efficiency was considered as a universal psychological construct contributing to the variance of human performance.

Key words: Self-efficacy, self-concept, self-esteem, self-perception

مقدمة:

إن الشعور بالفعالية الشخصية مفهوم طوره العالم النفساني أ. بونديرا والذي هو إعتقاد الشخص بقدرته على تحقيق الأهداف ومواجهة مختلف الوضعيات.منذ تأسيس هذا المفهوم من الناحية النظرية ظهر كبعد أساسي وجوهري لتفسير السلوكات والتصرفات البشرية في ميادين مختلفة إنطلاقاً من مبدأ أن الفرد لا يمكنه التطور و أن يحافظ على الغاية من السلوك أو يثابر أمام الصعوبات إذا لم يعتقد أنه قادر على تحقيق النتائج المرغوبة إستناداً إلى نشاطاته و جهوده فهي ليست مرتبطة بالكفاءات التي يمتلكها الشخص بل الإعتقاد بهاته الكفاءات وما يستطيع القيام به. وهذا الشعور عامل مهم في الدافعية حين السلوك و المثابرة نحو تحقيق الأهداف لأن مستوى الجهد المبذول والمستثمر هو حسب النتائج المتوقعة كما أن الشعور بالفعالية القوي يؤدي إلى تحديد أفضل للأهداف وبذل المزيد من الجهود والمثابرة إضافة إلى ذلك إن الضعف في الشعور بالفعالية هو عامل مهم في الإصابة بالإكتئاب. فالمفهوم تم إستعماله في العلاج النفسي وبرامج التدخلات لتدعيم تحقيق الأهداف في مختلف الميادين وخصوصا

المتعلقة بالصحة (مثل التوقف عن التدخين،الحمية وفقدان الوزن، التكيف مع المرض مثل السكري...) وبالميادين المدرسية و المهنية.

أولاً: الشعور بالفعالية الشخصية:

1- الشعور بالفعالية (Le Sentiment d'éfficacité) :

هو عندما يعتقد الشخص أنه وبصورة محكمة (إنتظامية) بقدراته وإمكانياته في إنجاز نشاط معين حتى نهاية المطاف، وهذا النوع من الشخص يملك مستوى عال من هذه السمة من سمات الشخصية ومقابل ذلك إذا كان لشخص أخر شكوك جدية في تحقيق النشاط فإنه يملك ضعف في الشعور بالفعالية. إذن فالشعور بالفعالية هو الثقة التي لدينا بقدراتنا لإنجاز والقيام بنشاط ما بنجاح ويتكون هذا المفهوم من ثلاثة أبعاد هي :

1- أهمية مستوى الأداء الذي يعتقد الشخص أنه يتوصل إليه و يحققه.2- قوة هذا الشعور.3- التعميم بإنتقال هذا الشعور من وضعية إلى أخرى. **(Mc Shane L,Benabou Ch: 2008 , 145)**

إضافة إلى ذلك يعرف كل من (Bouffard-Bouchard et Pinard,1988) الشعور بالفعالية الشخصية هو الحكم الذي يوجهه الشخص نحو قدرته في تنظيم وإستعمال مختلف النشاطات المنسجمة واللازمة في إنجاز مهمة وبالتالي هو إعتقاد الأشخاص بكفاءاتهم في تحقيق مهمة بنجاح **(B. Galand, M. Vanlede: 2004 , 93)**

من جهة أخرى حسب (Bandura,1997) و (Maddux ,2002) إن الفعالية الشخصية لها خاصيتين الأولى أنها ليست سمة من سمات الشخصية وإنما هي إعتقاد. أما الخاصية الثانية فهي أنها تنظم الموارد، القدرات، الإستعدادات والمعارف لتحقيق الأهداف المحددة في ميادين نوعية وخاصة فهي إعتقاد الأفراد بقدرتهم على تعبئة الموارد الأساسية للتحكم في الوضعيات وإنجاحها حيث تنقسم إلى بعدين هما الأول توقع الفعالية أي أننا نمتلك الموارد لمواجهة وضعية محددة و الثاني توقع النتيجة أي أننا نتحكم فيها و نحقق الأهداف المقصودة **(Foucher R, Morin L: 2007, 47)**

إلا أن (ME Gist et t.t Mitchell) يرى خلاف ذلك فهذا الشعور بالفعالية هو سمة (Trait) من سمات الشخصية المتزنة والعامة فبعض البحوث أوضحت أنه مرتبط بالأداء في العمل وخارجه علاوة على ذلك فالأفراد الذين يعتقدون أنهم ينجحون في إنجاز مهمة هم فعلاً ينجحون في إنجازها، أما الذين لديهم شكوك فهم لا يحققون المستوى المطلوب. النوع الأول هم عموماً أكثر سعادة في العمل وفي حياتهم. والكثير من النجاحات في محاولاتهم للتجديد أكثر من الأخرين، لكن السؤال: كيف ينمو ويتطور هذا الشعور؟ أولاً وقبل كل شيء بالتجربة والخبرة المباشرة للمهام التي تم إنجازها بنجاح ثم بالتعلم البديل (L'apprentissage vicariant) يعني ذلك بملاحظة الأخرين وهم ينجزون هذه المهام: هل هذا الشعور يمكن تغيره؟ على العكس من الجوانب الأخرى للشخصية الإجابة هي نعم ولحسن الحظ بقوة لدى الأشخاص الذين لديهم شكوك بقدراتهم، ويمكن أن نعدل هذا الشعور بالتكوينات النوعية (مثلاً كيفية القيام بعرض، أو ندوة.) عبر القيام بذلك مع نماذج (Modèles) ناجحين في القدرة على العرض، أو عبر إدماج الأشخاص في جماعات أو فرق عمل أكثر كفاءةً وأداءاً و نقدم لهم المساعدة عبر المرافقين"Mentors, Coaches" أو الإقتراح على الشخص التعلم عبر التصور (Visualisation) أي تذكر النجاحات السابقة حتى الأكثر تواضعاً و إعطائه تغذية رجعية إيجابية وغير هدامة (Rétroactive positive).**(Mc Shane L, Benabou Ch: 2008 , 145)**

2- الفعالية الشخصية حسب باندورا :

حسب (Bandura,2003) إن الفعالية الشخصية تتعلق بالتقييمات الصادرة من الفرد نحو قدراته الشخصية، فالكائن البشري هو بحاجة إلى ثقة متينة في فعاليته ليشرع أو يتابع جهوده المطلوبة لإنجاح مهمة أو تحقيق هدف. حيث تحتل مكانة جوهرية ومركزية في النظرية الإجتماعية المعرفية حيث تؤثر في النشاطات وفي درجة الدافعية. فالإعتقاد بالفعالية الشخصية يلعب دوراً هاماً في إكتساب وتعلم الكفاءات ويعدل أيضاً من الدافعية عبر الطموحات والنتائج المتوقعة، والجهود الشخصية. من جهة أخرى ينبغي الإشارة أن الفعالية الشخصية هي نوعية (Spécifique) بحيث أن الشخص يمكن أن يشعر

أنه كفؤٌ في اللّغات و ليس في الرياضيات، كما أنها سياقية (Contextuelle) فقد يكون شخص يعتقد أنه كفؤ في اللغة الفرنسية لكنه يشعر أنه غير قادر على كتابة رواية. (**Lirette-Pitre. N: 2005 , 94**)

3- الشعور بالكفاءة كميدان جديد للبحث.

إن دراسة الشعور بالكفاءة والتي يتضمنها الإختيار، الإلتزام، المثابرة، والأداءات الذهنية والتي تشرح جزءاً كبيراً من الفروقات الفردية تمثل الآن ميدان بحثٍ هام، سواءاً على مستوى فهم السلوكات، أو مضامينها في التربية، و بالنظر إلى تأثير دور تصورات الذات في أداءات المتعلم، تم الإعتراف به من قبل (Mc Combs,1989) إلا أن قياسه ودراسته العلمية تعثرت أمام مجموعة من المشاكل التصورية والسيكومترية حتى ظهور البحث المجدد لـ (Bandura,1977) و الذي إقترح نظرية تعالج أصول وسيرورات ومختلف أشكال الإعتقاد بالكفاءة الشخصية. إبتداءاً من تلك الفترة تتابعت الدراسات حول أثار الشعور بالكفاءة على الإشتغال الإنساني في وضعيات مختلفة للتصور والتعلم، الصحة النفسية والجسمية (التحكم في الإجهاد والضغط والقلق، المخاوف، الإدمان، معالجة الأمراض المزمنة، الإسترجاع بعد الجراحة...) والنمو الشخصي (العلاجات الوجدانية...) المسار المهني، النمو المعرفي والتعلم المدرسي والمهني، في كل المراحل، الرياضات التربية العائلية (الأبوية) والمحافظة على الوظائف المعرفية لدى المسنين وآخرون.

المصطلحات: **إعتماداً** على عدّة باحثين نجد هذا المفهوم تحت عدّة تسميات (**Ruph. F: 1997, 8**):

- Self confidence.
- Self competence.
- Self perceptions of ability.
- Self efficacy.
- Personal efficacy.
- efficacy belifs.
- Perceived efficacy.
- Sence of efficacy.
- Feeling of competence.

ويمكننا أن نعتمد المصطلحات التالية في اللغة العربية كمرادفات وهي على التوالي: الفعالية الذاتية، الفعالية الشخصية، الشعور بالكفاءة، الشعور بالفعالية، الشعور بالفعالية الشخصية، الإعتقاد بالفعالية الشخصية، الثقة بالذات. إلا أننا نحاول أن نتبنى مصطلح الفعالية الشخصية بدل الذاتية والمصطلحات الأخرى حتى لا نقع في الخلط في المصطلحات المعاينة في اللغة العربية والتي هي تعالج مفهوماً واحد لا أكثر حينما يتم التأصيل اللغوي بدل المفاهيمي والدلالي الإبستيمي للمصطلح.كما أننا نحبذ الشخصية بدل الذاتية بإعتبار المفارقة التي هي بين الفعالية الشخصية ومفهوم، تصور الذات.

ثانيا: هل الذات هي جوارية أم نسخة أصلية للفعالية الشخصية؟ :

خلال السنوات العشرة الأخيرة لاحظنا إعادة إهتمام الباحثين في مجالات علم النفس والتربية بالسيرورات المتعلقة بالذات لأن دراستها كشفت عن موضوع الإدراك الذي أخذ دوره الوسيطي في تزايد. فهو يتدخل في التدرج المدرسي للتلاميذ.كما أن عملية تعلمهم وإكتسابهم لا ترتبط فقط بالمعلم وظروف التعلم في القسم. أيضاً فهو يحتل مكانة هامة في بحوث علم النفس الإجتماعي والتربية حيث تزايدت الدراسات بشكلٍ مثير التي عالجت مفهوم الذات (self-concept)، تقدير الذات-self) (esteem، الفعالية الشخصية (self-efficacy) ، إدراك الذات(self-perception) ، الضبط الذاتي (self-regulation) حيث بات من الضروري في المعالجة و التناول أن يتم التطرق إلى المفاهيم التي المتقاربة .**(Joët.G: 2010 , 43)**.

1- ما هي الذات ? Qu’est ce que le soi:

كانت هاته بعض الإجابات المتعددة المقدمة عن سؤال "من أنا ؟ من قبل طلبة علم النفس :

* متفكر، متفهم، مرن، عقلاني، خجول غالباً، حذر، يركز لكن دقيق، هادئ.

* مرأة، طالبة، نشطة، موزعة موسيقية، مهتمة، لديها قوة في الضمير، متهكمة، محبوبة، مستقلة، متحمسة، قوية التحليل، التفكير و الإلهام، مستغلة للفرص، شريفة (مخلصة)، أنانية، متسامحة، متصلبة الرأي، ذات شهادة.

* رجل غامض، أزرق العينين، يحب الرياضة، يحب القيتارة، ودي، إجتماعي، منظم، يهتم بالأهداف، لبق ... فماذا تعني هذه الإجابات؟ فمعظمها أنها سلسلة من النعوت التي تمثل صفات وسمات وحالات شبه مستقرة ثابتة فغالبية الطلبة يعتبرون أنهم يمتلكون شخصية فريدة تمثل ذواتهم. فحين يجيب الطلبة عن سؤال من أنا؟ فالذات التي يصفونها ليست وحدة ثابتة، فالطريقة التي يتكلمون عن أنفسهم مرتبطة بالوضعية الإجتماعية لذلك فالأنا ديناميكي فهو ليس وحدة ثابتة، بل بنية ديناميكية متعددة الأبعاد. فالأفراد يتحدثون عن ذوات مختلفة حسب السياق الإجتماعي.**(Fiske Susan ,T: 2008 , 215)** .

التعاريف النظرية :عدّة باحثين في الذات فرقوا بين: 1/-الذات الجسدية (Le soi corporel). 2/- الذات الداخلية (Le soi interieur). 3/- الذات بين الشخصية (Le soi interpersonnel) حيث أن هاته الفكرة دافع عنهاW, James 1890 . 4/- الذات الإجتماعية (Le soi sociétal).

التعاريف الإجرائية: فما هي التعاريف العملية لمفهوم الذات؟ أما المختصين في علم النفس الإجتماعي. طرحوا السؤال كيف يتم تجسيدها لكي ندرسها وقياسها فعلاً؟ فالبحث في الذات يرجعنا إلى ثلاثية معرفة، وجدان، سلوك فتقسم إلى: –الذات والمعرفة (مفهوم الذات) (Concept de soi).

- الذات الوجدان (تقدير الذات) (Estime de soi).
- الذات و السلوك (تصور الذات) (Présentation de soi)

علاوة على ذلك يضاف في بعض الأحيان مفهوم أكثر إرتباطاً هو المحتوى السلوكي للذات.

1–1 مفهوم الذات le Concept de Soi:

يعني الصورة المعرفية للذات، ففي هاته المقاربة تركز في الدراسة على المعارف والاعتقادات، التي لدى الأفراد عن ذواتهم.

1–2 تقدير الذات l’Estime de Soi:

ميدان آخر في البحث يتوجه نحو تقدير الذات حيث أن هناك باحثين درسوا موضوع تقدير الذات وقياسها بعدة أشكال، فالتغيرات في تقييم الذات والتي هي خاضعة للسياق كمؤشر لنجاح الشخص، والمقياس المشهور لـ (Rosenteng,1965).كما أن هناك دراسة قام بها (Wells,1988)

لقياس تقدير الذات من خلال الهواتف النقالة للأمهات ومكالمتهم في بعض الأوقات لمعرفة كيف سيشعرون تجاه أنفسهم، وإلى أي مدى هن راضيات وماذا يفعلون ؟ حيث أن الباحثين درسوا ثلاثة أبعاد لتقدير الذات: 1/-الأداء Performence " إنني أثق في قدراتي. 2/- الإعتبار الإجتماعي Considération sociale "إنني قلق مما يفكر فيه الآخرون نحوي" و 3/- المظهر Apparence "إنني راضي حالياً عن مظهري الجسدي".كما توجد هناك قياسات أخرى لتقدير الذات، و التي تكون جماعية ونوعية بميدان معين **(Fiske Susan,T: 2008 , 219)**

3-1 تصور الذات :la représentation de Soi

هو ميدان إجرائي للذات يختص بالتصورات، والذي يدرس السلوك من وجهة علم النفس الإجتماعي وكيف أن بعض الأشخاص يعبرون للآخرين عن هوياتهم وصورتهم. وفي دراسة (Ehrlinger, Dunning,2003) وضحا أن التصورات الذاتية (Auto Conceptions) المستمرة يمكن تولد عنها أراء غير دقيقة، متعلقة بالأداءات الخاصة مثلاً الشخص الذي يعتقد أنه سيء في العلوم فيتجنب المشاركة في مسابقة العلوم. إذن فكيف يتوصل الأفراد إلى معرفة أنفسهم ؟

1/-الملاحظة: الإدراك الذاتي للسلوكات.

2/-الاستماع للذات: إستبطان الموضوع لتفكيره ومشاعره الداخلية.

3/- ملاحظة الآخرين "المقارنة الإجتماعية".

4/- الإستماع للآخرين / الرد الفعل الإجتماعي. **(Fiske Susan T: 2008 , 234-235)**

ثالثاً: معاينة نظرية وإجرائية للمفاهيم:

1-مفهوم الذات "Le concept de soi»:

تم تحليل التقييم الذاتي غالباً عبر مفهوم الذات، (Rogers 1959. Wylie,1974)، فمفهوم الذات هو رؤية مركبة (متعددة المكونات) (Composite) التي من المفروض أن تتشكل عبر التجربة والخبرة المباشرة للفرد، ومن خلال سلسلة من التقييمات والتقديرات للأشخاص المهمين بالنسبة إليه. ويقاس بالطلب من الموضوع إلى أي مدى تنطبق عليه بعض المجموعة من السمات، أما عن دوره في

المسار الشخصي فيتم تقييمه وقياسه عبر الإرتباط بين مفاهيم الذات المركبة أو عبر التباين (Disparités) بين الذات المثالية والواقعية، مع مختلف مؤشرات التوافق في الإتجاهات والسلوك. كما أن تحليل العمليات المرجعية الذاتية على شكل مفهوم الذات يسمح أكثر بفهم إتجاهات الأفراد نحو أنفسهم و الطريقة التي يمكنهم تعديل تصورهم العام عن الوجود.

غير أن بونديرا في إنتقاده لنظريات الذات يرى أن هناك خصائص عدّة لهذه النظريات التي تعجز عن شرح و تنبؤ (Explicatif, prédictif) للسلوك الإنساني، لأنّها تهتم فقط بصورة الذات العامة أو الإجمالية، والواقع أن تجميع عدّة توجهات في مؤشر يؤدي إلى خلق نوع من الإلتباس والغموض فيما يجب قياسه. مما يصعبه فعلياً وبعض الأهمية التي يجب إعطائها لبعض الميزات النوعية، حتى ولو كان التصور الإجمالي للذات، مرتبط ببعض مجالات الإشتغال وهذا لا ينصف تعقد وتركيبة الإعتقاد بالفعالية والتي تختلف حسب مجالات النشاط، ومستويات الصعوبة في نفس المجال وحسب الظروف، فصورة للذات المركبة يمكن أن تحتوي على إرتباطات ضعيفة لكن هذا غير كافي للتنبؤ بصورة أدق نحو التغيرات الكبرى الحاصلة للسلوك في مجال نشاط معين، تحت ظروف مختلفة. فهاته النظريات لا يمكنها شرح كيف أن هناك تشابه في مفاهيم الذات والتي يمكن أن تنتج وتحدث سلوكات مختلفة. إضافة إلى ذلك إن الإختبارات المقارنة للقدرة التنبؤية للإعتقاد بالفعالية هو عالي التنبؤ للسلوك، في حين أن أثر مفهوم الذات هو أكثر ضعفاً و غموضاً (Pajares et Kranzler, 1995, Miller et Pajares, 1994). **(Bandura A: 2007, 23-24)**

2- تقدير الذات "l'Estime de Soi" :

ينتج تقدير الذات من التقييم الذاتي الدائم للفرد الذي يبنى ويدافع وأحياناً يعدل من أرائه نحو سلوكاته، واتجاهاته ومظهره وقيمته الشخصية، وهذه التأكيدات العامة تعكس ردود فعله نحو الأشخاص والوضعيات، في نجاحاته وإخفاقاته وأراء الآخرين نحو هذه التقييمات. كما أن هذه الأخيرة تتميز بالدّقة والإستقرار الكافي لكي تظهر في الحين كبعد و سمة رئيسية في الشخصية، و حين ينظر إلى تقدير الذات من وجهة نظر العوامل الخمسة للشخصية (Big five) فإنه يندرج ضمن عامل القدرة

على التكيف (Capacité d’adaptation) كما أنه يؤثر في عدّة جوانب مهمة للسلوك في المنظمات وفي سياقات إجتماعية أخرى، والتي تتعلق أولاً بالإختيار المهني فمثلاً الأفراد الذين لديهم تقدير للذات عالي يخاطرون في إختيار المهنة فهم ينجذبون نحو المهن ذات المكانة الكبيرة (الطب، أم الحقوق) وأحياناً نحو مهن جديدة (عامل في الغابات، أو سائق طائرة...) أكثر من الذين لديهم تقدير ضعيف للذات، فهناك دراسة أجريت على طلبة الجامعات في البحث عن العمل توصلت أن الذين لديهم تقدير عادي للذات 1/- يستفيدون من تقييمات أكثر مناسبة من قبل المشغلين. 2/- هم أكثر رضاً في البحث عن العمل. 3/- يحصلون أكثر على عروض العمل. 4/- هم أكثر تقبلاً للمهن.

فتقدير الذات هو مرتبط أيضاً بعدّة سلوكات، فالمستخدمين الذين لديهم درجة ضعيفة هم أكثر تأثراً بآراء الآخرين أكثر من الذين لديهم تقدير عالي للذات، كما أن الأوائل يحددون أهدافاً أدنى من الآخرين. ومن جهة أخرى إن المستخدمين الذين لديهم إحترام لذواتهم يعطون أهمية كبيرة للتحقيق الفعلي لأهدافهم، أما الذين لديهم تقدير للذات ضعيف فهم أكثر حساسية نحو ظروف العمل غير المناسبة التي تسببها الضغوط المهنية و الصراعات، الشكوك من نقص التحكم و رداءة ظروف العمل. و في السياق العام إن التقدير للذات مرتبط إيجابياً بالإنجازات و التضحية لأجل تحقيق و إنجاز المهام فمن الواضح أنه عامل مميز و هام للشخص كما هو مهم بالنسبة لسلوكه المهني **(Hellriegel Don. Slocum John W: 2006 , 60-62)**

رابعا: المقارنة بين الفعالية الشخصية وتقدير الذات:

غالباً يستعمل المفهومين بصفة تبادلية كأنهما يمثلان نفس الظاهرة لكنهما فعلياً يرجعان إلى معطيات مختلفة تماماً، الفعالية الشخصية المدركة تختص بتقييمات الفرد لقدراته الشخصية في حين أن تقدير الذات تختص تقديرات الفرد لقيمته الشخصية. كما أنه ليس هناك علاقة نسقية (منهجية) بين هاذين النوعين من المعطيات، فبعض الأفراد يمكن إعتبارهم كليةً غير فعالين في نشاطٍ معين لكن بدون أن يفقدون تقديرهم لذواتهم لأنهم لم يتعهدوا ولم يرهنوا قيمتهم الشخصية في هذا النشاط. فعندما أعترف أنني راقص رديء جداً لا يعني ولا يؤدي إلى أزمات ذاتية لعدم التقدير (Auto

dévalorisation) وفي الوجه المعاكس يمكن للأفراد تقدير أنفسهم أنهم أكثر فعالية في نشاط ولا يعبرون عن إفتخارهم فمثلاً من غير ممكن للمحضر القضائي الأكثر كفاءةً أن يشعر بالإفتخار حين يطبق قانون العدالة في إخلاء شخص أو عائلة من مكان.

وفي المقابل إنه من المؤكد أن الأفراد يكون لديهم الميل لتنمية قدراتهم في النشاطات التي تقدم لهم المزيد من الشعور بالقيمة الشخصية، فهم بحاجة أكثر إلى تقديرٍ عالٍ للذات للتصرف تبعاً لأهدافهم، فالكثير من الأشخاص ذو الأداء العالي هم قاسين مع أنفسهم لأنهم يريدون تسطير أهداف ومحطات صعبة التحقيق. من جهةٍ أخرى بعض الأشخاص يمكنهم الإحساس و الشعور بالتقدير العالي للذات لأنهم لا يطلبون من أنفسهم الشيء الكبير و يستمدون تقديرهم للذات من نشاطات ونجاحات شخصية أخرى، فالتقدير العالي للذات لا يفضي دائماً إلى أحسن الأداءات لأن هذه الأخيرة هي نتاج الجهد المنضبط، فالأفراد هم بحاجة إلى الثقة الصلبة بفعاليتهم، في تقديم الجهد المطلوب ومتابعته من أجل النجاح، إضافة إلى ذلك الفعالية الشخصية المدركة، تنبؤنا بالأهداف التي يسطرها والأداءات الناتجة التي يتحصلون عليها ويحققونها، في حين أن تقدير الذات، لا يؤثر سواءاً على الأهداف الشخصية أو الأداءات (Mone, 1995)، **(Bandura.A: 2007, 24-25)**.

وحسب بونديرا 1995 الذي حدد مصادر تشكل الشعور بالفعالية الشخصية: 1-تجارب التحكم.2-التجارب البديلة الآتية من النماذج الإجتماعية. 3- الإقناع الإجتماعي. 4-الاستجابات وردود الفعل الفيزيولوجية والانفعالية. علاوة على ذلك أكدت بعض الأبحاث أن الشعور بالفعالية الشخصية له تأثيرات لا ينبغي إغفالها على الإلتزام، الأداءات، مسار تكوين المتعلمين علاوة على ذلك الإعتقاد بالفعالية الشخصية في السياق المدرسي يؤثر في إختيار النشاط، ومستوى الجهد المبذول والمثابرة والردود الإنفعالية.**(Perrenoud.P: 2013, 217)** .

فالتقييمات للقيمة الشخصية والفعالية الشخصية هما ظاهرتين مختلفتين عن بعضهما البعض وليس بينهما علاقات كامل العضوية في نفس الظاهرة الواحدة والأكثر من ذلك أن تقدير الذات ليس متعدد الأوجه مثل الفعالية الشخصية فالأفراد الذي لديهم مستويات مختلفة من تقدير الذات حسب

تعلقها سواءاً بالعمل أو الحياة العائلية، أو الحياة الاجتماعية، فالمسيرين يمكن أن يكون أقوياء في مهامهم ويمكن أن تكون لهم قيمة مهنية عليا لكنهم أشد سوءاً كآباء. فربط قياسات القيمة الشخصية بمجال التطبيق المهني يكشف عن المجالات التي تدعم في نفس الوقت تقدير الذات لشخص وما هو أيضاً قابل في التوجه إلى التحقير (Dévalorisation)، فليس هناك تبرير تصوري أو تجريبي في ترجمة عموماً القيمة الشخصية وتقدير الذات بالإعتقاد بالفعالية الشخصية النوعية. فهناك عدّة مصادر لتقدير الذات و القيمة الشخصية. فتقدير الذات يمكن أن يكون مصدره التقييم الذاتي المرتكز على الكفاءات الشخصية، أو إمتلاك خصائص و سمات شخصية، تستثمر في القيم الإيجابية أو السلبية حسب الثقافة. وهذا التقييم الذاتي يسمح لهم بالتأثير في تقديرهم لذواتهم، وذلك بتنمية الإستعدادات التي تجلب الرضا الذاتي (Auto satisfaction) هناك مصدر آخر هو الأحكام التي يصدرها الناس عن الآخرين والتي تكون مبنية عن الميزات الشخصية المناسبة أم لا ثم الإنجازات والتي يكون مرتبطة بالمكانة أكثر منها للكفاءة، **(Bandura.A: 2007, 26)**.

وحسب دراسة (Cooper Smith, 1967) التي أكدت الدور الذي تلعبه الكفاءة الشخصية والتقييم الإجتماعي في تنمية تقدير الذات حيث إستنتج أن الأطفال الذين لديهم تقدير عالي للذات لديهم آباء متفتحين يقدمون لهم إنتقادات علنية و مقبولة و يقدمون لهم كذلك المساعدة المطلوبة، وحرية كبيرة في إكتساب الكفاءات المطلوبة في إنجاز أهدافهم، أيضاً العادات الثقافية (Stéréotypes) تمثل طريقة أخرى من خلالها تؤثر الأحكام الإجتماعية على الشعور بالقيمة الشخصية، فتقدير الذات لديه أسباب وأصول متعددة و ليس هناك علاج واحد لضعف تقدير الذات، فالأشخاص الذين لديهم كفاءات محدودة ومحكات مطلوبة في التقييم الذاتي، وخصائص إجتماعية غير مؤهلة هم الأكثر عرضة لظهور الشعور الملازم لغياب القيمة الشخصية، فهم يعانون من الإحتقار الذاتي (Auto dénigrement) لأنهم قاسين في تقييم أنفسهم أمام محكات صعبة جداً ومفرطة الإنجاز فنقدم لهم المساعدة عبر تبني محكات النجاح واقعية الإنجاز (Jackson 1971.Rehm,1982) أما الإحتقار الذاتي (Auto dévalorisation) النابع من الأحكام الإجتماعية غير المقبولة، يتطلب مسيرة وخطوات من الآخر

لتأكيد القيمة الشخصية للفرد. أما الذي يكون ينبني على التحقير التمييزي إنطلاقاً من خصائص الفرد يتطلب تعويضه بالشعور بالإفتخار على أساس خصائصه المميزة، مثلاً جهود الأقليات السوداء نحو توجه أن الأسود هو الجميل والأفضل والتي تلخصها مقولة "Black is beautiful» أما إذا كان مصدره متعدد الأسباب فيتطلب ذلك إجراءات تصحيحية مختلفة ومتعددة، **(Bandura.A: 2007, 27)**.

الخاتمة:

إن من أهم أسباب نجاحات النظرية المعرفية الإجتماعية في تفسير والتنبؤ بالسلوك والأداء الإنساني هو راجع إلى أهم مكونات هاته النظرية والتي من ضمنها الفعالية البشرية ومفهوم الفعالية الشخصية والذي أكدته عدة دراسات نظرية وميدانية في عدد معتبر من المجالات للسلوك البشري سواءاً في الرياضة والصحة، العمل، المدرسة أو الميدان المرضي والاضطرابات السلوكية فجميعها أكدت الدور الذي يلعبه الشعور بإمتلاك الكفاءة والفعالية العامة أو النوعية في نجاح والصحة النفسية. وهو يختلف تماماً عن مفاهيم الذات.

المراجع:

- **Bandura,A**.(2007)."Auto-efficacité. Le sentiment d’efficacité personnelle"(Trad.J.Lecomte). Bruxelles, Belgique: De Boeck.
- **Benabou, Ch. & Mc Shane, Steven**.(2008)."Comportement organisationnel":Comportement humain et organisations dans un environnement complexe.Quebec, Canada :Cheneliere Mc Graw-Hill.
- **Blanchard, S. Lieury,A. LeCam, M. Rocher, T.** .(2013)."Motivation et sentiment d’efficacité personnelle chez 30000 élèves de 6e du collège francais.".Bulletin de psychologie/tome 66(1)/523.janvier-fevrier 2013.
- **Don, Hellriegel. John,W Slocum.**(2007) "Management des organisations".Bruxelles De Boeck.
- **FISK, S T**.(2008). "Psychologie sociale". (Trad. Provost, V. Hoyghues des points, S). Bruxelles, Belgique: De Boeck.
- **Galand, B.Vanlede, M**.(2004)."Le sentiment d’efficacité personnelle dans l’apprentissage et la formation: quel role joue-t-il? D’où vient-il? Comment intervenir? Savoirs, 2004,Hors-série www.cairn.info/revue-savoirs-2004-5-page-91.htm. Consulté le 21 Juin 2010.
- **JOET, G.** (2010)."Le sentiment d’auto-efficacité en primaire" :De son élaboration à son impact sur la scolarité des élèves.Version 1-30 Mars 2010.Thèse de doctorat En Sciences de l’Éducation. GrenobleII–Université Pierre-Mendes,France.http://hal.archives-ouvertes.fr/docs/00/46/81/38/PDF/thesejoet.pdf , Consulté le 06 Avril 2011.

- **Lirette-Pitre, N.** (2005). "Une initiative pédagogique intégrant les technologies d’information et de la communication (TIC)"visant à rendre les sciences et l’informatique plus attrayantes pour les adolescent. http://www.acelf.ca/c/revue/pdf/XXXIII_1_089.pdf
- **Perrenoud, P & Al** (2013). "Former des enseignants réflexifs- Obstacles et résistances" Bruxelles, Belgique: De Boeck.
- **Roland, Foucher & Morin, L**.(2007)."Self-efficacy and learning in flexible training systems: data from five research projects".Psychologie du Travail et des Organisations – 2007 Vol 13 n°3.
- **Ruph, F.**(1997)."Le sentiment de Compétence et l’apprentissage chez l’adulte."Question de synthèse no 1.En ligne http://bv.cdeacf.ca/documents/PDF/15229.pdf , Consulté le 21Mars 2011.

Bilan des découvertes archéologiques De l’année 2010 à Tigzirt

Dr. BOUKHENOUF Arezki Pr. FILAH Mohamed El Mostapha
Institut d’archéologie, université d’Alger2

Résumé
Notre travail consiste à décrire les différentes découvertes effectuées dans le site de Tigzirtet ses environs à savoir : deux éléments décoratifs et trois fragments de stèles au niveau du site antique IOMNIUM et l’atelierde taille de pierre,un four céramique et une nécropole au lieu dit Sidi Khaled. Ces éléments sontdes indices essentiels pour comprendre les sites antiques de Tigzirt et Taksebt dans la wilaya de TiziOuzou.

Mots clés
Tigzirt, stèle, élément décoratif, atelier, four céramique, nécropole.

الملخص:
يهدف بحثنا إلى وصف مختلف العناصر الأثرية التي عثرنا عليها في الموقع الأثري لتقزيرت وضواحيه: عنصرين زخرفيين وثلاثة قطع من النصب التذكارية في الموقع الأثري IOMNIUMوورشة نحت الحجارة، فرن لحرق الخزف ومقبرة في المكان المسمى سيدي خالد. تعتبر هذه العناصر جد مهمة لفهم الموقعين الأثرين تقزيرت وتقصبت في ولاية تيزي وزو.

الكلمات المفتاحية:
تقزيرت، عنصر زخرفي، نصب تذكاري، ورشة، فرن الخزف، مقبرة.

I- Présentation

La région de Tigzirt est connue par ses nombreux sites et monuments qui appartiennent aux différentes périodes historiques. Parmices sites et monuments, on cite :les peintures rupestres à Afir, les vestiges antiques à Tigzirt et Taksept, etc. Cette diversité de richesse patrimoniale, ajouté à la richesse naturelle, fait de cette région un lieu touristique par excellence.

Au cours de l'été de l'année 2010, nous avons menu un stage au profit d'un groupe de trente étudiants de l'institut d'archéologie au site antique de Tigzirt. Pendant cette période, nous avons effectués des travaux de nettoyage et de désherbage, ainsi que le nettoyage de certains éléments architectoniques. Ces opérations nous a menu à la découverte de deux éléments décoratifs et trois fragments de stèles.

Cependant, les investigations effectués dans le lieu dit Sidi Khaled, à environ 5Km de l'Est du chef lieu de Tigzirt et avec l'aide des citoyens, nous avons arrivé à la découverte detraces d'un four céramique, une nécropole et des restes de pierre de taille et des pierres en cours de débitage (atelier de pierre).

Ces importantes ateliers, nous a menu à poser la question sur la méthode du transport des matériaux au site antique de Tigzirt. Ainsi que les artisans ont-ils une relation avec la sécuritéde la nécropole et la relation entre les deux sites Tigzirt et Taksept. Ces questions feront l'objet de l'étude ultérieure.

II-An niveau du site IOMNIUM

Les travaux d'aménagement que nous avons menu au niveau du site antique de Tigzirt, nous a permis de découvrir deux éléments décoratifs en pierre calcaireet trois fragments de stèlesaussi en pierre calcaire. La description de ces trouvailles est la suivante :

II-1- Les éléments décoratifs

Le premier élément décoratif s'agit d'une pierre calcaire, trouvé à coté du fort byzantin, de forme parallélépipède, de dimension environ 1,20×0,50×0,25m, possède dans l'un des côtés trois fleurs à six pétales entourées de cercle, entre elle, on trouve deux fleurs de douze pétales entourées aussi de cercle. Dans l'un de ces côté une sculpture d'une colonne vertébrale.Ce genre d'élément est utilisé comme linteau de porte dans un lieu de culte (photo 1).



Photo 1 : Vu sur l'élément décoratif

Le second élément décoratif en pierre calcaire, trouvé à coté du fort byzantin, de forme pentagonale, il peut être une clef d'un arc en ogive. Cet élément possède des sculptures circulaires excentriques et un trou à la base qui facilite leur pose dans la structure (ADAM, 1989). Ce genre de sculpture est utilisé à la période tardive (photo 2).



Photo 2 :Clef d'un arc en ogive

II-2- Les fragments de stèles

Les deux fragments de stèles sont trouvés dans un mur à coté du fort byzantin restitué avec la technique approximative africanium. Il est réalisé sans mortier de construction. L'existence de ces fragments de stèles et leurs emplacement, preuve la non qualification des réalisateurs de cette restitution. Le fragment qui se trouve au haut de mur porte une inscription « PRON [e] », placé d'une manière renversée (photo 4). Le second fragment porte dans l'un de ses côtés un symbole oméga et dans

l'autre une inscription altérée,placé aussi d'une manière renversé (photo 5). Et au bas du mur, on trouve des pierres liées avec un mortier de ciment qui débord sur la surface des pierres.

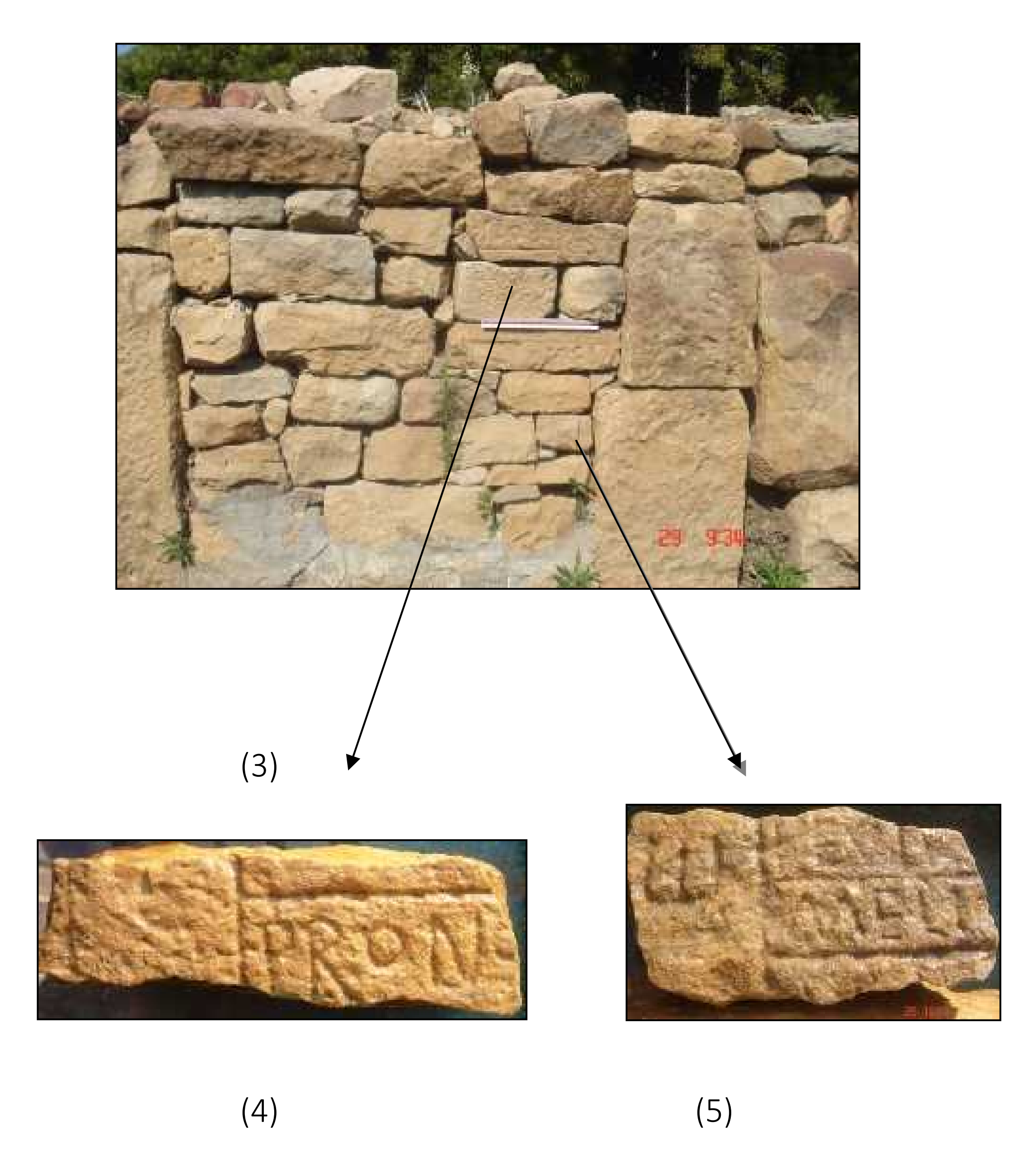


Photo n° 3, 4 et 5 :Vu sur deux fragments de stèle.

Le troisième fragment de stèle trouvéaussi à côté du fort byzantin est de forme d'un trapèze (photo 6), porte une inscription de quatre lignes dont :

La première ligne :OMPI [r]
La deuxième ligne :VREON[i]
La troisième ligne :ESSIA
La quatrième ligne :NIU[s]



Photo 6 :vue sur un fragment de stèle.

III- Au niveau du lieu dit Sidi Khaled

Au cours de notre investigation dans la région de Sidi Khaled, nous avons rencontré une nécropole, des traces d'un four céramique, des pierres de taille et des pierres au cours de débitage. Ces trouvailles ont été découvertes face à la mer.

L'existence de deux sites dans la région à savoir le site antique de Tigzirt et Taksept, nous a poussés à se poser la question sur la destination des matériaux fabriqué dans ces ateliers. Cette problématique est compliquée, elle demande des investigations approfondies.

III-1- Nécropole

A ce jour, nous n'avons pas encore rencontré des traces d'une nécropole dans cette région, juste quelques sarcophages déposés au niveau du site de Tigzirt.

Dans le lieu de la découverte, nous avons trouvés plus de trente sarcophages, certains en place et en bon état de conservation couvert des herbes, le reste se trouve en état de dégradation avancé dû à

plusieurs facteurs, dont le principal est le glissement de terrain (terrain accidenté), ce qui explique la poussée des sarcophages vers le bord de la mer (photo 7 et 8).

L'hypothèse que nous avons besoin à vérifier dans le future, les gardiens des nécropoles ont souvent une double fonction, c'est-à-dire ils assure la sécurité de la nécropole et au même tempsils participe dans l'artisanat (taille de pierre, la fabrication de la poterie, ...).





(7) (8)

Photo n° 7 et 8 : Vu sur la nécropole.

III-2- L'atelier de taille de pierre

L'opération de taille de pierre s'effectue après l'extraction des blocs de pierre dans la montagne de Sidi Khaled. Ces blocs sont poussés au bord de la meret restent en contact de l'eau pendant quelques jours et même plusieurs mois, où ils deviennentsaturé d'eau par conséquencesperdentpratiquement la moitie de leurs résistance mécanique et deviennent facile à travailler. Dans ce cas, le sculpteur donne au bloc de pierre brut la forme voulu (Photo 8).

L'extraction été effectuée à l'époque romaine par débitage de gros blocs de plusieurs mètres cube en utilisant les lits horizontaux et obliques, l'opération se nomme le débitage. Il suffit de pratiquer quelques trous verticaux ou l'on introduit des coins que l'on bat à la masse pour détacher ceux-ces (ADAM, 1989).

Avec ces trouvailles et après investigation dans lesalentours du site antique de Tigzirt et au long de la plage, nous avons trouvés quelques pierres de taille (photo 10 et 11). Malgré cette découverte, il reste toujours à vérifier l'hypothèse de l'origine de la pierre des deux sites historique Tigzirt et Taksept par des analyses de laboratoire.



Photo n° 9 : Vue générale sur la carrière de taille de pierre



Photo n° 10 :détail montrant la pierre utilisée comme cléf de voute



Photo n° 11 :détail d'une base de colonne

III-3- Le four céramique

Les fouilles archéologiques effectuées depuis 1886 par GAVAULT (P.)jusqu'au 1992 dans le site de Tigzirt ont abouti à la découverte d'un mobilier archéologique varié(sigillée claire A,C,D, sigillée luisante,

Africaine de cuisine, amphore, tadjine, lampe, tuile, dolium, etc.). Dans le même contexte, Dr Dorbane Mostaphaavait parlé dans le séminaire national, organisé par l'institutd'archéologie (université d'Alger2) de l'année 2009 de la récupération de 4610fragmentsde poterie au cours des travaux effectués sur le siteen question. Vu l'importancede ce nombre, nous avons posés la question de l'origine de cette poterie.

L'enquête effectue sur terrain a abouti à la découverte des traces d'un four de diamètre de base est 3,60m au lieu dit Sidi Khaled (photo 12). Cette importante trouvaille témoigne de l'existence de la production locale, en attendant d'effectué des analyses sur des échantillons de gisement d'argile, situé à côté de ce four et les différents échantillons de la poterie récupérée dans l'un des deux sites Tigzirt et Taksept (BOUKHENOUF, DAMOUCHE, 2013).



Photo n° 12 :Trace d'un ancien four



Photo n° 13 :Détail de la paroide four

V- Conclusion

La question de l'origine des matériaux de construction des deux sites historiques Tigzirt et Taksept reste exhaustive et demande la caractérisation des différents échantillons.

Avec ces importantes découvertes, nous avons rajouté des indices importants à la compréhension de la vie quotidienne de l'homme à l'époque antique dans cette région.

IV- Bibliographie

1- ADAM JP., 1989, La construction romaine : matériaux et techniques, troisième édition, édition grands manuels Picard, p45.

2- BOUKHENOUF A., DAMOUCHE S., 2013, origine de la poterie du site antique de Tigzirt (Four céramique) acte de colloque national surla ville et la compagne dans l'Algérie antique, université de Mascara p 309 - 3014

Sommaire

Titre	Auteur	page
Bilan des découvertes archéologiques de l'année 2010 à Tigzirt.	**Dr. BOUKHENOUF Arezki** **Pr. FILAH Mohamed Elmostapha**	03

Al-khaldounia

Numéro 08 Décembre 2015.

El Khaldounia des sciences Humaines et sociales

Revue scientifique publiée par la Faculté des sciences Humaines et sociales

Université d'Ibn khaldoun – Tiaret-

ISSN : 1112-5896

N° du dépôt légal : 718-2005

Adresse : Revue Al-Khaldounia,

Faculté des **S**ciences **H**umaines et **S**ociales, **U**niversité de Tiaret

E-mail : alkhaldonia.fsh@gmail.com

Site web : www.univ-tiaret.dz/revue_Al_Khaldounia.php